الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
-قسنطينة-
كلية أصول الدين
قسم الكتاب والسنة

حقيقة التفسير الإشاري وموقف العلماء منه

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه

اعداد:
صالح فريوي

اشراف الدكتور:
رمضان يخلف

السادة أعضاء لجنة المناقشة

أ.د/عبد الحليم بوزيد	رئيسا	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة
د.رمضان يخلف	مقررا	أستاذ محاضر أ	جامعة الأمير عبد القادر -قسنطينة
د.نادية وزناجي	عضوا	أستاذة محاضرة	جامعة باتنة
أ.د.منصور كافي	عضوا	أستاذ التعلم العالي	جامعة باتنة
د.الجمعي شبايكي	عضوا	أستاذ محاضر أ	جامعة الأمير عبد القادر -قسنطينة
أ.د.عبد الوهاب فرحات	عضوا	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر -قسنطينة

السنة الجامعية:1432-1433هـ
2011-2012م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾

[سورة يونس، الآيات: 62-64]

قال أبو القاسم الجنيد –رحمه الله تعالى– كما في "اللمع" للسرّاج الطوسي:

«أبت الحقائق أن تدع للقلوب مقالة للتأويل»

وقال عبد القاهر في "الدلائل":

«وما يغني وضوح الدلالة مع من لا ينظر فيها، وإن السبع ليملأ الأفق ثم لا يراه النائم، ومن قد أطبق جفنه».

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شكر وتقدير

قال رسول الله ﷺ : « من أسدى إليكم معروفا فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوا له حتى تروا أنكم كافأتموه » رواه النسائي وأبو داود .

و قال ﷺ :« لا يشكر الله من لم يشكر الناس » رواه أبو داود والترمذي .

وامتثالا لهذا الأدب النبوي الكريم فإني أقدم شكري للأستاذ المشرف الدكتور: "رمضان يخلف" الذي صبر على صاحب هذا البحث طوال مدة الإشراف.

كما أشكر المشرف الثاني في "دمشق" الدكتور: "عبد العزيز حاجي الكردي" أستاذ التفسير بكلية الشريعة بجامعة دمشق صاحب الخلق الكريم الذي تابع هذا البحث طوال المدة التي قضيتها في سوريا .

و جزيل الشكر أسديه إلى وزارة التعليم العالي وإدارة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية اللتين أتاحتا لي فرصة التفرغ لإتمام هذا البحث، وهيأتا لي فرصة السفر إلى دمشق التي قضيت بها سنة ونصف السنة فكان في ذلك خير كثير لي .

فجزى الله عني خيرا كل من كان له في هاتين المؤسستين المتفانيتين في خدمة العلم وأهله يد.

كما أشكر موظفي مكتبة الأسد العامرة في دمشق بسوريا الجريحة التي أسأل الله العلي القدير أن يخلصها مما هي فيه .

ولا أنسى أن أشكر موظفي وعمال مكتبة الدكتور أحمد عروة بجامعة الأمير عبد القادر على تفانيهم في خدمة الباحثين والطلبة.

ولا أنسى كل الذين ساعدوني من قريب أو من بعيد على إنجاز هذا البحث والوصول به إلى غايته .

فجزى الله كل هؤلاء خيرا راجيا منه سبحانه وتعالى العفو والعافية لي ولهم.

الإهداء

إلى نبع الحنان ورمز الحب و الأمان "أبي وأمي" راجيا لهما دوام الصحة و العافية.

وإلى حماة ساحة المودّة و الرّحمة، ومن تنزل بقربهم الراحة والسكينة "زوجي وأولادي".

إلى رموز الصدق والوفاء والإخلاص و الصفاء "إخوتي وأخواتي".

إلى روح الرجل الكبير حجة الإسلام"الغزالي" الذي دلّ النّاس على مشكاة الأنوار .

وإلى كل الأجلّة الذين يغرسون حيثما حلّوا بذور النّور في أرض الظّلمة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، أحمده على تواتر إنعامه حمدا كثيرا، وأتوكل عليه مفوضا أمري إليه ومستجيرا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يغدوا قلب قائلها مطمئنا مستنيرا.

والصلاة والسلام على رسول الله صلاة دائمة دوام ملك الله، الرسول الذي نَزل عليه الفرقان (فأعلى به من الدين معالمه، ومن الحق مراسمه، وبيّن من البرهان سبيله، ومن الإيمان دليله، وأقام للحق حجته، وأنار للشرع محجته، حتى انشرحت الأفئدة بأنوار البيّنات، وانزاح عن الضمائر صدأ الشبهات، فهو حجة نيرة واضحة المكنون، وآية بينة لقوم يعقلون، بل برهان جلي لا ريب فيه، ومنهج سوي لا يضل من ينتحيه، مظهر لتفاصيل الشرائع والأديان بالاستحقاق، مفسر لمشكلات آيات النفس والآفاق، كاشف عن خفايا حظائر القدس، مطلع على خبايا سرائر الأنس، بحر علم لا يترف، وعيلم فضل لا ينشف، به يتوصل إلى سعادة الدنيا والآخرة، وبه تكتسب الملكات الفاخرة، كلامه شفاء للسقام، ومرهم للأوهام، وحديثه قاطع للخصام عند تفاوت الأفهام وتباين الأقدام، عليه يدور فلك الأوامر والنواهي، وإليه يستند في معرفة حقائق الأشياء كما هي، أفلح من اتبعه ووالاه، وخاب ..من أعرض عنه وعاداه).

أنزله الله عليه (كتابا ساطعا تبيانه، قاطعا برهانه، وحيا ناطقا ببينات وحجج، قرآنا عربيا غير ذي عوج ...معجزا باقيا دون كل معجز على وجه كل زمان، دائرا من بين سائر الكتب على كل لسان في كل مكان) .

جعله منزله سبحانه وتعالى (أعظم المعجزات وأشرفها وأوضحها دلالة ...هو بنفسه الوحي المدعى، وهو الخارق المعجز، فشاهده في عينه، ولا يفتقر إلى دليل مغاير له كسائر المعجزات مع الوحي، فهو أوضح دلالة لاتحاد الدليل والمدلول فيه) .

ظهر فيه وبطن، معان لا تنتهي، (وقوة شاذة تغلب كل مغالب، وتتضاءل دونها قوة كل عالم، وكل زعيم وكل شاعر وكاتب، ثم تنقضي الأجيال والأحقاب ولا ينقضي ما فيه من عجائب، بل قد تنقضي الدنيا كلها ولما يحط الناس بتأويل كل ما فيه :﴿ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ﴾ الأعراف: ٥٣) .

اقرأ ما شئت من آياته وسوره ستجد فيها أسلوبا عجبا، ومنهجا من الكلام فذا مبتكرا –

كما يقول دراز- (فلا ترى سابقا جاء بمثاله، ولا لاحقا طبع على غراره، فلو أن آية منه جاءتك في جمهرة من أقوال البلغاء لدلت على مكانها ،و استمازت من بينها كما يستميز اللحن الحساس بين ضروب الألحان، أو الفاكهة الجديدة بين ألوان الطعام).

ذلك أنه في جانب من جوانبه، وهو الأسلوب (يحمل طابعا لا يلتبس معه بغيره، ولا يجعل طامعا يطمع أن يحوم حول حماه؛ بل يدع الأعناق تشرئب إليه ثم يردها ناكسة الأذقان على الصدور) .

و في مجال الإيجاز والحذف والإطناب وغيرها من أبواب البلاغة بلغ القرآن الكريم شأوا (ليس في متناول الألسنة والأقلام، ولا في متناول الأماني والأحلام).

لأنه (يؤدي لك المعنى الوافر الثّري، في اللفظ القاصد النّقي).

وهو في هذا وفي غيره لا يلحقه كلام نبيه ذكي، بل حتى ولو كان صادرا من نبي، فما أبعد ما بينه وبين كلام من نزل عليه ﷺ في وجازته واكتنازه وامتلائه بالمعاني التي لا حد لها.

ففي كل آية منه (جهاز من أجهزة المعنى، وفي كل كلمة منه عضو من أعضائه، وفي كل حرف منه جزء بقدره، وفي أوضاع كلماته من جمله، وأوضاع جمله من آياته سر الحياة الذي ينتظم المعنى بأدواته، وبالجملة ترى كما يقول الباقلاني: «محاسن متوالية، وبدائع تترى»، وهو دلالة أيّد بها رسول الله ﷺ (على الأيام باقية، وعلى الدهور والأزمان ثابتة، وعلى مر الشهور والسنين دائمة، يزداد ضيائها على كر الدهور إشراقا، وعلى مر الليالي والأيام ائتلاقا) -كما يقول الطبري-.

إذا كان شأن هذا الكتاب الكريم هو هذا فكيف لا تطير إليه أرواح المؤمنين بأجنحة الشوق وصدق الحب، طاوية أذيال بساط البسيطة، نابذة لذائذ الحياة ومتعها وراء ظهرها، تشبه في ذلك فراشا يتهافت حول النور، حائمة حول حماه بقوادم أقدام الوَلِه، طالبة من منزله ما أُمر أن يطلبه من نزل عليه:«رب زدني علما» فيه، فلا وجه للغرابة في أن يكون في هذا الكتاب -بعد كل هذا- وهو كلام الله آيات لا تدرك معانيها!.

إن هذا هو الذي يجب أن يكون، لا أن يحيط الناس بمعانيه جميعها، ولو أن كتابا آخر دُرس وغُربل بالطريقة التي تناول العلماء بها القرآن الكريم لما بقي فيه حرف واحد خفيا في معناه، أما القرآن الكريم فشأنه مختلف، لأنه صفة من صفات الله، فأسراره لا تنتهي، ولذا تناول الناس

بالشرح والتفسير والتأويل آيات القرآن وحروفه و لم يستطع أن يصدهم عن ذلك صاد، قال ابن قتيبة: «لم نر المفسرين توقفوا عن شيء من القرآن، فقالوا: هذا متشابه لا يعلمه إلا الله، بل أمَرُّوا كله على التفسير، حتى فسروا الحروف المقطعة في أوائل السور مثل: ألر وحم وطه، وأشباه ذلك».

فلم يلتفت المخلصون منهم إلى ما يمكن أن تؤول إليه أقوالهم -تفسيرا أو إشارة وتأويلا- لاعتقادهم بأن مدارستهم للقرآن الكريم وتفسيرهم له، واستلال المعاني منه قربت أو بعدت، قُعود في محراب من محاريب العبودية لله، وأن ما قالوه فيه ضرب من ضروب محاولة الفهم عن الله ﷻ مع بقاء النظم الكريم في عليائه فلا يلحقه فساد ذاتي لكونه محفوظا من كل ذلك، بعيدا عن الفهوم البشرية المحكومة بالزمان والمكان المحاطة من كل جانب بالعجز والنقصان، منفصلا عنها، معتقدين أيضا بأن القرآن بآياته وسوره (كغيره من الأمور العبادية ليس هو نصا جامدا يقرأ على أنه دستور يُرجع إليه في ميزان العمل، ولا شيء غير ذلك، بل إنما هو إلى جانب ذلك ذكر حكيم، يبطن جانبا روحيا هائلا، ينكشف لمن عاش في باطنه بروحه، ووعى روحه المتصلة بالغيب على أي صورة من صور الاتصال العاطفي الذي لا ينتهي إلى تصور حلول ولا اتحاد) ، مع علمهم كذلك -وخاصة أهل الإشارة وهو ما يعنينا في هذا البحث أكثر من غيره-، بأنّ الفهوم الأولى وظواهر النصوص والمعرفة الحسية والعقلية المتبادرة، منها أوسع نفعا من الإلهام والإشراق والأذواق والمواجيد، لأنّ الأولى يعم الانتفاع بها كل الناس، بينما الأخيرة لا ينتفع بها إلا قلّة، وهي ليست رمية لكل نبّال، كما لا يساورهم شك في أن معنى التنزيل الإلهي لا يتناهى عند هذه البسائط البادية، من ظاهره -كما يقول "جولد تسيهر"-، لكن الانتقال إلى ما رواءها مشروط بألا تتجاوز المعارف الإشارية ما عُرف من أصول الشريعة مع وجوب الإيمان والعمل بالظاهر على أنه أصل الدين وأساس الشريعة، وما زاد على ذلك من الإشارات واللطائف والبواطن فنافلة بالشرط السابق، لورود النصوص ليُتعبد بها على النحو الذي وردت به لكافة الناس عامتهم وخاصتهم، لا لفئة بعينها -كما يقول عبد الحليم النجار تعليقا على كلام جولد تسيهر السابق-.

وقد علم الموفقون من أهل الإشارة أنّ بين الإيمان والكفر برزخا، وأنه لا مساواة بين النعيم والجحيم، فإن وقع الخلط زالت صفة الحكمة عن الله ﷻ، ولا يقول بهذا عاقل، ناهيك عن

مسلم، كما فهموا أن المشي في مناكب الأرض وتعميرها والاستخلاف فيها بما يرضي الله تعالى دينٌ، فلم يكونوا ممن يغتال العقول أو يقتل الهمم، أو يعطل القوى العاملة في مناشط الحياة، كما وُصفوا.

وما يسمى "بالموت المعنوي" عند هؤلاء الموقفين من أهل الإشارة: هو الذي ينتعش معه القلب، وتحلّق به الروح عاليا، لا يعني الذهول عن الحياة بجميع تفاصيلها، وإلا لما رأينا تيارا كان ولا يزال وسيظل مؤثرا قويا في مجرى الحياة الاجتماعية الإسلامية بمختلف جوانبها، غايته –أعني التيار– الأخلاق والمعرفة والسلوك الموصلة إلى رضا الله تعالى، حتى لا يزول الورع ويطوى بساطه، ويشتدّ بالمقابل –الطمع ويقوى رباطه– كما قيل، ولا معنى لقول من قال –معمما الحكم: (إن الصوفية –وأهل الإشارة من المفسرين من أقطابهم– هم أشد الناس إهمالا للحياة المحيطة بهم، وأكثرهم تواكلا فيها، وأشدهم ابتعادا عن الواجب نحوها).

لأنّ هذا مخالف للواقع، مصادم لمتواتر التاريخ، فقد عرف عن كثير منهم أنهم كانوا في العلم والعمل بحورا وقدوة لا يدرك شأوهم، ومن وازن بينهم وبين الذين ذهبوا في الانحراف بعيدا "كإخوان الصفا" ومن كان على شاكلتهم بدعوى بعض التقاطعات، وبحجة أنهما (يشتركان جميعا بحسب النتائج في تحليل الإسلام الإيجابي المأثور، وتفتيت مادته) كما يذهب إلى ذلك جولد تسيهر. فقد حاد عن الموضوعية وقال منكرا من القول وزورا في حق المتشبثين بحقائق الإسلام ظاهرا وباطنا على النحو الصحيح، ذلك أنهم لم يكونوا إلا معطرين للشريعة بعبير الروح ساكبين عليها أنداء الخيال غير الجامح وغير المزّق لحدود ظواهرها، مرسلين إلى القلب أشعة من الأنوار الروحانية –كما يقول زكي مبارك في وصف "إحياء" الغزالي.

وهاك شعاعا من أشعة تلك الأنوار الروحانية كما رواها أبو نعيم (أحمد بن عبد الله الحافظ ت: 430هـ) عن أبي يزيد البسطامي قال: (ليس العجب من حبي لك وأنا عبد فقير، إنما العجب من حبك لي وأنت ملك قدير). وقال: (توهمت أني أذكره –وأعرفه– وأحبه– وأطلبه، (ثم) رأيت: ذكره سبق ذكري، ومعرفته سبقت معرفتي، ومحبته أقدم من محبتي، وطلبُهُ لي أولاً حتى طلبته).

إن الذي يحمل كل هذه المعرفة بالذات العلية يبعد –إن لم يكن محالا– أن يقصد إلى تحريف الكلم عن مواضعه، خاصة إذا كان معدودا كالبسطامي من (أهل الدين والعلم) كما وصفه ابن

تيمية. وقد كان –أعني أبا يزيد وأشباهه– ممن يأوون إلى ذكر الله كما يأوي النسر إلى وكره، ومعلوم أنه وأمثاله من أهل الإشارة الموفقين، يرون أن الظواهر القرآنية هي المعتبرة، وهي الأصل، وهي حقائق وليست رموزا كما يذهب إلى هذا غيرهم. ذلك أن القول بعدم تحقق الظواهر وإبعاد الغطاء المادي الذي يحول دون معرفة الحقيقة كما يقول جولد تسيهر، ضرب من الغفلة، ونوع إساءة للعقل وللذوق، وإنكار للذات ولما حولها، مما جُعِل علامة ودليلا موصلا إلى الله تعالى، ولولاها –أعني الظواهر والماديات التي فينا ومِن حولنا– ما درى أحد كيف سيكون، ولم يقع في هذا من المتصوفة إلا من (خلط الفلسفة بالحقائق الصوفية) كما يقول عبد القادر محمد عطاء .

إن الذي يقول في هدأة الليل وسكونه مخاطبا مولاه خائفا من عذابه: قرة عيني وسرور قلبي، من الذي أسقطني من عينك، ثم يصرخ ويبكي، لا يمكن أن يعامل كما يعامل المتمرد على الله الناظر إلى وحيه النازل على رسوله ﷺ على النحو الذي يَذهب بحقائقه.

إن الذي يقول: ليس من استأنس بالذكر كمن استأنس بالمذكور، لا يضعه في خانة واحدة مع من يسمع كلام الله ثم يحرفه من بعد ما عقَله من كان معه مسكة من عقل.

إن واحدًا من حفاظ الإسلام وهو أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، قال عن أبي عبد الرحمن السلمي الذي جعلته نموذجا من نماذج التفسير الإشاري في هذه الرسالة، قال عنه: (إن لم يكن أبو عبد الرحمن من الأبدال، فليس لله في الأرض وليّ).

فإن كنّا مبتلين بزمان خفتت فيه آداب الإسلام، وتوارت حتى أخلاق أهل الجاهلية، وأحلام ذوي المروءة، فينبغي أن لا يكون كل هذا مدعاة لأن يَطمس أصحابُ العقول الحصيفة، ويقلبَ أهلُ الموضوعية والعلم البياضَ سوادا، والحق باطلا.

إن ناقة التاريخ لم تحمل فوق رحلها أعف ولا أوفى ذمة ولا أصدق لسانا ولهجة من هؤلاء الأجلة المقتفين آثار نبيهم ﷺ، لقد انفتحت عين بصيرتهم، ونامت عين بصرهم، فلم يروا بعد ذلك إلا الحق سبحانه وتعالى، مع تعاليه وفوقيته ومخالفته لكل ما خلق.

لقد ورثنا شذًى من أنوارهم لا يزال أريجا، ولطائف لا يأتي عليها كر الأيام، وأخلاقا خالدة خلود الفضيلة والحس والمشاعر الفطرية الفياضة، التي يرى معها الإشاري، (الفعل الإلهي في كل حركة كونية من حبّة الرمل في الصحراء إلى السماء المرصّعة بالنجوم) كما يقول "ولتر

ستيس"، ومع ذلك كله فقد خلط أهل الإشارة –كغيرهم من المفسرين– في تعاملهم مع كتاب ربهم عملا صالحا وآخر سيئا، فمنهم بل كلهم ممن كانوا نماذج في هذا البحث وسواهم، (من مرج البحرين، وجمع بين الأمرين، فللراغب الطالب أن يأخذ العذب الفرات، ويترك الملح الأجاج، ويلقُط الدر الثمين، ويسقط السبج والزجاج) ، ولم يخرج نظرهم في كتاب الله تعالى عن نظر واجتهاد واستنباط غيرهم فجمعت مائدتهم الطيب وما يقابله والسليم وضده (فلينظر المرء أيها أزكى طعاما فليأخذ منه). وقد عرف تاريخ التفسير القرآني عبر مسيرته الطويلة في القديم وفي الحديث كثيرين ، منهم المفسر الكبير أبو الثناء شهاب الدين الألوسي، الذي لفت نظري إلى هذا اللون من التفسير، ودلّني في "روح المعاني" عليه، حتى جعلته مبحثا في رسالة الماجستير الموسومة بـــ:"**الألوسي ومنهجه في التفسير**"، لكن "المبحث" لم يشفِ غليلي، ولم يرو ظمأي: لكنه كان مقدمة وإرهاصا لميلاد بحث جديد، أوسع مع رجاء أن يكون أشمل وأعمق في المرحلة الثانية من الدراسات العليا، فكان العنوان الجديد لرسالة الدكتوراه "**حقيقة التفسير الإشاري وموقف العلماء منه**" (وشرعت فيه... متضرعا إلى رب العظمة والجبروت، خلاق عالم الملك والملكوت في أن يعصمني عن الزيغ والزلل، ويقيني مصارع السوء في القول والعمل، ويوفقني لتحصيل ما أرومه وأرجوه، ويهديني إلى تكميله على أحسن الوجوه، ويجعله خير عدّة وعتاد، أتمتع به يوم المعاد) ، راجيا منه سبحانه أن يوفقني لأن أجعله (مخرجا بأوضح العبارات، ومرصعا بأحسن الإشارات، ومفرغا في قالب الجمال بأفصح مقال)، وقد استغرق إنجازه سنين عددا، ثم كمل على حسب الوسع والاقتدار بعد أن أضنى الجسم والبصر والفكر، لكنه أمتع القلب وأيقظ الروح وأنعش الجوانب الخفية في نفس صاحبه الذي يدعي أنه حاول وحاول، وارتفق الصعب لعلّ رشح الجبين يرشح لمقعد صدق، ولعلّ صبيب العرق يعرج به إلى معارج الحق ودرجة الإخلاص.

(فإنّ وافق الإرادة فشكرا لله وحمدا، وإن ظهر التقصير فخادم استنفد جهدا، ومن الله نسأل أن يتغمّد الزلل، ويتدارك الخلل، ويبلّغ مرضاته الأمل، فما خاب لديه من سأل).

والأعمال بالنيات، فرب أقوام تنجيهم نياتهم مع قلّة عملهم، ورب أقوام تهلكهم نياتهم مع كثرة عملهم –كما يقول أبو حامد–.

ومن تحصيل الحاصل –كما يقال– أن أقرر أن علم التفسير من أجل العلوم الشرعية وأعلاها قدرا ؛ لأن موضوعه كلام الله تعالى ؛ أصل هذه الشريعة وأسها ومصدر عقائدها

وأحكامها .

ولشرف هذا العلم واتصاله الذي لا ينفك عن القرآن الكريم بدأ الاعتناء به مع البدايات الأولى لنزول القرآن الكريم ؛ فقد كان الصحابة ﷺ كثيرا ما يسألون النبي ﷺ -وهم العرب الأقحاح- عن معاني بعض كلمات القرآن .فمع أن هذا الكتاب الكريم نازل بلغتهم إلا أنهم لم يكونوا متساوين في إدراك حدوده والإحاطة بمراميه، لما اشتمل عليه من المعاني المعجزة، والألفاظ التي قد يخفى معناها على بعضهم، فكانت تلك السؤالات وتلك الإجابة محل عناية نقلا وتعليما إلى أن جاء بعض علماء التابعين وتابعيهم من نقلة الروايات وجامعي الأسانيد فجمعوا -في جملة ما جمعوا-مرويات التفسير، وربما أفرد بعضهم لمرويات التفسير تأليفا مستقلا كما هو صنيع يزيد بن هارون السلمي (ت: 117ه)، وشعبة بن الحجاج (ت: 160ه)، ووكيع بن الجراح (ت:197ه)، وعبد الرزاق الصنعاني (ت: 221ه) .

وقد ظل أكثر علم التفسير لمدة طويلة يعتمد على المروي عن النبي ﷺ وصحابته إلى أن ظهر ولأسباب مختلفة – لون آخر من التفسير واتجاهات جديدة اشتملت عليها كتب التفسير كان المأثور أحدها، فعرف الناس تأليف اعتنت بمعاني القرآن، وأخرى بمجازاته، وثالثة بغريبه،...، وفتح بذلك المجال لما عرف فيما بعد بالتفسير بالرأي والاجتهاد أو التفسير العقلي الذي هو موضع اختلاف بين العلماء قبولا وردا .

وينضوي تحت ما اصطلح على تسميته بالتفسير بالرأي فروع كثيرة ؛ منها ما عرف بالتفسير الإشاري أو التفسير الرمزي أو التفسير الصوفي، وهو موضع أخذ ورد كالأصل الذي تفرع منه، بل إن الاختلاف فيه أشد، خاصة إذا ما فهم المصطلح بمعناه العام .

وقد شهد تاريخ التفسير في القديم والحديث ظهور تفاسير اعتنى فيها أصحابها بهذا اللون – أعني التفسير الإشاري- فجاء جنبا إلى جنب في مؤلفاتهم مع التفسير بالظاهر، وربما خصّ بعضهم تأليفه لهذا اللون من التفسير، وإن قل من فعل هذا .

وأكثر التفاسير الإشارية – ولعلها – جميعا لم تتناول آيات القرآن الكريم آية آية، وسورة سورة، بل اقتصرت على آيات معدودات في السورة الواحدة قلّت أم كثرت حسب طول السورة وقصرها. وهذه العناية من قبلهم بهذا اللون من التفسير هو ما دفعني إلى اختيار الكتابة في هذا الموضوع لنيل درجة الدكتوراه في التفسير وعلومه تحت عنوان :

« حقيقة التفسير الإشاري وموقف العلماء منه »

وفيما يلي إشكالية البحث .

أولا : إشكالية البحث :

ينقسم التفسير الإشاري إلى قسمين رئيسيين :

القسم الأول : التفسير الإشاري الرمزي النظري أو الفلسفي، وعلماء الإسلام مجمعون أو يكادون على رده .

القسم الثاني : التفسير الإشاري الفيضي أو الصوفي، وهو الذي أشرنا إلى أن الاختلاف فيه أشد.

و أبرز من يمثل الاتجاه الأول : ابن سينا والفارابي وغيرهما، ويلحق بهما ابن عربي صاحب "الفتوحات" والفصوص" .

ويمثل الاتجاه الثاني : التستري سهل بن عبد الله (ت:283ه) في كتابه "تفسير القرآن العظيم"، وهو واحد من أقدم التفاسير التي اعتنت باللطائف، والقشيري عبد الكريم بن هوازن (ت:465ه)في كتابه "لطائف الإشارات"، وهو تفسير إشاري كامل للقرآن الكريم سُخِّر فيه المعنى الظاهر لخدمة اللطائف والإشارات التي اشتمل عليها الكتاب . وقبله :السلمي محمد بن الحسين (ت:412ه)في "حقائق التفسير "، وقد أخلصه –رحمه الله– للإشارات ومحضه لها، مع إعراض كلي منه عن التفسير بالظاهر، وهذا لا يعني عنده أن التفسير الظاهر غير مراد.

و لم يخل العصر الحديث من هذا اللون من التفسير : فقد ألف أحمد بن عجيبة (1224 ه) تفسيرا كاملا للقرآن الكريم غلب فيه التفسير الإشاري على التفسير بالظاهر أو تساويا، وهو مطبوع متداول تحت عنوان "البحر المديد في تفسير القرآن المجيد".

كما ملأ الآلوسي محمود شهاب الدين (ت1270ه) تفسيره "روح المعاني" بالإشارات واللطائف، فلم يترك سورة من سور القرآن الكريم لم يورد فيها الإشارات واللطائف قلّت أم كثرت إلا ما كان من سورة "الليل" وما تلاها إلى سورة "الناس"، وإن اشتمل تفسيره على جوانب مختلفة زيادة على اللطائف والإشارات .

وغير بعيد من الناحية التاريخية عن ابن عجيبة والآلوسي وجد مفسر آخر حشا تفسيره بهذا اللون من الإشارات، وهو : إسماعيل حقي البرسوي (ت: 1137ه) في كتابه "روح البيان" .

هذا بالإضافة إلى تفاسير أخرى في القديم والحديث اعتنت بهذا اللون من التفسير، تفاوتت أحجامها إسهابا وإطنابا أوإيجازا واختصارا . بعد كل هذا :

-هل ينبغي لنا أن نغض الطرف عن هذا الكم الهائل من المعارف التفسيرية التي اشتملت عليها مؤلفات الذاهبين إلى هذا اللون من التفسير إذا سلمنا «أن علومهم ليست غريبة ولا مستوردة»؟.

-وهل التفسير الإشاري نشأ نشأة إسلامية خالصة لا أثر فيها لأي فكر أجنبي ؟.

-وهل قلة التأليف في هذا اللون من التفسير في عصرنا الحاضر دليل صحة وعافية ؟ .

أم هو مؤشر على أن خللا ما أصاب الأمة في روحها أدى إلى تراجع التفسير الإشاري خاصة إذا علمنا أن تراجع التأليف فيه ارتبط بدخول الإستعمار الغربي إلى العالم الإسلامي؟.

-وهل التأليف في التفسير الإشاري مقتصر على أرباب المجاهدات والأحوال الذين يتجاوزون حدود وظواهر الألفاظ المألوفة ومعانيها القاموسية إلى جوهرها الذي يدق على الأفهام العادية، وأن استنباط الإشارة من العبارة تناط بمعارف عليا وملكات أخرى يناط بها حمل هذا العبء كما نص على ذلك بعض العلماء؟.

-وبالمقابل، ما هي الأسس والاعتبارات التي لأجلها رد بعضهم التفسير الإشاري ؟.

-هل لأن التفسير الإشاري إشارات ملتوية وأذواق ومواجيد لا ضابط لها ولا حدود تقيدها وأنها مخرجة للقرآن عن وضعه ومناقضة للحكمة الإلهية ولغرض القرآن الإصلاحي ؟.

-وهل اللطائف والإشارات التي قيلت في كتاب الله تعالى في القديم والحديث ينبغي أن تطرح جميعها لأنها لا تعدو أن تكون ليا لعنق النص وزيغا وضلالا عن دين الله الذي لا يؤخذ من ذوق متذوق أو وجد متواجد ؟.

-ونتساءل أيضا : هل كان هذا اللون من التفسير بما نتج عنه عاملا من عوامل التخلف الحضاري وتكريسه في الأمة أم أنه على العكس من ذلك يعبر عن النضج الفكري والسمو الروحي لهذه الأمة ؟ .

-وإذا قلنا إن التفسير الإشاري لون من ألوان التفسير بالرأي والاجتهاد اشتمل على ما يصادم الشريعة كما حوى ما يوافق مقاصدها ويخدم مراميها وأهدافها ولا يتعارض معها نصا وروحا فما هي الضوابط والمعايير التي ينبغي أن يسير عليها هذا التفسير كي لا يخرج بفحواه عما ذكر من معنى ؟ .

وفيما يأتي الفرضيات الممكنة للإجابة عن هذه التساؤلات .

ثانيا : فرضيات البحث :

تمشيا مع التساؤلات السابقة يمكن عرض الفرضيات الآتية :

-التفسير الإشاري أحد ألوان التفسير المهمة التي لا غنى عنها .

-يمكن الاستغناء عن التفسير الإشاري لأنه دخيل على التراث التفسيري .

-التفسير الإشاري حكر على ذوي المعارف والكشوفات النظرية وأصحاب المواجيد والمعارف اللدنية.

-يمكن استخلاص اللطائف والإشارات بإعمال النظر والاجتهاد دون أن يكون قصرا على ذوي الكشف والباطن .

-رد من رد التفسير الإشاري لأنه مجرد تقول على النص القرآني بالرأي والهوى مما يخرجه عن مقاصده وأهدافه .

-إن من رد التفسير الإشاري لم يميز بينه وبين نوع آخر يعارض أحكام الشريعة هو التفسير النظري الفلسفي أما التفسير الإشاري فهو يلوح للمفسر من لطائف بعد استكمال خطوات التفسير بالظاهر والقول به .

- التفسير الإشاري كان عاملا من عوامل تخلف الأمة بما كرسه من معان مصادمة لروح الشريعة.

- التفسير الإشاري دليل على صحة للأمة ومؤشر على مكانتها الفكرية وسمو روحها .

- للتفسير الإشاري ضوابط وأسس تمنعه من الانحراف عن الرأي المقبول الذي لا يصادم ظاهر النص ويوافق مقاصد الشريعة العامة ويمكن استخلاصها وترسمها للمشتغلين به .

وفيما يلي أسباب اختيار الموضوع .

ثالثا : أسباب اختيار الموضوع :

يمكن أن أجمل الأسباب التي دفعتني إلى اختيار بحث هذا الموضوع في النقاط الآتية :

-ما استرعى انتباهي أثناء إنجازي لبحث الماجستير "الألوسي ومنهجه في التفسير" حيث أكثر الإمام الآلوسي من إيراد اللطائف والإشارات مما رغبني في الاشتغال ببحث هذا اللون من التفسير .

-اشتمال التراث التفسيري على كم لا بأس به-حتى لا أقول هائلا- من التفسير الإشاري مع قلة العناية به من قبل الدارسين .

-اختلاف الآراء حول التفسير الإشاري قبولا وردا مع عدم وجود تحريرات في ذلك .

-قلة الدراسات الأكاديمية حول هذا الموضوع حسب علمي .

ولعل هذه الأسباب يعضدها ما سأذكره من أهداف البحث .

رابعا : أهداف البحث :

أهدف من خلال هذا الموضوع إلى :

-التعريف بالتفسير الإشاري وبيان حقيقته تمييزا له عن باقي ألوان التفسير القريبة منه والبعيدة.

-محاولة استجلاء حقيقة الاختلاف بين العلماء في قبول ورد التفسير الإشاري .

-محاولة استخلاص الضوابط والحدود التي تحفظ التفسير الإشاري من تسرب الدخيل وما ليس منه إليه .

-النظر في الشروط التي وضعت لقبول التفسير الإشاري ومدى التزام أو خروج من كانت لهم نظرات إشارية ولطائف عن هذه الشروط .

-كما يهدف هذا البحث للوصول إلى رأي صحيح وموقف واضح من التفسير الإشاري بعيدا عن الأحكام القيمية والنظرات السطحية .

واعتبارا لهذه الأهداف سطرت بعض مصطلحات البحث الأساسية .

خامسا :مصطلحات البحث الأساسية :

يمكن تمييز أهم المصطلحات التي يكثر دورها في هذا البحث فيما يأتي :

-**التأويل** : صرف الآية عن معنى إلى معنى تحتمله بشرط موافقته للكتاب والسنة .

-**التفسير بالمأثور** : وهو ما استند فيه المفسر إلى ما جاء في كتاب الله تعالى أو سنة نبيه أو أقوال الصحابة والتابعين .

-**التفسير بالرأي والاجتهاد** : وهو الذي يصدر فيه المفسر عن رأيه بعد استنفاد الجهد في المأثور، فإن لم يجد اجتهد في تفسير النص بشرط أن يكون مستجمعا لأدوات التفسير .

- **التفسير الإشاري النظري (الفلسفي، الرمزي)**:وهو التفسير القائم على المباحث النظرية والتعاليم الفلسفية، وصاحب هذا اللون من التفسير يضع مقدمات كلية تنقدح في ذهنه ثم يتزل عليها آيات القرآن .

-**الذوق** : نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه، يفرقون به بين الحق والباطل من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب أو غيره – كما قيل في تعريفه-

-**الوجد (المواجيد)** : كل ما صادف القلب من غم أو فرح بلا تكلف ولا تصنع ،وقيل: هو بروق تلمع ثم تخمد سريعا .

-**الكشف** : الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية وجودا وشهودا – كما قيل في تعريفه-

-**الإلهام** : ما يلقى في الروع بطريق الفيض، وقيل : ما وقع في القلب من علم، وقيل : موارد تتوالى من الرب على خاطر العبد .

-**أرباب القلوب والمجاهدات** :وهم المقبلون على الله بصدق اللجأوإظهار الفاقة ودوام الافتقار، وقيل: هم الذين ماتت أهويتهم وخلصت أرواحهم واستقامت بواطنهم وظواهرهم لله .

-**اللطائف(لطائف الإشارات)** : إشارات إلى القلب عن دقائق الحال، وقيل إشارة تلوح في الفهم وتلمع في الذهن والعبارة لدقة معناها.

وفيما يأتي حديث عن الدراسات حول الموضوع .

سادسا : الدراسات حول الموضوع :

لم تصل يدي إلى رسائل جامعية أو أطروحات علمية استقلت بالبحث في هذا الموضوع وعرض جوانبه السلبية والإيجابية على نحو مفصل مستقل واضح المعالم، بل تكاد تخلو المكتبة التفسيرية من المؤلفات الأكاديمية التي تتناول التفسير الإشاري ما له وما عليه، إلا ما ورد في ثنايا بعض كتب علوم القرآن ومناهج التفسير، أو في مقدمات بعض التفاسير وبعض الاستنتاجات التي ذكرها شراح الأحاديث التي قيل إنها أدلة مشروعية هذا اللون من التفسير.

فالمتوفر من التفسير الإشاري لا يعدو أن يكون شذرات قليلة اشتمل عليها "البرهان" للزركشي و"الإتقان" للسيوطي و"مناهل العرفان" للزرقاني، وقد حاول محمد حسين الذهبي أن يلقي المزيد من الضوء على التفسير الإشاري في كتابه "التفسير والمفسرون" لكنه لم يفك العديد من الإشكالات، وبدا مضطربا فلم يهتد فيما كتب إلى موقف واضح يمكن أن يكون ملجأ وملاذا لمن أراد معرفة حقيقة هذا اللون من التفسير، وإن كان أفضلَ و أوسعَ ما كُتب،كما حاول من بعده "حسن عزوزي " في رسالة الدكتوراه التي تناول فيها بالبحث والدراسة "الشيخ أحمد بن عجيبة ومنهجه في التفسير" أن يعطي صورة شاملة عن التفسير الإشاري من خلال تعريفه ومشروعيته وشروط قبوله إلا أنه لم يتجاوز ما قاله الذهبي وغيره.

وقد كانت قلة الدراسات حول هذا الموضوع إحدى الصعوبات التي واجهتها في إنجاز هذا البحث ، بالإضافة إلى عموم عنوان البحث و عدم تقييده بفترة زمانية معينة ، لأن الأثر الإشاري لم يكن عند المفسرين وقفا على مرحلة تاريخية دون باقي المراحل، بل شمل تاريخ التفسير منذ بداياته الأولى إلى يوم الناس هذا، مع خفة حدته و تراجعه أحيانا ، لكنه لم ينقطع التأليف فيه وبقي مستمرا استمرار تفسير كتاب الله تعالى .

كل هذا جعلني أقول في غير تهيب :إن التفسير الإشاري لم يأخذ حقه من الدراسة المستفيضة التي تبرز معالمه وقضاياه، وهو ما حاولت القيام به من خلال هذا البحث وفق المنهج الآتي .

سابعا : منهج البحث :

وقد اعتمدت في دراسة هذا الموضوع على منهج أشار إلى البدايات الأولى لهذا التفسير، واستعمال بعض أهل العلم له على نطاق ضيق حينا، وواسع مبسوط حينا آخر، صاحبه تتبع لأقوال المجيزين والمانعين لهذا اللون من التفسير مع تحليل ومناقشة آرائهم للوصول إلى أعدل الأقوال وأقربها إلى حقيقة التفسير الإشاري .لتخلص الدراسة في خاتمتها إلى نتيجة تعطي صورة عامة عن مسار هذا التفسير، و ما يوصي به هذا البحث وما يقترحه مما يتعلق بمسار التفسير الإشاري و آفاق مستقبله مما سنشير إلى بعضه في خاتمة البحث الذي جاءت خطته على النحو التالي:

ثامنا : خطة البحث :

وقد جعلتها في مقدمة و أربعة فصول و أربعة عشر مبحثا وخاتمة :

أما المقدمة فجاء الكلام فيها غير خارج عن أمور ثلاث : القرآن باعتباره وحي الله إلى رسوله ﷺ والتفسير في زمنه ﷺ، واللغة باعتبارها الوعاء الذي نزل فيه كتاب الله تعالى وهي جزء من نظم القرآن ولسان النبي ﷺ الذي نزل عليه هذا الكتاب المبين، وقد تخلل الكلامُ فيها هذا وذاك، حيث بدا لي أن الأمر لا يستقيم دون ذكرها فيهما .

ثم أتبعت المقدمة المذكورة بمقدمات حول التفسير تناولت فيها :

أصول التفسير ومآخذه الأربعة المعروفة وهو المبحث الأول في هذا الفصل وفيه :

تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة، وتفسير القرآن بقول الصحابي، وتفسير القرآن بقول التابعي على خلاف بين أهل العلم في غير ما لم يجمعوا عليه، وأشرت إلى أن هذه المآخذ جميعها لا بد منها لكل داخل إلى ساحة التفسير المقدسة، وأن الانحراف في القول في كتاب الله تعالى يبدأ من جهل هذه مجتمعة أو جهل بعضها وعدم الإلمام به .

وتحدثت في المبحث الثاني الموسوم بـــ : "بين التفسير والتأويل" مع إسهاب في باب التأويل باعتبار أنه يشكل مادة الرسالة ومضمونها الذي دار حول المعاني الثانية للآيات، أو صرف الآية عن ظاهرها إلى معنى ثان لدليل أو لغير دليل، وصلة المعنى الجديد بالظاهر الأول الذي هو أصل الفهم، معرجا على ما تركه "التأويل" في تاريخ العلم عند المسلمين وآثار ذلك على علم من أهم

هذه العلوم وهو التفسير .

وجعلت "المبحث الثالث" والأخير من هذا الفصل للتفسير بالرأي وموقف أهل العلم منه وأنواع هذا التفسير تمهيدا وتوطئة للدخول إلى ساحة التفسير الإشاري الذي عدّ من جملة أنواع التفسير بالرأي.

وجعلته –أعني التفسير الإشاري – عنوانا للفصل الثاني المشتمل على ثلاثة مباحث بعد مقدمة معرفة بالتفسير الإشاري بوجه عام باعتباره من أنواع التفسير بالرأي .

دار المبحث الأول منه حول التصوف بحكم أن كل التفاسير الإشارية المعروفة أصحابها من المتصوفة بصرف النظر عن طبيعة التصوف .أهو عملي فيضي أم نظري فلسفي، حاولت فيه بقدر الإمكان أن أعرض لمواقف العلماء حول التصوف ردا أو قبولا، دخيلا أو أصيلا .

منتقلا بعده إلى المبحث الثاني من الفصل الثاني متحدثا فيه عن العقل واللغة باعتبارهما أدوات الفهم والاستنباط واستلال المعاني الثانية من المعنى الأول محاولا رسم حدود كل منهما والمدى الذي يبلغانه في استخراج هذه المعاني.

منتقلا بعدهما إلى ما عرف عند المفسرين الإشاريين "بالظاهر والباطن " وهو عنوان المبحث الثالث والأخير في هذا الفصل باعتبارهما –أعني الظاهر والباطن – ثمرة عمل العقل مستعينا باللغة في فهم ظاهر الآية والغوص في باطنها بصرف النظر عن مواءمته أو عدم مواءمته للظاهر المفهوم من الآية .

أما الفصل الثالث المعنون بـ : "مفهوم التفسير الإشاري وأنواعه وشروط قبوله" فقد جاء في أربعة مباحث –بعد مقدمة ممهدة –زيادة في التعريف بهذا التفسير– أتبعتها بالمبحث الأول المعنون بـ: "مفهومه وموقف بعض العلماء منه"، ذكرت فيه –من بين ما ذكرت –إستعمال الإشارة عند بعض المنكرين لهذا اللون من التفسير في مؤلفاتهم التفسيرية وغير التفسيرية كالقاضي أبي بكر بن العربي في "العواصم"، مفردا بعده المبحث الثاني للتفسير الإشاري النظري الفلسفي، غير مميز فيه بين متفلسف وصوفي وشيعي، جاعلا المعيار قرب أو بعد الإشارة من المعنى الأصلي بصرف النظر عن دوافعها وخلفياتها المعرفية أو المذهبية، فقد وقع في هذا الفلاسفة كابن سينا والفارابي والكندي وإخوان الصفا وسواهم كما وقع فيها كثير من الصوفية كالسلمي وابن عربي ونجم الدين داية والبقلي الشيرازي والألوسي وابن عجيبة وغيرهم، وغاص فيها حتى الأذقان بعض

أعلام الشيعة كالفيض الكاشاني في تفسيره "الصافي" .

أما المبحث الثالث من هذا الفصل فقد جعلته للتفسير الصوفي الفيضي العملي وذكرت فيه اختلاف الناس في قبوله ورده .

معرجا في المبحث الذي بعده وهو الأخير في هذا الفصل على شروط قبول الإشارة عند من قبل هذا النوع من التفسير .

أما فصل هذه الرسالة الأخير الموسوم بنماذج للتفسير الإشاري العملي فقد كان هو أيضا في أربعة مباحث : جعلت أولها "لسهل بن عبد الله التستري" من غير أن أقدم له –كما فعلت مع من بعده – بتمهيد تاريخي موجز يعرف بالفترة التي عاش فيها وهذا راجع لشح–حتى لا أقول عدم وجود –المؤلفات حول التستري أولا، والمعلومات التاريخية التي تمس الحياة الثقافية والاجتماعية والسياسية ذات الصلة بمفسرنا .

وجعلت المباحث الثلاثة حول "السلمي" و"القشيري" و"ابن عجيبة" وهو الشمال إفريقي الوحيد من بين النماذج الأربعة، ومن المفسرين المحدثين خلافا للثلاثة السابقين عليه، و لم يقع بين يديّ تفسير لأهل المغرب الإسلامي أوسع من "بحره المديد " في إيراد الإشارة .

وقد حاولت بقدر الإمكان أن أورد نماذج للمقبول تارة وللمردود أخرى بمقدار ما أوصلني إليه فهمي مستعينا بين الحين والآخر ببعض تفاسير أهل الظاهر كأبي حيان والقرطبي الأندلسيين والألوسي البغدادي وسواهم، وربما أوردت –على قلة – بعض الإشارات وتوقفت عند بعضها فلم أعلق عليها لا قبولا ولا ردا لقصوري عن فهمها .

ثم ختمت الدراسة بخاتمة اشتملت على توصيات واقتراحات، وفهارس للآيات، والأحاديث والأعلام، والمصادر والمراجع وفهرس الموضوعات .

و الله من وراء القصد.

الفصل الأول:
مقدمات حول التفسير

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

توطئة:

القرآن الكريم كلام الله المعجز المنزل على محمد ﷺ المتعبد بتلاوته المنقول إلى الذين جاءوا من بعده ﷺ بين الدفتين نقلا متواترا،هو المادة الأولى لعلم التفاسير والفقه والعقيدة وغيرها من علوم الشريعة لأنه قاعدة هذا الدين،وآية نبيّه وملاذ أهل هذه الملّة [1]، أنزله سبحانه وتعالى: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ البقرة: ١٨٥، نورا يتوقد مصباحه وضياءً يتلألأ صباحه، ودليلا لا يخمد برهانه، وحقًا لا تخذل أعوانه، وحبلا وثيقًا عروته، وجبلا منيعًا ذروته، وشفاءً للصدور ليس وراءه شفاء، ودواء للقلوب ليس مثله دواء، وإمامًا يقتدي بسمته المقتدون، وعلما يهتدي بهداه المهتدون) [2] فالعلم به (هو المقصود بالذات، وغيره من العلوم له كالأدوات)كما يقول صاحب"البحر المحيط"[3] ولأمر يعلمه جل ذكره أنزل هذا الكتاب بلسان عربي مبين، ونص على عربيته في آيات كثيرة من نحو قول الحقّ سبحانه: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ الزخرف: - ٣- وقوله تبارك اسمه في سورة الشّعراء: ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾أنزله سبحانه وتعالى بلسان القوم الذين بعث فيهم محمدا ﷺ شأنه شأن من سبقه من أنبياء الله ورسله مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ إبراهيم: -4- إلّا أنّه وإن كان على نمط كلامهم بيد أنّه بلغ في الفصاحة منتهاها وحاز من البلاغة أعلاها وبلا مزيد عليها، (ثمّ أنبأ جميعهم أنهم عن أن يأتوا بمثل بعضه عجزة، ومن القدرة عليه نقصة) [4] والكتاب- أي كتاب- سواء كان سماويا أم بشريا قد يشتمل على ألفاظ وعبارات غامضة المعنى

---

[1]- انظر: الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي: لمحمدبن الحسن الحجوي الثعالبي الفاسي(1291ه-1376ه)ج1القسم الأول.ص: 83-دار الكتب العلمية، بيروت/ط1/ 1416ه-1995م.باعتناء: أيمن صالح شعبان.

[2]- مجمع البيان في تفسير القرآن: لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي ج1.ص: 31 مؤسسةالأعلمي للمطبوعات-بيروت-ط1 /1415ه-1995م.تقديم: السيدمحسن الأمين العاملي.

[3]-أبوحيان الأندلسي(محمدبن يوسف)-ت745ه-ج1.ص: 9.دار الفكرللطباعة والنشروالتوزيع /1412ه-1992م،باعتناء: صدقي محمدجميل.

[4]- جامع البيان عن تأويل آي القرآن.لأبي جعفر الطبري(محمد بن جرير ت: 310)ج1.ص: 6 .

فتحتاج إلى توضيح المراد منها من صاحبها الأول أو من عارف بمراده فيما قال, ذلك أن الناس في فهم ما يلقى إليهم من الكلام درجات الأمر الذي يوجب التبيين والتفهيم والتوضيح وتفسير المراد من الخطاب الملقى إليهم، لذلك أمر الله نبيه ﷺ الذي كان أول مفسر لكتاب الله أن يبين للناس ما نزل إليهم مع أنهم عرب أقحاح وهذا الكتاب نازل بلغتهم ناطق بلسانهم-وان كان خطابه ممتدا إلى آخر الدهر زمانا ومكانا كما هو معلوم- على أن (ما يعلم تأويلَه كلُّ ذي علم باللسان الذي نزل به القرآن، وذالك إقامة إعرابه، ومعرفة المسميات بأسمائها اللاّزمة غير المشترك فيها، والموصوفات بصفاتها الخاصة دون ما سواها، فإن ذلك لا يجهله أحد منهم، وذلك كسامع منهم لو سمع تاليا يتلو: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ البقرة: ١١ - ١٢ لم يجهل أنّ معنى الإفساد هو: ما ينبغي تركه مما هو مضرة، وأن الإصلاح هو: ما ينبغي فعله مما فيه منفعة، وإن جهل المعاني التي جعلها الله إفسادا، والمعاني التي جعلها الله إصلاحا) [1]. فهذا -في الغالب- بمعزل عن تبيينه منه ﷺ لهم —رضي الله عنهم-حيث قال سبحانه مخاطبا نبيه ﷺ: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ النحل: ٤٤وقال أيضا ﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ النحل: ٦٤، وقوله: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ الجمعة: ٢،فاشتمال القرآن الكريم على ألفاظ غريبة ومعان ممتدة ولانهائية أمر لا يمكن رده أو إنكاره، دلت عليه تفاسير غريبه الكثيرة وأشارت إليه فهوم العلماء المتعددة وأقوالهم المختلفة في الآية الواحدة، حتى قال الآلوسي[2] وهو يقرر مبدأ اشتمال القرآن على معان لا تنتهي، وأن كل ناظر فيه يجد ضالته ومبتغاه: (يالله تعالى العجب كيف يقول باحتمال ديوان المتنبي وأبياته المعاني الكثيرة ولا يقول باشتمال قرآن النبي ﷺ وآياته هو

---

[1]- جامع البيان عن تأويل آي القرآن .الطبري ج1. ص: 33.

[2]- هو محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي ، شهاب الدين ، أبو الثناء ، مفسر ، محدث ، وأديب من المجددين من أهل بغداد ، له مصنفات كثيرة منها تفسيره "روح المعاني " وغيره (ت: 1270ه – 1854م) انظر ترجمته في : معجم المفسرين .2/ 665 .الأعلام .7 / 176 .

كلام رب العالمين (كذا) المنزل على خاتم المرسلين على ماشاء تعالى من المعاني المحتجبة وراء سرادقات تلك المباني "سبحانك هذا بهتان عظيم") [1].

فإدراك الغاية في فهمه لا مطمع فيها لبشر لأنه كلام من لا نهاية له [2].

وقال ابن عاشور (محمد الطاهر) [3]: إن معاني القرآن ومقاصده ذات أفانين كثيرة بعيدة المدى، مترامية الأطراف موزعة على آياته [4].

وقد ثبتت الروايات عن كثير من الصحابة أنهم سألوه ﷺ أو سأل بعضهم بعضا – في جملة ما سألوا عنه – عن معاني بعض الألفاظ أو الآيات وهم العرب الأقحاح – كما قلت- فغيرهم ممن جاء من بعدهم أحوج إلى التفهيم والتبيان والتفسير.

فالنظر في كتاب الله تعالى فهما وتدبرا دلت عليه بالإضافة إلى ما ذكر آيات كثيرة في كتاب الله تعالى كقوله سبحانه: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ محمد: ٢٤، وقوله ﷻ: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ ص: ٢٩ وهو أمر يجعل من ثمرة الفهم والتدبر المصطلح على تسميته "بعلم التفسير" مستمرا ومتجددا أبدا خلافا لبعض المعارف الشرعية التي استوت على سوقها وكاد الناس (يفرغون) من الحديث عنها كعلم القراءات مثلا، ولهذا فإن نشأة علم التفسير كانت مبكرة جدا، بل بدأت مع بدايات النزول الأولى حتى قال ابن عاشور: والتفسير أول العلوم الإسلامية ظهورا، إذ قد ظهر الخوض فيه في عصر النبي ﷺ إذ كان بعض

---

[1]- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. الآلوسي (أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي ت1270ه) ج1 ص: 29 دار الحديث – القاهرة، 1426ه-2005م، تحقيق: د: السيد محمد السيد،سيد عمران.

[2]- البرهان في علوم القرآن. الزركشي ج2 .ص: 291، دار المعرفة – بيروت ط2 /1415ه-1994م تحقيق: يوسف عبد الرحمان المرعشلي وصاحبيه.

[3]- هو محمد الطاهر بن عاشور رئيس المفتين المالكيين بتونس ، وشيخ جامع الزيتونة و فروعه بتونس ، من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق و القاهرة ، له مصنفات مطبوعة من أشهرها " مقاصد الشريعة الإسلامية "،"التحرير و التنوير "، وغيرها . انظر: معجم المفسرين . 2/ 541. الأعلام .174/6.

[4]-تفسير التحرير والتنوير.ج1 .ص: 08، مؤسسة التاريخ –ط1 /1420ه-2000م.

أصحابه قد سأل عن بعض معاني القرآن [1](*) فأمر ﷺ بالتبيين والتلاوة والتزكية والتعليم، فبين ما بين بالقدر الذي احتاج إليه الصحابة وهو قليل(**)بحكم أن سليقتهم اللغوية كانت صافية سليمة أوقفتهم على المعاني العميقة والمقاصد السامية التي جاء بها القرآن، بالإضافة إلى مشاهدتهم أسباب النزول ومعايشتهم الوحي[2]،وهو(ما كان ظاهره مطابقا لمعناه، فكل من عرف اللغة التي خوطب بها عرف المعنى مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾الأنعام: -١٥١ - [3].

ومع علم صحابة رسول الله ﷺومعرفتهم العميقة بلغة القرآن الكريم التي هي لغتهم إلا أنهم كانوا متفاوتين في ذلك بالإضافة إلى خفاء معاني بعض الألفاظ الكريمة -كما أسلفت- على بعض

---

[1]- التحرير والتنوير: ج1، ص: 13 .

[*]كسؤال عمر عن معنى "الأب " في آية "عبس"، والتخوف في آية "النحل" و"فاطر" في سورتها، وما رواه البخاري من أن عدي ابن حاتم فهم "الخيط الأبيض والخيط الأسود على النحو الذي ذكرته الرواية، والثلاثة الأولى مذكورة في الإتقان، والرابعة ذكرها صاحب" الموافقات " والخامسة رواية البخاري -كما ذكرت – في كتاب التفسير من صحيحه . وإجابة ابن عباس من سأله عن معنى: سِنَةً: انظر الكلمة عند القرطبي .

(**)- قال الجلال السيوطي تعقيبا على قول الزركشي: (قد صح من ذلك كثير): (الذي صح من ذلك قليل جدا بل أصل المرفوع منه في غاية القلة) كما يقول السيوطي في: الإتقان في علوم القرآن .ج4 .ص:180، 181. المكتبة العصرية .صيدا –بيروت /1407ه -1987م . تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم .

وانظر نص الزركشي في (البرهان)ج2.ص: 292.

[2]- انظر: بحوث في أصول التفسير لمحمد بن لطفي الصباغ، ص: 15. المكتب الإسلامي –بيروت-ط1/1408ه-1988م .وانظر أيضا التفسير والمفسرون ل: محمد حسين الذهبي. ج1.ص: 6 مكتبة وهبة-القاهرة- وكان القوم عربا خلصا يفهمون القرآن، ويدركون معانيه ومراميه بمقتضى سليقتهم العربية فهما لاتعكره عجمة،ولا يشوبه تكدير،ولا يشوهه شئ من قبيح الابتداع، وتحكم العقيدة الزائفة الفاسدة. وكان للقوم وقفات أمام بعض النصوص القرآنية التي دقت مراميها، وخفيت معانيها، ولكن لم تطل بهم هذه الوقفات،إذ كانوا يرجعون في مثل ذلك إلى رسول الله ﷺ فيكشف لهم ما دق عن أفهامهم، ويجلي لهم ما خفي عن إدراكهم، وهو الذي عليه البيان كما أن عليه البلاغ، والله تعالى يقول له وعنه ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ النحل: ٤٤

[3]- التبيان في تفسير القرآن .الطوسي(أبي جعفر محمد بن الحسين ت: 460هـ)، مجلد1.ص: 5 .دار احياء التراث العربي-بيروت- تقديم: آغا بزرك الطهراني.

أكابرهم، وقد نص غير واحد من أئمة الإسلام على ذلك فقد قال ابن قتيبة [1]-رحمه الله- في "المسائل والأجوبة" له ونقله عنه أمين الخولي[2]في "التفسير -معالم حياته-و منهجه اليوم- كما ذكر ذلك الذهبي في "التفسير والمفسرون") [3] قال -أعني ابن قتيبة: (إن العرب لا تستوي في المعرفة بجميع ما في القرآن من الغريب والمتشابه، بل إن بعضها يفضل في ذلك على بعض)، وهذا صريح في تفاوت علمهم بالقرآن، قال مسروق (ت 62هـ)[4] ،يصف هذا التفاوت بينهم: (جالست أصحاب محمد ﷺ فوجدتهم كالإخاذ- يعني الغدير- فالإخاذ يروي الرجل، والإخاذ يروي الرجلين، والإخاذ يروي العشرة، والإخاذ يروي المائة، والإخاذ لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم) .

وقد ذكر أبو حيان[5]في مقدمة تفسيره "البحر المحيط" كلاما معناه يصب فيما أورده ابن قتيبة

قال: (وليس العرب متساوين في الفصاحة، ولا في إدراك المعاني، ولا في نظم الشعر... وطباعهم كطباع سائر الأمم في ذلك)[6]،ومع ذلك فإنهم -أعني الصحابة الكرام -كانوا في التفسير كما في غيره من العلوم ((الغاية التي لا تدرك، والمسلك الوعر الذي لا يكاد يسلك"))[7] ذلك لأن الإحاطة بجميع معانيه -وهذا من البدهيات- مما لا طاقة لأحد بها. والناس في تفسيره بين شارح لشذرة من

---

[1] - أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت276ه) العالم النحوي اللغوي . انظر ترجمته : تاريخ بغداد 10 / 170 - 171 (رقم 5309) ، إنباه الرواة على أنباء النحاة .القفطي .2/ 143 – 147 (رقم 357) ، بغية الوعاة .2 / 63 (رقم 1444) .

[2] – من أعضاء المجمع اللغوي بمصر تخرج بمدرسة القضاء الشرعي ، ولي مناصب عدة ، حتى توفي بالقاهرة ، له "البلاغة العربية " ، "المجد دُوِّن في الإسلام " ، " من هدي الرسول ﷺ " وغيرها (ت : 1385ه- 1966م) . الأعلام .2/ 16 .

[3] - التفسير والمفسرون ج1.ص: 38، 39 .

[4] – ترجمته في تهذيب الكمال . 27 / 445 – 457 (رقم 5902) ، السير 04 / 63 – 69 (رقم 17) ، التقريب .ص: 460 (رقم 6601) .

[5] – هو محمد بن يوسف بن علي بن حيان أثير الدين ، كما يسمى عند أهل المشرق – أبو حيان الأندلسي- الغرناطي (ت:745ه) إمام اللغة و شيخ الأدب و القراءات في زمانه . انظر ترجمته في : غاية النهاية في طبقات القراء .ابن الجزري .285/2. فوات الوفيات .الكتبي .71/4- 79 (رقم 506) ، الدرر الكامنة .ابن حجر .4/ 185- 189 (رقم 4812) ، النجوم الزاهرة .ابن تغرى بردي .10/ 111- 115 ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة . السيوطي .1/ 280- 285 (رقم 516) ، شذرات الذهب .ابن عماد الحنبلي .6/ 145 – 147 . معجم المفسرين .عادل نويهض .2 / 655 .

[6] - ج1.ص: 18.

[7] - البحر المحيط.لأبي حيان ج1.ص: 21 .

معانيه الظاهرة، وكاشف للمعة يسيرة من أنواره الباهرة كما يقول القاسمي[1](محمد جمال الدين ت: 1332ه-1914م) [2].

و لم يكن يخفى على صحابة النبي ﷺ أحكام القرآن الكريم ومعانيه الظاهرة الكثير مما خفي معناه مثلما خفي على من جاء من بعدهم من الأجيال التالية لهم ومع ذلك فقد نقلت إلينا روايات قليلة – كما أسلفت–سؤالهم- ﷺ- النبي ﷺ عن معنى آية أو لفظة خفي معناها ودق فأجيب السائل منهم إلى مراده.

وقد جبل هؤلاء الكرام على ذكاء القرائح وفطنة الأفهام، وعلى هذا أقيمت أساليب كلامهم فكان الإيجاز عمودِ بلاغتهم اتكالا على أفهامهم حتى يؤدى الكلام بأوضح عبارة وأحصرها ليسهل تعلقها بالذهن .

ولأن القوم هكذا فقد جاءهم القرآن الكريم ليكون آية على صدق نبوة من نزل عليه فتحدى به بلغاء العرب، ذلك أن نظمه نسج نسْجا بالغا منتهى ما تسمح به اللغة العربية من الدقائق واللطائف لفظا ومعنى بما يفي بأقصى ما يراد بلاغة إلى المرسل إليهم، فجاء على أسلوب أبدع مما كانوا يعهدون وأعجب[3].

وقد اشتمل على آيات صريحة في إستثارة من خوطبوا به ومن سيأتي بعدهم إلى آخر الدهر متحدية لهم مع أنهم أئمة هذه اللغة المفزوع إليهم في معرفة معانيها إفرادا وتركيبا، حيث قال سبحانه: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ يونس: ٣٨. وفي آية مشابهة لهذه قال سبحانه مخاطبا المعاندين المكذبين بأن هذا القرآن من عند الله، والظانين ظن السوء بأن محمدا افتراه: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ

---

[1]- هو جمال الدين بن محمد بن سعيد بن قاسم القاسمي الحلاق ، عالم مشارك في أنواع العلوم ، ولد بدمشق ، ونشأ و تعلم بها و انتدبته الحكومة للرحلة و إلقاء الدروس العامة في البلاد السورية ، من تآليفه : " محاسن التأويل " وغيره .

-انظر ترجمته في: معجم المفسرين .عادل نويهض.1/ 127 . معجم المؤلفين . 3/ 157 . الأعلام. 2 / 135 .

[2]- محاسن التأويل –ج1.ص: 5 .دار الفكر –بيروت ط2/1398ه-1978م،باعتناء: محمد فؤاد عبد الباقي.

[3]- انظر: التحرير والتنوير ج1.ص: 91.

مُفْتَرَيَٰتٖ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ هود: ١٣، ثم قطع جل جلاله بأن هذا الكتاب لا قبل لهم به ولا طاقة لهم به لأنه تنزيل من حكيم حميد ولأنه (نور الله في أفق الدنيا حتى تزول، ومعنى الخلود في دولة الأرض إلى أن تدول) [1] فقال: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٖ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ البقرة: ٢٣ - ٢٤ وقال أيضا سادا الطريق -ونافيا نفيا مؤكدا، بل حاكما حكما مؤبدا -كما يقول محمد عبد الله دراز [2] في وجه من بقي في نفسه بعض الطمع في مجاراة القرآن ومحاكات آياته [3].﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٖ ظَهِيرٗا ﴾ الإسراء: ٨٨.

لقد علم أهل العربية ممن فتح الله بصيرتهم بالإيمان منذ عهد الصحابة أن (هذا الكتاب الكريم أثر غيبي كان في علم الله قبل كل الأزمنة، فهو يحويها كلها وكأنه يوجد معها كلها ...إنه وجود لغوي ركب كل ما فيه على أن يبقى خالدا مع الإنسانية، فهو يدفع عن هذه اللغة العربية النسيان الذي لا يُدفع عن شئ) [4].

أما المرتابون منذ عصر النبوة ممن لهم نصيب في المعرفة بهذه اللغة، وإن تفننوا في أساليب الإنكار، وصور الإرتياب فإنهم كما قال الحق سبحانه: ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ النمل: ١٤ .

إن الدخول تحت مظلة الهداية والإيمان وحده الذي يتيح قراءة صحيحة لهذا الكتاب المعجز.(أما

---

[1] - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي .ص: 31.دار الكتاب العربي-بيروت-ط9/1393ه-1973م .

[2] - فقيه متأدب مصري أزهري ،كان من هيأة كبار العلماء بالأزهر ، له كتب منها " الدين " (ت : 1377ه – 1958م) -انظر ترجمته في : معجم المفسرين . 2/ 564 .الأعلام.6/ 246.

[3] - انظر: النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن .ص: 44.

[4] - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية .ص: 14.

الذين لا يعرفون منه إلا مفردات الألفاظ، وصور الجُمَل فأولئك عنه مبعدون) [1] على تأملهم له سورة سورة، وعشرا عشرا وآية آية فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها،ولفظة ينكر شأنها، أو يرى أن غيرها أصلح هناك أو أشبه – بل وقفوا مع اتساق فيه ونظام والتئام وإتقان وإحكام بهر العقول فلم يبق طمعا لطامع فخرست ألسنتهم عن أن تدَّعِيَ وتقول[2].

فإذا اجتمع العلم بلغة العرب مع الإيمان أيقن صاحبهما أن الإعجاز في هذا الكتاب المبين سار فيه سريان الماء في العود الأخضر، وقد كان هذا شأن صحابة رسول الله ﷺ[3].فقد هداهم صحيح معتقدهم، وحسن وصواب مقصدهم إلى الإخبار عن بعض أسرار الله تعالى في كتابه الكريم فقد كانوا – ﷺ– (أعقل خلق الله عنه لما فهموا من كلامه، وتدبروا معاني قوله وبذلك أمَّنهم ورضي عنهم وأثنى عليهم ورفع به قدرهم لأنهم فهموا منه ما أخبرهم عنه بكلامه الذي أنزله في كتابه[4].حتى قال الحاكم[5]: إن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل له حكم المرفوع أو مسند، وإن قيده هو وغيره كابن الصلاح[6] والنووي[7] بما يرجع إلى أسباب النزول ومالا مدخل

---

[1]- من مقدمة محمد رشيد رضا لإعجاز القرآن للرافعي .ص: 21 –نقلا عن شيخه محمد عبده.

[2]- انظر دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني (أبو بكر بن عبد الرحمان بن محمد ت: 471ه) دار قتيبة.ص: 37 تحقيق وتقديم: د: محمد رضوان الراية، د: فايز الراية.

[3]- مناهل العرفان في علوم القرآن لـ: محمد عبد العظيم الزرقاني.ج1.ص: 364.دار قتيبة، ط1/1418ه-1998م.باعتناء: بديع السيد اللحام.

[4]- العقل وفهم القرآن .الحارث بن أسد المحاسبي ص: 296.دار الكندي، دار الفكر.ط3 /1402ه-1982م. تقديم وتحقيق: حسين القوتلي.

[5]- هو محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم الضبي النيسابوري الشهير بالحاكم ، يعرف "بابن البيّع" أبو عبد الله ، من أكابر حفاظ الحديث من مصنفاته " المستدرك على الصحيحين "، " معرفة علوم الحديث" وغيرها .

-انظر ترجمته في :وفيات الأعيان .4/ 280 (رقم 430) ، الأعلام . 6/ 227 .

[6]- هو عثمان بن عبد الرحمان بن عثمان بن موسى الكردي ، الشهرزوري ، الموصلي الشافعي ، تقي الدين ، أبو عمرو ، محدث ، مفسر ، فقيه ، أصولي ، نحوي ، عارف بالرجال ، مشارك في علوم عديدة ، من تصانيفه : الفتاوى ، علوم الحديث و يعرف "بمقدمة ابن الصلاح " ، و طبقات الشافعية .

- انظر ترجمته في : تذكرة الحفاظ .4/ 149 (رقم 1141) ، طبقات الشافعية .الإسنوي . 2/ 41 .(رقم 730) ، وفيان الأعيان.3/ 243 (رقم 411) .

[7]- أبو زكريا محي الدين يحي بن شرف النووي (ت:676ه) العالم ،الفقيه ، الزاهد، من أكابر الشافعية في عصره.

للرأي فيه[1].

(أما ما يكون للرأي فيه مجال فهو موقوف عليه مادام لم يسنده إلى رسول الله ﷺ)[2].

وقد صُفُّوا -رضي الله عنهم- من كدورات النفس وغلبة الهوى،لأنهم أفرغوا ثم ملئوا فإذا أضيف إلى هذا سجيتهم وسليقتهم العربية، علمنا يقينا أن ما قالوه وما ذهبوا إليه هو الصحيح وهو الصواب، فإن صدر من أحدهم صرف آية عن ظاهرها إلى معنى يحتمله القليل من كلام العرب لكن المتبادر من الآية خلافه صحّح فهمه هذا واستدرك عليه، وتصلح رواية توضيحه ﷺ للفظة "الظلم" شاهدا لهذا، وأن المراد به الشرك لا ما تبادر إلى أذهان بعضهم - رضي الله عنهم - فظواهر القرآن وأحكامه كانت في مجملها مفهومة لهؤلاء الأجلة، أما دقائقه وبواطنه -كما يقول الجلال السيوطي[3]- فما كانت تظهر لهم إلا بعد البحث والنظر وسؤال النبي ﷺ[4]. ومنها الشاهد السابق●.

=انظر ترجمته في : طبقات الشافعية .الإسنوي .2/ 266 – 267 . طبقات الشافعية .ابن قاضي شهبة .2/ 153 – 157 (رقم 454) .

1- المستدرك على الصحيحين .للحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري . ج2.ص: 258. كتاب التفسير، في تفسير قوله تعالى: " الحمد لله رب العالمين ".دار الكتاب العربي . بيروت / لبنان .

2- التفسير والمفسرون.الذهبي.ج1.ص: 95.

3- هو عبد الرحمان بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين جلال الدين الشافعي (ت: 911ه) ، إمام حافظ ، مؤرخ أديب جامع للعديد من العلوم ، لم يترك فنا من الفنون إلا و صنف فيه ، و مؤلفاته أشهر من نار على علم .

- انظر ترجمته في : حسن المحاضرة في أخبار مصر و القاهرة .السيوطي .1/ 155 -157 ، الشذرات .8 / 51 – 55 ، الأعلام. 3 / 301 – 302 .

4- الإتقان .ج4 –ص: 170 .

● وهو قوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ الأنعام: ٨٢ فشق نزول هذه الآية عليهم حتى قالوا: وأينا لم يظلم نفسه) ؟...هذا الحديث رواه البخاري في صحيحه عن ابن مسعود . كتاب التفسير . سورة الأنعام.ج6، مجلد2.ص:71 (دار إحياء التراث العربي – بيروت .لبنان) .

- و كذالك سؤال عائشة عن الحساب اليسير " .. كانت لا تسمع شيئا لا تعرفه إلا راجعت فيه..." رواه البخاري في صحيحه. كتاب :العلم، باب : من سمع شيئا فلم يفهمه فراجع فيه حتى يعرفه .ج1 . ص:37.

-وقصة عدي بن حاتم في الخيط الأبيض والأسود .رواه البخاري في صحيحه . كتاب الصوم . باب : قول الله تعالى : ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾البقرة: ١٨٧ . ج3 .ص:36.

إن اعتبارات مختلفة كانت وراء قلة الاختلاف في تفسير القرآن الكريم بين الصحابة كوجوده ﷺ بين ظهرانيهم، وسليقتهم وسجيتهم العربية التي يندر أن تسوقهم إلى فهمٍ خاطئ وتفسير يخرج الآية عن سياقها العام، ولذا كان أكثر ما نقل عنهم من الاختلاف متعلقا بتنويع العبارات والألفاظ، أما المدلولات والمعاني فمتقاربة، حتى قيل: إن اختلافهم اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد ودائرة هذا النوع من الاختلاف أضيق عندهم -ﷺ- وأقل منه عند تلامذتهم من جيل التابعين، فإذا ثبت عن واحد منهم - أعني الصحابة- تفسير لغوي للفظة من الألفاظ الكريمة (فهم كما يقول الزركشي[1]: أهل اللسان فلا شك في اعتمادهم) [2]. لأن العربية هي الدعامة الأولى والوسيلة التي تقي المفسر من الزيغ وتحريف الكلم عن مواضعه وتأويله والخروج به عن صحيح الفهم وصوابه ، ولذا قال مجاهد المفسر[3]: "لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذ لم يكن عالما بلغات العرب، والصحابة أعلم الناس بلغات العرب خاصة من تصدى منهم للتفسير كعلي وابن عباس، وابن مسعود وأبي وزيد بن ثابت، وسواهم على تفاوت بينهم في الفهم والملازمة لرسول الله ﷺ والقدر الذي رووه من التفسير عنه ﷺ وهو لا يتضمن تفسيرا كاملا لكل آيات القرآن الكريم بل اقتصر على بعض ما دق فهمه بسبب من غموض أو إجمال[4].

ولأن الصحابة كلّهم عدول فإذا صحّ عنهم تفسير الآية أو شرح للفظة في كتاب الله تعالى فإنه لا يعدل عن قولهم إلى قول من جاء من بعدهم كما هو معلوم على أنه لا ينبغي أن يفهم من

---

[1]- أبو عبد الله بدر الدين محمد بن بادر (ت:794ه) أحد علماء الشافعية الأثبات في مختلف علوم الشريعة كأصول الدين والحديث و الفقه ، والتفسير و علوم القرآن .

- انظر ترجمته في : الدرر الكامنة .ابن حجر .3/ 241 – 242 (رقم 3692) .الشذرات .6 / 335

[2]- البرهان في علوم القرآن . ج2. ص: 312.

[3]- هو أبو الحجاج المكي أحد الأعلام من التابعين و الأئمة المفسرين ، قال قتادة : أعلم من بقي بالتفسير مجاهد ، قال سلمة بن كهيل : كان مجاهد ممن يريد بعلمه الله ، وله اختيار في القراءة (ت:103ه) .

انظر ترجمته في : غاية النهاية في طبقات القراء .2 / 41 – 42 (رقم 2659) ، الكواكب الدرية . المناوي . 1 .القسم الثاني.425 – 426 (رقم 164) ، صفة الصفوة .1/ 457 – 458 (رقم 208) .

[4]- انظر: مباحث في علوم القرآن.مناع القطان .ص: 10. مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع –بيروت- ط1418/35هـ-1998م.

اختلاف عباراتهم اختلاف مراداتهم –كما يقول الزركشي[1]، فقد عايشوا النبي صلى الله عليه وسلم فسمعوا أقواله، وشاهدوا أعماله وتقريراته ورأوا من حاله وأخلاقه ما لم ير غيرهم فأدركوا من معاني القرآن ما لم يدرك غيرهم ممن جاء بعدهم ممن اختلطت ألسنتهم بألسنة الشعوب الداخلة في الإسلام وغير الداخلة فيه.

وقد كان الخلفاء الأربعة وابن مسعود وأبي وزيد بن ثابت وابن عباس وسواهم النواة الأولى لعلم التفسير على تفاوت في الرواية عنهم كما هو معلوم إذ فيهم المقلّ وفيهم المكثر، وقد كان لنقلة الحديث وروّاته السبق في تدوين تلك الشذرات التفسيرية المروية عن هؤلاء الأجلة، إذ ألحقوا بأبواب مؤلفاتهم أبوابا محضوها للتفسير، أو ذكروا – في جملة ما يذكر من مرويات الصحابة – ما قال في التفسير قل أو كثر، فكانوا بحق – ﷺ– نواة لهذا العلم –كما قلت – ولمدارسه فيما بعد كما هو الشأن بالنسبة لمدرسة ابن عباس في التفسير بمكة،ومدرسة ابن مسعود في العراق.

وقد كان اعتمادهم في فهم ما لم يرد عن النبي ﷺ تبيينه على فهمهم وإجتهادهم، فإنهم من خلّص العرب يعرفون لغتهم ويُحكِمون وجوه البلاغة فيها، ولذا عولوا في إدراك معاني القرآن الكريم على اجتهادهم باستنباط معان نقلت عنهم موقوفة عليهم غير واصلة إليه ﷺ بل هي مما فتح الله عليهم بعد نظر واجتهاد وتدبر في آيات الكتاب المبين ذلك أنهم – رضوان الله عليهم– (كانوا مغرمين بالتفقه والتعلم، مولعين بالبحث والتنقيب مشغوفين بكلام الله وكلام رسول الله ﷺ، يعقدون المجالس لمدارسة القرآن وفهمه،ويركبون ظهور المطايا لطلب العلم وأخذه)[2].

والنظر في كتاب الله تعالى والاجتهاد في فهمه واستنباط معانيه لهم فيه إذن منه صلى الله عليه وسلم، وحديث معاذ حين بعثه النبي ﷺ إلى اليمن إذا لم يصلح هنا للاستدلال صلح للاستئناس*،ذلك لأن قوله رضي الله عنه: أجتهد رأيي لا ينصرف إلا إلى الرأي الذي تحفه أصول

---

[1]-انظر: البرهان في علوم القرآن ج2.ص: 301 .

[2]- مناهل العرفان في علوم القرآن .محمد عبد العظيم الزرقاني .ج1.ص: 382

* لأن فخر الأندلس ابن حزم (ابو محمد علي ابن احمد بن سعيد ت: 465ه) قال "إن هذا حديث ساقط" لعلل ذكرها فالحديث عنده "ظاهر الكذب والوضع" وقد تكلم العلماء كثيرا في سند هذا الحديث حتى قال البخاري لا يصح هذا الحديث وقد نقل ابن حزم هذا القول بسنده إلى محمد ابن اسماعيل البخاري * انظر: الإحكام في أصول الأحكام . ج7 .ص: 1257 – دار الحديث–

الإسلام من كل جانب وتوجهه مقاصد الشريعة إلى غايته الصحيحة الخالية من رعونات النفس وإملاءات الهوى.

وقد أورد الجلال السيوطي من الآثار ما يصب في هذا المعنى منها: تفسير ابن عباس للحكمة في قوله سبحانه: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ

=القاهرة .ط1/ 1419ه -1998م ضبط وتحقيق وتعليق: محمود حامد عثمان (والحديث رواه الترميذي وابو داود وأخرجه ابن عبد البر). قال ابن عبد البر أبو عمر يوسف (ت463) عن حديث معاذ: وتكلم داوود في إسناد حديث معاذ ورده ودفعه من أجل إنه (كذا) عن أصحاب معاذ لم يسموا. قال أبو عمر: وحديث معاذ صحيح مشهور، رواه الأئمة العدول، وهو أصل في الاجتهاد والقياس على الأصول (وبه قال جمهور العلماء وسائر الفقهاء)، جامع بيان العلم وفضله، ج2، ص894. وانظر: كلام المحقق في الجزء الثاني من جامع بيان العلم وفضله. ص: 844، 845. فقد أحال على المصادر الحديثية التي روت الحديث، والأعلام الذين ضعفوه. وقال ابن تيمية عن هذا الحديث: (هذا الحديث في المسانيد والسنن بإسناد جيد)، مقدمة في أصول التفسير، ص94، 95. دار القرآن الكريم-الكويت-ط1/1391-1971م.تحقيق: د: عدنان زرزور.

وقال ابن القيم في حديث معاذ: (فهذا حديث وإن كان عن غير مسمين فهم أصحاب معاذ فلا يضره ذلك لأنه يدل على شهرة الحديث وأن الذي حدث به الحارث بن عمرو عن جماعة من أصحاب معاذ لا واحد منهم/ وهذا أبلغ في الشهرة من أن يكون عن واحد منهم لو سمي، كيف وشهرة اصحاب معاذ بالعلم والدين والفضل والصدق بالمحل الذي لا يخفى ولا يعرف في أصحابه منهم ولا كذاب ولا مجروح بل أصحابه من أفاضل المسلمين وخيارهم لا يشك أهل العلم بالنقل في ذلك كيف وشعبة حامل لواء هذا الحديث؟ وقد قال بعض أئمة الحديث: إذا رأيت شعبة في إسناد حديث فاشدد يديك به، قال أبو بكر الخطيب: وقد قيل: إن عبادة بن نسي رواه عن عبد الرحمان بن غنم عن معاذ، وهذا إسناد متصل، ورجاله معروفون بالثقة، على أن أهل العلم قد نقلوه واحتجوا به فوقفنا بذلك على صحته عندهم...(فـ) لما احتجوا به جميعا غنوا عن طلب الإسناد له، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ج1، ص152، 153. ونص حديث معاذ: قال شعبة حدثني أبو عون عن الحارث بن عمرو عن أناس من أصحاب معاذ عن معاذ أن رسول الله-ﷺ - لما بعثه إلى اليمن قال: كيف تصنع إن عرض لك قضاء؟ قال: أقضي بما في كتاب الله، قال: فإن لم يكن في كتاب الله ؟ قال : فبسنة رسول الله-ﷺ - قال: فإن لم يكن في سنة رسول الله؟ قال: أجتهد رأيي لا آلو، قال: فضرب رسول الله-ﷺ - صدري ثم قال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله-ﷺ - إعلام الموقعين، ج1، ص152، والحديث رواه الترمذي في الأحكام باب : ما جاء في القاضي كيف يقضي .ج3 .ص: 616 / 617 (حديث رقم 1327). دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان . تحقيق و شرح : أحمد محمد شاكر ، تحقيق و تخريج و تعليق: محمد فؤاد عبد الباقي . ورواه الإمام أحمد في مسنده (رقم 22060) . ج5 .ص:230 (مؤسسة قرطبة – القاهرة .تعليق: شعيب الأرناؤوط). وأبو داود في باب اجتهاد الرأي في القضاء . رقم : 3594 .

﴿إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ البقرة: ٢٦٩، بأنها المعرفة بالقرآن "كما أخرج ذلك ابن أبي حاتم[1] وغيره.

وفي رواية أخرى لأبي الدرداء عند أبي حاتم وغيره أيضا أن "الحكمة" قراءة القرآن والفكرة فيه وفي الثالثة عن عمرو بن مرة عند ابن أبي حاتم كذلك أن ابن مرة قال: ما مررت بآية في كتاب الله لا أعرفها إلا أحزنتني لأني سمعت الله يقول: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ العنكبوت: ٤٣. وأخرج أبو عبيد عن الحسن قال: ما أنزل الله آية إلا وهو يحب أن تعلم فيما أنزلت وما أراد بها [2]. قال السيوطي بعد ذكره لهذه الآثار وسواها : معنى هذه الآثار عندي إرادة البيان والتفسير [3].

إن هذه الروايات وغيرها تصور شغف الصحابة وغيرهم الشديد لفهم القرآن والعمل به، ولذا كانوا إذا أشكل عليهم فهم آية و لم يجدوا توضيحا لها أو تفصيلا في آية أخرى سألوا عنها رسول الله ﷺ فيفسرها لهم ويبين ما كان مبهما .

وقد قام اجتهادهم-ﷺ- في فهم القرآن العظيم على معرفة أوضاع اللغة وأسرارها وقوة الفهم وسعة الإدراك، بالإضافة إلى معرفتهم لعادات وتقاليد بني قومهم من العرب الذين كانوا محل خطاب القرآن الكريم أول مرة، فإذا تعلق الخطاب القرآني بأهل الكتاب من اليهود والنصارى فإن صحابة رسول الله كانوا على علم بأحوالهم وقت نزول القرآن الكريم بحكم معايشتهم لهم واختلاطهم بهم

---

[1]- هو عبد الرحمان بن محمد بن إدريس ، يكنى أبا محمد (ت : 327ه) ، الحافظ بن الحافظ ، الناقد ، شيخ الإسلام ، كان بحرا في العلوم و معرفة الرجال ، و مؤلفاته في فنون العلم كثيرة ، تشهد له بإمامته .

- انظر ترجمته في : طبقات الحنابلة .ابن أبي يعلى .2/ 55 (رقم 596) ، سير أعلام النبلاء .الذهبي .13 / 263- 269 (رقم 129) ، تذكرة الحفاظ له .3 / 829 – 832 (رقم 812) ، طبقات المفسرين .السيوطي .52 – 53 (رقم 52) .

[2]- فضائل القرآن .أبي عبيد القاسم بن سلام الهاوي (ت224) ص: 97 --دار ابن كثير-دمشق --بيروت-تحقيق: مروان العطية،محسن خرابة، وفاء تقي الدين.

[3]- انظر: الإتقان في علوم القرآن.ج4.ص: 172. ورواية عمروا بن مرة التي ذكرها السيوطي نقلا عن ابن أبي حاتم رواها أيضا أبو عبيد في "الفضائل موصولة برواية الحسن التي بعدها(...وما أراد بها ثم قال حجاج: أو نحو هذا، وأحسبه قال: عن أبي جعفر عن عمرو بن مرة قال: إني لأمر بالمثل من كتاب الله عزوجل ولا أعرفه فأغتم به لقول الله عز وجل ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ العنكبوت: ٤٣ -ص: 97.

منذ ظهور هاتين الديانتين[1]، فكل هذه الملابسات التي أحاطت بصحابة النبي الكريم تجعل من أقوالهم – حتى غير المرفوع منها إلى النبي ﷺ مقدمة على أقوال غيرهم، فلا غرابة – والحال هذه– أن يقال: إن آراءهم لنا خير من آرائنا لأنفسنا (فكل ما أخذ (عنهم) فحسن مقدم لشهودهم التنزيل ونزوله بلغتهم) [2] ذلك أنه لم يكن بين أيديهم ما يفسد عليهم فهمهم لحقائق القرآن من قبيل ما ألم ببعض من خاضوا في تفسير القرآن الكريم في عصوره المتلاحقة فحمّلوا النّص الكريم وجوها لا قبل له بها إنّما هي ظنونهم وأوهامهم وتخرّصاتهم، وكتاب الله براء منها، وكان الأولى لهم أن يعظموا القول في التفسير إذا لم يتبين لهم رجحان ما ذهبوا إليه، وغلب على ظنهم أن الآية أو الآيات تحتمل هذا المعنى. فمعرفة المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أو عن الصحابة أو عن التابعين –إن هم أجمعوا على أمر– هو أول ما يطلب المشتغل بالتفسير، وهو الركن الشديد والملاذ الآمن، روى الخطيب البغدادي[3] بسند متصل عن مالك بن أنس[4] قال: (سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر بعده سننا، الأخذ بها تصديق لكتاب الله عز وجل، واستكمال لطاعة الله، وقوة على دين الله، من عمل بها مهتد،ومن استنصر بها منصور، ومن خالفها اتبع غير بسيل المؤمنين،و ولاه الله ما تولى) [5].

فإن لم يجد المشتغل بالتفسير في كل هذا، اجتهد – إن هو ملك أدوات الاجتهاد – رأيه ذلك لأن معرفة المأثور إن صاحبه حسن الاستنباط والتبحر في المعارف، ورزق صاحبه ملكة القدرة على

---

[1]- انظر: التفسير والمفسرون د: محمد حسين الذهبي.ج1.ص:

[2]- الجامع لأحكام القرآن .للقرطبي.أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري.ج1.ص41.دار الفكر-بيروت/1414ه-1993م تقديم: خليل محمد الدين الميس/مراجعة: صدقي محمد جميل/تخريج وتعليق: عرفان العشا.

[3]- هو أحمد بن علي بن ثابت البغدادي ، أبو بكر أحد الحفاظ المؤرخين ،كان فصيح اللهجة عارفا بالأدب ، ولوعا بالمطالعة و التأليف ، له مصنفات كثيرة منها : " تاريخ بغداد " ، "الكفاية في علم الرواية " ، "تقييد العلم" وغيرها .

–انظر ترجمته في : وفيات الأعيان .1/ 92 ، طبقات الشافعية . 4/ 29 وما بعدها . الأعلام .1/ 172 .

[4] – الإمام المشهور ورث حديث الرسول ﷺ أخذ العلم عن سبعمائة شيخ فأكثر ، و ما أفتى حتى شهد له سبعون إماما أنه أهل لذلك ، كتب بيده مئة ألف حديث ، وجلس للتدريس و هو ابن سبع عشر سنة ، ألف "الموطأ" في أربعين سنة مات بالمدينة سنة (197ه) .

– انظر ترجمته في : ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك .القاضي عياض .44/1وما بعدها ، تذكرة الحفاظ .154/1(رقم 199)، وفيات الأعيان .4/ 135(رقم 550) ، شجرة النور الزكية .ص:52وما بعدها /الطبقة الرابعة .

[5]- شرف أصحاب الحديث .ص: 6،7 طبعة: جامعة أنقرة .1971.تحقيق: د: محمد سعيد خطيب أوغلي.

ترجيح الأقوال بتمييز قوّيها من ضعيفها، وما ينسجم منها سابق النص الكريم مع لاحقه جار على كلام العرب،ومناسب للدلائل الشرعية فهذا لا يمكن إهماله بل هو أولى الآراء بالقبول والاعتبار [1].

إن الاعتماد على الصحابة -خاصة في التفسير- مبعثه تلقيهم عنه ﷺ من غير واسطة وهم العرب الأقحاح فحازوا بذلك قصبات السباق، فلا مطمع لمن بعدهم في اللحاق.كما يقول ابن القيم[2].

فليعلم كل ذي لب أن تفسير القرآن الكريم ليس مسألة اجتهادية يتصدى لها كل أحد دون ضابط، بل هو علم له أصوله وقواعده التي تحكم الناظر فيه حتى لا يميل ذات اليمين أو ذات الشمال مراعيا للكيفية التي توصله إلى أن يجعل من الآيات غير الواضحة واضحة.

وللوصول بالمعنى المنبثق عن الآية إلى ما يحوز القبول ينبغي معرفة الطريقة التي أوصل بها رسول الله ﷺ المعاني إلى صحابته ، و الأصول و المآخذ التي تجب الإحاطة بها حتى يكون النظر في كتاب الله تعالى مبنيا على أسس تحول دون فساد الرأي و زيغان القول ؟ .

إن النبوة والرسالة اصطفاء إلهي وهبة ربانية ليس فيها أدنى ذرة من كسب، ولا سعي من صاحبها إليها بل هي محض الترتيب الإلهي، وما نحن فيه مما يتعلق برسالة محمد ﷺ ونبوته وآيته العظمى وهي القرآن الكريم من أعظم الآيات وأسطع البراهين على صحة ما نقول،ذلك أن حياته عليه الصلاة والسلام لم يسبقها ما يمكن أن يكون مقدمات أو إرهاصا لنبوة ورسالة آيتها الأولى الفصاحة والبيان .

فالناس عامتهم وخاصتهم علموا علما لا يخالطه شك أن محمدا عليه الصلاة والسلام أمي لم يقرأ و لم يكتب بل و لم يرو كتبة السيرة والتاريخ أنه كان يغشى مجالس الشعر والخطابة -وما أكثرها في زمانه- فمن أين له أن يخرج على العالمين بآية معجزتها الأولى-كما أسلفت- الفصاحة والبيان وهو

---

[1]- انظر: تعليق المحققين على حديث "من تكلم في القرآن برأيه " الذي ذكره ابن عطية في مقدمة المحرر الوجيز.ج1.ص: 29.طبعة الدوحة الأولى/1402ه-1982م .تحقيق وتعليق: عبد الله إبراهيم الأنصاري، السيد عبد العال إبراهيم،محمد الشافعي صادق الصاق.

[2]- إعلام الموقعين عن رب العالمين (شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ت: 751ه).ج1.ص: 6،7 دار الأرقم ابن أبي الأرقم -بيروت-ط1/1418ه-1997م .إعتنى به: أحمد عبد السلام الزعبي.

الأمي الذي عدت الأمية منذ تلك اللحظة شرفا فيه منقصة أو قل معرة في غيره ولذا فوجئ الناس بآية عجز عن مجاراتها أشهر البلغاء وأكثرهم موهبة في فن الكلام من رجل تجاوز الأربعين، فإن كانت موهبة فلم أخفاها فلم يظهرها طوال أربعين سنة وعند إظهارها لم كانت أساليبه في الكلام على درجات ثلاث لا يشبه أحدها الآخر: القرآن، الأحاديث القدسية، الحديث النبوي [1]. فأسلوب القرآن شيء والأساليب الأخرى شيء آخر،أسلوب القرآن (يحمل طابعا لا يلتبس معه بغيره ولا يجعل طامعا يطمع أن يحوم حول حماه بل يدع الأعناق تشرئب إليه ثم يردها ناكسة الأذقان والصدور) [2].

إنها النبوة ولا شئ غير النبوة، إنه الوحي ولا شئ غير الوحي، فالنبوة ومحمد عليه الصلاة والسلام متلازمان: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾النساء: ١٦٣ إنه التعليم الإلهي لا غير: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ النساء: ١١٣، ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ﴾يونس: ١٦ ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ العنكبوت: ٤٨، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ الشورى: ٥٢، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

فالتفهيم والإقراء والبيان محض العطاء الإلهي في حق محمد ﷺ: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ القيامة: ١٧ ففهمه ﷺ للقرآن الكريم على الجملة والتفصيل كما يقول الذهبي [3]. فلذا كان موئل الصحابة ومرجعهم فيما يشكل عليهم من المعاني والألفاظ لأن وظيفته البيان كما نص على ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ النحل: ٤٤، ونصت

1- تفسير الشعراوي ج1 .ص: 20 .أخبار اليوم-إدارة الكتب والمكتبات.

2- النبأ العظيم.نظرات جديدة في القرآن لمحمد عبد الله دراز.ص: 100.

3- التفسير والمفسرون .ج1.ص: 36.

عليه أحاديث كثيرة من نحو قوله ﷺ فيما رواه أبو داود [1] عن المقدام بن معديكرب: «ألا وإني أوتيت الكتاب ومثله معه» [2].

وتتجلى وجوه بيان السنة للقرآن في كونها مبينة لما أجمل●1، أو موضحة لما أشكل●2، أو مخصصة لعام●3، أو مقيدة لمطلق●4، أو مبينة لمعنى اللفظ أو متعلقه●5، أو أن تنشئ وتبتدئ حكما زائدا على ما جاء في كتاب الله●6، أو تبين ناسخا من منسوخ●7، أو تكون مؤكدة لحكم ورد ذكره في كتاب الله تعالى●8.

فالسنة تبين ما أجمل في القرآن لأنها نازلة على أمة أمية، فمن الرفق بقوم هذا شأنهم التفصيل بعد الإجمال وهذا واقع في كثير من التكاليف الشرعية الآمرة أو الناهية كالصلاة والزكاة والحج وسواها من الأوامر، أو الخمر والربا وما سواهما من النواهي.

وإلا فمن أين عرف الناس عدد الركعات وما يتبعها، ولذا قال عليه الصلاة والسلام: «صلوا

---

[1] - في السنة .باب : في لزوم السنة (رقم 4604) .ج4 . ص : 200 (دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع . مراجعة و ضبط وتعليق : محمد محي الدين عبد الحميد .والإمام أحمد في مسنده رقم (17213) .ج4 .ص:130.علق عليه شعيب الارناؤوط بقوله: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح غير عبد الرحمان بن أبي عروف الجرشي فمن رجال أبي داود و النسائي و هو ثقة .

[2] - قال الجلال السيوطي في الإتقان: (يعني السنة) ج4.ص: 174.وهو قول الزركشي في البرهان.ج2.ص: 315 .

● 1 بيان وقت وعدد الصلوات وركعاتها .

● 2 تفسيره الخيطين الأبيض والأسود .

● 3 تخصيص الظلم بالشرك .

● 4 تقييد اليد في القطع باليمين .

● 5 تبيين المغضوب عليهم إنهم اليهود .

● 6 كصدقة الفطر، تحريم نكاح المرأة على عمتها أو على خالتها.

● 7 كحديث لا وصية لوارث .

● 8 كحديث: لا يحل مال إمرء مسلم إلا بطيب نفس منه: فهو مؤكد وموافق لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ البقرة: ١٨٨

كما رأيتموني أصلي »[1]، وكيف عرف الناس أصناف الزكاة والمقادير الواجبة في كل صنف إلا بعد أن قال عليه الصلاة والسلام: « ليس فيما دون خمسة أوسق من التمر صدقة، وليس فيما دون خمس أواق من الورق صدقة وليس فيما دون خمس ذود من الإبل صدقة»[2] وبعد أن قال أيضا:

« وفي الركاز الخمس»[3] إلى آخر الأحاديث التي فصلت أمر الزكاة، وما قيل في الصلاة والزكاة يقال في الصوم والحج إذ لو لا السنة ما عرف الناس ما يترتب مثلا من التبعات الشرعية على منتهك حرمة رمضان عمدا لغير عذر يبيح ذلك، وما دروا عدد الأشواط في السعي وقبلها الطواف وكيفية الإحرام، وبعدها جميعا حدود عرفة ووقت الوقوف فيها، ولهذا وغيره قال ﷺ : «خذوا عني مناسككم»[4].

ويشبه تبيين المجمل من وجه ورودُ النص في كتاب الله تعالى على هذه الصورة: توضيح المشكل، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتأكيد الحكم المنصوص عليه في الكتاب العزيز [5].

لكن السنة قد تستقل بالتشريع والناس في هذا مأمورون بإتباعه عليه الصلاة والسلام فيما يأتي وفيما يذر مصداقا لقول الحق سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ الحشر: ٧ وقوله تبارك اسمه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ النساء: ٥٩ وقوله ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ

---

[1] – رواه البخاري في صحيحه عن مالك بن الحويرث . كتاب الأذان .باب الآذان للمسافر إذا كانوا جماعة و الإقامة و كذلك بعرفة وجمع وقول المؤذن في الصلاة في الرحال في الليلة الباردة أو المطيرة .ج1.ص:162 .

[2] – رواه البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري .باب وجوب الزكاة : باب ليس فيما دون خمس ذود صدقة .ج2 .ص: 147.

[3] – رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة . باب وجوب الزكاة . باب : في الركاز الخمس .ج2 .ص: 160.

[4]– الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي .للحجوي الثعالبي.ج1 القسم الاول ص: 101 –103 .

– والحديث رواه مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله كتاب :الحج . باب : استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكبا وبيان قوله ﷺ :" لتأخذوا مناسككم".(حديث رقم : 1297) .ج2 .ص: 943.(دار إحياء التراث العربي – بيروت .تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي) .

[5]– انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم ج2.المجلد الأول.ط1.ص: 503 وما بعدها.

حَفِيظًا ﴾ النساء: ٨٠، وقوله ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾ الأحزاب: ٣٦ وقوله ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ النساء: ٦٥ وآيات الأمر بطاعته والتأسي به كثيرة في كتاب الله تعالى .

واستقلال السنة بالتشريع معناه أنه ﷺ أمر بشئ أو نهي عن آخر لم ينص على أي منهما في كتاب الله تعالى، فهو تشريع مبتدأ منه عليه الصلاة والسلام غير وارد لا على سبيل التوضيح، ولا التخصيص ولا التقييد، ولا على أنه مؤكد لحكم منصوص عليه في القرآن (فالسنة كالقرآن يثبت بها تحليل الحلال وتحريم الحرام، كتحريم الجمع بين المرأة وعمتها، والمرأة وخالتها) [1] .

وفي "إعلام الموقعين" لابن القيم[2] قال – بعد أن عدد أوجه السنة مع القرآن –: (الثالث: أن تكون موجبة لحكم سكت القرآن عن إيجابه، ومحرمة لما سكت عن تحريمه ...فما كان منها زائدا على القرآن فهو تشريع مبتدأ من النبي ﷺ تجب طاعته فيه، ولا تحل معصيته، وليس هذا تقديما لها على كتاب الله، بل امتثالٌ لما أمر الله به من طاعة رسوله، ولو كان رسول الله ﷺ لا يطاع في هذا القسم لم يكن لطاعته معنى، وسقطت طاعته المختصة به، وإنه إذا لم تجب طاعته إلا فيما وافق القرآن لا فيما زاد عليه لم يكن له طاعة خاصة تختص به، وقد قال الله تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ النساء: ٨٠) [3].

وبعد إيراده –رحمه الله– لعدد من الأحاديث المشتملة على أحكام غير منصوص عليها في القرآن الكريم زائدة على ما دل عليه قال: (فسنن رسول الله ﷺ أجل في صدورنا وأعظم وأفرض علينا ألا نقبلها إذا كانت زائدة على ما في القرآن ...إلى أن قال: بل أحكام السنة التي ليست في القرآن إن لم

---

[1]- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي .للحجوي الثعالبي .ج1- القسم الأول- ص: 104.

[2]- هو جمال الدين عبد الله بن شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الأصل ، الدمشقي الفقيه الحنبلي ابن قيم الجوزية ، كان أعجوبة زمانه (ت :751ه) . شذرات الذهب .6/ 179 . الدرر الكامنة . ابن حجر . 2/ 416 .

[3]- إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم ج2. ص: 503.

تكن أكثر منها لم تنقص عنها، فلو ساغ لنا رد كل سنة زائدة كانت على نص القرآن لبطلت سنن رسول الله ﷺ كلها إلا سنة دل عليها القرآن [1].

إن عصمة الله له ﷺ من الخطأ في التشريع ابتداء وعدم إقراره عليه -إن وقع منه سهوًا-، واتباع صحابته له في كل ما أمر به وزجر كبر عندهم أم صغر امتثالا لما جاء في كتاب الله من وجوب الإيمان به ﷺ ووجوب اتباعه فيما يبين لهم مما نزل عليه مجملا وكليا وما شابههما مما لا يتأتى لهم معرفة جزئياته وتفصيلاته ولا مبين لذلك كله إلا هو ﷺ، كل ذلك دليل على (أن الله لم يكلفنا بهذه التكاليف التي أجملها في كتابه، وهو يعلم حق العلم: أن عقولنا تقصر عن إدراك مراده -: إلا وقد نصب لها شارحا مبينا، وأوجد مفسرا وموضحا، ألا وهو رسول الله ﷺ بواسطة وحيه وتأييده)[2].

ومن هذا ما نص غير واحد من أئمة الإسلام على أنه مما استقلت السنة بتشريعه وبين رسول الله ﷺ ابتداء حلّه أو حرمته فالسنة يمكن أن تشتمل على حكم جديد بجانب القرآن الكريم، وهو الذي عليه الجم الغفير من أهل العلم، كتحريم الجمع بين المرأة وعمتها، وبينها وبين خالتها في الزواج،ومعلوم أن المذكور من المحرمات في آية النساء: الجمع بين المرأة وأختها ومن قبل عن رسول الله فعن الله قبل [3].

وفي "الرسالة" للإمام الشافعي رضي الله عنه[4] : أن لفظ "الحكمة" المقرون بالكتاب في بعض آيات القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ البقرة: ١٢٩، وقوله سبحانه:

---

[1]- إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم ج2. ص: 504.

[2]- حجية السنة .د: عبد الغني عبد الخالق .ص: 326 .دار الوفاء - المنصورة - (مصر) ط3/1418ه-1997م.

[3]- انظر: مصادر التشريع الإسلامي ومناهج الإستنباط.د: محمد أديب صالح ص: 153- 154 -مكتبة العبيكان - الرياض- ط1/1423ه-2002م.

[4]-هو محمد بن إدريس إمام الأئمة علما و زهدا وورعا ، ومعرفة و ذكاء و حفظا ، ولد بغزة سنة (150 ه)، و أجيز بالإفتاء و عمره خمس عشر سنة ثم رحل إلى الإمام مالك و أقام عنده مدة ، ثم لبغداد ، و لقب "ناصر السنة" ، ثم عاد لمكة ثم لبغداد ثم لمصر، فأقام بها حتى مات سنة 204ه .

- انظر ترجمته في : طبقات الحنابلة.1/ 280 وما بعدها، وفيات الأعيان .4/ 163 (رقم 558) ، تذكرة الحفاظ .1/ 265 (رقم354) الكواكب الدرية .1/القسم الثاني .702 – 710 (رقم 277) .

﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة: ١٥١ وقوله تبارك اسمه: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ النساء: ١١٣: هو سنة رسول الله على ما سمعه ممن يرضى قوله من أهل العلم بالقرآن، ثم (إن القرآن ذُكر، وأُتبعته الحكمة، وذكر الله منّه على خلقه بتعليمهم الكتاب والحكمة فلم يجز- والله أعلم- أن يقال ها هنا إلا سنة رسول الله) [1].

وعلى هذا النحو حمل آية المبايعة في سورة الفتح: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ الفتح: ١٠ وآية الطاعة في النساء في قوله تعالى﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ النساء: ٨٠، فعد بيعة من بايع رسول الله بيعة له جل وعلا وأن طاعتهم لرسول الله طاعة له ﷻ، وأن قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ النساء: ٦٥ نزلت(في رجل خاصم الزبير في أرض فقضى النبي بها للزبير، وهذا القضاء سنة من رسول الله لا حكم منصوص في القرآن) [2]؛ وهو صريح فيما نحن فيه، وهو استقلال السنة بالتشريع، فكما وردت مبينة ومؤكدة جاءت أيضا بما (ليس فيه بعينه نص كتاب) [3]، أما التبيين والتأكيد فلم يختلف فيهما، وأما ما ليس فيه نص كتاب — كما يسميه الشافعي- فهو الذي وقع فيه النزاع والاختلاف فمن قائل: لم تسن سنة قط إلا ولها أصل في كتاب الله، وخرّج ما قيل انه مما استقلت السنة بتشريعه مخرجا يوافق قوله وما ذهب إليه، بينما ذهب المخالف —كما أسلفت- إلى استقلالها بالتشريع وورودها بما لم ينص عليه الكتاب ولكل وجهة هو موليها.

---

[1]- الرسالة (محمد بن إدريس الشافعي ت: 204ه) ص: 78- المكتبة العلمية-بيروت – تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر .

[2]- المصدر نفسه.ص: 83. والحديث رواه البخاري . كتاب التفسير . سورة النساء .باب قوله تعالى : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ النساء: ٦٥ . عن عروة بن الزبير . ج6 .ص: 57 – 58 .

[3]- الرسالة لمحمد بن إدريس الشافعي.ص: 88.

وقال ابن عبد البر (أبو عمر يوسف ت: 463ه)[1]: والبيان منه ﷺ على ضربين: بيان المجمل في الكتاب: كبيانه للصلوات الخمس في مواقيتها وسجودها وركوعها وسائر أحكامها، وكبيانه لمقدار الزكاة ووقتها، وما الذي يؤخذ منه من الأموال، وبيانه لمناسك الحج قال ﷺ إذ حج بالناس: "خذوا عني مناسككم" لأن القرآن إنما ورد بجملة فرض الصلاة والزكاة والحج والجهاد دون تفصيل ذالك، وبيان آخر: وهو زيادة على حكم الكتاب كتحريم نكاح المرأة على عمتها وخالتها وكتحريم الحمر الأهلية، وكل ذي ناب من السِّباع إلى أشياء يطول ذكرها...) [2].

قال الشافعي: (وأيّ هذا كان فقد بين الله أنه فرض فيه طاعة رسوله و لم يجعل لأحد من خلقه عذرا بخلاف أمر عرفه من أمر رسول الله، وأن قد جعل الله بالناس كلهم الحاجة إليه في دينهم، وأقام عليهم محبته بما دلهم عليه من سنن رسول الله معاني ما أراد الله بفرائضه في كتابه، ليعلم من عرف منها ما وصفنا أن سنته ﷺ إذا كانت سنة مبينة عن الله معنى ما أراد من مفروضه فيما فيه كتاب يتلونه، وفيما ليس فيه نص كتاب أخرى: فهي كذلك أين كانت، لا يختلف حكم الله ثم حكم رسوله بل هو لازم بكل حال) [3]،ولعل هذا الملخص العام الذي ذكره الإمام الشافعي هو الذي حمل دكتور وهبة الزحيلي على أن يقول: (ويلاحظ أن الإمام الشافعي قرر أنه وإن جاءت السنة بزائد عن القرآن، فإن السنة للكتاب تبع وأنها راجعة إليه داخلة تحت الأصول العامة المشروعة في القرآن، وعليه فإن اجتهاد الرسول ﷺ في الأحكام أساسه القرآن وروح التشريع) [4].

أما إنكار الاحتجاج بها بوجه عام – فضلا عن أن تستقل بالتشريع – فهو منكر من القول

---

[1] – هو الإمام الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري ، شيخ علماء الأندلس و كبير محدثيها ، تفقه بابن المكوي و ابن الفرضي ، و لازمه كثيرا ، ألف في الموطأ كتبا مفيدة منها "التمهيد لما في الموطأ من المعاني و الأسانيد" ، و"الاستذكار بمذهب علماء الأمصار" و "جامع بيان العلم و فضله " توفي بشاطبة .

– انظر ترجمته في : شجرة النور الزكية .ص:119 (رقم 377) ،الطبقة العاشرة ـــ نفح الطيب .4/ 29 – 30 . بغية الملتمس 427.- 428 (رقم 1443) .

[2] – جامع بيان العلم وفضله .ج2. ص: 1190-1189.دار ابن الجوزي – السعودية .ط1418/3ه-1997م. تحقيق: الأشبال الزهيري .

[3] – الرسالة . ص: 104، 105.

[4] – أصول الفقه الإسلامي .ج1.ص: 464-دار الفكر –دمشق- ط1406/1ه-1986م.

وزور فأقواله وأفعاله وتقريراته ﷺ وحي وجب إتباعها والتأسي به فيها، ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾ النجم: ٣...)

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ الأحزاب: ٢١، فلا ينبغي أن يعرج عليه كل ذي لب لفساده وتظافر الأدلة من القرآن والسنة والمعقول على بطلانه، ذلك أن الله تعالى أمر رسوله بتبليغ رسالته وإتباع وحيه والتبليغ كان بإقراء القرآن وبيانه عليه الصلاة والسلام وقد قامت الأدلة على عصمته من الخطأ والسهو وصدور الذنب منه، وعلى ذلك فالشريعة هي القرآن وأقواله ﷺ [1]، ولا حجة لهم فيما ساقوه من الآيات كقوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾الأنعام: ٣٨ وقوله جل وعلا: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ النحل:٨٩.

قال الشوكاني[2]"رحمه الله"- وهو من القائلين باستقلال السنة بالتشريع-: (الحاصل أن ثبوت حجية السنة المطهرة واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية ولا يخالف في ذلك إلا من لا حظ له في دين الإسلام) [3].

وقال قبله "ابن القيم" - مقررا لحجية السنة ومؤصلا لاستقلالها بالتشريع-كما مرّ- (أين قال: رسول الله ﷺ: إذا جاءكم حديثي زائدا على ما في كتاب الله فردوه ولا تقبلوه...وأين قال الله: إذا قال رسولي قولا زائدا على القرآن فلا تقبلوه ولا تعملوا به وردوه) [4]. ولذا لم يسلك عقلاء المفسرين لكتاب الله تعالى طوال تاريخ هذا العلم مسلكا يبتعدون به عن الواصل إليهم من نبيهم ﷺ من طريق صحيح، بل ربما استأنسوا أحيانا بما لم يبلغ هذه الدرجة من الروايات، فكانت أقوال رسول الله ﷺ من مآخذ الفهم وركائز النظر وأصلا من أصول التفسير التي لا يتجاوزها من فهم عن

1- أصول الفقه الإسلامي .ج1.ص: 457.

2- هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني (ت: 1250ه) ، فقيه مجتهد ، من كبار علماء اليمن ، نشأ بصنعاء وولي قضاءها ، له مصنفات كثيرة و مشهورة .انظر ترجمته في : معجم المفسرين .عادل نويهض .2/ 593 . الأعلام .6/ 298 .

3- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول.ج1.ص: 134-دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة-القاهرة-ط1/1418ه-1998م.تحقيق وتعليق: د: شعبان محمد إسماعيل .

4- أعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم ج2. ص: 509.

الله خطابه ليلحقوا بها ويضيفوا إليها ما كان من مشكاة النبوة مستنبطا بحكم الصحبة أو القرب منها فكان من أصولهم في الفهم والاستنباط بعد قول رسول الله ﷺ قول الصحابة وقول التابعين – خاصة ما كان موضع إجماع منهم–، من غير ترك منهم لما تعطيه الألفاظ من المعاني القريبة أو البعيدة، وقد يكون الفهم – قبل كل هذا– من القرآن ذاته كأن يفصّل القرآن نفسه في موضع ما أجمله في آخر أو يبين في آية ما كان مبهما في أخرى، وهكذا وعلى هذا فقد اتفق عقلاء الناظرين في كتاب الله على أن معانيه تطلب أولا من القرآن نفسه، فإن لم تكن ففي السنة النبوية وإلا طلبت عند الصحابة الكرام، وهذا أمر متفق عليه بالنسبة لمآخذ الفهم والتفسير، وضم بعضهم إلى الثلاثة مأخذا رابعا وهو ما صح ثبوته ونقله عن التابعين من غير إهمال لما تعطيه اللغة ودلالات ألفاظها من المعاني قربت أو بعدت على ألا يكون المعنى البعيد مفسدا لسياق النص شاردا بصاحبه إلى ما ينكره سابق الآية ولاحقها.

وسأتناول بصورة مختصرة فيما يأتي ما سمي عند المفسرين وعلماء علوم القرآن بأصول التفسير و مآخذه أو التفسير بالمأثور في جزئياته الأربع المذكورة .

المبحث الأول: أصول التفسير و مآخذه – التفسير بالمأثور-

أولا: تفسير القرآن بالقرآن:

وهو أعز ما يطلب لفهم وتفهيم معاني الذكر الحكيم، وهو أحسن طرق التفسير وأصحها، ذلك لان ما أجمل في موضع منه فصلته آيات أخرى وفسرته، وما اختصر في موضع بسطته أخرى وشرحت مختصره .

ومعلوم أن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين ولذا جاء مشتملا على ما اشتملت عليه لغة العرب ومركبا مما ركبت منه من إيجاز وإطناب، وإجمال وتبيين، وعموم وخصوص، وإطلاق وتقييد، وإثبات وحذف، وإظهار وإضمار ...إلخ، فالناظر في معانيه عليه أن يراعى كل هذا فيجمع المجمل من الآيات إلى المبين والمفصل لها وما جاء مطلقا أو عاما إلى ما يقابله حتى يضم المعنى إلى المعنى فيظهر له المخبوء ويكشف له المستور، وتسفر الآية عن وجهها الصحيح.

وقد ذكر المفسرون وعلماء القرآن لهذا شواهد كثيرة منها: قصص الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام -كقصة آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان ويونس وكحديث القرآن الكريم عن مريم -عليها السلام- وشبيه به الحديث عن الجنة والنار وإبليس لعنه الله وما كان منه مع آدم -عليه السلام-، وقد اشتملت على إجمال وتفصيل ما ذكر جملةً من السور كالبقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنفال والأعراف ويونس وهود والحجر وغيرها ؛ وشواهده في غير ما ذكر عن آدم -عليه السلام- من مراحل خلقه ما أورده عبد العظيم الزرقاني[1] وغيره في قوله سبحانه وتعالى في سورة الأعراف: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الأعراف: ٢٣ قال -رحمه الله-: إنها بيان على بعض وجوه التفسير لكلمة "كلمات" في آية سورة البقرة وهي قوله ﷻ: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ البقرة: ٣٧، وما ساقه شاهدا على ذلك أيضا في قوله تعالى﴿ ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ

---

[1] – هو محمد عبد العظيم الزرقاني من علماء الأزهر بمصر ، تخرج بكلية أصول الدين ، وعمل بها مدرسا لعلوم القرآن و الحديث، توفي بالقاهرة توفي سنة :(1367 هـ). الأعلام .6/ 210 .

﴿ وَالنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ﴾ المائدة: ٣ فهذه الآية بيان لآية صدر السورة وهي قوله تبارك اسمه:

﴿ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ المائدة: ١ [1].

وقد عد اختلاف القراءات من تفسير القرآن بالقرآن لأن بها (يترجّح بعض الوجوه المحتملة على بعض) [2] كما في قراءة "يطهرن" بالإسكان و"يطّهرن" بالتشديد في الطاء المهملة، وقد نجم عن القراءتين حكمان فقهيان متباينان، والمعلوم أن القراءتين متواترتان فقراءة التشديد مروية عن حمزة[3] والكسائي[4] وشعبة[5] وخلف[6] وقراءة التخفيف للباقين [7].

---

[1]- مناهل العرفان .عبد العظيم الزرقاني. ج2.ص: 17.

[2]- الإتقان للسيوطي. ج4.ص: 187.

[3] – هو حمزة بن حبيب بن عمارة الزيات التيمي الكوفي توفي بحلوان سنة 156 ه، راوياه: خلاد بن خالد الصيرفي الكوفي (ت: 220هـ) وخلف بن هشام البزار (ت 229 ه) .

– انظر: معرفة القراء . 1 / 111 – 118 (رقم 43) ، السير . 7/ 90 – 92 (رقم 38) ، غاية النهاية 1 / 261 – 263 (رقم 1190) .

[4] – هو علي بن حمزة النحوي الكوفي توفي بقرية من قرى الري سنة (189هـ)، راوياه: الليث بن خلد البغدادي (ت 240)، والدوري راوي أبي عمرو بن العلاء (ت 246) .

– معرفة القراء 1/ 120 – 128 (رقم 45) ، السير . 9 / 131 – 134 (رقم 44) غاية النهاية 1 / 535 – 540 (رقم 2212) .

[5]– هو أبو بكر بن عياش بن سالم الخياط الأسدي النهشلي الكوفي الإمام العلم راوي عاصم ، ولد سنة (95 ه) ، وعرض القرآن على عاصم ثلاث مرات ، كان إماما كبيرا عالما عاملا (ت : 193ه) .

– انظر ترجمته في : غاية النهاية في طبقات القراء . 1/ 326 – 327 (رقم 1321) ، معرفة القراء الكبار .الذهبي .1/ 134 – 138 (رقم 50) ، صفة الصفوة .2/ 97 – 98 (رقم 451) .

[6] – هو خلف بن هشام بن ثعلب البزار (ت 229 هـ) راوياه: إسحاق بن إبراهيم المروزي (ت: 286ه)، وإدريس بن عبد الكريم الحداد (ت 292ه) . انظر: تاريخ بغداد . 8 / 322 – 328 (رقم 4417) ، معرفة القراء . 1 / 208 – 210 (رقم 103) ، غاية النهاية . 1 / 272 – 274 (رقم 1235) .

[7]–انظر: البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة لعبد الفتاح القاضي.ص: 49–دار الكتاب العربي–بيروت–ط1/1401ه–1981م.

ومن الناحية الفقهية للزوج أن يقرب زوجته بمجرد انقطاع الحيض على قراءة التخفيف أما على قراءة التشديد فليس له أن يقربها إلا بعد الانقطاع والاغتسال، وكما في قراءة: ﴿ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ ﴾ المائدة: ٦ ،بفتح اللام وخفضها المتواترتين في آية سورة "العقود" وبفتح اللام قرأ نافع[1] وابن عامر[2] وحفص[3] والكسائي ويعقوب[4] والباقون بكسرها [5] وعلى قراءة الجر قيل بوجوب مسح الرجلين بعد غسلهما في الوضوء لأنها معطوفة على أقرب مذكور، أما قراءة الفتح فتفيد الغسل لأنها معطوفة على "وجوهكم" بالإضافة إلى أن الغسل داوم عليه النبي ﷺ، مع تخريج قراءة الجر عند بعض على المجاورة، أو على أنها من المقدم والمؤخر في الكلام، وقيل إن المسح للابس الخف فالقراءات — إذا لم نعتد منها بالمتواتر وحده — قلنا إنّها موضحة أحيانا للمعنى المراد وقد تزيل إشكالا في الآية، أو تبين مبهما، أو تضيف معنى جديدا مستقلا [6] لأن بعضها مما أفاد بعض ما ذكر من الشاذ، وقد خرّجه غير واحد على أنه تفسير من الصحابي الذي رويت عنه تلك القراءة فوضعه هناك أليق، وهناك آيات أخرى قرئت بأكثر من وجه واستفادة المفسر منها مقطوع به مثل:

---

[1] – هو نافع بن عبد الرحمان بن أبي نعيم، أبو رويم . أصله من أصفهان (ت: 169 ه) ، راوياه ورش (ت: 197) ، وقالون (ت 220) – انظر: ترجمته في معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار . الذهبي . 2 / 331، السير . 7 / 336 - 338 (رقم 121) ، غاية النهاية في طبقات القراء . ابن الجزري . 2 / 330 - 334 (رقم 3718) .

[2] – هو عبد الله بن عامر الشامي اليحصبي من التابعين، ولي قضاء دمشق في خلافة الوليد بن عبد الملك . توفي بدمشق سنة 118ه، راوياه: هشام بن عمار (ت 245 ه) وعبد الله بن أحمد بن ذكوان (ت 242 ه) . انظر: معرفة القراء . 1 / 82 – 86 (رقم 33)، والسير .5 / 292 – 293 (رقم 138) ، وغاية النهاية . 1/ 423 – 425 (رقم 1790) .

[3] – هو حفص بن سليمان بن المغيرة أبو عمر بن أبي داود الأسدي الكوفي الغاضري البزاز ، يعرف "بحفيص" أخذ القراءة عرضا وتلقينا عن عاصم ، و كان ربيبه ابن زوجته ، ولد سنة (90ه) و توفي (180 ه) .

– انظر ترجمته في : غاية النهاية في طبقات القراء .ابن الجزري . 1/ 254 – 255 (رقم 1158) ، معرفة القراء الكبار .الذهبي .1/ 140 – 141 (رقم52) .

[4] – هو يعقوب بن إسحاق بن زيد الحضرمي البصري (ت 205 ه) راوياه: محمد بن المتوكل اللؤلؤي البصري الملقب برويس (ت238ه) وروح بن عبد المؤمن البصري النحوي (ت 234 ه) . انظر: الوفيات . 6 / 390 – 392 (رقم 825) ، معرفة القراء . 1/ 157 – 158 (رقم 65) ، غاية النهاية . 2 / 386 – 389 (رقم 3891) .

[5] – البدور الزاهرة. ص: 89.

[6] – انظر: ابن الجزري ومنهجه في التفسير لعلي محمد الزبيري. ج1.ص: 376–دار القلم–دمشق–ط1/1407ه–1987م.

﴿لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ إبراهيم: ٤٦ فقد قرأ الكسائي وحده بفتح اللام الأولى ورفع الثانية [1].

ومثل: ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ سبأ: ١٩ فقد قرئت على وجه الإنشاء، وعلى وجه الإخبار، فابن كثير[2] وأبو عمرو[3] وهشام[4] قرأوا "بعِّد"على أنه فعل أمر، وقرأ يعقوب "باعد" على أنه فعل ماض ورفع باء "ربُّنا "و الباقون بكسر العين قبلها ألف ودال ساكنة على أنه فعل أمر أيضا[5]. ويمكن أن يضاف إلى ما سبق قوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ الأنعام: ٥٧ .فقد قرأ الحرميان وعاصم[6]وأبو جعفر[7]بالصاد المهملة المدغمة .

---

[1]-انظر: البذور الزاهرة .ص: 174.

[2]- هو أبو معبد عبد الله بن كثير بن عمرو المكي، كان عالما بالعربية فصيحا بليغا مفوها عليه السكينة والوقار، قرأ على أبي السائب عبد الله بن أبي السائب المخزومي، وعلى أبي الحجاج مجاهد بن جبر المكي وعلى درباس مولى بن عباس، أخذ عنه البزي (ت250ه) وقنبل (291ه) . انظر ترجمته في: الوفيات .3/ 41 – 42 (رقم 327) ، ومعرفة القراء الكبار . الذهبي 1 / 86 – 88 (رقم 34) ، والسير له 5 / 318 – 322 (رقم 155) ، والنشر في القراءات العشر . ابن الجزري 1 / 120 – 121، وغاية النهاية. 1 / 443 – 445(327) .

[3] – هو زبان بن العلاء بن عمار المازني البصري . توفي بالكوفة سنة 154ه . راوياه: الدوري (ت 246ه) والسوسي (ت 261ه). انظر ترجمته في: معرفة القراء. 1 / 100 – 105 (رقم 39) ، السير . 6 / 407 – 410 (رقم 167) ، غاية النهاية . 1 / 288 – 292 (رقم 1283) .

[4]- هشام بن عمار بن نصير بن ميسرة أبو الوليد السلمي و قيل الظفري الدمشقي إمام أهل دمشق و خطيبهم و مقرئهم و مفتيهم و محدثهم ، ولد سنة (153ه) ، كان فصيحا علاّمة رزق كبر السن و صحة العقل و الرأي فارتحل الناس إليه في القراءات و الحديث (ت: 245ه).

- انظر ترجمته في : غاية النهاية في طبقات القراء .2/ 354 – 355 (رقم 3787) ، معرفة القراء الكبار على الطبقات و الأعصار .الذهبي .1/ 195 – 198 (رقم 91) .

[5]- انظر: البذور الزاهرة . ص: 260.

[6] – هو عاصم بن أبي النجود الكوفي، من التابعين، توفي سنة 127ه، راوياه: حفص بن سليمان (ت 180 ه) وشعبة بن عياش (ت 193ه) . انظر: معرفة القراء . 1/ 88 – 94 (رقم 35) ، والسير . 5/ 256 – 261 (رقم 119) ، غاية النهاية . 1/ 346 – 349 (رقم 1496) .

[7] – هو يزيد بن القعقاع أبو جعفر المدني القارئ، من التابعين . توفي سنة 130 ه . راوياه: أبو الحارث عيسى بن وردان المدني (ت 160 ه) والربيع بن سليمان بن جماز المدني (ت 170ه) .

- انظر: وفيات الأعيان . 6 / 274 – 276 (رقم 814) ، معرفة القراء .1/ 72 – 76 (28) ، غاية النهاية . 2/ 382 – 384 (رقم 3882) .

وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ﴾ النحل: ١١٠ بفتح الفاء والتاء وبه قرأ ابن عامر وحده .

وقوله تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾ البقرة: ٣٧ بنصب " آدم" ورفع "كلمات" لابن كثير[1].

إن الوصول إلى حمل العام على الخاص أو المطلق على المقيد أو ما سوى ذلك مما ذكرنا وما لم نذكر يحتاج إلى عمق تأمل وطول تدبر ونظر في كتاب الله تعالى، إذ ليس موكولاً لكل أحد أن يصل إلى هذا فيجمع بين ما ذكر على نحو صحيح يسري صوابه بين أهل التفسير، فالتئام النص مع مشابهه، واتساق الآية إلى التي تضاهيها بالجمع بينهما على نحو يبعدهما عن الفهم السقيم والتأويل الفاسد ينبغي أن يبنى على أساس متين [2] وأول ذلك وأصلبه أن يكون في كتاب الله تعالى لأنه تبيين من أنزله ﷻ.

ثانيا: تفسير القرآن بالسنة.

فإن أعياك البحث في القرآن و لم تجد فيه مرادك ومبتغاك مما يفسر لك آية منه فعد إلى السنة فإنها شارحة وموضحة له ثم إنها وحي غير متلو كما هو الحال بالنسبة للقرآن، فهي الطراز الثاني بعد القرآن الكريم، وقد قيل لصاحبها ﷺ: ﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ النحل: ٦٤، وقيل له أيضا ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ النحل: ٤٤، وقد قال ﷺ مبينا منزلة الصورة الثانية من الوحي وهي السنة: « ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه » يعني ذلك: السنة .

وقد ثبت عنه ﷺ تفسيره لآيات كثيرة من كتاب الله تعالى تفرقت في بداية الأمر في كتب المحدثين مستقلة أو موزعة فيها، تولى جمعها استقلالا فيما بعد كثيرون مع نقد وتمحيص لأسانيدها ومتونها خلال القرون المتعاقبة، بسبب الوضع والتقول على رسول الله ﷺ فنسبوا إليه زورا وبهتانا ما

---

[1]- انظر: الآيات الثلاث على التوالي في البذور الزاهرة .ص: (103آية الأنعام)، (183آية النحل) ، (30آية البقرة) .

[2]- انظر: التفسير والمفسرون.ج1.ص: 40 وما بعدها.

لم يقله فخلطوا العسل المصفى والماء العذب الفرات بالساقط من القول: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ الكهف: ٥، فقيض الله جهابذة ذادوا عن سنة رسول الله ﷺ فردوا سهام المفترين إلى نحورهم: ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴿١١٩﴾﴾ الأعراف: ١١٨ – ١١٩ وما صح عن رسول الله ﷺ في التفسير كثير وفي سور من القرآن الكريم متعددة: وفي سورة الفاتحة، وفي مواضع كثيرة من سورة البقرة وفي آل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف والتوبة، ومواضع قليلة في: (الأنفال ويونس، وهود، ويوسف، والرعد، وإبراهيم، والحجر، وبني إسرائيل إلى سورة الناس، ولم يستثن من سور القرآن الكريم في صحيح البخاري[1] وحده إلا القليل، تفسر وتلقي الضوء على آية من الآيات، فإن ضمت روايات باقي المحدثين وغيرهم إلى ما في صحيح البخاري ألفيناها كثيرة عنه ﷺ[2].

فبها المبين للمجمل، والمخصص للعام، والمقيد للمطلق، والموضح للمشكل، فمن ذلك ما ثبت عنه أنه فسر القوة بـــ: "الرمي"[3] في آية الأنفال: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ الأنفال: ٦٠، والعبادة في آية سورة المؤمن "غافر" بـــ: "الدعاء": ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ

---

[1] – محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة أبو عبد الله ، شيخ الحفاظ و إمام الدنيا بلا منازع ، وصاحب التصانيف المشهورة التي ملأت الأرض ، ألف كتابه " الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه و أيامه " الذي اشتهر بـــ : "صحيح البخاري" وهو أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى و المقدم على جميع كتب السنة المشرفة .

– انظر ترجمته في : تاريخ بغداد .الخطيب البغدادي .2/ 4- 36 (رقم 424) ، طبقات الحنابلة .ابن أبي يعلى .1/ 271 – 279 (رقم 385) ، وفيات الأعيان .4 / 181 – 188 (رقم 569) ، سير أعلام النبلاء . الذهبي. 12 / 391 – 471 (رقم 171)، طبقات الشافعية الكبرى .السبكي .2 / 212 – 241 (50) ، البداية والنهاية .ابن كثير.11 / 31 – 34 (حوادث 256ه) .تهذيب الكمال .ابن حجر. 9 / 47 – 55 (رقم 53) .

[2] –انظر: موسوعة التفسير قبل عهد التدوين، د: محمد عمر الحاجي.ص: 67 وما بعدها –دار المكتبي–دمشق–ط1/1427ه–2007م.

[3] – الحديث رواه الإمام البخاري في صحيحه عن سلمة بن الأكوع .كتاب الجهاد و السير . باب : التحريض على الرمي و قول الله تعالى : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ الأنفال: ٦٠ .ج4 . ص: 45. ومسلم في صحيحه عن عقبة بن عامر .كتاب : الإمارة . باب : فضل الرمي و الحث عليه و ذم من علمه ثم نسيه (الحديث رقم 1917) .ج3/ص: 1522.

عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ غافر: ٦٠[1]، والظلم في آية الأنعام: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ الأنعام: ٨٢ بـــ: "الشرك" استدلالا بآية لقمان، وتفسير كلمة التقوى في سورة الفتح: ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى ﴾ الفتح: ٢٦ بـــ: "لا إله إلا الله"[2] وتفسير: ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ الفاتحة: ٧ في «الحمد» بـــ: "اليهود والنصارى"[3] على التوالي وتفسير "الكوثر" بأنه نهر أعطيه ﷺ في الجنة[4]، وتفسير قوله سبحانه في سورة ألم السجدة: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ السجدة: ١٧ فيما رواه ﷺ عن ربه بأنه: ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر،ذخرا، بله ما اطلعتم عليه ثم قرأ الآية المذكورة[5].

وصحّ عنه أيضا أنه فسر الرّان المذكور في سورة «المطففين»[6]، والحساب اليسير في سورة الانشقاق.

وأختم الشواهد بما صح عنه أيضا أنه فسر لعدي بن حاتم رضي الله عنه الخيط الأبيض والخيط الأسود في آية سورة البقرة في قصة معروفة، وبما صح عنه أيضا أنه فسر قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ

---

[1] – رواه أبو داود عن النعمان بن بشير . كتاب الصلاة .باب : تفريع أبواب الوتر .باب :الدعاء .(حديث رقم1479) .ج2. ص: 76 – 77 .

[2] – رواه الترميذي عن أبي بن كعب .كتاب تفسير القرآن .باب : "ومن سورة الفتح" . (حديث رقم3265) . قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعا إلا من حديث الحسن بن قزعة .قال : وسألت أبا زرعة عن هذا الحديث فلم يعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه . ج5 . ص: 386 .

[3] – رواه الإمام أحمد في مسنده – أول مسند الكوفيين – (رقم 19400) .ج4. ص: 378 . و رواه الترمذي في سننه عن عدي بن حاتم في التفسير . باب فاتحة الكتاب (رقم 2953 – 2954) .ج5 .ص : 203 - 204 . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث سماك بن حرب . وروى شعبة عن سماك بن حرب ، عن عباد بن حبيش عن عدي بن حاتم عن النبي ﷺ .

[4] – رواه البخاري في صحيحه عن عائشة .كتاب التفسير . باب :﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ الكوثر: ١ . ج6 .ص:219.

[5] – رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة .كتاب بدء الخلق .باب ما جاء في صفة الجنة و أنها مخلوقة .ج4 .ص : 143 .

[6] – رواه الترمذي عن أبي هريرة .في تفسير القرآن . باب " ومن سورة ويل للمطففين " . حديث رقم :3334 . ج5 . ص: 434. قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾البقرة: ١٤٣: فقد روى البخاري عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: « يدعى نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقول: هل بلغت ؟ فيقول نعم، فيقول لأمته هل بلّغكم؟ فيقولون ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك ؟ فيقول محمد وأمته، فتشهدون أنه قد بلغ، ويكون الرسول عليكم شهيدا، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾البقرة: ١٤٣ »[1]

[1] – رواه البخاري في تفسير القرآن . باب تفسير سورة البقرة باب قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ البقرة: ١٤٣ . ج6 .ص: 26.

ثالثا: تفسير القرآن بقول الصحابي:

إذا ثبت أن للآية آيةً أخرى تشرحها وتفسرها أو أثرا صحيحا عن رسول الله ﷺ لم يكن لأحد أن يبحث عن معناها في جهة ثانية فإن لم يثبت لا هذا ولا ذلك، فدونك أقوال أصحاب رسول الله ﷺ التي يلجأ إليها بعد أن يفرغ المفسر جهده في البحث في المصدرين السابقين، فإن لم يجد فيهما طلب ذلك في أقوالهم خاصة من عرف منهم بالتفسير كالخلفاء الأربعة وابن مسعود وأبي، وابن عباس فقد كانوا كما قال ابن كثير وغيره: (أدرى بذلك لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح،و العمل الصالح) [1].

وقد أجمع الناس على أن رأس التفسير من الصحابة ابن عباس،وذلك ببركة دعاء النبي ﷺ له، ولأنه ورث علم كبار الصحابة كعلي وابن مسعود وأبي وقبلهم أبي بكر وعمر، ورُوي عن كثير من الصحابة الإشادة بعلمه كعلي وابن مسعود وغيرهما، (وهو تجرد لهذا الشأن –كما يقول الزركشي)[2]، وأقوالهم إما أن تكون مسموعة من النبي ﷺ مباشرة أو بواسطة، أو بما شاهدوه من أسباب النزول،أو باجتهادهم وهي عوامل تجعل حاجة الرجوع إليهم في التفسير وغيره كبيرة بالإضافة إلى وقوفهم على أسرار هذا الكتاب الكريم ومعرفة معانيه وأحكامه واكتمال خصائص العروبة فيهم [3].

فما روي عنهم موصولا بالنبي ﷺ فهذا ينظر في صحته، وما كان موقوفا عليهم فإن الأكثرين والجم الغفير لم يلتفتوا إلى أنه اجتهاد صاحبُه معرّضٌ للخطإ والصواب –وهم كذلك-بل حكموا بأن آراءهم بوجه عام أصوب لما سمعت ولما ستسمع –إن شاء الله-، وقد قال الزركشي وهو يؤصل لهذا الأمر ويرسخ في الأذهان قيمة ما ثبت عنهم: (ينظر في تفسير الصحابي، فإن فسروه من حيث اللغة فهم أهل اللسان فلا شك في اعتماده، أو بما شاهدوه من الأسباب والقرائن فلا شك فيه) [4].

---

[1]- تفسير ابن كثير .ج1.ص: 07-دار الأندلس-بيروت/1416ه-1996م.

[2]- البرهان في علوم القرآن.ج2.ص: 293.

[3]- انظر: التفسير والمفسرون.ج1.ص: 64.

[4]- البرهان في علوم القرآن .ج2.ص: 312، 313 .

والملاحظ على التفسير في زمن الصحابة قلته، وقلة اختلافهم في معاني كتاب الله واقتصارهم على الألفاظ القليلة في تفهيمه فأوضحوه ذاهبين في تفسيره إلى أخصر لفظ يفي بالمعنى، كما يلاحظ ندرة تدوينه الذي قد يلحق بمصاحف بعضهم على مذهب من خرجه هذا التخريج فنقل عنهم بالصورة التي نقلت بها أحاديث رسول الله ﷺ،بل هو فرع من فروع الحديث [1].

وقد نقل عن بعضهم عدم العلم بمعاني بعض الألفاظ فسألوا عنها وأوقفوا على معانيها، واستشكال بعض ألفاظ القرآن الكريم عليهم آت من سعة لغة العرب التي لا يحيط بها إلا نبي –كما قيل– ولما في هذه اللغة الجميلة من المجازات، وهي طرق القول ومآخذه، وفي هذه المجازات: (الإستعارة والتمثيل،و القلب، والتقديم، والتأخير، والحذف والتكرار... وبكل "هذه المذاهب" نزل القرآن)[2].

فخفاء معنى كلمة: «تخوف» أو «فاطر» أو «أبا» أو عدم تبين معنى الخيط الأبيض من الأسود آت من هذا أما مانقل عنهم من اختلاف في التفسير –على قلته– فالأكثرون على أنه اختلاف تنوع لا تضاد وهو قليل إذا ما قيس باختلافهم في الأحكام، وسبب ذلك الاختلاف احتمال اللفظ لأمرين أو معنيين. (قسورة: لكونه مشتركا: الرامي –الأسد) أو متواطئا في أصله لكن المراد به أحد الشيئين أو أحد النوعين: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾ النجم: ٨، على من يعود الضمير؟) أو للتّعبير عن المعنى بألفاظ متقاربة (﴿أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ الأنعام: ٧٠ .تحبس أو ترهن، فالمحبوس قد يكون مرهنا وقد لا يكون) أو بذكر الاسم العام ببعض أنواعه تنبيها على النوع على سبيل التمثيل (ظالم لنفسه،

---

[1]-انظر: التفسير والمفسرون.ج1.ص: 97، 98 .

[2]- تأويل مشكل القرآن.ابن قتيبة (أبي محمد عبد الله ابن مسلم ت: 276هـ)ص: 20، 21.وانظر: التفسير والمفسرون.الذهبي.ج1.ص: 133وما بعدها.

- انظر: التفسير والمفسرون .ج1.ص: 133 وما بعدها .

- وانظر: موسوعة التفسير قبل عهد التدوين. ص: 201 .فقد نقل ما ذكره حرفيا عن "الذهبي".

- انظر: تفسير ابن كثير ج1.ص: 49 وما بعدها.

- وانظر: جامع البيان للطبري.ج1.ص: 71 وما بعدها .ففيه إلى جانب الأقوال الموصولة بأصحابها كلام لابن جرير في غاية النفاسة والحسن.

مقتصد، سابق بالخيرات) أو بالتعبير عن المراد في المسمى الواحد بمعنيين مختلفين كتفسير "الصراط المستقيم" بالقرآن تارة، وبالإسلام تارة أخرى، فصور التفسير هذه جميعا لا تضاد فيها [1].

فإن روى عن أحدهم -رضي الله عنهم- قول، ثبت عن رسول الله ﷺ ما يخالفه، فالحجة في قول رسول الله ﷺ فقد يكون فاته شيء عنه ﷺ وسمعه غيره، لأنه لا يتصور من صحابي أن يقول قولا يعلم أن لرسول الله ﷺ فيه قولاً [2].

ومما صح من التفسير عن بعض الصحابة ممن اشتهروا به، ما رواه البخاري عن عروة بن الزبير عن عائشة -رضي الله عنها- زوج النبي ﷺ وفقيهة الإسلام العظيمة وأحب زوجاته إليه وأقرب الناس إليه ﷺ قال عنها الذهبي: (لا أعلم في أمة محمد ﷺ بل ولا في النساء مطلقا امرأة أعلم منها)●، فقد صح عنها في قوله سبحانه: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ ﴾ يوسف: ١١٠ الآية أنها (قالت: هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدقوهم، فطال عليهم البلاء، واستأخر عنهم النصر، حتى إذا استيأس الرسل ممن كذبوهم من قومهم، وظنّت الرسل أن أتباعهم قد كذّبوهم، جاءهم نصر الله عند ذلك)[3].

---

[1]- التفسير والمفسرون .للذهبي.ج1 .ص: 133 ومابعدها.

[2]-انظر: موسوعة التفسير ص: 209 وما بعدها.

● سير اعلام النبلاء .ج3.ص: 437 .(الطبقة الأولى) دار الفكر - بيروت- ط1/1417ه-1997م. تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري.ترجمها تحت رقم: 115.

[3]- انظر: صحيح البخاري (لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي . ج3.ص: 1624-1625، كتاب التفسير – باب قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ ﴾ يوسف: ١١٠ حديث رقم: 4418 .ط2/ 1413ه-1993م، دار العلوم الإنسانية – دمشق . باعتناء: الدكتور: مصطفى ديب البغا .

- وانظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني(أحمد بن علي) ج8.ص: 468 ومابعدها -كتاب التفسير باب﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ ﴾ يوسف: ١١٠. حديث رقم: 4696-دار الكتب العلمية -بيروت- ط1/1410ه-1989م تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.ورقم كتبها وأبوابها وأحاديثها: محمد فؤاد عبد الباقي.

والرواية ظاهرها فيه انكار لقراءة التخفيف كما يقول الحافظ بناء على أن الضمير للرسل، وليس الضمير للرسل على ما بيّنته ولا معنى لإنكار القراءة بعد ثبوتها فلعلها – رضي الله عنها – لم يبلغها عمن يُرجع إليه في ذلك، وقراءة التخفيف قرأ بها أئمة الكوفة: عاصم وحمزة والكسائي وغيرهم ووافقهم عليها من أهل المدينة أبو جعفر القاري، وهي قراءة بن مسعود، وابن عباس وأبي عبد الرحمان السلمي والحسن البصري، وغيرهم وشدّدها باقي العشرة فهي متواترة.

وروى مسلم عن عروة عنها -رضي الله عنها- قالت في قوله سبحانه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ الفتح: ١ - ٣ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا صلى قام حتى تفطّر رجلاه قالت عائشة: يا رسول الله: أتصنع هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟! فقال: «يا عائشة ! أفلا أكون عبدا شكورا»[1].

وروى عنها البخاري أن أبا عبيدة سأل عن قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ الكوثر: ١ فقالت: « نهر أعطيه نبيكم ﷺ، شاطئاه عليه درٌّ مجوّف، آنيته كعدد النُّجوم »[2].

وروى التفسير عن ابن عباس وابن مسعود وأبي كما روي عن عائشة وغيرها من الصحابة، أما ابن عباس فشهرته في التفسير تغني عن الكلام، فقرابته من رسول الله ونشوءه في بيت النبي ﷺ بحكم أن خالته ميمونة -رضي الله عنها- كانت زوجة رسول الله وفي عصمته بالإضافة إلى بركة دعاء النبي ﷺ له وتأخر وفاته، كلها عوامل جعلت الكثير من الصحابة يشيد بعلمه في التفسير، فقيل عنه: كان ينظر إلى الغيب من ستر رقيق، وقيل عنه: إنه ترجمان القرآن، وقيل عنه: إنه أعلم أمة محمد بما أنزل على محمد ﷺ .

= انظر: فتح الباري .ح8.ص: 468 وما بعدها .كتاب التفسير.باب ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ﴾ يوسف: ١١٠حديث رقم 4696.

- وانظر: كتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: لمكي بن أبي طالب القيسي (ت: 437ه). ج2.ص: 15،16 مؤسسة الرسالة – بيروت .ط5 / 1418ه – 1997م تحقيق: د –محي الدين رمضان .

- وانظر أيضا: البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة لعبد الفتاح القاضي .ص: 168-دار الكتاب العربي-بيروت-ط1/1401ه-1981م.

[1]- صحيح مسلم (أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ت: 261ه)ج4.ص: 2172 . كتاب صفة المنافقين وأحكامهم، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة . حديث: 2820 (81)-دار عالم الكتب -الرياض- ط1/1417ه-1996م باعتناء: محمد فؤاد عبد الباقي.

[2]- صحيح البخاري .ج3.ص: 1793. كتاب التفسير .باب: تفسير سورة الكوثر: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ الكوثر: ١ حديث رقم: 4681.

وقد روى عنه البخاري في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ ﴾النساء: ١٩ أنه قال: «كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بإمرأته، إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاءوا لم يزوّجوها، فهم أحق بها من أهلها فنزلت هذه الآية في ذلك» [1].

وروى الإمام أحمد عن عكرمة عنه (ابن عباس) في قوله سبحانه: ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾ المائدة: ٤٢، أنه قال: « كانوا بني النضير إذا قتلوا قتيلا من بني قريظة أدوا إليهم نصف الدية، وإذا قتل بنو قريظة من بني النضير قتيلا أدوا إليهم الدية كاملة، فسوّى رسول الله ﷺ بينهم الدية»[2].

وروي عن ابن مسعود كما ذكر ذلك ابن جرير في قوله تعالى: ﴿ قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ فِي فِئَتَيۡنِ ٱلۡتَقَتَاۖ ﴾آل عمران: ١٣ ، قال ابن مسعود: هذا يوم بدر قد نظرنا إلى المشركين فرأيناهم يضعفون علينا، ثم نظرنا إليهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلا واحدا، وذلك قول الله ﷻ: ﴿ وَإِذۡ يُرِيكُمُوهُمۡ إِذِ ٱلۡتَقَيۡتُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِكُمۡ قَلِيلٗا وَيُقَلِّلُكُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِهِمۡ لِيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا ﴾الأنفال: ٤٤[3].

---

[1]- صحيح البخاري .ج3.ص: 1563-1564 .كتاب التفسير .باب: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ ﴾ النساء: ١٩ . حديث رقم: 4303.

-انظر: صحيح البخاري ج3 ص: 1772-1773.كتاب التفسير .باب قوله: ﴿إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ﴾ المرسلات: ٣٢، حديث رقم: 1648، وباب قوله: ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ﴾ المرسلات: ٣٣.حديث رقم: 4649.

- انظر: سورة القيامة في كتاب التفسير من صحيح البخاري ج3 ص: 1769-1770. فإن كل الروايات التي ذكرها البخاري في تفسير ما روي منها، فهي عن ابن عباس

[2]- مسند الإمام أحمد بن حنبل ت: 241ه.ج1.ص: 907 - عالم الكتب - بيروت-ط1/1419ه-1998م. تحقيق وضبط: السيد أبو المعاطي النوري وزملائه (أحمد عبد الرزاق عيد،أيمن إبراهيم الزاملي، إبراهيم محمد النوري،محمد مهدي المسلمي، محمود محمد خليل) . مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب عن النبي ﷺ حديث رقم: 3434.

[3]- جامع البيان ج3.ص: 195.

وروى مسلم في صحيحه في باب :في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ الحديد: ١٦ أنّ ابن مسعود قال: « ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ إلا أربعُ سنين»[1].

وفي صحيح البخاري في باب: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ الدخان: ١٦ (عن عبد الله قال: خمس قد مضين: اللزام، والروم، والبطشة، والقمر، والدخان) [2].

ونختم بما روى عن أبي بن كعب سيد القراء وأحد كتّاب الوحي، فقد روى عنه -كما عند الجلال السيوطي- أنّه قال في آية آل عمران: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ آل عمران: ١١٠ «لم تكن أمةٌ أكثر استجابة في الإسلام من هذه الأمة » [3].

وروى الطبري[4]أنه قال في قوله سبحانه: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾آل عمران: ١٠٦: (صاروا يوم القيامة فريقين، فقال لمن اسود وجهه وغيرهم: ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ آل عمران: ١٠٦، قال: هو الإيمان الذي كان قبل الاختلاف في زمان آدم، حين أخذ منهم عهدهم وميثاقهم، وأقروا كلهم بالعبودية، وفطرهم على الإسلام، فكانوا أمة واحدة مسلمين، يقول: أكفرتم بعد إيمانكم، يقول بعد ذلك الذي كان في زمان آدم، وقال في الآخرين الذين استقاموا

---

[1]- صحيح مسلم ،كتاب التفسير .ج4.ص: 2319.حديث رقم: 24(3027).

[2]- صحيح البخاري ج3.ص: 1718.كتاب التفسير .حديث رقم: 4548.

- وانظر: كتاب التفسير من صحيح البخاري .ج3.ص: 1716- 1718 الأحاديث رقم: 4544، 4545، 4546، 4547.

[3]- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج2.ص: 294 –دار الفكر –بيروت –ط1/1403ه-1983م.والرواية أخرجها ابن أبي حاتم كما قال السيوطي .

- انظر: تفسير القرآن العظيم مسندا عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين لابن أبي حاتم الرازي (عبد الرحمان بن محمد بن ادريس (ت: 327ه) ج3.ص: 733.حديث رقم 3973- المكتبة العصرية – صيدا – ط2 /1419ه-1999م . تحقيق: أسعد محمد الطيب

[4]- هو محمد بن يزيد ،أبو جعفر ، المؤرخ ، المفسر ، الإمام ، عرض عليه القضاء فامتنع ، و المظالم فأبى ، له :"جامع البيان عن تاويل آي القرآن " "أخبار الرسل و الملوك " وغيره .

-انظر ترجمته في :تذكرة الحفاظ .2/ 201 . سير أعلام النبلاء .267/14 . الأعلام .6/ 69.

على إيمانهم ذلك، فأخلصوا له الدين والعمل، فبيض الله وجوههم وأدخلهم في رضوانه وجنته) [1].

فهذه شذرات من أقوالهم وفصوص من دررهم نفثوها في رُوع من جاء من بعدهم صادرة من قلوب ممتلئة نورا وإيمانا وحكمة وعلما ومعرفة وفهما عن الله ورسوله، ونصيحة للأمة، وقلوبهم على قلب نبيهم، ولا واسطة بينهم وبينه، وهم ينقلون العلم والإيمان من مشكاة النبوة غضا طريا لم يشبه إشكال، ولم يشبه خلاف، ولم تدنسه معارضة) [2] فنَسبُ علمِهم وحسبه عائد إلى نسب وحسب علم النبوة وهو (نسب ألقت الشمس عليه رداءها، وحسب أرخت النجوم إليه أضواءها (فـــ) لم يزل فناؤهم قبلة الإقبال يتوجه إليها بنو الولاة، وكعبة الآمال يطوف بها وفود العفاة) [3] فمن رام صحة دينه التمسه عندهم وعند الحبيبﷺ.

[1] – جامع البيان .ج4.ص: 40.

[2] – إعلام الموقعين لابن القيم .ج1ص: 67.

[3] – مثنوي جلال الدين الرومي .شاعر الصوفية الأكبر .الكتاب الأول .ص: 71- 72 –المكتبة العصرية –صيدا - بيروت – ط1/1966م.ترجمة وشرح ودراسة: د: محمد عبد السلام كفافي.

رابعا: تفسير القرآن بقول التابعي:

وقد خلف هؤلاء الأجلة رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فأخلصوا دينهم لله فأولئك سادة العلماء المؤمنين فنهضوا بالقول الثقيل وحملوا الأمانة عبادة وقربى إلى الله تبارك اسمه، فعرف النّاس أقدارهم فبوّءوهم ما يستحقون من المكانة الرفيعة والمنازل الشريفة، حتى كانوا لعلمهم وورعهم تضرب إليهم أكباد الإبل، وتحط بفنائهم رحال الرجال، وتحدى باسمهم مطايا الآمال –كما يقال– فأكرهوا أنفسهم حتى توطّنت على معالي الأمور، وزهدوا في كل شيء إلا فيما يرجى نفعه عند الله تعالى، فما بالعهد بينهم وبين نبيهم ﷺ من قدم، فأنفاسه الندية ورائحته الزكية لا تزال حية في أشياخهم – ﷺ –، فأحاديثهم وتصرفاتهم عبادتهم وطاعتهم، حبهم وبغضهم، حركتهم وسكونهم، كل حياتهم أثارة من سيرته العطرة، مقتفين آثاره، واضعين أقدامهم حيث كان يضع ﷺ قدمه فورث عنهم حبل التابعين كل هذا وتفرقوا في الأمصار المختلفة ينشرون النور في العالمين، وبدهي أن يكون التفسير أول إشعاعات هذا النور الذي يحملونه إلى الناس، مع تبعات جديدة عاصروها، وأحداث مَن سبقوهم لم يألفوها سببها اتّساع مساحة الإسلام الجغرافية، وظهور الفرق والمذاهب، فكان عليهم التصدي لهذا وغيره، ومجاهدة من زاغ بهذا الكتاب المبين جهادا كبيرا على النحو الذي سلكه أسلافهم – ﷺ–.

ولا يعيننا أمر الاختلاف في تحديد معنى التابعي كثيرا، ذلك أنّ الاختلاف فيه شبيه بالاختلاف في من هو الصحابي؟ لأن علماء الرويات عرفوا من لقي الصحابة وأخذ عنهم وتتلمذ عليهم، وطالت ملازمته لهم ممن لم يلقهم و لم ينقل عنه أخذٌ عنهم، وقل من اشتبه أمره منهم، بالإضافة إلى أن أهل العلم بالتفسير فيهم أشهر من نار على علم – كما يقال– لأنهم كانوا رؤوس مدارس نهضت بهذا العلم وغيره في حواضر مختلفة من أمصار متعددة، وكتب علوم القرآن والحديث أطال أهلها الحديث في ذلك قديما وحديثا، وما دام أن حديث رسول الله ﷺ: (خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)[1] يشملهم وتحت شجرته الباسقة يستظلون، وهو شهادة لا تعدلها شهادة، ووسام فوق

[1] – رواه الإمام مسلم في صحيحه . عن عبد الله بن مسعود . كتاب فضائل الصحابة . باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم . حديث رقم 2533. ج4.ص: 1962.

هاماتهم أشرف من كل وسام، فيا ويح من انتقص من أقدارهم فرماهم بغير ما فيهم، فمنهم بمكة –وهل تجد لهم من شبيه أو عوض أو مثيل –: مجاهد، عطاء[1]، سعيد بن جبير[2]، عكرمة[3] وغيرهم وهم تلامذة حبر الأمة وترجمان القرآن، فهم أشبال من ذاك الأسد.

ومنهم بالمدينة زيد بن أسلم[4]، وأبو العالية[5]، ومحمد بن كعب القرظي(ت: 120ه) [6]وغيرهم، وهم ورثة علم الصحابة بمدينة رسول الله ﷺ وفيها كان أكثر وأعلم صحابة رسول الله ﷺ ومنهم في العراق – البصرة والكوفة – مسروق، وقتادة، والحسن البصري[7] وغيرهم فإن طلبت العلم والورع والزهد والخوف من الله ففر إلى تلامذة ابن مسعود واهرع إلى النجباء من ورثة علم علي بالعراق.

ومع أن الناس قد اختلفوا في غير ما لم يجمعوا عليه إلاّ أن إيراد أقوالهم هو الذي عليه عمل

---

[1] – ترجمته في: تهذيب الكمال .20 / 69 – 86 (رقم 3933) ، السير 5/ 78 – 88 (رقم 29) ، التقريب .ص: 331 (رقم 4590) .

[2] – ترجمته في: الطبقات الكبرى . ابن سعد . 6/ 267 – 277 (رقم 2317) ، تهذيب الكمال . المزي . 10 / 358 – 376 (رقم 2245) ، السير . الذهبي .4 / 321 – 343 (رقم 116) .

[3] – أبو عبد الله، أصله بربري . اتهم بألوان من البدع ولم تثبت عليه . وثقه المحدثون ورووا عنه في الصحاح وغيرها .
– انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى .ابن سعد . 5/ 219 – 224 (رقم 904) ، التاريخ الكبير . البخاري .7/ 49 (رقم 218) ، الجرح والتعديل .ابن أبي حاتم .7 / 7 – 9 (رقم 32) ، الثقات . ابن حبان . 5/ 229 – 230، تهذيب الكمال في أسماء الرجال . المزي 20 / 264 – 292 (رقم 4009) ، السير 5/ 12 – 36 (رقم 9) ، الشذرات . 130 .

[4] – ترجمته في: تهذيب الكمال . 10/ 12 – 18 (رقم 2088) ، السير . 5 / 316 – 317 (رقم 153) ، التقريب .ص: 162 (رقم 2117) .

[5] – رفيع بن مهران الرياحي (ت 90 ه) . انظر ترجمته في: تهذيب الكمال .9 / 214 – 218 (رقم 1922) ، السير 4 / 207 – 213 (رقم 85) ، التقريب .ص: 150 (رقم 1953) .

[6] – ترجمته في: تهذيب الكمال 26 / 340 – 348 (رقم 5573) ، السير 5/ 65 – 68 (رقم 23) ، التقريب .ص: 438 (رقم 6257) .

[7] – هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار، إمام أهل زمانه علما وعملا (ت: 110 ه) .
– انظر ترجمته في: تهذيب الكمال . 6 / 95 – 127 (رقم 1216) ، السير . 4 / 563 – 588 (رقم 223) ، معرفة القراء . 1 / 65 (رقم 21) ، غاية النهاية . 1 / 235 (رقم 1074) ، التقريب .ص: 99 (رقم 1227) .

المفسرين – كما يقول الزركشي – [1]، أما ما أجمعوا عليه فقد نص غير واحد على لزوم الذهاب إليه، قال ابن كثير: (إذا أجمعوا -يعني التابعين- على شيء فلا يرتاب في كونه حجة) [2]. وقد نقل عنهم الكثير من الأقوال في التفسير أثبت أكثرها الطبري في كتابه العظيم "جامع البيان"، وأما ما لم يجمعوا عليه في أقوالهم التفسيرية فقيل إنّها ليست حجة على من خالفهم إذ هي ليست حجة في الفروع فكيف تكون حجة في التفسير [3].

وبصرف النظر عن اختلاف الناس في قبول ما نقل عنهم مما لم يجمعوا عليه، فإن المفسرين قد ملأوا كتبهم بأقوالهم، ودونك عبد الرزاق الصنعاني[4] والطبري، وابن أبي حاتم وغيرهم، وكتب التفسير في دواوين المحدثين، فلينظر الآن في صحة المنقول عنهم من سقيمه وضعيفه لأن أكثر علومهم مستفادة من شيوخهم من غير أن ننفي ونبعد ثبوت أقوالٍ هُم مصدرها فإذا أضفنا إلى هذا علمَهم بالعربية التي لا تزال عندهم طبعا وسجية وسليقة،وليست صنعة واكتسابا [5]، علمنا أن أقوالهم من الأهمية بمكان في التفسير وفي غيره، وقد كانت مصادرهم في تفسير القرآن، القرآن نفسه على النحو الذي رأيناه عند الصحابة فإن لم يكن فسنة رسول الله – ﷺ – على الصورة التي مرّت مع الصّحابة، فإن عُدم التفسير في مصدري الشريعة – الكتاب والسنة – طلبوه من أقوال الصحابة وآرائهم، ثم زادوا في التوسيع في الأخذ عن أهل الكتاب خلافا لشيوخهم من الصحابة الذين كانوا حذرين في الأخذ عنهم، وما روى عنهم أنهم أخذوه منهم لا صلة له بأصول الدين وجوهر الشريعة وروايته محدودٌ أثرها لعدم تعلّقها بالعقيدة والأحكام لأن أقصى ما رووا عنهم تعلق ببدء الخلق وتفصيل قصة آدم وإخراجه من الجنة وقصة أصحاب الكهف وذي القرنين وعمل بني إسرائيل وما شاكل هذا، لكن تلامذتهم من التابعين توسّعوا في ذلك ولعل مرد ذلك كثرة الداخلين في الإسلام من أهل

---

[1]- البرهان في علوم القرآن.ج2.ص: 294وما بعدها.

[2]- تفسير ابن كثير .ج1.ص: 10.

[3]- انظر: المصدر نفسه .ج1.ص: 10.

[4]- هو عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني الحميري اليمني (أبو بكر) محدث ، حافظ فقيه ، أخذ عنه البخاري ، له "السنن" في الفقه ، و "المغازي" و "تفسير القرآن" (ت: 211هـ) .

-انظر ترجمته في : تذكرة الحفاظ .1/ 266 . تاريخ دمشق .ابن عساكر . 36 / 160 .

[5]- انظر: الإتقان في علوم القرآن.للسيوطي.ج4.ص: 188.

الكتاب حاملين معهم تراثهم الديني الذي ورثوه عن آبائهم وأجدادهم فهم إما يهود وإما نصارى أو من الفرس وإما آخذون عن هؤلاء أو هؤلاء أو هما معا، فعبد الملك بن جريج يقول المؤرخون إنّه نصراني رومي أسلم ويعد من كبار رواة الإسرائيليات أمّا كعب الأحبار فيهودي يمني، له علم بالتّوراة، ومثله عبد الله بن سلام في علمه بالتوراة، وأما وهب بن منبه ففارسي له اطلاع على كتب الماضين، قيل إنّه أخذ عن عبد الله بن سلام وكعب الأحبار، فهؤلاء المذكورون هم أشهر رواة الإسرائيليات وقد يلجأ التابعي إلى الاجتهاد والاستنباط إن لم يجد مبتغاه في الكتاب والسنة وتفسير الصحابة، وبعد الاستئناس ببعض روايات أهل الكتاب .

وما كان هؤلاء الذين ذكرت أسماؤهم وحدهم في طبقة مفسري التابعين بل إن الفترة شهدت ظهور مدارس بأكملها في التفسير-كما قلت- أئمتها من أوثق الناس في التفسير وغيره ولا يحوم حولهم طائر الشك لأصالة ما نقلوه وثبوت ما حفظوه مسندًا إلى الصحابة أو إلى رسول الله ﷺ، ولذا نجد أقوالهم جنبا إلى جنب مع أقوال الصحابة عند الطبقة التي تليهم، فهي في تفسير سفيان بن عيينة[1]

وتفسير وكيع بن الجراح[2]، وتفسير شعبة بن الحجاج[3]، وتفسير عبد الرزاق الصنعاني وتفسير

---

[1]- هو سفيان بن ميمون الهلالي الكوفي ، أبو محمد(ت: 198ه) : محدث الحرم المكي ، ولد بالكوفة ، كان حافظا ثقة ، واسع العلم كبير القدر ، له "الجامع " في الحديث و كتاب في "التفسير " .

- انظر ترجمته في : وفيات الأعيان .2/ 391 (رقم 267)، تذكرة الحفاظ .1/ 193(رقم 249) ، صفة الصفوة. 1/ 472-476(رقم 217) . الأعلام . الزركلي .3/ 105.

[2]- هو ابن مليح الرؤاسي ، أبو سفيان (ت: 197ه) حافظ الحديث ثبت ، كان محدث العراق في عصره ، ولد بالكوفة و تفقه وحفظ الحديث و اشتهر ، له كتب منها : "تفسير القرآن" ، و "السنن" و " الزهد" و غيرها .

- انظر ترجمته في : تذكرة الحفاظ .1/ 223(رقم 284) ، حلية الأولياء.8/ 412 (439) ، صفة الصفوة .1/ 391- 392 (رقم 509) .الأعلام .الزركلي . 8/ 117.

[3]- هو شعبة بن الورد العتكي الأزدي ، مولاهم الواسطي ثم البصري ، من أئمة رجال الحديث حفظا و دراية و تثبتا ، ولد ونشأ بواسط ، كان عالما بالأدب و الشعر ، له كتاب "الغرائب" في الحديث. (ت : 160ه) .

- انظر ترجمته في : تذكرة الحفاظ .1/ 144، حلية الأولياء .7/ 167(رقم 388) ، الأعلام .3/ 164 .

النسائي[1] وغيرهم إلى أن وصلت أقوالهم وأقوال من سبقهم في التفسير إلى الطبري الذي جمع فأوعى فقرب البعيد، وأوصل الأقوال بالأسانيد، وتبعه في مسلكه آخرون كابن أبي حاتم وغيره، سلاحهم في تمييز الصحيح من السقيم من تلك الأقوال الأسانيد، لأن النقل عن هؤلاء الأئمة وعن الصحابة، والرواية عن رسول الله ﷺ دخلها الدس والكذب من أعداء الإسلام تارة، ومن أصحاب الفرق والمذاهب تارة أخرى بالإضافة إلى تسلُّل الإسرائيليات والوضع والكذب إلى الرواية عن رسول الله ﷺ خاصة فظهر في هذا الخضم بوجه عام ضربان من التفسير: ضرب اجتمعت أدلّة صحته وقبوله وهذا لا يليق بعاقل إغفاله فضلا عن أن يرده، وضرب: ثبت عدم صحته، وتبيين خطئه لازم حتى يرد فلا يشتغل به [2].

وقد توسّع التفسير عن التابعين على نحو لم يعرف عند الصحابة حتى إنّك تستطيع أن تستلّ مؤلفا كاملا لمجاهد أو سعيد بن جبير (ت95 ه) أو عكرمةالبربري (ت104 ه) مولاه، أو زيد بن أسلم العدوي (ت136ه) ، أو قتادة أو الحسن البصري من تفسير الطبري على سبيل المثال لكثرة ماجمع فيه من أقوال هؤلاء وغيرهم موصولة بالصحابة أو بالنبي ﷺ أو من بنات اجتهاداتهم، ولا يُشك في ثبوت روايات في التفسير عنهم قالوها مجتهدين ليست موصولة بالصحابة فضلا عن أن تكون مسندة مرفوعة إلى رسول الله ﷺ [3].

وقد أحيطو – ﷺ– بزمان فتن ونشوء مذاهب واتساع لرقعة الإسلام، وتباعد الناس عن المصادر الأولى للفهم والاستيعاب، وتعقد الحياة الاجتماعية بوجه عام، وهي كلها عوامل وضعتهم أمام تغيرات عميقة مست البنية الاجتماعية والعلمية فكان عليهم أن يواكبوها، ولعل أبرز صور المواكبة توزعهم في أمصار الإسلام وحواضر العلم التي وضع نواة المدارس فيها أول مرة صحابة

---

[1] – هو أبو عبد الرحمان أحمد بن شعيب الخراساني ، الإمام الناقد الثبت (ت:303ه).

-

= مصادر ترجمته : تهذيب الكمال .المزي . 328/1 – 340 (رقم 48) .السير .الذهبي .14/ 125 – 126 (رقم 67) .تهذيب التهذيب .ابن حجر .1/ 32 – 33 (رقم 66) .

[2] – انظر: مناهل العرفان .ج2.ص: 30 وما بعدها .

[3] – انظر: التفسير والمفسرون.ج1.ص: 101.

رسول الله ﷺ وورثها عنهم هؤلاء الأجلة، وقد ظل التفسير في زمنهم يتلقى بالطّريقة التي كان عليها زمن الصحابة مع توسع وطغيان مرويات أهل الكتاب وتسللها إلى التفسير بسبب إسلام كثير من أهل الديانتين وغيرهم -كما قلت- محمَّلين بمواريثهم الدينية التي أمرنا بعدم تصديقها، كما أمرنا بعدم تكذيبها مما تعلق منها بقضايا الغيب بوجه عام -كما أسلفت- فإذا أضيف إلى هذا التوسع ظهور الفرق والمذاهب أدى بلا شك إلى سعة الاختلاف وتنوعه فكان سببا في اتساع دائرة التفسير وتلونها، لكنه اتساع نسبي إذا ما قيس بمراحل أعقبته وأتت بعده.

قال ابن تيمية[1]: (كان النزاع بين الصحابة في تفسير القران قليلا جدا وهو وإن كان في التابعين أكثر منه في الصحابة، فهو قليل بالنسبة إلى ما بعدهم) [2].والذي عليه الجم الغفير أن اختلافهم كان اختلاف تنوع لا تضاد في مجمله، ولهذا أسبابه اللغوية والشرعية أو هما معا، ولفظة: ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ الفاتحة: ٦ وآية فاطر: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾فاطر: ٣٢ ، وغيرهما من الآيات الكريمة دليل على ذلك .

وقد اختلف الناس حيال أقوالهم في التفسير فيما لم يجمعوا عليه فريقين ! فريق يرى قبول آرائهم في التفسير لأن بعضهم أخذ التفسير كله عن الصحابة كمجاهد، ولأن لسانهم لا يزال عربيا فصيحا، ثم إنهم يشملهم حديث القرون المشهود لها بالخيرية منه ﷺ وقد قال ابن تيمية: وبعض التابعين تلقى جميع التفسير عن الصحابة كمجاهد، وهم قد حملوا عنهم علم التفسير كما حملوا السنة، وربما تكلموا في التفسير استنباطا واستدلالا، كما تكلّموا في بعض السنن كذلك بالاستنباط والاستدلال[3].

ويرى الفريق الآخر أن أقوالهم ليست حجة في الأحكام فكيف تكون حجة في التفسير، فهم لم

1- هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الحراني الحنبلي تقي الدين بن تيمية شيخ الإسلام ، مات معتقلا بقلعة دمشق ، كان كثير البحث في فنون الحكمة ، داعية إصلاح في الدين آية في التفسير و الأصول ، فصيح اللسان ،له كتاب "الفتاوى " ، "منهاج السنة" ،" الصارم المسلول على شاتم الرسول "وغيرها ، توفي سنة (728هـ) .
- انظر ترجمته في : تذكرة الحفاظ .4/ 192 (رقم 1175) ، الدرر الكامنة .1 / 88 (رقم 409) ، الأعلام . 1/ 144 .

2- مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية .ص: 37.

3- انظر: المصدر نفسه، ص: 37، 38 .

يسمعوا من النبي ﷺ ولم يشاهدوا القرائن والأحوال التي نزل عليها القرآن ثم إن عدالتهم غير منصوص عليها كما نُص على عدالة الصحابة، حتى قال أحدهم وهو يقرر عدم حجية قول التابعي بوجه عام في التفسير وغيره، إذا وصل الأمر إلى التابعين: فهم رجال ونحن رجال [1].

وقد سمعتَ الزّركشي يقرر أن عمل المفسرين على قبول أقوالهم واعتمادها ونقلها في تفسيرهم، لأن غالبها منقول عن صحابة النبيّ ﷺ .

وسأكتفي بإيراد شواهد في التفسير لثلاثة منهم عرفوا أكثر من غيرهم بالرواية عن بني إسرائيل والإكثار من النقل عن أهل الكتاب وهم: كعب الأحبار ووهب بن منبه، وعبد الملك بن جريج، وضربت صفحا عن ذكر غيرهم من التابعين كابن المسيب وابن سيرين[2] ومجاهد والحسن البصري وغيرهم لأنهم فوق الشبهات ومن تكلم في بعضهم كمجاهد وعكرمة فقد رَدّ عليهم البخاري ومسلم بالرواية عنهم.

أمّا **كعب الأحبار** (الحميري اليماني العلامة الحبر ت: 32ه): فقد روى له مسلم واعتمد عليه[*]، قال عنه الذهبي: يهوديّ يمني أسلم بعد وفاة النبي ﷺ قدم المدينة في أيام عمر (كان حسن الإسلام، متين الدّيانة، من نبلاء العلماء، حدث عن عمر وصهيب ..وحدث عنه: أبو هريرة ومعاوية وابن عباس، وذلك من قبيل رواية الصحابي عن التابعي، وهو نادر عزيز) [3] وصف بانه من أوعية العلم، ونقل عنه أنه قال: (لأن أبكي من خشيةٍ أحبّ إلي من أن أتصدّق بوزني ذهبا) [4].

قال شمس الدين الذهبي إن كعب الأحبار (وقع له رواية في سنن أبي داود[5]،

---

[1]- انظر: التفسير والمفسرون .ج1.ص: 129.

[*]- وقيل: إن الشيخين لم يسندا من طريقه شيئا لكنّهما ذكراه عَرَضًا.

[2]- ذو العقل الرصين ، والورع المتين ، كان ذا زهادة و أمانة ، وحيطة و صيانة ، أدرك ثلاثين صحابيا ، مات بالبصرة (110ه).
- انظر ترجمته في : تذكرة الحفاظ . 1/ 62(رقم 74) ، صفة الصفوة 2/ 144- 148 (رقم 504) ، الكواكب الدرية . 1/ القسم الثاني (426- 428) .

[3]- سير أعلام النبلاء ج5.ص: 14،.ترجمة رقم: 333.

[4]- المصدر نفسه .ج5.ص: 15.

[5]- هو سليمان بن الأشعث السجستاني ، إمام من أئمة الحديث و نقاده ، وكتابه " السنن" أحد الكتب المعتمدة .

والترميذي[1] والنسائي ...وكان يغزو مع الصحابة ...توفي ...في حمص ذاهبا إلى الغزو في أواخر خلافة عثمان – ﷺ – فلقد كان من أوعية العلم) [2] وهو معدود –كما قال– في كبار التابعين، قال النووي: (وهو من فضلاء التابعين) [3].

وقد ورد ذكره عرضا – فيما يظهر– عند"مسلم" في الحديث الذي رواه عن أبي هريرة حين قال:

وحدثني حرملة بن يحيى .أخبرنا ابن وهب .أخبرني يونس عن ابن شهاب أن عمر وبن أبي سفيان بن أسيد بن جارية الثقفي أخبره أن أبا هريرة قال لكعب الأحبار: إن نبي الله ﷺ قال: « لكل نبي دعوة يدعوها، فأنا أريد إن شاء الله أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فقال كعب لأبي هريرة: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ ؟ قال أبو هريرة: نعم » [4].

وأما: **وهب بن منبّه** (ت: 110 وقيل: 113 وقيل: 114ه): اليماني الذّماري الصنعاني، الإمام العلامة الإخباري القصصي، قيل إنّ أصله من خراسان، من هرات أخذ عن ابن عباس، وابن عمر، وأبي سعيد، وجابر وغيرهم.

وروى عنه كثيرون فيهم عمرو بن دينار، وعاصم بن رجاء بن حيوة وخلق سواهم، وثّقه غير واحد منهم النسائي، أسلم على عهد النبي ﷺ وحسن إسلامه، روى عنه أنه لبث أربعين سنة لم

– انظر ترجمته في : الجرح والتعديل. ابن أبي حاتم .4/ 101 (رقم 456) ، السير .الذهبي .13 /203- 221 (رقم 117) .تهذيب التهذيب .ابن حجر .4/ 149 – 151(رقم 298) .

[1] – أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة السلمي الضرير أحد أئمة الحديث (ت: 279 ه)، كان مضرب المثل في الحفظ .

– انظر ترجمته في: تهذيب الكمال . المزي . 26 / 250 – 253 (رقم 5531) ، البداية والنهاية . ابن كثير . 11 / 79 – 80، النجوم الزاهرة . ابن تغرى بردي . 3 / 88 .

[2] – سير أعلام النبلاء ج5.ص : 14، 15 .ترجمة رقم: 333

[3] – صحيح مسلم بشرح الإمام محي الدين يحي بن شرف النووي المسمى المنهاج شرح الجامع الصحيح ج1.ص: 387-دار العلوم الإنسانية- دمشق-ط1418/1ه-1997م.تحقيق وتعليق: د: مصطفى ديب البغا.

[4] – صحيح مسلم ج1.ص: 189.كتاب الإيمان .باب اختباء النبي- صلى الله عليه وسلم- دعوة الشفاعة لأمته .حديث رقم: 337.

يسبّ شيئا فيه الروح، وقد وصفه غير واحد بكثرة العبادة [1].

ومن نفيس ما روي عنه قوله: (الإيمان عريان، ولباسه التقوى، وزينته الحياء، وماله الفقه)[2] وقوله: (... طوبى لمن وسعته السنة فلم يعدها [3].

وقد روي له في الصحيحين حديث واحد ذكره الذهبي [4]، وهو عند الترمذي أيضا، وأحمد في المسند، ولفظه عند البخاري: (حدثنا علي بن عبد الله، قال: حدثنا سفيان قال: حدثنا عمرو قال: أخبرني وهب بن منبه عن أخيه قال: سمعت أبا هريرة يقول: « ما من أصحاب النبي ﷺ أحدٌ أكثر حديثا عنه مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو، فإنه كان يكتب ولا أكتب ») [5].وكفى برواية الشيخين عنه تزكية وتوثيقا، فهو (مبرّء عما رمي به، مبرأ من كل ما يخدش عدالته وصدقه) [6].وإن أكثر من ذكر الإسرائيليات والقصص لكنه لا يتحمل وزر إدخالها في التفسير[7].

وفي صحيح مسلم: (حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير، حدثنا سفيان عن عمرو، عن وهب بن منبه، عن أخيه همام، عن معاوية، قال: قال رسول الله ﷺ: « لا تلحفوا في المسألة، فوالله: لا يسألني أحد منكم شيئا، فتخرج له مسألته منّي شيئا، وأنا له كاره، فيبارك له فيما أعطيته ») [8].

وأما **عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج**(ت: 150أو151ه): فهو الإمام العلامة الحافظ، شيخ

---

[1]- انظر: سير أعلام النبلاء.ج5 .ص: 443، 445 . (كبار التابعين -الطبقة الثانية-) ترجمة رقم: 586.

[2]- سير أعلام النبلاء.ج5 . ص: 447.

[3]- المصدر نفسه.ج5 . ص: 449.

[4]- انظر: سير أعلام النبلاء.ج5 . ص: 451، 452 .

[5]- صحيح البخاري .ج1.ص: 53.كتاب العلم .باب كتابة العلم .حديث رقم 113.

[6]- التفسير والمفسرون .ج1.ص: 194.

[7]- انظر: المرجع نفسه .ج1.ص: 194.

- وانظر: قول ابن كثير في غرائب وعجائب وهب وكعب الأحبار في تفسيره.ج5.ص: 240.

[8]- صحيح مسلم.ج2 ص: 718.كتاب الزكاة .باب النهي عن المسألة .حديث رقم: 99(1038) .

-وفي الرواية التي بعد المذكورة قال أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ت: 261ه (حدثنا ابن أبي عمر المكي، حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار، حدثني وهب بن منبه ودخلت عليه داره بصنعاء فأطعمني من جوزه في داره عن أخيه قال: سمعت معاوية بن أبي سفيان يقول: سمعت رسول الله - ﷺ- يقول: فذكر مثله). صحيح مسلم ج2.ص: 719.الكتاب والباب ذاتهما .

الحرم، صاحب التّصانيف، وأول من دون العلم بمكة، وهو عبد رومي، حدث عن كثيرين منهم عطاء بن أبي رباح (ت114ه) ، وابن أبي مُليكة، ونافع مولى ابن عمر، وأخذ حروفا من القراءات عن غير واحد منهم مجاهد وابن كثير قال الذهبي: (كان من بحور العلم، حدث عنه: الأوزاعي، والليث، والسفيانان، والحمادان ...ويحيى بن سعيد القطان ...وأمم سواهم) [1].

ونقل الذهبي عن علي بن المديني قال سألت يحيى بن سعيد: من أثبت من أصحاب نافع؟ قال: أيوب وعبيد الله ومالك، وابن جريج أثبت من مالك في نافع وهو عند الإمام أحمد أثبت الناس في عطاء وكتبه عند يحيى بن سعيد "كتب الأمانة" وقال الإمام أحمد: إذا قال ابن جريج: أخبرني، وسمعت فحسبك به، وكذلك إذا قال: سمعت أو سألت جاء بشيء ليس في النفس منه شيء وقيل فيه غير هذا [2].

وهو – كما قال الذهبي– في نفسه ثقة ورواياته في الكتب الستة ومسند أحمد وغيرها [3].

ففي صحيح مسلم قال: (وحدثني محمد بن أحمد بن أبي خلف، حدثنا روح بن جريج قال: أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول عن النبي ﷺ: "لكل نبي دعوة قد دعا بها في أمته، وخبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة) [4].

وروى عنه البخاري فقال: (حدثنا محمد .قال: أخبرنا مخلد بن يزيد قال: أخبرنا بن جريج قال: سمعت نافعا يقول: سمعت ابن عمر: رضي الله عنهما يقول: نهى النبي ﷺ أن يقيم الرجل أخاه من مقعده ويجلس فيه، قلت لنافع: الجمعة ؟ قال: الجمعة وغيرها) [5].

وفي موضع آخر قال أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري الجعفي في حديث طويل نكتفي فيه

---

[1]- سير أعلام النبلاء. ج6.ص: 487.ترجمة رقم: 969(الطبعة الخامسة).

[2]- انظر: المصدر نفسه. ج6.ص: 488.

[3]- انظر: المصدر نفسه. ج6.ص: 490.

[4]- صحيح مسلم ج1.ص: 190.كتاب الإيمان .باب اختباء النبي – ﷺ- دعوة الشفاعة لأمته .حديث رقم: 345(201)
– وانظر رواية مسلم في صحيحه ج4.ص: 2318. كتاب التفسير .حديث رقم: 20(2023) في سؤال سعيد بن جبير لابن عباس عن قتل المؤمن عمدا .

[5]- صحيح البخاري .ج1.ص: 301.كتاب الجمعة .باب: لا يقيم الرجل أخاه يوم الجمعة ويقعد في مكانه.

بموضع الشاهد: قال: (حدثنا أبو النعمان، حدثنا حماد بن زيد: أخبرنا عبد الملك بن جريج عن عطاء عن جابر وعن طاوس عن ابن عباس - ﷺ - قال: قدم النبي ﷺ صبح رابعة من ذي الحجة مهلين بالحج لا يخلطهم شيء، الحديث) [1].

وعند مسلم: (حدثنا حسن الحلواني وعبد بن حميد جميعا عن أبي عاصم، قال عبد: أنبأنا أبو عاصم عن ابن جريج أنه سمع أبا الزّبير يقول: سمعت جابراً يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) [2].

وقيل ذكر بعض أقوال هؤلاء الثلاثة في التفسير ينبغي أن نعلم أن التفسير بالمأثور بوجه عام معرض لتمحيص ونقد شديدين (لأن الصحيح من الروايات قد اختلط بغير الصحيح، ولزنادقة اليهود والفرس نشاط لا يجهله أحد في الدس على الإسلام وتشويه تعاليمه، ولأصحاب المذاهب والشيع ولع بجمع معاني القرآن وتنزيلها وفق هواهم، فكان على المفسر بالمأثور أن يدقق في تعبيره، ويحترس في روايته، ويحتاط كثيرا في ذكر الأسانيد) [3].حتى لا يوهن القوي، ويقوى ما التبست به علة، وقد مس شرر عدم التثبت هؤلاء الثلاثة وكلهم من التابعين، بل امتد السلق بالألسنة الحداد إلى عبد الله بن سلام وهو صحابي، بل من خيرة الصحابة فقد صح أنه نزل فيه القرآن، وروى غير واحد أنه عاشر عشرة في الجنة، أما الثلاثة الأخرون فقد علمت أقوال بعض المحققين فيهم عدلا وتوثيقا مع وجوب التفرقة بشأنهم (بين ما يصح أن يقال فيهم وما يصح أن ينقل عنهم، فأما ما يصح أن يقال فيهم فهو: الثقة والتقدير ... وأما الذي ينقل عنهم فمنه الصحيح وغير الصحيح، لكن عدم صحة ما لم يصح لا يعلل باتهامهم وجرحهم فقد علمت من هم؟) [4].

ومما روي من التفسير عن هؤلاء الثلاثة ما ذكره السيوطي قال: (أخرج ابن المنذر عن ابن جريج في قوله ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ الواقعة: ١٣ قال: ممن سبق، ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾ الواقعة: ١٤ قال: من

---

[1]- صحيح البخاري .ج2.ص: 828، 829.كتاب الشركة .باب الإشتراك في الهدي والبدن، وإذا أشرك الرجل الرجل في هدية بعدما أهدى .حديث رقم: 23071.

[2]- صحيح مسلم .ج1.ص: 65.كتاب الإيمان .باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل حديث رقم: 65(41) .

[3]- مباحث في علوم القرآن .د: صبحي الصالح ص: 239 - مطبعة الجامعة السورية - دمشق-1377ه-1958م.

[4]- مناهل العرفان في علوم القرآن .ج2.ص: 35

هذه الأمة)[1].

وأورد تفسيره أيضا لقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾الحشر: ٧ فقال: (أخرج ابن المنذر عن ابن جريج-رضي الله عنه- ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ من طاعتي وأمري: ﴿فَخُذُوهُ﴾ ﴿وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ من معصيتي﴿فَٱنتَهُوا۟﴾[2]وروى الطبري تفسير ابن جريج في قوله سبحانه: ﴿رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا﴾ المائدة: ١١٤ فقال: (حدثنا القاسم قال: حدثنا الحسين قال: ثني حجاج عن ابن جريج، قوله: ﴿رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا وَءَاخِرِنَا﴾ قال: الذين هم أحياء منهم يومئذ " وآخرنا " من بعدهم منهم)[3].

ونقل عنه السيوطي في تفسير سورة الصف فقال: (أخرج ابن المنذر[4] عن ابن جريج في قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ الصف: ٦ قال: محمد ﷺ وفي قوله ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ الصف: ٨ قال: بألسنتهم) [5] وروى ابن جرير في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ المائدة: ١١٦ أنّ هذا يوم القيامة قال: (حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ

---

[1]- الدر المنثور في التفسير بالمأثور .ج8.ص: 8.

[2]- الدر المنثور في التفسير بالمأثور .ج8.ص: 104.

-وانظر تفسيره في المؤلّف المذكور لقوله تعالى: في آخر سورة الحشر: "عالم الغيب"و"القدوس"ج8.ص: 123

[3]- جامع البيان عن تأويل آي القرآن .ج7.ص: 132.

[4]- هو محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري ، أبو بكر فقيه مجتهد من الحفاظ ، له كتب منها :"المبسوط " في الفقه " الأوسط" في السنن و الاختلاف ،و "تفسير القرآن " و غيرها (ت 319 ه) .

- انظر ترجمته في : تذكرة الحفاظ .3/ 5 (رقم 775) ، طبقات الشافعية .الإسنوي .2 / 197 (رقم 1014) ، سير أعلام النبلاء.14 / 490 (رقم 275) ، الأعلام . 5/ 294 .

[5]- الدر المنثور في التفسير بالمأثور .ج8.ص: 148.

سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ المائدة: ١١٦، قال: والناس يسمعون فراجعه بما قد رأيت، وأقر له بالعبودية على نفسه، فعلم من كان يقول في عيسى ما يقول أنه إنما كان يقول باطلا) [1].

ونقل عن كعب تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَاۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾ الحاقة: ١٧ قال الجلال السيوطي: (أخرج ابن عساكر[2] عن كعب قال: (لبنان أحد الثّمانية يحمل العرش يوم القيامة)[3].

وروى الطبري بسنده إلى كعب أنه قال في تفسير قوله سبحانه: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ الشورى: ٥ فقال: (جاء رجل إلى كعب فقال: يا كعب أين ربنا ؟ فقال له الناس: ...الله تعالى أفتسأل عن هذا ؟ فقال كعب: دعوه، فإن يك عالما ازداد، وإن يك جاهلا تعلم ... إلى أن قال — أي كعب — إقرأوا إن شئتم "تكاد السماوات يتفطرن من فوقهن "الآية [4].

كما روى الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ مريم: ٥٦ – ٥٧، بسنده إلى ابن عباس قال: (سأل ابن عباس كعبا وأنا حاضر — أي

---

[1]- جامع البيان عن تأويل آي القرآن .ج7.ص: 137.

- وانظر: قول ابن جريج أيضا في قوله تعالى بعدها: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ المائدة: ١١٧ ج7.ص: 139.

- وانظر: أيضا قول ابن جريج في جامع البيان .للطبري .ج11.ص: 165، 166 .

[2]- هو علي بن الحسن بن هبة الله ، أبو القاسم ابن عساكر الدمشقي المؤرخ الحافظ الرحالة ، كان محدث الديار الشامية ، و رفيق السمعاني ، له : "تاريخ دمشق الكبير " و "الإشراف على معرفة الأطراف " (ت : 571ه) .

- انظر ترجمته في : تذكرة الحفاظ .4/ 82 (رقم 1092) ، ابن خلكان .3/ 309 (رقم 441) ، طبقات الشافعية .الإسنوي .2/ 94 (رقم 837) ، دائرة المعارف الإسلامية .1/ 258 . الأعلام . 4/ 273 .

[3]- الدر المنثور .ج8.ص: 270.

[4]- جامع البيان عن تأويل آي القرآن .ج25.ص: 07.

هلال بن يساف – فقال له: ما قول الله تعالى لإدريس: ﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ مريم: ٥٧، قال كعب: أما إدريس، فإن الله أوحى إليه: إني رافع لك كل يوم مثل عمل جميع بني آدم، فأحب أن تزداد عملا...) [1].

أمّا وهب بن منبه: فقد قال في تفسير قوله تعالى في سورة مريم: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ مريم: ٣٦ ، كما روى ذلك عنه الطبري بسنده (قال: – أي وهب – عهد إليهم حين أخبرهم عن نفسه ومولده وموته وبعثه: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ مريم: ٣٦ أي إنّي وإيّاكم عبيد الله، فاعبدوه ولا تعبدوا غيره) [2].

وقال وهب بن منبه أيضا كما روى ذلك الطبري عنه في قوله سبحانه: ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ مريم: ٣٣ قال: (يخبرهم في قصة خبره عن نفسه أنه لا أب له وأنه سيموت ثم يبعث حيا، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ مريم: ٣٤)[3].

وروى عنه أنه قال في تفسير: ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ مريم: ٢٩ فأجابهم عيسى عنها فقال لهم: ﴿ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴾ مريم: ٣٠) [4].

وفي قوله سبحانه: ﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴾ مريم: ٢٧ قال وهب بن منبه: (أنساها – يعني مريم – كرب البلاء وخوف الناس ما كانت تسمع من الملائكة من البشارة بعيسى، حتى إذا كلمها يعني عيسى وجاءها مصداق ما كان الله وعدها احتملته ثم أقبلت به إلى قومها) [5].

---

[1]- جامع البيان عن تأويل آي القرآن .ج16.ص: 96.

[2]- المصدر نفسه .ج16.ص: 85.

[3]- المصدر نفسه .ج16.ص: 82.

[4]- المصدر نفسه.ج16.ص: 80.

[5]- المصدر نفسه.ج16.ص: 76.

وفسر وهب بن منبه منادي مريمَ بأنه عيسى عليه السلام فقال كما روى عنه الطبري بسنده: (عن وهب بن منبه "فناداها" عيسى "من تحتها ألا تحزني") [1].

إن الملاحظ فيما سبق من معاني الآيات جميعها سواء منها ما كان توضيحه بآية أخرى أو بقول من رسول الله ﷺ أو بقول صحابي أو تابعي ، هو وضوحها و عدم غموضها ، فإن قال مفسر كالطبري إن تأويل قوله تعالى كذا ، وقال غيره وتفسير هذه الآية ومعناها كذا فإن المراد هنا أنه لا فرق بين مصطلح "التفسير" و مصطلح التأويل ، فهل حقيقة معناهما هي هذه ؟.

[1]- جامع البيان عن تأويل آي القرآن .ج16.ص: 68.

المبحث الثاني: بين التفسير والتأويل:

درج المتصدّون لشرح آيات القرآن الكريم منذ القرون الأولى على استعمال مصطلحات وتوظيف عبارات: التفسير،و التأويل،والمعنى،و الثلاثة بينها عندهم تفاوت في الاستعمال؛ فكلمة التفسير أوسع دائرة تليها التأويل،و يندر استعمال المعنى عند المفسرين المحدثين والمعاصرين إلا إذا أرادوا المعنى الإجمالي للآيات الذي يوجز مفهومها العام بعيدا عن التفصيل الذي يتناول الإعراب والقراءات والناسخ والمنسوخ وأسباب النزول وأقوال المفسرين والمكي والمدني وغيرها.

وقد اختلف الناس في معنى التفسير والتأويل – خاصة – اختلافا شديدا .

أما لفظة المعنى أو المعاني عند أهل هذا العلم فإنّها إذا أطلقت انصرف الذهن معها إلى نوع من المؤلفات التي عنونها أصحابها بهذا العنوان، كـ: "معاني" الفراء[1] والزجاج[2] وغيرهما،قال الزركشي: (وحيث قال المفسرون: "قال أصحاب المعاني"فمرادهم مصنفوا الكتب في معاني القرآن كالزجاج ومن قبله وغيرهم... وحيث أطلق المتأخرون أهل المعاني،فمرادهم بهم مصنفوا العلم المشهور)[3]،ومعلوم أن المفسرين إذا أرادوا مفهوم الآية استعملوا مفرد اللفظة وجمعَها فإن أرادوا مصنفات العلم المشهور جمعوا اللفظة مع إضافتها لا غير.و لعل مصطلحي التفسير والتأويل خاصة استعملا بمعنى واحد لزمن غير قصير ولا ندري على وجه التحديد متى وقع ما يشبه الانفصال بينهما فحمل هذا معنى وأفاد الآخر معنى مخالفا ومغايرا له أو قريبا في معناه منه ؛ فالجلال السيوطي يذكر طائفة من الأئمة منهم مجاهد وأبو عبيد لا يرون فرقا بين المصطلحين، فاللفظان مترادفان [4] .

---

[1] – هو أبو زكريا يحي بن زياد بن عبد الله الفراء إمام العربية (ت207هـ) .

– انظر ترجمته : تاريخ بغداد 14 / 149 - 155 (رقم7467) ، إنباه الرواة على أنباء النحاة . القفطي .4/ 7 – 23 (رقم814) ، غاية النهاية .ابن الجزري . 2/ 371 – 372 (رقم 3842) ، بغية الوعاة 2/ 333 (رقم 2115).

[2] – هو أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج ، عالم بالنحو و اللغة ولد ببغداد و مات بها سنة (310هـ) .

– انظر ترجمته في: تاريخ بغداد .الخطيب البغدادي .6/ 89 – 93 (رقم 3126) ، معجم الأدباء . الحموي . 1 / 82 - 95 (رقم9) ، وفيات الأعيان و أنباء الزمان . ابن خلكان . 1 / 49 – 50 (رقم 13) .

[3]- البرهان في علوم القرآن.ج2.ص: 283 .

[4]- انظر: الإتقان في علوم القرآن.ج4.ص167.

و مثلهم البغوي[1] وابن عطية[2] وسواهما، لكن غيرهم من بعض المتقدّمين، وكثير من المتأخرين والمعاصرين ومؤلفي كتب مناهج التفسير ذكروا الاختلاف الحاصل بين المصطلحين، "فابن الجوزي" يذكر أنهما عند قوم يميلون إلى العربية بمعنى واحد،وهو قول جمهور المفسرين المتقدمين،و عند آخرين فيهم ميل إلى الفقه إلى أنهما مختلفان .

فالتفسير عندهم: (إخراج الشيء من مقام الخفاء إلى مقام التجلي.

والتأويل: نقل الكلام عن موضعه فيما يحتاج في إتيانه إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ،فهو مأخوذ من قولك: آل الشيء إلى كذا،أي،صار إليه) [3].فكأن التفسير: إيراد لأسباب النزول، ومعنى الكلمة من الناحية اللغوية، بينما التأويل هو الفحص عن أسرار الكلمة، واستلال معان محتملة إن كانت مشتملة عليها. وسواء كانت النسبة بينهما التّساوي أم كان أحدهما وهو التفسير أعمَّ من الآخر وهو التأويل،فكأن التأويل: بيان مدلول اللفظ بغير المتبادر منه لدليل،و التفسير بيان المعنى بالمتبادر أو بغير المتبادر أو كانا متباينين على النحو الذي أورده الآلوسي [4]و الفيروزآبادي [5]، فلابد من الرجوع إلى أهل اللغة لمعرفة الفروق – إن وجدت– بين المصطلحين.

جاء في: "باب معاني ألفاظ العبارات التي يعبر بها عن الأشياء"لابن فارس(أبي الحسن أحمد: 395ه

---

[1]- هو الحسن بن مسعود بن محمد الفراء أبو محمد (ت:510ه)، يلقب بمحيي السنة ، فقيه ، محدث ، مفسر ،نسبة إلى " بغا " من قرى خراسان، بين هراة و مرو ، له "التهذيب" في فقه الشافعية ،" شرح السنة " في الحديث ،"لباب التأويل في معالم التنزيل" في التفسير وغير ذلك.

-مصادر ترجمته : وفيات الأعيان .2 / 136 (رقم 185) ، دائرة المعارف الإسلامية .6 / 1797 .الأعلام .2 / 259 .

[2]- هو عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمان بن عطية المحاربي ، من محارب قيس الغرناطي ، أبو محمد مفسر فقيه أندلسي ، عارف بالأحكام و الحديث ، له " المحرر الوجيز " (ت: 542ه) .

- انظر ترجمته في : بغية الوعاة .2 / 83 (رقم 1470)، تذكرة الحفاظ .4/ 45(رقم 1069) ، بغية الملتمس .339(رقم 1103)، نفح الطيب .2/ 523 – 528 .

[3]- زاد المسير في علم التفسير.ج1.ص: 2.دار الفكر-بيروت.ط1/1407ه-1987م.حققه وكتب هوامشه: محمد بن عبد الرحمان عبد الله،خرج أحاديثه: أبو هاجر السعيد بن بسيوني زغلول.

[4]- انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني.ج1.ص: 24.

[5]-انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز.ج1.ص: 78، 79.

على أصح الأقوال)[1] قال -رحمه الله-: (ومرجعها إلى ثلاثة وهي: المعنى والتفسير والتأويل) وهي وإن اختلفت فإن المقاصد بها متقاربة.

فأما المعنى: فهو القصد والمراد، يقال: عنيت بالكلام كذا، أي قصدت وعمدت...وقال قوم: اشتقاق المعنى من الإظهار، يقال: عنت القربة، إذا لم تحفظ الماء بل أظهرته، وعنوان الكتاب من هذا...

وأما التفسير فإنه التفصيل، كذا قال ابن عباس في قوله-جل ثناؤه: ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ الفرقان: ٣٣ قال: تفصيلا.

وأما اشتقاقه فمن الفسر...عن الخليل قال: الفسر البيان،واشتقاقه من فسر الطبيب الماء،إذا نظر إليه،ويقال لذلك التفسرة أيضا.

و أما التأويل فآخر الأمر وعاقبته، يقال: إلى أي شيء مآل هذا الأمر؟أي مصيره وآخره وعقباه،وكذا قالوا في قوله-جل ثناؤه: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾آل عمران: ٧ أي لا يعلم الآجال والمدد إلا الله-جل ثناؤه-.واشتقاق الكلمة من المآل وهو العاقبة والمصير)[2].

---

[1]- هو أحمد بن فارس بن زكريا : اللغوي صاحب "المجمل" أصله من قزوين كان فقيها شافعيا ، فصار مالكيا ، له تصانيف كثيرة منها "جامع التأويل في تفسير القرآن ""سيرة النبي ﷺ " "أخلاق النبي ﷺ " "مقاييس اللغة " ، مات سنة (395ه) .

- انظر ترجمته في : طبقات المفسرين .السيوطي .15/ 16 (رقم 6) ، بغية الوعاة .1 / 352 (رقم 680) ، وفيات الأعيان 1./118 (رقم 49).

[2]- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها . ص: 192، 193، مؤسسة بدران للطباعة والنشر – بيروت . 1382ه-1963م تحقيق وتقديم: مصطفى الشيوعي .

- وانظر: معاني المصطلحات الثلاث في " بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزبادي (مجد الدين بن يعقوب ت: 817 ه) ج1 .ص: 78 وما بعدها . المكتبة العلمية – بيروت . تحقيق: محمد علي النجار .

أولا : التفسير لغة و اصطلاحا :

التفسير لغة :

قال ابن منظور(ت: 711ه)[1]: الفسر: (بفتح الفاء)البيان،فسر(بالتخفيف وعدم الإدغام)الشيءَ يفسره بالكسر، ويفسره بالضم فسرا، وفسره (مثقلا مدغما) أبانه والتفسير مثله. ابن الأعرابي[2]: التفسير والتأويل والمعنى واحد.وقوله عزوجل: ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ الفرقان: ٣٣ الفسر: كشف المغطى، والتفسير: كشف المراد عن اللفظ المشكل،و التأويل: رد أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر.

واستفسرته كذا: أي سألته أن يفسره لي،و الفسر: نظر الطبيب إلى الماء،وكذلك التفسرة،قال الجوهري: وأظنه مولدا،وقيل التفسرة: البول الذي يستدل به على المرض،و ينظر فيه الأطباء يستدلون بلونه على علة العليل...و كل شيء يعرف به تفسير الشيء ومعناه فهو تفسرته)[3].

وقد ألف أبو الفتح عثمان بن جني (ت: 392ه)[4] كتابا شرح فيه ديوان المتنبي[5] جعل عنوانه"الفسر"قال في مقدمته موضحا فيها معنى العنوان: (سألت...أن أصنع لك شعر أبي

---

[1]- هو محمد بن عبد الله بن منظور القيسي (أبو بكر) الأنصاري الإفريقي المصري جمال الدين أبو الفضل صاحب " لسان العرب" في اللغة ، الذي جمع فيه بين التهذيب و المحكم و الصحاح و حواشيه و الجمهرة و النهاية ، كان صدرا رئيسا ، فاضلا في الأدب ،مليح الإنشاء ، روى عنه السبكي و الذهبي . بغية الوعاة .(باب المحمدين) .1/ 248 (رقم 457) .

[2]- هو محمد بن زياد ،أبو عبد الله بن الأعرابي من موالي هاشم ، قال الجاحظ : كان نحويا عالما باللغة و الشعر ، نسابا كثير السماع، راوية للأشعار ، حسن الحفظ لها ، له كتاب : "مدح القبائل " ، "تفسير الأمثال " وغيرها (ت: 230) .

- انظر ترجمته في : وفيات الأعيان .4/ 360 (رقم 633) ، بغية الوعاة .1/ 105 (رقم 174) .

[3]- لسان العرب.ج10.ص: 261. دار إحياء التراث العربي . مؤسسة التاريخ العربي – بيروت .ط1/ 1416ه – 1995م . باعتناء: أمين محمد عبد الوهاب، محمد الصادق العبيدي .

[4]- هو عثمان بن جني (أبو الفتح النحوي) ، من أحذق أهل الأدب و أعلمهم بالنحو و التصريف ، صنف : الخصائص في النحو، سر الصناعة ، اللمع في النحو .

- انظر ترجمته في : بغية الوعاة .2/ 132 .(رقم 1625) ، وفيات الأعيان .3/246 (رقم 412)

[5]- هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي ، الشاعر الحكيم ، أحد مفاخر الأدب العربي ، له الأمثال السائرة ، والحكم البالغة و المعاني المبتكرة . انظر :وفيات الأعيان .ج1/ 120 . الأعلام .الزركلي . 1/ 115 .

الطيب...بفسر معانيه،وإيراد الأشباه فيه،و إيضاح عويص إعرابه،وإقامة الشواهد على غريبه) [1].

وللزوزني[2](أبو سهل محمد بن الحسن) مؤلّف في الرّدّ على ابن جنّي في شرحه لديوان المتنبي بعنوان: "قشر الفسر"[3].

و قال الجرجاني[4](علي بن محمد بن علي ت: 816ه): التفسير: في الأصل هو الكشف والإظهار[5].

وقال الفيروزابادي (مجد الدين محمد بن يعقوب ت: 817ه): (الفسر: الإبانة وكشف المغطى كالتفسير،و الفعل كضرب ونصر،ونظر الطبيب إلى الماء كالتفسرة،أوهي البول كما يستدل به على المرض،أوهي مولدة، ثعلب: "التفسير والتأويل واحد" أو هو كشف المراد عن المشكل، والتأويل رد أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر) [6].

وقبل ابن منظور والفيروز ابادي،قال ابن فارس: ("فسر"الفاء والسين والراء،كلمة واحدة تدل على بيان شيء وإيضاحه من ذلك الفسر،يقال: فسرت(بالتخفيف)الشيء وفسرته(بالإدغام)،والفسر والتفسرة: نظر الطبيب إلى الماء وحكمه فيه) [7].

---

[1]- "الفسر" شرح ابن جني الكبير على ديوان المتنبي، صنعة: أبي الفتح عثمان بن جني النحوي.ج1.ص: 03.دار الينابيع-دمشق.ط2004/1. تحقيق وتقديم: د: رضا رجب.

[2]- هو محمد بن الحسن بن سليمان الزوزني ،كان من أساطين العلم توفي ببخارى سنة(370ه) .طبقات الشافعية .ابن السبكي.ج3. ص: 128.

[3]- المصدر نفسه-قسم الدراسة.ص: 509.

[4]- هو علي بن محمد بن علي المعروف بالشريف الجرجاني ، فيلسوف من كبار العلماء بالعربية له "التعريفات " وغيره . الأعلام.7/6.

[5]- كتاب التعريفات.ص: 87. دار الكتاب العربي –بيروت .ط1418/4ه-1998م.حققه وقدم له ووضع فهارسه: إبراهيم الأبياري.

[6]- القاموس المحيط.ص: 456.مؤسسة الرسالة-بيروت.ط1419/6ه-1998م.تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة .بإشراف: محمد نعيم العرقوسي.

[7]- معجم مقاييس اللغة.ج4.ص: 504. طبعة اتحاد الكتاب العرب . 1423ه- 2002م. تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون.

وقال أبو جعفر النحاس[1] (ت338ه)وهو يفسر قول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾آل عمران: ٧: (قيل: الفرق بين التأويل والتفسير،أن التفسير نحو قول العلماء: الريب: الشك،والتأويل نحو قول ابن عباس: الجد أب،وتأمل قول الله: "يا بني آدم")[2]

أما البغوي فأصل التفسير – وهو الكلام في أسباب نزول الآية وشأنها وقصتها،فلا يجوز إلا بالسماع بعد ثبوته من طريق النقل-كما يقول- عنده فمن التفسرة (وهي: الدليل من الماء الذي ينظر فيه الطبيب فيكشف عن علة المريض،كذلك المفسر يكشف عن شأن الآية وقصتها [3].

وما لا ينبغي أن يجهل هو أن لفظة "التفسير"ذُكرت مرة واحدة في القرآن الكريم في سورة الفرقان في قوله تعالى﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ الفرقان: ٣٣، وسنقف على معنى اللفظة عند جملة من المفسرين حين نفرغ من معناها اللغوي الذي هو عند الراغب الأصفهاني[4]المتوفى في حدود (425ه)في المبالغة كالفسر،والفسر: إظهار المعنى المعقول –كما ذكر- وقد يطلق على مفردات الألفاظ وغريبها وعلى التأويل، ولهذا قالوا: تفسير الرؤيا وتأويلهاوفي كتاب الله تعالى﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ الفرقان: ٣٣ [5](فالتفسير والتأويل عنده –رحمه الله تعالى- واحد) .

ومعناه عند أبي حيان في اللغة: الإستبانة والكشف، ومنه قيل للماء الذي ينظر فيه الطبيب:

---

[1] – الإمام الكبير ، واللغوي الشهير أحمد بن محمد بن اسماعيل و يقال : ابن النحاس الفقيه الشافعي ، صاحب التآليف الكثيرة ، أجمع العلماء على تقدمه و سعة علمه .

– انظر ترجمته في : إنباه الرواة على أنباء النحاة . القفطي .1 / 136 - 139 (رقم 50) ، وفيات الأعيان .ابن خلكان . 1/ 39- 40 (رقم 40) ، بغية الوعاة . السيوطي .1 / 703 (رقم 703) .

[2]- معاني القرآن.ج1.ص: 351.طبعة جامعة أم القرى –مكة المكرمة.ط1/1408ه-1988م. تحقيق: محمد علي الصابوني.

[3]- تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل.ج1.ص: 68.دار إحياء التراث العربي –بيروت.ط1/1420ه-2000م،تحقيق: عبد الرزاق المهدي.

[4] – هو أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني (ت502ه) كان من الحكماء العلماء ، وكان يقرن بالغزالي . انظر ترجمته : بغية الوعاة .2/ 297 (رقم2015) .

[5]- مفردات ألفاظ القرآن.ص: 636. دار القلم – دمشق .الدار الشامية – بيروت .ط1/ 1416ه – 1996م . تحقيق: صفوان عدنان داوودي .

تفسرة كما قال "ابن دريد"[1] وكأنّه تسمية بالمصدر، لأن فَعَّل جاء مصدره على تفعلة أيضا نحو: جرب تجربة، وإن كان القياس في الصحيح من فعَّل المثقل المدغم المشدد تفعيل كقوله سبحانه: ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ الفرقان: ٣٣، وقد يطلق التفسير على التعرية للانطلاق، قال ثعلب[2]: فسرت الفرس عريته لينطلق في حصره، وهو عائد في معناه للكشف،فكأنه كشف ظهره لهذا الذي يريده منه من الجري [3].

وهو عند الخليل الفراهيدي (أبي عبد الرحمان ت: 175ه)[4]: (فسر: الفسر: التفسير وهو بيان وتفصيل للكتاب، وفسره (بالتخفيف وعدم الإدغام) يفسره فسرا،وفسره تفسيرا،والتفسرة: اسم للبول الذي ينظر فيه الأطباء،يستدل به على مرض البدن،وكل شيء يعرف به تفسير الشيء فهو التفسرة)[5].

1- محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية ، مولده بالبصرة سنة (223ه) و قرأ على علمائها ، روى عنه أبو سعيد السيرافي و المرزباني و غيرهم وله شعر كثير ، كان واسع الحفظ جدا له من التصانيف :" الجمهرة " ، "الأمالي " و غيرها .

– انظر :بغية الوعاة (باب المحمدين) .1/ 76 (رقم 130) ، طبقات الشافعية .الإسنوي .1/ 249 (رقم 469) ، السير.15/ 96 (رقم56).

2– أحمد بن يحي أبو العباس : إمام الكوفيين في النحو و اللغة مات سنة (291ه) .

– انظر ترجمته في :بغية الوعاة .1/ 396 (رقم 787) ، تذكرة الحفاظ .2/ 174(رقم 686) ، وفيات الأعيان .1/ 102 (رقم 43) .

3- البحر المحيط.ج1.ص: 26.

– وانظر: معنى التفسير في: تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنويل.ج1.ص: 12. دار الكتب العلمية – بيروت .ط1/1415 ه – 1995م . ضبطه وصحّحه: عبد السلام محي علي شاهين .

4– هو أبو عبد الرحمان الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري ، صاحب العربية و العروض ، قال السيرافي : كان الغاية في استخراج مسائل النحو ، و تصحيح القياس فيه ، وهو أول من استخرج العروض ، كان من الزهاد في الدنيا و هو أستاذ سيبويه ، كان خيّرا متواضعا ، ذا زهد و عفاف .

– انظر ترجمته في : بغية الوعاة .1/557 (رقم 1172) ، السير .7/429 (رقم 161)، وفيات الأعيان . 2/ 244 (رقم 220)

5- كتاب العين.ج7.ص: 247، 248 . مؤسسة دار الهجرة . قم .إيران .ط1/ 1465 ه . تحقيق: فهد المخزومي، إبراهيم السامرائي .

وقال الأزهري (أبو منصور محمد بن أحمد: 370ه)[1]: (ثعلب عن ابن الأعرابي: الفسر: كشف ما غطي.وقال الليث: الفسر: التفسير وهو بيان وتفصيل للكتاب،وأخبرني المنذري عن أبي العباس عن ابن الأعرابي قال: التفسير والتأويل والمعنى واحد،وقال الليث: التفسرة: اسم البول الذي ينظر فيه الأطباء يستدلون بلونه على علة العليل،و كل شيء يعرف به تفسير الشيء ومعناه فهو تفسرته،وقوله عزوجل: "وأحسن تفسيرا"الفسر: كشف المغطى) [2].

التفسير في الاصطلاح:

إن وضع تعريف جامع مانع لعلم التفسير متعذر بسبب امتدادات وتعلقات هذا العلم بفروع المعرفة الإسلامية المتعددة بل الإنسانية، وتجدد معانيه مع استمرار وتجدد وتنوع هذه المعارف بلا رابط زماني إلى آخر الدهر، وعليه فإن بعض هذه التعاريف أحيانا فيها ما هو مخرج لفنون من المعارف داخلة فيه بل هي منه كالقراءات والرسم، وإن كان لا يتوقف تفسيره وفهم معناه على كثير من جزئياتهما، لكن جزئيات أخرى فيهما قد تكون عاملا مساعدا يستأنس به في زيادة فهمه وتوضيح معناه [3].

وقد أعدت ذكر بعض التعريفات اللغوية لما بدا لي فيها من الإشارات المباشرة للمعاني الاصطلاحية، ثم إن بعض أصحاب هذه التعريفات لغويون ومفسرون أيضا، من غير أن أنكر أن الصرامة المنهجية تقتضي أن يذكر اللغوي مع اللغوي من مصادره، والاصطلاحي مع الاصطلاحي من مصادره كذلك .

---

[1] – أحد أئمة اللغة الفقيه الصالح . انظر ترجمته في: وفيات الأعيان . 4/ 334 (رقم 639) ، طبقات الشافعية . الاسنوي . ج1 / 35 (رقم 29) ، بغية الوعاة . السيوطي . 1 / 19 – 20 (رقم 29) .

[2]- تهذيب اللغة.ج12.ص:406، 407 .الدار المصرية للتأليف والترجمة . تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني . مراجعة: علي محمد البجاوي .

–وانظر: مختار الصحاح . محمد ابن أبي بكر بن عبد القادر . ص: 503 ـ دار الحديث ـ القاهرة . باعتناء: محمود خاطر

–وانظر: تاج العروس من جواهر القاموس . للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي . ج 13 . ص: 323، 324، إصدار: وزارة الإعلام ـ الكويت . تحقيق: د: حسن نصار، مراجعة: عبد العليم الطحاوي، عبد الستار أحمد فراج 1394 هـ ـ 1994 م .

[3] – انظر: التفسير والمفسرون .ج1.ص: 17.

قال سيبويه (ت180ه) [1]: (التفسير: كشف المراد عن اللفظ المشكل) [2].

وقد تبعه الفيروزآبادي فردد التعريف ذاته [3]، وقال في " بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز": (وحقيقته ـــ يعني التفسير ـــ كشف المتغلق من المراد بلفظه، وإطلاق المحتبس عن الفهم به)[4].

وفي التمييز والفرق بينه وبين التأويل قال: (التفسير هو البحث عن سبب نزول الآية والخوض في بيان موضع الكلمة من حيث اللغة) [5].

وقد سبقهما إلى هذا التعريف «الأزهري» فقال مبهما غير كاشف عن صاحب التعريف: (وقال بعضهم: التفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل) [6].

أما عند الراغب الأصفهاني فهو: إظهار المعنى المعقول، وقد يطلق على ما يختص بمفردات الألفاظ وغريبها وعلى التأويل، ولهذا يقال: تفسير الرؤيا وتأويلها، قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ الفرقان: ٣٣ [7].

وقد ذكر أبو منصور الماتريدي (محمد بن محمد بن محمود السمرقندي الحنفي ت: 333 هـ)[8] وهو

---

[1] – هو أبو بشر عمرو بن عثمان قنبر تلميذ الخليل إمام البصريين في النحو .

– انظر ترجمته: تاريخ بغداد . 12 / 195 – 199 (رقم 6658) ، وفيات الأعيان . ابن خلكان . 3 / 463 – 465 (رقم 504) ، بغية الوعاة . السيوطي . 2 / 229 (رقم 1863) .

[2]- لسان العرب . ج10 . ص: 261 .

[3]- انظر: القاموس المحيط . ص: 456 .

[4]- ج1 . ص: 79 .

[5]- المصدر نفسه (بصائر ذوي التمييز) . ج1 . ص: 80 .

[6]- تهذيب اللغة.ج12.ص: 407.

[7]- انظر مفردات ألفاظ القرآن .ص: 636.

– وانظر: تاج العروس للزبيدي.ج13.ص: 323 ، 324 .فقد جاء فيه(وقيل: التفسير: شرح ما جاء مجملا من القصص في الكتاب الكريم،وتعريف ما تدل عليه ألفاظه الغريبة،وتبيين الأمور التي أنزلت بسببها الآي).

[8] – علم الهدى و إمام المتكلمين ، صاحب كتاب "التوحيد " و غيره ، توفي سنة 333 ه .

يفرق بين التفسير والتأويل معنى لم أر من ذهب إليه وحمل معنى "التفسير"عليه إلا قليلا،فقال-الماتوريدي-: (هو ما قيل: التفسير للصحابة-ﷺ-،و التأويل للفقهاء،ومعنى ذلك أن الصحابة شهدوا المشاهد، وعلموا الأمر الذي نزل فيه القرآن، فتفسير الآية أهم لما عاينوا وشهدوا، إذ هو حقيقة المراد،وهو كالمشاهدة، لا يصلح إلا لمن علم، ومنه قيل: "من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار"، لأنه فيما يفسر يشهد على الله به...فالتفسير ذو وجه واحد) [1].

و قال في" التعريفات ": (في الشرع: توضيح معنى الآية وشأنها وقصتها والسبب الذي نزلت فيه لفظ يدل عليه دلالة ظاهرة) [2].

و قال الخازن-بعد تعريفه للتفسير-بأنه: (بيان المعاني المعقولة،فكل ما يعرف به الشيء ومعناه فهو تفسير، وقد يقال فيما يختص بمفردات الألفاظ وغريبها تفسير، وقيل هو من التفسرة وهو الدليل الذي ينظر فيه الطبيب فيكشف عن علة المريض فكذلك المفسر يكشف عن معنى الآية وشأنها وقصتها ...قال —وهو موضع الشاهد-الفرق بين التفسير والتأويل أن التفسير يتوقف على النقل المسموع، والتأويل يتوقف على الفهم الصحيح) [3].

وقد عرف التفسير لغويٌّ حاذق ومفسرٌ كبير فقال: (التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك) [4].

وللزّركشي تعريفان في "البرهان في علوم القرآن ":

-**أولهما**: قوله: (التفسير علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه،

- انظر ترجمته في : الجواهر المضيئة . ابن أبي الوفاء الحنفي . 3 / 360 – 361 (رقم 1532)، كشف الظنون .1/ 335 – 336 ، هدية العارفين . 2 / 36 .

[1]- تأويلات أهل السنة.ج1.ص: 1،مؤسسة الرسالة ناشرون.ط1/1425،2004م تحقيق: فاطمة يوسف الخيمي.

[2]- الجرجاني (علي بن محمد بن علي) . ص: 87.

[3]- تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل.ج1.ص: 12.

[4]- البحر المحيط.لأبي حيان الأندلسي.ج1.ص: 26.

واستخراج أحكامه وحكمه) [1] ثمّ ذكر العلوم التي يستمد منها هذا الفهم ويتشكل منها هذا العلم.

-**والثاني**: قوله: (وفي الاصطلاح: هو علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها والإشارات النازلة فيها ثم ترتيب مكيها ومدنيها،و محكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها ومجملها ومفسرها،و زاد فيها قوم فقالوا علم حلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها) [2].

ويظهر من التعريفين أن الأول أحصرُ وأجمعُ، ولعل هذا هو الذي حمل صاحب التعريفين إلى أن يقول بعد ذكر الزيادة التي نسبها إلى قوم-(وهو الذي منع فيه القول بالرأي) [3]، ذلك لأن قوله في التعريف الأول: "وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه"لا يتوقف استمداده على ما ذكر من العلوم، بالإضافة إلى أنه لم يذيله بما ذيل به التعريف الثاني مما سمعت.

وقد نقل السيوطي تعريفا لم يسم أصحابه أو صاحبه فقال: وقال بعضهم: التفسير في الاصطلاح علم نزول الآيات وشؤونها وأقاصيصها، والأسباب النازلة فيها،ثم ترتيب مكيها ومدنيها ومحكمها ومتشابهها،وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها،و مطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها، وحلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها) [4].

وفي مناهل العرفان في علوم القرآن ذكر الشيخ عبد العظيم الزرقاني تعريفا لغيره فقال: (والتفسير في الاصطلاح: "علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية") [5].

---

[1]- البرهان.ج1.ص: 104، 105 .

[2]- المصدر نفسه.ج2.ص: 284.

[3]- المصدر نفسه.ج2.ص: 284.

[4]- الإتقان في علوم القرآن.ج4.ص: 169.

[5]- ج2.ص: 7.

- وانظر: التفسير والمفسرون.للذهبي ج1.ص: 16.فقد ذكر التعريف ذاته وأحال على الكتاب الذي نقله منه وهو: منهج الفرقان ج2.ص: 6.(وهو لمحمد أبي سلامة، وقد طبع الكتاب في مطبعة شبرا سنة1938م كما في فهرس مراجع التفسير والمفسرون ج2.ص: 588.

وآية الفرقان هذه إبطال لما جاء به المشركون، وأحسن منه تفسيرا وبيانا وتفصيلا كما روى ذلك الطبري عن ابن جريج وابن عباس ومجاهد والضحاك [1*]،وذلك لأنهم اعتادوا على نزول الكتب السابقة جملة واحدة، والغاية من نزوله كذلك نصت عليها الآية الكريمة وهي التثبيت، وقال ابن عطية: «وليحفظه» [2]- ﷺ-،وتنزيله على فترات متباعدة مفرقا على النحو الذي ذكرته الآية، وعلى بعد ما بين طرفيه أدخلُ في الإعجاز كما يقول جار الله -رحمه الله- [3].

وقد عد"ابن كثير" إنزال القرآن منجما على ثلاث وعشرين سنة في قول أعلى وأجل وأعظم، حيث كان يأتيه على مدار عشرين سنة أو أزيد صباحا ومساء بالليل والنهار في السفر والحضر وجمع بين صفتي الإنزال جملة واحدة إلى السماء الدنيا،ومنجما على رسول الله ﷺ بحسب الوقائع والأحداث [4]خلافا لما سبقه من الكتب فكان بنوعي التنزيل أدخل في الإعجاز وأبين، إذ لو كان من عند غير الله لكان تنجيمه على ثلاث وعشرين سنة كفيلا باختلاف آياته وسوره لكن حقيقته غير ذلك: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ النساء: ٨٢ فالتفسير في الآية-كما يقول ابن عاشور مراد به هنا (كشف الحجة والدليل)[5] وقيل في معنى و"أحسن تفسيرا" أن المشركين كانوا يستمدون من أهل الكتاب وعند هؤلاء تحريف وتبديل مس

---

[1]- انظر المعاني الثلاثة في جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج19.ص: 11، 12 .

* ابن مزاحم ، البلخي الخراساني أبو القاسم ، مفسر كان يؤدب الأطفال و يقال : كان في مدرسته ثلاثة آلاف صبيّ، له كتاب "التفسير" قال عبد الملك بن ميسرة : الضحاك لم يلق ابن عباس إنما لقي سعيد بن جبير بالري،فأخذ عنه التفسير (ت:105ه) .

- انظر ترجمته في: ميزان الاعتدال .325/2 (رقم 3942) ، السير.4/ 598 (رقم 238) ، تهذيب التهذيب.4/ 397 ،تهذيب الكمال .13/ 291 . الأعلام .215/3.

[2]- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز .ج11.ص: 37. الدوحة .تحقيق وتعليق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري وزميليه .

- وانظر تفسير الفخر الرازي .ج24.ص: 79، 80 .

[3]- انظر الكشاف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري .ج4.ص: 349. مكتبة العبيكان – الرياض .ط1/ 1418ه- 1998م. تحقيق وتعليق ودراسة: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض . شارك في التحقيق: فتحي أحمد عبد الرحمان أحمد حجازي .

[4]- انظر تفسير ابن كثير.ج5.ص: 151.

- وانظر: التحرير والتنوير .لابن عاشور .ج19.ص: 46، 47، 48 .ففيه كلام نفيس أجاد فيه ابن عاشور وأفاد.

[5]- المرجع نفسه .ج19.ص: 48.

كتبهم، فكان ما عند رسول الله أحسن مما عندهم لأنهم خلطوا حقا بباطل، والحق المحض أحسن من الحق المشوب بباطل [1].وقال الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد ت: 207ه): إنّ معنى قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ الفرقان: ٣٣، (بمنزلة قوله سبحانه: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ الفرقان: ٢٤ في معنى الكلام والنصب) [2]، والآية فيها محذوف ومثله كثير في القرآن الكريم وكلام العرب، ومعناها: "وأحسن تفسيرا من مثلهم" [3] وقد ذكر "الزجاج" معنى قريبا من الذي ذكره "النحاس"، فقال: (ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالذي هو الحق وأحسن تفسيرا من مثلهم، إلاّ أن، "من"حذفت لأن في الكلام دليلا عليها،لو قلت: رأيت زيدا وعمروا فكان عمرو أحسن وجها، كان الكلام فيه دليل على أنك تريد: من زيد) [4].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1- انظر: الجامع لأحكام القرآن .ج13.ص: 29.

2- معاني القرآن.ج2.ص: 268.عالم الكتب – بيروت .ط3 /1403ه-1983م.

3- انظر: معاني القرآن .لأبي جعفر النحاس.ج5.ص: 25.

4- معاني القرآن وإعرابه . الزجاج (أبو إسحاق إبراهيم بن السري ت: 311ه) . ج4.ص: 67 .دار الحديث – القاهرة .ط2 / 1418ه-1997م .شرح وتحقيق: الدكتور: عبد الجليل عبده شلبي . خرّج أحاديثه: علي جمال الدين محمد .

وانظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون .للسمين الحلبي(أحمد بن يوسف ت: (756ه) .ج8.ص: 482.دار القلم-بيروت-دمشق.ط1/1414ه-1993م.تحقيق: د: أحمد محمد الخراط.

ثانيا : التأويل لغة و اصطلاحا :

1)-التأويـــل في اللغة:

قالوا إنّ اشتقاقه من الأوْل وهو الرجوع، فكأنّه بيان ما يرجع إليه مقصود الآية ومعناها، حين تصرف إليه بشرط أن يكون المعنى الجديد موافقا لسابقه موائما للاحقه .

وقيل إنّ اشتقاقه من المآل أي العاقبة والمرجع، وهو معنى عاقبة ما تؤول إليه الآية، وقيل إنّ اشتقاقه من الأوّل بتشديد الواو، وهو صرف الكلام إلى أوّله.

وقيل إنّ اشتقاقه من الإيالة وهي السياسة، والعرب تقول: "ألنا وإيل علينا "أي سسنا وسيس علينا، أي ساسنا غيرنا .فمعنى التأويل على هذا: تتبع سرّ الكلام مع شحذ الذهن وصولا إلى المقصود من الكلام ليتّضح مراد المتكلم [1].

وقد وردت في كتاب الله تعالى على خمسة أوجه كما يقول الفيروزبادي[2]،سنأتي على ذكرها – إن شاء الله – بعد أن نفرغ من ذكر المعاني اللغوية عند أهلها من المتقدّمين محاولين تتبّع مسار اللّفظة عندهم وصولا إلى معرفة ما إذا كان قد لحقها تغيير في دلالتها أم لا ؟ .

ذكر الطبري تعريفا للتأويل يظهر منه أنّه لا يرى أنّ بينها وبين كلمة تفسير فرقا، ذلك أنّه فسّرها بها حين قال: (وأما معنى التأويل في كلام العرب فإنّه التفسير والمرجع والمصير ...و أصله من آل الشيء إلى كذا إذا صار إليه ورجع يؤول أولا، وأوّلته أنا: صيّرته إليه، وقد قيل: إنّ قوله: "وأحسن تأويلا "أي جزاءً، وذلك أنّ الجزاء هو الذي آل إليه أمر القوم وصار إليه) [3].

وهو عند البغوي من الأول بمعنى الرجوع، أوّلته فأوّل، أي صرفته فانصرف [4].

وقال الخليل –وهو أقدم من كلّ من مرّ ذكره من لغويين ومفسّرين –: (إن التأوُّل والتأويل:

---

[1]- انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز .للفيروزبادي . ج1.ص: 79،80.

[2]- انظر: المصدر نفسه .ج2.ص: 291، 292 .

[3]- جامع البيان عن تأويل آي القرآن .ج3.ص: 184.

[4]- انظر: معالم التنزيل .ج1.ص: 68.

تفسير الكلام الذي تختلف معانيه،ولا يصح إلا ببيان غير لفظه) [1].

أما الماتريدي (أبو منصور محمد بن محمد بن محمود السمرقندي الحنفي المتوفى سنة 333هـ) فبعد أن فرّق بين التفسير والتأويل وأن الأخير للفقهاء، أما الأول فللصحابة للأسباب التي أوردناها في معنى التفسير نقلا عنه ولأن التأويل ذو وجوه، وليس شهادة على الله بأنه أراد أو عنى كذا، ولذا لا تشديد فيه مثل ما يقع في التفسير، قال:(وأما التأويل فهو بيان منتهى الأمر، مأخوذ من آل يؤول أي يرجع)[2].

وأما الجرجاني (علي بن محمد بن علي ت: 816ه) فلم يزد على أن قال إنّ الأصل في التأويل الترجيع[3].

وقد أفاض ابن منظور في ذكر معاني اللفظ فاجتمع عنده من معانيه الكثير مما تفرّق عند غيره موردا لشواهد حديثية ومن منظوم العرب ومنثورهم ليدلّل على صحّة المعنى الذي يذكره فقال: (أوّل: الأوْل الرجوع،آلَ الشيء يؤول أولا ومآلا: رجع، وأوّل إليه الشيء رجعه، وأُلت عن الشيء ارتددت،وفي الحديث "من صام الدهر فلا صام ولا آل "[4]،أي لا رجع إلى خير ... ويقال: طبخت النبيذ حتى آل إلى الثلث أو الربع أي رجع ... والإيّل والأيّل: من الوحش، وقيل هو الوعِلُ، قال الفارسي: سمّي بذلك لمآله إلى الجبل يتحصن فيه ... وأول الكلام وتأوّله: دبّره وقدره،و أوّله وتأوّله: فسره، وقوله عز وجل "ولما ياتهم تاويله أي لم يكن معهم علم تأويله...وقيل معناه لم يأتهم ما يؤول إليه أمرهم في التكذيب به من العقوبة)[5] .

ومن معاني التأويل التي ذكرها ابن منظور: تعبير الرّؤيا، ومنه قوله سبحانه: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا

1-كتاب العين .ج8 .369.

2- تأويلات أهل السُّنة . ج1.ص: 1 .

- وانظر: مختار الصحاح .لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي .ص: 33.

3- انظر: كتاب التعريفات .ص: 72.

4- الحديث رواه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمرو . بلفظ "لا صام من صام الأبد". كتاب الصوم . باب :حق الأهل في الصوم .ج3 . ص: 52. ومسلم في كتاب الصيام . باب النهي عن الصوم لمن تضرر به أو فوت به .ج2 . ص: 815 . (حديث رقم 1159)

5- لسان العرب . ج1.ص: 264.

تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِن قَبْلُ ﴾ يوسف: ١٠٠ .

والإصلاح والسياسة من آل مآله إيالةً: إذا أصلحه وساسه والإئتيال: الإصلاح والسياسة، قال الشاعر:

أبا مالك فانظر، فإنك حالب **** صرى الحرب، فانظر فأيَّ أوْل تؤولها .

وقد نقل معاني التأويل عند الجوهري[1] والأزهري وثعلب واللحياني[2] والأصمعي[3]، وابن سيّدة[4]، والخليل وسيبويه وأبي عمرو وابن جني وابن الأنباري[5] وأبي عبيدة[6]

---

[1]- هو إسماعيل بن حماد صاحب "الصحاح" الإمام "أبو نصر الفارابي" قال ياقوت : كان من أعاجيب الزمان ،ذكاء و فطنة و علما و أصله من فاراب من بلاد الترك ، كان إماما في اللغة و الأدب ، قرأ العربية على أبي عليّ الفارسي و السيرافي ، مات سنة (393ه).

-انظر ترجمته في : بغية الوعاة .1/ 446 – 447 (رقم 913). سير أعلام النبلاء .17 / 80 (رقم 46) .

[2]- علي بن المبارك أبو الحسن ، من بني لحيان بن هذيل بن مدركة ، وقيل ، سمي به لعظم لحيته ، أخذ عن الكسائي و أبي زيد و أبي عمرو الشيباني ، و الأصمعي ، و أبي عبيدة ، و عمدته الكسائي ، و أخذ عنه القاسم بن سلام ، وله النوادر المشهورة . بغية الوعاة . 2 / 185 (رقم 1755) .

[3]- عبد الملك بن قُريب بن عبد الملك أبو سعيد الأصمعي البصري اللغوي أعصر أئمة اللغة و الغريب و الأخبار و النوادر روى عن أبي عمرو بن العلاء و غيره ، صنف : "غريب القرآن " " خلق الإنسان" " الأضداد" " المقصور و الممدود" ، روى له أبو داود و الترمذي (ت216ه) .

- انظر ترجمته في : بغية الوعاة . 2/ 112 (رقم 1573) ، وفيات الأعيان . 3/ 170 (رقم 379) .

[4]- علي بن أحمد ، اللغوي النحوي الأندلسي ، أبو الحسن الضرير ، كان حافظا ، لم يكن في زمانه أعلم منه بالنحو و اللغة و الأشعار و أيام العرب، و ما يتعلق بها ، متوفرا على علوم الحكمة ، صنف المحكم و المحيط الأعظم في اللغة (ت: 458ه) .

-انظر ترجمته في : بغية الوعاة .2 / 143 (رقم 1657) ، نفح الطيب .4 / 27 ، بغية الملتمس . ص: 366 (رقم1205) .

[5]- أبو بكر محمد بن أبي محمد القاسم ، صاحب التصانيف في النحو و الأدب ، كان صدوقا ثقة ، ديّنا خيّرا من أهل السنة ، صنف كتبا كثيرة في علوم القرآن و غريب الحديث (ت: 328 ه) .

- انظر ترجمته في : تذكرة الحفاظ .3/ 42 (رقم 821) ، وفيات الأعيان .4/ 341 .(رقم 642) ، صفة الصفوة .2/ 69 – 73 (رقم 604) .

[6]- معمر بن المثنى التيمي بالولاء البصري ، أبو عبيدة النحوي (209ه) من أئمة العلم بالأدب و اللغة ، مولده ووفاته بالبصرة ، كان إباضيا شعوبيا ، من حفاظ الحديث ، له نحو (200 مؤلف) منها : " نقائض جرير و الفرزدق " و " مجاز القرآن" و " معاني القرآن" وغيرها . انظر ترجمته في : تذكرة الحفاظ .1/272(رقم 367) ، وفيات الأعيان .5/ 235(رقم 731)، بغية الوعاة .2/ 294(رقم 2010) ، سير أعلام النبلاء .9/ 445 (رقم 168) . الأعلام . 7/ 272 .

وأبي عبيد[1] وأبي إسحاق (الزجاج) وغيرهم [2].

وأما التأويل عند الأزهري فهو فيما قيل: (من أوّل يؤول تأويلا.وثُلاثيّه: آل، يؤول أي رجع وعاد...(و)أُلت الشيء: جمعته وأصلحته، فكأنّ التأويل جمع معان مشكّلة بلفظ واحد لا إشكال فيه، وقال بعض العرب: أوّل الله عليك أمرك، أي جمعه... ويقال: تأوّلت في فلان الأجر: أي تحرّيته، وطلبته...، والتأويل: نبت يعتلفه الحمار ... وقال أبو عبيد ... التأويل المرجع والمصير، مأخوذ من آل يؤول إلى كذا أي صار إليه، وأوّلته صيّرته إليه) [3].

وعند ابن فارس: (الهمزة، والواو، والام... ابتداء الأمر وانتهاؤه ... وقولهم آل اللّبن أي خثر... وذلك لأنّه لا يخثر إلا آخر أمره ... وآل يؤول أي رجع ...يقال: "أوّل الحكم إلى أهله"أي رجعه،ورده إليهم... وآل جسم الرجل إذا نحف ...لأنه يحور ويحرى،أي يرجع إلى تلك الحال، والإيالة السياسة ... لأن مرجع الرعية إلى راعيها ... وتقول العرب في أمثالها: "ألنا وإيل علينا" أي سسنا وساسنا غيرنا... وآل الرجل: أهل بيته... لأنّه إليه مآلهم وإليهم مآله... ومن هذا الباب تأويل الكلام وهو عاقبته وما يؤول إليه، وذلك قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ﴾الأعراف: ٥٣، يقول: ما يؤول إليه في وقت بعثهم ونشورهم)[4].

والتأويل عند "الراغب" من الأوْل، (أي الرجوع إلى الأصل، ومنه الموئل للموضع الذي يرجع إليه وذلك هو رد الشيء إلى الغاية المرادة منه، علما كان أو فعلا، ففي العلم نحو: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ آل عمران:

---

[1]- هو أبو عبيد القاسم بن سلام ، كان أبوه مملوكا روميا ، وكان أبو عبيد إمام أهل عصره في كل فن من العلم ، أخذ عن أبي زيد و أبي عبيدة و الأصمعي و ابن الأعرابي و الكسائي و الفراء ، كان فاضلا في دينه و علمه و ربانيا مفتيا في القرآن و الفقه والأخبار و العربية ، له من التصانيف :"غريب القرآن" "غريب الحديث" "معاني القرآن" " القراءات" (ت : 223 ه) .
-انظر ترجمته في : تذكرة الحفاظ .2/ 5 (رقم 423) ، بغية الوعاة .2/ 253 (رقم 1919)، صفة الصفوة.2/ 327 – 328(رقم 693) ، وفيات الأعيان .4/ 60 (رقم 534) .

[2]- انظر: لسان العرب .ج1.ص: 265 وما بعدها .

[3]- تهذيب اللغة ج15.ص: 458، 459، 460.

[4]- معجم مقاييس اللغة .ج1.ص: 158 - 160.

٧ وفي الفعل ...(نحو): "هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله" أي: بيانه الذي غايته المقصودة منه... والأوّل: السياسة التي تُراعى مآلها) [1].

فهذا مجمل التعاريف والمعاني اللغوية التي ذكرها بعض اللغويين وبعض اللغويين المفسرين فما هو المعنى الاصطلاحي لهذه اللفظة، وإن كنا قد نقلنا بعض التعريفات المختصرة لها.

التأويل في الاصطلاح:

لقد قال ابن حزم (فخر الأندلس الإمام المحدث الفقيه: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ت: 465ه)[2] -وهو يعرف التأويل- (إنّ كان نقْلُ اللفظ عمّا اقتضاه ظاهره، وعما وضع له في اللغة إلى معنى آخر قد صح ببرهان وكان ممن تجب طاعته فحق،وإن كان بخلاف ذلك اطُّرِح وحكم للنقل بالبطلان [3].

ولكي يصح التأويل ينبغي أن يكون اللفظ قابلا ومحتملا لغة وشرعا للتأويل بدليل صحيح أقوى من الظاهر لا مساويا له ناهيك عما هو أقوى منه، وقرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي، صادرٍ من مؤهَّل للصرف والتأويل حائز لملكة فقهية تخوِّل له استنباط هذا من النصوص، مدركٍ للمعاني القريبة والبعيدة، الظاهرة والخفية، ذلك لأن التأويل عمل العقل في النصوص يراد منه استنباط معان ثانية أحيانا فمجاله واسع وحدوده محكومة بالموجِّهات الشرعية – نصا ومقصدا وروحا – التي لا ينبغي أن تُتَجاوز وبمساحة الحركة التي تُتيحها اللغة، ولأن التأويل أيضا ركوب لمتروك، وصرف لمعنى مرجوح في أصل وضعه، إذا الأصل أن اللفظ له معنى ظاهر راجح فلما تعذر حمله عليه وقام دليل على حمله على معنى قريب أو بعيد مع احتياج البعيد إلى دليل في غاية القوة، صُرف اللفظ إلى المعنى

---

[1]- مفردات ألفاظ القرآن .ص: 99 .

- وانظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي . ص: 963.

- وانظر: تاج العروس من جواهر القاموس .ج13.ص: 323، 324 .

[2]- الإمام العلامة الحافظ الفقيه صاحب التصانيف ، كان أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام ، و أوسعهم معرفة مع توسّعه في علم اللسان ، ووفور حظه من البلاغة و الشعر (ت: 406ه) .

- انظر ترجمته في : تذكرة الحفاظ .3 / 227 (رقم 1016) ، وفيات الأعيان . 3/ 325 (رقم 448) .

[3]-انظر: الإحكام في أصول الأحكام .ج1.ص: 68.

والاحتمال المرجوح في أصل وضع هذا اللفظ (على أن لا يكون هذا اللفظ من الألفاظ المشتركة لأنها موضوعة على الحقيقة لمعنيين متعددين متساويين فأكثر تقف القرينة الخارجية مرجحا للمعنى المراد)، ولأن مجال التأويل واسع، وهو في فروع الشريعة أوسع، بل امتد إلى أصولها عند بعضٍ كما هو الشأن في صفات الذات العلية الموهمة، فإنه لا ينبغي أن يلجأ إليه إلا إذا كان ظاهر النص مصادما لقاعدة معلومة من الدين بالضرورة، أو مخالفا لما هو أقوى منه في دلالته مما في نصوص الشريعة فتصبح مرجوحية التأويل راجحة لقوة الدليل المرجِّح وغلبة ظن المجتهد أن مراد الشرع هو المعنى التبعي لا الأصلي مع اتساع وقبول اللغة للمعنى الجديد [1]

لقد مرّ في تعريف التفسير لغة واصطلاحا، وفي تعريف التأويل لغة أن بعضهم لا يفرق بين المصطلحين وأن معناهما واحد، وذهب آخرون إلى أن التفسير شيء والتأويل شيء آخر، وقال قوم: إن أحدهما أعم من الآخر وذكروا لذلك ما يبين ما رأوه وقد مر كثير منه [2].

ويظهر من خلال التعاريف اللغوية للتأويل التي تصرف الآية أو النص العربي عن معناه الظاهر إلى معنى أو معان أخر وفق الضوابط التي وضعت لهذا الصرف أن التأويل أصيل في لغة العرب (وهو ظاهرة من وحي اللغة نفسها وضرورة لا غنى عنها للتعمق فيها وفقه أسرارها) [3].

ولا يضره إن حرّفته المذاهب المختلفة كالشيعة والمعتزلة كما لا يضره طغيان التأويلات النحوية حذفا وإضمارا وتقديرا وغيرها وإن نص كثير من النحاة على أن الذهاب إلى مثل هذا عندهم من غير داع يدعوا إليه كريه، وفي القرآن العظيم - تدليلا على أصالة التأويل في لغة العرب والقرآن الكريم عربي مبين، وفق تلك الضوابط — سياقاتٌ لا يجوز أن تحمل على ظاهرها لأنه - أعني الظاهر- يفسد معناها، ولذا قال أبو حيان- رحمه الله تعالى - في تفسير قوله تعالى من سورة الحديد: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ

---

[1]- انظر موسوعة مصطلحات أصول الفقه عند المسلمين .الدكتور: رفيق العجم .ج1.ص: 364 وما بعدها- مكتبة لبنان ناشرون – بيروت – ط1/1998م.

[2]- انظر: البرهان في علوم القرآن .الزركشي.ج.ص: 283 وما بعدها .

- وانظر: مناهل العرفان . عبد العظيم الزرقاني.ج2.ص: 9، 10.

[3]- دراسات إسلامية (التأويل الصحيح) د: السيد أحمد عبد الغفار .ص: 8 - دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية /2002م.

﴿مَا كُنتُمْ﴾ الحديد: ٤ (أي بالعلم والقدرة، قال الثوري[1]: المعنى: علمه معكم، وهذه آية أجمعت الأمة على هذا التأويل فيها، وأنها لا تحمل على ظاهرها من المعية بالذات، وهي حجة على من منع التأويل في غيرها مما يجري مجراها من استحالة الحمل على ظاهرها) [2].

وقد قال في شرحها وتأويلها الطّبري: (وهو شاهد لكم أيها الناس أينما كنتم يعلمكم، ويعلم أعمالكم ومتقلبكم ومثواكم، وهو على عرشه فوق سماواته السبع) [3]. وفسّرها القرطبي[4]على معنى قريب مما سبق أو قل هو فقال: ("وهو معكم"يعني بقدرته وسلطانه وعلمه ...والأخذ بالظاهرين — يعني ظاهر الاستواء (وهذا رأيه فيها) والمعية- تناقض، فدلّ على أنّه لابدّ من التّأويل، والإعراض عن التأويل اعتراف بالتناقض) [5].

ثم نقل عن إمام الحرمين الجويني[6]كلاما جميلا يصور المعنى الجديد الذي حملت عليه الآية- يعني آية المعية — حتى لا يفسد معناها مستأنسا به القرطبي في توضيح صرف الآية عن ظاهر معناها فقال نقلا عن الجُويني: (إن محمّدا ليلة الإسراء لم يكن بأقرب إلى الله عز وجل من يونس بن متى حين كان

---

[1] - سفيان بن سعيد بن مسروق، من سادات زمانه في العلم والإتقان والورع، الثقة الإمام الكبير (ت: 161) - انظر ترجمته في: تاريخ بغداد . 9 / 151 - 174 (رقم 4763)، طبقات الفقهاء . الشيرازي .ص 84 – 85، السير . 7 / 229 - 279 (رقم 82) .

[2]- البحر المحيط .ج10.ص: 101.

[3]- جامع البيان عن تأويل آي القرآن.ج27.ص: 216.

- وانظر أيضا تفسير ابن كثير لها .ج6.ص: 547.

[4]- هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الاندلسي ، أبو عبد الله القرطبي من كبار المفسرين ، صالح متعبد، من أهل قرطبة .

- انظر ترجمته في : طبقات المفسرين، ص97. معجم المفسرين .1/ 341. الأعلام . 5/ 322 .

[5]- الجامع لأحكام القرآن .ج17.ص: 215.

[6]- ضياء الدين أبو المعالي ، عبد الملك بن الشيخ أبي محمد الجويني ، إمام الأئمة في زمانه ، و أعجوبة دهره و أوانه ، ولد في (419ه) قرأ الفقه على والده و الأصول على أبي القاسم الإسكاني تلميذ الإسفراييني ، له كتاب " الأساليب في الخلاف"، "مختصر النهاية" ، "الأحكام السلطانية" وغيرها .

-انظر ترجمته في : طبقات الشافعية :الإسنوي .1/ 197- 198 (رقم 367) ، وفيات الأعيان .167/3 (رقم 378)، معجم المفسرين .عادل نويهض .1/ 333 -334 .

في بطن الحوت)[1]. والكلام ذكره أبو المعالي شرحا لحديث البخاري عن عبد الله -رضي الله عنه- عن النّبي ﷺ قال: " لا يقولن أحدكم إني خير من يونس" [2]وقد ذكر بعض هذا الذي قلت القرطبي في تفسيره لقصة يونس من سورة الأنبياء [3].

لقد تبيّن من خلال التّعريفات اللغوية أنّ التّأويل في أصله يؤول إلى المرجع والعود والمصير والعاقبة، أو إلى السّياسة، فالمؤول كالسائس للقوم فهو يقرر الكلام حتى يصل به إلى وضعه الصحيح الذي لا يجافي الإستعمال العربي الصّحيح ولا يخالف نصوص الشّريعة ومقاصدها، وقد قيل في تعريفه اصطلاحا: إنه: (رد أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر) [4].

وقيل إن معناه: (جَمْع معانٍ مشكلة بلفظ واضح لا إشكال فيه) [5].

وقال الخليل: (التّأويل: تفسير الكلام الّذي تختلف معانيه ولا يصحّ إلا ببيان غير لفظه) [6].

وعرفه الجرجاني (علي بن محمد بن علي ت: 816هـ) فقال: (وفي الشرع: صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله، إذا كان المحتمل الذي يراه (كذا) موافقا للكتاب والسنة) [7].

والتأويل عند البغوي: (صرف الآية إلى معنى محتمل موافق ما قبلها وما بعدها غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط) [8].

وقيل التّأويل هو: (تبيين معنى المُتشابه، والمُتشابه هو: ما لم يقطع بفحواه من غير تردّد فيه، وهو

1- الجامع لأحكام القرآن . ج17.ص: 215.

2 – صحيح البخاري . كتاب بدء الخلق . باب قوله تعالى : ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴾ طه: ٩ . ج4. ص: 186.

3- الجامع لأحكام القرآن . ج11.ص: 239.

4- تهذيب اللغة للأزهري . ج12.ص: 407.

5- المصدر نفسه . ج15.ص: 458.

6- كتاب العين . ج8.ص: 369 .

7- كتاب التعريفات . ص: 72.

8- معالم التنزيل . ج1.ص: 67، 68 .

النّص) [1]. قال ابن السُّبكي[2]: (والتّأويل حمل الظّاهر على المحتمل المرجوح، فإن حُمل لدليل فصحيح، أو لما يُظنّ دليلا ففاسد، أوْلا لشيء فلعب لا تأويل)[3].

إنّ موسى -عليه الصلاة والسلام- إنّما أنكر ما دلّت عليه ظواهر أفعال العبد الصّالح التي قصدها الله في سورة الكهف لما في ظاهر تلك الأفعال ما يخالف معهود النّاس وما ألفوه، فلمّا علم دوافعها ومآلاتها أو تأويلاتها سكنت نفسه فالتأويل هنا: هو ذلك المعنى البعيد أو الدوافع والمآلات التي لا يدل ظاهر الآيات وما قام به العبد الصالح عليها ألبتة [4].

وفي تقسيمات التفسير الأربعة المنقولة عن ابن عباس كما روى ذلك عبد الرزاق الصنعاني [5]في تفسيره عن الثّوري عن ابن عباس، ومنها القسم الأوّل، وهو الذي يعلمه العلماء وسمّاه الزّركشي: (وما يرجع إلى اجتهاد العلماء، وهو الذي يغلب عليه إطلاق التأويل، وهو صرف اللفظ إلى ما يؤول إليه ... والمؤول (فيه) مستنبط)[6].

وأختم التعريفات الاصطلاحية بمعنى وتعريف ذكره الألوسي البغدادي إذ بعد إيراده لبعض التعريفات اللغوية والاصطلاحية للتفسير والتأويل-قال رادًّا لتعريف التأويل الذي ذكره كثير من اللغويين — وقد مر — وهو (أنّه من الإيالة وهي السياسة، كأن المؤول للكلام ساس الكلام ووضع

---

[1]- تاج العروس من جواهر القاموس للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي .ج28.ص: 33 .

[2]- هو تاج الدين السبكي :عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي ، أبو نصر :قاضي القضاة المؤرخ ، الباحث ، ولد بالقاهرة له كتاب "طبقات الشافعية الكبرى" " معيد النعم و مبيد النقم " ، "جمع الجوامع" و غيرها .

- انظر ترجمته في : الدرر الكامنة . 2/ 258 (رقم 2549) ، الأعلام .4/ 184 – 185 .

[3]- حاشية العطار على جمع الجوامع لحسن العطار، على شرح الجلال المحلي، على جمع الجوامع، لابن السبكي .ج2. ص: 88 - المكتبة التجارية الكبرى- مصر.

[4]- انظر: مناهل العرفان .ج2.ص: 285.

[5]- انظر: تفسير القرآن العزيز (لأبي بكر بن همام ت: 211ه . ج1.ص: 59 . دار المعرفة – بيروت . ط1/1411ه – 1991م.تحقيق وتخريج وتعليق: عبد المعطي أمين قلعجي .

[6]- البرهان في علوم القرآن .ج2.ص: 307، 308 .

المعنى فيه موضعه)[1] قال بعد إيراده لهذا التعريف: (ليس بشيء)[2] أما التأويل عنده فهو: (إشارة قدسية ومعارف سبحانية تنكشف من سجف العبارات للسالكين وتنهل من سحب الغيب على قلوب العارفين)[3] وقد قال قبل التعريف في الجزء المذكور والصفحة ذاتها: (وعندي أنه إن كان المراد الفرق بينهما بحسب العرف فكل الأقوال فيه ما سمعتها وما لم تسمعها مخالفة للعرف اليوم إذ قد تعارف من غير نكير أن التأويل إشارة قدسية...إلخ).

ومن المعلوم أن لفظ التأويل ذكر في آيات وسور مختلفة نورده ثم نتتبّع معانيه في مظانها:

1-**تـــأويـــل**: وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ يوسف: ٦ .

وقوله سبحانه: ﴿ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴾ يوسف: ٤٤ .

وقوله: ﴿ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ﴾ يوسف: ١٠٠.

وقوله: ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾ يوسف: ١٠١.

وقوله عز وجل: ﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ الكهف: ٧٨.

وقوله: ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ الكهف: ٨٢.

2-**تـــأويـــلا**: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ النساء: ٥٩.

وقوله سبحانه: ﴿ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ الإسراء: ٣٥.

---

[1]- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني .ج1.ص: 24. دار الكتب العلمية – بيروت ط1/ 1415 هـ – 1994م . ضبطه و صححه : علي عبد الباري عطية.

[2]- المصدر نفسه.ج1.ص:05.

[3]- المصدر نفسه.ج1.ص:06.

3-**تأويله**: في قوله سبحانه: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾آل عمران: ٧.

وقوله جل جلاله: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾آل عمران: ٧ .

وقوله تبارك اسمه: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ الأعراف: ٥٣.

وقوله عز وجل: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ يونس: ٣٩.

4-**بتأويله**: وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ يوسف: ٣٦.

وقوله تبارك اسمه: ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ﴾يوسف: ٣٧.

وأخيرا قوله سبحانه:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴾يوسف:٤٥.

وقد ذكروا أن هذه الآيات كلها دار لفظ التأويل فيها على خمسة معان:

- بمعنى المُلك، أي مدة ملك محمد ﷺ ونهايته، كما زعم اليهود، والمعنى منظور فيه إلى الرواية التي تذكر عند تفسير آية آل عمران مستأنس فيه بها، وسيأتي مزيد توضيح لها عند مفسرين آخرين .

-بمعنى العاقبة خيرا كانت أم شرا، وهذا في آية النساء والأعراف، والإسراء .

-بمعنى تعبير الرؤيا، وهذا في قوله تعالى في سورة "يوسف": ﴿ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾

يوسف: ١٠١.

-بمعنى التحقيق والتفسير وهذا في آية "يوسف" الأخرى: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَايَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗا﴾يوسف: ١٠٠.

-بمعنى أنواع الأطعمة وألوانها وهذا في آية "يوسف" أيضا: ﴿قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَا﴾يوسف: ٣٧ [1].

وقد ذكروا في معنى "التأويل" في الآيات المذكورة جملة من الأقوال لا تخرج في أكثرها عمّا قيل ممّا سمعت .

فآية "النساء" قيل في معناها: الجزاء، وقيل: الثواب، وقيل التصديق، وقيل: العاقبة والمآل وقيل: إنّ ردّها إلى الله ورسوله خير من تأويلكم إذا انفردتم به .

وقال الماتريدي إنّها في حرف حفصة (ذلك خير وأحسن ثوابا، وعن ابن عباس ... أنه قال: القرآن أحسن تأويلا) [2]. وعند "الألوسي" (التأويل بمعنى الرجوع إلى المآل والعاقبة أو بمعنى بيان المراد من اللفظ الغير الظاهر منه، كلاهما حقيقة، وإن غلب الثاني في العرف، ولذا يقابل التفسير) [3].

أما آية الأعراف فإن الإستفهام فيها إنكاري و"تأويلة " الأولى ظهور ما توعدهم به والسياق كمثي شبّه حالهم بحال المنتظرين، وليسوا كذلك لجحودهم وقوعه، والتأويل توضيح وتفسير ما خفي من مقصد كلام أو فعل وتحقيقه، والمراد هنا وضوح ما عُدَّ محالا وكذبا من كل ما قيل لهم في الدنيا كالبعث والجزاء والرسول والوحدانية والعقاب، إذ تحقق كل هذا وهم يشاهدونه عيانا، وتأويله الثانية بيان للأولى، والمراد باليوم يوم القيامة، بدليل تعلقه بقوله: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ﴾ الأعراف: ٥٣ الذي يدل على أن

---

[1]- انظر بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي .ج2.ص: 291 .

[2]- تفسير القرآن العظيم المسمى تأويلات أهل السنة .ج1.ص: 446.

[3]- روح المعاني للألوسي.ج5.ص: 95.

القول مقول يوم القيامة [1].

وقيل إن تأويله مآل أمره وعاقبته في الدنيا كيوم بدر، ويوم القيامة أيضا، وهو منقول عن السُّدي[2]. وقال الطبري: هل ينتظر هؤلاء المكذبون الجاحدون للقاء الله إلا ما يئول إليه أمرهم من العذاب والجحيم وما يشابههما ممّا أوعدهم الله به من ثواب وجزاء كوقعة بدر والقيامة، ولا يزال يقع من تأويله أمر بعد أمر حتى يتمَّ تأويله يوم القيامة، وما يعلم حقيقة ذلك ومتى يأتي إلا الله عزوجل[3].

ومعناها عند الماتوريدي: (ما ينظرون إلا وقوع ما وعد لهم رسول الله ﷺ من نزول بأس الله بهم... لكن لا ينفعهم إيمانهم في ذلك الوقت...والتأويل هو... ما يقع بهم من البأس الموعود لهم)[4].

أما آية "يونس" فقد قال القرطبي في تفسيرها: إنّ الّذين كذّبوا بالقرآن إنّما كذّبوا به وهم جاهلون بمعانيه وتفسيره و لم يأتهم حقيقة عاقبة التكذيب من نزول العذاب بهم أو كذبوا بما في القرآن من ذكر البعث والجنة والنّار، و لم يأتهم (بعد) تأويله وهو حقيقة ما وُعدوا فيه [5].

والآية عند ابن عاشور فيها ارتقاء في وصفهم بقلّة الأناة والتثبّت لأنّ تصميمهم على الكذب سابق على ظهور تأويله، والتّأويل هنا معناه الرّجوع، وهو يطلق على تفسير اللفظ الذي خفي معناه تفسيراً يظهر المعنى، فيؤول واضحا بعد أن كان خفيا ... وهو بهذا الإطلاق قريب من معنى التفسير ... كما قد يطلق التأويل على إتّضاح ما خفي من معنى لفظ أو إشارة كما في: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَايَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗا﴾يوسف: ١٠٠ وكما في آية "الأعراف" وهو فيها ظهور المنذَر به . والتأويل في هذه الآية — يعني آية يونس – محتمل للمعنيين معا ولعل كليهما مراد) [6].

---

[1]- انظر: التحرير والتنوير .ج8.ص: 118 .

[2]- انظر: البحر المحيط لأبن حيان ج5.ص: 62 - دار الفكر - بيروت / 1412ه-1992م. باعتناء زهير جعيد.

[3]- انظر: جامع البيان .ج8.ص: 203، 204 .

[4]- تفسير القرآن العظيم المسمى تأويلات أهل السنة.ج2.ص: 237.

[5]- انظر الجامع لأحكام القرآن .ج8.ص: 255، 256 .بتصرف بسيط.

[6]- التحرير والتنوير .ج11.ص: 85، 86 .

وذكر الماتريدي للآية معاني فيها أن المراد بالتأويل التكذيب به من غير حفظ نظمه ووعْي لفظه ولا أتاهم العلم بعاقبته وآخره، وقيل إن التأويل: ما وعد الله أن يكون قبل أن يكون دنيويا وأخرويا كما قال ابن عباس [1] وقد أشار الزّمخشري[2] إلى معنيين فيها فقال: (... فإن قلت: ما معنى التوقّع في قوله ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ يونس: ٣٩ قلت: معناه: أنّهم كذّبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التأويل تقليدًا للآباء، وكذّبوه بعد التّدبر تمرّدا وعنادا، فذمّهم بالتّسرع إلى التّكذيب قبل العلم به، وجاء بكلمة التوقع ليؤذن أنهم علموا بعد علو شأنه، وإعجازه لما كرر عليهم التحدي ... ويجوز أن يكون معنى"ولما يأتهم تأويله": ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الإخبار بالغيوب، أي عاقبته حتى يتبين لهم أهو كذب أم صدق) [3].

واللفظ عند ابن عطية يحتمل معنيين:

أحدهما: الوعيد الذي توعدهم الله عزوجل على الكفر، و"تأويله " على هذا يراد به ما يؤول إليه أمره كالذي في: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ الأعراف: ٥٣ فالآية كلها وعيد .

والآخر: إنباء القرآن بالغيب الذي لم تتقدّم لهم به معرفة، ولم يحيطوا بعلم غيبه وحسن نظمه، ولا أتاهم بيانه وتفسيره [4].

وفي سورة "يوسف" تكرر لفظ التأويل ثمان مرات: خمسا منها جاء فيها عاريا عن الهاء وثلاثا

---

[1]- انظر: تأويلات أهل السنة .ج2.ص: 481.

[2]- هو أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي ، جار الله إمام العربية و شيخ البلاغة و رأس المعتزلة في زمانه بلا منازع ، صاحب التصانيف المشهورة (ت: 538ه) .

- مصادر ترجمته : وفيات الاعيان .5 /168- 174 (رقم 711) ، معجم الأدباء أو إرشاد الأريب .ياقوت الحموي .5 / 489 – 495 (رقم 945) ، طبقات المفسرين .السيوطي .104 – 105 (رقم 127)، طبقات المفسرين .الداوودي .314/2 – 316 (رقم 625) .

[3]- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل . للعلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ت: 538ه.ج3.ص: 137، 138 .

[4]- انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز.ج7.ص: 153، 154 .

– وانظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن .ج11.ص: 118.

لحقها هذا الحرف .

ففي أول موضع فيها، وهو قوله سبحانه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ يوسف: 6 قال القرطبي: ويعلمك من تأويل الأحاديث (أي أحاديث الأمم والكتب ودلائل التوحيد فهو إشارة إلى النبوّة وهو المقصود بقوله: ﴿ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ يوسف: ٦ أي بالنبوة ...)[1]، وأمور أخرى ذكرها القرطبي .

وتأويل الأحاديث عند ابن عطية عبارة الرؤيا كما قال مجاهد والسُّدّي وهي: عواقب الأمور في قول الحسن، وقيل: هي عامة لجميع المغيبات [2].

وقال الماتريدي: (قيل تعبير الرؤيا، وقال بعضهم: علمه تأويل الصحف التي كانت لإبراهيم وغيره،وعلمه تـــأويل الصحف والأحاديث [3]، وحمل الزّمخشري الآية على معنيين: الأوّل: الرؤيا، والثاني: معاني الكتب الإلهية، وسنن الأنبياء بتبيينه ما خفي على النّاس من أغراض ومقاصد وحكم أُودعت فيها [4].

أما قوله تعالى: ﴿ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾ يوسف: ٢١، فقد اقتصر الطبري على ذكر معنى واحد وهو: تعبير الرؤيا كما روى ذلك بسنده عن مجاهد والسُّدّي وابن أبي نجيح[5] وخالف الزمخشري في الآية المذكورة: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ

1- الجامع لأحكام القرآن .ج9.ص: 115.

2- المحرر الوجيز.ج7 .ص438.

– وانظر تفسير الطبري .ج12.ص: 153، 154 ، فإنه قال إن معنى الآية تعبير الرؤيا كما روا ذلك بسنده إلى مجاهد وقال ابن زيد: (تأويل الكلام: العلم والحكمة).

3- تأويلات أهل السنة.ج2.ص: 567.

4- انظر الكشاف.ج3.ص: 256.

5- انظر: جامع البيان .ج12.ص: 276.

﴿ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ يوسف: ٢١، فقال: كان ذلك الإنجاء والتمكين لأن غرضنا (والضمير عائد إلى الذات العلية ليس إلا ما تحمد عاقبته من علم وعمل) [1]، "والأحاديث" في الآية السابقة: الرؤيا في النوم،عند ابن عطية، وهو قول مجاهد،و قيل أحاديث الأنبياء والأمم [2]،ومعنى الآية أعم من تعبير الرؤيا عند القرطبي فهي ممتدة وشاملة للنبوّة وتعليمه – عليه السلام – التأويل والتفسير وتعبير الرؤيا [3].

وفي آية الإسراء وهي قوله تعالى: ﴿ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا ﴾ الإسراء: ٣٥ أكثر المفسرين على أنها الثواب والعاقبة، وهي عند ابن عطية: المآل وهو قول قتادة،ويحتمل أن يكون التأويل"مصدر تأوّل: أي يتأول عليكم الخير في جميع أموركم إذا أحسنتم في الكيل والموزون [4].

أما الموضع الأخير الذي ذكر فيه لفظ التأويل فهو الذي في سورة الكهف، وهو عند ابن عاشور: (تفسير لشيء غير واضح، وهو مشتق من الأول وهو الرجوع) [5].

وقال ابن عطية: (وقوله: "ذلك تأويل " أي مآل) [6]، وهي عند الطبري: (ما يؤول إليه عاقبة أفعالي التي فعلتها، فلم تستطع عليٌّ ترك المسألة عنها، وعن النكير عليٌّ فيها صبرا) [7] .

---

[1]- الكشاف. ج3.ص: 266.

[2]- المحرر الوجيز. ج7.ص: 468.

[3]- الجامع لأحكام القرآن .ج9.ص: 141.

[4]- المحرر الوجيز. ج9.ص: 82.

– وانظر: جامع البيان للطبري .ج9.ص: 85.

– وانظر: الكشاف .ج3.ص: 517.

– وانظر: البحر المحيط لأبي حيان .ج7.ص: 47.

– وانظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي. ج3.ص: 155.

– وانظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي .ج10.ص: 231.

[5]- التحرير والتنوير .ج15.ص: 116.

[6]- المحرر الوجيز .ج9.ص: 387.

[7]- جامع البيان .ج15.ص: 291.

وقال في تفسيرها الماتريدي: (أي سأنبئك بيان ما قلت لك: إنك لن تستطع معي صبرا، ثم بينه وفسره له)[1].

ولنا وقفة في آخر هذا المبحث مع ابن تيمية- رحمه الله – لأن له أقوالا في باب التأويل حري بكلّ من يتعرّض للحديث عنه أن يعرفها، وأولها عنده أن التأويل بالمعنى الذي ذكره غير واحد وهو صرف الكلام عن ظاهره إلى ما يخالف ظاهره مردود عنده [2] وبني هذا على قاعدة أن (الكلام نوعان: إنشاء فيه الأمر وإخبار، فتأويل الأمر هو نفس الفعل المأمور به ... وأما الإخبار فتأويله عين الأمر المخبر به إذا وقع، ليس تأويله فهم معناه) [3].

"فصرف اللّفظ عن المعنى الرّاجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به" – عند ابن تيمية – هو عرف التأويل عند المتأخّرين فقهاء ومتكلّمين ومحدّثين ومتصوّفة، وهو المستعمل عندهم في فروع الشريعة المختلفة بل وصل التنازع فيه إلى باب صفات الله تعالى، في حين أن التأويل عند السلف – فيما يرى ابن تيمية – له معنيان مخالفان للمعنى المذكور وهما:

1. تفسير الكلام وبيان معناه: سواء وافق ظاهره أو خالفه، فهذا والتفسير متقاربان أو مترادفان، وهو الذي قال مجاهد إن الراسخين في العلم يعرفونه، وهو الذي عناه الطبري إذا ذكره في تفسيره.
2. هو نفس المراد بالكلام: فالطلب تأويله نفس الفعل المطلوب، والخبر تأويله: نفس الشيء المخبر به وبينهما بون، والوضع والعرف الأخير هذا هو لغة القرآن التي نزل بها [4].

وآية الأعراف معناها: (بمجيء ما أخبر القرآن بوقوعه من القيامة وأشراطها ...كطلوع الشمس من مغربها، وبمجيء ربك والملك صفا صفا ... وهذا القدر الذي أخبر به القرآن من هذه ا لأمور لا يعلم وقته وقدره وصفته إلا الله [5].

1- تأويلات أهل السنة .ج3.ص: 246.

2- انظر: مجموع الفتاوى .ج13.ص: 296.(كتاب مقدمة التفسير) 1418ه-1997م.

3- المصدر نفسه .ج13.ص: 277.

4- انظر: المصدر نفسه.ج13.ص: 288، 289، 299 .

5- المصدر نفسه .ج13.ص: 278.

والتأويل في سورة يونس تكذيبهم بالقرآن إذ لم يحيطوا بعلمه ولم يأتهم تأويلهم وفرق (بين الإحاطة بعلمه، وبين إتيان تأويله، فتبين أنه يمكن أن يحيط أهل العلم والإيمان بعلمه ولما يأتهم تأويله، وأن الإحاطة بعلم القرآن ليست إتيان تأويله فإن الإحاطة بعلمه معرفة معاني الكلام على التمام، وإتيان التأويل نفس وقوع المخبر به، وفرق بين معرفة الخبر وبين المخبر به، فمعرفة الخبر هي معرفة تفسير القرآن، ومعرفة المخبر به هي معرفة تأويله) [1].

وقد أوجز معاني آيات التأويل كلها فقال: (فالتأويل هنا – يعني آية سورة النساء – تأويل فعلهم الذي هو الرّد إلى الكتاب والسّنة والتأويل في سورة يوسف تأويل أحاديث الرؤيا، والتأويل في "الأعراف" و"يونس" تأويل القرآن، وكذلك في سورة "آل عمران" و.. في قصة موسى والعالم... التأويل ... تأويل الأفعال التي فعلها العالم ... فهو تأويل عمل لا تأويل قول [2]. وإليك شواهد للتفسير وأخرى للتأويل .

[1]- المصدر نفسه .ج13.ص: 283.

[2]- مجموع الفتاوى. ج13.ص: 291.

– وانظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية .ج3.ص: 24. ففيه كلام نفيس عن التأويل وموقف توفيقي حقيق عليك ألا تجهله تركته لطوله .

ثالثا : ضوابط التفسير والتأويل:

ويتناول الألفاظ والأساليب الواضحة في معانيها ومن ذهب إلى غير هذا ناظرًا إليها على أنها ليست كذلك، باحثا عن هوى نفسه يريد أن يجد له في كتاب الله ما" يؤيده" فغرضه تحريف النصوص وهو موقف يختص به ولا يختص بأساليب اللغة فمن حمله على سوء طويته أو من لا خلاق له كما نعته الشاطبي[1]، على الافتراء على كتاب الله مدعيا أنه مسمى فيه وأنه المراد في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ آل عمران: ١٣٨، مع وضوح اللفظ في دلالته ومعناه، فهذا موقف منه يختص به ولا يختص بأساليب القرآن العربي المبين [2]، وقد وصف الشيخ «عبد القاهر» أمثاله أبلغ وصف حين قال: (وما يعني وضوح الدلالة مع من لا ينظر فيها وإن الصُّبح ليملأ الأفق ثم لا يراه النائم ومن قد أطبق جفنه) [3].لكن ألفاظ القرآن وأساليبه ليست كلها بهذا الوضوح والبيان، ففيها ما دقّ معناه وخفي واحتمل بطبيعة وضعه اللُّغوي وفي سياقه القرآني أكثر من معنى، أو جاء على نحو لا يمكن حمله على معناه الظاهر المتبادر من غير التفات هنا إلى إملاءات مذهبية أو عقائدية بل المعتبر طبيعة اللغة نفسها، وهو معنى قولهم: إنما يسوغ التأويل إذا كانت الجادة على شيء، ثم جاء شيء يخالف الجادة فيُتأول. فهل يحتاج قول الله سبحانه وتعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ آل عمران: ١٣٨: أو قولُه جل وعلا: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾النساء: ١١ إلى تأويل؟!.

أما إذا كان في اللفظ غموض أو تشابه في المعاني مع غيره أو احتمل أكثر من دلالة فهو الذي سماه القرآن متشابهًا وهو الشطر الثاني المقابل للمحكم وهو – أعني المتشابه –: (أن يشبه اللفظُ اللفظَ في الظاهر، والمعنيان مختلفان ... ثم يقال لكل ما غمض ودق متشابه وإن لم تقع الحيرة فيه من

---

[1]- الموافقات. ج3.ص: 391.

[2]- انظر: دراسات إسلامية – التأويل الصحيح – ص: 110.

[3]- دلائل الإعجاز .ص: 455. مكتبة الخانجي – القاهرة – قراءة وتعليق: أبو فهر محمود محمد شاكر .

جهة الشبه بغيره كالحروف المقطعة)[1] فمن تعرض لها بالتفسير فقوله فيها – إن لم يكن عن نقل فهو ضرب من الظن والتخمين [2]، لأن هذه الحروف لا تحمل وجها من وجوه الدلالة بالمعنى الذي تحمله الألفاظ ولذا ذهب الأكثرون في تفسيرها إلى أنها حروف لا يعلم معناها إلا الله نزلت للإعجاز، وأولى منها وأحق بالوقوف عند معانيها. الظاهرة ما يتعلق بأمور الغيب كالكلام في صفات الله تعالى والجنة والنار والبعث والنشور والميزان وغيرها وقد حدد الأصوليون ما يدخله التأويل وما لا يدخله من المحكم تبعا لوضوح وخفاء معاني الألفاظ والسياقات على النحو الذي تقرر عندهم.

فالنص والظاهر، والمفسر والمحكم ليست على درجة واحدة من الوضوح وإن دخلت جميعا عندهم تحت مسمى المحكمات التي يدخلها التأويل بمعناه اللغوي الذي قلنا إنه طبيعة في اللغة كما أن المتشابه من حيث خفاءُ ألفاظه متفاوت:

فالخفي والمشكل والمجمل والمتشابه بينها تفاوت في الخفاء، وأشدها خفاءا وغموضا المتشابه، والناس حياله بين موسع ومضيق والتأويل تابع لهما توسيعا وتضييقا، فما احتمل أكثر من وجه في معناه – لغة – دخله التأويل، وما ليس كذلك كان بمنـــأى عنه، مع ملازمة الدليل للتأويل حماية له وسياجا يحول دون تحريفه [3].

والتأويل قد يكون في اللفظ وقد يكون في المعنى وقد يكون فيهما معا .

وفي جميع الحالات لا يلجأ إلى التأويل بصرف اللفظ أو المعنى أو هما معا إلى معنى ثان إلا لموجب أوجب ذلك وهو الدليل الحامل إلى صرف اللفظ أو المعنى الظاهر إلى غيره بناء على السياق العام الذي يحدد – بالإضافة إلى اعتبارات أخرى – الكيفية التي استعملت فيها الألفاظ، فلفظ "خليلاً" في قول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ النساء: ١٢٥، تأرجح الناس بين حمله على معنى لغوي صحيح وهو الفقر والحاجة، وحمله آخرون على معنى لغوي ثان صحيح أيضا وهو المودة والمحبة، ولكل من المعنيين

[1]- مشكل القرآن .ص: 74.

[2]- انظر: دراسات إسلامية – التأويل الصحيح – ص: 114.

[3]- المرجع نفسه .ص: 137.

شواهده من كلام العرب مع أن اللفظ واحد، والذي يحدد المعنى المراد في الآية سياقها العام، بالإضافة إلى أن الآية تتحدث عن علاقة بين الخالق والمخلوق وهذا (يوجب مراعاة أدلة أخرى كالوقوف تأدبا أمام ألفاظ القرآن، والقول فيها بما يتفق وتنزيه الذات الإلهية عن أفعال الحوادث) [1].

وانظر شواهد أخرى من نحو قوله تعالى: ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ البقرة: ٩ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ الفتح: ١٠، وقوله ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ الأنفال: ٤١، وقوله: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾ الإسراء: ١٦ ولكلمة "أمرنا" معان ثلاثة وردها- على أحد وجوه التفسير- إلى المحكم مرجح لهذا المعنى، فقد قال سبحانه: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ الأعراف: ٢٨ ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ التوبة: ٦٧ مع ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ مريم: ٦٤ والأمر بالسجود لله والأمر بالسجود لآدم وقد يتمرد اللفظ على السياق والأسلوب وتحديد معناه من مثل عسعس المشترك بين الإقبال والإدبار، "والقرء" المشترك بينه وبين الطهر وهو الذي سماه ابن قتيبة بالحروف ذات الوجوه مما يحتمل معنيين يظن واحد معنى، ويظن غيره معنى غيره [2].

وفي القرآن الكريم آيات قد يذهب من لا علم له بمورد النص وأسباب نزوله والملابسات التي أحاطت به إلى تأويلها من نحو قوله تعالى: ﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ

---

[1]- دراسات إسلامية – التأويل الصحيح – ص: 133.

[2]- كتاب المسائل والأجوبة في الحديث والتفسير ص: 48- دار ابن كثير – دمشق – ط1/1410هـ-1990م. تحقيق مروان عطية، محسن خرابة .

– وانظر دراسات إسلامية – التأويل الصحيح – ص: 139.

مَنِ اتَّقَىٰ ۚ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ البقرة: ١٨٩، و﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ التوبة: ٣٧، و"﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ البقرة: ١٥٨، أو﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ المائدة: ٩٣..فالتصدي للتأويل يتطلب فهما صحيحا بالقرآن الكريم ومعرفة ثاقبة باللسان العربي بوجوهه المختلفة [1].

إن حمل آيات القرآن الكريم لوجوه مختلفة، وقبول اللغة واتساعها لمعان كثيرة لا يبرر الذهاب إلى ما شذ من القول ومخالف نصوصا أخرى بل الصواب أن يحمل النص على أحسن وجوهه، والعربية لسعة معانيها قادرة على رأب الصدع الذي أحدثه الذين حملوه وجوها، غيرُها أولى بها وأحق[2]. ودلالات نصوص القرآن الكريم لا تستقى معانيها وتؤخذ من لفظة واحدة داخل السياق بل من معاني الألفاظ مجتمعة داخل سياقها العام السابق واللاحق حتى لا يقع الافتئات على الألفاظ في إفرادها وفي حال تركيبها، وأكثر الغلط والتحريف في فهم المعاني تسلل من هذه الجهة كما رأينا في لفظ "بيان" في قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ آل عمران: ١٣٨ وكما وقع في لفظ "الجبت والطاغوت "، وكما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ ﴾ البقرة: ٦٩ وفي قوله تعالى: ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴾الرحمن:١٩-٢٠ وفي ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ يس: ١٢ إلى ما هنالك من العوج في الفهم الذي شمل كثيرا من آيات القرآن الكريم، ومرده عقول الناس وأهواؤهم التي أملت عليهم الغلط أو التحريف واللّغة بُراء ممّا يصنعون [3].

1- دراسات إسلامية – التأويل الصحيح – ص: 148.

2- انظر: المرجع نفسه. ص: 149.

3- إعلام الموقعين لابن القيم . ج1. ص: 305.

إن إدراك المعاني التركيبية أو المعنى الأصلي والثانوي وفق تقسيم المحاسبي أو معنى المعنى أو المعاني الثانية أو المعنى الإضافي أو لنقل المعاني الباطنية – إن صحت العبارة – في معانيها المستقيمة، وهي كثيرة في التنزيل الكريم ليست لكلّ أحد، ولا تنال إلاّ بفضل الرّوية وذكاء العقول وطول التدبّر، فعلى العاقل الرشيد أن يطلب فقه القول دون الوقوف عند الظواهر الحرفية [1].

وقد ذكر القرطبي أن النبي ﷺ لما نزلت عليه سورة« النصر» قرأها على أصحابه ففرحوا إلا العباس فإنه بكى فقال له ﷺ ما يبكيك ياعم ؟ فقال نعيت إليك نفسك فقال ﷺ: إنه كما تقول، فما عاش بعدها ﷺ إلا ستّين يوما لم يُر فيها ضاحكا أو مستبشرا [2]، فظاهر السّورة أمر له ﷺ إن نصره الله وفتح عليه أن يسبّح بحمد الله ويستغفره وهو المعنى الأساسي الأول الذي لا يقال غيره قبله، فإن احتملت السورة معنى ثانيا بعيدا عن التعسف وليّ عنق الألفاظ والسياق العام قِيل به وقُبل وسمي معنى ثانيا أو المعنى التركيبي أو باطن السورة فلا مشاحّة في الاصطلاح طالما أن الحمل على المعنى الجديد صحيح والقصد من قائله غير قبيح على أن لا يقال إن المعنى المذكور هنا – النعي- (هو.. الحقيقة المرادة من الخطاب)[3]. لأن التسبيح بحمد الله وطلب المغفرة منه جل جلاله أعلى شأنا من بث نعيه ﷺ في السورة على النحو الخفي الذي فُهم، فالمعنى الأول (المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة – كما يقول عبد القاهر الجرجاني[4]-)، كان ولا يزال وسيظلّ هو أساس الخطاب الشّرعي، أما المعنى الثاني أو معنى المعنى – كما يسمّيه عبد القاهر – وهو: (أن تعقل من اللفظ معنى، ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر) [5].

---

[1]- انظر: تفسير المنار.ج5.ص: 233، عند تفسيره لقوله سبحانه: ﴿ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ النساء: ٧٨ دار المعرفة . بيروت .ط2/ 1393ه -1973م .

[2]- انظر: الجامع لأحكام القرآن .ج20 .ص: 232.

[3]- دراسات إسلامية – التأويل الصحيح – ص: 157.

[4] – هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد الجرجاني ، أحد أئمة اللغة وواضعي أصول علم البلاغة (ت 471 ه) .
- ترجمته في : إنباه الرواة .القفطي .2 / 188 – 190 (رقم 402) .طبقات الشافعية .الإسنوي . 2/ 275 – 276 (رقم 1184) . بغية الوعاة .السيوطي .2 / 106 (رقم 1557) .

[5]- دلائل الإعجاز .ص: 263

-انظر: تأويل مشكل القرآن .ص: 45.(وكلا الفريقين -يقصد الإغراق في الباطنية والإفراط في الظاهر – غالطٌ، وقد جعل الله التوسط منزلة العدل، ونهى عن الغلو).

فتالٍ للمعنى الأساس ومترتب عنه (عليه) ومن قلب الترتيب بأن جعل الثاني أولا والأول ثانيا فقد جنى على اللغة وأساء – من حيث يدري أو لا يدري– إلى عقله لما في القلب من قلب لأوضاع اللغة وتحريف لمعانيها إفرادا وتركيبا، وهذا لا يعني التمسك المقيت بحرفية النص لما فيه من تدمير – أحيانا – أو عبث بالنص ولعب باللغة ذاتها التي تأبى في بعض سياقاتها الفهم الحرفي لدلالات تلك الألفاظ، فلو أن أحدا فسر ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ التكوير: ١٨ بأنها عملية الشهيق والزفير سيقال عنه في أحسن الحالات إنه: أصابه جنون طارئ، وشبيه به قول اليهود لما سمعوا قول الحق سبحانه: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٤٥﴾ البقرة: ٢٤٥ فتنادوا بلسان الإثم شاهدين في المدينة على أنفسهم بالكفر: ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ﴾ آل عمران: ١٨١ وهتف من زكت نفسه وصفت روحه: "إن الله كريم استقرض منا ما أعطانا " ﴿فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّۢ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ الأنعام: ٨١ إن العقل الخالع لربقة الإيمان من عنقه مظلم لا ينفذ إلى حقائق الأمور، وإن العين التي لا تنظر بنور الله ترى القريب منها على مسافة لا يمكن بلوغها، إن هذا يصدق على أشياء كثيرة في هذه الدنيا فليحذر الذين يخالفون عن مقصود التأويل وغايته وهو توضيح معنى مبهم بشروط عرفت، أن يجروا النص الكريم قرآنا وسنة إلى إبهام وغموض أشد أو يحرفوا كلام الله من بعدما عقلوه وهم يعلمون.

فيطلقون الأقوال والآراء على عواهنها بلا ضابط و لا كابح لحركة العقل في الفهم و الاستنباط.

المبحث الثالث : التفسير بالرأي بين المانعين و المجيزين و أنواعه.

أولا : الرأي بين المنع و الجواز :

قيل إن الرأي معناه "استخراج حسن العاقبة"، وقيل هو "استخراج صواب العاقبة" وقيل "هو غاية الفكر" وقيل إن معناه: "طلب الحق بضرب من التأمل" [1].

ويطلق الرأي على: الاعتقاد، والاجتهاد*، والقياس، وسميت مدرسة العراق مدرسة الرأي، وأصحابها أصحاب الرأي، أي القياس .

وقد عرفه ابن القيم فقال: (الرأي في الأصل مصدر "رأى الشيء يراه رأيا " ثم غلب استعماله على المرئي نفسه من باب استعمال المصدر في المفعول ... والعرب تفرق بين مصادر فعل الرؤية بحسب محالّها فتقول: رأى كذا في النوم رؤيا، ورآه في اليقظة رؤية، ورأى كذا — لما يعلم بالقلب ولا يرى بالعين — رأيا، ولكنهم خصوه بما يراه القلب بعد فكر وتأمّل وطلب لمعرفة وجه الصواب مما تتعارض فيه الأمارات، فلا يقال لمن رأى بقلبه أمرا غائبا عنه مما يحس به إنه رأيه، ولا يقال أيضا للأمر المعقول الذي لا تختلف فيه العقول ولا تتعارض فيه الأمارات إنه رأي وإن احتاج إلى فكر وتأمل كدقائق الحساب وغيرها) [2].

والرأي المراد في باب التفسير هو الاجتهاد الذي يراعى فيه جملة من الأدوات التي تعين المفسر على توضيح معاني الذكر الحكيم من مثل: معرفة الناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول، وإحاطته بلغة العرب بمعرفة مناحيهم في القول في صورته الإفرادية والتركيبية، ووجوه الدلالة في هذه وفي هذه حتى لا يحمل السياق على غير ما أراده مُنْزله سبحانه وتعالى .

---

[1] انظر: موسوعة مصطلحات أصول الفقه عند المسلمين .ج1.ص: 728.

* والاجتهاد في معناه العام هو (بذل المجتهد وسعه في طلب العلم بأحكام الشريعة، والاجتهاد التام أن يبذل الوسع في الطلب بحيث يحسّ من نفسه بالعجز عن مزيد الطلب) . المستصفى من علم الأصول لأبي حامد .ج2.ص: 510- دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت — تقديم وضبط وتعليق: إبراهيم محمد رمضان .

- ونقل الشوكاني تعريفا للاجتهاد فقال: (هو طلب الصواب بالأمارات الدالة عليه) . إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول .ج2.ص: 716 .

[2] - إعلام الموقعين.ج1.ص: 55.

وعُرِّف الرأي في باب التفسير أيضا بأنه: (بذل المفسر جهده في تفهم معنى النص القرآني والكشف عن مرامي ألفاظه ومدلولاتها، فهو اجتهاد ضمن دائرة النص الموجود في حدود الأصول اللغوية والشرعية) أي ... (بيان النص والكشف عما يتضمنه من أحكام وحكم ومواعظ وعبر إلى غير ذلك مما يتعلق بوظيفة التفسير والمفسر) [1].

والرأي المراد به الاجتهاد، ليس دينا ولكنه عمل العقل في النص بالاستناد إلى ما يجب الاستناد إليه مبتعدا به صاحبه بقدر الطاقة عن الجهالة والضلالة حتى يحمد التفسير ولا يذم (بأن يُلاحَظَ فيه الاعتمادُ على ما نقل عن رسول الله ﷺ وأصحابه مما ينير السبيل للمفسر برأيه، وأن يكون صاحبه عارفا بقوانين اللغة خبيرا بأساليبها، وأن يكون بصيرا بقانون الشريعة حتى يتزل كلام الله على المعروف من تشريعه)[2].

وقد كانت غاية العلماء من وضع ضوابط للتفسير بالرأي نَأْيَ المتعرِّض له عن فوضى التلاعب بآياته والعبث بتعاليمه وصولا إلى قولٍ فيه مستاغٍ تساعد عليه قوانين اللغة، وقواطع الإسلام المعلومة بالضرورة وبراهين العقل التي هي الوجوه الصحيحة التي يحتملها النظر السديد، ويتسع لها صدر الاستدلال كما يقول الزرقاني [3]. ذلك لأن المعروف عند الدارسين لمناهج التفسير أن هذا اللون تضاربت فيه الأفكار وتنوعت مناهج الكتابة فيه حتى ذمه قوم، وحمده آخرون تبعا لقرب التفسير بالرأي هذا من هداية القرآن أو بعده عنها [4].

فخروج التفسير عما ذكر مفسد للمعنى المراد سادٌّ لمجرى الخطاب العربي (إذ الألفاظ إذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع، ومن غير ضرورة تدعوا إليه من دليل العقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالألفاظ، وسقط به منفعة كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ)[5]، وربما كان مصادما للنظر السديد، والتأويل الرشيد، جانحا بصاحبه نحو الهوى، وتاريخ التّفسير فيه

---

[1]- أصول التفسير وقواعده . خالد عبد الرحمان العك – دار النفائس – بيروت – ط2/1406هـ-1986م.

[2]- مناهل العرفان .للزرقاني .ج2.ص: 60.

[3]- انظر: المصدر نفسه.ج2.ص: 46.

[4]- انظر: مباحث في علوم القرآن .د: صبحي الصالح.ص: 238 .

[5]-إحياء علوم الدين للغزالي .ج1.ص: 65 .

كلّ هذا وربّما زاد عليه .

وقد جاء ذمّ هذا في كتاب الله وسنّة نبيّه من مثل قول الحقّ سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾القصص: ٥٠.

وقوله تبارك اسمه مخاطبا نبيه داود عليه السلام ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ص: ٢٦ وقوله عزوجل محذرا نبيه ﷺ مما وقع فيه أقوام بُعث فيهم إخوانه السابقون من الأنبياء حين اتبعوا- أي الأقوام - أهواءهم بل اتّخذوها آلهة: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ الأنعام: ١٥٠

وقد روى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ قال: « لا ينزع الله العلم من صدور الرجال، ولكن ينزع العلم بموت العلماء، فإذا لم يُبْق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالاً فقالوا بالرأي فضلوا وأضلوا » [1]وقد قيل: إن من رد فرعا إلى أصله بأن اجتهد فأداه اجتهاده إلى رأي بداله لم تقم عليه حجة فيه بعد فليس قائلا بالرأي، ولا يعد في نظر أهل العلم والنظر مذموما بل هو معذور [2].

وقد جاءت الروايات بذم الرأي أحيانا وحمده أحيانا أخرى واستحسانه، فمن صور الذم والتحرج ما روي (عن ابن سيرين أنه قال: " لم يكن أحد أهيب بما لا يعلم من أبي بكر ﷺ، ولم يكن أحد بعد أبي بكر أهيب بما لا يعلم من عمر ﷺ) [3].

كما روي عن عمر -ﷺ- روايات كثيرة فيها ذم الرأي والحرج من القول به، وهي آثار تروى

---

[1] - الحديث في صحيح مسلم .كتاب العلم .باب رفع العلم و قبضه وظهور الجهل و الفتن في آخر الزمان . (حديث رقم 2673).ج4 .ص: 2058.

[2] - انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين .لابن القيم .ج1.ص: 44.

[3] - المصدر نفسه .ج1.ص: 44. وانظر الأثر في: "جامع بيان العلم وفضله" لابن عبد البر (أبو عمر يوسف ت: 463ه) .ج2.ص: 830.الأثر رقم: 1555.

عنه ﷺ أسانيدها في غاية الصحة كما يقول ابن القيم [1].

منها قوله: "أصبح أهل الرأي أعداء السنن، أعيتهم أن يعوها، وتفلتت منهم أن يرووها فاستبقوها بالرأي " [2].وقال أبو موسى الأشعري -ﷺ-: (من كان عنده علم فليعلمه الناس، وإن لم يعلم فلا يقولن ما ليس له به علم فيكون من المتكلفين، ويمرَق من الدّين) [3]. فهذه روايات فيها ذمّ للرّأي وتحرّج من الذهاب إليه، ولعل قول أبي موسى الأشعري "... وإن لم يعلم فلا يقولن ما ليس له به علم" تفسير للرأي المذموم أو للرأي الذي يدفع إليه الاضطرار، والذي خير الصّحابة الناس بين قبوله ورده، وما نظروا إلى مخالفه على أنه مخالف للدين، والذي سمّاه "ابن القيّم": (رأي هو موضع اشتباه) [4] .

---

[1]- إعلام الموقعين عن رب العالمين .لابن القيم .ج1.ص: 44.

[2]- المصدر نفسه .ج1.ص: 45.

-وانظر الأثر في "جامع بيان العلم وفضله" .ج2.ص: 1042.تحت رقم: 2003/ونصه عنده: (إن أصحاب الرأي أعداء السنن أعيتهم أن يحفظوها، وتفلتت منهم أن يعوها، واستحيوا حين سئلوا أن يقولوا: لا نعلم، فعارضوا السنن برأيهم فإياكم وإياهم.

[3]- إعلام الموقعين عن رب العالمين .لابن القيم .ج1.ص: 50.

[4]- المصدر نفسه .ج1.ص: 55.

— وفي رواية أخرى ذكرها ابن عبد البر أيضا في جامع بيان العلم وفضله، قال فيها عمر: (إياكم وأصحاب الرأي فإنهم أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها فقالوا بالرأي فضلوا وأضلوا) . ج2.ص: 1042.أثر رقم: 2004.

وفي الأثر الذي يليه (2005) في الصفحة السابقة (1042) .قال عمر— رضي الله عنه — (إياكم والرأي فإن أصحاب الرأي أعداء السنن أعيتهم الأحاديث أن يعوها وتفلتت منهم أن يحفظوها فقالوا في الدين برأيهم) .

وقد حمل ابن عبد البر كل الروايات والآثار الذامة الرأي على: البدع المخالفة للسنن في الاعتقاد كعدم رؤية الله، وسؤال الميت في قبره والشفاعة بقولهم بعدم إخراج من في النار، وقولهم: لا نعرف حوضا ولا ميزانا، ولا نعقل ما هذا، وقولهم: علم الباري محدَثٌ في حين حدوث المعلوم، لأنه لا يقع علمه إلا على معلوم، ليفروا بهذا -- بزعمهم — من قدم العالم . فهذا هو الرأي المهجور المعيب المذموم المبتدع الذي حمل عليه ما ورد من روايات، والذي لا يحل النظر والاشتغال به - انظر جامع بيان العلم وفضله .ج2.ص:1052، 1053.

وقيل يحمل على: (القول في أحكام شرائع الدين بالاستحسان والظنون والاشتغال بحفظ المعضلات والأغلوطات، ورد الفروع والنوازل بعضها على بعض قياسا دون ردها على أصولها، والنظر في عللها واعتبارها، فاستعمل فيها الرأي قبل أن تنزل، وفرعت وشُقّقت قبل أن تقع، وتُكُلّم فيها قبل أن تكون بالرأي المضارع للظن) . جامع بيان العلم وفضله .ج2.ص: 1052.

وهو -أي الأخير من القولين - قول جمهور أهل العلم - كما يقول. والرأي في الأمرين المذكورين مذموم، وللأخير فيهما أيضا شواهد ذكرها ابن عبد البر بعد ذكره للاحتمال الثاني، فانظرها.

ولعل حمل قول أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- على المذموم أولى إذ قد يقود إلى المروق كما قال . ومع ذم الصّحابة للرّأي وتحذيرهم منه ونهيهم عن الفتيا والقضاء به، وإخراجه من جملة العلم إلا أنه روى عن كثير منهم الفتيا، والقضاء به، والدلالة عليه والاستدلال به، وهو ثابت عن عمر وابن مسعود وعلي وعثمان وغيرهم من الصحابة، ولكل منهم طريقته في القول به، فربما جمع له غيره من الصحابة، وربما استعان بواحد أو أكثر، وقد يبدي رأيه مبينا للسائل أو المستفتي أنه رأيه، وكأنهم بالتصريح بأنه رأيهم يخيرون الناس بين قبول ورد ما رأوه فلم يجعلوا مخالفة أقوالهم مخالفة للدّين[1].

ومثل هذا ممّا نقل عنهم في التفسير كثير حتى قيل عن آرائهم -لكثرتها في الموضع الواحد واختلافها -إنّ أقوالهم المختلفة الاختلافُ فيها اختلافُ تنوع وليس اختلاف تضاد، وقد قال غير واحد: (إن من الآيات ما نقل فيها عن الصحابة والمفسرين خمسة معان وستة وسبعة.

وقد كان تلامذة صحابة رسول الله ﷺ مثل شيوخهم في ذمهم الرأي وتحرجهم من استعماله كما كانوا مثلهم أيضا في استعماله وتخريج المسائل واستنباطها بناء على ما هُدوا إليه بعد اجتهاد وبذل وُسعٍ وبعض التابعين — كما يقول ابن تيمية — تلقى جميع التفسير عن الصحابة كمجاهد وهم قد حملوا عنهم علم التفسير كما حملوا السنة، وربما تكلموا في التفسير استنباطا واستدلالا كما تكلموا في بعض السنن كذلك بالاستنباط والاستدلال [2].

وقد روى ابن سعد (محمد ابن سعد بن منيع الهاشمي البصري) بسنده إلى الحسن البصري - رحمه الله - أنّه قيل له: (أرأيت ما تفتي به الناس، أشيء سمعته أم برأيك؟ فقال الحسن: لا والله ما كل ما نفتي به سمعناه، ولكن رأينا لهم خير من رأيهم لنفسهم [3].

وورث هذا وذاك فقهاء الإسلام وعلماؤُه فتركوا ما ترك أسلافهم، وأخذوا مستحسنين ما أخذ أسلافهم واستحسنوه مقتفين آثارهم لأنهم علموا أنهم سُبقوا سبقا عظيما.

---

[1]- انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين .لابن القيم .ج1.ص: 51 وما بعدها .

[2]- انظر: مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص: 37،38 .

[3]- الطبقات الكبرى .ج7.ص: 122 – دار الكتب العلمية – بيروت – ط1/1410هـ-1990م. دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا .

-وانظر: الأثر عن ابن سعد في "جامع بيان العلم وفضله " لابن عبد البر.ج2.ص: 856.تحت رقم: 1619.

فهذا محمد بن الحسن[1] يقول: (من كان عالما بالكتاب والسنة وبقول أصحاب رسول الله ﷺ وبما استحسن فقهاء الإسلام وَسِعه أن يجتهد برأيه فيما يبتلى به، ويقضي به، ويمضيه ... فإذا اجتهد ونظر وقاس على ما أشبه ولم يأل، وسعه العمل بذلك، وإن أخطأ الذي ينبغي أن يقول به) [2].

وروى ابن عبد البر أن (عبد الله بن المبارك سُئل: متى يسع الرّجل أن يفتي ؟ قال: إذا كان عالما بالأثر بصيراً بالرّأي)[3].

وقد جعل الأكثرون الرأي رأيين: رأي مذموم مرذول مردود باطل، وهو الذي لم يحز من درجات القبول على أدناها لأن بنيانه أسس على شفا جرف هار، وأولوا النهى مصفقون على طرحه وعدم الاعتداد به حتى لا يركب الناس الشّطط بل العبث بالوحي، ذلك لأنّه مخرج للألفاظ عن دلالتها القريبة والبعيدة إلى "دلالات" مبتوتة ومقطوعة عن سياق النّصوص العام .

ورأي محمود، وقد جعله ابن القيم – رحمه الله – أربعة أقسام بعضها فوق بعض فأعلاها ما شيده أصحاب الحصون المنيعة، والسهام التي لا تخطئ، والمصابيح التي لا تنطفئ لأنها من نور القرآن اقتبست، ومن مشكاة النبوة اغترفت، فجاء اجتهادهم موافقا للكتاب والسنة واللغة متجردا من كل شائبة هوى[4].

---

[1] – هو محمد بن الحسن الشيباني (ت: 189 ه) من موالي بني شيبان ، أبو عبد الله إمام بالفقه و الأصول و هو الذي نشر علم أبي حنيفة، له كتب كثيرة في الفقه و الأصول منها "المبسوط " في فروع الفقه "الجامع الكبير" و"الجامع الصغير" وغيرها .

– انظر: وفيات الأعيان . 1/ 453 . الأعلام .6 / 80 .

[2] – إعلام الموقعين عن رب العالمين .لابن القيم .ج1.ص: 55.

–وانظر: قول صاحب أبي حنيفة في"جامع بيان العلم وفضله" لابن عبد البر.ج2.ص: 857.ط3.أثر رقم: 1622.(مع اختلاف بسيط لا يضر وهو: أن يجتهد رأيه بدلا برأيه فيما ابتلي به بدل فيما يبتلى به) .

وفيه أيضا (جامع بيان العلم وفضله .ج2.ص: 854.أثر رقم: 1615أن الزُّهْري قال: (نعم وزير العلم الرّأي الحسن).

وقد ذكر ابن عبد البر من التابعين ممن سكنوا الأمصار المختلفة وحواضر العلم المتكاثرة في زمانهم من أهل المدينة، ومكة واليمن والكوفة، والبصرة والشّام، ومصر، وبغداد، عددا غير قليل حفظ عنهم القول والإفتاء مجتهدين بآرائهم فيما لم يجدوا فيه نصا .

انظر: جامع بيان العلم وفضله .ج2.ص: 858، 859 .

[3] – المصدر نفسه .ج2.ص: 818. أثر رقم: 1532.

[4] – انظر: منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير.د: فهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرّومي .ج1.ص: 27، 28 – مؤسسة الرسالة – بيروت –ط3/1407ه.

إذ هو رأي أفقه الأمّة وأبرّها قلوبا، وأعمقها علما، وأقلّها تكلّفا، وأصحّها قصودا، وأكملها فطرة وأتمّها إدراكا، وأصفاها ذهنا، شهدوا التّنزيل وفهموا مقاصد الرّسول، فنسبة ما عندهم من العلم مما جاء به ﷺ كنسبتهم إلى صحبته، ونسبة رأيهم إلى رأي غيرهم كنسبة قدرهم إلى قدرهم[1].

حتى أثر عن الشّافعي – رحمه الله – أنّه قال عن آرائهم إنها أحمد وأولى بنا من رأينا عند أنفسنا لأنه رأي صادر من قلوب ممتلئة نورا وإيمانا وحكمة وعلما ومعرفة وفهمًا عن الله ورسوله، فلا واسطة بينهم وبينه ﷺ، كما أن علمهم وإيمانهم منقول من مشكاة النبوة غضا طريّا لم يشبه إشكال، ولم يمزج بخلاف، ولم يدنّس بمعارضة، فقياس رأي غيرهم إلى رأيهم من أفسد القياس [2].

والرّأي المحمود الآخر الذي ذكره "ابن القيم" هو ما يعنينا لما له من تعلق بما نحن فيه وهو أمس رحما بالرأي المحمود المتعلق بتفسير كتاب الله تعالى، وهو الرأي الذي (يفسر النصوص، ويبين وجه الدلالة منها، ويقررها، ويوضح محاسنها، ويسهل طريق الاستنباط منها ... وهذا هو الفهم الذي يختص الله سبحانه به من يشاء من عباده) [3].

فالمخالفة والبون بين هذا وبين من انطوى غرضه من وراء الآية على تقرير أمر وتحقيقه فاستجرّ شهادة القرآن إليه، وحملها عليه، من غير أن يشهد لتنزيلها عليه دلالة لفظية لغوية أو نقلية [4] شاسع، فالأول منهما راعى عرف القرآن الخاص،ومعانيه المعهودة التي لا يناسبه أن يفسر بغيرها كما قيل.

أما الثّاني فقد ضرب صفحا عن هذا وما شاكله فكثر خطؤه وفسّر الآية بما لم تسق له.

المجيزون:

وفريق جوّز هذا وأباح القول في القرآن بالرأي والاجتهاد لمن تأهّل له وملك أدوات القول فيه بالرّأي والاستنباط، ومستند القائلين بجواز ذلك الكثرة الكاثرة من آي القرآن الكريم الصريحة في الحضّ على التدبّر في آيات الله المنزّلة أحيانا، والآيلة في معناها إلى الحضّ على التدبّر، بالإضافة إلى

---

[1]- انظر: إعلام الموقعين .ج1.ص: 65.

[2]-المصدر نفسه .ج1.ص: 67.

[3]- المصدر نفسه .ج1.ص: 67.

[4]-انظر: إحياء علوم الدين للغزالي .ج1.ص: 66.

الروايات الواصلة عن الصّحابة الكرام أنّهم قالوا في كتاب الله تعالى "برأيهم" ونقل رواة التفسير أقوالهم واختلافاتهم في ذلك، وهي وإن كانت قليلة لكنها تقوم شواهد وأدلة على الجواز .

فمن أدلّة الجواز من الكتاب الكريم قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ النساء: ٨٢ فإن كان تفسير الآية بين أيدي الناس منقولا عن رسول الله ﷺ أو عن صحابته أو عن التابعين فَلِم يؤمر الناس بالتدبر طالما أن المراد بين أيديهم ؟ وماذا يستنبطون إن كان المعنى مفهوما ؟! واستنباط المطلوب ثمرة التأمل وغاية التفكّر والتدّبر، وقد أثبت الله جل جلاله (لأهل العلم استنباطا ومعلوم أنه وراء السماع) [1]، وليس وراء النقل والسماع إلّا الرّأي والاجتهاد .

وقوله تبارك وتعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ ص: ٢٩، وقوله سبحانه: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ محمد: ٢٤ .

أما صحابة رسول الله ﷺ فقد اجتهدوا – كما قلت – واختلفوا، والنقل عنهم تجاوز المروي عن رسول الله ﷺ فالآراء آراؤهم وكتب التفسير مليئة بأقوالهم في كتاب الله تعالى -كما سنرى -، فلو كان التفسير مقصورا على السماع والمروي ما كانوا بحاجة إلى أن يقولوا بآرائهم[2]، ثم ما وجه دعاء النبي ﷺ لابن عباس بأن يفقهه في الدين ويعلمه التأويل إن كان التأويل هو المنقول عنه ﷺ قرآنا وسنة والتأويل هنا عام لم ينقل عن أحد أنه خصصه، بل إن الذهن ينصرف أول ما ينصرف في فهمه للدعاء الكريم إلى تعليم التأويل في كتاب الله تعالى لأنه مصدر الشريعة الأول وكُليّ الدين الذي استقيت منه فروع الإسلام كلها، ففي رحابه مجال واسع لمن منّ الله عليه فرزقه الفهم فيه (والمنقول من ظاهر التفسير ليس منتهى الإدراك فيه -كما يقول الغزالي-) [3]. وقد تولّى الغزالي – رحمه الله – الإجابة عن الرّوايات التي ورد النّهي فيها عن القول في القرآن بالرأي بوجوه منها: أن المسموع عنه ﷺ قليل ومنها أن الصحابة اختلفوا في تفسير بعض الآيات فلو ثبت عنه ﷺ فيها تفسير لقطع

---

[1]- إحياء علوم الدين .ج1.ص: 450-دار الحديث – القاهرة –تحقيق: أبي حفص سيد بن إبراهيم بن صادق بن عمران .

[2]- انظر: التفسير والمفسرون.ج.1.ص: 83.

[3]- إحياء علوم الدين .ج1.ص: 449 .

الخلافَ بينهم، ومنها: دعاؤه لابن عباس، (فلو كان التأويل مسموعا كالتنزيل ومحفوظا مثله فما معنى تخصيصه بذلك ؟)[1].

وعليه فالمراد بالرأي في الروايات - وفي بعضها مغمز عند المحدثين — الفاسد الموافق للهوى الذي يقود إلى البحث في آيات القرآن الكريم عما يتوهم أنه يشبع حظوظ نفسه ويروي ظمأ انتصاره لوجهته الفاسدة (جاعلا هواه رائده ومذهبه قائده) [2]،أو أن يبادر إلى التفسير بالاعتماد على ظاهر اللغة ضاربا صفحا عن المسموع والمروي فيكثر غلطه [3].

(فمن زعم أن لا معنى للقرآن إلا ما ترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن حدّ نفسه، وهو مصيب في الإخبار عن حدّ نفسه، ولكنه مخطئ في الحكم بردّ الخلق كافة إلى درجته التي هي حدّه ومحطّه)[4].

ولا حجّة للمانعين في إحجام بعض الصّحابة والتابعين عن القول في القرآن برأيهم، لأن هذا قد يكون مبعثه الورع والخشية من عدم إصابة ما يظن أنه صواب، وربما كان مما لا يعرفون وجه الصواب فيه، وسكوتهم عما لا يعلمون من مناقبهم ﷺ وهو الذي لا ينبغي أن يغفل عنه كل من تصدر لهذا الأمر حتى لا تصل به الغفلة إلى أن يقول على الله ما لا يعلم [5].

أدلّة المانعين للرّأي:

والناس في تفسير القرآن الكريم بالرأي فريقان: فريق لا يرى أن يفسر القرآن بالرأي ولو من موسوعي ألمّ بالمعارف المختلفة التي تعين على فهم كلام الله تعالى وتثمر استنباطا لمعانٍ مكنونة فيه وليس للمفسر إلا أن يرجع إلى القرآن نفسه يأخذ منه، ذلك لأن الكثير من الآيات شرح بعضها بعضا فما أجمل في موضع فصّل وبسط في موضع آخر وليس بعد تفصيل وشرح المنزِل للقرآن شرح

---

[1]- إحياء علوم الدين .ج1.ص: 449، 450.

[2]- التفسير والمفسرون .ج1.ص: 254.

[3]- انظر: إحياء علوم الدين .ج1.ص: 450، 451 .

[4]- المصدر نفسه .ج1.ص: 447.

[5]- انظر مناهل العرفان .ج2.ص: 67،وج1.ص: 251.

وهو أغلى وأعلى وغاية ما يطلب في هذا الباب وهو الذي اصطُلح على تسميته بتفسير القرآن بالقرآن، فإن لم يكن فبما نقل عن النبي ﷺ وقد بين النبي ﷺ لأصحابه معاني القرآن كما بين لهم أحكامه وتشريعاته، فإن لم يوجد فيما نقل عن النبي ﷺ فعن صحابته الذين شهدوا التنزيل وعاصروا الوحي وعلموا علم يقين دقيقَ ما أنزل على نبيهم عليه الصلاة والسلام، فإن لم يكن فعن الذين أخذوا عنهم من تلامذتهم من التابعين، فقد أوقفوهم على دقيق العلم ونفيسه، وأبرز شاهد ما رواه غير واحد عن مجاهد أنه كان – أثناء تلقّيه للقرآن الكريم عن ابن عباس – يسأله عن كل آية، ويوقفه عند كل سورة يستفهمه عما أشكل عليه، وحجّة المنع ودليل النّهي عن تفسير القرآن بالرّأي عند هذا الفريق أن غاية ما يصل إليه التفسير بالرّأي ظنٌّ، والظن لا يغني من الحق شيئا، فالأسلم للمفسر والأحوط له ولغيره ألّا يرتقي هذا المرتقى الصّعب حتى لا يوصم بالتقوّل على الله وعلى كتابه بغير علم، وبين يديه من المنقول ما يغنيه عن الرّأي المثمر للظّن وهو مأمور بأن لا يقفوا ما ليس له به علم في غير ما موضع من كتاب الله تعالى من نحو قوله سبحانه في معرض ذم من عبد مالا وزن له عند الله تعالى من مخلوقاته فكيف يعبد المخلوق ويترك الخالق سبحانه وتعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ الحج: ٧١ وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ الإسراء: ٣٦، وفي قوله تعالى: ﴿ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ٨٠، ثم إن المفسر كُفي التبيين، إذ هو- أعني التبيين – وظيفة رسول الله التي أمر بها في قوله سبحانه: ﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ النحل: ٤٤ وقد أضيف البيان إليه في الآية الكريمة، فعُلم أنه ليس لغيره شيء من بيان معاني القرآن [1]. بالإضافة إلى أنه ﷺ بشّر القائل برأيه في القرآن الكريم بتبوُّئ مقعده من النار، وأن من قال فيه برأيه فأصاب فقد أخطأ، وهو "صريحٌ" في النّهي عن القول بالرّأي في القرآن، ولعلّ هذا هو الذي حمل بعض الصّحابة والتّابعين بل وبعض من جاء بعدهم على عدم التّعرض للقول في كتاب الله تعالى برأيهم، هيبة من كتاب الله تعالى وتعظيما لحرمته، وقد روي

[1]- انظر: التفسير والمفسرون. ج1. ص: 248.

التحرّج عن أبي بكر وأبيّ وسواهما من الصحابة كما روى هذا عن الشعبي، وسعيد بن المسيّب[1]، وأثر عن الأصمعي أيضا وهو من أوعية العلم ومن فحول اللّغة والآثار في هذا كثيرة دلّت في مجملها على أن التّصدي للقول في القرآن بالرّأي أمر جلل ومظنّة للوقوع في الزّلل .

إنّ المانعين للقول في كتاب الله بالرّأي استندوا إلى أدلّة منها أحاديث يرفعونها إلى النبي ﷺ تنهى عن ذلك، وقد ساق ابن جرير سبع روايات بسنده إلى ابن عباس عن النبي ﷺ في خمس وروايتين بسنده أيضا إلى أبي بكر رضي الله عنه فيها جميعا النهي عن القول في القرآن بالرأي مع اختلاف يسير بينها، فالخمس المنقولة عن النبي ﷺ: من قال في القرآن برأيه — وزاد في الثانية "أو بما لا يعلم"، وفي الثالثة: "من قال في القرآن بغير علم" والرابعة كالأولى أما الخامسة فلفظها من تكلم في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النّار(●1).

أمّا ما روى عن أبي بكر ﷺ فهو قوله: «أي أرض تقلني، وأي سماء تظلني إذا قلت في القرآن مالا أعلم »، وفي الرّواية الثّانية: "إذا قلت في القرآن برأيي أو بما لا أعلم " وقد تولّى ابن جرير – رحمه الله– شرح هذه الروايات، وحصر القول بالرأي فيما لا يدرك علمه إلا بنص بيان منه –ﷺ– أو بنصب الدلالة عليه، فمن تولى من الناس تفسير ما هذا حاله وشأنه برأيه فقد أخطأ وإن أصاب الحق لأن تعرضه لمثل هذا اللون من التفسير إنما هو تعرُّضٌ خارص وظان لأنه قائل في كتابه الله تعالى بما لا يدرك علمه إلا بيان منه –ﷺ– الذي جعل إليه بيانه(●2)ثم خرّج عليه معنى قوله ﷺ في الحديث الذي رواه هو بسنده إلى جندب أن رسول الله ﷺ قال: "من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ " بأنه قِيلٌ فيما لا يدرك علمه إلا ببيان منه ﷺ [2]ولذا قال بعد ذلك وهو يشرح آية التدبر: أن الله أمر

---

[1]- إمام يقتدى بأفعاله و يهتدى إلى طريق الخير بأقواله ، (ت : 94ه) عن نحو 84 سنة .

- انظر ترجمته في : تذكرة الحفاظ .1/ 44 (رقم 38) ، الكواكب الدرية .1/ القسم الأول .298 – 302 (رقم 10) .

[1]● ومعنى "فليتبوأ": (فليتخذ له مباءة أي منزلا من النار) تفسير الخازن (علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي (ت: 725ه)، المسمى: لباب التأويل في معاني التنزيل.ج1.ص: 6 / أو (ينزل ويحل) كما في الجامع للقرطبي .ج1.ص: 38.نقلا عن كتاب "الرد"لابن الأنباري – النحوي اللغوي –

[2]● مما يفصل حمل ما في آيه من أمر الله ونهيه، وحلاله وحرامه، وحدوده وفرائضه، وسائر معاني شرائع دينه)(#).

(#) جامع البيان .ج1.ص: 38.

[2]- انظر: المصدر نفسه .ج1.ص: 34، 35 .

عباده وحثهم على معرفة تأويل ما لم يحجب عنهم تأويله من الآيات التي لم يستأثر بعلمها جل جلاله دون خلقه، وأمره سبحانه وحثه عباده على ذلك يفسد (قول من أنكر تفسير المفسرين من كتاب الله وتنزيله، ما لم يحجب عن خلقه تأويله) [1].

وقد تولى ابن عطية توجيه الحديث الذي رواه الطبري بسنده عن جندب: من تكلم – كما في المحرر الوجيز – بدل "من قال" كما عند الطبري – في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ فقال: (ومعنى هذا أن يسأل الرجل عن معنى في كتاب الله، فيتسوّر عليه برأيه دون نظر فيما قاله العلماء، واقتضته قوانين العلوم كالنّحو والأصول، وليس يدخل في هذا الحديث أن يفسر اللّغويون لغته، والنحاة نحوه، والفقهاء معانيه، ويقول كل واحد باجتهاده المبني على قوانين علم ونظر، فإن القائل على هذه الصفة ليس قائلا بمجرد رأيه) [2].

وقد أوجز الخازن متعلق النهي في الأحاديث فقال – بعد إيراده لبعضها –: (قال العلماء: النهي عن القول في القرآن: الرأي (كذا) إنما ورد في حق من يتأول القرآن على مراد نفسه وما هو تابع لهواه) [3].

والقرطبي –رحمه الله تعالى – ذكر في مقدمة تفسيره رأيين فسر بهما ابن الأنباري (أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار بن محمد النحوي اللغوي) في كتابه "الرد" الرّوايات النّاهية عن القول في مشكل القرآن بما لا يعرف أو بما يعلم أن الحق غيره، وأردفه بقول ابن عطية – وقد مرَّ- قال – أي القرطبي –: (قلت: هذا صحيح وهو الذي اختاره غير واحد من العلماء، فإن من قال فيه بما سنح في وهمه، وخطر على باله من غير استدلال عليه بالأصول فهو مخطئ، وإنّ من استنبط معناه بحمله على

---

[1]- جامع البيان .ج1.ص: 37.

[2]- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز .ج1.ص: 29.

– وانظر معالم التنزيل .للبغوي: ج1.ص: 67، 68 . فقد قال بعد إيراده لأحاديث النهي عن التفسير بالرأي: (وذلك فيمن قال من قبل نفسه شيئا من غير علم، فأما التأويل وهو صرف الآية إلى معنى محتمل موافق ما قبلها وما بعدها غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط فقد رخص فيه لأهل العلم).

[3]-تفسير الخازن .ج1.ص: 6.

– وانظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن .ج1.ص: 18، 19 .

الأصول المحكمة المتفق على معناها فهو ممدوح) [1].

ثم ردّ قول من ذهب إلى أن التّفسير موقوف على السّماع، ونعته بالفساد، لأن ترك الاستنباط بالاقتصار فقط على المسموع والمنقول باطل لاختلاف الصحابة في التفسير بثبوت أقوال عنهم لم يسمعوها منه ﷺ وحَمْلُ النهي على ما حمله عليه غيره ممن سبق ذكرهم وهو حمل الآية على رأيه وهواه، أو يتسارع إلى تفسيرها بظاهر العربية بعيدا عن النقل والسماع، ومن غير مراعاة لأساليب العرب في كلامها المشتمل على الاختصار والحذف والإضمار والتقديم والتأخير، فمن لم يراع هذا كثر غلطه، والنهي منصب على ما كان كذلك، وإلا جاز من غير أن يتطرق إليه النهي [2].

وسلك السبيل ذاتها أبو حيان حين وصف الذّاهبين إلى أنّ التّفسير مضطر إلى النقل في فهم معاني تراكيبه بالإسناد إلى مجاهد وأضرابه، وأن فهم الآيات متوقف على ذلك مع كثرة ما يرى من اختلاف وتباين بينهم في التفسير، ومع ما روى عن علي رضي الله عنه ... "أو فهما يؤتاه الرجل في كتابه" وصف كلام هؤلاء بالسّاقط لما فيه من عدم الاعتداد بما استخرجه الناس بعد التابعين من المعاني والدقائق، ولانتفاء اسم التفسير عنه –بزعمهم– حتى ينقل بالسند إلى مجاهد ونحوه [3].

وفي تفسير ابن كثير أن القول في القرآن الكريم بمجرد الرأي حرام مستندا في ذلك إلى روايات وأقوال فيها بعض ما مر، وأقوال لأئمة أعلام في التفسير وغيره كسعيد بن المسيب وباقي فقهاء المدينة السبعة والشعبي وغيرهم ثم قال نقلا عن ابن تيمية وإن لم يشر هو إلى هذا: (فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعا فلا حرج عليه)[4]

ولقد رويت عن الصحابة وأولئك الأعلام روايات في التفسير فدلّ هذا على أنهم تحدثوا فيما يعرفون وسكتوا عمّا لا يعرفون وهذا هو الواجب [5].

1- الجامع لأحكام القرآن .ج1.ص: 39.

2- المصدر نفسه .ج1.ص: 39، 40 .

3- انظر: البحر المحيط .ج1.ص: 13، 14 .

4- تفسير ابن كثير .ج1.ص: 12 .

5- انظر: مقدمة في أصول التفسير .لابن تيمية (تقي الدين محمد بن عبد الحليم ت: 728ه) ص: 114 –دار القرآن الكريم – الكويت–ط1/1391ه–1971م.

وقد نصّ الألوسي على أن الشائع منع التفسير بالرأي ونزّل المنع، وحمل النهي على ما حمله عليه غيره من قصور بمعرفة لغة العرب، وقلة باع بمعرفة الأثر كالناسخ والمنسوخ، أو حمل لما يوافق الهوى والمذهب فيجعل التفسير تابعا لمذهبه وهواه، أو ينبري لمتشابه لا يعلم حقيقته إلا الله جازما وقاطعا بأنّ مراد الله ما قال هو، فإن سلم من هذه فله أن يفسّر القرآن برأيه لتظافر الأدلة على ذلك.ومنها آيات التدبّر التي سبق ذكرها، ولأن الواصل إلينا من رسول الله ﷺ في قلته كالكبريت الأحمر – كما يقول – فالمعول عليه في هذا الأمر (إن من كان متبحرا في علم اللسان مترقيا منه إلى ذوق العرفان، وله في رياض العلوم الدينية، أوفى مرتع، وفي حياضها أصفى مكرع، يدرك إعجاز القرآن بالوجدان لا بالتقليد، وقد غدا ذهنه لما أغلق من دقائق التحقيقات أحسن إقليد، فذاك يجوز له أن يرتقي من علم التفسير ذروته ويمتطي منه صهوته) [1].

وفي المقدمة الثالثة من المقدّمات العشر التي استهلّ بها "ابن عاشور" تفسيره نصّ على إباحة التفسير بالرأي لمن استجمع من علومٍ –ذكرها يُستمد منها التفسير– حظا كافيا وذوقا ينفتح له بهما من معاني القرآن الكريم ما ينفتح عليه، موجّها لأحاديث النهي ورواياته على النحو الذي وجّهها به غيره، وقد مر عن غير واحد –،ثم قال: (و هل اتّسعت التفاسير وتفنّنت مستنبطات معاني القرآن إلا بما رُزِقه الذين أوتوا العلم من فهم في كتاب الله؟ وهل يتحقق قول علمائنا"إن القرآن لا تنقضي عجائبه"إلا بازدياد المعاني باتّساع التفسير ؟ ولولا ذلك لكان تفسير القرآن مختصرا في ورقات قليلة[2]. ثم دفع الشبه الناشئة من الآثار المروية في التحذير من تفسير القرآن بالرأي بما دفعها به غيره من المفسرين منهيا الحديث عن جواز التفسير بالرأي، دافعا لقول من جمدوا –كما وصفهم– على القول بأن التفسير ينبغي أن لا يعدوَ المأثور، لكونهم رموا هذه الكلمة على عواهنها و لم يضبطوا مرادهم بها، فإن أرادوا القليل المروي عن النبي ﷺ (فقد ضيّقوا سعة معاني القرآن وينابيع ما يُستنبط من علومه) [3].

إن مقابلة أقوال وآراء المفسرين وعلماء القرآن يوصلنا إلى ما وصل إليه بعض هؤلاء وهو أن

---

[1] – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني .ج1.ص: 28 .

[2]- التحرير والتنوير .ج1.ص: 26 .

[3]- المصدر نفسه .ج1.ص: 30.

الاختلاف بين المجيزين والمانعين لفظي [1]، لأنه – أعني الاختلاف- يؤول إلى الجزم في "الممنوع" كما يسميه صبحي الصالح، وهو ما استأثر الله بعلمه ووقت وقوعه: (بأن مراد الله كذا من غير برهان، ومحاولة تفسير الكتاب الكريم مع جهل المفسر بقواعد اللغة وأصول الشرع، أو تأييد بعض الأهواء بآيات من القرآن زورا وبهتانا، أما إذا كانت الشروط المطلوبة متوفرة في المفسر فلا مانع من محاولته التفسير بالرأي، بل لعلنا لا نبعد إن قلنا إن القرآن نفسه يدعوا إلى هذا الاجتهاد في تدبر آياته وفق تعاليمه، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ محمد: ٢٤، وقال عز وجل: ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ ص: ٢٩ [2].

ولأنّ الاختلاف في التفسير بالرّأي لفظي – كما قيل –، وهذا هو ما فهمه المتقدّمون وتبعهم من جاء بعدهم وعملوا وفقه، فأخرجوا لنا مؤلّفات متنوّعة تنوّع معارف أصحابها كما سنرى فيما يلي .

---

[1]- انظر: مناهل العرفان .ج2.ص: 69.

– انظر: التفسير والمفسرون .ج1.ص: 253.

– انظر: أصول التفسير وقواعده .ص: 171.

[2]- مباحث في علوم القرآن .ص: 240.

ثانيا : أنواع التفسير بالرأي:

وممن ذهب إلى أنّ الخلاف لفظيّ من المعاصرين الذهبي –رحمه الله–● مستندا في ذلك إلى التقسيم الثنائي للتفسير بالرأي، محمود ومذموم، والمذموم مجمع على طرحه، فلم يبق إلاّ المحمود وتصرف النظر عن هذا فإن المكتبة الإسلامية مملوءة بالتفاسير المعدودة من التفاسير بالرأي والمصنف أصحابها من بين من قالوا في القرآن "برأيهم".

والحقيقة أن التفسير الذي تمحض للأثر تكاد المكتبة التفسيرية تخلو منه، وكذلك التفسير الذي خلص للرّأي، ذلك أن كلاّ منهما فيه شيء من هذا وشيء من ذاك، فالرّأي موجود عند مَن قيل إن تفاسيرهم – خلصت للمأثور – وإن غلب هذا على الرأي حتى عُد صاحبُه كذلك، والتفسير بالمأثور موجود عند أصحاب الرأي وإن لم يظهر ظهور الرأي فيه، فالحكم في النهاية أغلبي بلا شك. ولعل التقسيم الثنائي للتفسير الذي ذكره الذهبي، والعك وغيرهما هو ما أشار إليه ابن كثير رحمه الله تعالى في مقدمة تفسيره حين قال: (فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام) [1]، ولعله عنى هنا التفسير بالرأي المذموم، ولأن الأدلة التي ساقها بعد ذلك تدل على أنه المراد، ثم قال بعد ذلك أيضا ما يدل على أن القول في التفسير إن كان عن علم وبعد بذل الجهد والسعة لا حرج فيه فقال: (فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف محمولة على تحرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم فيه، فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعا فلا حرج عليه، ولهذا رُوي عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير، ولا منافاة لأنهم تكلموا فيما علموه وسكتوا عما جهلوه، وهذا هو الواجب على كل أحد، فإنه كما يجب السكوت عما لا علم له به فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه) [2].

وسأعرض لبعض التفاسير التي وضعت في خانة الرأي بنوعيه الممدوح والمذموم على أن يكون التفسير الإشاري بنوعيه – وهو أحدها – في مطلب خاص به بالإضافة إلى إدراج التفسير اللغوي ضمن الرأي اتباعا لما عليه الأكثرون ومنهم محمد حسين الذهبي، وخلافا لما ذهب إليه الشيخ "العك"

●انظر: التفسير والمفسرون .ج1.ص: 188- مكتبة مصعب بن عمير الإسلامية /1424ه-2004م.

1- تفسير ابن كثير .ج1.ص: 10.

2- المصدر نفسه .ج1.ص: 12.

في كتابه "أصول التفسير" و"خالد بن عثمان السبت" في كتابه " قواعد التفسير جمعا ودراسة".

والرأي رأيان: رأي بني على جهل أو غلبة هوى وهو الذي اتفق أهل العلم بالتفسير وغيره على رده وعدم قبوله .

أما ما بني من الرأي والقول على علم أوغلبة ظن وكان جاريا على لغة العرب موافقا لها في أساليبها ومعهودها في الخطاب غير مناقض لمقصد من مقاصد الشريعة أو مصادما لنص من نصوصها الصحيحة مصادمة حقيقية فهو الذي قبله أكثر العلماء وخص الله به كثيرا من الأصفياء[1]،ولعله هو الذي عناه الزركشي وجعله نوعا رابعا من أمهات مآخذ التفسير للنظر في القرآن وسماه: التفسير بالمقتضى من معنى كلام العرب والمقتضب من قوة الشرع، وهو الذي في دعاء رسول الله – ﷺ- لابن عباس، والفهم الذي يؤتاه الرجل في كتاب الله تعالى كما في صحيح البخاري عن علي كرم الله وجهه وهو خلاف التفسير بمجرد الرأي والاجتهاد من غير أصل، فهذا صاحبه واقع في الخطأ بلا شك [2].

وقد ذكر الذهبي (محمد حسين) جملة من التفاسير بالرأي الجائز، وأخرى للرأي المذموم مقتصرا على أهمها في النوعين، ففي النوع الأول ذكر: – مفاتيح الغيب للفخر الرازي[3]

– أنوار التنزيل وأسرار التأويل للقاضي البيضاوي[4].

---

[1]- انظر: التفسير والمفسرون .ج1.ص: 183.

[2]- البرهان في علوم القرآن .ج1.ص: 161.

[3] – هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي الطبرستاني الرازي الملقب بفخر الدين و المعروف بابن الخطيب العربي القرشي (ت 606ه) ينتهي نسبه إلى أبي بكر الصديق –رضي الله عنه – من فقهاء الشافعية اللامعين ، ومن علماء الكلام البارزين . مصادر ترجمته : وفيات الأعيان .4/ 248 – 252 (رقم 600) ، البداية و النهاية . ابن كثير . 13 / 65 – 66 ، النجوم الزاهرة .ابن تغرى بردي . 6 / 197 – 198 ، طبقات المفسرين . السيوطي .ص: 100 – 101 (رقم 119) ، طبقات المفسرين .الداوودي . 2/ 213 – 217 (رقم 550) ، معجم المفسرين . عادل نويهض . 2/ 596 .

[4] – هو ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد بن علي البيضاوي الشافعي من بلاد فارس، عالم أذربيجان وشيخ تلك الناحية (ت: 685 ه) . انظر ترجمته: البداية والنهاية، 13 / 356، بغية الوعاة . 2 / 50 / 51، (رقم 1406) ، طبقات الداودي (1 / 242) ، شذرات الذهب . 5 / 392، معجم المفسرين . عادل نويهض . 1 / 318 .

-مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي[1].

-ولباب التأويل في معاني التنزيل للخازن [2].

- البحر المحيط لابن حيان الأندلسي .

-غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري [3].

- بالإضافة إلى تفسير الخطيب الشربيني[4](السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير). وتفسير أبي السعود[5]"إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم"، مختتما هذا النوع من التفسير بـــ: "روح المعاني" للآلوسي البغدادي.

ومعلوم أن التفاسير بالرأي المحمود كانت موجودة قبل تفسير الفخر الرازي كما وجدت تفاسير أخرى سلك أصحابها مسلك هؤلاء ظهرت بعد تفسير الآلوسي، بعضها كان مطبوعا متداولا زمن كتابة الشيخ الذهبي لكتابه "التفسير والمفسرون" وبعضها كان لا يزال مخطوطا، وقد صرّح بذلك في بعضها، فالظّاهر أنه أراد عرض أشهر التفاسير بالرأي المحمود، وقد اتكأ في تصنيف هذا على جملة من

---

[1]- هو عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي أبو البركات(ت: 710ه) ، فقيه حنفي مفسر له مصنفات جليلة منها : "مدارك التنزيل" في تفسير القرآن ، "كنز الدقائق " في الفقه ، "المنار" في أصول الفقه وغيرها .

- انظر ترجمته في : الدرر الكامنة .ابن حجر .151/2(رقم 2119) ، معجم المفسرين .304/1 . الأعلام .4/ 68.

[2]- هو علي بن محمد بن إبراهيم الشيحي علاء الدين المعروف بالخازن (ت: 741ه) عالم بالتفسير و الحديث ، من فقهاء الشافعية، بغدادي الأصل ، توفي بحلب ، له تصانيف كثيرة . انظر : الدرر الكامنة . 3. 58 . معجم المفسرين .نويهض .379/1. الأعلام . 5/ 5.

[3]- هو نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت :850ه) مفسر له اشتغال بالحكمة و الرياضيات .

- انظر ترجمته في : معجم المؤلفين . 3/ 291 ، معجم المفسرين 1 / 145 ، الأعلام .2 / 216 . وقد اختلف في وفاته اختلافا يصعب معه الجمع بين هذه التواريخ .

[4]- هو محمد بن أحمد الشربيني شمس الدين ، فقيه شافعي مفسر من أهل القاهرة له تصانيف منها تفسيره "السراج" و "الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع " "شرح شواهد القطر" "مغني المحتاج " وغيرها .

-انظر ترجمته في : معجم المفسرين . 2/ 4 . الأعلام .6/ 6 .

[5]- هو محمد بن محمد بن مصطفى ، العمادي الحنفي الأديب الكاتب الفائق العبقرية في اللغات الثلاثة العربية ، الفارسية والتركية صاحب المنزلة العالية و الشهيرة ، تولى مناصب التدريس و القضاء و مشيخة الإسلام (ت 982ه) .

- مصادر ترجمته : الشذرات .8/ 398 – 400 ، كشف الظنون .1/ 65 ، هدية العارفين .2/ 253، معجم المطبوعات. ص315 ، معجم المؤلفين .عمر رضا كحالة .3/ 693 ، معجم المفسرين. 2/625- 626 .

الدعائم التي يتبيّن منها مذهب المفسر وبالتالي توجيهه لآيات في كتاب الله تعالى، وهذا الأمر يصدق على التفاسير بالرأي المحمود كما يصدق على التفاسير بالرأي المذموم فللسُّنيِّ مسلك في توجيه آيات يعرفها المشتغلون بالتفسير، كما أن للمعتزلي أو الشيعي أو الأباضي أو سواهم مسلكه كذلك في توجيه آيات بأعيانها وفق مذهبه العقدي أو الفقهي -كما أسلفت -.

أما التفسير بالرأي المذموم فقد اقتصر –أي الذهبي – أيضا على عدد منها وضرب صفحا عن البعض الآخر .

ومن التفاسير التي ذكرها وصنّفها هذا التصنيف مبينا مذهب صاحبها العقدي والفقهي – كما قلت-: – تفسير القاضي عبد الجبار[1]"تنزيه القرآن عن المطاعن" وقد كان رأس المعتزلة في زمانه .

-تفسير الشريف المرتضى[2]المعروف بـــ: "أمالي الشريف المرتضي" أو"غرر الفرائد ودرر القلائد".

-"الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل" لجار الله الزمخشري المعتزلي.

أما تفاسير الشيعة فقد اقتصر منها على ما كتبه اتباع المذهب الجعفري الأثني عشري:

-فذكر منها: تفسير العسكري (الحسن)[3] .

- وتفسير الطبرسي[4] "مجمع البيان في تفسير القرآن" .

---

[1]– هو عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن الخليل أبو الحسن الهمذاني الأسداباذي ، شيخ المعتزلة و صاحب التصانيف ، عاش دهرا طويلا ، وسار ذكره ، كان فقيها شافعي المذهب ، ولي قضاء الري ، (ت : 415 ه) . طبقات المفسرين .السيوطي 48. – 49 (رقم 47) .

[2]– هو علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى الكاظم ، متكلم فقيه أصولي ، مفسر ، أديب ، نحوي، لغوي ، شاعر توفي ببغداد سنة (436ه) .

– انظر ترجمته في : سير أعلام النبلاء .الذهبي . 17/ 588 (رقم 394) ، وفيات الأعيان .3/ 313 (رقم 443) .معجم المفسرين.عادل نويهض . 1/ 358 .

[3]– هو الحسن بن علي بن محمد العسكري العلوي ، من أئمة الشيعة ، قطن بسامراء ، من آثاره : كشف الحجب في التفسير (ت:260ه) .

– انظر ترجمته في : الأنساب . السمعاني .9 / 297 ، معجم المؤلفين . 5 / 274 . معجم المفسرين . 141/1 .

[4] – هو أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل المشهدي الرضوي ، نسبة إلى مشهد الرضا ، لأنه سكن فيه ، و الطبرسي نسبة إلى طبرستان . و طبرستان يقال للمنتسب إليها طبري و طبرسي ، قال السمعاني : " هي آمل وولايتها " . يذكر أن أصل تسميتها-

- "مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار" للمولى عبد اللطيف الكازراني.

بالإضافة إلى تفاسير أخرى، غير أنه لم يعرج على بعضها مع أنها أهمّ وأقدم من بعض الذي ذكره كتفسير أبي جعفر الطوسي[1]"البيان" وقد كان صاحبه شيخ الطائفة الشيعية في زمانه مع أن الكتاب كان مطبوعا متداولا يوم كتب مؤلفه الفذ "التفسير والمفسرون"، بالإضافة إلى إغفاله لتفسير الطّباطبائي[2]وهو من أوسع التفاسير الشيعية الإثني عشرية، فلعل الذهبي لم يطلع عليه أو اطلع عليه لكنه ترك ذكره مكتفيا بالمذكورين . كما تحدث عن "الإسماعيلية" – الباطنية – و"البابية" و"البهائية" وإنتاجهم في التفسير ثم انتقل بعد هؤلاء إلى "الزيدية" فذكر من مفسريهم الشوكاني صاحب "فتح القدير" وذكْرُ الشّوكاني مع أصحاب الرأي المذموم فيه ما فيه وليس المجال مجال مناقشة هذا، أما الخوارج فلم يورد من تفاسيرهم إلا "هميان الزاد إلى دار المعاد"للشيخ أطفيش[3]محمد بن يوسف، وهو إمام الأباضية في زمانه، وأصحابهم ينكرون نسبتهم وانتماءهم إلى فرقة الخوارج ولهم ردود على ذلك عند علمائهم ومؤرخيهم تكاد تتفق على بطلان أنهم من الخوارج، لكن الذهبي (الدكتور) تحدث عن هذا التفسير – كما قلت – تحت فصل الخوارج فلعل ذكره للشيخ أطفيش هنا سببه ما جاء في تفسيره من توجيه لبعض الآيات من نحو موقفه "أطفيش" من رؤية الله تعالى، وموقفه من التحكيم، وإشادته بالخوارج وحطّه من قدر عثمان وعلي ومن والاهما – كما يقول الذهبي – رحمه الله تعالى-، ثم أتبع الحديث عن الخوارج بالحديث عن تفاسير الصوفية مبديا موقفه من نوعي التفسير

="تيرستان" لأن أهلها كانوا يحاربون بالتبر أي الفأس فعُرب و قيل طبرستان ، و هي الآن جزء من إيران . (انظر) :الأنساب .السمعاني .4 / 45 ، معجم البلدان .الحموي .4 / 14 – 18 ، موسوعة المورد . منير البعلبكي .9 / 158 .

- والطبرسي مفسر لغوي و أحد كبار علماء الشيعة الإمامية ، صنف العديد من الكتب في مجال القرآن و علومه خاصة .

- انظر ترجمته في : أعيان الشيعة . العاملي 8 / 398 – 401 ، كشف الظنون .2 / 1602 ، الأعلام .5 / 148 . معجم المفسرين .1 / 420 .

[1]- محمد بن الحسن بن علي (أبو جعفر الطوسي) شيخ الشيعة و عالمهم ، له تفسير كبير ، وعدة تصانيف مشهورة ، قدم بغداد و تفنن و تفقه للشافعي ، لزم الشيخ المفيد مدة فتحول رافضيا (ت : 460 ه) .

- انظر ترجمته في : طبقات المفسرين .السيوطي .ص: 80 (رقم 91) ،طبقات الشافعية .ابن السبكي .126/4.

[2]- مفسر فيلسوف زاهد ،من كبار علماء الشيعة الإمامية ، من آثاره "الميزان في تفسير القرآن " .معجم المفسرين .2/ 777.

[3]- هو محمد بن يوسف بن عيسى أطفيش ، الحفصي العدوي الجزائري علامة بالتفسير و الفقه و الأدب ، إباضي المذهب .

- انظر : معجم المفسرين .2/ 658 . الأعلام .7/ 156 .

الصوفي – الإشاري الفيضي، والإشاري الفلسفي، واضعا لضوابط قبول التفسير الفيضي ذاكرا لأهمّ التفاسير التي تناولت القرآن تناولا شمل النوعين المذكورين فذكر أقدمها وهو: " **تفسير القرآن العظيم**" لسهل بن عبد الله التستري، ثمّ "**حقائق التفسير**" لأبي عبد الرحمان السلمي صاحب طبقات الصوفية بالإضافة إلى "**عرائس البيان في حقائق القرآن**" لأبي محمد الشيرازي و"**التأويلات النجمية**" لنجم الدين داية[1]، وعلاء الدولة السمناني[2] وغيرها ثم ختم هذا النوع من التفسير بما نقل من تفاسير عن الفارابي[3]، وإخوان الصفا[4] وابن سينا[5] وهو ما سماه بتفاسير الفلاسفة، ولنا عودة إن شاء الله إلى التفسير الإشاري بنوعيه في مطلب خاص به يتلو هذا بإذن الله نبين فيه ما يتعلق به من حيث مشروعية أو عدم مشروعية هذا اللون من التفسير وما يتعلق بالتفسير الإشاريّ بوجه عام، ويمكن أن يلحق بالإشاريّ الفلسفي المخرج للآيات عن سياقها ما يسمى بالتفسير الإلحادي في العصر الحديث مع فارق جوهري بين هذا وذاك – نعود إليه حين الحديث عن التفسير الإشاريّ .

ومن أنواع التفاسير التي لا تدخل في خانة الابتداع، وإن عدت من التفسير بالرأي لأن مبناها ونتائجها استنباطات عقلية وفهوم استلت من نصوص القرآن والسنة بنوع من الاجتهاد والنظر وفق القواعد التي وضعت للاجتهاد والاستنباط؛ **التفاسير الفقهية** .

ومعلوم أن المسائل الفروعية قد تكون أحكامها مفهومة من النص مقررة منذ عهد النبي ﷺ

---

[1] –هو أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن شاهادر الأسدي الرازي، ت: 654هـ.

[2] – علاء الدين أبو المكارم أحمد بن محمد بن أحمد الملقب بعلاء الدولة ، المعروف بالسمناني ، نسبة إلى سمنان ، وهي مدينة بخراسان، كان عالما مرشدا ، له كرامات و تصانيف كثيرة في التفسير ، والتصوف و غيرها (ت: 752ه) .

– انظر ترجمته في : طبقات الشافعية .الإسنوي .1/ 349 (رقم665) ، الدرر الكامنة .1/ 149.(رقم 643).معجم المفسرين عادل نويهض .68/1 .

[3] – هو محمد بن محمد بن طرخان ، أبو نصر ،التركي العنصر و البيئة ، ثاني فيلسوف ذي شأن في الفلسفة الإسلامية ، الملقب بـ: "المعلم الثاني " في مقابل "المعلم الأول " أرسطو طاليس (ت: 339ه) .

– انظر ترجمته في : وفيات الأعيان .5/ 153(رقم 706) ، سير أعلام النبلاء .15 / 416 (رقم 231) ، دائرة المعارف .25/ 7674 . موسوعة الفلسفة .عبد الرحمان بدوي .2 / 93 وما بعدها ، الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي الإجتماعي . جميل الحاج.ص: 389 وما بعدها .

[4] – يرجح أنهم جماعة ظهرت في القرن الرابع الهجري بالبصرة مؤلفة من أربع طبقات .

– انظر : الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي و الاجتماعي . الدكتور لحميل الحاج . ص: 16، 17 .

[5] – هو أبو علي الحسين بن عبد الله (370 – 428ه) . انظر ترجمته في موسوعة الفلسفة . بدوي .ج1 . ص: 40 وما بعدها.

وليس أمام الفقية إلا تقريرها وهي كثيرة كثرة نصوص القرآن الكريم والسنة، وقد تكون خفية فلا يتوصل إليها إلا بنوع من الاجتهاد والنظر ممن تأهل لهذا وملك أدوات الاستنباط، وأكثر مسائل الفقه الإسلامي من هذا النوع، والمكتبة الإسلامية مليئة بهذا النوع من المؤلفات، بل إنها تمثل النّسبة الأكبر ممّا أنتجه العقل المسلم، ويدخل ضمن هذا ما سُمِّي بالتفاسير الفقهية وهي كثيرة أيضا سلك فيها أصحابها مسلك التعرض للآيات التي اشتملت على الفروع الفقهية آخذين في الاعتبار- في الغالب – أصول الاستنباطات المذهبية موجّهين للآيات توجيها ينسجم مع تلك الأصول.

فألف: أبو بكر الجصاص الحنفي[1] كتابه **"أحكام القرآن"** تعرّض فيه – كما قلت -- لمسائل فقهية موجها لها توجيها يتناسب مع أصول الاستنباط في مذهبه، كما كتب الكيا الهراسي[2] الشافعي مؤلفه المعنون بعنوان مؤلف الجصّاص **"أحكام القرآن"** عمد فيه أيضا إلى توجيه بعض الآيات توجيها موافقا لأصول الاستنباط التي قررها إمام مذهبه محمد بن إدريس الشافعي، وعلى أصول الاستنباط في مذهب إمام دار الهجرة كتب علمان كتابين هما من أهم ما كتب في المذهب وهما: أحكام القرآن للقاضي أبي بكر بن العربي[3]، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي والثاني تكملة لأصول البناء التي وضعها الأول مع زيادة في التحقيق والتدقيق في المسائل المختلفة التي ذكرها سلفه وزاد عليه أشياء حتى جاء كتابه أوسع وأكثر بسْطا مشتملا على درر لم يتعرض لها إمام مذهبه في زمانه أبو بكر بن العربي حتى غدا مقدما عليه لهذا الاعتبار ولاعتبارات أخرى ذكرها الدّارسون للأحكام الفقهية في الكتابين .

---

[1] – هو أبو بكر أحمد بن علي الرازي (ت: 370 ه) أحد أكابر الحنفية في زمانه .

– انظر ترجمته: تاريخ بغداد 4/ 314، (رقم 2112)، الجواهر المضيئة . 1 / 220 (رقم 155) .

[2]– هو علي بن محمد بن علي ، أبو الحسن الطبري ، الملقب بعماد الدين ، فقيه شافعي مفسر ، درس بالنظامية ،ووعظ وألم بمذهب الباطنية فرجم ، وأراد السلطان قتله فحماه المستظهر ، وشهد له ، من كتبه "أحكام القرآن " .

– انظر ترجمته في : طبقات الشافعية . 2 / 292 وما بعدها .وفيات الأعيان .3/ 286 (رقم 430) ، معجم المفسرين .1/ 376 . الأعلام . 4/ 329 .

[3]– هو القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد الأندلسي الإشبيلي المالكي ، صاحب التصانيف الجليلة النافعة .

– انظر ترجمته في : الصلة .ابن بشكوال .2/ 558 – 559 (رقم 1297) ، الوفيات .4 / 296 – 297 (رقم 626) ، تذكرة الحفاظ . الذهبي . 4/ 1294 – 1298 (1081) .

ولا نترك هذا اللون من التفسير من غير أن نشير إلى أن فرقا أخرى عرفت مؤلفات من هذا النوع، نجد هذا عند الإمامية الإثني عشرية، فقد كتب مقداد السيوري[1] مؤلفة **"كنز العرفان في فقه القرآن"** وفيه ما في غيره من انتصار لمذهبه، مبوبا كتابه على طريقة الفقهاء مخالفا بذلك ما فعله الجصاص وابن العربي اللذان تتبعا آيات الأحكام وفق ورودها في سورها على ترتيب المصحف بدءا بسورة البقرة ...إلخ.

كما كتب يوسف الثلاثي الزيدي[2] **"الثمرات اليانعة والأحكام الواضحة القاطعة** "وهو أجل مصنف عند الزيدية – كما يقول الذهبي[3].

وميزة هذا التفسير أنه يذكر – بالإضافة إلى ما في مذهبه – ما ذكره غيره من المالكية والحنفية والشافعية والظاهرية والإمامية وما أثر عن الصحابة والتابعين، مما يدل على أن صاحب هذا التفسير كان من أوعية العلم، وجبال التحقيق عند أصحابه[4].

ومن أنواع التفسير بالرأي"المحمود" التفسير العلمي، وهو لون قديم جديد، وقد احتدم الخلاف قديما في جواز هذا التفسير وعدم جوازه، فمن المجيزين له في القديم الغزالي (أبو حامد) والجلال السيوطي، وقبله الزركشي في حين ذهب إلى إنكاره الشاطبي – رحمه الله تعالى – وله في "الموافقات "كلام نفيس حول هذا المعنى بصرف النظر عن موافقته أو مخالفته فيما ذهب إليه.

وقد تراجعت حدة الخلاف في العقود الأخيرة بسبب التطور المعرفي العام حتى كثر المتعرضون لهذا النوع من التفسير كثرة حملت بعض " الغيورين" على كتاب الله تعالى إلى إطلاق صيحات تدعوا إلى وضع ضوابط لجواز هذا التفسير حتى لا يكون كتاب الله تعالى عرضة للقاصي والداني، ولعل أكثر الذين توسعوا في هذا في العصر الحديث الشيخ طنطاوي جوهري[5] في تفسيره:"**الجواهر في**

---

[1]- هو مقداد بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن محمد السيوري ، فقيه إمامي (ت: 826ه) .الأعلام . 7/ 282 .

[2]- هو يوسف بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عثمان ، نجم الدين اليماني الثلاثي ، فقيه زيدي ،عارف بالتفسير (ت: 832 ه).
انظر: معجم المفسرين : 2/ 742 ، بغية الملتمس .رقم (1437) .

[3]- التفسير والمفسرون .ج2.ص: 175.

[4]- انظر: المرجع نفسه .ج2.ص: 175.

[5]- هو مصري فاضل له اشتغال بالتفسير و العلوم الحديثة و له مصنفات عديدة ، توفي بالقاهرة سنة 1358ه .
- انظر : معجم المفسرين . عادل نويهض .1/ 242 . الأعلام .230/3.

تفسير القرآن الكريم" وقد جاء فيه بالأعاجيب محمّلا آيات القرآن ما لا تحتمل – رحمه الله وعفا عنه – ثم جاء بعده أناس من ذوي التخصصات المختلفة، فالطبيب تناول جملة من الآيات التي تتحدث عن خلق الإنسان عاملا على إظهار صورة الإعجاز الطبي في كتاب الله تعالى موجها لتلك الآيات وجهة تخصصه، وعالم الفلك سلك مسلكا مشابها لعالم الطب، وكذلك فعل الجيولوجي وعالم الأحياء البحرية والبرية ...إلى آخر ما هنالك من التخصصات المختلفة التي لم تكن موجودة من قبل.

ولا نطوي صفحة الحديث عن التفسير بالرأي بنوعيه المحمود والمذموم من غير أن نشير إلى نوع من التفسير بالرأي المحمود جديد سمّاه كثيرون **بالتفسير الأدبي الإجتماعي** وقد ذكر من أعلامه الشيخ الإمام محمد عبده[1]، والشيخ رشيد رضا[2]، ومحمد مصطفى المراغي[3]بالإضافة إلى صاحب الظلال سيد قطب[4]رحمه الله تعالى.وقد جمعت الكثير من القواسم المشتركة هؤلاء وغيرهم ممن كان لهم المشرب ذاته كعنايتهم بإظهار أسرار التشريع في كتاب الله تعالى والإسلام بوجه عام، ومحاولاتهم المتواصلة في معالجة المشكلات الاجتماعية انطلاقا من القرآن الكريم، والتوفيق بين القرآن الكريم ومعطيات العلم الحديث وأنه لا تعارض بين ما قرره القرآن والسنة الصحيحة وما توصل إليه العقل في المجالات المختلفة، ذلك أن منزل القرآن هو الذي خلق هذه الأكوان فمن أين يأتي التعارض والحال هي هذه .

---

[1]–هو محمد بن حسن خير الله ، من آل التركماني ، مفتي الديار المصرية ، من كبار رجال الإصلاح و التحديد في الإسلام له كتب و مجلات مشهورة . انظر ترجمته في : الأعلام .252/6. معجم المطبوعات .1677 .معجم المفسرين .2/ 566 .

[2]– هو محمد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين صاحب مجلة" المنار " أحد رجال الإصلاح الإسلامي ،من الكتاب العلماء بالحديث و الأدب و التاريخ و التفسير ، له "تفسير القرآن الكريم " ، و لم يكمله .(ت: 1354ه).معجم المفسرين . 2 / 528 . الأعلام .126/6.

[3]– هو أحمد بن مصطفى ، مفسر مصري ، من العلماء ، تقلد مناصب عدة في مصر و كتب كتبا منها تفسيره في ثمان مجلدات .
– انظر :معجم المفسرين . 2/ 639 . الأعلام .1/ 258 .

[4]– مفكر إسلامي مصري من مواليد قرية "موشا" بأسيوط ، انضم إلى الإخوان المسلمين ، فترأس قسم نشر الدعوة سجن فعكف في السجن على تأليف الكتب و نشرها (ت: 1387ه – 1967م)
– انظر : معجم المفسرين . 1/ 219 .الأعلام .3/ 147.

إن ما ذُكر من أنواع التفسير بالرأي المحمود والمذموم في مجمله إنتاج عقلي اجتهادي توصل إليه من توصل – بصرف النظر عن قبوله أو ردّه – بعد نظر في نصوص القرآن بالاعتماد على الكثير من الأدوات الموصلة إلى ذلك سواء كانت تامة أو ناقصة، موجهة توجيها صحيحا أم فاسداً منحرفاً لكن الأساس الذي قامت عليه – كما قلت – هو عمل العقل في النص، فهل كان التفسير الإشاري – خاصة الفيضي منه – متكئا على العقل وحده مستندا إليه دون سواه أم أنه كان خليطا من العقل وأشياء أخرى قيل أنها فوق طور العقل، وأن لهذا – أعني العقل – حدا ينتهي إليه لا يتجاوزه لأنه قاصر لا يدل إلا على قاصر مثله، وأنه جهاز –ككل الأجهزة الموجودة في البشر – له طاقة محدودة ومجالٌ لا يتعداه، وأن ما نحن بصدد الحديث عنه وهو التفسير الإشاري ثمرة تجربة مساوقة لحركة العقل مدركة لقيمته ودوره من غير أن يكون حاكما على كل ما يجري في هذا الكون الذي يخبئ من الأسرار ما لا يمكن خضوعه لمقررات العقل مما اصطلح على تسميته عند كثيرين بالذوق، والكشف(*)، وسواهما من "المصطلحات" التي كثيرا ما يستخدمها أهل هذا اللون من التفسير معتمدين عليها فيما يوردون كما لو كانت من اليقينيات عندهم – فما مبلغ ما يدعونه من ذلك- وهو ما سنعرفه من خلال جزئية – التفسير الإشاري الذوقي العرفاني .

*- انظر معنى "الكشف " (المكاشفة) في "الرسالة "للقشيري .ص: 40 . وكشف المحجوب .للهجويري .ص: 618، 619.

الفصل الثاني :
التفسير الإشاري

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد:

التفسير الإشاري لون من ألوان التفسير بالرأي ذكره الذهبي – رحمه الله تعالى – بعد التفسير بالرأي المذموم، فلعله غلّب جانب الاعوجاج فيه والمردود منه على جانب المقبول منه، فإن أراد رده جملة وتفصيلا وهو بعيد* فالأمر غير مسلم لأننا رأينا مفسرين محققين ذكروا شذرات منه في تفاسيرهم و لم ير غيرهم ممن جاء بعدهم غضاضة فيما قالوا ولا حملا لما قالوا على محمل الانحراف أو الابتعاد بالنص عن معنى هو من المعاني التي يحتملها لأن نصوص الشّريعة لا تردها فضلا عن اتساع جلد اللغة لها وقبل أن نتحدث عن أنواع التفسير الإشاري ومشروعية هذا اللون .وشروط قبوله لابدّ من لفت النّظر إلى أمر أحسب أن كثيرين لم يشيروا إليه وهو إلصاق هذا النوع من التفسير بالصوفية وحدهم، وكل الذين تعرضوا بالدراسة لمناهج المفسرين – في حدود ما أعلم- قصروا حديثهم عن هؤلاء و لم يعرجوا على غيرهم من المفسرين مع أن أكثر المفسرين أخذوا بحظهم منه على تفاوت بينهم، حتى الذين كانوا من الرافضين له وجدت شذرات منه في تفاسيرهم كما هو الحال مع القاضي أبي بكر بن العربي المالكي، فقد ذكر في غير مؤلف من مؤلفاته إنكاره لهذا اللّون من التفسير كما في "العواصم من القواصم" لكن اللّطائف الإشارية موجودة في تفسيره "أحكام القرآن" مع أنه تفسير كاد يمحضه للمسائل الفروعية الفقهية وهي بعيدة عن هذا التفسير إلا أن النص أحيانا يفيض بمعنى من المعاني التي تفرض على أبي بكر وعلى غيره أن يبديها ويشير إليها باعتبارها على الأقلّ لطيفة من اللّطائف الجميلة ومعنى من المعاني البعيدة التي لا يضيق بها سياق الآية أو الآيات.

أما إن أراد الذهبي أو غيره الغالب – وما أحسبه إلاّ أراد هذا – فالحكم صحيح لأن أكثر التفاسير الإشارية الواصلة إلينا من تأليف أئمة كانوا رؤوسا في التربية حيث أنشأوا مدارس أساسها الإسلام ودعائمها التي تقوم عليها- الكتاب والسنة وتطبيقات خير القرون .

ومن أئمة التربية الذين وصلت إلينا تفاسيرهم: سهل بن عبد الله التستري، والإمام القشيري،

---

* لأنه ذكر شروط قبول هذا اللون من التفسير، بعد استلالها مما قاله من سبقه، وعنه نقل هذه الشروط كثيرون ممن جاءوا من بعده من علماء مناهج التفسير كالشيخ عبد الرحمان العك وغيره.

وما تركه أبو عبد الرحمان السلمي "**حقائق التفسير** " على ما فيه من مطيات فإذا أضفنا إلى هؤلاء وغيرهم ممن عرفوا بهذا التفسير، إذا أضفنا إليهم بعض المفسرين المحدثين والمعاصرين كابن عجيبة، والبرسوي،و الآلوسي في محور التفسير الذي لم يخل "**روح المعاني**" منه إلاّ في بعض السّور، والنّورسي وما تركه الشيخ الشّعراوي في تفسيره من اللطائف والمعاني البعيدة التي ذكرها وأكثر من إيرادها فيه فكل هذا وغيره من التفاسير يجعلنا أمام مكتبة تفسيرية بكاملها محض أصحابها تفاسيرهم لهذا التفسير أو خلطوه بغيره من التفاسير اللغوية والفقهية وسواها .

بعد هذه المقدمة نعود لطرح جملة من المسائل التي تتعلق بالتفسير الإشاري: كتاريخ نشأته، ومشروعيته، وأنواعه ورواده في القديم وفي الحديث القائلين به من غير قيود ولا شروط، والمنكرين له جملة وتفصيلا، والقائلين به بشروط وقيود – وحدود اللغة في فهم النص وإلى أين تنتهي باعتبار العربية اللسان الذي نزل به القرآن والنظم العربي جزء من القرآن الكريم، ولأنّها كذلك فما هي الأبعاد التي تعطيها ألفاظها، وما الحدود التي تقف عندها معاني هذه الألفاظ فلا تتجاوزها، وصلة اللفظة القرآنية والنظم بالمعاني القريبة والبعيدة التي قد تكوّن منها ما يسمى بالتّفسير الإشاري .

ففيما يتعلق بأنواعه فالباحثون في مناهج التفسير يكادون يجمعون على أن التفسير الإشاري نوعان: 1- تفسير إشاري نظري فلسفي.

2- تفسير إشاري فيضي عملي.

فالتفسير الإشاري النظري الفلسفي هو: ذلك التفسير القائم على البحث والدراسة،أما الإشاري الفيضي أو العملي فهو الذي نشأ من الزهد والتفاني في طاعة الله [1]، وكلا القسمين ينسب للصوفية، لكن أكثر المعاني التي أوردها النظريون ليست ناشئة عن ممارسة وسلوك يوميّ يرتبط بحياة صاحبه، منشأه ومبعثه – في الغالب – إملاءات شرعية ونصوص وحي، بل هو ثمرة التأمل العقلي الذي ينتهي في الغالب إلى إخراج النص عن معناه القريب والبعيد إلى معنى مبتوت الصلة بالنص ذي طابع فلسفي نظري غير خاضع لضوابط الشرع واللغة وإن ادعى أصحابه أن ما فهموه مستل

[1]- انظر: التفسير والمفسرون.ج2.ص: 82.

ومستنبط من هذه الآية أو تلك، وقد انتهى هذا ببعضهم إلى القول بوحدة الوجود حتى خرّجوا بعض آيات القرآن الكريم على هذه النظرية فأخضعوها كما أخضعوا قواعد اللغة لمذهبهم هذا ولا شك أن مجاراتهم من الناحية الشرعية يذهب بالدين من أساسه من جهة – كما يقول الذهبي – [1].

ويسدّ مجرى الخطاب العربي من جهة ثانية، وشواهد ذلك كثيرة جدا عند أشهر رواد هذا اللون من التفسير كمحي الدين بن عربي، وهو – أعني التفسير الإشاري النظري- في عمومه ضرب من التخمين والتخمين قد يصلح ليستأنس به في بعض قضايا عالم الشهادة أو ما شابهها مما يمكن أن يكون له فيه مدخل، أما ما كان من قبيل الغيب الذي لا يتوصل إلى معرفة كنهه وحقيقته إلا من طريق السماع فلا يجوز أن يدخله التخمين لأن طريق معرفته شيء آخر غيره، ولذا أضرب عن ذكره والحديث عنه كثير من الأجلة ممن كتب في علوم القرآن .

فالزركشي – رحمه الله – لما تحدث عن تفسير الصوفية أشار في تعريفه إلى **النوع الثاني** وهو **الفيضي الإشاري** فقال: (...فأما كلام الصوفية في تفسير القرآن، فقيل ليس تفسيرا، وإنما هي معان ومواجيد يجدونها عند التّلاوة) [2]وهو تعريف يصدق على الفيضي العملي لا على النظري الفلسفي، وكما أشار إلى الفيضي العملي الزركشي أشار إليه الجلال السيوطي -رحمه الله- وهو يفرق بين أقوال نقلت عن بعض الصوفية في التفسير قال: (وأما ما يذهب إليه بعض المحققين من أن النصوص على ظواهرها ومع ذلك فيها إشارات خفية إلى دقائق التفسير تنكشف على أرباب السلوك يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة فهو من كمال الإيمان ومحض العرفان)[3]، فالمعاني التي تحملها آيات الكتاب المبين لا نهائية مخبوءة يصل إلى القليل منها من فتح الله قلبه ونزع عنه غشاوته بأن هيأه للنظر والتدبر في كتاب الله تعالى مقتفيا آثار أولي النُّهى الذين فهموا عن الله، ما أفهمهم من غير إحالة للظاهر عن ظاهره أو تغيير لما دلت عليه في عرف لسان العرب [4].

---

[1]-انظر: التفسير والمفسرون .ج2.ص: 87.

[2]- البرهان في علوم القرآن ج2.ص: 170.

[3]- الإتقان في علوم القرآن ج2.ص: 195.

[4]- انظر: المصدر نفسه. ج4.ص: 197، 198 .

هذا وسأورد شواهد للتفسير الإشاري الفلسفي النظري في نهاية هذا المطلب لنرى مدى ملاءمتها للمعنى الظاهر القريب للآية أو المعنى المحبوء البعيد الذي يمكن قبوله أم أنه قول بعيد وفهم مبتوت الصلة بسياق الآية العام.

كيف بدأت النشأة الأولى للتفسير الإشاري ؟

البحث عن المعاني التي تشتمل عليها مؤلفات البشر قديم، وتفسير كلام الناس وحمله على ما أراده صاحبه وما لم يرده أحيانا لازَمَ تاريخ الإنسانية، فبين أيدي الناس اليوم شروح لأعمال تركها الفلاسفة ورجال القانون والحكمة إلى آخره فلا غرابة بعد ذلك أن يشتغل الناس بشرح وتفسير كتب يعتقد أكثرهم أنها من الله سبحانه وتعالى، فالعهدان القديم والجديد وسواهما من المصادر اليهودية والمسيحية شرحا شروحا تشكلت منها مكتبات ضخمة، ولا شك أن كل تلك الشروح قد تفاوت أصحابها في فهومهم لما انبروا له خاصة إذا كان النص قابلا لأكثر من تفسير محتملا لأكثر من معنى بسبب الدلالة الظنية التي صيغ بها وتشكلت منها ألفاظه ومفرداته، فظهر ما يعرف بتأويل تلك النصوص وحملها على معان متعددة ووجهات نظر مختلفة، والقرآن الكريم كلام الله سبحانه وتعالى ككل الكتب السابقة وإن لم يلحقه ما لحقها من تحريف وتبديل، وأهله مجمعون على أنه معجز إلى آخر الدهر، وأن معانيه لا تنفد، وأن كل جيل يأخذ منه بقدر ما يفتح الله به عليه، فامتداد معانيه وأسراره باق إلى آخر الدهر لأنه كلام الله والكلام صفة من صفات الله العلي القدير المحيط بكل شيء علما، العالم بما كان وما هو كائن وما سيكون فلا حد لعلمه، فإن استنبط منه — من أهل القرون الأولى – معنى من المعاني، واستل منه من جاء بعده بأربعة أو خمسة قرون معنى غير الذي اطلع عليه سلفه فهل يعجز من بعدهما إلى قيام الساعة عن هذا ؟ .

إن كلّ عاقل — فضلا عن مسلم — لا يقول هذا في كتاب أصله وطبيعته ومصدره مخالف لكل كتاب، ودليل ذلك تنوع كتب التفسير وكثرتها حتى غدا لكلّ نوع من التفسير مكتبة خاصة متميزة في كثير من جوانبها عن سواها من الأنواع الأخرى من المكتبات التفسيرية، فالمعنى الظاهر القريب مراد قطعا للنص عند جميع العقلاء، وكل عارف بلغة ما من اللغات إن قرأ نصا أو تليت عليه فقرة بتلك اللغة سيفهم المعنى الظاهر القريب الذي تدل عليه ألفاظها لأول وهلة، وهو في هذا كغيره ممن يعرف هذه اللغة، لكن يحدث أن يشتمل ذلك النص أو تشير تلك الفقرة إلى معنى بعيد أو معنى ثان

تحتاج معرفته والوقوف عليه إلى مزيد تأمل في ذلك النص أو تلك الفقرة حتى يعلم معنى المعنى أو المعنى الثاني هذا، فإذا تعلق الأمر بوحي الله سبحانه وتعالى فإن المعنى سيكون ممتدا ولا نهائيا ولذا كانت آيات الأحكام ملاذ الفقهاء والمشرعين لاستنباط الأحكام الفقهية الفروعية المختلفة التي حكمت المجتمعات الإسلامية وحافظت على نظامها العام ولا تزال تحكمها وهي قابلة لأن تسوس حياتها كلها إلى آخر الدهر وما ذاك إلا لأن النص مهيأ لذلك لأنه ليس بشريا حتى يرتبط إعماله بفترة زمنية محددة كما كانت الآيات الكونية مهرع علماء الفلك في القديم وفي الحديث فألفت المؤلفات ووضعت الفرضيات بالاعتماد على تلك الآيات – وما أكثرها – التي تحدثت عن الشمس والقمر والنجوم والأفلاك، وعن سباحتها في الفراغ الذي يحيط بها والأبعاد التي بينها بالإضافة إلى تأثيرات مداراتها قربا أو بعدا من بعضها إلى ما هنالك مما له صلة بهذا الأمر، وكما لجأ هؤلاء وأولئك إلى كتاب الله تعالى مستعينين بآياته لاستنباط معاني أو فرضيات أو نظريات تتعلق بتخصصاتهم إنبرى أهل الطب وعلم الأحياء – كما أسلفت – لتتبع آيات تحدثت عن خلق الإنسان وغيره من الكائنات الحية البرية والبحرية مستشهدين بها على صحة ما توصل إليه الطب وعلم الأحياء تارة، ورادين لها أخرى لكنهم جميعا في هذه وفي تلك استندوا أو استأنسوا بالقرآن الكريم في محاولة منهم للتوفيق والمواءمة بينه وبين ما وصل إليه الفكر البشري في تخصصاته المختلفة فلا غرابة – والحال هذه – أن يتصدى صنف من المؤمنين وشريحة من أهل القلوب باحثين عن مبتغاهم في كتاب الله تعالى ابتغاء وَطلبًا للوصول إليه والتقرب منه ومعرفته والخوف منه والرجاء فيه إلى ما هنالك من المعاني التي تتعلق بتربية الإنسان وفق المنهج الذي وضعه هذا الكتاب الكريم وطبقه الرسول الأمين وأفرغ أصحابه من سواه وملأهم به، ثم سار من جاء من بعدهم سيرتهم واقتفى آثارهم مؤمنا بان الزهد في الدنيا والتخفف منها هو أهم الطرق الموصلة إلى محبة الله والتعلق به وهو غاية الغايات فيعطى المؤمن – إن صدق مع الله وأخلص عمله له ويسر الله له سبل ذلك – الفهم العميق لكلام الله، والقدرة على التأويل الصحيح مصداقا لقوله سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ العنكبوت: ٦٩.

قال الزركشي: (... واعلم أنّه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي حقيقة، ولا يظهر له أسرار العلم من غيب المعرفة وفي قلبه بدعة أو إصرار على ذنب، أو في قلبه كبر أو هوى أو حب الدنيا ...

أو راجعا إلى معقوله، وهذه كلّها حجب وموانع، ... إذا كان العبد مصغيا إلى كلام ربّه، ملقي السمع وهو شهيد القلب لمعاني صفات مخاطبه، ناظرا إلى قدرته، تاركا للمعهود من علمه ومعقوله، متبرّئا من حوله وقوّته، معظّم للمتكلّم مفتقر إلى التّفهّم، بحال مستقيم وقلب سليم وقوّة علم، وتمكّن سمع لفهم الخطاب، وشهادة غيب الجواب بدعاء وتضرّع وابتئاس وتمسكن، وانتظار للفتح عليه من عند الفتاح العليم)[1].

والاستقراء والتتبع للمؤلفات في التفسير الإشاري يسوق إلى الحكم، بأن أرباب هذا التفسير ومن عرفوا به وعرف بهم ونسب إليهم كانوا من كبار العباد والزهاد المترفعين المتجردين عن الدنيا ولذائذها المنعوتين عند كثيرين بالصّوفية، ولا شك أنّهم لعبوا دورا على غاية من الأهمية في تشكل التفسير الإشاري الفيضي الذوقي للقرآن الكريم، لكنهم لم يكونوا وحدهم من ضرب بسهمه في التفسير الإشاري بحكم أن معاني القرآن الكريم ودلالاته لا متناهية فتجاوز الظاهر واختراق المعنى الأول للنفاذ إلى المعاني البعيدة بحاجة إلى ضوابط وشروط تحكم العقل حتى لا يحيد عن أصول فهم النصّ الشرعية واللغوية، وسياجٍ يكون بمثابة الحدود التي لا ينبغي أن تتجاوزها المشاعر إن فاضت من بين جوانحها معانٍ لم يألفها الناس بسبب جنوح أصحابها إلى أساليب مغلقة وعبارات موهمة غير منضبطة بقواعد اللغة وإملاءات الفهوم الظاهرة الشرعية .

إنّ إطلاق العنان للعقل والمشاعر لاستلال "المعاني" واستنباط "الفهوم" من غير ضابط جرّ شرورًا كثيرة على كتاب الله تعالى، ذلك لأن الكثير مما قاله هؤلاء أثبتت النصوص والأيام بطلانه لسببٍ بسيط هو قيامه على الظن والتخمين منذ البداية وهشاشة "الأساس" الذي يقوم عليه هذا النوع من التفسير، والقول بأن الفرق بين الدلالات الظاهرة القريبة للنص، وما يشير إليه من المعاني البعيدة كالفرق بين اللغة البشرية، واللغة الإلهية التي تتجلى في القرآن كما تتجلى في باقي المخلوقات، فيه تلميح خفي إلى أن القرآن مخلوق، وإبعاد إلى المذهب الذي عليه الكل من أن القرآن الكريم كلام الله بلفظه ومعناه، فدعوى الثنائية اللغوية غير المنضبطة ستذهب بالناس في تعاملهم مع القرآن الكريم كل مذهب، فتحمّله للوجوه المختلفة لا يعني أن يقول من شاء ما شاء بل يعني أن يحمل على أحسن وجوهه التي يؤيدها الشرع حتى تظل الصلة قائمة بين المعنى الظاهر وما يشير إليه الآية، وحتى يجوز

[1] – البرهان في علوم القرآن . ج2. ص: 180، 181. المكتبة العصرية – صيدا – بيروت . تحقيق: أبو الفضل إبراهيم .

المعنى الجديد على القبول إذ لا معارض له من الشرع والعقل واللغة، بل يشبه أن يكون استكمالا للمفهوم الأخرى الظاهرة أو المخبوءة في النص الكريم، فإن وقع تعارض حقيقي بين هذا وذاك فهو الخروج على أحدهما أو كلتهما - كما يقول ابراهيم بسيوني -[1]، فالفرق بينهما -كما يضيف - أن الإشاري (يعتمد على استبطان خفايا الألفاظ - مفردة أو مركبة - دون التوقف عند حدود ظواهرها المألوفة ومعانيها القاموسية، وإنما يُنظر إلى اللفظة القرآنية على أنها ذات جوهر يدق على الفهم العادي، وأهل التجريد وحدهم الذين يتاح لهم - بفضل من الله - العلم الذي يكشفون به عن هذا الجوهر) [2]، ولا يتكئ المفسر الإشاري في استنباط المعاني البعيدة والإشارة اللطيفة من العبارة على العقل وحده إلا بالقدر الذي يضمن عدم افتيات الإشارة على العبارة ... فكأن الإشارة ليست انبعاثا تلقائيا محضا، بل مقيدة - منذ البداية بالكثير من المعارف العقلية والنقلية، لكنها أيضا مشتملة على عوالم مضيئة متألقة تشبه تلك العوالم التي يتدرج فيها العابد الزاهد العارف مع خضوع تام للنص القرآني في دلالاته المختلفة وليس بدافع نصرة مذهب أو هوى يمكن أن يقود إلى ارتكاب خطايا خطيرة في حق الظاهر القرآني حين أريد له أن يؤول لنصرة أغراض مريضة ودعوات جامحة[3].

وقد حصل بسبب ذلك في القديم - ظهور تفاسير نسبت إليه - أعني التفسير الإشاري الفيضي- وهي ليست منه، كما غالى بعض المعاصرين في نوع جديد من التفسير الإشاري الذي سماه الشيخ " خالد عبد الرحمان العك" بالإشارات العملية وهي تلك التي تضمنتها الآيات الكونية وهو غير التفسير الإشاري المألوف الذي اشتمل على إشارات خفية يدركها أهل التقوى والصلاح والعلم عند تلاوة القرآن [4].

ولأنّ هذا اللون من التفسير ارتبط ارتباطا قويّا بالمتصوّفة فإنّ الأمر يقضي بإعطاء صورة عن التصوّف وموقف أهل العلم منه قبولا وردّا، وهو ما سنعرض له فيما يلي :

1- لطائف الإشارات .ج1.ص: 6- الهيئة المصرية العامة للكتاب-ط1981/2. تقديم وتحقيق وتعليق: إبراهيم بسيوني .

2- المصدر نفسه .ج1.ص: 22(مقدمة المحقق).

3- انظر: لطائف الإشارات .ج1.ص: 23، 24، 25 .

4- انظر: أصول التفسير وقواعده.ص: 206 .

المبحث الأول: التفسير الإشاري و صلته بالتصوف:

أولا: التصوف أصيل:

إن الباحث المنصف لا يستطيع أن يحكم على أمر من الأمور حكما يعتقد أنه صحيح إلا إذا عرف المحكوم عليه: عرف جزئياته منفصلة، وصلة كل واحدة منها بالأخرى، ومكانها في هذا الكلي العام: ذلك أن الحكم على الشيء فرع عن تصوره.

ولن تستطيع إصدار هذا الحكم على التصوف إذا سمعت آراء خصومه وحدهم فيه مهما أوتوا من النزاهة والحيدة،و لن تستطيع ذلك أيضا إذا سمعت آراء أصحابه والمحبّين له وحدهم، بل لا بدّ لك إذا أردت أن تعرف مكانة التصوف في تراثنا الإسلامي أن تسمع رأي العدو الخصم والنصير المظاهر،ثم تفحص وتنقب عن الحقيقة في أطواء رأيهما [1].

يكاد علماء مناهج التفسير يجمعون على أن التفسير الإشاري بنوعيه الفيضي والفلسفي (صنعة)صوفية خالصة وثمرة تجربة نسب أصحابها جميعا إلى أحد النوعين أو كليهما بدءا «**بسهل بن عبد الله التستري**» وتفسيره (هو أول كتاب في التفسير الإشاري، فنحن لانكاد نجد هذا اللون من التفسير إلا في صورة فقرات مبعثرة بين أمهات المراجع الصوفية التي وضعت حتى ذلك العهد، والكتاب (أعني: "تفسير القرآن العظيم"للتستري) قليل الصفحات إلا أنه مع ذلك عظيم القيمة من حيث هو عمل رائد لم يسبق إليه) [2] وانتهاء **بالآلوسي**، **والشعراوي**.وإن قيل: (إن تفسير "الصادق"أقدم تفسير صوفي للقرآن) [3].

ومع أن التصوف (من علوم الشريعة الحادثة في الملة — كما يقول ابن خلدون[4]-، وأصله أن

---

[1]- مقدمة محقق طبقات الصوفية .لأبي عبد الرحمان السلمي .ص: 42مكتبة الخانجي –القاهرة.ط2/1389ه-1969م تحقيق: نور الدين شريبة.

[2]- البسملة بين اهل العبارة وأهل الإشارة .إبراهيم بسيوني .ص: 51، 52 . الهيئة المصرية العامة للكتاب .1972م.

[3]- التفسير الصوفي للقرآن عند الصادق-الصادقية في التصوف وأحوال النفس والتشيع.علي زيعور .ص: 121.دار الأندلس.ط1/1979م.

[4]- هو عبد الرحمان بن محمد (ت : 808ه) . انظر معجم المؤلفين .ج5 . ص:188 وما بعدها دار إحياء التراث العربي .و الموسوعة العربية العالمية .ج10 .ص: 135 .مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع .ط2/1419ه – 1999م .

طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية، وأصلها العكوف على العبادة والإنقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه،و الإنفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة، وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف) [1] إلاّ أنّ بعض الأجلة يذهبون إلى إنكار نسبة التصوف وأصوله وما أثمر من معارف في التفسير وسواه من علوم الشريعة إلى الإسلام، أو أن يضاف إلى السلف ذلك أنهم لم يكن عندهم خبر منه، قال ابن الجوزي (جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمان بن مكي ت: 597ه)[2]إضافة التصوف إلى كبار السادات كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن وشريح[3]وسفيان وشعبة ومالك والشافعي وأحمد (لا يصح)،وليس عند هؤلاء القوم خبر من التصوف)[4].

ومعلوم أن الإتجاهات الصوفية الكبرى لا تعدو ثلاثة –كما يقول الجابري (د محمد عابد): (هناك الإتجاه الذي يغلب عليه الموقف العرفاني كمعاناة، ويمثله في المجتمع الإسلامي المتصوفة أصحاب الأحوال و"الشطح"خاصة.

وهناك الإتجاه الذي يغلب عليه الطابع الفلسفي، ويمثله في الإسلام "التصوف العقلي"الذي نجده عند الفارابي..وبصورة أوضح وأوسع عند ابن سينا.

---

[1]- مقدمة ابن خلدون .ج2.ص: 225.للعلامة: وليّ الدين عبد الرحمان بن محمد ت: 808ه – دار البلخي – دمشق – مكتبة الهداية – دمشق . ط1/ 1428 ه – 2004م . تحقيق وتخريج وتعليق: عبد الله محمد الدّرويش .

[2]- أبو الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله البكري من ولد الإمام أبي بكر الصديق رضي الله عنه البغدادي الحنبلي الواعظ ، صاحب التصانيف المشهورة في أنواع العلوم من التفسير و الحديث و الفقه و الوعظ و الزهد و التاريخ ...كان مبرزا في التفسير متوسطا في المذهب .

– انظر ترجمته في : تذكرة الحفاظ .4/ 92 (رقم 1098) ، طبقات المفسرين .السيوطي .50 – 51 (رقم 50) .

[3] – هو شريح القاضي بن الحارث بن قيس بن جهم الكندي أبو أمية (ت78ه) من أشهر القضاة الفقهاء ، ولي قضاء الكوفة زمن عمر و عثمان و علي و معاوية و استعفى أيام الحج فأعفي سنة (77ه) كان ثقة في الحديث مأمونا في القضاء ، عمّر طويلا و مات بالكوفة .

– انظر ترجمته في : طبقات ابن سعد 6 / 182 – 193 (رقم 2025) ، حلية الأولياء .4 / 132 – 141 (رقم 256) الوفيات .2 / 460 – 463 (رقم 290) ، الشذرات . 1 / 85 .

[4]- صفة الصفوة.ج1.ص: 19،دار الجيل –بيروت .ط1/1412ه–1992م.

أما الإتجاه الثالث: فيغلب فيه السرد الأسطوري،ونجده لدى الفلاسفة الإسماعيليين والمتصوفة الباطنيين)[1].

لكن بين هذه الثلاثة بون شاسع، فليست النائحة المأجورة كالثكلى، ولا الحاكي مثل الذائق .

والمقصود أن الصّوفية (أهل المعاناة-خلافا لغيرهم) لهم في فهم القرآن والسنة تلميحات وإشارات تدل على إلهامات إلاهية، وتنزلات قدسية) [2].ويمثّل نص ابن الجوزي وابن خلدون التيارين الرئيسين لموقف علماء الإسلام من التصوف. فبعضهم يرى أن التصوف في أصوله الأولى وبذوره الحقيقية ليس دخيلا على الإسلام (لأنه ... مبثوث في آيات القرآن الكريم، مستكن بأصوله في عقائده الصريحة)[3].وأنّ تلك البذور كفيلة بتنميته في استقلال عن أي غذاءٍ أجنبي)[4] وأن ما طرأ عليه من انحراف في بعض قضاياه لا ينفي عنه أنه في أصوله (مذهب إسلامي صميم لم ينتحله المسلمون من غيرهم)[5].لقيامه على منهج إسلامي في التصور، وفي السلوك العملي مستندٍ فيها جميعا إلى أصلَيْ الإسلام بما اشتملا عليه من هدي وإرشاد، ومثالية تربوية (لا تجافي الواقع، ولا تعادي العقل فتحاربه في عطائه الجاد الرصين، ولا تستهين بالقلب في تدفقه الفياض وفي سخائه الثّري، ولا تركن إلى سكون الخلوة، وتترك العمل في رحاب الدنيا الذي هو من أوكد رسالة الإنسان في الحياة)[6] ولذا عد علماء "الفرق" كالبغدادي أهلَه من أعيان أهل السنة والجماعة وأصفيائهم[7]،

---

[1]- بنية العقل العربي .دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية .ص: 269.مركز دراسات الوحدة العربية-بيروت.ط1/1986م.

[2]- بدائع التفسير . لأبي الفضل عبد الله محمد الصديق الغماري .ص: 152.مكتبة القاهرة – دار الطباعة المحمدية.ط1 / 1385ه-1965م.

[3]- الفلسفة القرآنية .عباس محمود العقاد .ص: 176.دار الكتاب العربي –بيروت.ط2/1969م.

[4]- قضية التأويل في القرآن الكريم بين الغلاة والمعتدلين .إبراهيم بن حسن بن سالم .ج2.ص: 252.دار قتيبة –بيروت – ط1/1413ه-1993م.

[5]- المرجع نفسه: ج2.ص: 254.

[6]- المرجع نفسه: ج2.ص:267، 268.

[7]- الفرق بين الفرق، وبيان الفرقة الناجية منهم .عبد القاهر بن طاهر البغدادي (ت: 429ه) ص: 302،دار الآفاق الجديدة – بيروت.ط4/1400ه-1980م.

لعلمهم بأنهم كانوا مجمعين على تعظيم الشريعة، سالكين طريق المجاهدة، مقيمين على متابعة السنة غير مخلين بشيء من آداب الإسلام وأخلاقه، كما قرر ذلك صاحب "الرسالة" و"التعرف" وغيرهما .

وقد ذكر ابن تيمية-رحمه الله تعالى- أنه (نقل التكلم به عن غير واحد من الأئمة والشيوخ: كالإمام أحمد ابن حنبل، وأبي سليمان الداراني[1]،وغيرهما، وقد روي عن سفيان الثوري أنه تكلم به، وبعضهم يذكر ذلك عن الحسن البصري)[2].

فالتصوف في نظر أصحاب هذا التيار (ليس مذهبا منفصلا عن مذاهب الإسلام الفطري البسيط العميق السهل الممتنع، وليس هو دعوى إلى الانفصال عن القيود، وإن وهم واهم متحجّر،أو شطح شاطح مجذوب،أو انتسب إلى القوم من ليس منهم)[3] بل هو طريقة لها موازين دقيقة من نحو: عدم معارضة الذوق لظواهر نصوص القرآن والسنة، مع وجود شاهد لأذواقهم ومواجيدهم فيهما أو في أحدهما، بالإضافة إلى عدم وجود معارض عقلي أو شرعي لتلك الأذواق والمواجيد التي هي ثمرة رباط وثيق وعروة وثقى لا انفصام لها بين القول والعمل المشدودين إلى الإسلام بإحكام [4].

فالفرق بينهم وبين غيرهم أنهم سلكوا طريقا استوعره الغافلون الذاهلون عن حقيقة الحياة الدنيا، وصحبوا الناس بأبدان تعلقت أرواحها بالمحل الأرفع، وأن ما ينسبون إليه أو ينسب إليهم إنما (صار في الملة علما مدونا بعد أن كانت الطريقة عبادة فقط، وكانت أحكامها إنما تتلقى من صدور الرجال، كما وقع في سائر العلوم التي دونت بالكتاب –كما يقول ابن خلدون –) [5].

فالتصوف بهذا الاعتبار ووفقا لهذا المعنى (جانب من جوانب الحياة الفكرية والروحية في

---

[1]- هو عبد الرحمان بن عطية ، من أهل "داريا " قرية من قرى دمشق (ت215 ه)

- انظر ترجمته في : طبقات الصوفية .طبقة 1 (رقم9) ص: 75 ، حلية الأولياء .ج9 .267 – 292 (رقم 446) ، صفة الصفوة .130 ، الرسالة القشيرية .ص: 15 .

[2]- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية .أحمد بن تيمية .ج 11.ص: 5.مكتبة المعارف –الرباط-المغرب.جمع وترتيب: عبد الرحمان بن محمد بن قاسم.

[3]- التفسير الصوفي للقرآن .ص: 51 . والنص له في مقدّمة الدراسة .

[4]- انظر: المرجع نفسه.ص: 60.

[5]- المقدمة .ج2.ص: 227.

الإسلام، شديد الصلة بها، عنها صدد ومنها تغذى بعيدا عن التصورات والمفاهيم المنحرفة التي كادت عبر عمليات تلفيق مصطنعة أن تشوه حقائقه، وتفسد جوهره فتبعده عن الإسلام وما جاء به من عقيدة وتشريع.فالذي نراه ونصوبه هو: أن بين التصوف- الذي عُد التفسير الذوقي لمصدري الإسلام الخالدين: الكتاب والسنة -وبين الاتجاهات التحريفية التي كادت تفسد بنية الحركة الروحية، مسافة فارقة شاسعة تفصل بين ما هو إسلامي وأصيل ومعتبر، وبين ما هو تشويه وتمويه وهدم لحقائق الإسلام وأصوله) [1].

ولا شك أن للتصوف والمتصوفة تعلقا بالقرآن الكريم -شأن هذا العلم وأهله في ذلك شأن باقي المعارف الإسلامية وأهلها-(لما ورد في القرآن من المعارف الإلهية، ورياضة النفوس، وتنوير القلوب، وتطهيرها باكتساب الأخلاق الحميدة، واجتناب الأخلاق الذميمة، وقد تكلمت المتصوفة في تفسير القرآن، فمنهم من أحسن وأجاد ووصل بنور بصيرته إلى دقائق المعاني، ووقف على حقيقة المراد، ومنهم من توغل في الباطنية وحمل القرآن على مالا تقتضيه اللغة العربية) [2].

إن من بين حجج المدافعين عن أصالة التصوف وإسلاميته نشوءَ هذا" المذهب" في كنف الوضوح والشفافية التي طبعت مسيرته فلم ينشأ في السجون أو السراديب والدهاليز، بل هو تيار علم ومعرفة وتربية موصول بسادة الدنيا من صحابة وتابعين فمن جاء بعدهم، شامل لتعاليم الإسلام من أدناها إلى أعلاها، لا إنكار فيه لظاهر من الكتاب والسنة، كما لا اعتقاد فيه لإمام باطن مستور، وقد كان أقطابه كالمحاسبي[3]

---

[1]- دراسات في الفكر العربي الإسلامي .أبحاث في علم الكلام والتصوف والإستشراق والحركات الهدامة .عرفان عبد الحميد .ص: 316.دار عمار -عمان (دار الجيل بيروت) ط1412/1ه-1991م.

[2]- تفسير ابن جزي .ص: 876.دار الكتاب العربي – بيروت /1403ه-1983.

[3]- الحارث بن أسد ، كنيته أبو عبد الله ، من علماء مشايخ القوم بعلوم الظاهر ، وعلوم المعاملات و الإشارات له التصانيف المشهورة من أهل البصرة (ت : 243 ه) .

- انظر ترجمته في :طبقات الصوفية .طبقة 1./ (رقم 06) .ص: 56، حلية الأولياء .10/ 79 – 113 (رقم :463) ، الرسالة القشيرية .ص:12 ، الكواكب الدرية . 1/ القسم الثاني . 585 – 588 (رقم 241) .

والجنيد [1] و الشبلي[2] والتستري وغيرهم من سادة الناس علما وعملا واتباعا لشرائع الإسلام فإن نقل عنهم بعض الإشارات التي جانبوا فيها الصّواب فهم كغيرهم ممن اجتهد في فهم الوحي قرآنا وسنة، فوفقوا تارة وأخطأوا أخرى، ولا يقال فيهم أكثر من هذا لأنهم لم يقصدوا في فهمهم للوحي أن يقدموا ما أخره الله أو يؤخروا ما قدمه الله أو ينازعوا في الربوبية، أو يخرجوا عن حد العبودية، أو يحرفوا كلام الله يؤزهم إلى هذا كله أزا بهتان وجسارة وجهل وقلة مبالاة وسوء أدب مع الله [3]، إذ لم يعرف عنهم عدول عن الحق بعد العلم به أو انحراف عن السّنن الواضح بعد أن دُلّوا عليه، والإشارة عندهم لا تعدو أن تكون فهما ذوقيا يوصل إلى بعض المعاني الخافية مع اعترافهم بأن هذا الفهم (ليس هو كل ما تنطق به الآية الكريمة، ولكنه بعض ما تشير إليه، أما المعنى الظاهر المتعارف فممّا لا يُطعن فيه، بل يكون وجها عاما يَخفي بعض الوجوه) [4].

لقد أُسّس قول أمثال من ذكرنا في كتاب الله على فقه وعلم ومعرفة بدين الله ساقوا به الناس، وأرشدوهم إلى طريق الرشاد، وإن جنحوا في الكثير من الأحيان إلى (ضرب من التعبير وجدوه أكثر ملاءمة لتصوير ما تكنه صدورهم من سرائر، بالإضافة إلى أنه أقدر على التأثير في السامع، وأدعى إلى

---

[1] – الإمام أبو القاسم بن محمد (ت297 ه) سيد الطائفة، وأحد السادة المعتمدين مولده ومنشؤه بالعراق، كان فقيها بالإضافة إلى إحاطته بأسرار الصوفية، وليست للجنيد مؤلفات ضمنتها أقواله وآراؤه وإنما هي عباراته تنوقلت في بطون كتب المتصوفة أو غيرها من المؤلفات التي عنيت بنقل أقواله .

– انظر ترجمته: طبقات الصوفية .السلمي .ص: 155 / 163 (الطبقة 02: رقم 01) . حلية الأولياء وطبقات الأصفياء . أبو نعيم .10 / 255، الرسالة القشيرية . القشيري .ص: 18 / 20 . صفة الصفوة . ابن الجوزي . 02 / 416 . الطبقات الكبرى. الشعراني . 01 / 72، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية – الطبقات الكبرى . المناوي . ج1 .ق1 . ص: 570 / 584 . (رقم 240) ، الشذرات 02 / 228 .

[2] – اسمه دُلف يقال ابن جحدر ، و يقال ابن جعفر ، خراساني الأصل بغدادي المنشإ والمولد ، صحب الجنيد ، و صار أوحد وقته حالا و علما ، كان عالما فقيها على مذهب مالك (ت : 334 ه) .

– انظر ترجمته في : طبقات الصوفية .طبقة 4 (رقم 1) ص: 337 ، الرسالة القشيرية .ص:25 ، حلية الأولياء .10/ 393 – 403 (رقم 645) . الكواكب الدرية .2/ 83 – 94 (رقم 335) .

[3] – انظر: كتاب اللمع في التصوف .للسّراج الطوسي (أبي نصر عبد الله بن علي) .ص: 90.مطبعة بريل في مدينة ليدن .1914م .باعتناء: رنولند ألن نيكلسون .

[4] – التفسير القرآني .محمد رجب بيومي .ص: 133.المؤسسة العربية الحديثة –القاهرة.

إهاجة العاطفة وإثارة الشعور، وقد وجدوا هذا في الإشارة فآثروها على العبارة، وعمدوا بها –أي الإشارة –إلى التلميح دون التصريح خوفا من أن يشيع بعض ما يقولون في غير أهله أو يتكشف لمن ليس له أهلا؟ [1].

إن المحاسبي والجنيد وتلميذه أبا علي الروذباري[2]الذي قال –كما روى ذلك الطوسي[3]–(كان أستاذي في علم التصوف الجنيد، وكان أستاذي في الفقه أبو العباس بن سريج[4]، وكان أستاذي في اللغة ثعلب، وكان أستاذي في حديث رسول الله ﷺ إبراهيم الحربي*) [5]، وغيرهم من أقطاب التصوف برءاء من التنادي بتحريف القرآن الكريم أو تعبيد الطريق لأعداء الوحي بتبيان السبيل الموصلة إلى التشكيك في شريعة الله وحفر ثلمة في الإسلام لم تتعاف منها الأمة إلى اليوم، فالصلة بينهم وبين الداعين إلى سقي الناس كأس الغواية والضلالة والكفر في آنية أهل البيت أحيانا، وفي حمل

1- الشريعة والحقيقة بين التصوف والرمز .قطب الدين العبادي الفارسي (ت: 548ه).هامش صحيفة: 113.إيتراك للنشر والتوزيع –القاهرة .ط1/2002م-1422ه .ترجمة ودراسة: علي أحمد إسماعيل .

2 – اسمه أحمد بن محمد بن القاسم بن منصور من أهل بغداد ، سكن مصر و صار شيخها ، ومات بها ، صحب الجنيد و غيره ، وكان عالما فقيها ، عارفا بعلم الطريقة ، حافظا للحديث ، (ت: 322 ه) .

– انظر ترجمته في : طبقات الصوفية . طبقة 4 . (رقم : 03) ص : 354 .حلية الأولياء .10 / 381 – 382 (رقم : 629)، الرسالة القشيرية .ص: 26 . الكواكب الدرية .2/ 18- 23 (رقم 296) .

3– هو محمد بن بكر بن محمد ، إمام أصحاب الشافعي بنيسابور و فقيههم ، و مدرسهم ، وقد تفقه عليه جماعات منهم أبو القاسم القشيري (ت : 420 ه) . طبقات الشافعية .ابن السبكي .4/ 121.

4– هو أبو أحمد بن عمر بن شريح القاضي أبو العباس البغدادي الباز الأشهب ، و الأسد الضاري على خصوم المذهب ، شيخ المذهب و حامل لوائه ، تفقه على أبي القاسم الانماطي ، ولي القضاء بشيراز ، كان يفضل على جميع أصحاب الشافعي ، له مصنفات كثيرة (ت: 306ه) . طبقات الشافعية . 3/ 21- 39 (رقم 85) .

*– هو إبراهيم بن إسحاق بن بشير بن عبد الله البغدادي الحربي ، أبو إسحاق ، من أعلام المحدثين ،أصله من مرو ، اشتهر و توفي ببغداد ، كان حافظا للحديث ، عارفا بالفقه ،بصيرا بالأحكام ،قيما بالأدب ،زاهدا ، تفقه على الإمام أحمد ، وصنف كتبا منها " غريب الحديث " (ت: 285ه) .

– انظر ترجمته في : سير أعلام النبلاء .13/ 356 ، تذكرة الحفاظ .2/ 123، طبقات المفسرين .عادل نويهض .10/1 ، معجم المؤلفين . 1/ 12 ، الأعلام .1/ 32 .

5- اللمع في تاريخ التصوف الإسلامي .ص: 99.دار الكتب العلمية –بيروت .ط1/1421ه-2001م.ضبطه وصححه: كامل مصطفى الهنداوي .

كثير من آيات القرآن الكريم على الباطن واعتباره الأصل أحيانا أخرى مبتوتة .

وقد كان المحاسبي – وهو من متقدميهم – من أوائل من تصدى لتحريف النصوص وفهمها على غير حقيقتها في كتابيه: "مائية العقل" و "العقل وفهم القرآن"،ونظر كما نظر إخوانه إلى حمل النصوص على ما لا ينبغي على انه شر مستطير وسوء أدب مع الله سبحانه الذي أنزل وحيه مفصلا، كما أنه جرأة على نصوص الوحي قرآنا وسنة،قاد إليها قلة العلم والمعرفة بالله وكتابه وسنة نبيه.

إن القرآن الكريم والسنة النبوية سراج الدين ومنبع كل خير وحق فكيف يجعل منهما أمثال الجنيد مصيدة وفخا للدنيا أو طريقا لمخالفة الحق واتباع الهوى اللّذين هما سر جميع الحجب، لكن القوم إن زلت بهم قدم وجب سترهم مع تبيين مكمن خطئهم وغلطهم لأن (صيانة الدين أوجب، والقائم عليه مأجور، والمنتصر له منصور، والإنصاف في الحق لازم، ولا خير في ديانة يصحبها هوى –كما يقول زروق[1](أحمد البرنسي الفاسي ت: 899ه)[2]، فالقوم أثبتوا المعاني، وأخذوا الإشارة من ظاهر اللفظ وباطن المعنى، ولم يكونوا ممن حمل الكل على الإشارة فلم يثبت معها معنى ولا عبارة، فخرج بذلك عن الملة ورفض الدين كله [3]،لأنه-أعني من جعل الإشارة أصلا- فسر القرآن بما ليس من علم الظاهر ولا مما تحتمله المعاني التي يمكن أن يعطيها ظاهر الآيات، فلم يجعل محبة الله ومعرفته ودوام ذكره، والسكون والطمأنينة إليه وإفراده بالحب والخوف والرجاء والتوكل والمعاملة، بحيث يستولي هو وحده سبحانه على همومه وإرادته، ويكون جنته في الدنيا، والنعيم الذي لا يشبهه نعيم، وقرة عينه وحياته كلها، غاية ومقصدا [4].

---

[1] هو أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى ، عابد من بحر الغيب يغترف ، وعالم بالولاية يتصف ، تحلى بعقود القناعة و العفاف ، وبرع في معرفة الفقه و التصوف ، الأصول و الخلاف ولد بفاس سنة 846 ه ، و توفي سنة 899 ه .
– انظر ترجمته في : شجرة النور الزكية .ص:267 ، الكواكب الدرية .3/ 166 -172 (رقم 688) .

[2]- قواعد التصوف على وجه يجمع بين الشريعة والحقيقة ويصل الأصول والفقه بالطريقة .ص: 191،دار وحي القلم –بيروت. ط1/1425ه-2004م. تحقيق: عثمان الحويمدي، عني به: حسن السماحي سويدان .

[3]- انظر: قواعد التصرف .ل: زروق .ص: 85.

[4]- انظر: الوابل الصيب من الكلم الطيب .ابن القيم .ص: 111.المكتب الإسلامي –بيروت.ط1/1418ه-1997م.باعتناء صالح أحمد الشامي .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إن التوفيق لم يكن حليف المتصوفة جميعا، لقد كانوا بشرا أحيوا العزائم والقلوب، ونفروا من الإثم الظاهر، والإفك الباطن، ودعوا إلى تطهير النفس من أدران الغفلة والرياء، لكنهم بالمقابل لم يكونوا دائما موفقين، فقد ألحق فريق منهم بالعالم الإسلامي ضررا غير قليل، فمذهبهم ليس خيرا محضا، وليس شرا خالصا [1]. ربما كانت بعض أقوالهم وسلوكياتهم حقا وصدقا، وربما كانت مسخا وكذبا، منتحلة وفاسدة لا اعتبار لها خاصة عند متأخريهم، (ولذا فإن الموضوعية والحيدة العلمية تقتضينا أن نقول: إن شيوخ التصوف الملتزم بأحكام الشرائع ..قد بادروا قبل الخصوم إلى إدانة هذه الشذوذات في العقيدة والانحرافات في السلوك...(فـ)حملوا حملات قاسية على أولئك الذين ادعوا التصوف كذبا ونفاقا والذي ما قصد به شيوخه الكبار إلا تمام الأدب وكمال الأخلاق والالتزام التام بأحكام الشرائع وآدابها) [2].

لقد كان انبناء عقائد الإسلام وسلوكياته على نصوص قطعية وأصول صحيحة رسختها ممارسة الأمة عبر الأجيال مما حال دون تسلل الدخيل إلى عقائدنا وسلوكياتنا إلا ضمن أطر ضيقة ومحصورة في فئة ظلت عبر الأجيال منبوذة لا تتحرك إلا في الظلام ولا تعلن عن نفسها إلا لمن تبعها خلسة خوفا من سيف الشريعة وثورة العامة عليها فضلا عن أهل العلم .ذلك أن عقائد الإسلام وشرائعه فصلت وطبقت (بما يكفي لاستبعاد كل شائبة من شوائب المعتقدات السابقة أو اللاحقة في التطبيقات العملية بحيث لا يستطيع شخص أو جهة إضافة مفردة عقيدية واحدة أو حذفها أو حتى تلوينها بما يعتريه هو من أحوال او توترات وجدانية أو يكتنف حياته من توترات وانحرافات .قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ البينة: ٥ [3].

ولذا يكاد الصوفية الموفّقون يجمعون على أن الجاهل بالدين، والمتبع للهوى وسيء الخلق، ومن لا يرع حرمة المسلم، ومن يتقحّم ما لا يعنيه، ومن لا يزن خواطره بميزان الشرع لا يصح تصدره ولا يجوز في عرف العقل والدين أن يسلم له المسلم زمام أمر دينه لأن الجهل والهوى والخيالات

---

[1]- انظر: التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق .زكي مبارك .ج1.ص: 33، 34 .المكتبة العصرية –صيدا –بيروت .

[2]- إسلامية المعرفة، مجلة فكرية فصلية محكمة .يصدرها المعهد العالمي للفكر الإسلامي .ص: 37. . مقال في التصوف المقارن .عرفان عبد الحميد . السنة التاسعة .العدد: 1425/36 .2004م.

[3]- إسلامية المعرفة .مقال: الظواهر الصوفية والنسقية الإسلامية لعبد القادر هاشم رمزي .ص: 66.

والتهيئات والأوهام لا يمكن أن تكون طريقا –فضلا عن أن تكون مصدرا للحقيقة واليقين لأن مقرّرات الوحي أصح من كل الحقائق فوجب أن يكون أحق الناس بها وأهلها حذرين يقظين متأهبين لكل طارئ، مستعدين لكل مفاجئ .مبعدين لكل واصل إليهم من طريق الظن والتخمين، مستمسكين –قولا وعملا– بما بني على اليقين [1] ولا يضرهم بعد هذا إن كان قاصدوهم قلة، فقد قال الناس عن الإمام أحمد وبشر الحارث[2]: إن مثل الإمام أحمد بن حنبل[3]–رضي الله عنه –مثل دجلة كل أحد يعرفها، ومثل بشر الحارث مثل بئر عذبة مغطاة لا يقصدها إلا واحد بعد واحد، وهذا يدل على أن هذا المشرب ليس موئلا لكل وارد، وليس شرطا أن يوفق إليه كل قاصد فهم (العصابة القليل عددها، العظيم عند الله قدرها وخطرها) [4] كما يقول الطوسي .

لقد جانب الصواب من لم يبن تصوره للحياة الروحية في الإسلام على نصوص الكتاب والسنة وسيرة سلف الأمة، وراح يفتش عن أصول هذا الأمر الخطير في كتب متأخري الصوفية التي جمع فيها أصحابها الغث والسمين، وربما كان في أصحابها من كان متبعا لدين الله كما كان فيهم المبتدع فيه،فخلط بعضهم الحسن بالقبيح، والمحمود شرعا بالمذموم، وقد كان أول من حذر من هذه المخالفات كبار الصوفية، وعدوه من الدخيل على طريقتهم المبنية على الاتباع، والمستشرقون لما كانت كتب متأخري الصوفية-خاصة-عمدتهم في البحث لم يهتدوا إلى التفرقة بين ما هو إسلامي أصيل، وما هو أجنبي طارئ ودخيل، (و لو قرأوا الإسلام في أصوله الأولى لأنصفوا أنفسهم وأنصفوا

[1]- إسلامية المعرفة ...(مقال: ملامح الفكر المقاصدي في الخطاب الصوفي عند الشيخ "أحمد زروق"ل: إدريس بووانو).ص: 113.

[2]– هو ابن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال بن ماهان بن عبد الله الحافي ، كنيته أبو نصر ، أصله من مرو ، سكن بغداد و مات بها، صحب الفضيل بن عياض و كان عالما ورعا .(ت : 227هـ) .

– انظر ترجمته في : طبقات الصوفية الطبقة الأولى (رقم 4) .ص39 . حلية الأولياء ج8 . 378 – 403 (رقم 437) . الرسالة القشيرية .ص: 11 ، صفة الصفوة .ج2 / 150 . الكواكب الدرية . ج1/ القسم الثاني . (رقم 236) ص: 557 – 566 .

[3] – هو أبو عبد الله أحمد بن حنبل بن أسد إمام المحدثين و حامل لواء السنة في عصره ، ألف كتابه "المسند"في الحديث ، جمع فيه ما وصل إليه من سنن النبي ﷺ وارتضاه ، وقد رتبه على أسماء الصحابة .

– مصادر ترجمته : تاريخ بغداد . الخطيب البغدادي .4 / 412 – 422 (رقم 2317) ، طبقات الحنابلة . ابن أبي يعلى ج1 / 4-20 (رقم 1) . وفيات الأعيان . ابن خلكان ج1 / 63 – 65 (رقم 20) ، السير .الذهبي 11/ 177 – 358 (رقم 78).

[4]- اللمع في تاريخ التصوف .ص: 8.

الحق معهم) [1].

وما وقع فيه المستشرقون وقع فيه من كان مبعثه التعميم في الإطلاق، والشمول في الحكم، ويتجلى هذا في تحامل ابن الجوزي –رحمه الله–في كتابه "تلبيس إبليس"فالكتاب وإن كان في مضمونه تحذيرا لكل أهل علم إلا أن سطوته على الصوفية كانت أشد، فلو استثنى وخصص لأصاب في حكمه الحق، وإن كنت لا أشكّ في أنّه ما قصد إلا من حاد عن سواء السبيل .

إن دخول الباحث إلى دراسة التصوف أو غيره بميل مسبق: انتصارٍ مطلقٍ أو تحاملٍ مطبقٍ، سائقٌ إلى اعوجاج في الحكم مبعدٌ عن الموضوعية، بخلاف ما إذا كان المنهج حياديا خاليا من فكرة احتمالية مسبقة أو نزعة أو ميل إلى مؤلف على حساب آخر، جاعلا من القرآن والسنة وسيرة السلف من صالح المؤمنين معيارا يحاكم إليه ومقياسا يقيس به الأثر الصوفي في القرآن والسنة فما وافقهما ذكره ودعمه بدليل فيهما أو في أحدهما، وما خالفهما كشف عن وجه المخالفة فيه ما أمكن[2].

لقد تصدى للتحريف والتزييف أمثال الجنيد وشيخه المحاسبي ومن كان بعدهما كالطوسي والكلاباذي[3]والمكي(محمد بن علي بن عطية الحارثي ت: 386ه)[4] والقشيري والغزالي وغيرهم، فكانت مؤلفاتهم: (بمثابة عملية تطهير واسعة أريد بها بتر الزوائد التي شابت بنيان التصوف والعودة به إلى رحاب الإسلام ونقاوة سننه وتعاليمه)[5].

ويمثل هؤلاء وغيرهم بمؤلفاتهم أحد تيارين غدا: (نبعا صافيا طهورا لتصوف حاول شيوخه التأدب في تجربتهم الجوانية الروحية بأدب الدين والعقل معا، وصارت مدوناتهم تبعا لهذا " معالم

1- من قضايا التصوف في ضوء الكتاب والسنة .محمد السيد الجليند .ص: 56.مكتبة الزهراء –القاهرة –1410ه–1990م.

2- انظر: التفسير الإشاري عند أهل السنة (بحث مقدم لنيل دكتوراه الحلقة الثالثة، الكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين .للطالب: صالح الداسي .ج1.ص: 6 ،7.انجزت سنة: 1403ه-1983م.

3- هو محمد بن إسحاق الحنفي البخاري ، تاج الإسلام (ت: 380 ه) صاحب : "التعرف لمذهب أهل التصوف " .
– انظر ترجمته في : الموسوعة الصوفية .ص: 605 وما بعدها .

4- واعظ زاهد فقيه ، سكن بغداد و وعظ فيها و توفي بها ، له "قوت القلوب" في التصوف وغيره .
– انظر ترجمته في : وفيات الأعيان .4/ 303 (رقم 630) . ميزان الاعتدال .3/ 655 (رقم 7976) . الأعلام .6. 274.

5- دراسات في الفكر العربي الإسلامي.ص: 323.

"بارزة تجسد هذا الإتجاه المعتدل المتوازن، كما هو واضح وبيّن في تآليفهم التي هي عمدة السالكين ومنهاج القاصدين)[1]، التي عملت على أن يظل التصوف بعد هذا الجهد العلمي الشاق الطويل والمستمر بحق: (التفسير الذوقي والأخلاقي المشرق للإسلام، بعيدا عن سرف المسرفين ودعاوى المبطلين) [2].

وأصالة التصوف —عند القائلين بذلك من أصحاب هذا الاتجاه —لا تقف عند من ذكرنا من المتقدمين وبعض المتأخرين، بل تشمل كثيرين ممن جاءوا من بعد المذكورين، فقد قال الجلال السيوطي: (وقد طالعت كلام هؤلاء السادة الثلاثة — يعني: ابن عطاء الله، وشيخه وشيخ شيخه — فلم أر فيه حرفا يحتاج إلى تأويل، فضلا عن أن يكون منكرا صريحا) [3].

وكون التصوف عملا وسلوكا ومكابدة ومجاهدة، وليس فقط كتبا ومؤلفات تقرأ أو كلاما يحفظ، يصبح البحث فيه والكلام عنه (ليس ميدانا لكل وارد، ولا موردا لكل شارب، لأنه لا يسلس قياده، ولاتتسنى الكتابة المنصفة فيه إلا للواحد بعد الواحد، ومن رام الكتابة فيه قبل أن يحس بالمعاني تجيش في نفسه، وتملأ عليه جنبات قلبه، ودون أن تعطى له من داخله الإشارة، (ويستشعر) في نفسه القدرة على حسن العبارة، فإن كتابته تأتي باردة جامدة بعيدة عن الحق غير منصفة) [4]، فأولى الناس وأصدقهم لهجة في التصوف — نطقا وكتابة — هم أهله (لأنهم يصفون ما يجدون) [5]، وأهل الصدق من الصوفية والمنصفون من دارسي نشأة التصوف الذاهبين إلى أصالته الإسلامية، وأنه مبني في أساسه عليها يقررون أن ربط قيمة الإنسان وحقيقة حاله بالمظهر أمر لا يأبه به الصالحون سواء كانوا من الصوفية أم من غيرهم .

يروي " القشيري " في رسالته: (أن بعض الصوفية دخل على أحد المتنعمين فسأله عن لبس

1- دراسات في الفكر العربي الإسلامي.ص: 328.

2- المرجع نفسه.ص: 347.

3- الحاوي للفتاوى في الفقه وعلوم التفسير والحديث والأصول والنحو والإعراب وسائر الفنون . ج2 . ص: 245 . المكتبة العصرية – صيدا بيروت / 1411 هـ - 1990م . تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد .

4- التصوف الوجه والوجه الآخر . عبد الفتاح أحمد الفاوي . ص: 19 . ومعه كتاب: أصول الملامتية وغلطات الصوفية للسلمي.

5- التصوف الوجه والوجه الآخر . ص: 16.

المرقعة فقال: إن كنتُ لبستها من الفقر شكوتُ ربي وإن قلت لبستها من اختيارٍ فقد زكيت نفسي، ولكن عبد ذليل لرب جليل يلبس ما يريد) [1] .

إن قمة انحدار التصوف من أصول وثقافات غير إسلامية الموجهة إليه لم تقتصر عليه وحده«كعلم» بل مست كل العلوم الإسلامية، لم تنج منها الفلسفة الإسلامية كما لم ينج منها علم الكلام، بل امتدت حتى إلى البلاغة والنحو والفقه وغيرها من علوم الشريعة، فما يقال في الرد على التهمة الموجهة إلى تلك العلوم والمعارف يقال في التصوف .فأصالة أصوله تعني أنه كغيره من علوم المسلمين جزء لا يتجزأ من تاريخ الإسلام نفسه ومظهر من مظاهره، والسموم الأجنبية التي مست جوانب منه كان تأثيرها في تطوره وانحرافه أكثر مما كان في ظهوره ونشأته)[2] ولذا وجب وضع هذه التأثيرات في حجمها الصحيح دون غلو أو تزيد حتى لا تتورم لتشمل علوم الشريعة برمتها، وتظهر المسلمين بمظهر الفقر العلمي، وعدم الأصالة وأنهم عالة في كل فن من فنون الحياة على غيرهم[3]، مع أن إمكانية استمداد الأصول الصوفية من المعين الإسلامي بلا تكلف ولا تعسف ليست خافية لمن تأمل أدنى تأمل في نصوص القرآن والسنة ونظر في سيرة النبي وصحابته، بل لا مجال للشك في أن الإسلام بنصوصه فيه الكفاية (لتوفير العناصر الجوهرية لنشوء التصوف، وسد احتياجات العرفان الصوفي، وأن النصوص القرآنية والحديثية التي اضطلعت بهذه المهام لا تكاد تدع زيادة لمستزيد، اللهم إلا في الشرح والتفسير) [4].

وتذكر مؤلفات الطبقات والسير عن الزاهدين من الرعيل الأول أن التحرر من رق الدنيا وعبوديتها، والتملص من كل ما يحول بينهم وبين مولاهم كان كأنه طبيعة ثانية فيهم فلم يستطيعوا أن يصفقوا مع المصفقين، أو يطبلوا لكل قادم، (إنما راحوا يبحثون عن حياة أخرى داخل هذه الحياة يجدون فيها العزاء، ويعيدون إلى القيم ثباتها وإلى الأوضاع استقامتها ...وإلى الدين سيطرته، ولقد وجدوا في هذا العالم الصغير آفاقا رحيبة جذابة، أراحت أفئدتهم من مشاهد التقتيل والتمثيل

1- التصوف الوجه والوجه الآخر . ص: 52 .

2- المرجع نفسه .ص: 76.

3- انظر: المرجع نفسه .ص: 83، 84 .

4- نشأة التصوف الإسلامي .ص: 88.دار المعارف -مصر-(للدكتور إبراهيم بسيوني) .

والصلب، ونأت بهم عن تطاحن الأحزاب السياسية والمذهبية، وفتن الحروب الأهلية، واختلاط الحق بالباطل، وإسراف(كذا) في تقدير هذه الدنيا بشكل أنساهم الدين ... كل ذلك خلف في نفوسهم حسرة أخذ التعبير عنها اتجاهات شتى)[1].

إن الزهاد ثم الصوفية الموفقين في مرحلة تالية لم ينكروا الحياة بل قابلوها بالإيجاب وفتحوا لها صدورهم، ولم يمقتوا من الدنيا إلا ما يشغل ويلهي ويستعبد من الشهوات والنزعات والأهواء واللعب والغفلة عن الله، فإن خلت من هذه المضار كان تركها خطأً كبيرا [2].

ولعل أبرز ممثل لهذا المنهج من القرون الأولى الحسن البصري – ﷺ– فقد اشتملت حياته على أصدق تطبيق عملي لما في الإسلام من تصوف، حتى عده كثير من الباحثين واضع أصول التصوف[3].

كيف يتركون الدنيا بهذا الاعتبار ويبغضونها ويبغّضونها إلى الخلق، وهم يعلمون أن الحق –جل جلاله–جعلها دارا لمعرفته وعبادته والخوف منه والفرح به؟! كيف يمقتونها وفيها بُعث هداة مواكب النور من الأنبياء والمصطفَين الأخيار من المرسلين، ثم أورث رسالاتهم ورسالة خاتمهم –عليه وعليهم الصلاة والسلام –من اصطفى من عباده ليرشدوا عباده ويوجهوهم، وما كان هؤلاء المرشدون والموجهون في نظر الزّهاد والصوفية الموفقين سوى موجّهين لا غير (والموجّه ليس هو الموحي،وليس هو الملهم، ليس الموجّه بصيرة ترقّ وتشفّ، ولا سرّا يصير مرآة مجلوّة يحاذي بها الصوفي شطر الحقّ، ولا ملأً أعلى ينعكس على بصيرة الصوفي فيتذوّقه ويحسه ويشهده،ولا مبادئ تلقى في الروع فيدركها الصوفي سارية في كِيانه كلّه) [4].

لقد علم هؤلاء الأجلة أن الوسط والبيئة والشيوخ ومجموع ما يحيط بالصوفي لا ينجب صوفيا، ذلك لأن الصّوفي أو الزاهد لا يكون كذلك بالقراءة والدراسة والبحث وحدها ولو كان المقروء

---

[1]- نشأة التصوف الإسلامي .ص: 98.

[2]- انظر: المدرسة الشاذلية الحديثية وإمامها أبو الحسن الشاذلي . د: عبد الحليم محمود.ص: 136 دار الكتب الحديثة .

[3]- انظر: نشأة التصوف الإسلامي .إبراهيم بسيوني .ص: 107.

[4]- المدرسة الشاذلية الحديثية .ص: 223.

كتب الصوفية نفسها، فما أكثر الدارسين للصوفية العالمين بدقائق هذا النوع من "المعرفة"من الناحية النظرية لكنهم ليسوا صوفية بالمعنى المعروف .

فالغزالي لم يصبح صوفيا بعد قراءة شذرات الجنيد المتناثرة هنا وهناك، أو قراءة ما كتبه شيخ الجنيد المحاسبي أو ما خلفه أبو طالب المكي أو غيرها فقط، إذ ليست (قراءة كتب التصوف سلما يرقى بها الإنسان"وحدها" في معارج القدس) [1].

فابن سينا وهو من هو في عقله وعلمه – خالط وتحدث وكتب في التصوف (ومع ذلك ..لم يصر ..صوفيا، و لم تجعله دراستُه للتصوف وكتابتهُ عنه في عداد الصوفية) [2].

إنّ بعض الدعاوى التي يتكئ عليها بعض الدارسين للتصوفِ منَ العرب اتباعا لكثير من المستشرقين، أساسها فاسد، وطريقها زائف،وسالكها كسائر فوق جدار منقضٍ، وقد سار في هذا الطريق الضال المستشرقون فضلوا وأضلوا، مع علمهم بأن تاريخ التصوف الإسلامي اشتمل على كثير من الأميين، بالإضافة إلى إدراكهم –نظريا–أن« العارف » هو نتاج عبادة موصولة لا تنقطع، وتضرع وخضوع وذل وانكسار لا يتوقف إلا بتوقف أنفاس الصوفي وموته، ومن عمي أو تعامى عن الإقرار بهذا تخبط واضطرب قوله في التصوف منشأ وانتماء لأن وضع المشكلة عنده خطأ، فتارة ينسبه إلى المجوسية، وأخرى إلى الأفلاطونية، وإلى الهند ... إلى آخره،ولا يزالون مختلفين في مصدره وسيظلون إلى أن يصحح الوضع لأنهم يعتقدون أن التصوف ثمرة ثقافة كسبية، وما دروا أن الطريق إليه والوسيلة السائقة إلى رياضه اليانعة إنما هي العمل، إنما هي السلوك والمعرفة الناشئة عن العمل والسلوك، هي إلهام، وهي ملأ أعلى انعكس على البصيرة المجلوة فتذوقه الشخص حالا، وأحس به ذوقا، وأدركه إلهاما، فما علاقة ما قيل إنه مصدر للتصوف بهذه المعاني التي لا تفتح لها أبواب السماء أبدا إن لم تكن وفق ما شرع الله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾فاطر: ١٠ في مقابل قول الحق تبارك وتعالى﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴾ الأعراف: ٤٠.

[1]- المدرسة الشاذلية وإمامها أبو الحسن الشاذلي .ص: 221.

[2]- المرجع نفسه.ص: 221

إن التصوف الإسلامي ليس إلاّ محاولة للنفاذ إلى أعماق النفس الإنسانية الغامضة [1].متخذة من العبادات الشرعية في معناها العام سائقا وموجها، ومن العلم سراجا ينير المسيرة ويبين معالمها الهادية إلى الغاية حتى لا يزل أو يجمح السالك في مدارج الوصول.

أما ما يقال من أن التصوف والتواكل صنوان مؤتلفان، وأن التصوف والعلم لا يجتمعان لأنه والجهل صديقان ففرية يهدمها حياة وعلم الموفقين من أمثال المحاسبي والجنيد والغزالي وغيرهم ممن يتعيّش أصحاب القحط العلمي، والجفاف المعرفي، بل الهزال الروحي والطبائع الفظة الغليظة، على ما تركه هؤلاء من مواقف جهادية، وتحليق معرفي، ورسوخ علمي استنارت به البشرية بعدهم وسارت على ضوئه حتى أصبح المقياس في الزهد الصوفي عندهم (ليس الحرام والحلال، لأن ميدان المعركة قد انتقل إلى جبهة أخرى: صار أيُّ خضوع للنفس خضوعا لغير الله وإشراكا به) [2]،أو كما قال السراج الطوسي نقلا عن التستري: (إذا كان الحلال في التدين هو ما لا يعصى الله فيه، فإن الحلال عند الصوفي مالا ينسى الله فيه)[3].

و مبعث ذلك كله محبة خاصة من هؤلاء الخاصة له، محبته لما هو له أهل —كما يقول ابن تيمية —(فهم الذين يطلبون النظر إلى وجهه الكريم، ويتلذذون بذكره ومناجاته ويكون ذلك لهم أعظم من الماء للسمك حتى لو انقطعوا عن ذلك لوجدوا من الألم ما لا يطيقون وهم السابقون) [4].

إن بعض الباحثين يرون أن الإنتقال من الزهد المعروف الذي كان عليه الأولون حتى النصف الأخير من القرن الثاني إلى مذاقات الحب والمعرفة بعد ذلك كان انتقالا طبيعيا [5]،وأن الذين حاولوا تجريد وسلب الإسلام تلقائيته الخصبة، وقدرات الممارسين من الصوفية وغيرهم على المبادرة والأفكار الجديدة التي يسهل استنباطها من حياة المسلمين، ومن التدبر في أغوار ومضامين المعاني الروحية للقرآن، مضافا إليها سلوك رسول الله-ﷺ- الروحي وصحابته الكرام، تبدوا محاولتهم هذه غريبة

1- انظر: المدرسة الشاذلية .ص: 221، 222 .

2- نشأة التصوف الإسلامي .ص: 129

3- اللمع في تاريخ التصوف .ص: 43.

4- مجموع الفتاوى .ج10.ص: 85.

5- انظر: نشأة التصوف الإسلامي .ص: 132.

وغير منصفة [1].

وتصلح مدرسة الإستشراق الفرنسية بزعامة "ماسينيون"[2] مثالا وشاهدا للغرابة وعدم الإنصاف حين حاول أن يجد لنظريته آثار العقيدة المسيحية في الإسلام من خلال الحسين بن منصور الحلاج[3]، وكأنه عثر في آراء المذكور على ضالة كان ينشدها مع إغفال منه وإعراض عن آراء كبار الصوفية، عن عمد منه فيما يظهر، في كثير من القضايا ومنها موقفهم من الحلاج نفسه حين خطّأوه بل لفظوه من صفوفهم، (وتبنّت المدرسة" المذكورة" الجهود القائمة على إثبات أن التصوف عند المسلمين صدر عن التصوف المسيحي ... ويعد منهج المدرسة الفرنسية منهجا روحيا غير علمي، وتنكبت الحقيقة في مقارناتها، لا سيما "ماسينيون "الذي" رأى" في الحلاج مسيحا آخر مكملا لعمل المسيح –عليه السلام –في بلاد المسلمين) [4].

ولم تكن المدرسة الفرنسية وحدها التي تنادت بالفصل بين القرآن والاتجاه الروحي في الإسلام، والتأكيد على عدم وجود علاقة قوية بين القرآن والحنو الروحي الداخلي، بل كان طابعا شبه عام طبع الإستشراق التقليدي قبل نيكلسون[5]وبعض المنصفين من المستشرقين على تردد في أقوالهم مع

---

[1]- انظر: الحركة الصوفية في الإسلام .محمد علي أبو ريان .ص: 159.دار المعرفة الجامعية –الإسكندرية –.1994م

[2]- "لويس" (1883 – 1962م) مستشرق فرنسي كبير أوقف أكثر حياته على دراسة الحياة الروحية و الاجتماعية في الإسلام خاصة في شقها الإيراني ، وإن كانت شهرته باهتمامه "بالحلاج " تفوق كل نشاطاته العلمية المتعددة ، قال "عبد الرحمان بدوي " : (وتوفر على دراسة الشيعة بكل تطوراتها و فروعها ...).

– انظر ترجمته و النص المذكور في " موسوعة المستشرقين .ص 529 وما بعدها .

[3] – هو أبو مغيث الحسين بن منصور الواسطي المقتول (سنة 309 ه) صحب الجنيد البغدادي وغيره، عده بعض الصوفية في عداد القوم .

– مصادر ترجمته: طبقات الصوفية، السلمي . ص: 307 – 311 (الطبقة 03 . رقم 13) ، تاريخ بغداد . 8 / 112 – 141 (رقم 4232) ، الكواكب الدرية، المناوي . 2 / 68 - 76 . (رقم 329) .

[4]- التصوف والإتجاه السلفي في العصر الحديث .مصطفى حلمي ص: 26، 27 .دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع – الإسكندرية–.

[5]– هو رينولد آلان (1868 – 1945 م) مستشرق إنجليزي يعد – بعد ماسنيون– أكبر الباحثين في التصوف الإسلامي تأليفا و تحقيقا منها : الصوفية في الإسلام (تأليفا) ، "تذكرة الأولياء" لفريد الدين العطار و"اللمع " للطوسي ، و"ترجمان الأشواق " لابن عربي (تحقيقا) .

علمهم بأن متقدمي الصوفية خاصة لم يكن في متناول أيديهم إلا القرآن يعبرون من خلاله عن تجاربهم التي لا وجود لها عندهم إلا بالقدر الذي يساعدها به القرآن على الوجود [1]،ومن تحصيل الحاصل بعد هذا أن يقال: إن كل ما هو روحي وأخروي في القرآن يفوق بكثير ما هو حسّي ودنيوي كما وكيفا، وأن الزهد في الدنيا غاية القرآن ومقصده الأسنى [2].

لقد كان طغيان سلطان العقل ومنهج البحث التجريبي بعده سببين مركزيين للفقر المعرفي الغربي الذي عاش ويعيش إرباكا معرفيا أنتج مقولات متناقضة، فتارة يقول "بموت الإله" وأخرى يقول "بموت العقل "و"موت الإنسان " وثالثة يقول" الإنسان ذلك المجهول"في محاولة لاستدراك الأخطاء المنهجية التي أملتها الطبيعة الحسية المادية لهذه الحضارة فلم يفلح "نيتشه[3]،وكانط[4]ووليم جيمس[5]، وسينوزا[6] وبرتراندرسل[1]وولترستيس[2]"وغيرهم في رأب الصّدع المستديم، وجبر

- انظر ترجمته في : "موسوعة المستشرقين " لبدوي .ص: 593 – 594 . الموسوعة الصوفية . ص: 612 وما بعدها .

[1]- انظر: حفريات في التأويل الإسلامي –دراسة المجال المعرفي الأصول الأول للتفسير الصوفي .مختار الفجاري .ص: 9، 11 .عالم الكتب الحديث –إربد-جدار للكتاب العالمي –عمان .ط1/1428ه-2008م.

[2]- انظر: حفريات في التأويل الإسلامي .ص: 38 .

[3]- (1844 – 1900 م) مؤسس فلسفة القوة ، وأحد أكثر الفلاسفة تأثيرا في القرن العشرين ، و أحد أعظم الشخصيات المصيرية في التاريخ الروحي للغرب وإسم مرتبط بنقد جذري للدين و للفلسفة ، وللعلم وللأخلاق ، والدعوة إلى تحطيم سلم القيم .
- انظر ترجمته في : موسوعة الفلسفة .ج2 . ص: 508 وما بعدها . و الموسوعة الميسرة ... ص: 616 وما بعدها .

[4]- (1724 – 1804م) أعظم فلاسفة العصر الحديث و صاحب النزعة العقلية التامة الشديدة الإيمان بقدرة العقل و معرفته لكل شيء ، ولا حدود يمكن أن تقف عندها المعرفة العقلية .
- انظر ترجمته في : موسوعة الفلسفة لبدوي .ج2 .ص: 269 وما بعدها ، الموسوعة الميسرة .ص: 461 وما بعدها .

[5]- (1842 -1915م) وقد اختلف في تاريخ وفاته ، فأثبت بدوي سنة 1915 ، و غيره 1910 . عالم نفساني و فيلسوف أمريكي برجماتي ،وقد اقترن المذهب الذرائعي البرجماتي باسمه ، لأنه أكبر دعاته في أمريكا ، وإن لم يكن المؤسس له ، وهو مذهب تجريبي يتخذ من النجاح معيارا للحقيقة .
- انظر ترجمته في موسوعة الفلسفة .ج1. ص: 447 وما بعدها ، الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي و الاجتماعي للدكتور لحميل الحاج . ص: 544 ، 545 ، الموسوعة العربية الميسرة و الموسعة .ج3 .ص: 1455 .

[6]- (1632 – 1677) هولندي الموطن يهودي الديانة .
- انظر ترجمته في موسوعة الفلسفة .ج1.ص: 136 وما بعدها ، الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي و الاجتماعي .ص:284 وما بعدها .

الكسر المتأصل المزمن في هذه الحضارة المادية المذهلة،ولذا جاءت أوصاف من وصف من هؤلاء الفلاسفة التجربة الصوفية بوجه عام والإسلامية بوجه خاص أوصافا حسية والتجربة الصوفية تتعالى على ذلك وتتلاشى معها المعاني التي تعطيها العبارة فلا ينطبق عليها –أعني التجربة الصوفية – ما ينطبق على تجارب الحس، فيفقد الوصف حقيقة لذة التجربة، والإستمتاع الروحي بها فيأتي وصفهم لها غير مباشر مع ما بينهم وبينها من بُعد [3].

فمن كان رادًّا لدعوى الصوفية مبطلا لها يلزمه المنهج الذي يدّعون أنهم أقاموا تجربتهم على أساسه لا أن يتلمس طريقا غير طريقهم و"منطقا " غير "منطقهم "،و"منطقهم "منطق وجدان ورؤية قلبية، فمن كان متصديا لهم فعليه أن يعيش التجربة، ويتذوق حلاوة الحال كيما يحكم على أصحاب الأحوال حكمه الصائب ليقيّم –إن شاء –أهل التجارب وعشاق الأرواح، وقد لا يستطيع...!!)[4].

ومن رام ملامسة جانب أولي من التجربة فليجعل النظر العقلي مرحلة متأخرة عنها لكونها –أي التجربة–حالة تنعدم فيها الفاعلية العقلية ساعة حصولها ووقوعها، ومن عكس فجعل النظر العقلي سابقا أو ملازما للتجربة –إن استطاع–جرّد المتصوف من تجربته (ليتلمس لديه عطايا النظر والتفكير، والعارف: نظره وتفكيره ليس هو عين تجربته الروحية، فما أبعد الفرق بين التجربة في ذاتها وبين الأقوال التأويلية والتفسيرية لها، مضمون التجربة شيء، والأقوال التي قيلت عن هذه التجربة

- [1]- (1872 – 1970) فيلسوف إنجليزي أسهم في ميادين علمية و سياسية واجتماعية كثيرة ، كانت له فيها جميعا مواقف مثيرة، لكن إسهامه في ميدان فلسفة الرياضيات و المنطق الرياضي هو القيمة الحقيقية الباقية مما أسهم به كما يقول" بدوي " .
–انظر ترجمته في موسوعة الفلسفة .ج1.ص: 517 وما بعدها .

[2]- هو ولتر ترنس ستيس (1886 م – 1967 م) فيلسوف انجليزي المولد أمريكي الجنسية ، ولد في لندن في نوفمبر سنة 1886م. عمل بالقضاء في سيريلانكا (سيلان) كما شغل وظائف سياسية فيها يوم كانت تحت سلطة الاحتلال الإنجليزي ، ثم عاد إلى الولايات المتحدة ليستأنف عمله العلمي الذي بدأه قبل السفر إلى سيرلانكا لأداء الخدمة المدنية البريطانية ، فأخرج جملة من المؤلفات في الفلسفة اليونانية ، و تبدو كتاباته في ملامح التأثر بالفلسفة الهيجيلية قوية ، ومن مؤلفاته التي تركها :"التصوف و الفلسفة " ، و"الدين...والعقل الحديث" و غيرها " (هذه الترجمة منقولة عن مقدمة مترجم كتاب "الدين ...والعقل الحديث" لد: إمام عبد الفتاح إمام .ص:7وما بعدها .مكتبة مدبولي –القاهرة .ط1/1998م .

[3]- التجربة الصوفية .بحث في تحقيق العلاقة بين اعتقاد الثنائية ورؤية الواحدية في تجربة "العارف" الروحانية .مجدي محمد إبراهيم .ص:68، 69 .مكتبة الثقافة الدينية .ط1/1423ه-2003م.

[4]- المرجع نفسه .ص: 42.

شيء آخر)[1].ويجمع أهل التجربة الصوفية على أن خط سيرهم والقانون الذي يمليه عليهم منهجهم ويفرضه عليهم فرضا (يجيء معه التطبيق أحرى بالعناية من النظر والعمل أدعى للرعاية من القول الذي لا يندرج تحته عمل ولا عبادة ولا مجاهدة ولا نسك ولا رياضة) [2]، ومع ما بين العقل والذوق من تقاطع بل اتصال في المراحل الأولى إلا أن هذا التقاطع وهذا الإتصال يبدأ في الضعف صُعدا إلى أن يتلاشى عند مستوى معين، لكنه سرعان ما يعود ساعة يحاول صاحب التجربة التعبير عما انتابه بألفاظ وكلمات هي بعض شذا التجربة وليست التجربة ذاتها .

لقد حول الهيام بحب الله تعالى أصحاب هذه التجارب (إلى أقباس روحية وذوقية، وجعل حياتهم أوتارا دقاقا تصدح بأعذب الألحان في عالم الأرواح والأذواق) [3]وبقلت كلماتهم المنثورة والمنظومة الإنسان من عالم الأرض محلقة به في عالم السماء مختزنة لأثارة من وقدة الشوق ولفحة الحنين إلى الملإ الأعلى [4].

إن الصدق في التوجه إلى الله هو الدرجة الأولى في العلاقة بين الأرض والسماء، هو-أعني الصدق في التوجه-بداية العزوف عن المتعة الحسية، والإقبال على المتعة الروحية، هو طليعة الإيمان بأن للحب المؤسس على ذلك غايةً غير نعيم الحواس، وجَدًا لا يعرف اللعب ولا المزاح [5] .والمحبون ..لا يتحهون إلى العوالم الروحية إلا بعد أن تدلهم الدنيا على أن جمالها —وإن بلغ الغاية —ظِلّ يتحول ويزول [6].

وفي سيرة رسول الله ﷺ من هذا وغيره الشيء الكثير، فقد (كانت نفسه ﷺ منجذبة إلى عالم الربوبية، وكانت بطبيعتها شديدة النفور عن اللذات الباطلة والسعادات الزائفة التي يمعن الناس في

---

[1]- التجربة الصوفية .ص:146، 147 .

[2]- المرجع نفسه.ص: 145.

[3]- التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق .زكي مبارك.ج1.ص: 37.

[4]- انظر: التصوف الإسلامي .ج1.ص: 136.

[5]- انظر: المرجع نفسه .ج1.ص: 138

[6]- انظر: التصوف الإسلامي .ج1.ص: 248.

الأخذ بها والخضوع لها، ولم يعرف عنه حتى قبل بعثته شيء مضاد للخلق الكريم) [1].

و الشواهد كثيرة من القرآن والسنة تدل على أن تصوّف الصوفية وما ينطوي عليه من نزعات زهدية ومعان أخلاقية موصلة إلى ثمرات روحية، قد وجد مادته الأولى في حياة رسول الله ﷺ وأقواله وأخلاقه [2]،فمن انحرف عن الجادة، ولحقه اعوجاج في أقواله وسلوكياته فأسرف وبالغ في ذم الدنيا فإسرافه واعوجاجه لا يخلو من غفلة وجهل، وهو اثر من آثار الإضطراب في السياسة والخلق والدين كما يقول « زكي مبارك* » [3] ذلك أن للدنيا فتنة روحية، وفي الكفاح في مناكبها سحرا وإشراقا، والعليل هو الذي لا يدرك ما في الوجود من متعة وجمال، فإسراف بعض الصوفية في التنفير من الدنيا ودعوتهم الناس إلى هجر ما فيها من الطيبات وإصرارهم على إقناع الناس بأنهم يلدون للموت ويبنون للخراب أشنع غلطة اقترفها هؤلاء، فإن بين الميلاد والموت مواسم للخير والبر والجمال والصفاء [4] .

لقد تنادى الذاهبون إلى أصالة التّصوف الإسلامي وأنّه من العلوم الحادثة في الملّة في الناس أن يبحثوا عن أصوله في آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية، (وليس في الصوامع الهندية والبيع اليهودية، والأديرة المسيحية، ولا تعاليم مدرسة الإسكندرية أو غيرها كما يريد المستشرقون) [5]،إذ لا حاجة بنا ولا بالتصوف إلى نظريات مبتدعة، (ولا إلى قضاة لم يشربوا حقيقة من ماء النهر المحكوم عليه، ولم يجوسوا خلال الدّيار التي يريدون قسمها وتحديد مواقعها ومكانها، ويصفون النور بغيوم الظلام) [6].

---

[1]- مدخل إلى التصوف الإسلامي .أبو الوفا الغنيمي التفتزاني .ص: 45.دار الثقافة للنشر والتوزيع –القاهرة.ط3.

[2]- انظر: المرجع نفسه .ص: 49.

* هو زكي بن عبد السلام بن مبارك (1371ه- 1925م) ، أديب من كبار الكتاب المعاصرين ، امتاز بأسلوب خاص في كثير مما كتب ، اشتهر بالتدريس و عين مفتشا بوزارة المعارف ، له نحو ثلاثين كتابا .

- انظر ترجمته في : الموسوعة الصوفية .ص: 614 وما بعدها ، الأعلام .47/3 .

[3]- انظر: التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق .ج2.ص: 111.

[4]- انظر: المرجع نفسه.ج2.ص: 106.

[5]- جمهرة الأولياء .للسيد محمود أبي الفيض المنّوفي الحسيني .ج1.ص: 268 مؤسسة الحلبي وشركاؤه –القاهرة –ط1387/1ه- 1967م.

[6]- المرجع نفسه .ج1.ص: 286.

وأقرب الأشياء التي تلتمس فيها أصول التصوف هو الوحي قرآنا وسنة ففيهما الكفاية وزيادة، وهما الشعلة المنيرة والسراج الوهاج الذي أضاء في الإنسان ظلام الغفلة وأيقظه من سنتها التي ألمت به، ونبهه إلى سر وجوده، وحقيقة عجزه وإدراك ضعفه وحاجته إلى مولاه.

فالتصوف في نظر المدافعين عن أصالته قصيدة إنسانية خالدة نشأت في ظلال الضعف، (نشأت في ظلال الحق يوم عرف الإنسان قيمة نفسه، واطمأن إلى أنه مخلوق ضعيف إن تخلت عنه رعاية الله لحظة واحدة هلك وباد، نشأت حين شك الإنسان في قيمة الحقائق الإنسانية، يوم رأى كل قوة إلى ضعف .. وكل حياة إلى موت، وكل شروق إلى غروب) [1].

و التصوف في نهاية المطاف عند أهله ومعتنقيه (نظام الصفوة المختارة، إنه نظام هؤلاء الذين وهبهم الله حسا مرهفا وذكاء حادا، وفطرة روحانية وصفاء يكاد يقترب من صفاء "الملائكة"،وطبيعة تكاد تكون مخلوقة من النور) [2]، وأنّ هذه "الصفوة المختارة" في باب العقائد والشرائع مجمعة تصريحا وإشارة وتلميحا (بأن الإبتداع ضلال، والسلوك عليه تيه، واستعماله رمي في عماية، وأنه مناف لطلب النجاة، وصاحبه غير محفوظ، وموكول إلى نفسه، ومطرود عن نيل الحكمة، وأن الصوفية الذين نسبت إليهم الطريقة مجمعون على تعظيم الشريعة، مقيمون على متابعة السنة، غير مخلين بشيء من آدابها، أبعد الناس عن البدع وأهلها، ولذلك لا نجد منهم من ينسب إلى فرق من الفرق الضالة، ولا من يميل إلى خلاف السنة، ناهيك عن أن يأتي ببدع محدثات، وأهواء متبعات) [3].

فاللقب كما يقول الشاطبي أيضا: مخصوص بمن تابع السنة، وباين البدعة (وفي ذلك ما يدل على خلاف ما يعتقده الجهال، ومن لا عبرة به من المدعين للعلم) [4]، فالقوم عنده (هم جند الإسلام وحماة الدين) [5]، فإن لم يكن الصّوفي في باب المعاملات وغيرها ناظرا إلى ما يحصل به الكمال،

---

[1]- التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق .ج1.ص: 06.

[2]- قضية التصوف-المنقذ من الضلال –عبد الحليم محمود .ص: 257.دار المعارف –القاهرة –ط3.

[3]- الاعتصام .للشاطبي .ج1.ص: 74.دار الكتب العلمية –بيروت – ط2/1411ه-1991م.ضبطه وصححه: أحمد عبد الشافي.

[4]- المصدر نفسه .ج1.ص: 67.

[5]- المصدر نفسه.ج2.ص: 59.

ويتقوى به اليقين طالبا وراء الحكم والمعنى –بعد إثباتهما لنصوص الوحي – الإشارة (فهو باطني خارج عن الشريعة، فضلا عن أن يكون صوفيا) [1].

والخلاصة أن لسان الموفّقين من المتصوّفة وحالهم: (...وما يضرك شيء لو كنت في نور الحقيقة موحدا، والاغيار في ظلامها متخبطين محجوبين ؟ فإن رأيت نفسك في صبح من العرفان مشرق وغيرك في ظلام دامس وراء الحجاب فقل مع الصوفي الحكيم:

ليلي بوجهك مشرق ***** وظلامه في الناس سار

الناس في سدف الظلا ***** م ونحن في ضوء النهار)[2].

هذا موقف أهل التصوّف ومتبعيه ممن يراه من علوم الشريعة الحادثة، فما موقف غيرهم من خصومه ومنكريه ممن يرى هذا النوع من المعارف دخيلاً ؟ .

---

[1]- قواعد التصوف .ص: 64.(قاعدة 55)

[2]- جمهرة الأولياء .ج1.ص: 296.

ثانيا: التصوف دخيل:

هل كان لمقتل عثمان – ﷺ – وما تلاه من أحداث وصولا إلى مقتل الحسين بن علي –رضي الله عنهما– كبير الأثر في نشوء مظاهر الزهد الغالي الذي كان البوابة الكبيرة لظهور صور "الانحراف"عند متصوفة القرون التالية، حيث نعثر على البذور الأولى للتصوف ونتلمسها في سلوك عُبَّاد البصرة ونُساكها عند رواد مجلس "الحسن البصري"– ﷺ – حيث اشتهرت البصرة بأنها كانت مهد أسباب مظاهر الغلو الذي ظهر ماثلا فيما بعد في سلوك بعض متصوفة القرنين الثالث والرابع، كما اشتهرت الكوفة بأنها كانت مهدا لظهور التشيع وتطوره؟ [1].

فهل كانت الكوفة والبصرة فعلا (الموطن الأول لبدايات لون جديد من الحياة الروحية في الإسلام؟[2]، وأن ما ينقل عن "رابعة"[3]وغيرها من ألفاظ وعبارات لم يعهد الناس أكثرها يجعلنا (أمام تيار جديد من الزهد الذي عبر عنه أصحابه بكلمات واصطلاحات جديدة لم تكن مألوفة من قبل،و هذا يدعونا إلى القول بأن نهاية القرن الثاني قد شهدت ما يشبه حركة المخاض في الكوفة والبصرة بميلاد اتجاهات جديدة في أنماط الحياة الروحية بصفة عامة تعتبر بداية طبيعية للتصوف) [4].

وهل كان ظهور النمط الجديد المغالي في الزهد –والذي كان بداية طبيعية للتصوف –كما قيل–نتيجة لعوامل داخلية ممثلة في الصراع بين بني أمية والعلويين، أم كان سببه ثقافات جديدة حملها الداخلون الجدد في الإسلام من أهل الحضارات السابقة عليه، أم أن الأمر لا يعدو أن يكون تطورا طبيعيا للزهد الموروث عن السابقين من المسلمين صحابة وتابعين كما تظهره مؤلفات "الزهد "عند "ابن المبارك"،و الإمام "أحمد"و غيرهما، ذلك أن الناظر فيهما وفي غيرهما من مؤلفات المستقيمين

---

[1]- انظر: من قضايا التصوف في ضوء الكتاب والسنة .ص: 22.

[2]- من قضايا التصوف.ص: 24.

[3]- هي رابعة العدوية القيسية ، ثم المصرية ، رأس العابدات و رئيسة الناسكات القانتات ، الخائفات الوجلات ، كانت في عصر الحسن البصري ، ماتت رضي الله عنها سنة 180ه .

- انظر ترجمتها في : صفة الصفوة .2 / 249 – 251 (رقم 588) ، وفيات الأعيان .285/2 (رقم 231) ، سير اعلام النبلاء. 8/ 241 (رقم 53) ، الكواكب الدرية .1/ القسم الأول .285 – 291 (رقم 95) .الموسوعة الصوفية . ص: 276 وما بعدها .

[4]- المرجع نفسه.ص: 35.

يدرك مبلغ زهد النبي الأمين وصحبه الكرام، (بل كانوا القدوة والمثل فيه، فكانوا يملكون من متاع الدنيا الكثير ولكن ذلك لم يشغلهم عن الآخرة، بل كان وسيلة وقربى لهم إلى الله) [1].

بل إن بعض المؤرخين صوروا مشهد الخوف من الآخرة عند من كان أدنى درجة من صحابة رسول الله ﷺ وهو الحسن البصري فقالوا: إنه إذا أقبل فكأنما أقبل من دفن حميمه، وإذا جلس فكأنه أسير قد أمر بضرب عنقه، وكان إذا ذكرت النار عنده بكى فكأنها لم تخلق إلا له .

أم أن تيار التصوف ملاذ موهوم تغيّا فيه أتباعه شفاء شهوة محسوسة مقهورة عز عليها أن تتنفس، وفتشوا في ثناياه (أعني الملاذ)عما يداوي جوًى في الصدر عز منه الشفاء [2].

وأنه لا يعدو أن يكون مصيدة للدنيا، وموئلا لكل زائغ ضال، وأن الذي أوصلهم إلى هذا أنهم خلطوا التعبد بالتفلسف فسيقوا من حيث يدرون أو لا يدرون إلى نتائج عقلية وسلوكية أصابت الحق حينا وابتعدت عنه أحيانا كثيرة، حتى انتهى بعض الدارسين في الحكم على مذهبهم بأنه (مجموعة من الأفكار الإسلامية والنصرانية واليهودية، أو هو الخلاصة الروحية من تلك الديانات الثلاث) [3]، بل ربما زادت على الثلاث عند آخرين، وان الأمة لو أسلمت قيادها السياسية والفكرية وألقت السمع إلى نصائح الصوفية (لضاعت أصول كثيرة من الخير والحق والجمال) [4]،بل لاهتزت أركان الشريعة وأصول الديانة، فإن أشرف من الاعتصام بشواهق الجبال وحبس النفس في المغارات والكهوف (أن تدخل المعركة، وأن يخضب الدم وجهك وصدرك ويديك، وأن تلقى الله بوجه شريف لم يعرف صاحبه الجبن ولا الرياء، ولا الخداع) [5]، لقد كان ذهولهم عن الحياة المادية، وانصرافهم عن الجوانب المضيئة في هذه الدنيا سببا من أسباب انحطاط الأمة وتراجعها الحضاري، فلولا غفلتهم لأدركوا أن الدنيا خلق الله كالآخرة، وأن كل ما فيها جميل أفسده الحائدون عن الفطرة التي فطرهم الله عليها فكانوا فيها كالأفاعي والحشرات الضارة، فلا أدري كيف خانت

---

[1]- من قضايا التصوف في ضوء الكتاب والسنة .ص: 46.

[2]- انظر: التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق .ج1.ص: 140.

[3]- المرجع نفسه.ج2.ص: 25.

[4]- المرجع نفسه.ج2.ص: 107.

[5]- المرجع نفسه .ج2.ص: 107.

الشجاعةُ الصوفيةَ فلم يجهزوا على تلك الأفاعي والحشرات ويقضوا عليها أو يقللوا من ضررها [1].

فاستجرار الصّوفية عند أصحاب هذا الرأي لسلوكيات بل عقائد من نحل مختلفة، وموازنة الإسلام ومقارنته بأي ملة من الملل إهانة له، وانتقاص من قدره العظيم، إنه لا توافق بين الحق والباطل، وبين العلم والجهل، وبين الظلمة والنور: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ فاطر: ١٩ - ٢٢ والقول بأن الزهاد الأوائل من الصوفية والصوفية منهم دعوى أعرض من الصحراء وأبعد في الإحتجاج بها من بلوغ عنان السماء [2] (لأن التصوف أمر زائد وطارئ على الزهد، وله كيانه وهيأته ونظامه وأصوله، قواعده وأسسه، كتبه ومؤلفاته ورسائله ومصنفاته، كما أن له رجالا وسدنة وزعماء وأعيانا) [3].

فالمذهب شتات وفُتات من نحل مختلفة وملل شتى تسربت إلى الإسلام على حين غفلة من أهله، وإلا فما معنى أن تقسم الشريعة إلى ظاهر وباطن، ويفرق المسلمون إلى عامة وخاصة،وخاصة الخاصة، وظاهر الآية أو الحديث شريعة، وباطنهما إشارة وحقيقة، وهي فكرة تسربت إلى التصوف من التشيع فآمن بها المتصوفة (واعتقدوها وجعلوها من الأصول والقواعد لعصابتهم، فقالوا مثل ما قال الشيعة والفرق الباطنية) [4].

إنه لا مستند لهم على مذهبهم من كتاب أو سنة أو سيرة المتقدمين والتي منها —بزعمهم — انقطاع أهل الصّفة في مسجد رسول الله ﷺ وإقامتهم فيه، ذلك أن هذا الأمر لم يكن مقصودا لذاته، بل كان ضرورة ألجأتهم إليها الحاجة وظروف المدينة المنورة زمن هجرتهم إليها وكثرة عدد المهاجرين إليها مع قلة المنازل التي يتزلون بها، بدليل ترك الكثيرين منهم لها بعد استتباب أوضاعهم فلم تكن

---

[1]- التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق .ج2.ص: 107

[2]- انظر: التصوف، المنشأ،المصدر .إحسان إلهي ظهير .ص: 12.دار ابن حزم —القاهرة —ط1/1429ه-2008م.تقديم: سيد بن حسين العفاني.

[3]- التصوف، المنشا، المصدر .ص: 26.

[4]- المرجع نفسه.ص: 268.

إقامتهم بها بقصد الانقطاع عن الدنيا، ولا كانت غاية لهم [1]، كما لا مستند ولا مستمسك لهم فيما زعموا أنه دعوة ومصدر لمذهبهم مما ورد من الآيات والأحاديث، ذلك أن المحققين من المفسرين والراسخين من شراح الأحاديث وجهوا الآيات والأحاديث —إن كانت صحيحة— على غير ما فهمه أهل التصوف من بعض المتقدمين وكثير من المتأخرين. فلقصة موسى مع العبد الصالح في سورة الكهف توجيه يستقيم في نظر أصحاب هذا الرأي مع مقررات الشريعة أصولا وفروعا، بعيدٌ عن المعنى الذي يذهب إليه أهل التصوف، ومثل الآية حديث الولي، وحديث الإسلام والإيمان والإحسان وغيره، أما أحاديث الظهر والبطن والحد والمطلع، فإن نزولها عن درجة غيرها يزلها عن درجة الاستدلال بها في هذا الباب وإن بنى عليها الصوفية تأويلهم لكثير من الآيات بصرفها عن ظاهرها إلى معنى آخر حسبوه صحيحا .

فأكثر الظواهر الصوفية —فهما ومسلكا— عند خصوم التصوف (دلفت إلى نسيج الحياة الإسلامية من مصادر ومنابع شتى، فكانت ظواهر متطفلة اخترقت حصون العقيدة الإسلامية وجردت العالم الإسلامي من قوته العقدية وارتباطها بحياته اليومية، فاخترقته الأمم الغازية اختراقا متواصلا ما يزال يتفاقم حتى يومنا هذا .

إن الحياة الصوفية لم تكن إلا تطفلا قاتلا على الحياة الإسلامية سواء في حالات الرخاء أو في حالات الخطر، فما كانت الأوراد والمقامات والأحوال وحلقات الرقص والتواشيح والمواجيد مما يطلبه الإسلام من الأمة الإسلامية لحماية الحياة الإسلامية من خطر المغول أو الصليبيين أو البرتغال أو الإنجليز ..أو اليهود..!) [2]،فالزهد والتصوف أمران متباينان وحقيقتان متغايرتان، وفيصل التفرقة بينهما هو أن مرحلة الزهد اكتفت بممارسة مختلف مظاهر العبادة كالتقوى والورع وسواهما على الصورة التي آلت إليهم موصولة برسول الله ﷺ فمن جاء بعده، (في حين بدأ التحول مع التصوف نحو التنظير والبحث عن أساس فكري وفلسفي لتلك المظاهر، فنشأت مقولات فكرية سواء ذات بعد ثنائي تقابلي مثل ثنائية الظاهر والباطن أو الحقيقة والشريعة، أو ذات بعد ثنائي تكاملي مثل ثنائية

---

[1]- انظر: من قضايا التصوف في ضوء الكتاب والسنة .للجنيد .ص: 14.

[2]- إسلامية المعرفة .ص: 79.(مقال: الظواهر الصوفية ... لعبد القادر هاشم رمزي)

المقامات والأحوال أو التفسير والتأويل) [1]، فالصلة مبتوتة عند خصوم التصوف –بين الزهد والتصوف،وليس في شواهد الشرع ما يثبت صحة طريق هولاء،و التطرف من لوازم وخصائص هذا المذهب، وهو أمر زائد على الزهد المشروع المحبب إليه، ولا يوجد صوفي لا يبالغ في التجوع والتعري، وترك الحلال، ويفْرط في التقشف والتعنت وتعذيب النفس وتكليفها ما لا يطاق، وجلب الأذى، والتجاوز في أوامر الله ونواهيه، والتقدم بين يدي الله ورسوله حتى يصل إلى اجتناب ما أمر الله به، وتحريم ما أحل الله، وتحليل ما حرم الله، وإتيان ما منع الله ورسوله ﷺ [2]، والأدب كل الأدب والهدي كل الهدي في أخذ طريق من كان قبلنا)في ما كبر أو صغر من العقائد والشرائع والأخلاق والآداب .

فكل عبادة لم يتعبدها أصحاب رسول الله ﷺ فلا تعبدوها كما قال حذيفة بن اليمان فيما رواه عنه أبو داوود، وكل هدي خالف هدي رسول الله خروج عن الجادة، وهديه في الأكل والشرب مثلا، أنه كان إذا وجد أكل وشرب شكر، فإن لم يجد صبر، لا يرد الموجود، ولا يتكلف المفقود ويتناول المتيسر من الطعام، وهو ﷺ الذي قال لأخ المرأة التي نذرت أن تحج ماشية –كما روى ذلك أبو داوود عن ابن عباس –: « إن الله لا يصنع بشقاء أختك شيئا، فلتحج راكبة، وتكفر عن يمينها»[3] فتلبيس إبليس في نظر أصحاب هذا الرأي يحاصر المتصوفة من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ويغتالهم من تحت أرجلهم لأنهم لم يلتزموا بالنازل من فوقهم فضلوا وأضلوا كثيرا، (قد زين لهم الشيطان العبادات البدعية، وبغّض إليهم السبل الشرعية، وحبب إليهم الخلوة والاعتزال، ليحرموا ثواب الجماعة والجمعة، ولم يعرفوا أنه لم يبق طريق إلى الله إلا بإتباع محمد ﷺ وأصحابه،وأن هذه العزلة والوحدة والاستغناء عن الأهل والولد وذوي الرحم وأصحاب القربى والأصدقاء والأخلاء، لمن الأعمال المخالفة للشريعة الإسلامية والموجبة للحرمان عن (كذا) أجر

---

[1]- حفريات في التأويل الإسلامي .دراسة المجال المعرفي الأصولي لأول للتفسير الصوفي .مختار الفجاري .ص: 109-عالم الكتب الحديث –إربد –الأردن جدارا للكتاب العالمي –عمان –الأردن .ط1/1428ه-2008م.

[2]- دراسات في التصوف .ص: 35.إحسان إلهي ظهير . دار ابن حزم – القاهرة . ط1/ 1429ه- 2008م.

[3]- رواه أبو داود في سننه .كتاب الأيمان و النذور . باب : من رأى عليه كفارة إذا كان في معصية .حديث رقم 3295. ج3 . ص: 234.

السعي إلى ذكر الله، وأداء الجمعة والاستماع إلى تلاوة القرآن الكريم والإصغاء إلى أحاديث الرسول ﷺ كما أنها من الأعمال المسببة للحرمان عن أجر المصافحة ومعاشرة المسلمين بالبر الصّلة (كذا) وحسن الخلق وتشييع الجنائز وعيادة المرضى وزيارة القبور وخدمة الوالدين) [1].

وقد بلغ بأقوال بعضهم أن صدمت الشعور الإسلامي بمذهب جديد وطرائق في القول غير مسبوقة تكاد تصل بمذهبهم في بعض مراحله إلى دعوى في التأله، وفي بعضها الآخر إلى دعوى في النبوة أو التّنبأ[2]، وهو غلو مخرج في ظاهره عن منطق الإيمان بما جاء به النبي ﷺ [3]، فالصوفية – وفق هذا الرأي– بسلبيتها المطلقة (مهدت السبيل لأعداء الإسلام بدعوى الزهد والتقشف والإبتعاد عن منازعة الحكام مناصبهم، والرضى بإصلاح النفس وتزكيتها، فخدرت أعصاب الناس بترّهاتها ومبادئها، وغطت على شعائر الدين الحنيف بطقوسها المبتدعة التي تنافي العقل السليم، والشرع الصحيح، ورحبت بكل مستعمر، ومشت خلف كل لواء، وضلت وأضلت باسم الدين، وكان لها أكبر الأثر على الانهزام الفكري لدى المسلمين الذي جر إلى الحال الذي نعيش) [4]، وهم في مجال المعرفة يدّعون أنهم فيها لا يبعدون من طريقهم الدليل والبرهان، لكن يعلو عليهما عندهم الكشف والعيان، والعلم اللّدني والفتوحات الإلهية والأذواق والمعارف والإلهامات الربانية التي هي ثمرة حسن الإقتداء، وجمال الاهتداء، فاكتشفوا –بزعمهم– أن للقرآن معاني غير التي ألفها الناس وأدركها علماء الظاهر وعلوما أخرى كثيرة لا يعلمها غيرهم، (وما هذه العلوم ؟إنها كل الفلسفات القديمة، والخزعبلات، والخرافات التي عند فلاسفة الإغريق، وكهنة الهنادك والهندوس، وشياطين المجوس وإباحة المانوية[5]والمزدكية[6]، وخرافات القصاص من كل لون وجنس) [7]، وينبني على هذا أنه لا

---

[1]- دراسات في التصوف.ص: 113، 114 .

[2]- انظر: المرجع نفسه .ص: 115.

[3]- انظر: من قضايا التصوف في ضوء الكتاب والسنة.ص: 149.

[4]- تأويل القرآن الكريم ومذاهب الفرق فيه.محمد بديع موسى .ص: 477.دار الإعلام –عمان –الأردن .ط1/1429ه-2008م.

[5]- انظر مفهومها في : الملل و النحل .أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت: 548ه) .ج1.ص:268.دار الكتب العلمية –بيروت .ط2/ 1413ه- 1992م.

[6]- انظر : الملل و النحل .ج1.ص:275.

[7]- المرجع السابق .ص: 485.

معنى لقول من قال: (إن الصوفية أنتجوا في مجال التفسير على سبيل المثال تفسيرا روحيا أساسه المعرفة القلبية والإلهام، وأن هذا التفسير ليس إلا التطور الطبيعي لما تضمنته المراحل السابقة ابتداء بعهد النبوة، وما تضمنته من آثار صوفية متعددة، منها ما هو زهدي روحي في مستوى المحتوى، وإشاري باطني في مستوى المنهج،وذوقي لدنّي في المستوى المعرفي [1]، طالما أن أصول مذهبهم قائمة على ما سمعت، ومؤسسة على الأركان التي علمت، وهذا يعني في نظر خصوم التصوف أن المذهب برمته مأخوذ من تلك المصادر التي جاء الإسلام ليبطل الكثير من عقائدها وشرائعها وسلوكياتها وأخلاقها وآدابها، ويرجع أصحاب هذا الرأي وجود هذا الانحراف وبروزه إلى النصف الأخير من القرن الثاني الهجري بسبب استبحار الحضارة الإسلامية، ودخول ثقافات أخرى إليها نتيجة هذا الاستبحار، فبدت منذ تلك الفترة بواكير صراع عنيف بين الصوفية وغيرهم، والحنابلة منهم على وجه الخصوص، فظهر على السطح أناس كارهون للدخيل سواء كان فلسفيا أم كلاميا أم صوفيا أم غيره، ومن هؤلاء الإمام الكبير أحمد بن حنبل ثم جاء بعده ابن الجوزي وتبعه ابن تيمية وبعض تلاميذ مدرسته، وربما وصل بهم الأمر إلى أن ألصقوا بالمتصوفة بعض المواقف السياسية كالصراع المرير مع الصليبية حيث لم يكن موقفهم في نظر خصومهم كموقف أسلافهم من مجاهدة في سبيل الله بالسيف والقدوة، وكانوا في أحوال كثيرة حربا على الداعين إلى الوقوف في وجه الصليبية وغيرها كما يرى خصومهم !! [2].

فالتصوف الذي ينسب إلى الإسلام في نظر أصحاب هذا القول لا فرق بينه وبين التصوف في باقي الديانات الأخرى، فقد خضع لنفس القوانين التي هيمنت على تطوره في الأديان الأخرى، ووجوه الشبه التي وجدت نتيجة لذلك تدل على أن هذا الاتجاه (المذهب)اعتمد اعتمادا مباشرا على حضارات أجنبية –كما يقول "بروكلمان " [3]*، وأنه –أعني التصوف– يمثل لدى أتباعه، بل وأكثر

---

[1]- انظر: حفريات في التأويل الإسلامي .ص: 69.

[2]- انظر: مقدمة محقق "طبقات الصوفية".السلمي.ص: 43.

[3]- انظر: تاريخ الأدب العربي .ج3.ص: 54.دار المعارف –القاهرة –ط2.نقله إلى العربية .سيد يعقوب بكري ورمضان عبد التواب.

* هو كارل (1868 – 1956) المستشرق الألماني الذائع الصيت صاحب كتاب "تاريخ الأدب العربي " الذي يعد أضخم مرجع للمخطوطات العربية و أماكن وجودها .

– انظر ترجمته في :موسوعة المستشرقين . ص: 98 وما بعدها .

الدارسين له موقفا عاما من العالم يشمل الحياة والسلوك، والمصير،أي يمثل نظاما معرفيا ومنهجا في اكتساب المعرفة،وموقفا من العالم ورؤية له تتسم جميعها بالانزواء والهروب من العالم، وشكوى من وضعية الإنسان فيه [1] فجاءت جملة هذه المواقف خليطا من الأفلاطونية المحدثة والغنوصية الفارسية متسربلتين بالمسوح الرهبانية فتعانق الكل ليشكلوا إيقاعا صاخبا من الطقوس والأشكال والممارسات النسكية التي مهدت للربط بين ما هو عادات وأعراف تاريخية وما هو من العبادات الشرعية مما أدى إلى فصل الأعمال والعبادات عن أصولها الشرعية لتحل محلها عقائد وممارسات مثلت خروجا ومروقا عن ثوابت الإسلام تعانق فيها –العقائد والممارسات –، الإيمان والكفر[2]، ومن ادعى أن معارف الصوفية (مستفادة من مصدر النور والهداية)[3] فقد جهل منابع وموارد هذا المذهب، ولا شك عند أصحاب هذا الاتجاه المنكر لأصالة التصوف واعتباره من الإسلام أن الحياة الروحية في الإسلام لا تجري على هذا السَّنَن الدخيل، بل (تجري على سنن القصد الصالح للحياة البشرية، لا استغراق في الجسد، ولا انقطاع عنه في سبيل الآخرة ..قوام بين هذا وذاك)[4]، في حين كانت مواقف المتصوفة –كما يرى بعض الباحثين –غير مقيدة بشيء من الكتاب والسنة، (بل هم عالم وحده، لهم دينهم وللمسلمين دينهم) [5]،وأن التصوف (دين قائم بذاته في مواجهة الدين الإسلامي، وإن تحكك بالإسلام وأضاف نفسه إليه وانتسب نسبة الدعيّ إليه) [6].

ولا يعدوا –أعني التصوف –أن يكون إحدى البدع التي ظهرت في القرن الثاني الهجري تتحدى تلك الحياة الخليعة الماجنة التي (غرق فيها الناس في العصر العباسي، وكان هذا التحدي زهدا أولا، ثم زيادة في الزهد ثانيا، ثم عبثا ومجونا آخر الأمر) [7].

---

[1]- انظر: بنية العقل العربي .الجابري.ص: 255.

[2]- انظر: التصوف والتفلسف، الوسائل والغايات .د: صابر طعيمة .ص: 6.ط2005/1م، مكتبة مدبولي –القاهرة-.

[3]- التفكير الفلسفي في الإسلام.عبد الحليم محمود.ص: 240.دار الكتاب المصري –القاهرة-دار الكتاب اللبناني –بيروت /1989م.

[4]- الفلسفة القرآنية .عباس محمود العقاد.ص: 178.دار الكتاب العربي –بيروت-ط1969/2م.

[5]- التصوف والمتصوفة في مواجهة الإسلام.عبد الكريم الخطيب.ص: 245.

[6]- المرجع نفسه.ص: 153.

[7]- المرجع نفسه.ص: 126.

وما كان ميلاد الكلمة ومشتقاتها إلا في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة، إذ لم تجر على ألسنة العرب في الجاهلية، بل ولا في صدر الإسلام بل ولا في عصر بني أمية، فهي كلمة دخيلة على الإسلام أراد بها أعداؤه فتح ثغرة جديدة في سياج الإسلام إلى جانب الثغرات الكثيرة التي حاولوا فتحها في هذا العصر وضربَ الإسلام بسهم جديد في مقاتله أتبعوه السهام التي رموه بها من قبل [1]، وإلا فمتى عرف الصحابة والتابعون صور الإسراف على أنفسهم بعزلها عن الحياة وأخذها بالحرمان وإلهابها بسياط الجوع وسوقها بعنف على طريق المجاهدات [2].

والتصوف عند خصومه دعوة عملت على عزل المسلمين عن الحياة بنفض أيديهم من مناشط العمل فيها وانقطاعهم للعبادة في الصوامع والخلوات، فتجولوا مجرد أشباح لا يقام لهم وزن في الدنيا ويوم يقوم الأشهاد [3].

ولو علم القوم (أن الهروب من الدنيا ومن ملابسة العمل فيها وقطف ثمرات العمل هو مسخ لآدمية الإنسان ومحوٌ لإرادته وما يكون منه من ابتلاء في ما آتاه الله ليكون من الشاكرين أو الكافرين) [4] لسلكوا الطريقة الواضحة الغراء التي كان عليها الصحابة ومن اقتدى بهم من التابعين وتابعيهم إلى يوم الدين ممن كان زهدهم عن امتلاك لما زهدوا فيه ولم يكن زهد عجز واضطرار وتواكل وإفلاس [5]، أو رد فعل لحياة خليعة ماجنة ألمت بالأمة في فترة من فتراتها التاريخية قديما أو حديثا "كما أسلفت"فأحدثت هزة في بناء الأمة، كان من إفرازاتها ظهور أدعياء موّهوا على العامة ونصبوا شراكهم ليتسلطوا بها على السذج من الناس ويستبيحوا أموالهم ويسرقوا عرق كدهم ونصَبهم [6].

وكثرة الاضطرابات وتداعي الفتن على الأمة عامل مُهيّء للنفوس للإنجذاب نحو الغريب

---

[1]- انظر: التصوف والمتصوفة في مواجهة الإسلام .ص: 83.

[2]- انظر المرجع نفسه .ص: 91.

[3]- انظر المرجع نفسه .ص: 101.

[4]- المرجع نفسه .ص: 279

[5]- انظر المرجع نفسه.ص: 95.

[6]- انظر المرجع نفسه .ص: 182.

والخارق الذي يخوّل لضعاف النفوس أنه الحبل الواصل إليهم من عالم الغيب (ليمسكوا به في متماوج التيارات العاصفة التي تضطرب فيها الحياة ...وإنه لولا هذه الأمواج المتزاحمة من الفتن والاضطرابات السياسية والاجتماعية والدينية لما أتيحت الفرصة لظهور التصوف في محيط الإسلام..فميلاد التصوف في الأمة الإسلامية لم يكن شرعيا وإنما ولد لغير رشدة أشبه باللقطاء وأدعياء النسب !!) [1].

إن الكارهين للتصوف والصوفية يرون أن هذا المذهب لم ينج منه جانب من جوانب الحياة الإسلامية فلم يسلم منه حتى القرآن الكريم إذ يندر"كما يقولون" (أن يخلو كتاب من كتب المتصوفة من تأويل آيات من كتاب الله تأويلا باطنيا يخرج بها عن مفاهيم اللغة التي نزل القرآن بها إلى معميات وألغاز وإلى كفر وإلحاد واتحاد وحلول: وهذا باب واسع من أبواب الفتنة والتغرير والتلبيس على المسلمين حيث يقع في ضلالها وبطلانها من يطلع عليها من غير أهل العلم فيغرقون في بحور الضلال) [2].

وبعض أصحاب هذا الإتجاه لا يفرقون بين ما يسمى بالتصوف النظري الفلسفي وما يسمى بالتصوف العملي وما يثمره كل منها، مع أن الشقة بينهما –كما يرى آخرون- بعيدة، وأن الفرق بينهما كالفرق بين من يغرف من بركة ماؤها آسن، وبين من يغرف من نبع عذب فرات سائغ شرابه.

كما أنهم لا يعتقدون (أن المؤثرات الأجنبية لم تخرج بالتصوف الإسلامي الأصيل –كما يسميه البعض-عن دائرة الكتاب والسنة) [3]، بل الذي لا شك فيه عند هذا اللفيف من منكري التصوف أن هذا المذهب هروب من مسؤوليات الحياة الدنيا، واستسلام لنوع من القهر النفسي، أو خيبة أمل، أو ذل وجداني أخرج صاحبه عن مسار الحياة الطبيعي [4]، وأنه لا يعدوا أن يكون سلوكا لشرذمة من التائهين خلفوا الحياة السوية وراء ظهورهم وهاموا على وجوههم حيارى ظامئين يطلبون الفرح

---

[1]- التصوف والمتصوفة في مواجهة الإسلام.ص: 268.

[2]- المرجع نفسه .ص: 211.

[3]- الإمام القشيري: سيرته، آثاره،مذهبه في التصوف.د: ابراهيم بسيوني.ص: ي.المكتبة العصرية –صيدا-ومجمع البحوث الإسلامية 1392ه-1972م(والنص من مقدمة الدكتور: محمد عبد الرحمان بيصار للكتاب).

[4]- انظر: الصوفية في نظر الإسلام –دراسة وتحليل –سميح عاطف الزين .ص: 65.

من غير سبيله، واللذة من غير ينبوعها [1]" وأن العنصر الأجنبي الدخيل على الإسلام صينيا●[1]،أو هنديا●[2]،أو يونانيا●[3]،أوفارسيا●[4]،أويهوديا●[5]،أونصرانيا●[6]كان له أكبر الأثر في قيام هذا المذهب وهو السبب في ضعف المسلمين وتراجع تقدمهم الحضاري بعد أن سادت الآراء المشوهة للإسلام – عقيدة وسلوكا –وتفشت الإتجاهات السلبية، واضطربت موازين الحياة والمجتمع نتيجة انتشار هذا الدخيل واشتهاره، وتراجع الأصيل وخفوته [2] .

فقد استلّ هذا التيار من الأحسام عافيتها بالجوع والحرمان، ومن العقول جذوتها بتخدير القوى المدركة وتشتيتها في متاهات الروحانية بدعوى العمل للآخرة، فهو انتكاس في فهم الحياة يصادم ويعارض فطرة الله التي فطر الناس عليها، وبالتالي فهو نزعة دخيلة على الإسلام طارئة، غريبة عن طبيعته وافدة[3] ولا يبعد عن هذا التيار في نظر الكارهين له ما أنتجه من معارف وأقوال في التفسير وغيره،إذ الأصل فاسد وغريب فلا غرابة أن تلحقه توابعه وملحقاته أقوالا وسلوكيات، ولو لم يكن في التصوف –أصولا وفروعا– إلا طلاسمه وملغزاته التي لا تكاد تفهم إلا بمشقّة لكان هذا وحده كافيا لاجتثاثه واقتلاع جذوره من أرض الإسلام (فكيف وطابع التصوف مدموغ به كل عمل فاسد وسلوك معوج يظهر من المسلمين في أمور دينهم أو دنياهم جميعا) [4]،لقد بحث الصوفية عن مجال وعالم للإيمان والعقيدة أوسع وأكمل مما قرره الوحي–بزعمهم –وما علموا أنه لا يسع العقل أن يبلغ من الإيمان بالحق سبحانه وتعالى فوق مبلغ الإسلام [5]،وجهلوا أن العقيدة الإسلامية هي (أكمل

---

[1]- انظر الصوفية في نظر الإسلام..ص: 68.

- وانظر المصدر الصيني في التصوف.الصوفية في نظر الإسلام..ص: 34، 35 .

- وانظر المصدر الهندي في التصوف .المرجع السابق.ص: 36، 37، 38 .

- وانظر المصدر اليوناني في التصوف. المرجع السابق.ص: 40، 42 .

- وانظر المصدر الفارسي في التصوف.المرجع السابق.ص:43، 44، 45 .

- وانظر المصدر اليهودي في التصوف .المرجع السابق .ص: 49.

- وانظر المصدر النصراني في التصوف.المرجع السابق.ص: 49وما بعدها.

[2]انظر الصوفية في نظر الإسلام49وما بعدها.

[3]- انظر: الصوفية في نظر الإسلام..ص: 57 – 58.

[4]- المتصوفة والتصوف في مواجهة الإسلام.عبد الكريم الخطيب .ص: 285.

[5]- الفلسفة القرآنية .عباس محمود العقاد.ص: 92.

عقيدة في العقل، وهي أكمل عقيدة في الدين[1] وقد أوردهم الشرود عن المنهج القويم موردا بئيسا فعاشوا يستمتعون في الخيال بما عجزوا عن تحقيقه في واقع حياتهم، فعطلوا أحسادهم باعتبارها أدوات للعمل الخلاق مدهشة، ثم أضافوا إلى ذلك تحطيم مصابيح الهداية بإلغائهم لأعمال العقل والحواس [2]، وهو ملاذ يستر فشلهم ويغطيه، ويواري جبنهم ويخفيه .بل هو شذوذ عن قواعد الحياة وجرأة على سَنن الله ونواميسه في خلقه [3].

إن خصوم التصوف الكارهين للمتصوفة يذهبون إلى أن هذا الصنف من "العُبّاد" نسوا أو غفلوا-بمعتقداتهم وسلوكياتهم هذه – أنهم قد تاهوا عن جادة الصواب، وأن في حياتهم ووجودهم على النحو الذي أرادوه كيانا إسلاميا قديما قدم النبوات والرسالات يتقوض، ومجتمعا صالحا سويا يغوص في لجّة الظلام [4].

فالقوم عند خصوم المتصوفة طلبوا الحق والهداية من غير طريقهما، وبحثوا عن النور والضياء من غير مصادرهما، فقد تجلت المؤثرات الصينية والهندية واليونانيةو الفارسية واليهودية والنصرانية، وظهرت في جوانب عقائدية وسلوكية متعددة لدى المتصوفة بسبب الإتصال الحاصل بين عرب شبه الجزيرة وهذه الأمم قبل الإسلام وبعده .

فقد كان للعرب اتصال بالصينيين قبل مجيء الإسلام، بل قبل الميلاد بقرون، وأن الأفكار والمعتقدات الكونفوشيوسية كانت قد وصلت إلى العرب في بداية القرن الأول الهجري، وأن أوائل المتصوفة أخذوا سلوكيات: ترك العمل وشئون الحياة، والتخلي عن الشهوات وحاجات الجسم عن "لاوتسي"[5] الذي يقال إنه عاش في زمن "كونفو

1- الفلسفة القرآنية .ص: 91.

2- انظر الصوفية في نظر الإسلام.ص: 60.

3- انظر المرجع نفسه. ص: 80.

4- انظر: الصوفية في نظر الإسلام.ص: 149.

5- لاوتسي (لي تان) ولد سنة 604 قبل الميلاد و توفي و هو في السابعة و الثمانين من عمره ، تقول بعض الروايات أنه عاش خلال القرن السادس قبل الميلاد ، ويقال إنه عاش في نفس أيام " كونفشيوس " ولكنه كان يكبره ببضع من السنين ، حكيم وفيلسوف صيني، لقب ب" لاوتسو " و معناه "المعلم الشيخ " و تقوم فلسفته المتشائمة على قهر الجسد و الامتناع عن الملذات جميعها، حتى يتحد الإنسان بمبدإه الأعلى و طريقة ذلك التأمل و الاستغراق فيه .

شيوس"[1] في القرن السابع قبل الميلاد (وكان – أي: لاوتسي- من ذوي الإتجاه الصوفي البارز،يرفض متع البشر ...) [2]" وهذه التعاليم الصينية ذات الصيغة الصوفية هي نفسها في تعاليم الصوفية في العالم الإسلامي أو شبيهة بها مما يدل على الصلة الوثقى بين فلسفة الحياة عند أهل الصين،و الصوفية المسلمين (فتزكية النفس وتطهيرها عند الصينيين يشبه مقام التوبة والورع عند صوفية المسلمين، والإشراق الصيني يشبه الكشف عند صوفية المسلمين والاتصال والإتحاد يشبه الفناء* ...) [3]فإذا كان المتصوفة قد تأثروا بما في حضارة الصين على النحو الذي رأينا، فإن تأثرهم بالحضارة الهندية من باب أولى لما بين أهلها وبين العرب من اتصال على نحو أكبر من أهل الصين لأسباب جغرافية، وقد أخذ المتصوفة من عقيدة البراهمة والبوذية[4]ما أخذوا:

= انظر ترجمته في : الموسوعة الميسرة ... ص: 491 ، وانظر حياته بالتفصيل في : موسوعة عالم الأديان .ج4. ص: 228 وما بعدها. وانظر قصة الديانات . سليمان مظهر .NOBILIS، ص: 225 وما بعدها (الداوية) أو (الطاوية) .وانظر تفصيل المذهب "الطاوية " و مؤسسه " لاوتسي " : أديان العلم : تأليف البروفيسور : هوستن سميث .ص: 300 وما بعدها.

[1]- (551 – 479 قبل الميلاد) من أكبر حكماء و معلمي الصين ، و تعاليمه التي جمعها أصحابه و لم يؤلفها هو هي الفلسفة الرسمية للإمبراطورية الصينية و تقوم فلسفته على ، الارتباط بين النظام الاخلاقي و النظام الكوني " توازن القوى بين العالم الواقعي والعالم الداخلي " . انظر ترجمته في : الموسوعة الميسرة .ص: 478 . وانظر تفصيل حياة كونفوشيوس و الكونفوشيوسية في موسوعة عالم الأديان .ج4 .ص: 192 وما بعدها .وانظر كونفوشيوس و الكونفوشيوسية في قصة الديانات .ص: 185 وما بعدها.

[2]- الصوفية في نظر الإسلام.ص: 34.

* وانظر معنى "الفناء و البقاء " في: "التعرف" للكلاباذي .ص: 147 وما بعدها .مكتبة الكليات الأزهرية –القاهرة .ط2/ 1400ه- 1980 م .تقديم و تحقيق و مراجعة و تعليق : محمد أمين النواوي . و "الرسالة" للقشيري .ص: 36 ،37 .وكشف المحجوب للهجويري . ص:480 وما بعدها .

[3]- المرجع نفسه.ص: 35.

[4]- من أكبر الديانات الوضعية و الفلسفات في العالم ، ظهرت قبل ألفي عام في شمال شرقي الهند ، وعبرت بعد ذلك إلى الصين والتبت و كوريا و اليابان و استراليا و أوربا ، و تقوم الديانة على أسس أخلاقية و روحية منها ما هو سلبي و منها ما هو إيجابي ، ورأس السلبيات فيها أنها ديانة وضعية لا يعتقد أتباعها في خالق أو إله .

– انظر تفاصيل أوفى عن " بوذا " و "البوذية" في " الموسوعة العربية العالمية .ج5.ص: 230وما بعدها .مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر و التوزيع .الرياض –السعودية .ط2/ 1419ه- 1999م . و موسوعة عالم الأديان .كل الأديان و المذاهب والفرق والبدع في العالم. ج5 – البوذية – nobilis ص: 11 وما بعدها ، و بوذا و البوذية في " قصة الديانات" سليمان مظهر .ص: 99 وما بعدها مكتبة مدبولي .2002م .

فمن البرهمية: قيل إن «أبا يزيد البسطامي»[1]أخذ عنهم القول بوحدة الوجود، الذي امتدت شرارته –كما يذهب إلى هذا الكارهون للتصوف والمتصوفة –إلى متأخري الصوفية من أمثال الغزالي وغيره، وقد بدا هذا عند أبي حامد في "المشكاة" – المنسوب إليه – وغيرها من مولفاته حين قرر أن الوصول إلى الحقائق لا يتأتى إلا بمحض البصيرة، وأن العقل لا سبيل له إلى ذلك لأن هذا وراء طور العقل[2].

وفي تصوف البرهميّة مظاهر وسلوكيات أخرى وطرق شبيهة بمقامات الصوفية المسلمين مثل: تحرير النفس من رغباتها، والقناعة والتطهر والتقوى وتكرار المقطع "أوم"وهو مثل الذكر ب:"هو""هو""هو"عند الصوفية .

وأما من البوذية: فقد أخذ الصوفية المسلمون من تعاليمها: التخلي عن الدنيا، ولبس الخرقة الصفراء وحلق شعر الرأس، واتباع حياة الفقر، بالإضافة إلى معتقدات وسلوكيات أخرى هندية المصدر[3] .

أما معتنقات الصوفية ذات المصدر اليوناني فقد وصلت إليهم بواسطة متقدمي ومتأخري الفلاسفة المسلمين كالكندي [4]والفارابي وابن سينا والغزالي[5]

---

[1] – هو طيفور بن عيسى بن سروشان (ت 261 ه) ، كان جده سروشان مجوسيا فأسلم ، وهم ثلاثة إخوة : آدم ، طيفور ، و علي ، كلهم كانوا زهادا عبادا أرباب أحوال ، وهو من أهل بسطام .انظر ترجمته في : طبقات الصوفية .طبقة 1 . 67 – 74 رقم 08، صفة الصفوة .ج4. ص: 65 ، وفيات الأعيان .ج2 . ص: 531 .رقم 312 .حلية الأولياء .10 / 34 – 42 رقم 456، الكواكب الدرية .1/ 651 – 667 .رقم 257 .

[2] – انظر: الصوفية في نظر الإسلام .ص: 36 – 37 .

[3] – انظر: المرجع نفسه .ص: 38.

[4] – هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق فيلسوف العرب ، و أول ثمرة من ثمار انتقال الفلسفة وعلوم الأوائل اليونانية إلى العالم العربي،كان واسع الثقافة حيث شملت معرفته كل علوم الأوائل ، ولا نكاد نجد بين رجال النهضة في أوروبا من يساويه في اتساع المعرفة و التحصيل العلمي و الفلسفي وقد اختلف في تاريخ وفاته ، ومما قيل أنه كان سنة 252ه .

– انظر ترجمته في : موسوعة الفلسفة .ج2 . ص: 297 وما بعدها ، الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي و الاجتماعي . ص: 460، 461 .

[5] – هو محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي أبو حامد (ت 505 ه) ، الإمام الفقيه المتكلم الصوفي أحد أئمة الشافعية، حجة الإسلام ، صاحب التصانيف المشهورة .

وابن طفيل[1] وغيرهم .

وقد أرجع بعض الباحثين مصدر التصوف اليوناني إلى فيثاغورس[2]المعروف باتجاهه الصوفي وتقشفه ونظرياته في النفس واتصالها بالملإ الأعلى النوراني المجاوز لعالم الحس وعالم الطبيعة،ولعل الأثر الأكبر على هؤلاء الفلاسفة المسلمين الذين كانوا واسطة بين حضارة اليونان ومتصوفة المسلمين، جاء من الأفلاطونية الحديثة التي هي مزيج من مذهب أفلاطون[3]والنصرانية [4].

وتظهر ظلال وآثار نظرية "الفيض" في الأفلاطونية الحديثة عند الصوفية المسلمين في "الحقيقة المحمدية " عند ابن عربي[5]، ووحدة الشهود عند"ابن الفارض"[6] وحكمة السهروردي

= انظر ترجمته في : طبقات فقهاء الشافعية .ابن الصلاح .1/ 249 (رقم 70) ، وفيات الأعيان .4/ 216 (رقم588) ، طبقات الشافعية .الإسنوي .111/2. (رقم 860) ، طبقات الشافعية .ابن هداية الله الحسيني . ص: 192 .

[1]- هو أبو بكر محمد بن عبد الملك بن محمد بن أحمد القيسي ، توفي :581 هجري بمراكش .

- انظر ترجمته في موسوعة الفلسفة .ج1.ص: 67 وما بعدها .

[2]- "580 – 500 قبل الميلاد " فيلسوف رياضي يوناني ، حاول أن يجعل من الرياضات علما برهانيا قائما بذاته ، كما حاول أن يطبق فلسفته العددية على الجماليات و السياسة و الأخلاق و التربية ، .

- انظر ترجمته في : الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي و الاجتماعي .ص: 434 .

[3]- (428 – 348 وقيل 347 قبل الميلاد) انظر ترجمته في موسوعة الفلسفة .ج1 .ص: 154 . وصفه بدوي بأنه يعد هو و تلميذه أرسطو و إيمانويل كانط أعظم فلاسفة العالم على طول تاريخ الفكر الإنساني .ج1.ص: 154 .

[4]- انظر: المرجع السابق.ص: 40.

[5] – هو أبو بكر محي الدين محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي الطائي الأندلسي (ت638ه) ، وربما التبس اسمه بالقاضي أبي بكر بن العربي صاحب "أحكام القرآن" ، وقد جعل بعضهم التذكير لصاحب الترجمة للتفرقة بينهما ، و إن كان عرف عند أهل المغرب بدخول أداة التعريف عليه ، يلقب بالشيخ الأكبر ، له نحو أربعمائة كتاب و رسالة . انظر ترجمته في : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب . المقري . 2/ 161 – 174 (رقم 113) ، ميزان الاعتدال في نقد الرجال . الذهبي .3/ 659 – 660 (رقم 7984) ، لسان الميزان .ابن حجر .5 / 307 – 310 (رقم 7887) ، الشذرات . 5/ 190 .

[6] – هو أبو حفص عمر بن أبي الحسن علي بن مرشد الحموي الأصل المصري المولد ، و الدار و الوفاة ، من سادات الصوفية وأعلامهم (ت632ه)

- مصادر ترجمته : الوفيات .ابن خلكان .3 / 454 – 456 (رقم 500) ، السير .الذهبي .22 / 368 – 369 (رقم232)، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية .المناوي .2/ 495 – 504 (رقم 544) .

المقتول[1] الإشراقية، والمسافة بينها جميعا ليست بالبعيدة لأن أصلها واحد-كما قيل – [2].

أما ما كان مصدره فارسيا من معتقدات وسلوكيات المتصوفة فتتجلى مظاهره في: الدروشة ونوبات الولاية،وتأويل القرآن على غير حقيقته، ووضع الأحاديث، وأشياء هي من صميم عالم الغيب كادعاء رؤية الملائكة ومخاطبتهم، ورد الغائب وشفاء المريض ...إلخ [3]، وفي هذا العنصر أو المصدر تمتزج أفكار الفرس وفلسفاتهم المانوية والزرادشتية[4]بالبوذية والبرهية اللتين يبدو أنهما تركتا أثرا عميقا في أهل فارس .وقد كان العصر العباسي البوابة الكبرى التي أطلت منها تلك الأفكار والفلسفات نتيجة اشتغال المسلمين بالعلوم والفلسفة وعلم الكلام وغيرها .

ويذكر أن فئة من أهل فارس دخلت في الإسلام طائعة مختارة راضية-مطمئنة صادقة في اعتناقه، بينما تظاهرت أخرى بذلك وأخفت في صدرها غير ما تبديه، وظل الحنق على الإسلام وأهله يجيش في صدرها كغلي المرجل (حتى اختلطت على تلك الفئة المفاهيمُ مما أدى إلى تعطيل الإدراك وتخذير العقول، والترخيص في الفضائل والتلهي بالخيال، والولوع بالخوارق) [5]، وقد واكب هذه الفئة فئة أخرى تعمل على جبهة أخرى وهي الجبهة السياسية بالترويج للشعوبية اللئيمة التي جندت لها هذه الفئة جنودا ومبشرين وُزّعوا في أمصار مختلفة ظاهرهم الزهد والتقشف وكثرة العبادة وباطنهم التشكيك في عقيدة المسلمين وهدم تعاليمها، ولن تجد هذه الفئة مركبا ذلولا يحقق مآربها ويوصلها

---

[1]- هو يحي بن حبش بن أميرك ، أبو الفتوح شهاب الدين السهروردي ، فيلسوف اختلف المؤرخون في اسمه ، ولد في سهرورد ، سافر إلى حلب و نسب إلى النحلال العقيدة و كان علمه أكثر من عقله –كما يقول ابن خلكان – فأفتى العلماء بإباحة دمه فسجنه الملك الظاهر غازي ، و خنقه في سجنه بقلعة حلب من كتبه "التلويحات " ، " هياكل النور " ، "حكمة الإشراق " و غيرها .
- انظر ترجمته في :طبقات الشافعية . الإسنوي .2/ 242 (رقم 1121) ، وفيات الأعيان .6 / 268 (رقم 813) ، الكواكب الدرية .2/ 310 – 312 (رقم 450) .

[2]- انظر: الصوفية في نظر الإسلام .ص: 42.
- وانظر: مذاهب التفسير الإسلامي، جولد تسيهر .201وما بعدها،255 وما بعدها .

[3]- انظر: الصوفية في نظر الإسلام.ص: 44، 45 .

[4]- انظر مفهومها في : الملل و النحل .ج1.ص: 264.

[5]- الصوفية في نظر الإسلام.ص: 43.

إلى غاياتها كالتصوف سبيلا إلى ذلك، فكان معروف الكرخي[1]وأبو يزيد البسطامي الفارسيان، وأبو سليمان الداراني، وذو النون المصري[2]، ومحي الدين بن عربي، وشرف الدين عمر بن الفارض الأدوات التي نفّذت من خلالها هذه الفئة ما كانت تصبوا إليه،وحققت بواسطتها غاياتها وأغراضها[3].

أما المصدر أو العنصر اليهودي في التصوف فضئيل بالقياس إلى غيره مع أن اليهود سكنوا منذ القديم اليمن ويثرب، وكان لهم اشتغال فيهما وفي غيرهما بالزراعة والحرف، كما كان المال في شبه الجزيرة العربية بوجه عام دُولة بينهم .

ولعل أبرز مظاهر تأثير العنصر اليهودي على متصوفة المسلمين قول بعض فرق اليهود: إن للتوراة ظاهرا وباطنا، وامتدادات هذا القول ومعالمه بارزة في شروح نصوص الوحي قرآنا وسنة على مر التاريخ، ومن هذا الباب اليهودي دخل كثير من الشر على دين الله .

وقد أشار إلى القول اليهودي المذكور "الشهرستاني"في " الملل والنحل"،كما أشار إليه المستشرق المجري اليهودي"جولد تسيهر"[4] في أكثر من مؤلف من مؤلفاته، بل لعله (حامل لواء وراية تأثر الصوفية المسلمين باليهودية) [5].

---

[1]- هو أبو محفوظ ، معروف بن فيروز ، من أجلة المشايخ و قدمائهم المذكورين بالورع و الفتوة ، كان أستاذ سري السقطي .
- انظر ترجمته في : طبقات الصوفية .الطبقة الأولى .10 / 83 ، حلية الأولياء .8 / 404 – 412 (رقم 438) ، صفة الصفوة.2/ 147 ، الرسالة القشيرية .ص9 .

[2] – هو ابن ابراهيم أبو الفيض ، و يقال ثوبان بن إبراهيم ، ويقال الفيض بن إبراهيم (ت: 245 هـ)
- انظر ترجمته في : طبقات الصوفية .الطبقة الأولى .2/ 15 . ، حلية الأولياء .9/ 345 – 309 (رقم 454) ، الرسالة القشيرية .8 . وفيات الأعيان .1/ 315 (رقم 129) .الكواكب الدرية .1/ القسم الثاني .597 – 615 (رقم 247) .

[3]- انظر: الصوفية في نظر الإسلام.ص: 44 وما بعدها.

[4]- هو(اجنتس) جولد تسيهر (1850- 1921م) المستشرق المجري اليهودي ، شيخ الباحثين من المستشرقين في الإسلام من الناحية الدينية و الروحية كما يقول "بدوي" .صاحب كتاب : "مذاهب التفسير الإسلامي "، " الظاهرية : مذهبهم و تاريخهم " ، "دراسات إسلامية " و " محاضرات في الإسلام " وغيرها ، و قد اعتمد فيما كتب عن الإسلام على القراءة و التحصيل ، لا على التجربة و الاتصال الحي . انظر ترجمته في موسوعة المستشرقين .ص: 197 وما بعدها .الأعلام .ج1.ص. 84.

[5]- الصوفية في نظر الإسلام.ص: 49.

وكما كان للأثر الأجنبي الدخيل –ممّا ذُكر–مظاهره وصوره في حياة الصوفية المسلمين فقد كان للنصرانية عند الكارهين للتصوف من الدارسين نصيبها، ذلك أن الجزيرة العربية عرفت النصرانية كما عرفت اليهودية، فقد دانت بها قبائل عربية كثيرة، خاصة تلك التي كانت متاخمة للروم، واقعة على أطراف الجزيرة العربية حيث سبَّب الاتصال والاحتكاك بين سكان تلك التخوم والأطراف دخول أفراد كثيرين في النصرانية،وحتى من لم يدخل في هذا الدين رأى ما كان عليه أتباعه من رهبان وغيرهم من مظاهر التقشف في الحياة ولبس الصوف وما شابه ذلك، وتذكر بعض المصادر التاريخية أن بعض المتصوفة وقف على كثير من أخبار رهبان النصارى وطرائق مجاهداتهم وخلواتهم وتعبدهم في صوامعهم ونقلهم لروايات تنسب إلى السيد المسيح عيسى –عليه السلام– تدور حول محبة الله أو العشق الإلهي كما عرف عند رابعة العدوية وغيرها من أوائل الصوفية، كما يظهر الأثر النصراني في طريقة تنظيم الطرق الصوفية والزوايا والتكايا وأماكن العبادة، حتى إنه لا يكاد يظهر الفرق بين من يريد الرهبنة، وبين المريد عند الصوفية، بل إن البعض ذكر أن أول "خانقاه"كانت في بلاد فلسطين في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري أسسها مسيحي، وإن ترأسها شيخ صوفي .

ويخلص أصحاب القول بأن التصوف دخيل إلى أن العنصر الأجنبي تسلل إلى الحياة الروحية عند المتصوفة على حين غفلة من أهل الاستقامة والسداد في العقيدة والسلوك تاركا آثارا أفسدت الأفكار الأصيلة وشوّهتها وساهمت في طفو الاتجاهات السلبية وانتشارها في أوساط العامة والخاصة، الأمر الذي أحدث اضطرابا في موازين المجتمعات الإسلامية نتيجة انتشار الدخيل واشتهاره، وتراجع الأصيل وخفوته[1]، فالمتصوفة بما كانوا عليه وبما هم عليه الآن (ظالمون لأنفسهم، وظالمون لغيرهم، وهم –بالتالي – ظالمون شديدوا الظلم بما نسبوا لربهم) [2] ممّا لم يأذن به –ﷻ–.

ولعل الأدلة والأقوال التي أوردتها في جزئية " التصوف أصيل " كفيلة برد كثير مما قاله الذاهبون إلى أن التصوف دخيل – والله أعلم –.

---

[1]- انظر: الصوفية في نظر الإسلام.ص: 49وما بعدها.

[2]- المرجع نفسه.ص: 84.

إنّ الفهم الظاهري والاستنباط والإشارة والباطن كلّها تقوم على مرتكزات يشترك فيها أهل الظاهر وأهل الفقه، وأهل الإشارة " والباطن " وسواهم، لكن أهمّها على الإطلاق: العقل واللغة المنتجان للعلم والمعرفة، فما حدود العقل في فهم كتاب الله، وما المدى الذي تعطيه اللغة لهذا الفهم، وما مستويات الظاهر والباطن باعتبارهما نتاج العقل واللغة جميعا ؟ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني: العقل و اللغة ومدلولهما في فهم القرآن الكريم :

أولا : العقـــل:

إن تعريف العقل بوضع حد جامع مانع له فيه من الصعوبة ما فيه لكثرة معاني مادته، ولذا قا إمام الحرمين: (الكلام فيه ليس بالهين، وما حوم عليه أحد من علمائنا غير الحارث بن أسد المحاسبي – رحمه الله – [1]) قيل في معناه اللغوي: (عقل، العقل: نقيض الجهل، عقل يعقل فهو عاقل، والمعقول: ما تعقله في فؤادك،ويقال: هو ما يفهم من العقل، وهو والعقل واحد،كما تقول: عدمت معقولا أي ما يفهم منك من ذهن أو عقل...

وعقل بطن المريض بعدما استطلق: استمسك، وعقل المعتوه ونحوه والصبيّ: إذا أدرك وزكا، وعقلت البعير عقلا شددت يده بالعقال أي الرباط، والعقال: صدقة عام من الإبل ويجمع على عُقُلٍ...والعقيلة: المرأة المخدرة، المحبوسة في بيتها، وجمعها عقائل) [2].

وقال ابن فارس : (العين والقاف واللام أصل واحد منقاس مطرد يدل عُظْمُه على حبسة في الشيء أو ما يقارب الحبسة من ذلك العقل، وهو الحابس عن ذميم القول والفعل) [3].

وهذا المعنى هو الذي دار عليه أكثر كلام علماء المسلمين على اختلاف مشاربهم–كما سنرى–، ثم قال – أي ابن فارس –: (ومن الباب المعقل والعقل، وهو الحصن وجمعه عقول.

قال أُحيْحة: وقد أعددت للحدْثان صعبا *** لولا أن المرء تنفعه العقول .

يريد الحصون، ومن الباب العقل، وهي الدية.يقال: عقلت القتيل أعقله عقلا، إذا أديت ديته...والعاقلة: القوم تقسّم عليهم الدية في أموالهم، إذا كان قتيل خطأ،وهم بنو عمّ القاتل الأدنون

---

[1]- البرهان في أصول الفقه .ج1: ص112-فطر-ط1/1399ه-تحقيق وتقديم وفهرسة: د: عبد العظيم الديب.

[2]- كتاب العين .لأبي عبد الرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: 175ه). ج1.ص: 159.

وقد ذكر معاني أخرى منها: (والعقل: الحصن،و جمعه العقول، وهو المعقل أيضا وجمعه معاقل ...والعاقل من كل شيء: ما تحصن في المعاقل المتمنعة)"العين.ج1.ص: 160، 161 .

[3]- معجم مقاييس اللغة .ج4.ص: 69.

وإخوته) [1].وسميت الدّية عقلا لأن الإبل التي كانت تؤخذ في الديات كانت تجمع فتعقل بفناء المقتول، فسميت الدية عقلا، وإن كانت دراهم ودنانير، وقيل سميت عقلا لأنها تمسك الدم ...وأهل اللغة يقولون: إن الصدقة كلها عقال ...و سمّيت عقالا لأنّها تعقل عن صاحبها الطلب بها، وتعقل عنه المأثم أيضا) [2]. وعرفه سيبويه فقال: (العقل: الحجر والنهي ضد الحمق،و الجمع عقول ...ابن الأنباري: رجل عاقل وهو الجامع لأمره ورأيه،مأخوذ من عقلت البعير إذا جمعت قوائمه، وقيل: العاقل الذي يحبس نفسه،و يردها عن هواها، أُخذ من قولهم قد اعتقل لسانه إذا حبس ومنع الكلام، والمعقول ما تعقله بقلبك ...والعقل: التثبت في الأمور، والعقل: القلب والقلب العقل،وسمي العقل عقلا لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك أي يحبسه) [3]. وقد دارت أكثر المعاني التي ذكرها هؤلاء وغيرهم لمادة "عقل"على: الحبس والإنزجار والتحصن والإمساك والمنع والحبس والشد والربط.

والناس مؤمنهم وكافرهم مُصْفِقون على أن لا نعمة كنعمة العقل لأنّها موصلة إلى الله، ونافية لخاطر الشك، وعلى هدي من نورها استضاء الناس في طريق حيرهم وبها استدلوا على خلق أنفسهم وغيرهم، وبنعمة العقل أيضا أدركوا آثار الصنعة والنقص... فالشكر على من اختصه الله بنور العقل أكثر، والحجة عليه آكد وألزم، وبها انقطعت المعاذير، فله سبحانه الحجة البالغة على أهل العقول من خلقه[4].

وقد حاول الإنسان منذ وعى ذاته أن يعرف ويعرّف ويحد معنى العقل بالعقل مبيّنا لفضله وشرفه فوصفه بأوصاف مختلفة وحدّه بحدود متباينة تبعا لتباين ثقافاته ومعارفه .

---

[1]- معجم مقاييس اللغة.ج 4.ص: 70.

[2]- المصدر نفسه.ج4.ص: 71.

[3]- لسان العرب . ج9. ص: 326 .

وانظر: مادة العقل في: تهذيب اللغة للأزهري .ج1.ص: 237وما بعدها .

وانظر: أساس البلاغة.معجم في اللغة والبلاغة .الزمخشري .ص: 306.مكتبة لبنان ناشرون-بيروت-ط1/1996م.

[4]- انظر: المدخل.لابن الحاج(محمد بن محمد بن محمد العبدوي الفاسي ت: 737ه)ج3.ص: 61، 62، 63 .دار الفكر /1401ه-1981م.

وسأكتفي بذكر بعض التعاريف الاصطلاحية المبيّنة لحدوده الكاشفة لفضله وشرفه، قال المحاسبي: (العقل: غريزة وضعها الله سبحانه في أكثر خلقه لم يطلع عليها العباد بعضهم من بعض ولا اطلعوا عليها من أنفسهم برؤية ولا بحسّ ولا ذوق ولا طعم، وإنما عرّفهم الله إيّاها بالعقل منه) [1]. ولم يقف عند هذا المعنى المعرف للعقل بل أضاف تعريفات ومعاني أخرى منها: أنّه لا معنى له في الحقيقة غيره[2].

وقيل: العقل(غريزة لا يعرف إلا بفعاله في القلب والجوارح،لا يقدر أحد أن يصفه في نفسه ولا في غيره بغير أفعاله) [3]. وقيل (هو صفة الروح) [4]. وهو والفكر والذهن متقاربة في المعاني إن لم تكن واحدة، وهو: (ما نعقل به الأفكار والأشياء والأحداث ...(و) هو الأداة التي نستطيع بها أن نربط ونحدد ونعيّن الأفكار والأشياء والأحداث التي تدور من حولنا ...فهو الجهاز الذي يقوم بعملية الاستدلال وإدراك الصور والمعاني ...وهو أداة الفهم والوعي والمعرفة ...) [5].

وقيل في تعريفه إنّه: (القوّة المدركة للمفاهيم الكلية) [6].

---

[1]- العقل وفهم القرآن .ص:201، 202 .دار الفكر –بيروت.ط1/1391ه-1991م قدم له وحقق نصوصه: حسين القوتلي

- وانظر: مراتب العقل الأربع ومعانيه في كتاب: "المواقف في علم الكلام ".للإيجي (عضد الدين عبد الرحمان بن أحمد ت: 756ه).ص: 145، 146 .عالم الكتب –بيروت .مكتبة المتنبي –القاهرة –مكتبة سعد الدين –دمشق-

- وانظر: المباحث المشرقية في علم الإلاهيات والطبيعيات .للرازي .ج1.ص: 488.دار الكتاب العربي –بيروت.ط1/1410ه-1990م.تحقيق وتعليق: محمد المعتصم بالله البغدادي.

[2]- العقل وفهم القرآن.ص: 201.

[3]- المصدر نفسه.ص: 204.

[4]- المصدر نفسه.ص: 204.

[5]- الفكرانية. قوى الأفكار وقوانين عمل الأفكار وأثرها في نشأة العقل العربي الإسلامي وتفجير طاقاته-القسم النظري –لمحمد عبد الرحمان مرحبا .ص: 255.دار النهضة العربية –بيروت-ط1/1426ه-2005م(سلسلة: المدرسة العربية الراهنة في الفلسفة والفكر).

[6]- المنهج الجديد في تعليم الفلسفة .لمحمد تقي مصباح اليزدي .ج2.ص: 394.دار التعارف للمطبوعات .ترجمة: محمد عبد المنعم الخاقاني .

وانظر معناه في: شرح المقاصد للتفتازاني (مسعود بن عمر بن عبد الله ت: 793ه)ج2.ص: 332.عالم الكتب –بيروت .ط1/1409ه-1989م.تحقيق وتعليق مع مقدمة في علم الكلام .د: عبد الرحمان عميرة .تصدير: صالح موسى شرف.

وقد ذكر "التهانوي "جملة من التعريفات منها أنّه: جوهر مضيء خلقه الله في الدّماغ، وجعل نوره في القلب [1].

ومن التعريفات الكثيرة التي أوردها "الجرجاني" للعقل قوله إنّه: (جوهر مجرّد عن المادّة في ذاته، مقارن لها في فعله)[2].

وقد ذكر أحد المعاصرين تعريفا للعقل يصوّره على أنّه شيء من الأشياء خاضع لما تخضع له كل العناصر المادية، مفصول عن بعده غير المدرك المصرّح به تارة في بعض التعاريف السابقة أو المشار إليه أحيانا أخرى فقال: (العقل ...هو "الوعي الذي ينتج في الدماغ ويظهر من خلال الفكر والإرادة والإدراك والذاكرة والعواطف والأحلام "وكل هذه الملكات العقلية لها تركيبها البيوسيكولوجي الواضح والمتميز، والذي يمكن دراسته وتقييمه مخبريا وفق قواعد علمية صارمة، وبمجموع وظائفها التراكمية يشكل العقل ...(أي) أن عملية التفكير ليست سوى إجراءات دماغية معقدة، والمسؤول الأساسي والوحيد عنها هو السيالات العصبية والشبكية وغيرها من عناصر موجودة في الدّماغ) [3]، وهو تعريف يشيّء العقل ويسلبه بعده اللامادي أو غير المدرك الذي ظل يلازمه منذ عرف نفسه عند كثيرين، (فالنظريات المادية أنكرت وجود عقل مفارق للمادة، وسمّت جملة الأفعال التي تشكّل – كما قلت – نتاجا عاليا في الإنسان من تفكير وإدراك وذاكرة ومخيلة بالفعل المادي وبالتأثير الفيزيولوجي على آلة الدّماغ لإنتاج مثل هذه الأفعال: فالعقل المادي هو الأفعال الموجودة في الدّماغ

---

[1]- انظر: التعريف المذكور وغيره في: كشاف إصطلاحات الفنون .ص: 1033، 1034 .دار صادر –بيروت .

وانظر: معانيه أيضا في: مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم .أحمد بن مصطفى .الشهير ب: طاش كبرى زادة .ج3.ص: 23.دار الكتب العلمية –بيروت .ط1 / 1405 ه- 1985م .

[2]- كتاب التعريفات .ص: 196.دار الكتاب العربي –بيروت .ط4/1418ه-1998م.تحقيق وتقديم وفهرست: إبراهيم الابياري

-وانظر التعريفات الأربع للعقل في: التوقيف على مهمّات التعاريف –معجم لغوي مصطلحي- لمحمدعبد الرؤوف المناوي .ص: 521.

دار الفكر المعاصر –بيروت، دار الفكر –دمشق، ط1/1410ه-1990م.تحقيق: محمد رضوان الداية .

- وانظر: الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية .للكفوي (أبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني ت: 1094ه)ص: 617وما بعدها .مؤسسة الرسالة –بيروت .ط1/1412ه -1992م.باعتناء: د: عدنان درويش،محمد المصري .

[3]- العقل الكوني –الحقيقة المجرّدة –علاء الحلبي .ج1.ص: 155.دار دمشق .سوريا .ط1/2006م.

بحسب النّظرية المادية، أما المثاليّون فيرون أن العقل الإنساني هو جزء من العقل الكلي أو النفس الكلية التي أبدعت العقل الإنساني وزرعته بهذا الجسد وأنّه لا شك مفارق هذا الجسد عند الموت، فحيث يقول الماديّون إن العقل هو الحياة في المادّة يرى المثاليون أن العقل هو الروح الفائضة عن النفس الكلية) [1].

والتعاريف اللغوية أو الاصطلاحية وإن اختلف أصحابها فإن أحدا منهم لا يشك في أن شرف العقل معلوم بالضرورة لأنّه أساس العلم ومنبعه ومطلعه، يجري منه مجرى الشجر من الثّمر (كذا)، والنّور من الشّمس، والرّؤية من العين، وشرف العلم تابع لشرفه،وهو الموصل إلى سعادة الدّارين[2].

ولا يصدّنّك عن إنزال هذه النعمة منزلتها ما تسمع من ذم للعقل والمعقول\عند المتصوّفة فإن مرادهم (المجادلة والمناظرة بالمناقضة والإلزامات، كما هو مدار صنعة الكلام لا أنّهم يذمون نور البصيرة التي هي أساس العلوم الشرعية وإن ذمّت هي فما الذي يحمدُ؟!) [3].

إنّ أكثر التعاريف –كما هو واضح–لا يحدد ماهية العقل بقدر ما تدلّ على نتائجه وثمرة عمله، أو (على إدراكات هذه القوّة (لا) على نفس هذه القوّة بتعبير الرّازي) [4].

ومن بينها حدود المجالات التي يعمل فيها، وهي ما يعنينا هنا مما يتعلّق بالمدى الذي يتاح له لفهم الوحي وتقرير المعاني التي اشتمل عليها، هل نبعد من طريقه كلّ"الحواجز"التي يمكن أن تحول بينه وبين حركته على أساس أن لا قدرة تعلو على قدرته ولا حجة تسمو على حجته، طالما أنّ طاقته

---

[1]- الظاهر والباطن،فلسفة التأويل في الدّيانات السّماوية .أحمد علي زهرة .ص: 88، 89 .نينوى للدّراسات والنّشر والتوزيع – دمشق–ط1/2005م.

[2]- انظر: مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم .ج3.ص: 22.

[3]- مفتاح السعادة .ج3.ص: 24.

[4]- المباحث المشرقية في علم الإلهيات والطبيعيات .ج1.ص: 488.دار الكتاب العربي –بيروت، ط1/1410ه–1990م.تحقيق وتعليق: محمد المعتصم بالله البغدادي .

– وانظر مادة:" العقل " في موسوعة الفلسفة . للدكتور :عبد الرحمان بدوي .ج2. ص:72 وما بعدها . المؤسسة العربية للدراسات و النشر –بيروت .ط1/ 1984م .

لانهائية (وهو قادر على أن يجلو كل ظلمة) [1]" ويحلّ كلّ عويصة، أم أنّنا نسلّم له بالسّلطنة في عالم الماديّات وما يتعلّق بأعمال البشر التي يتأتى له أن يتحرّك في حدودها، فإذا دخل إلى ساحة الوحي وعالم الغيب حيل بينه وبين ما يشتهي إلاّ أن يلتزم بما يمليه عليه مصدرٌ للمعرفة أعلى منه، بل هو كلام من خلقه،وأمر من صوّره ومنحه مساحة للحركة تليق به، ومجالا للعمل مساويا لطاقته المحدودة يؤدّي به تجاوُزها والخروجُ عنها إلى البرهنة على القضية ونقيضها في الوقت ذاته وهو دليل محدوديته بل عجزه نجم عنه تخطّيه لحدوده اللّائقة به .

إنّ الغيب لا يمكن خضوعه لأحكام العقل لأنّه مصاب بآفة العجز لاعتماده على الحواسّ المحدودة والفروض،وأحيانا يصاب بالتّردّد،وهي كلّها نقائص فيه تجعله غير مخوّل ولا جدير بالخوض في عالم الغيبيّات[2].

وقد كان للمعتزلة في تاريخ العلم عند المسلمين موقف من العقل حين حكّموه فيما هو خارج عن طوره،(فقاسوا به الغائب على الشاهد وجعلوه حكمهم ونبراسهم، يقول "جار الله "في « أطواق الذهب في المواعظ والخطب » ملقّبا العقل بالسّلطان (امش في دينك تحت راية السلطان ولا تقنع بالرّواية عن فلان وفلان، فما الأسد المحتجب في عرينه أغرّ من الرّجل المحتجّ على قرينه،وما العنز الجرباء تحت الشّمأل البليل، أذلّ من المقلّد عند صاحب الدّليل) [3].

وتهجُّم الزمخشري على رواة الحديث منكر من القول وزور لا يقرّه عليه أحد، أمّا أن يجعل من العقل سلطانا فمسلّم له على أن لا تكون مرتبته سابقة للكتاب والسّنة والإجماع والقياس، فقد قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن

---

[1]- منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير .د: فهد بن عبد الرّحمان بن سليمان الرّومي .ج1.ص: 28.مؤسسة الرّسالة –بيروت .ط1407/3ه.

[2]- انظر: البسملة بين أهل العبارة وأهل الإشارة .ابراهيم بسيوني .–ص: 42.الهيئة العامة المصرية للكتاب /1972م.

[3]- عن مقدمة محققي الكشاف .ج1.ص: 21، 22 .

– وانظر النص في: أطواق الذهب في المواعظ و الخطب.الزمخشري .ص: 45 .(المقالة السابعة و الثلاثون) . المطبعة الأدبية – بيروت .ط3/ 1314ه .

–و الراية :العلم ، والسلطان :الحجة ، والشمأل :ريح تخالف الجنوب باردة ، و البليل :الندية فتتأذى بها العنز الجرباء و تذل .

تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ يوسف: ١١١. (ممّا يحتاج إليه في الدّين لأنّه القانون الذي يستند إليه السّنة والإجماع والقياس بعد أدلّة العقل) [1].

فلعلّ مراد الزمخشري أمر آخر غير ما يعطيه ظاهر معنى كلامه، واعتبارٌ غيرُ هذا الإعتبار .

وقد قرر علماء الإسلام ممن لم يكونوا على مشرب الزمخشري –رحمه الله –وأصحابه أن تحكيم العقل واللغة وحدهما في فهم القرآن الكريم مسلك عاقبته وخيمة، قال الشاطبي –رحمه الله–: (إن كثيرا من الناس يأخذون أدلّة القرآن بحسب ما يعطيه العقل فيها، لا بحسب ما يفهم من طريق الوضع، وفي ذلك فساد كبير، وخروج عن مقصود الشارع) [2] المعتزلة من جملة المسلمين القائلين بهيمنة الله على كل شيء، وأن حكمه من خلال ما ثبت في كتابه هو أساس هذا الدين، فإن ثبت وكان معناه مقطوعا به محكما فليس أمام العقل إلا التسليم به.

إنّ الغيب وما في حكمه مما وراء طور العقل لا يستفاد من براهين العقل وأدلّته لقصورها بل يغترف من معين الوحي قرآنا وسنّة لأن براهينهما قاطعة وأدلّتهما ساطعة، فالعقل وإن كان "ميزان الله في أرضه –كما يقول الغزالي– [3]" و(سراجَ ما بطن، وزينةَ ما ظهر، وسائسَ الجسد،وملاك أمر العباد، ولا تصلح الحياة إلاّ به،ولا تدور الأمور إلا عليه) [4].

بل ولا يقرر الوسائل وحدها بل يقرر الغايات أيضا –في حدود وظيفته– بحكم أنّ له وظيفةً معياريةً جوهريةً [5] لكنّه مع ذلك كلّه (غير مستقل ألبتة ولا ينبني على غير أصل) (و) على الجملة،

---

[1]- الكشاف.ج3.ص: 331. وانظر: منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير .ج1.ص: 28، 29 .

[2]- الموافقات .ج1.ص: 30.

[3]- مجموعة رسائل الإمام الغزالي – مشكاة الأنوار – ص: 276.

[4]- روضة المحبين ونزهة المشتاقين .لابن القيم . ص: 37 دار الكلم الطيب –دمشق، بيروت .دار ابن كثير –دمشق، بيروت .ط1/1418ه-1997م،تحقيق وتخريج وتقديم: محي الدين ديب مستو .

[5]- انظر: نقد الفلسفة الغربية .الأخلاق والعقل .د: عادل ضاهر .ص: 12.دار الشروق للنشر والتوزيع –عمان –الأردن .ط1/1990م.

(فـــ) العقول لا تستقل بإدراك مصالحها دون الوحي) [1].

(وللعقل –كما للحسّ الظاهر والحسّ الباطن – حدود ينتهي إليها متى وصل إليها أعلن عجزه، إنّه محدود بين شيئين هما الزمان والمكان) [2].

فمدركاته ومجالات عمله – وإن كانت غير محصورة – لكنّها لا تخرج عن (المواد الأولى التي تصل إليه عن طريق الحسّ الظاهر والباطن، أو التي تصل إليه عن طريق أخبار الآخرين وشهاداتهم، مضافا إليها ما لديه من قوانين ذاتية، وما لديه من قدرة على التخيّل) [3].

والمراد بالقوانين الذاتية: (كقانون عدم التناقض –قانون الإمتناع – قانون تردد الشيء بين أحكام العقل الثلاثة: واجب الوجود، وواجب العدم (مستحيل الوجود)وممكن الوجود...) [4].

أما عالم الغيب وما في حكمه فهو بمعزل عن حكم العقل عليه استقلالا بنفي أو إثبات لأنّه –أي الغيب وما وراء طور العقل –قد يكون بعيدا عن تصوّره وتوهّمه بعدا بالغ النّهاية، تحجبه عنه حدوده التي لا يستطيع أن يتخطاها [5].

وللشّاطبي نفائس ذكرها في هذا الباب في "الإعتصام" ومما قاله فيه: (إنّ الله جعل للعقول في إدراكها حدا تنتهي إليه لا تتعدّاه،ولم يجعل لها سبيلا إلى الإدراك في كل مطلوب، ولو كانت كذلك لاستوت مع الباري تعالى في إدراك جميع ما كان وما يكون، وما لا يكون، إذ لو كان كيف كان يكون ؟فمعلومات الله لا تتناهى، ومعلومات العبد متناهية، والمتناهي لا يساوي ما لا يتناهى) [6].

إنّ العقل بمفرده لا يستقل بدرك الحقائق، لأنّه مخلوق لإقامة رسوم العبودية لا لإدراك حقيقة

---

[1]- الإعتصام .للشاطبي .ج1.ص: 59.دار الخاني .الرياض .ط1/1416ه-1996م.تخريج وتحقيق وتعليق: د: مصطفى أبو سليمان الندوي .

[2]- ضوابط المعرفة وأصول الإستدلال والمناظرة .صياغة للمنطق وأصول البحث متمشية مع الفكر الإسلامي .عبد الرحمان حسن حبنّكة الميداني .ص: 130.دار القلم .دمشق .ط3/1408ه-1988م.

[3]- المرجع نفسه .ص: 133.

[4]- المرجع نفسه.ص: 131.

[5]- انظر: المرجع نفسه.ص: 131.

[6]- الإعتصام .ج2.ص: 349.

الرّبوبية –كما قال الطوفي – [1].

إنّ الاعتراض على العقل –إن وقع– لا يقع على العقل في ذاته فهو إحدى نعم الله الكبرى على الخلق بل على سوء استعماله لا افتئاتا على قيمته أو انتقاصا من قدره، (بل هو على العكس تأكيد لهذه القيمة، وحرص على هذا القدر، عن طريق الكشف عن طبيعة العقل، وإمكانيته ومعرفة قيوده وحدوده) [2] حتى لا يشرد ويتيه فلا يرى مقياسا لذاته إلا ذاته ولا سندا ليقينه إلا هو، إذ لا حاجة –بزعمه– للتدليل على صدق قضاياه إلى أدلّة خارجة عن دائرة ذاته، وهو وحده كاف لتحصيل العلوم والمعارف في شتى أشكالها وضروبها) [3].

والحاصل هو ألّا يجعل العقل حاكما بإطلاق، وأن لا يتقدّم بين يدي الشرع، وقد ثبتت حاكميته عليه بإطلاق لأنّه ناقص والشّرع كامل ولا يصح تقديم الناقص ليكون حاكما على الكامل لما فيه من المخالفة للمعقول والمنقول، ولأنّه إن تقدّم بين يدي الشرع فإنّه من التّقدّم بين يدي الله ورسوله، فوجب أن يكون ملبيا من وراء الشّرع لأنّ الحجة القاطعة والحكم الأعلى له لا لغيره [4]، فالعقل في الإسلام ليس جوهرا قائما بذاته، يصلح أن يكون حكما في كل شيء حتى في الذات العلية وما يصدر عنها، وما يرد إليه–أي العقل – بل هو منحة إلهية في الإنسان ميزته عن سائر المخلوقات وكرّمه بها ليعقل بها في حدود مرسومة حتى يتخلّص من مناقضاته ويُحرّر من شكوكه، ويُهدى إلى اليقين [5].

ولن أنهي الحديث عن ماهية العقل وحدوده ومعناه دون أن أشير إلى كلام بدا لي أنّه في غاية النّفاسة للحارث المحاسبي يوصل فيه بين القرآن الكريم –باعتباره كلام الله الموحى به–وبين العقل والكون، مبيّنا "الروابط" الموجودة بينها .

---

[1]- انظر: الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية .تفسير القرآن العظيم .ص: 14.دار الكتب العلمية –بيروت .ط1/1426هـ-2005م تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل .

[2]- مقدّمة محقق: العقل وفهم القرآن .للمحاسبي –كتاب ماهية العقل ومعناه واختلاف النّاس فيه .ص: 142، 143.

[3]- مقدّمة محقق "العقل وفهم القرآن".ص: 114.

[4]- انظر: الاعتصام .ص: 357، 361، 384. بتصرف في النّصوص بالجمع بينها .

[5]- انظر: مقدمة محقق: العقل وفهم القرآن .ص: 119، 120 .

قال –رحمه الله–: (الحجة حجتان: عيان ظاهر –يعني الكون–، أو خبر قاهر –يعني القرآن، والعقل مضمّن بالدليل، والدليل مضمّن بالعقل .والعقل هو المستدل .والعيان والخبر هما علة الاستدلال وأصله .ومحال كون الفرع مع عدم الأصل، وكون الاستدلال مع عدم الدّليل .فالعيان شاهد يدلّ على غيب .والخبر يدلّ على صدق، فمن تناول الفرع قبل إحكام الأصل سُفِّه) [1]، فالعقل عنده فرع عن أصلين "القرآن والكون"، أو الخبر القاهر، والعيان الظاهر بتعبير المحاسبي، وسلخ الفرع عن أصليه سفه لأنه يدور معهما –باعتباره فرعا–وجودا وعدما، لكن القرآن –الخبر القاهر– أحق من الكون –العيان الظاهر –في الأخذ عنه لأنه كلام الله المباشر والمفصل الذي يحوي من الحقائق ما يعجز عنه كل بيان، فلزم أن تكون وجهة العقل إليه أكثر من الكون [2].

وقد استفيد معنى العقل وفضله وشرفه واستقي في القرآن الكريم والسنة النبوية واشتق من مواد كثيرة وألفاظ مختلفة غير"عقل" (وربما يكون عدم ذكره بهذا اللفظ – عقل–لأنه ليس له جارحة كالبصر والسمع، ولكن مادة "عقل" وجذرها قد ورد في الكتاب العزيز في مرات كثيرة تقرب من تسع وأربعين مرة) [3].

وقد فسرت "الأمانة "في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ الأحزاب: -٧٢- عند بعض بأنها "العقل" قال الراغب الأصفهاني (... وقيل: العقل وهو صحيح، فإن العقل هو الذي بحصوله يتحصّل معرفة التوحيد، وتجري العدالة، وتُعلم حروف التهجي، بل بحصوله تعلُّم كل ما في طوق البشر تعلُّمُه،

---

[1]- العقل وفهم القرآن –كتاب مائية العقل ومعناه واختلاف الناس فيه–ص: 132.

[2]- انظر مقدمة محقق "العقل وفهم القرآن" .ص : 165، 166، 167 .

وقد جعل عضد الدين الإيجي "العقل "أصلا والنقل فرعا حين قال: (وتقديم النقل على العقل إبطال للأصل بالفرع وفيه إبطال للفرع)* فلعله باعتبار آخر غير الذي نتحدّث فيه وهو اعتبار جهة إثبات صدق الخبر، وهذا لا يتأتى إلا من جهة العقل ولذا قال: (إذْ صدق المخبر لا بد منه وأنه لا يثبت إلا بالعقل) **، فإذا حصل للعقل يقين بثبوته حكم بتقديمه على العقل، ولعل هذا الاعتبار هو مراد الإيجي –والله أعلم–* (المواقف في علم الكلام .ص: 40.

** المواقف في علم الكلام .ص: 39.

[3]- معايير القبول والرد لتفسير النص القرآني .عبد القادر محمد الحسين .ص: 234.دار الغوثاني للدراسات القرآنية –دمشق .ط1/1428هـ-2008م.

وفِعْلُ ما في طوقهم من الجميل فعلُه، وبه فُضِّل على كثير من خلقه)[1].

أي أن موارده كثيرة من ذلك: "اللب"في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ الرعد: ١٩ قال المحاسبي: (يعني أولي العقول) [2] والبيان والهدى: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ الأنفال: ٤٢ ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ التوبة: ١١٥ ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ فصلت: ١٧ (يعني بينا لهم ما يعقلوه بعقولهم إن تدبروا ذلك ..."﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ فصلت: ١٧ .

ومن ذلك السمع والفهم وهما كالبيان، لأنهما جميعا عن العقل تكون ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ﴾ طه: ١٣ قيل: اعقل ما أقول لك: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ البقرة: ٧٥.

وقد فسروا قول الرجل للرجل: أعقلت ما رأيت أو سمعت ؟ فيقول: نعم. يعني أني فهمت وتبيّنت[3]، وفي التنزيل الكريم: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ الأنبياء: ٧٩، والعرب تسمي الفهم عقلا، (لأن ما فهمته فقد قيدّته بعقلك وضبطته كما البعير قد عقل) [4].

ومن ذلك: "الوعي " في قوله سبحانه: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ الحاقة: ١٢ (يعني عقل عن الله ما سمعت أذناه مما قال وأخبر) [5] ﷺ، فمن لم يفهم عن الله سبحانه وتعالى ذلك فهو غير عاقل، وإن عقل البيان الذي به لزمته الحجة: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً﴾ الأحقاف: ٢٦ يعني عقولا: ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ

---

[1]- مفردات ألفاظ القرآن.ص: 90 (مادة: أمن) .

[2]- العقل وفهم القرآن.ص: 204.

[3]- انظر: المصدر نفسه.ص: 206، 207، 208، 209 .

[4]- المصدر نفسه.ص: 209.

[5]- المصدر نفسه.ص: 211.

مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ الأحقاف: ٢٦ وسمى بعضهم عاقلين: ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ٧٥ يعني: عقل بيان لأنهم لم يكونوا مجانين وقت إلقائه إليهم بل لإعجابهم برأيهم وكبرائهم وقولهم إنا على آثار آبائنا مقتدون ومهتدون[1].

ومثل هذا قول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ الأعراف: ١٧٩ وما كانوا في الدنيا صما ولا مجانين ولا خرسا، وقوله تبارك اسمه حكاية عن أهل النار ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ الملك: ١٠ وقد كانوا في الدنيا يسمعون ويعقلون ولكن مرادهم هنا غير ذلك.ولذا قال المحاسبي: سمي الرجل عاقلا عن الله إذا كان مؤمنا خائفا منه سبحانه "[2].

إنّ موارد مادّة العقل التي ذكرت وغيرها مما لم يذكر تظهر قيمة العقل وشرفه في القرآن الكريم، وقد اتفق الفقهاء على أنّ جناية إذهابه مستوجبة للدية كاملة، قال أبو اسحاق الشيرازي (ت: 476ه): (وإن جنا على رجل جناية لا أرش لها بأن لطمه أو لكمه أو ضرب رأسه بحجر فزال عقله وجب عليه الدية ...لأن العقل أشرف من الحواس ...فكان بإيجاب الدية أحقّ)[3].

وفي إزالة العقل إزالة منافعه، وهي كلها به، وقد نصّ النووي على أن (العقل: تجب بإزالته كمال الديات، ولا يجب فيه قصاص لعدم الإمكان)[4].وقال ابن قدامة المقدسي (موفق الدين ت:

1- انظر: العقل وفهم القرآن .ص: 212، 213 .

2- انظر: المصدر نفسه.ص:217، 218 .

3- المهذب.ج5.ص: 128.دار القلم –دمشق –الدار الشامية –بيروت .ط1/1417ه-1996م.تحقيق وتعليق وشرح وبيان الراجح في المذهب: د: محمد الزحيلي .

4- روضة الطالبين وعمدة المفتين .ج9.ص: 289.المكتب الإسلامي –بيروت .ط2/1405ه-1985م.إشراف: زهير الشاويش.

630ه)[1]: (وفي ذهاب العقل الدية .لا نعلم في هذا خلافا...وإليه ذهب من بلغنا قوله من الفقهاء ...لأنّه أكبر المعاني قدرا، وأعظم الحواس نفعا ... فكان بإيجاب الدية أحق من بقية الحواس) [2] .

(وقال ابن جزي الكلبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد ت: 741ه)[3]: (وتجب الدية كاملة في إزالة العقل)[4].

فالعقل أشرف ما في الإنسان إذ به يقع التكليف، وذهابه موت صاحبه وإن لم يقبر .

ولعل الذي عنون مؤلّفا له بعنوان: «التفكير فريضة إسلامية» استلّ "الفرضية" بل لا شك أنّه حكم بهذا الحكم من آيات الكتاب الكريم، لأن أحاديث العقل التي وردت في السنة أكثرها -إن لم تكن جميعا – متكلم فيها، كالتي رواها المحاسبي وابن أبي الدنيا وغيرهما، فإن أوردنا بعضها فللاستئناس لا للاستدلال فما في كتاب الله مغن، ولأن العقل في الإسلام مناط التكليف،و الأمر مجمع عليه، وذهابه لسبب من الأسباب مسقط للتكاليف الشرعية، وصاحبه غير مؤاخذ بما يأتي وما يذر، قال الدهلوي: (إن لها –أي الأحاديث-أسانيد يقوي بعضها بعضا) [5]. كحديث: « أوّل ما خلق الله تعالى العقل فقال له: أقبل فأقبل . وقال له: أدبر فأدبر، فقال: "بك أؤاخذ" »وحديث: «دين المرء عقله، ومن لا عقل له لا دين له »، وحديث: « أفلح من رزق لبّا »●.

---

[1] - هو الإمام موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ، أحد الأعلام في مذهب الإمام أحمد بن حنبل وكتابه "المغني" الذي شرح به "مختصر" الخرقي يعد من أعظم الكتب الفقهية الجامعة لمذاهب الأئمة الفقهاء مع عناية خاصة بإيراد أقوال الأئمة و الترجيح فيما بينها . السير .18/ 193 .

[2] -المغني.ج11.ص: 726، 727 .دار الحديث-القاهرة .ط1/1416ه-1996م.تحقيق: د: محمد شرف الدين خطاب،ود: السيد محمد السيد،أ: سيد ابراهيم صادق.

[3] - هو محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله ، أبو القاسم :فقيه من العلماء بالأصول و اللغة من أهل غرناطة ، من كتبه "القوانين الفقهية " ، "التسهيل لعلوم التنزيل" ، "البارع في قراءة الإمام نافع" .

-انظر ترجمته في : الدرر الكامنة .ابن حجر . 2/ 378 ،طبقات المفسرين .عادل نويهض .1 / 481. الأعلام .5 / 325 .

[4] - القوانين الفقهية .ص: 344.دار الكتاب العربي –بيروت .ط2/1409ه-1989م.

[5] - حجة الله البالغة .للدهلوي (شاه أحمد ولي الله ابن عبد الرحيم ت: 1176ه).ج2.ص: 234.دار إحياء العلوم -بيروت .ط2/1413ه-1992م . راجعه وعلق عليه: محمد شريف سكر .

● وقد أورد الآثار الثلاثة الدهلوي في الحجة .ج2.ص: 234.

قال ابن القيم: (أحاديث العقل كلّها كذب كقوله:« لما خلق الله العقل قال له: أقبل فأقبل، ثمّ قال له أدبر فأدبر، فقال ما خلقت خلقا أكرم علي منك بك آخذ وبك أعطي ... » إلى أن قال: (وقال أبو الفتح الأزدي: لا يصح في العقل حديث، قاله أبو جعفر العقيلي، وأبو حاتم بن حبان) [1].

وعند ابن أبي الدنيا بسنده إلى ابن عباس أنّه ﷺ قال:« أنا الشاهد على الله ﷻ أن لا يعثر عاقل إلا رفعه الله ﷻ، ثمّ لا يعثر إلا رفعه حتى يجعل مصيره إلى الجنة » شك محمد بن مسلم في الثالثة [2].

وروى أيضا بسنده عن ابن عمر أنّه ﷺ قال: «لا يعجبنّكم إسلام امرئ حتى تعرفوا معقود عقله»[3] كما روى آثارا أخرى مرفوعة إلى رسول الله ﷺ عن أبي الدرداء، وأنس، ومعاوية –يعني ابن قرّة– وابن عمر، وأبي هريرة [4].

أما المنقول عن الصحابة والتابعين وغيرهم من الآثار المنوهة والمشيدة بالعقل فكثيرة منها: ما روي عن ابن عباس أنه فسر قوله سبحانه: ﴿ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴾ الفجر: ٥، قال: الرجل ذو النهى والعقل).

وعن سعيد بن المسيب في قوله تعالى: ﴿ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ﴾ الطلاق: ٢ قال: ذوي عقل) [5]. وفسر "مجاهد " ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾النساء: ٥٩ بأنهم أولوا العقل والفقه في دين الله تبارك اسمه [6]. وعن لقمان قال: العاقل من يخاف الله ﷻ [7]" وهو أعز ما يطلب

---

[1]- المنار المنيف في الصحيح والضعيف .ص: 66، 67 ،مكتبة المطبوعات الإسلامية .ط1/1390ه-1970م.حققه وخرج نصوصه وعلق عليه .عبد الفتاح أبو غدة.

[2]- موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا .لأبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان (الحافظ).ت: 281ه)كتاب العقل وفضله .ص: 13.مؤسسة الكتب الثقافية –بيروت .ط1/1413ه-1993م.دراسة وتحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول.

[3]- موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا .المجلد الأول –كتاب العقل وفضله-.ص: 14.

[4]- انظر المصدر نفسه .ص: 14، 15، 16 .

[5]- انظر: المصدر نفسه .ص: 19. قال الفراء في تفسير "لذي حجر"(لذي عقل لذي ستر وكله يرجع إلى أمر واحد من العقل، والعرب تقول إنه لذو حجر إذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها كأنه أخذ من قولك: حجرت على الرجل)" *معاني القرآن .ج3.ص: 260.

[6]- انظر: المصدر نفسه . ص: 31.

[7]- انظر: المصدر نفسه.ص: 36.

من هذه النعمة .

و الحكمة الإلهية اقتضت أن يتفاوت الناس فيه ويتفاضلوا كما تتفاوت الأشجار وتتفاضل فيما تعطي من الثمار[1].

وحياة الخلق لا تصلح إلا به ومدار أمورها وأمور الآخرة عليه، ولذا لا تذكر هذه النعمة إلا في مقام التعظيم تصريحا لا تلميحا في موارده ومواده المتعددة ووظائفه المختلفة ولو لم يكن في القرآن الكريم من الموارد إلا ذم التقليد لكان هذا كافيا في الإشادة بالعقل منبها له حتى يؤدي الوظيفة السامية المنوطة به .قال الحق سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ سبأ: ٤٦ وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ آل عمران: ١٩٠. فإن لم يؤد وظيفته وكان إمّعة ذم وحطّ من شأنه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ البقرة: ١٧٠، بل إن مصير من هذا شأنه النار: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ الأعراف: ١٧٩ .

[1]- انظر: موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا.ص: 21.

ثانيا: اللغة العربية:

وعاء القرآن الكريم، والنظم العربي جزء من القرآن الكريم، ونماؤها وتطورها وبقاؤها، بل وخلودها يعود إلى القرآن الكريم وحده، وإعجاز هذا الكتاب الكريم حاصل بها، ومعانيه الممتدة غير المحدودة تطلب منه بها، وبقاء صلاحه –عقيدة وشريعة – لكل زمان ومكان منوط بهذه اللغة، ومن طلب إعجازه في غيرها رام المحال من الطلب، لأن ترجمته إلى غير اللسان العربي لا تعدوا أن تكون نقلا لفهم فرد أو جماعة محكومة بزمان ومكان وثقافة أو مجموعة ثقافات يحاصرها جميعا العجز والنقص من كل جانب .

وقد جاء التأكيد على عربية القرآن الكريم لفظا في إحدى عشرة آية[1]، فظهرت هذه اللغة في آيات الكتاب المبين للزمان (حتى لا يظن أنها لغة عصرها، وكيف بهرت بغاياته في البيان حتى ليقال إنّها لغة دهرها، وكيف جاوزت بها قدرها الطبيعي بعد أن صار هو من قدرها)[2].

وقد أدرك الأوّلون هذه الحقيقة فأوقفوا حياتهم كلها على دراسة هذه اللغة وفهم معانيها، شاهدين على أنفسهم بالعجز عن الإحاطة بها ومعرفة جميع مراميها في هذا الكتاب المبين فنزلوها من أنفسهم منزلة لا تعدلها منزلة، وبوّءوها مكانا عليا يدفعهم إلى هذا كثرة الآيات القرآنية المؤكدة على عربية هذا الكتاب فعلموا أن وراء التأكيد أمرا جللا، وخلف إنزال القرآن بهذه اللغة سرا عظيما، فما كان منهم إلا أن شمّروا عن ساعد الجدّ باذلين مهجهم في سبيل الوصول إلى معرفة اللسان الذي نزل به هذا الكتاب لأنّه المفتاح الحقيقي الذي تفتح به الأبواب التي يلج منها الناس إلى عالم القرآن الكريم الذي لا تنتهي بهذا اللسان وحده معانيه، ولا يوقف على حقيقة إعجازه ومراميه إلا ببيانيه، فعمد المسلمون عربيهم وعجميهم إلى دراسة هذه اللغة .

ومع السنوات الأولى لبزوغ فجر الإسلام شهد العالم الإسلامي انفجارا معرفيا في ميدان اللغة خاصة فدُرس كل ما يتعلّق بها ودوّن كل ما له صلة بها فاتسعت دائرة العلم وتضاعف حجم المعرفة وانتشر انتشارا وسع العالم الإسلامي المترامي الأطراف وزيادة، وتسابق الناس للوصول إلى هذا

---

[1] - في سورة: يوسف، الرعد، النحل، طه، الشعراء، الزمر، فصلت (مرتين)، الشورى، الزخرف، الأحقاف.

[2] - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية .مصطفى صادق الرافعي. ص: 74 .

الشرف على نحو غير مسبوق حتى غصت المدن والحواضر في الأمصار المختلفة بالعلماء في جميع المعارف يقدمهم ويحدوا هذا الركب الجميل علماء اللغة والبيان لأنّهم السراج الذي ينير دربهم حتى يصلوا في طريق فهمهم لهذا الكتاب المبين سالمين، متزّلين لألفاظه وحاملين لمعانيه على أحسن وجوهها، فحُفظت العلوم المساعدة على فهمه كعلوم اللغة بما فيها من نحو وتصريف وبلاغة، إضافة إلى المعاجم التي تحفظ الحركات والسكنات فلا يعبث بها عابث و..كان حفظ تلك العلوم ..بالتبع و لم يكن بالأصالة والذات) [1]، و لم يكن الحامل لهم على بذل تلك الجهود المضنية إلا حماية القرآن الكريم حتى لا يتسلّل إليه فهم معوج ومنكر من القول وزور، فظهر في فترة مبكرة جدّا مؤلفات في معاني القرآن ومجازاته وموسوعات في دلالات الألفاظ ومعانيها مفردة ومركبة وما يدخلها من المعاني المختلفة وإن كان اللفظ واحدا، وما يعتريها من المعاني القريبة الواضحة والبعيدة الخفية المستترة، وما طرأ عليها من التغييرات التي دخلت عليها مع نزول القرآن الكريم فنقلت دلالاتها إلى معانٍ غير مألوفة وحقائق لم تكن من قبل معروفة، صبت في (كلام قريب شاسع، ومطمع مانع،كالشمس تقرب ضياء، وتبعُد علاء... كلامٍ لا تمجّه الآذان، ولا يمليه الزمان، ألفاظ كالبشرى مسموعة، وأزاهير الرياض مجموعة، ومعان كأنفاس الرياح، تعبق بالريحان والراح) [2]، كلام علوه على كل كلام لا ينكره إلا مكابر، سلطان الربوبية وجلالها وقهرها في كل سورة من سوره، وعظمة الألوهية وجمالها في كل آية من آياته، فلا نرى فيه إلا الربوبية متكلمة، والألوهية آمرة أو ناهية، ولا تسمع أذنك أثارة أو صنعة فيه لسُفليّ لأن من السّماء مهبطه، (كلام قرب حتى أطمع، وبعد حتى امتنع، ودنا حتى صار قاب قوسين أو أدنى، ثم سما حتى صار بالمنظر الأعلى ...لو أن كلاما أذيب به صخر، أو أُطفيء به جمر، أو عوفي به مريض، أو جبر به مهيض لكان هذا .كلام يقود سامعيه إلى السجود، ويجري في القلوب كجري الماء في العود ...، ألفاظه أنوار، ومعانيه ثمار . (هو) أنس المقيم الحاضر، وزاد الراحل المسافر، كلام تسعى إليه الغور، وينتفض إليه العصفور، كلام يقضي حق البيان، ويملك رق الحسن والإحسان، كلام فيه يجتنى الدر ...وعنده يُعتب، وله يشرح الصدر .كلام يقرب جناه،

---

[1]- معايير القبول والرد لتفسير النص القرآني .عبد القادر محمد الحسين .ص: 66.

[2]- سحر البلاغة وسر البراعة .الثعالبي .ص: 46.دار الكتب العلمية –بيروت .ط1/1405ه-1984م.تصحيح وضبط: عبد السلام الحوفي.

ويبعد مداه، ويؤنس مسمعُه، ويُؤْنِس مصنعه) [1].

لقد أنسى القرآن الكريم بجمال بلاغته العرب كل صور الجمال القولية التي عهدوها من أنفسهم وممن سبقهم من سادات الفصاحة وأرباب البيان، حتى إنّك قد تجد فيهم من يستنكف عن السجود للأصنام والأوثان لكنّه يأبى ألا يعير سمعه لجميل القول والبيان .. إنّهم أمام فن من القول جديد، وكلام (لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد) [2] لقصدها من حيث التركيب اللفظي ووفائها في الآن ذاته بالمعنى الممتد غير المنقطع إلى آخر الدهر .

قال الزركشي في قوله سبحانه: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ الحجر: ٩٤ (هذه ثلاث كلمات اشتملت على جميع ما في الرسالة . و(في) قوله: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ الأعراف: ١٩٩، فهذه جمعت مكارم الأخلاق كلها، لأن في "خذ العفو "صلة القاطعين، والصفح عن الظالمين، وفي الأمر بالمعروف تقوى الله وصلة الأرحام، وصرف اللسان عن الكذب، وفي الإعراض عن الجاهلين الصبر والحلم، وتنزيه النفس عن ممارات السفيه) [3] .

وقال في قوله سبحانه: ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴾ النازعات: ٣١ (فدلّ بأمرين على جميع ما أخرجه من الأرض قوتا ومتاعا للأنام، من العشب، والشجر، والحب، والثمر، والعصف، والحطب، واللباس، والنار، والملح، لأن النار من العيدان، والملح من الماء) [4].

وفي قوله سبحانه: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ هود: ٤٤ كيف أمر ونهى، وأخبر ونادى، ونعت وسمى، وأهلك وأبقى، وأسعد وأشقى، قص من الأنباء ما لو شرح ما اندرج في هذه الجملة من بديع اللفظ والبلاغة

---

[1]- سحر البلاغة وسر البراعة .الثعالبي .ص: 47.

[2]- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز .لابن عطية. ج1. ص: 60، 61 .

[3]- البرهان في علوم القرآن .للزركشي .ج3.ص: 296.

[4]- المصدر نفسه .ج3.ص: 297.

والإيجاز والبيان لجفت الأقلام وانحسرت الأيدي) [1].

فكثرة المعاني في آيات القرآن الكريم بل لا محدوديتها ليست بالأمر المستغرب، بل المستغرب هو أن تكون محدودة الدلالات .وهو افتراض غير وارد لأنّ كلام الله سبحانه صفته،وهذا يعطي لعقول البشر في كل زمان مساحة للفهم تتفق مع ما وصلت إليه عقولهم ومجالا للاجتهاد والنظر يستجيب لما وصل إليه مستوى تفكيرهم .وعدم محدودية المعاني لا يعني اطراد هذا الحكم وعمومه على كل آيات القرآن الكريم وإلا لما كان لتقسيم الألفاظ عند علماء الأصول خاصة معنى، وهو تقسيم ناجم عن استقراء وتتبع لمعاني ودلالات تلك الألفاظ في القرآن الكريم وفي لغة العرب من حيث وضوحها وخفاؤها، عمومها وخصوصها إلى غير ذلك من الدلالات والمعاني التي دار كلام الأصوليين في الألفاظ حولها .

فالقرآن الكريم عربي مبين مصبوبة فيه خصائص هذه اللغة بما فيها من دلالات ظاهرة وخفية ومفاهيم متعددة وتلوين للخطاب، وفنون البلاغة وضرب الأمثال حتى تقوم الحجة على من خاطب، فيكون للذين آمنوا هدى وشفاء، ويكون للذين لا يؤمنون في آذانهم وقراً وهو عليهم عمى .

لقد علم من آمن به منهم أنّه كتاب (لا يسأم منه تاليه مع تكراره وتواليه، ولا يمله واعيه بل تتوفر على توقيره دواعيه، في كل حين تظهر فيه من قضايا التنزيل وخفايا التأويل من نتائج أفكار الخلف غير ما جادت به قطن السلف، كل حرف منه تتفجر به ينابيع من الحكمة، وكل كلمة تمطر منها سحائب الرضوان والرحمة، وكل آية تحتوي على بحار من الإعجاز زواخر، وكل سورة تكاد تنطق بعلوم الأوائل والأواخر) [2]. وأما من تولى وكفر فأيقن أن إعجازه أعجزهم (وتحققوا أنه ليس من تسجيعهم ولا ترجيزهم، وصرفهم الإباء عن ترك دين آبائهم إلى الدنية، وصرفتهم الحمية حمية الجاهلية، عجزوا عن الإتيان بسورة أو آية، وانتهوا من عنادهم في التكذيب به إلى غاية، فأعقبهم

---

[1]- البرهان في علوم القرآن.ج3.ص: 297.

- وانظر: ما قاله ابن القيم في "سورة الكوثر " وهي أقصر سورة في القرآن الكريم .كتابه: الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن وعلم البيان لابن القيم الجوزية (أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر (ت: 751ه)) .ص: 345 . وما بعدها . مكتبة الهلال – بيروت.

[2]- الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن . ص: 18، 19 .

معنى النص والسماح له بتجاوز قصد المتكلم، والقائل الأول، ودعوى موت المؤلف والتفسيرات اللانهائية للنص، ودعوى تحطيم قيود اللغة والتحرر من سجنها وتمزيق قيود العقل والتحرر من إملاءاته، وادعاء أن ليس هناك شيء ثابت، ولا توجد نقطة ارتكاز واضحة، ولعلها جميعا نتائج وثمرات أفرزتها مواقف من الدين ومصادر المعرفة بحصرها في الحسّ خاصة، جاعلة من المسيحية وحضارة الغرب أساسا لمنطلقاتها ومفاهيمها ونظرتها إلى الأمور " فأثمرت" تيها وضياعا ومذاهب هي حالة مرضية وانتكاسة فكرية ولّدها فيما يبدو الاستخدام المفرط واللا إنساني لنتائج العلم التي استعملت لظلم البشر وإهدار إنسانيتهم، وهذه تبعات يتحمّلها أهل تلك الديانة وصناع تلك الحضارة التي لا ينبغي أن تكون حاكمة بأسسها ومبادئها على البشرية قاطبة، ذلك لأنّ شعوبا أخرى وحضارة أخرى على الأقل قامت على أسس مغايرة، ومبادئ مفارقة لما قامت عليه الحضارة الغالبة الآن.

إنّ حضارة الإسلام قائمة على هذا الكتاب الكريم الذي أجمع أتباعه على أنه كلام الله تعالى نازل بلسان عربي مبين، فمصدر القرآن يأتي في المقام الأول من حيث الاعتبار، واللغة التي نزل بها لها خصائصها ومميزاتها التي تفرض على كل من يتصدى لدراسة أي نص صيغ بها الوقوف عند حدودها، فالكلمة الواحدة فيها تجيء لمعان شتى، والعقول مختلفة في تتبع استعمال أهلها لها، فالتفطن لما بين السابق واللاحق مطلوب حتى يصل المتعامل مع نصوص هذه اللغة إلى معرفة أقوى الوجوه وأرجحها، وأيّها أولى وأكثر اتساقا بالمعنى، ولا يتأتى له هذا إلا بعد معرفة موارد الاستعمال وكيفية توظيف اللفظ المبني على إحكامٍ لمقدماتٍ الإخلال بها مزلٌّ للقدم يتضاعف إن صاحبه جهل بالآثار أو عدم تفحص لها [1].

إنّ طلب فهم القرآن الكريم إنّما يكون من طريق لسان العرب لأنّه نازل على لسان معهودها في ألفاظها الخاصة، وأساليب معانيها –كما يقول الشاطبي – (فمن أراد تفهّمه فمن جهة لسان العرب يفهم، ولا سبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة) [2].

---

[1]- انظر: الفوز الكبير في أصول التفسير .لحجة الله الدهلوي .ص: 100، 101 ،دار قتيبة –بيروت .1409ه-1989م.

[2]- الموافقات في أصول الشريعة .للشاطبي .ج2.ص: 50.

فلا يحق لمستعمل اللغة –تحت أي مبرر كان – كاتبا أو متكلما بها أو حاملا وسامعا لها أن يوجهها الوجهة التي يريد حتى يكون هو الواضع لها، وما دام أنّه ليس كذلك، بحكم أنّ وضع الألفاظ بدلالاتها سابق زمانيا، فخضوع المستعمل لمقررات هذه اللغة أو تلك هو ما يمليه منطق الأشياء وطبيعتها (والمرجع في ذلك لكل من المتكلّم والسامع هو الوضع الذي هو الحكم العدل عند النزاع، وهو سابق لوجود المتكلّم والسامع، وهذا هو الحكم الحق في التعامل مع النصوص، والمتوافق مع إرادة المتكلم وهو الذي جرى عليه عمل الناس منذ أن علّم الله آدم الأسماء كلّها، وهو الذي يتوخّاه ويعتمد عليه الخطباء في خطبهم والكتاب في كتبهم) [1].

ولذا شدد أئمة الإسلام في النكير على غير العالم بأساليب العرب وطرائقهم في الكلام أن يقحم نفسه في علم التفسير الذي كان يتهيّب منه أئمة العربية وفرسان البلاغة لعظم شأن القول فيه الذي هو توقيع عن ربّ العالمين والجهل بمعاني ألفاظه (يخلّ بفائدة وضع اللغة، لأنّ اللغة إنّما هي وضع الألفاظ في دلالتها على المعاني، أي وضع الأسماء على المسميات لتكون منبّئة عنها عند إطلاق اللفظ)[2].

وقد روى غير واحد عن أحد أئمة التفسير من التابعين وهو مجاهد أنّه قال: « لا يحلّ لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب»، كما رووا عن إمام دار الهجرة مالك بن أنس أنّه قال: «لا أوتى برجل يفسر كتاب الله غير عالم بلغة العرب إلا جعلته نكالا »[3].

وفي الرسالة للشافعي قال: «لا يعلم من إيضاح جمل علم الكتاب أحد جهل سعة لسان العرب، وكثرة وجوهه، وجماع معانيه وتفرّقها، ومن علمه انتفت عنه الشبه التي دخلت على من جهل لسانها»[4].

---

[1]- معايير القبول والرد لتفسير النص القرآني .ص: 111، 112 .

[2]-المثل السائرة في أدب الكاتب والشاعر .لابن الاثير(أبي الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الموصلي) .ج1.ص: 38.المكتبة العصرية – صيدا /1411ه-1990م.تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد.

[3]- البرهان في علوم القرآن . الزركشي . ج1 . ص: 396 .

[4]- ص: 50 . طبعة البابي الحلبي . تحقيق: أحمد محمد شاكر . 1309ه .

فلا يحق لمستعمل اللغة –تحت أي مبرر كان – كاتبا أو متكلما بها أو حاملا وسامعا لها أن يوجهها الوجهة التي يريد حتى يكون هو الواضع لها، وما دام أنّه ليس كذلك، بحكم أنّ وضع الألفاظ بدلالاتها سابق زمانيا، فخضوع المستعمل لمقررات هذه اللغة أو تلك هو ما يمليه منطق الأشياء وطبيعتها (والمرجع في ذلك لكل من المتكلّم والسامع هو الوضع الذي هو الحكم العدل عند النزاع، وهو سابق لوجود المتكلّم والسامع، وهذا هو الحكم الحق في التعامل مع النصوص، والمتوافق مع إرادة المتكلم وهو الذي جرى عليه عمل الناس منذ أن علّم الله آدم الأسماء كلّها، وهو الذي يتوخّاه ويعتمد عليه الخطباء في خطبهم والكتاب في كتبهم) [1].

ولذا شدد أئمة الإسلام في النكير على غير العالم بأساليب العرب وطرائقهم في الكلام أن يقحم نفسه في علم التفسير الذي كان يتهيّب منه أئمة العربية وفرسان البلاغة لعظم شأن القول فيه الذي هو توقيع عن ربّ العالمين والجهل بمعاني ألفاظه (يخلّ بفائدة وضع اللغة، لأنّ اللغة إنّما هي وضع الألفاظ في دلالتها على المعاني، أي وضع الأسماء على المسميات لتكون منبّئة عنها عند إطلاق اللفظ)[2].

وقد روى غير واحد عن أحد أئمة التفسير من التابعين وهو مجاهد أنّه قال: « لا يحلّ لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب»، كما رووا عن إمام دار الهجرة مالك بن أنس أنّه قال: «لا أوتى برجل يفسر كتاب الله غير عالم بلغة العرب إلا جعلته نكالا »[3].

وفي الرسالة للشافعي قال: «لا يعلم من إيضاح جمل علم الكتاب أحد جهل سعة لسان العرب، وكثرة وجوهه، وجماع معانيه وتفرّقها، ومن علمه انتفت عنه الشبه التي دخلت على من جهل لسانها»[4].

---

[1]- معايير القبول والرد لتفسير النص القرآني .ص: 111، 112 .

[2]-المثل السائرة في أدب الكاتب والشاعر .لابن الاثير(أبي الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الموصلي) .ج1.ص: 38.المكتبة العصرية – صيدا /1411ه-1990م.تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد.

[3]- البرهان في علوم القرآن . الزركشي . ج1 . ص: 396 .

[4]- ص: 50 . طبعة البابي الحلبي . تحقيق: أحمد محمد شاكر . 1309ه .

وقد روي التهيب والخوف والخشية من القول في القرآن عمن كان أعلم من جميع المذكورين، كالمروي عن أبي بكر وعمر .

فاتساع العربية واشتمالها على المشترك والمترادف والمتواطئ وسواها يزيد في تردد بل إحجام من يرجو السلامة لنفسه على الإقدام على هذا الأمر الجلل إن لم يحز من أدوات الفهم على أعلاها أو كان جاهلا بالقواعد التي يقوم عليها فهم القرآن الكريم كالفرق بين أصل الوضع اللغوي للكلمة وبين الحقيقة الشرعية لها، وكتحديد أصل هذا الوضع، والفرق بينه وبين الاستعمال الحادث والاصطلاحات المذهبية، وكتتبع استعمالات اللفظ في مواضع وروده في القرآن الكريم، ومراعاة معناه في السياقات التي ورد فيها ومعرفة الفروق القائمة بين الكلمات المتقاربة في معانيها أو المترادفة[1] — كما ذكرت- عند من يرى الترادف في العربية أو المشترك الذي أنكر قوم — كما يقول ابن الأثير[2]- أن يكون حقيقة في المعنيين جميعا لما فيه من الإخلال بفائدة الوضع، ولأن (الاشتراك لا بيان فيه، وإنما هو ضد البيان، لكن طريق البيان أن يجعل أحد المعنيين في اللفظ المشترك حقيقة، والآخر مجازا) [3].

فصاحب العربية الذي نعنيه هو من يفرق بين جيد الكلام ورديئه والحسن منه والقبيح، ويفرق في باب الشعر بين النادر منه والبارد، فإن قصر عن هذه فقد بان جهله وظهر نقصه كما يقول أبو هلال العسكري [4] (الحسن بن عبد الله بن سهل ت: 395ه) [1].وهو في إقدامه على علم التفسير

---

[1]- انظر: النص القرآني بين التفسير والتأويل . عبد الفتاح إبراهيم سلامة . رسالة مقدّمة لنيل إجازة العالمية (الدكتوراه) من كلية أصول الدين . ص: 02 وما بعدها . جامعة الأزهر .القاهرة . بإشراف: أ .د: عبد الغني عوض الراجحي وزميله / 1399ه – 1979م.

[2]- هو محمد بن نصر الله بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الموصلي شرف الدين ابن الاثير(ت:622ه) ،فاضل ،صاحب "المثل السائر" ولد بالموصل .الأعلام.125/7 .

[3]- المثل السائرة في أدب الكاتب والشاعر . ج1 . ص: 38 .

[4]- هو الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحي بن مهران اللغوي الأديب تلميذ أبي أحمد العسكري ، له "تفسير " في خمس مجلدات ، وله كتاب "الأوائل " و كتاب "الصناعتين " في النظم والنثر و غيره كان عالما عفيفا و كان الغالب عليه الأدب و الشعر .(ت: 395ه) . طبقات المفسرين .السيوطي .ص:33 (رقم 29) .الأنساب .9/ 297.

كساع إلى الهيجا بغير سلاح .

وقد ذكر "الزركشي " شواهد لمن لم تكن مداركهم عن الفهم قاصرة، وسعة معارفهم بالعربية وسواها غير خافية، لكن النقص فيهم مركوز، والخطأ في حقهم مما يجوز، فقال: (وينبغي العناية بتدبر الألفاظ كي لا يقع الخطأ، كما وقع لجماعة من الكبار، فروى الخطابي (حمد وقيل أحمد بن محمد بن إبراهيم من ولد زيد أخا عمر بن الخطاب ت: 388ه) عن أبي العالية أنه سئل عن معنى قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ الماعون: ٥، فقال: هو الذي ينصرف عن صلاته ولا يدري عن شفع أو وتر قال الحسن: مه يا أبا العالية، ليس هكذا بل الذين سهوا عن ميقاتهم حتى تفوتهم، ألا ترى قوله: " عن صلاتهم "، فلما لم يتدبر أبو العالية حرف " في " و" عن" تنبه له الحسن إذ لو كان المراد ما فهم أبو العالية لقال: " في صلاتهم "، فلما قال " عن صلاتهم " دل على أن المراد به الذهاب عن الوقت، ولذلك قال ابن قتيبة في قوله تعالى: " ومن يعش عن ذكر الرحمان" أنه من عشوت أعشو عشوا إذا نظرت، وغلطوه في ذلك، وإنما معناه يُعرض، وإنما غلط لأنه لم يفرق بين عشوت إلى الشيء وعشوت عنه) [2].

ثم ذكر شاهدا آخر غلط فيه أبو عبيدة – وسيأتي – قال بعده: (وهذا الباب – يعني مدلول الألفاظ الغريبة – عظيم الخطر، ومن هنا تهيب كثير من السلف تفسير القرآن، وتركوا القول فيه حذرا أن يزلوا فيذهبوا عن المراد، وإن كانوا علماء باللسان فقهاء في الدين) [3].

أمّا شاهد أبي عبيدة الذي أورده الزّركشي ففي قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ القصص: ١٠ قال أبو عبيدة: (فارغا من الحزن، لعلمها أنّه لم يغرق، ومنه: "دم فراغ "، أي لا قود فيه ولا دية " وقال بعض الأدباء –والكلام للزركشي –: " أخطأ أبو عبيدة في المعنى، لو كان قلبها فارغا من الحزن عليه

---

[1]- كتاب الصناعتين .الكتابة والشعر . ص: 08 . طبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم .

[2]- البرهان في علوم القرآن . ج1 . ص: 398 .

[3]- المصدر نفسه.ج1.ص: 398.

لما قال تعالى: ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ القصص: ١٠، لأنها كادت تبدي به) [1].

فالعارف بمدلولات الألفاظ العربية، المفرق بين معاني هذه اللغة الحامل للظاهر على ظاهره إن لم يقم دليل على غيره، المخرج له عن ظاهره إن علم بدليل قوي أن حمله على ظاهره مفسد لمعناه عابث بسياقه العام . وقد ذكر ابن قتيبة الكثير من الشواهد التي تعامل أصحابها مع بعض الآيات على نحو صحيح هداهم إليه حسن معرفتهم بمعاني الألفاظ ومدلولات الخطاب العربي، ومتى يبقى الظاهر على ظاهره، ومتى يصرف عن ظاهره فقال في معنى قوله تعالى: "وكلم الله موسى تكليما": (فوكّد بالمصدر معنى الكلام، ونفى عنه المجاز (لأن) أفعال المجاز —كما يقول —لا تخرج منها المصادر، ولا توكد بالتكرار، فتقول: أراد الحائط أن يسقط، ولا تقول: أراد الحائط أن يسقط إرادة شديدة) [2].

ولذا حملوا "الكلام "أو "التكليم"في الآية على الحقيقة وحدها. وقد خالفه (كذا) المفسرون إلى الصواب، فقالوا: أصبح فارغا من كل شيء إلا من أمر موسى، كأنها لم تهتم بشيء —مما يهتم به الحي —إلا أمر ولدها) [*]، قال الطوفي (﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ النساء: ١٦٤ يحتج به الصوتية على أنه كلمة بحرف وصوت، ووجهه أنه أكد الفعل بالمصدر إرادة لحقيقة الكلام وهو بالحرف والصوت .

احتج آخرون بما سبق، وبأنه إنّما أكّده بالمصدر لئلا يظن أنّه كلّمه إلهاما أو في الرؤيا أونحو

---

[1]- البرهان في علوم القرآن .ج1.ص: 398.-وانظر كلام ابي عبيدة في: مجاز القرآن .ج2.ص: 98. مكتبة الخانجي – مصر – عرض وتعليق: د: محمد فؤاد سزكين .

- ومراده ب"بعض الأدباء ": ابن قتيبة، فقد قال في تفسير الآية المذكورة: قال أبو عبيدة ."فارغا من الحزن لعلمها أنه لم يقتل "، أو قال: لم يغرق "ثم قال ابن قتيبة: وهذا من أعجب التفسير .كيف يكون فؤادها من الحزن فارغا في وقتها ذاك، والله سبحانه يقول: "لولا أن ربطنا على قلبها "وهل يربط إلا على قلب الجازع والمحزون ؟ والعرب تقول للخائف والجبان "فؤاده هواء" لأنه لا يعي عزما ولا صبرا . قال الله: ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ إبراهيم: ٤٣.

[2]- تأويل مشكل القرآن.ص:111 . دار التراث – القاهرة . ط2 / 1393 ه – 1973 م . شرحه ونشره: السيد أحمد صقر .

[*] تفسير غريب القرآن .ص: 328، 329 . دار إحياء الكتب العلمية . عيسى البابي الحلبي وشركاؤه / 1378ه – 1958 م . تحقيق: السيد أحمد صقر.

- وانظر تفسير الآية في: جامع البيان للطبري، والبحر المحيط .لأبي حيان الأندلسي.

ذلك)[1]. وقال – أي ابن قتيبة – في تفسير قوله سبحانه: ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴾ الرحمن: ٣١.

(والله تعالى لا يشغله شأن عن شأن) ومجازه: سنقصد لكم بعد طول الترك والإمهال .

وقال قتادة: قد دنا من الله فراغ لخلقه، يريد: أن الساعة قد أزفت وجاء أشراطها) [2].

وفي لفظ "الأم"المستعمل في القرآن الكريم وفي لغة العرب استعمالات متعددة وسياقات مختلفة قال: (وكانت العرب تسمي الأرض أمّا، لأنّها مبتدأ الخلق، وإليها مرجعهم، ومنها أقواتهم، وفيها كفايتهم وقال أمية بن أبي الصلت[3]:

و الأرض معقلنا وكانت أمّنا ***** فيها مقابرنا وفيها نولد .

...وقال الله تعالى في الكافر: "فأمه هاوية " لما كانت الأم كافلة الولد، وغاذيته، ومأواه ومربيته، وكانت النار للكافر كذلك –جعلها أمّه–.

وقال في أزواج النبي ﷺ " وأزواجه أمّهاتهم " أي كأمّهاتهم في الحرمات) [4].

ولعل الغالب على النصوص العربية والآيات القرآنية وأحاديث رسول الله ﷺ جريانها على الظواهر والحقائق وهي كل كلام بقي على موضوعه وهذا أكثر الكلام، وأكثر ما يأتي من الآي على هذا [5]

لأنه الأصل ولما يمكن أن يقود إليه الحمل على غيرها كالمجاز وغيره من خطإ في الفهم إذ (من جهته –أي المجاز– غلط كثير من الناس في التأويل، وتشعّبت بهم الطرق، واختلفت النحل)[6] بسبب

---

[1]- الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية .تفسير القرآن العظيم .ص: 191. دار الكتب العلمية – بيروت . ط1/ 1426 ه- 2005 م . تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل .

[2]- تأويل مشكل القرآن.ص: 105.

[3]- شاعر عربي ، من قبيلة ثقيف ، كان يعيش في الطائف ، وأبوه أبو الصلت عبد الله ، وأمه رقية بنت عبد شمس بن عبد مناف .انظر : دائرة المعارف الإسلامية .1202/4.

[4]- تأويل مشكل القرآن.ص: 104.

[5]- البرهان . للزركشي.ج2.ص: 375، 376 .

[6]-تأويل مشكل القرآن.ص: 103.

سوء فهم المجاز، وتوسيع دائرة استعماله، وتوظيفه في غير موضعه، فغدا التأويل مفرّقا لجميع المسلمين، وعامل سفك دماء بعضهم بعضا، فبعث في المجتمع المسلم البلايا والمصائب والفتن، حيث تستر وراءه كل مبطل منحرف زائغ عن طريق الهداية، حتى قيل: (لو نزل رغيف من السماء مكتوب عليه حرام لقال المؤولون: أي على غيرنا) [1] و السلامة في إخضاع نصوص القرآن والسنة لما تمليه مقتضيات اللغة من توضيح للمعنى، وبيان لمراميه، جرى هذا على ظاهر اللغة أو خالفه، طالما أن ما أفاده صحيح بحكم قابلية هذه اللغة للاحتمال وللتأويل اللذين يضيفان إلى نصوصها من المعاني واتساع المفاهيم إذا كانا -الاحتمال والتأويل- على هدى مما عليه منطقها وطرقها في الاستدلال على كثرة المعاني فيها الشيء الكثير[2].

وللغزالي -رحمه الله تعالى - في هذا المقام كلام لعله يلخص ويختصر أكثر ما قيل، قال: (إنّ السرّ في تأويل.. الألفاظ أطم وأعظم من استجازة الاختراع والوضع على رسول الله ﷺ لما هو في نفسه حق ولكن لم ينطق به الشرع، لأنها - يعني تأويل الألفاظ - مبدلة للثقة بالألفاظ وقاطعة طريق الاستفادة والفهم من القرآن بالكلية) [3]، ولا شك أنه يعني حمل الألفاظ على غير ما تمليه طبيعة اللغة كما قلت، وخير الأمور أوساطها . (فإن الإفراط في فهم النص على الظاهر وعلى الحرفية فيه تجاهل لمقاصد النص ولسياقه يترتب عليه تأويل بغير قواعد التفسير الطبيعية، وزيغ بالنص إلى ما يحب المؤول أن يوجهه إليه من المعاني، وهكذا يلتقي المنهجان: منهج الظاهر والحرفية من جهة، ومنهج التأويل بغير قواعد التفسير الطبيعية من جهة أخرى في تجاهل لغة الخطاب خدمة لمقاصد المفسر) [4]، والمسلك القويم أن لا نلوي عنق اللفظة أو النص انتصارا لمذهب أو اتباعا لهوى في النفس، وقد بذل المفسرون أقصى ما يستطيعون حتى يبعدوا القرآن الكريم عن كل هذه النقائص، فجاءت تجربة أكثرهم في كشف معاني القرآن وتوجيهها أكمل التجارب وأثراها في مواجهة المعنى) [5]، لأنهم لم

---

[1]- النص القرآني بين التفسير والتأويل .عبد الفتاح ابراهيم سلامة .ص: 05.

[2]- انظر: دراسات إسلامية -التأويل الصحيح-ص: 98.

[3]- إحياء علوم الدين .ج1.ص: 65 .

[4]- قضايا اللغة في كتب التفسير -المنهج - التأويل -الإعجاز .د: الهادي الجطلاوي ص: 108 كلية الآداب -سوسة دار محمد علي الحامي-صفاقس-تونس .ط1/1998م.

[5]- قضايا اللغة في كتب التفسير .ص: 13.

يجعلوا لما يجول في خلدهم من عواطف ورغبات وانفعالات حاكمة على القرآن الكريم الذي يحْكم ولا يُحكم عليه، وجريانه على معهود العرب في خطابهم ليس مبررا للسامع أن يفهمه على النحو الذي يريد من غير التزام بمراد المتكلم به جل جلاله [1].

إن المتعامل مع القرآن الكريم تفسيرا لألفاظه وشرحا لمعانيه عليه أن يعلم أن هذا الأمر يحتاج إلى ضم الآيات المتشابهة في ألفاظها ومعانيها فلعل بعضها مفسر لبعضها الآخر فنكون بهذا قد فسرنا متواترا بمتواتر، فإن لم يكن فلنبحث عن تفسير ذلك في سنة من أمر بتبيين معاني ما أنزل عليه ﷺ فإن لم يكن فما قاله صحابته أو من أخذوا عنهم على ضوء من حركة العقل على النحو الذي رأينا، وحدود اللغة التي بيّنا، فإن من فوائد الوحي أن يعرف الإنسان ما لا يبلغه بعقله، وإلا كانت النبوّات والرسالات عديمة الفائدة طالما أن العقل البشري يمكنه أن يدرك ويصل إلى ما يأتي به الوحي، إذ لا شيء يستعصي عليه أو لا يدخل تحت سلطانه -بزعم بعض- فالوحي رسم له حدوده وحدد له مجال عمله وميدان اختصاصه وليس هذا انتقاصا منه، وليس عيبا في ميزانه لأنّه ميزان دقيق، ولكن العيب أن يزن ما ليس من اختصاصه، قال ابن خلدون: (اتبع ما أمرك الشارع به من اعتقادك وعملك فهو أحرص على سعادتك وأعلم بما ينفعك لأنه من طور فوق إدراكك، ومن نطاق أوسع من نطاق عقلك، وليس ذلك بقادح في العقل ومداركه، بل العقل ميزان صحيح فأحكامه يقينية لا كذب فيها، غير أنك لا تطمع أن تزن به أمور التوحيد والآخرة، وحقيقة النبوة وحقائق الصفات الإلهية وكل ما وراء طوره، فإن ذلك طمع في محال، ومثال ذلك رجل رأى الميزان الذي يوزن به الذهب فطمع أن يزن به الجبال) [2].

وكما للعقل ميزان ومجال للعمل كذلك للغة حدود (فغير جائز صرف الكلام عما هو في سياقه إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم لها، من دلالة ظاهر التنزيل، أو خبر عن الرسول تقوم به حجة، فأما الدعاوى فلا تتعذر على أحد) [3].

---

[1]- انظر: معايير القبول والرد لتفسير النص القرآني .ص: 130.

[2]- مقدمة ابن خلدون . ج1 .ص: 509، دار الجيل – بيروت .

[3]- جامع البيان عن تأويل آي القرآن .ج6.ص: 23.

وحتى نميّز خبيث القول من التفسير في كتاب الله تعالى من طيبه لا محيص عن ميزان الشريعة المشتمل على الأشياء المذكورة الفاصلة بين أهل الحق وبين ما ذهب إليه المتلاعبون بالشريعة المبطلون والمحرّفون لمعاني نصوصها وقد قيل: (من أراد أن لا يضلّ فلا يرم ميزان الشريعة من يده طرفة عين، بل يستصحبها ليلا ونهارا، عند كل قول وفعل واعتقاد) [1]، لأن من يتصدى لهذا الأمر العظيم وهو تفسير كتاب الله تعالى عليه (أن يتجرّد من الآراء المذهبية، ويوطّن نفسه على تقبل ما تفيده الآية وتدلّ عليه، ويرجع عما كان يراه أو يعتقده بخلافها، (ذلك) لأن القرآن حجة الله على خلقه، وعهده إلى عباده، إليه يتحاكمون وعن حكمه يصدرون، ولا يجوز له أن يتمحّل في تأويل الآية، ويتطلّب الوجوه البعيدة في الإعراب، أو يحملها على المعاني التي لا تتفق مع سياقها، أو سبب نزولها لتفيد رأي فلان، أو عقيدة فلان، فإن هذا تحريف لكلام الله تعالى وتغيير لمعانيه، وهو منشأ بدع التفاسير) [2] التي ربّما جعلت الأصل وهو الظاهر تاليا أو مبعدا مع أن عليه المعول، وأحلت محله زخرف القول زاعمة أن المعنى هو هذا في حين أنه لا يعدوا أن يكون هوى جمح بصاحبه فأصمّه وأعمى بصره وأظهر لعقله الباطل في صورة الحق.

إن القفز فوق هذا الكنز اللغوي الذي كان ثمرة جهود مضنية قعّدت القواعد،وضبطت الأساليب والتراكيب وقوانين الألفاظ ووضعت المعاجم وكتب الغريب، والنحو والصرف والبلاغة والأدب وتاريخ العرب الثقافي والاجتماعي، وتناقلت كلام العرب المنثور والمنظوم ولا غاية لأصحابها من وراء ذلك إلا الذود عن حياض الشريعة مبرّأة من الزيف والتحريف، لأنهم أدركوا (-عن علم بالعربية واسع وعميق — أن الانحراف بالكلمة عن موضعها تشويه لمعناها، وأن الميل بها عن قاعدة نظمها من التركيب هدم لمعنى العبارة، وعلموا أحسن العلم أن في هذا الميل والانحراف تضييعا وعبثا بأحكام الإسلام والقرآن) [3].

إن علم التفسير شأنه عظيم والخطأ فيه ليس كالخطإ في غيره من العلوم (لأنه كلام متكلم لم

---

[1]- مجموعة رسائل ابن عربي .المجلد الثاني —المجموعة الثانية —ص: 360، 361 .دار المحجة البيضاء —بيروت، دار الرسول الأكرم - صلى الله عليه وسلم —ط1/1421ه-2000م.

[2]- كتاب بدائع التفسير .لأبي الفضل عبد الرحمان الصديق الغماري الحسني الإدريسي .ص: 11.

[3]- معايير القبول والرد لتفسير النص القرآني .ص: 139، نقلا عن غيره.

يصل الناس إلى مراده بالسماع منه، ولا إمكان للوصول إليه) [1] وقد نص العلماء على أن صحة المعتقد ولزوم أحكام الدين بالإضافة إلى المعرفة الواسعة بلغة هذا الكتاب الكريم شرط فيمن ندب نفسه لهذا الأمر الجلل (فإن من كان مغموصًا عليه في دينه لا يؤتمن على الدنيا فكيف على الدين ؟ ثم لا يؤتمن من الدين على الإخبار عن عالم، فكيف يؤتمن في الإخبار عن أسرار الله تعالى[2]، ثم كيف يشرق بمعاني القرآن قلب صور الشبهات منطبعة في مرآته، وكيف يطمع أن تفتح له الأسرار و لم يستسلم عقله لمراد مولاه، وغفل عن سعة معاني كتاب ربه ومرتجاه، ونسي أن هذا القرآن بحره عميق وفهمه دقيق، لا يصل إليه (الفهم) (إلا من تبحر في العلوم، وعامل الله بتقواه في السر والعلانية وأجله عند مواقف الشبهات، واللطائف والحقائق لا يفهمها إلا من ألقي السمع وهو شهيد) [3]، وفهم القرآن لا يتوقف على معرفة مدلولات الألفاظ التي يمكن أن يصلها البر والفاجر وهي بين يدي الناس في مظانها المختلفة لكنها لا تكشف عن أشياء كثيرة مخبوءة وراء تلك الألفاظ فتأتي المعاني التي تحتملها الألفاظ في صورتها المركبة لتسفر عن الكنوز المخبوءة وراء سرادقات الألفاظ وهذا هو المضمار الذي يتفاوت فيه الناس، وتكون المعاناة فيه أشدّ لأنه ثمرة عمل العقول مع ما يصاحبه من الفتوح، والناهضون بهذا الحمل معدودون في القلة القليلة ممن تصدّوا لتفسير القرآن والكشف عن أسراره ومعانيه، وهذا لا يحصل لمن كان (في قلبه بدعة أو إصرار على ذنب أو في قلبه كبر أو هوى أو حبّ الدنيا ...(فـ) هذه كلها حجب وموانع وبعضها آكد من بعض) [4]، بل يحصل لمن كان (مصغيا إلى كلام ربه،ملقيا السمع وهو شهيد القلب لمعاني صفات مخاطبه ناظرا إلى قدرته ... متبرئا من حوله وقوّته، معظما للمتكلم مفتقرا إلى التفهّم بحال مستقيم، وقلب سليم، وقوّة علم، وتمكّن سمع لفهم الخطاب ... بدعاء وتضرّع، وابتئاس وتمسكن، وانتظار للفتح عليه من عند الفتاح العليم)[5]. صحيحا مخلصا في القصد إلى ربّه بالزهد في الدنيا (لأنه إذا رغب فيها لم يؤمن أن يتوسل

---

[1]- البرهان في علوم القرآن .للزركشي .ج1.ص: 109.

[2]- الإتقان في علوم القرآن .للسيوطي .ج4.ص: 174.

[3]- البرهان في علوم القرآن .ج2.ص: 289، 290 .

[4]- المصدر نفسه .ج2.ص: 319، 320 .

[5]- المصدر نفسه.ج2.ص: 320.

به إلى عرض يصده عن صواب قصده ويفسد عليه عمله) [1] فيحرم التسديد ولن يأخذ منه مع التسديد إلا بقدر ما (يأخذ المخيط إذا أدخل البحر كما يقول الزرقاني)[2]" (أما النور كله، والهدى كله، فذاك سرّ من أسرار الربوبية، وكنز من كنوز الألوهية، وشتان ما بين علم الخالق وعلم الخلق، وأين كمال السيّد من نقص العبد) [3].

فإن كان هذا هو حدّ العقل ومداركه، وهذا هو المدى الذي تقف عنده اللغة في فهم نصوص الوحي، فما مستويات المعاني الظاهرة والخفية أو الظاهر والباطن باعتبارهما نتاج العقل واللغة مجتمعين؟.

[1]- الإتقان في علوم القرآن .ج4.ص: 175.

[2]- مناهل العرفان في علوم القرآن .ج2.ص: 116.

[3]المرجع نفسه.ج2.ص: 118.

المبحث الثالث: الظاهر والباطن:

كانت قضية الظاهر والباطن، وما تزال من أهم المسائل المثيرة للجدل في المسار العلمي الإسلامي خاصة ما تعلق منه بتفسير القرآن الكريم، وهي قديمة قدم النزول القرآني نفسه .

إنّ التفاسير القائمة على جحود المعاني الظاهرة للقرآن، السالكة لسبل الهوى السائرة عبر مسارات منحرفة، المدّعية للمعارف العرفانية الروحية، المؤولة للنص تأويلا باطنيا محضا، والتي لا يضبط حركتها ضابط من لغة أو نقل أو عقل، عدّها من التفسير جناية على كتاب الله، وظلم للصادقين من أهل الله، واعتداء سافر على أولئك الذين أسهروا ليلهم وأتعبوا نهارهم لا غاية لهم إلا الوصول إلى فهم صحيح أو قريب من الصحة لكتاب ربّهم، فإقحام من ذكرنا أوصافهم في صفوفهم ظلم لهم وأيّ ظلم !.

إن الشرود العقلي والبلادة الروحية، والجهل المطبق بمعرفة الطريق الموصلة إلى الله جلّ جلاله،بالإضافة إلى العبث بمعاني ألفاظ العربية، وعدم الإلتفات إلى المنقول عمن نزل عليه القرآن ﷺ أو من شاهد نزوله وعاين ما كان له سبب نزول، وما نزل منه ابتداء من غير سبب تجعلنا نقول في غير تردد ونحكم في غير هيّب أن من لم يرع حدود ما ذكر لا حق له في الدخول إلى حمى الكتاب الكريم تفسيرا وتأويلا .

فقد كانت هذه العوامل مجتمعة أو بعضها سببا لبلبلة وانحرافات في مسار الفكر والحياة العلمية والاجتماعية الإسلامية خطيرة لم تستطع الأمة التملص منها إلى اليوم، لأن "الخليط" الذي حضروه كان عجيبا، بعضه فارسي، وبعضه وثني يوناني، وآخر هندي، وبعضه يهودي، وأريد لكل هذا أن يُصبّ في قالب إسلامي، بل أن يكون منه .

إن من كان ظاهر كلامه مخالفا لظاهر الشريعة رد وإن كان من أهلها، إذ لا يحسن ظن بمن خالف الشرع في قول أو عمل —كما يقول ابن خلدون [1]، فكيف بمن فسر القرآن أو تكلم في بعض آياته وهو تحت مظلة غير مظلة الإيمان، فكلامه أحق وأولى بالرد، وقد قال الغزالي —رحمه الله—: (إن

[1]- شفاء السائل وتهذيب المسائل . لابن خلدون . ص: 221 . الدار العربية للكتاب / 1991م، مع دراسة تحليلية للعلاقة بين السلطان الروحي والسلطان السياسي . للدكتور: أبي يعرب المرزوقي ..

سالك سبيل الله قليل، والمدّعي فيه كثير ...(والصادق) من كانت (جميع أفعاله الاختيارية موزونة بميزان الشرع، إذ لا يمكن سلوك هذا السبيل إلا بعد التلبس بمكارم الشريعة كلها) [1].

لأن الشريعة حق وما سواها مما يتوهّم أنّه حقيقة مع ما فيه من مخالفة ظاهرة للشريعة .زندقة وانحراف عن سواء السبيل، والعصمة فيها لا في ذوق الذائقين، ووجد المتواجدين، وعقول العاقلين، وإلهام الملهمين وكشف المكاشفين .

والتفسير الإشاري لم يجر على وتيرة واحدة، ولم يسلك أصحابه مسلكا يبعدهم عن الظنون السوء بل خلطوا عملا صالحا وآخر سيّئا، بل منهم من هدم الجدار الذي حمى النص الكريم حتى لا يتسلل إليه ويدخل ساحته من كان حاملا لبذور الاعتداء على تلك الحدود أو هدم ذلك الجدار .

كما كان منهم أيضا من أتى البيوت من أبوابها، فلم يركب متن عمياء بل جعل من ظاهر القرآن أصلا ومنطلقا للعبور إلى ساحة الفهم الممتدة إلى غير نهاية، الأمر الذي حماهم إلى حد بعيد من مصادمة هذا الظاهر وهم يفتشون عن معانٍ جديدة في الكتاب الكريم، وجنّبهم مواقع الغلط في الفهم والاستنباط، ومن صحّ منهجه بداية صحّت استنباطاته وإدراكاته أخيرا، ومن فسد منهجه ابتداء فسدت فهومه واعوجّت معانيه انتهاء وربما هلك.

و المعتبر في كل ذلك هو المواءمة بين ظواهر الآيات والنصوص الكريمة وبين المعاني الباطنية التي أشارت إليها تلك النصوص، لأن (اتفاق الباطن والظاهر...هو الأكمل في حق طالب النجاة، وهذا هو معنى ما يقوله بعض الأكابر من أن للشريعة ظاهرا وباطنا، بمعنى أن لها حكما على المكلّفين من حيث ظاهر أعمالهم، وحكما عليهم من حيث باطن أعمالهم، لا ما يموه من بعض الباطنية من أقوال سفاسفة ناقضة لمعاقل الشريعة تقتضي أن الشّارع أظهر حكما وأبطن آخر، تعالى الله عمّا يقولون)[2].

و معلوم أنه لم يثبت عن صحابة رسول الله ﷺ خروج عن ظاهر النّص إلى معان وفهوم بعيدة أشارت إليها الآيات تناقض ظاهرها أو تصادم نصّا نبويّا، مع أنّهم نصّوا على معان كثيرة لم

---

[1]- ميزان العمل .ص: 399.

[2]- شفاء السّائل وتهذيب المسائل. لابن خلدون. ص: 14.

يسمعوها من رسول الله ﷺ ملأ بها المفسّرون قبل الطّبري مؤلّفاتهم وجمع أكثرها ابن جرير في تفسيره العظيم، لم يعرف في أقوالهم الكثيرة –كما قلت– تناقض بين ظواهر الشّريعة وتلك المعاني الجديدة التي استنبطوها. وهو المنهج الذي سار عليه المحقّقون من الصّوفيّة من اشتغل منهم بالتّفسير ومن لم يشتغل، فجعلوا ما وصلوا إليه وما فتح الله به عليهم من المعاني ثمرة توافق بين هذا وذاك والإسلام شامل لمعنى الظّاهر، ولمعنى الباطن، والشّريعة والحقيقة اسمان لمسمّى واحد هو الإسلام، والفصل بينهما اقتضاه تفهيم الإسلام وتوضيح أحكامه الفقهيّة والسّلوكيّة الظّاهرة والباطنة، ولا يشترط في الفهم الظّاهر إلّا أن يكون موافقا للّغة التي نزل بها هذا الكتاب الكريم، ولا يخالف نصوص الشّرع الأخرى . وشرط الباطن أيضا ألّا يخالف ما تواضع عليه أهل هذه اللّغة حتى لا يسدّ مجرى الخطاب العربي، بالإضافة إلى شاهد من الشّرع يقرّ بصحّة المعنى الجديد والفهم المستنبط حتى لا يصبح المعنى الجديد مجرّد دعوى لا دليل عليها ولا شاهد يشهد بها على صحّته [1] .

[1]- انظر: الموافقات 333/3

أولا: الظهر: المعنى اللغوي:

قال ابن فارس: (" ظهر " الظاء والهاء والراء أصل صحيح واحد يدلّ على قوّة وبروز، من ذلك: ظهر الشّيء يظهر ظهورا فهو ظاهر إذا انكشف وبرز، ولذلك سمّي وقت الظّهر والظّهيرة وهو أظهر أوقات النّهار وأضوؤها، والأصل فيه كلّه ظهر الإنسان، وهو خلاف بطنه، وهو يجمع البروز والقوّة...ومن الباب: ظهرت على كذا إذا اطلعت عليه والظّهير: البعير القويّ. والظّهير: المعين كأنّه أسند ظهره إلى ظهرك. والظّهور: الغلبة، قال الله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا ظَٰهِرِينَ﴾ الصف: ١٤...والظّهري: كل شيء تجعله يظهر، أي تنساه كأنك قد جعلته خلف ظهرك، إعراضا عنه وتركا له، قال الله سبحانه: ﴿وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾هود: ٩٢وقد جعل فلان حاجتي بظهر إذا لم يقبل عليها بل جعلها وراءه)[1].

وقال الأزهري-بعد ذكره لآية النور-: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾النور: ٣١ وذكر بعض ما قيل في معناها قال: (قال اللّيث: الظّهر: خلاف البطن من كل شيء، وكذلك الظّهر من الأرض: ما غلظ وارتفع، والبطن: ما رقّ واطمأنّ) [2]. ونقل الأزهريّ عن الأصمعيّ أنّه قال: (يقال: هاجت ظهور الأرض، وذلك ما ارتفع منها، ومعنى هاجت: أي يبس بقلها) [3]. وقال الأزهريّ أيضا: (وفي الحديث: "فاظهر بمن معك من المسلمين إليها "، أي اخرج بهم إلى ظاهرها وأبرزهم...، وقال اللّيث: الظهور: بدوُّ الشّيء الخفيّ، والظهور: الظفر بالشّيء والإطّلاع عليه، يقال: أظهر الله المسلمين على الكافرين: أي: أعلاهم عليهم) [4].

وقال أيضا: (ويقال: ظهر فلان الجبل: إذا علاه، وظهر السطح ظهورا: علاه) [5]. وقال ابن

---

[1]- معجم مقاييس اللغة. ج3. ص: 471 .

- وانظر: أساس البلاغة . للزمخشري . ص: 404، 405 . دار صادر-بيروت. 1399ه/1979م.

[2]- تهذيب اللغة. ج6.ص: 244.

[3]- المصدر نفسه. ج6.ص: 247.

[4]- المصدر نفسه. ج6.ص: 254.

[5]- المصدر نفسه. ج6.ص: 257.

...ويقال: أراد بالظّواهر أعلى مكة... والظُّهار: الريش، قال ابن سيدة: الظُّهران الريش الذي يلي الشمس والمطر من الجناح) [1].

وقال: (والظَّهَرَة بالتحريك: ما في البيت من المتاع والثياب. وقال ثعلب: بيت حسن الظَّهَرَة والأَهَرة، فالظَّهَرة ما ظهر منه والأَهَرة ما بطن منه...وأظهرنا الله على الأمر: أطلَع. وقوله في التنزيل العزيز: "فما اسطاعوا أن يظهروه " أي ما قدروا أن يعلوا عليه لارتفاعه) [2].

وقال: (والظّاهرة: العين الجاحظة . النضر: العين الظاهرة التي ملأت نُقرة العين، وهي خلاف الغائرة... وظهر الشيء بالفتح ظهورا: تبين، وأظهرت الشيء بينته، والظهور: بدو الشيء الخفي، يقال: أظهرني الله على ما سرق مني أي أطلعني عليه) [3]

وقال ابن الأثير : ((ظهر) في أسماء الله تعالى "الظاهر" وهو الذي ظهر فوق كل شيء وعلا عليه، وقيل: هو الذي عرف بطريق الاستدلال العقلي بما ظهر لهم من آثار أفعاله وأوصافه . وفيه ذكْرُ "صلاة الظهر"...وقيل: لأنها أول صلاة أُظْهِرت وصُلِّيت)[4].

---

[1]- لسان العرب.ج8.ص: 277.

[2]- المصدر نفسه.ج8.ص: 278.

[3]- المصدر نفسه.ج8.ص: 279.

[4]- النهاية في غريب الحديث والأثر.ج3.ص: 164. دار إحياء الكتب العربية، عيسى الباي الحلبي وشركاؤه. تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي.

ثانيا: البطن: المعنى اللغوي:

وقد ذكر له الأزهري جملة من المعاني أورد منها بعض ما له تعلق بما نحن فيه من مثل قوله فيما نقل عن أبي حاتم والأصمعي: (بطن فلان بفلان يُبْطِن به بطونا: إذا كان خاصا به، داخلا في أمره .ويقال: إن فلانا لذو بطانة بفلان: أي ذو علم بداخلة أمره .ويقال أنت أبطنت فلانا دوني أي جعلته اخص بك مني، وهو مبطن: إذا أدخله في أمره وخص به دون غيره، وصار من أهل دخْلته، وقال الله – ﷻ-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ ﴾ آل عمران: ١١٨) [1].

وقال أيضا: (والنعمة الباطنة: التي قد خصت، والظاهرة: التي قد عمت ...ويقال: ألقت المرأة ذا بطنها: أي ولدت . وألقت الدجاجة ذا بطنها: إذا باضت ... ويقال: أنت أبطن بهذا الأمر: أي أخبر بباطنه .وتبطنت الأمر: أي علمت باطنه . وتبطنت الوادي: أي دخلت بطنه وجوّلت فيه) [2] وقال: (ويقال: استبطن الفحل الشول: إذا ضربها كلها فلُقحت، كأنه أودع نطفته بطونها)[3].

وقال ابن فارس: ("بطن" الباء والطاء والنون أصل واحد لا يكاد يخلف، وهو إنسي الشيء والمقبل منه . فالبطن خلاف الظهر . تقول بطنت الرجل إذا ضربت بطنه ...وباطن الأمر دُخلته، خلاف ظاهره .والله تعالى هو الباطن، لأنه بطن الأشياء خبرا .تقول: بطنت هذا الأمر إذا عرفت باطنه ... والبُطِن: الخميص البطن ...والبِطان بِطان الرجل وهو حزامه، وذلك انه يلي البطن .ومن هذا الباب قولهم لدخلاء الرجل الذين يبطنون أمره: هم بطانته .قال الله تعالى: "لا تتخذوا بطانة من دونكم ...") [4].

وقال ابن منظور: (بطن: البطن من الإنسان وسائر الحيوان معروف خلاف الظهر...وجمع البطن أبطن وبطون وبطنان...وتصغير البطن بطين ...وفي صفة عيسى –على نبينا وعليه أفضل الصلاة

---

[1]- تهذيب اللغة .ج13.ص: 372.

[2]- المصدر نفسه .ج13.ص: 375.

[3]- المصدر نفسه.ج13.ص: 377.

[4]- معجم مقاييس اللغة .ج1.ص: 259.

والسلام –: فإذا رجل مبطن مثل السيف ؛ المبطّن: الضامر البطن) [1].

وقال: (وأفرشني ظهر أمره وبطنه أي سره وعلانيته، وبطن خبره يبطنه، وأفرشني بطن أمره وظهره، ووقف على دخلته .وبطن فلان بفلان يبطن به بطونا وبطانة إذا كان خاصا به داخلا في أمره ... ويقال: أنت أبطن بهذا الأمر، أي أخبر بباطنه. وتبطنت الأمر: علمت باطنه) [2].

وعند ابن الأثير: ("بطن" في أسماء الله تعالى "الباطن" هو المحتجب عن أبصار الخلائق وأوهامهم، فلا يدركه بصر ولا يحيط به وهم، وقيل هو العالم بما بطن، يقال بطنت الأمر إذا عرفت باطنه... وفي صفة القرآن: "لكل آية منها ظهر وبطن" أراد بالظهر ما ظهر بيانه وبالبطن ما احتيج إلى تفسيره) [3].

ويشبه أن يكون التعريف اصطلاحيا، ومثله قول ابن منظور: (والباطن من أسماء الله ﷻ، وفي التنزيل العزيز: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ الحديد: ٣، وتأويله ما روي عن النبي ﷺ في تمجيد الرب: اللهم أنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، وقيل: معناه أنه علم السرائر والخفيات كما علم كل ما هو ظاهر للخلق، وقيل: الباطن هو المحتجب عن أبصار الخلائق وأوهامهم فلا يدركه بصر ولا يحيط به وهم، وقيل: هو العالم بكل ما بطن .يقال: بطنت الأمر إذا عرفت باطنه) [4].

والظاهر والباطن عند "الكفوي ": (أبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني ت: 1094ه-1683م)[5] (لا يقال إلا مزدوجين كالأول والآخر . وهو الظاهر: آية، لكثرة آياته ودلائله .و الباطن: ماهية،

---

[1] -لسان العرب .ج1.ص: 433.

[2] -المصدر نفسه .ج1.ص: 435.

- وانظر أساس البلاغة. للزمخشري .ص: 43.

[3] -النهاية في غريب الحديث والأثر .ج1.ص: 136.

[4] -لسان العرب .ج1.ص: 434.

-وانظر تهذيب اللغة .ج13.ص: 374.ففيه بعض ما في "اللسان".

[5] - صاحب "الكليات " كان من قضاة الأحناف توفي بأسطنبول و له كتب بالتركية .

- انظر ترجمته في : إيضاح المكنون .2 / 312 ، معجم المؤلفين .3 / 31 ، الأعلام . 2 / 38 .

والسلام –: فإذا رجل مبطن مثل السيف ؛ المبطَّن: الضامر البطن) [1].

وقال: (وأفرشني ظهر أمره وبطنه أي سره وعلانيته، وبطن خبره يبطنه، وأفرشني بطن أمره وظهره، ووقف على دخلته .وبطن فلان بفلان يبطن به بطونا وبطانة إذا كان خاصا به داخلا في أمره ... ويقال: أنت أبطن بهذا الأمر، أي أخبر بباطنه. وتبطنت الأمر: علمت باطنه) [2].

وعند ابن الأثير: ("بطن" في أسماء الله تعالى "الباطن" هو المحتجب عن أبصار الخلائق وأوهامهم، فلا يدركه بصر ولا يحيط به وهم، وقيل هو العالم بما بطن، يقال بطنت الأمر إذا عرفت باطنه... وفي صفة القرآن: "لكل آية منها ظهر وبطن" أراد بالظهر ما ظهر بيانه وبالبطن ما احتيج إلى تفسيره) [3].

ويشبه أن يكون التعريف اصطلاحيا، ومثله قول ابن منظور: (والباطن من أسماء الله ﷻ، وفي التنزيل العزيز: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ الحديد: ٣، وتأويله ما روي عن النبي ﷺ في تمجيد الرب: اللهم أنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، وقيل: معناه أنه علم السرائر والخفيات كما علم كل ما هو ظاهر للخلق، وقيل: الباطن هو المحتجب عن أبصار الخلائق وأوهامهم فلا يدركه بصر ولا يحيط به وهم، وقيل: هو العالم بكل ما بطن .يقال: بطنت الأمر إذا عرفت باطنه) [4].

والظاهر والباطن عند "الكفوي ": (أبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني ت: 1094ه-1683م)[5] (لا يقال إلا مزدوجين كالأول والآخر . وهو الظاهر: آية، لكثرة آياته ودلائله .و الباطن: ماهية،

---

[1]-لسان العرب .ج1.ص: 433.

[2]-المصدر نفسه .ج1.ص: 435.

– وانظر أساس البلاغة. للزمخشري .ص: 43.

[3]-النهاية في غريب الحديث والأثر .ج1.ص: 136.

[4]-لسان العرب .ج1.ص: 434.

-وانظر تهذيب اللغة .ج13.ص: 374.ففيه بعض ما في "اللسان".

[5]– صاحب "الكليات " كان من قضاة الأحناف توفي بأسطنبول و له كتب بالتركية .

– انظر ترجمته في : إيضاح المكنون .2 / 312 ، معجم المؤلفين .3 / 31 ، الأعلام . 2 / 38 .

لاحتجاب حقيقة ذاته عن نظر العقول بحجب كبريائه. وقال بعضهم: الظاهر: إشارة إلى معرفتنا البديهية، فإن الفطرة تقتضي في كل ما نظر إليه الإنسان أنّه تعالى موجود كما قال: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ الزخرف: ٨٤، ولذلك قال بعض الحكماء: مثل طالب معرفته مثل من طوّف الآفاق في طلب ما هو معه .والباطن: إشارة إلى معرفته الحقيقية، وهي التي أشار إليها أبو بكر - ﷺ - بقوله: يا من غاية معرفته القصور عن معرفته) [1] .

إن الملاحظ على التعريفات اللغوية لمادة: ظهر، بطن أنها دائرة معانيها في مجملها على:

-(الوضوح، والبيان، والقوة، والعلو) [2] في الأولى – أعني الظهر - وهي مجتمعة في المواطن التي تزيد عن الثمانية والعشرين في كتاب الله تعالى من نحو قوله سبحانه: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ الأنعام: ١٥١، وقوله تعالى: ﴿ لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴾ التوبة: ٤٨، وقوله تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ الروم: ٤١، وقوله تعالى: ﴿ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ الشورى: ٣٣، وقوله جل جلاله: ﴿ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾ سبأ: ٢٢، وقوله عز وجل: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ١٠١ إلى آخر الآيات التي جمعت المعاني المذكورة.

-وعلى (الدخول والخفاء والخصوص) [3] في الثانية – أعني البطن - وقد ذكرت في مواضع متفرقة من كتاب الله تعالى. منها قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ الفتح: ٢٤،وقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم

---

[1]- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية .ص: 593.

[2]- معايير القبول والرد لتفسير النص القرآني .ص: 403.

[3]- المرجع نفسه .ص: 404 .

﴿ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ النور: ٤٥،وقوله تبارك اسمه:

﴿ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ الصافات: ١٤٤، وقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ الأنعام: ١٣٩، وقوله سبحانه: ﴿ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴾ الحج: ٢٠، وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾ النحل: ٦٦،إلى آخر الآيات التي تزيد ألفاظها في كتاب الله تعالى عن الخمسة عشر موضعا .

وقبل إيراد التعريف الاصطلاحي لـ "الظهر" و"البطن " لا بد من الإشارة إلى تعريف لغوي موجز للفظتين لهما ارتباط بالسابقتين ذكرا جنبا إلى جنب في بعض الآثار وهما: الحد والمطلع .

قال ابن الأثير: إن الحد معناه النهاية ومنتهى كل شيء حدّه، ومنه الحديث في صفة القرآن "لكل حرف حد" [1].

وقال في معنى: المطلع ("طلع "فيه في ذكر القرآن" لكل حرف حد،ولكل حد مطّلع " أي لكل حد مَصْعد يُصعد إليه من معرفة علمه .والمطلع: مكان الاطلاع من موضع عال . يقال: مُطّلع هذا الجبل من مكان كذا: أي مأتاه ومصعده .وقيل معناه: إن لكل حد منتهكا ينتهكه مرتكبه: أي أن الله ﷻ لم يحرم حرمة إلا علم أن سيطلعها مستطلع .

ويجوز أن يكون "لكل حد مطلع " بوزن مصعد ومعناه . ومنه حديث عمر: «لو أن لي ما في الأرض جميعا لافتديت به من هول المطّلع»[2] ويريد به الموقف يوم القيامة أو ما يشرف عليه من أمر الآخرة عقيب الموت، فشبهه بالمطّلع الذي يُشرف عليه من موضع عال) [3].

---

[1]- انظر: النهاية في غريب الحديث. ج1.ص: 353.بتصرف بسيط في التعريف تقديما وتأخيرا .

[2]- هذا الحديث في صحيح ابن حبان . ج15 .ص: 331 (رقم 6905) .

[3]- النهاية في غريب الحديث والأثر .ج3.ص: 132، 133 .

وانظر: أساس البلاغة للزمخشري .ص: 393، 394 .

ثانيا: المعنى الاصطلاحي:

وقد اختلف الناس في معنى "الظهر"و"البطن"و"الحد"و"المطلع"اختلافا شديدا، لكنه اتسع أكثر في الأولين منهما، فقد قال الزركشي –بعد ذكره لحديث الظهر والبطن والحد والمطلع–*: إن لمعناهما –يعني الظهر والبطن– أربعة أقوال:

– أحدهما: إنك إذا بحثت عن الباطن وقسته على الظاهر وقفت على المعنى، ونسب هذا إلى الحسن .

– الثاني: إن القصص القرآني ظاهرها الإخبار عن هلاك المتقدمين، وباطنها عظة للآخرين، ونسب هذا القول إلى أبي عبيدة (كذا) .

–الثالث: إن الآيات عمل بها أقوام، ولها أقوام سيعملون بها، ونسب القول إلى ابن مسعود، وينسحب هذا المعنى على كل آيات القرآن كما يفهم من كلام الزركشي .

–أما الرابع: فإن ظاهر الآيات، لفظها، وباطنها تأويلها .

ثم قال – مرجحا –: (وقول أبي عبيدة (كذا) أقربها) [1].

أما معنى "لكل حرف حد"عنده –رحمه الله –ففيه تأويلان:

–أحدهما: لكل حرف غاية ومنتهى فيما أراد الله من معناه .

– الثاني: لكل حكم مقدار من الجزاء ثوابا وعقابا .

وكذلك "ولكل حد مطلع "فيه قولان:

–أحدهما: أن لكل غامض من المعاني والأحكام مطلعا يتوصل إلى معرفته ويوقف على المراد به.

–والثاني: لكل ما يستحق من الثواب والعقاب مطلع يطلع عليه يوم القيامة ويراه عند المجازاة [2] بالإضافة إلى أقوال أخرى غير ما ذكر أوردها الزركشي .

---

*وهو ما ورد عن النبي –صلى الله عليه وسلم –أنه قال: ما نزل من القرآن من آية إلا ولها ظهر وبطن، ولكل حرف حد ولكل حد مطلع .

[1]- البرهان في علوم القرآن .ج2.ص: 169.

[2]- انظر: المصدر نفسه .ج2.ص: 169.

أما السهروردي[1](شهاب الدين عمر بن محمد بن عمّوية ت: 632ه)(*) فقد قال في معنى الحد والمطلع – من جملة ما قال –: (ويخالج سري أن يكون المطلع ليس بالوقوف بصفاء الفهم على دقيق المعنى وغامض السر في الآية، ولكن المطلع أن يطلع عند كل آية على شهود المتكلم بها، لأنها مستودع وصف من أوصافه، ونعت من نعوته، فتتجدد له التجليات بتلاوة الآيات وسماعها ...

ولقد نقل عن جعفر الصادق[2]رضي الله عنه أنه قال: لقد تجلى الله تعالى لعباده في كلامه ولكن لا يبصرون،فيكون لكل آية مطلع من هذا الوجه؛ فالحد حد الكلام، والمطلع: الترقي عن الكلام إلى شهود المتكلم) [3].

أما الجلال السيوطي – فبعد إيراده لثلاثة أحاديث في الظهر والبطن والحد والمطلع وهي:

–حديث الفريابي[4]عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: « لكل آية ظهر وبطن، ولكل حرف حد، ولكل حد مطلع ».

–وأخرج الديلمي من حديث عبد الرحمان بن عوف مرفوعا: « القرآن تحت العرش له ظهر

---

[1]– أبو حفص القرشي التيمي البكري السهروردي ، فقيه شافعي مفسر واعظ ، من كبار الصوفية ، مولده في سهرورد ، ووفاته ببغداد، كان شيخ الشيوخ ببغداد ، أقعد في آخر عمره ، فكان يحمل إلى الجامع في محفة ، له كتب منها " عوارف المعارف" ، "جذب القلوب إلى مواصلة المحبوب " و غيرها .

–انظر ترجمته في :طبقات الشافعية . 1/ 342 (رقم 651) ، وفيات الأعيان.3/ 446(رقم496) .الكواكب الدرية .492 – 495 (رقم 543) .الأعلام . الزركلي .5/ 62 .

* كتب اسم السهروردي على الغلاف: عبد القاهر بن عبد الله وهو خطأ وما أثبته هو الصحيح .

[2]– هو جعفر بن محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، و أمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ﷺ و أمها أسماء بنت عبد الرحمان بن أبي بكر ﷺ فكان يقول ولدني أبو بكر مرتين ، كان إماما نبيلا أخذ الحديث عن أبيه و جده لأمه ، وعروة و عطاء و نافع و الزهري ، مات مسموما سنة 148ه ..

– مصادر ترجمته : تذكرة الحفاظ. 1/ 126 (رقم 162) ، وفيات الأعيان .327/1(رقم 131) ،صفة الصفوة.1/ 432 – 435 (رقم 186) ، الكواكب الدرية .1/ القسم الأول .249 – 252 (رقم 77) .

[3]– كتاب عوارف المعارف .ص: 26.دار الكتاب العربي –بيروت.ط1/1966م.

[4]– هو محمد بن يوسف بن واقد الضبي التركي الأصل، أبو عبد الله الفريابي عالم بالحديث من الحفاظ ، روى عنه البخاري ستا وعشرين حديثا و له مسند في الحديث .

– انظر ترجمته في :تذكرة الحفاظ .1/ 275 (رقم 372) ، تهذيب الكمال .6 / 571 (رقم 6308)، الأعلام .147/7 .

وبطن يحاج العباد »[1] .

وحديث الطبراني[2] وأبي يعلى والبزار[3] وغيرهم عن ابن مسعود موقوفا: « إن هذا القرآن ليس منه حرف إلا له حد، ولكل حد مطلع»[4] . قال – أي السيوطي–: أما الظهر والبطن ففي معناه أوجه:

ثم ذكر ما أورده الزركشي من المعاني لم يخالف إلا في تركيبها تقديما وتأخيرا مع ترجيح ما رجّح الزركشي مع نسبة السيوطي قول ابن مسعود إلى ابن أبي حاتم راويه، وإضافته قولا خامسا:

قال: إن ابن النقيب حكاه وهو: (أن ظهرها ما ظهر من معانيها لأهل العلم بالظاهر وبطنها ما تضمنه من الأسرار التي أطلع الله عليها أرباب الحقائق) [5].

وأما معنى" لكل حرف حد" (أي منتهى في ما أراد الله من معناه . وقيل: لكل حكم مقدار من الثواب والعقاب .

ومعنى قوله: "ولكل حد مطلع " لكل غامض من المعاني والأحكام مطلع يتوصل به إلى معرفته، ويوقف على المراد به . وقيل: كل ما يستحقه من الثواب والعقاب يطلع عليه في الآخرة عند المجازاة، وقال بعضهم: الظاهر التلاوة والباطن الفهم، والحد أحكام الحلال والحرام، والمطلع الإشراف على الوعد والوعيد .

---

[1]- انظر حديث عبد الرحمان بن عوف في كتاب مشكاة المصابيح لمحمد عبد الله الخطيب التبريزي في كتاب فضائل القرآن .ج1. الفصل الثاني .ص: 658 (رقم 2133) و شرح السنة . للبغوي .ج13.ص: 22 (رقم 3433) .وانظر هذا الحديث و حديث الحسن الذي قبله في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح. الملا علي القاري . الفصل الثاني .2/ 158.

[2]– هو سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير ، الحافظ الإمام الحجة ، صنف "المعجم" الكبير ، الاوسط و الصغير ، (ت: 360ه).
– تذكرة الحفاظ .3/ 85 (رقم 875) ، وفيات الأعيان .2 / 407 (رقم 274) .

[3]– هو أحمد بن عمرو بن عبد الخالق أبو بكر البزار (ت: 292ه) ، حافظ من العلماء بالحديث من أهل البصرة ، حدث في آخر عصره بأصبهان و بغداد و الشام ، له مسندان أحدهما كبير سماه "البحر الزاخر" و الثاني صغير .
– انظر ترجمته في :تذكرة الحفاظ .2 / 166 (رقم 675) ، الأعلام .1 / 189 .

[4]– رواه الطبراني في المعجم الكبير .حديث رقم 8668 .ج9 .ص: 136 .

[5]- الإتقان في علوم القرآن .ج2.ص: 1220.

قلت –والكلام للسيوطي –: يؤيد هذا ما أخرجه ابن أبي حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس قال: "إن القرآن ذو شجون وفنون وظهور وبطون، لا تنقضي عجائبه، ولا تبلغ غايته، فمن أوغل فيه برفق نجا، ومن أوغل فيه بعنف هوى . أخبار وأمثال، وحلال وحرام، وناسخ ومنسوخ، ومحكم ومتشابه، وظهر وبطن، فظهره التلاوة وبطنه التأويل، فجالسوا به العلماء، وجانبوا به السفهاء) [1].

وقال الدهلوي (أحمد شاه ولي الله بن عبد الرحيم ت: 1176ه)[2] في معنى الحديث: (جاء في الحديث " لكل آية ظهر وبطن ولكل حد مطلع " فليعلم أن ظهر هذه العلوم الخمسة*شيء يكون مدلول الكلام ومنطوقه، والبطن في تذكير الله تفكر في الآلاء ومراقبة الحق – وفي التذكير بأيام الله معرفة مناط المدح والذم والثواب والعذاب من تلك القصص وقبول النصيحة ؛ وفي التذكير بالجنة والنار ظهور الخوف والرجاء، وجعل تلك الأمور رأي العين ؛ وفي آيات الأحكام استنباط الأحكام الخفية بالفحاوى والإيماءات، وفي محاجة الفرق الضالة معرفة أصل تلك القبائح وإلحاق مثلها بها، ومطلع الظهر معرفة لسان العرب ومعرفة الآثار المتعلقة بفن التفسير، ومطلع البطن لطف الذهن واستقامة الفهم بنور الباطن وحالة السكينة) [3].

وعند ابن الأثير أن معنى الأثر: " ما نزل من القرآن آية إلا لها ظهر وبطن " قال: (قيل: ظهرها: لفظها وبطنها: معناها، وقيل: أراد بالظهر ما ظهر تأويله وعرف معناه، وبالبطن: ما بطن تفسيره،

1- الإتقان في علوم القرآن. ج2.ص: 1220.

2- هو شاه ولي الله الفاروقي الهندي أبو عبد العزيز ، فقيه حنفي من المحدثين ، من كتبه "الفوز الكبير في أصول التفسير "، " حجة الله البالغة " ، "الإنصاف في أسباب الخلاف" ، "فتح الرحمان في ترجمه القرآن " وغيرها كثير .

-انظر ترجمته في : إيضاح المكنون .1/ 106 ، فهرس الفهارس .1/ 125 ، الأعلام .1/ 149 .

*التي نص عليها القرآن ونطقت بها آياته وهي: -علم الأحكام ... – علم المخاصمة ...

-علم التذكير بآلاء الله ... -علم التذكير بأيام الله...

-علم التذكير بالموت وما بعده .

-وانظر تفصيلها في الفوز الكبير في أصول التفسير .ص: 11، 12، 13 .

3- الفوز الكبير في أصول التفسير لحجة الله الدهلوي .ص: 108.

-وانظر في معنى "الظهر والبطن" حجة الله البالغة له، ففيه معنى قريب مما سمعت، ج1.ص: 491، 492 .

وقيل: قصصه في الظاهر أخبار، وفي الباطن عبر وتنبيه وتحذير، وغير ذلك .

وقيل: أراد بالظهر التلاوة، وبالبطن التفهم والتعظيم) [1].

وقد قيل أيضا في معنى "الظاهر والباطن" إن (ظهره ما استوى المكلفون فيه من الإيمان والعمل بمقتضاه، وبطنه ما وقع التفاوت في فهمه بين العباد على حسب مراتبهم في الأفهام والعقول، وتباين منازلهم في المعارف والعلوم) [2].

وقبل هؤلاء جميعا قال الحارث المحاسبي –رحمه الله– بعد أن ذكر رواية الظاهر والباطن والحد والمطلع عن عبد الله بن مسعود قال: (أما ظاهرها فتلاوتها، وأما باطنها فتأويلها، وأما حدها فمنتهى فهمها ... وأما مطلعها فمجاوزة حدها بالغلو والتعمق والفجور والمعاصي . من ذلك قول الله –ﷻ–: "تلك حدود الله فلا تعتدوها " [3].

وحمل المحاسبي "المطلع "على المعنى الذي حمله عليه انفرد به دون غيره ممن ذكرت تعريفاتهم، ذلك لأن بعضهم لم يقصر معناه على الوعيد دون الوعد–كما رأيت – وهو فهم منه يصدق على كل من جمح به عقله واتبع هواه فتاه في بيداء الأخيلة فضلّ وربما أضل . نسأل الله السلامة.

لقد تبين من المعاني الاصطلاحية التي ذكرت لكلمتي الظاهر والباطن مدى التكامل والتوافق بينهما واحتياج كل منهما إلى الآخر، فلا تباين ولا تنافر لأن الظاهر طريق إلى الباطن وكل باطن منفك عن ظاهره باطل، ذلك لأن لسان الشريعة ظاهر وباطن، وحدود العبادة في معناها العام ظاهرة وباطنة بلا غلو ولا تفريط (لأن المفرط مضيع، والغالي مبتدع) [4].

وقد قال ابن تيمية –رحمه الله –: (إن أصل الدين في الحقيقة هو الأمور الباطنة من العلوم

---

[1]- النهاية في غريب الحديث .ج3.ص: 166.

[2]- معايير القبول والرد لتفسير النص القرآني .ص: 406.

– وانظر النص في " فيض القدير " . للمناوي (محمد عبد الرؤوف بن علي بن زين العابدين ت: 1031ه) . ج 9. ص: 100. المكتبة التجارية الكبرى – مصر . ط1 / 1356ه .

[3]- العقل وفهم القرآن –كتاب فهم القرآن ومعانيه .ص: 328.

[4]- قواعد التصوف .ص: 93.(قاعدة: 86).

وانظر معايير القبول والرد لتفسير النص القرآني .ص: 406، 407 .

والأعمال، وأن الأعمال الظاهرة لا تنفع بدونها ... ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه عن النعمان بن بشير[1] عن النبي ﷺ ... " ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد ألا وهي القلب "[2].

وقد ذكر الفخر الرازي أن المراد بباطن الإثم في قول الحق-سبحانه وتعالى-: "وذروا ظاهر الإثم وباطنه " عند قوم إنما هو: (أفعال القلوب من الكبر والحسد والعجب وإرادة السوء للمسلمين، ويدخل فيه الإعتقاد والنظر والظن والتمني .. وبهذا يظهر فساد قول من يقول: إن ما يوجد في القلب لا يؤاخذ به إذا لم يقترن به عمل، فإنه تعالى نهى عن كل هذه الأقسام بهذه الآية)[3].

وذهب الذهبي (محمد حسين) إلى أن خير ما يقال في معنى الظاهر والباطن هو أن: (ظاهر القرآن –وهو المنزل بلسان عربي مبين- هو المفهوم العربي المجرد وباطنه هو مراد الله تعالى وغرضه الذي يقصد إليه من وراء الألفاظ والتراكيب)[4]، ففهم ظاهره لا يشترط فيه إلا أن يجري على لسان العرب ومعهودهم في الكلام –كما يقول – (أما المعنى الباطن، فلا يكفي فيه الجريان على اللسان العربي وحده بل لا بد فيه مع ذلك من نور يقذفه الله تعالى في قلب الإنسان يصير به نافذ البصر سليم التفكير، ومعنى هذا أن التفسير الباطن ليس أمرا خارجا عن مدلول اللفظ القرآني)[5].

وقال في موضع آخر: (إن الباطن الذي أشار إليه الحديث وقال به جمهور المفسرين، هو عبارة عن التأويل الذي يحتمله اللفظ القرآني، ويمكن أن يكون من مدلولاته)[6].

وقال ابن خلدون: (وهذا النوع – يعني الأحكام المتعلقة بالباطن – أهم .. عند الشارع، وإن كان الكل مهمّا، لأن الباطن سلطان الظاهر المستولي عليه، وأعمال الباطن مبدأ لأعمال الظاهر

---

[1] - الحديث في صحيح البخاري . كتاب الإيمان . باب فضل من استبرأ لدينه . ج1 . ص:20 .

[2] - التحفة العراقية في الأعمال القلبية .ص: 27، 28 .مكتبة المنار –الزرقاء –الأردن ط1/1408ه-1987م.تحقيق حماد سلامة .إشراف: د: محمد عويضة .

[3] - تفسير الفخر الرازي .ج13.ص: 177. دار الفكر – بيروت / 1415ه – 1995 م . قدّم له: خليل محي الدين الميس .

[4] - التفسير والمفسرين .ج2.ص: 343.

[5] - المرجع نفسه .ج2.ص: 344.

[6] - المرجع نفسه .ج3.ص: 99

وأعمال الظاهر آثار عنها فإن كان الأصل صالحا كانت الآثار صالحة وإن كان فاسدا كانت فاسدة)[1].

والباطن بهذا المعنى يثمر استقامة في الأقوال والأعمال والأذواق والمواجيد، فإن كل ذوق ووجد –وهو ما نحن بصدده– لا يطابق الاعتقاد، فأحدهما أو كلاهما باطل، وإنما الأذواق والمواجيد نتائج المعارف والاعتقادات، فإن علم القلب وحاله متلازمان كما يقول أبو الحسن الندوي نقلا عن ابن تيمية)[2]. وكشف ما وراء الألفاظ الكريمة من إيحاءات غيبية لا يشرق نوره إلا على قلب مطمئن مفعم بالإيمان، ولا تدرك المعارف الربانية التي تشير إليها آياته إلا العقول الصافية التي أكرمها مولاها بوضوح الرؤية فلم تحجبها سجف المادة ولا أشباح صورها عن إدراك الجوهر[3]. ولا يلتفت لحال أو ذوق أو وجد أو جوهر لا يشرق عليه نور العلم المؤيد بالدليل لأنه سيصبح من حظوظ النفس وعبثها، والعلم الصحيح الذي تسنده الحجة ويقويه الدليل أنفع من حال: بينها وبين هذا العلم فصام نكِد، ولا يرد العلم الصحيح بمجرد الذوق والحال إلا من سفه نفسه وألغى عقله لأن هذا أصل الضلالة ومنه دخل الداخل على كثير من السالكين في تحكيم ما ذكر على العلم فدخلت الفتنة والفساد من هذا الباب فضل قوم وأضلوا بسبب الخروج على قاعدة تحكيم العلم الصحيح في الأذواق والمواجيد والأحوال، فالمقبول ما زكاه شاهد العلم والمردود ما جرّحه، وهذه هي وصية أهل الله أرباب الاستقامة– ﷺ– [4] لأنهم علموا أن لا فرق بين ظاهر الشيء وباطنه إذا ما نظر إلى حقيقته الكلية، فالظاهر أساس للباطن وإن جل، حيث لا يتصور وجود باطن إلا لظاهر يستند إليه هذا الباطن، والحقيقة التي لا راد لها هي أن الباطن والظاهر يتحلّيان في صورة واحدة لا انفصام لها وهي متابعة رسول الله ﷺ في أفعاله وأقواله وفي أحواله كلها [5].

---

[1]- شفاء السائل وتهذيب المسائل .ص: 177.

[2]- رجال الفكر والدعوة في الإسلام .ج2.ص: 68.دار ابن كثير– دمشق.

وانظر: كلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى . ج2 .ص: 478 . جمع وترتيب: عبد الرحمان بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي .

[3]- انظر: قضية التاويل في القرآن الكريم بين الغلاة والمعتدلين .ج1.ص: 46.

[4]- انظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين .لابن القيم .ص: 266. مكتبة دار البيان – دمشق . مكتبة المؤيد – الرياض . ط1 / 1414ه – 1993 م، تحقيق وتخريج وتعليق: بشير محمد عيون .

[5]- وانظر: جمهرة الأولياء وأعلام أهل التصوف. للسيد محمود أبي الفيض المنوفي الحسيني .ج1. ص: 40.

فمن تنكب عن الصراط ومال إلى تأويل لا يستسيغه النص (أو قدم الباطن على الظاهر، أو اكتفى بالظاهر عن الباطن، أو أتى من أحدهما ما لا يوافق عليه الآخر ... فهو هالك لا نجاة له) [1]. وعليه فإن ما قيل من ذلك من الأقوال المطروحة التي لا يحتاج فسادها إلى إفساد فإن الإعراض عنها أحرى لإماتتها وإهمال ذكر قائلها، إلا أن يُخاف من شرور عواقبها، واغترار الجهلة بمحدثاتها، وإسراعهم إلى اعتقاد الخاطئ والساقط منها على أنه ليس كذلك، فإن بلغ الأمر هذا الحد فقد تعيّن الكشف عن فساد القول ورده بقدر ما يليق به بلا تزيد لما في ذلك الرد من المصلحة الآنية والآتية[2].

فلا ينبغي إقرار دعاوى تنادي أصحابها مثلا بأن الحقائق القرآنية إشارات ورموز لحقائق وراءها، دقت عن أفهام الكثيرين، ولم تبلغها —لخفائها — عقولهم القاصرة فرمز إليها النبي بآيات القرآن الكريم [3]. أو الموافقة على دعوى (أن الله تعالى جعل ظاهر القرآن في الدعوة إلى التوحيد والنبوة والرسالة، وجعل باطنه في الدعوة إلى الإمامة والولاية وما يتعلق بهما) [4] . فهذا الباطن ليس هو الذي أشارت إليه الروايات، ولا قال به جمهور المفسرين ولا يحتمله اللفظ القرآني ولا يمكن أن يكون من مدلولاته، بل هو باطن يتماشى مع أذواق أصحابه ومشاربهم، أما آيات القرآن فلا تدل عليه لا بعبارتها ولا بإشارتها [5].

وهذه المعاني المضافة والإشارات المقحمة ليس لها في واقع حياة اللغة مكان كما لا يتأتى قبول (شطط يستغرب العاقل كيف وقع فيه علماء ذوو فهم للحقائق وبصر بمعادن الكلام بل يتعجب كيف يجعلون الكافر مؤمنا صادق الإيمان، ويقلبون النص من الضد إلى الضد على منحى يجعل كتاب الله تعالى متناقضا يضرب بعضه بعضا دون التزام) [6]. وعليه فإن كل تفسير اعتمد على نصرة مذهب أو دعا إلى نحلة أو أشار إلى (أذواق غير مقيدة بالطرائق العلمية ولا محكمة الاستخراج على

---

[1]- قواعد التصوف .لزروق .ص: 199.

[2]- انظر: مقدمة صحيح مسلم . ج1.ص: 29 . باب بيان أن الإسناد من الدين .

[3]- انظر: التفسير والمفسرون .ج2.ص: 412.

[4]- المرجع نفسه .ج2.ص: 26.

[5]- وانظر: المرجع نفسه .ج2.ص: 29.

[6]- التفسير القرآني .محمد رجب بيومي .ص: 134. المؤسسة العربية الحديثة — القاهرة .

قواعد اللغة وعلومها) [1] رد كائنا من كان من قاله لما فيه من حمل لآيات القرآن على غير ما سيقت له كالرموز والألغاز، ولأن هذا معناه: (أن ... الرسول قد ترك الناس في ذلك بدون بيان للحق الواجب سلوكه، ولم يهد الأمة إليه، بل رمز إليه رمزا، وألغز إلغازا، وليس في الرمز والإلغاز هدى ولا بيان ... (ومعناه أيضا): الطعن في وظيفة القرآن الذي هو تبيان لكل شيء وهدى ورحمة وقول فصل وليس بالهزل، وأن من قال به فقد هدي إلى صراط مستقيم، وأين الهداية إذا كان ما يقوله المتأولون حقا ؟ (ومعناه كذلك): الطعن في وظيفة الرسول التي هي البلاغ، والله وصف رسوله بأنه قد بلغ البلاغ المبين ... فإذا كان حقا ما ذهب إليه المتأولون ... (فـ) أين البلاغ المبين وأين الهدى والبيان ؟) [2].

إن تخطي ظاهر اللغة ومعناها العام إلى ما يضيق حلدها أحيانا عن التعبير عنه ينبغي ألا يصحبه الشطط والجنوح المفضي إلى سد مجرى الخطاب العربي الذي به أنزل الله سبحانه وتعالى كتابه . واسمع إلى ما قاله رجل كان الشرع حاكما عليه وموجها لما يقول، وكان عقله فوق علمه فلم يزغ عما قرره ظاهر أمر الله، وكان اللسان الذي قدر له أن يكون وعاء لآخر رسالات السماء إلى الأرض سياجا للفيوضات والمعارف الربانية والأنوار الإلهية فلم تجمح عبارته و لم تشرد به إشارته حين راح يقرر تعبد الناس لخالقهم باسم من أسمائه – ﷻ – وهو الباطن فقال: (وأما تعبده باسمه الباطن فأمر يضيق نطاق التعبير عن حقيقته، ويكل اللسان عن وصفه، وتصطلم الإشارة إليه، وتجفو العبارة عنه، فإنه يستلزم معرفة بريئة من شوائب التعطيل، مخلصة من فرث التشبيه، مترهة عن رجس الحلول والإتحاد، وعبارة مؤدية للمعنى كاشفة عنه، وذوقا صحيحا سليما من أذواق أهل الإنحراف، فمن رزق هذا فهم معنى اسمه الباطن وصح له التعبد به) [3]. ثم أشار –رحمه الله تعالى– إلى ما أسفر عنه الإعتداء الآثم على الدعائم الثلاث المذكورة أو إحداها من نتائج كان شرها على الأمة مستطيرا، وأثرها على وجهة العلم وكثير من البشر خطيرا فقال: (كم زلت في هذا المقام أقدام، وضلت فيه

---

[1]- التفسير ورجاله .محمد الفاضل بن عاشور .ص: 193.دار الكتب الشرقية –تونس .1976م.

[2]- الإمام ابن تيمية وقضية التأويل .دراسة لمنهج ابن تيمية في الإلهيات وموقفه من المتكلّمين والفلاسفة والصوفية .د: محمد السيد الجليند ص: 470، 471 .دار قباء –القاهرة .ط2000/5م.

[3]- طريق الهجرتين وباب السعادتين .لابن القيم –.ص: 21.

أفهام، ونظم فيه الزنديق بلسان الصّدّيق، فاشتبه فيه إخوان النصارى بالحنفاء المخلصين، لنبوّ الأفهام عنه، وعزة تخلص الحق من الباطل فيه، والتباس ما في الذهن بما في الخارج إلا على من رزقه الله بصيرة في الحق، ونورا يميّز به بين الهدى والضلال، وفرقانا يفرق به بين الحق والباطل) [1]. ويتراءى لي أن ما أخفاه ابن القيم و لم يبح به أنفس مما أبداه وصرح به، وحق له ألا يكشف السر . بل لا طاقة ولا قدرة له على ذلك، ودليلي قوله: يضيق، ويكل، وتصطلم، وتجفو، وهي أمور لا تحصى ولا تستقصى.

ويظهر لي أن قول ابن القيم شبيه بقول الغزالي –رحمه الله – إن لم يكن هو في معناه، وهو يصف حالا مشابهة لحال من تحدث عنهم ابن القيم فقال: (ثم يترقى الحال ...إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق، فلا يحاول معبر أن يعبر عنها إلا اشتمل لفظه على خطإ صريح لا يمكنه الاحتراز عنه وعلى الجملة: –والكلام للغزالي– ينتهي الأمر إلى قرب يكاد أن تتخيل طائفة منه الحلول، وطائفة الإتحاد، وطائفة الوصول، وكل ذلك خطأ ... بل الذي لابسته الحالة لا ينبغي أن يزيد على أن يقول:

وكان ما كان مما لست أذكره ***** فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر [2].

ولا يصدنك عن قبول منة الله فقدانها وعدم وجدانها فيك فإن في هذا تقييدا لنعم الله المطلقة، كما لا يحملك اختلاط التبر بالتراب على إنكار وجود الذهب فيه (فإن قرب الجوار بين الزيف والجيد: لا يجعل الجيد زيفا، كما لا يجعل الحق باطلا، كما لا يجعل الباطل حقا) [3].

إن التفسير الإشاري الحق للقرآن الكريم يسعى لتعميق الفهم المتعدد المستويات والمختلف الأبعاد لفك سر يحتجب خلف الألفاظ وإخراج ما خفي من الشحنات الوجدانية إلى الخارج والتنقيب عن

---

[1]- طريق الهجرتين وباب السعادتين.ص: 21.

[2]- المنقذ من الضلال .ص: 378، 379 .

[3]- المصدر نفسه .ص: 363.

-وانظر قول "زروق "في القاعدة 35.ص: 47"من قواعدهالتي قرر فيها ان الفرع معتبر بقاعدته وأصله، ولا يترك المذهب الاصل الحق الثابت لفساد لحق بعض فروعه، لأن فساد الفاسد إليه يعود، ولا يقدح في صلاح الصالح شيئا أو يعود عليه (أي على الاصل) بالبطلان.

مدلولات غير صريحة لكنها محتملة مباغتة وغير مسبوقة، ولا اعتداء فيها على تفسيرات مخالفة لها بل غاية هذا اللون من التفسير التحليق عاليا أو الغوص بعيدا لتوسيع دائرة المعنى وإضافة مساحات فهم جديدة وآفاق مديدة للإضاءة والإغناء [1] طالما أن كتاب الله تعالى لا تنتهي عجائبه، ولا تقف عند حدٍّ معانيه ذات المجال الرحب والمتسع البالغ –كما يقول السيوطي – [2]: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ الكهف: ١٠٩ ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ لقمان: ٢٧ .

فمن حصل له الرسوخ في العلم والطمأنينة في المعرفة وانفتح عينا قلبه وهجم به العلم على حقائق الأمور، وباشر روح اليقين، واستلان ما استوعره المترفون وآنس بما استوحش منه الجاهلون، وصحب الدنيا ببدن روحه معلقة بالمحل الأعلى، فله أن يستفيد من القرآن بعض غرائبه ويستنبط منه نبذا من عجائبه، ليس ذلك من كرم الله تعالى بغريب، ولا من جوده بعجيب، فليست السعادة وقفا على قوم دون آخرين) [3].

إن نسبة المعاني الظاهرة في كتاب الله تعالى إلى المعاني المحتجبة خلف سرادقات الألفاظ كنسبة الجسد إلى روحه والشجرة إلى ثمرها فالظاهر يتخلل الباطن، والباطن يسري في الظاهر سريان الماء في العود الأخضر وليس ثمّة في الحقيقة (إلا حقيقة واحدة لها ظاهر يفضي إلى باطنها وباطن متصل بظاهرها) [4].

لكن بعض المفسرين الإشاريين لاحت لهم بعض المعاني التي لا يُفهمها الحديث ولا تشرحها

---

[1]- انظر: حقائق التفسير أو خلق خلائق القرآن والاعتبار .الحلاج (الحسين بن منصور ت: 309ه) .ص: 11.مكتبة مدبولي – القاهرة ط1/2006م.تحقيق وتقديم: محمود الهندي .

[2]- الإتقان .ج2.ص: 1220.

[3]- "تفسير الصافي" للمولى محسن،الملقب بـــ: (الفيض الكاشاني ت: 1091ه).ج1.ص: 33.مؤسسة الاعلمي للمطبوعات – بيروت ط1/1399ه-1979م.بتصحيح وتقديم: حسين الأعلمي .

[4]- جمهرة الأولياء وأعلام أهل التصوف .ج1.ص: 86.

- وانظر الجمهرة .ج1.ص: 91.

العبارة ولا يدرك حقيقة معناها إلا من تدرّج في السلوك إلى الله تعالى الذي يصير به صاحبه من الواصلين إلى العين لا السامعين للأثر [1]" وما قصدوا كما قصد من زعموا (أن القرآن إشارات وفسروا بها –أي الإشارات –معانيه، (حتى) رمى بهم جهلهم إلى افتضاحهم ففسروا أشياء بوجه التفكيك للفظ، (فـ) قالوا في تفسير﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾البقرة: ٢٥٥: إن المعنى: من ذل ذي: أي هاته النفس تشفع عند الله وضلوا عن الرسم وعن قوله "إلا بإذنه") [2].

ولا شك أن من لم يزغ عن سواء السبيل من المفسرين الإشاريين أو قلت عثراته إنما كان ذلك بسبب اعتماده على أصول الشريعة في مختلف أحواله، واعتبارها أصلا تنطلق منه توجهاته المعرفية جنبا إلى جنب مع براهين العقل بلا انفكاك ولا انفصال للعلم عن العمل فكانا –أعني البراهين، والعلم المقترن بالعمل–مشدودين شدا محكما إلى الأصول الموجهة للمعرفة، وهو مسلك قرآني جامع بين الإقناع العقلي والتأثير القلبي، بعيد عن النظريات والتشكيكات الجدلية التي (لا تثمر إيمان الإذعان، ولا خشية الديان، ولا حب الرحمان، بل تثير رواكد الشبهات) [3]" ولا تحمل سالكيه على تجاوز الحدود التي تشبه فيها عوالم الغيب بعوالم الشهادة وما عهده الناس في عالمهم المتغير وأشيائهم المصنوعة أو المخلوقة فراحوا يقيسون ويتحدثون عن عوالم الغيب بما ألفوه بالاعتماد على عقولهم فكان من نتائج ذلك أن أدخلوا (تفسير القرآن في متاهات وضلالات قطعت الصلة بينه وبين الضوابط اللغوية والأصولية والعقلية التي أجمع عليها المسلمون عبر التاريخ كله) [4].

ولعل من اتبع غير سبيل أهل التوفيق نسي أو غفل عن حقيقة وهي: أن نقل اللفظ أو السياق من معنى أولي يدل عليه ظاهره إلى معنى ثان جديد يشترط فيه وجود علاقة ما بين هذين المعنيين،

---

[1]- انظر: التفكير الفلسفي في الإسلام .ص: 412.

[2]- أليس الصبح بقريب–التعليم العربي الإسلامي –دراسة تاريخية وآراء إصلاحية لمحمد الطاهر بن عاشور .ص: 164 دار سحنون للنشر والتوزيع –تونس –دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة .ط1/1427ه–2006م.

[3]- تطور تفسير القرآن – قراءة جديدة – للدكتور: محسن عبد الحميد . ص: 214 . (نقلا عن تفسير المنار) .جامعة بغداد – بيت الحكمة .

[4]- المرجع نفسه .ص: 230.

على أن لا يتولى نقل هذا اللفظ من معناه الأول إلى معناه الثاني فرد بل الجماعة، لأن هذا من وظائفها لا من وظائف الفرد، و(أي تلاعب باللغة خارج إطار الجماعة ينهي اللغة ذاتها، إذ لا تبقى حينئذ الإبانة عن المقاصد فتنهار الجسور المشتركة في التفاهم ويعم الفوضى المعنوي في مجالات الحياة الاجتماعية كافة) [1].

ولا شك أيضا أن الذي ينبري ويتصدى لتفسير كتاب الله تشتد حاجته إلى الضوابط المشار إليها وتبلغ حاجة من يفسر بالإشارة بدل العبارة أو بهما معا ذروتها حتى لا تزل قدمه بعد ثبوتها ويذوق السوء تسلقه بها ألسنة حداد تدافع عن كتاب ربها تارة، أو متربصة لعثرة عاثر أو اعوجاج معوج تارة أخرى، وقد يكون فيما ذكره أحمد بن مصطفى الشهير بـــ: "طاش كبرى زادة "[2] ما يسلط بعض الضوء على بعض جوانب ما مر قال: (قال بعضهم في قوله سبحانه: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ الأعراف: ١٥٥: ما على العباد أضر من رهم، وينسب هذا القول إلى أبي طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي المكي الواعظ صاحب كتاب "قوت القلوب" إلا أن شأن هذا الرجل أعظم من أن يتكلم بأمثال هذ الكلام، ولعل في النقل خللا، أو صدر أثناء غلبة السكر، وأمثال هذا عند السكر معفو عنه) [3].

إن من حق الذين تأيدت فطرتهم النقية بالمشاهدات الكشفية —كما يقول الزمخشري- ألا يمنعوا عن التوغل في تفسير كتاب الله تعالى بشرط أن يتعاهدوا بقاء النظم على حسنه، والبلاغة على كمالها، وما وقع به التحدي سالما من القادح [4]" وأن لايغيب عن بالهم أن ما دل عليه القرآن (بطريق القواعد العربية —مما هو مراد الله تعالى-حق لا ريب فيه، ثم تلك الدلالة على مراد الله تعالى —بواسطة القوانين الأدبية الموافقة للقواعد الشرعية والأحاديث النبوية —مرادة البتة، ومن جملة ما علم

---

[1]- تطور تفسير القرآن.ص: 114.

[2]- هوأحمد بن مصطفى بن خليل ،أبو الخير ،عصام الدين طشكبري زادة ، مؤرخ تركي الأصل ، مستعرب له مفتاح السعادة و مصباح السيادة في موضوعات العلوم ، و الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية . (ت: 968ه) .

- انظر ترجمته لنفسه في : موسوعة مفتاح السعادة و مصباح السيادة .ص : XVII . معجم المولفين .2/ 177.

[3]- مفتاح السعادة ...ج2. ص: 76، 77 .

[4]- انظر: الكشاف . ج1 . ص: 106 . دار إحياء التراث العربي – بيروت . تحقيق: عبد الرزاق المهدي .

من الشرائع النبوية أن مراد الله تعالى من القرآن لا ينحصر في هذا القدر، لما قد ثبت في الأحاديث، أن لكل آية ظهرا وبطنا، وذلك المراد الآخر لما لم يطلع عليه كل أحد، بل من أعطي فهما وعلما من لدنه تعالى يكون الضابط في صحته ألا يرفع ظاهر المعاني المتفهمة عن الألفاظ بالقوانين العربية وألا يخالف القواعد الشرعية، ولا يباين إعجاز القرآن، ولا يناقض النصوص الواقعة فيها، فإن وجد فيه هذه الشرائط فلا يطعن فيه، وإلا فهو بمعزل عن القبول) [1].

وأكثر ما يقع من الأخطاء عند المفسرين الإشاريين كالقشيري وغيره، أن يفسروا الآية بمعان صحيحة في نفسها لكن الآية لا تدل عليها، فإنزالها عليها خطأ في الدليل —كما سماه غير واحد لا أن المعنى في ذاته فاسد، ولعل هذا هو مراد الزمخشري بقوله: « أن يتعاهد بقاء النظم على حسنه »، ومن الإبقاء على حسنه أن يتآلف المعنى مع دليله، وأن يكون الدليل مطابقا لمدلوله، بحيث لا يشعر القارئ أن بين المعنى ودليله تنافرا جزئيا أو كليا غربة ناقصة أو تامة، بل بين المعنى ودليله ترابط اعتمد على ترابط المعنى ودليله الذي هو ثمرة لدراسة الآيات دراسة لم تتجاوز الظاهر لكنّها بالمقابل لم تقف عنده فجاءت الإشارة (عبارة عن إضاءات باطنية مترابطة في الضياء تري (الإشاري) في ساعات المحو ما لم يبصره من قبل في ساعات الصحو، ولم يوح إليه بهذا إلا الآيات التي أيقظته على وقع هذه المعاني فبها يشير ومنها ينطلق في تماسك جم بين ظاهرها وباطنها) [2] وصولا إلى الجوهر الذي لا يكشف عن نفسه إلا لمن جاهد نفسه بهذا الكتاب جهادا كبيرا مبنيا على حسن الاقتداء وجمال الاهتداء، فلم تنطو نفسه إلا على ذات صافية، خالية من الشرور نقية من كل صور الظلام لم تبتغ غير الإسلام دينا، وليس لصاحبها وراء هذا الدين مذهب [3].

إن لغة الإشارة درجة ثالثة وأخيرة في التعبير عما في أعماق صاحبها، فهي فوق اللغة العادية وإن استعملت نفس ألفاظها، وفوق لغة الشعر وإن جمعت بينهما قواسم اللوعة والجوى حينا، ومحاولة

---

[1]- مفتاح السعادة ...ج2.ص: 80، 81 .

[2]- انظر: التفسير الإشاري عند أهل السنة ج2.ص: 641.

[3]- انظر: المرجع نفسه .ج2.ص: 639.

تعالي كل منهما عن الزمن حينا آخر إلى حد الخروج عن المنهج المرسوم والطريق العادي) [1].

إنهم –أعني الإشاريين – يستطيعون العروج إلى الآفاق البعيدة، والتعبير عن خلجات النفس بتوفيق ممن ألان لهم ألفاظ اللغة فجعلها طوع ألسنتهم وأقلامهم، وباللسان قبل القلم كانوا حول «لا إله إلا الله » يدندنون، وإلى تعريف الناس بالباري – ﷻ– داعين . فأكثر أهل الإشارات من أهل السنة لا غاية لهم إلا الاستجابة لداعي الله دون غيره . فلا يستلهمون معارفهم إلا منه سبحانه (انطلاقا من آياته الظاهرة، ووقوفا على أبعادها الباطنة المستترة وراء الظاهر) [2]، ولم نجد فيهم من ادعى أن ما وصله ثمرة اجتهاد عقلي بل يكادون يجمعون على أن الخواطر والبواده والهبات والعطايا إنما غرفت من بحر العطاء الإلهي وهي فتح رباني محض [3].

إن اللغة الإشارية تعبير خارق عن عالم خارق، عالم تخرس فيه الألسنة، ويحل الصمت الصارخ الذي لا يدركه إلا صاحب التجربة ولا يسمعه إلا هو ومن يتضرّع إليه جل جلاله محل الكلام ولغته التي ألف الناس التخاطب بها، والذي – أعني الكلام – إذا نقلت إليه الإشارة دق معناه وخفي عن الفهم إلا على ذويه .

لقد علم كل من اقترب من ساحة كثير من هؤلاء الأجلة من خلال ما تركوا أن أجمل الإشارات التي استشفت جواهرها من وراء ظواهر الآيات الكريمة وأكثرها قبولا وإنعاشا لمشاعر القارئ لكتبهم وما خلفوا المتجاوز لعالم الحس والمشاعر البدائية، جاءت من مفسرين يجمع الناس أو يكادون على أنهم كانوا من العباد الزهاد المهاجرين إلى الله بزاد الذل والانكسار والخضوع والافتقار، الطائرين إليه بجناحي الخوف والرجاء لا غاية لهم إلا هو تبارك اسمه، يحدُوهُم يقين بأن (اللفظة القرآنية ... عوالم مضيئة متألقة يتدرج فيها العابد الزاهد المريد العارف المحب) [4].

وتسوقهم عقيدة الحرص على سلامة النص القرآني لفظا ومعنى، فجاءت أعمال كثير منهم (أشبه

---

[1]- شعرية الخطاب الصوفي –الرمز الخمري عند ابن الفارض نموذجا .لـ: محمد بعيس .ص: 90.منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية –جامعة سيدي محمد بن عبد الله –سايس –فاس .

[2]- التفسير الإشاري عند أهل السنة .ج2.ص: 633.

[3]- انظر: شعرية الخطاب الصوفي .ص: 37.

[4]- مقدمة محقق لطائف الإشارات .ج1.ص: 24، 25.

بمن يقبس قطفات من الضوء من مشكاة كبيرة ينير بها الطريق أمام ... (غيره) دون أن يتورط في تعسف أو يتزلق في درب من دروب الشطط) [1] فحَمْل المفسرين الإشاريين لآيات التشريع عبادة: كالصوم والصلاة والحج والزكاة، أو معاملة: كالقتال والغنيمة والأسر والكيل والميزان والدَّيْن، أو قصصا على معان ثانية باطنة، لم ينسهم حقيقة ظاهرها وأنه هو المراد، وأن التفسير يجب أن يدور حول هذا الأصل، وأن ما يمكن أن يقال فيها خارجا عن هذا الامر إنما هي ظلال للمعنى الأول، وأنوار بدت منه تابعة له وإلا فهي ظلمات بعضها فوق بعض [2] ،كون كلمات القرآن الكريم مشتملة على معان زائدة عن معانيها المركزية البادية لأكثر الناس، (وكون اللفظ ليس قالبا مقيِّدا للمعنى وحاصرا له أمر لم يختلف فيه الناس، فقد نقل عن السيرافي (أبي سعيد ت368ه)[3] أنه ذهب إلى القول بأن (اللفظ لا يحوز (بالحاء المهملة) مبسوط العقل ... وليس في قوة اللفظ من أية لغة أن يملك ذلك المبسوط ويحيط به، وينصب عليه سورا، ولا يدع شيئا من داخله أن يخرج ولا شيئا من خارجه أن يدخل)[4] .

هذا في كلام البشر ومداركهم العقلية فكيف به في كلام الله تعالى وكيف به في مسلك وراء

1- مقدمة محقق لطائف الإشارات .ج1.ص: 24، 25 .

2- وانظر على سبيل المثال تفسير القشيري لآية: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ الأنفال: ٤١ وآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ المائدة: ١٠٦ وآية: ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾البقرة: ١٩٦ وآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ البقرة: ١٨٣ وآية ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴾ القلم: ١٧

3- هو الحسن بن عبد الله بن المرزبان القاضي النحوي ، قال أبو حيان التوحيدي : أبو سعيد شيخ الشيوخ و إمام الأئمة معرفة بالنحو و الفقه و اللغة و الشعر و العروض و القوافي ، و القرآن و الفرائض و الحديث و الكلام والحساب و الهندسة ،كان زاهدا ورعا .

- انظر ترجمته في : بغية الوعاة .1/ 507 (رقم 1047) ، السير .16 / 247 (رقم 174) .

4- المعنى وظلال المعنى –أنظمة الدلالة في العربية .د: محمد محمد يونس علي ص: 204.دار المدار الإسلامي –بيروت .ط1/1428ه-2007م.

طور العقل وهو الذوق وما يفيضه الله تعالى على بعض عباده من زيادة في الفهم واتساع في المعنى، على أنه لا ينبغي أن ينسب ما يقوله هؤلاء مما توافرت الدواعي على قبوله إلى مصادر غريبة وأصول دخيلة، لأنه من الإهانة والاحتقار لآحاد المسلمين -- ناهيك عن العارفين منهم – أن تنسب أقوالهم ومعتقداتهم إلى وثنية يونانية أو فلسفة شرقية أو غربية ذاهلة عن الحياة المادية غارقة في الوهم حتى الأذقان أو سكرى في حب المادي حتى الثمالة [1]" فما أبعد ما بين أقوالهم وأقوال غيرهم،ومعارفهم ومعارف سواهم، معارفهم ثمرات تجارب داخلية، (وهي من عجائب القلوب لا من ثمرات العقول)[2]، وما أكثر ما يكون طريق القلب أدنى وأقصر إلى معرفة الحقيقة من طريق العقل [3] لقد كان الظاهر والباطن عند كثير من الإشاريين شيئا واحدا غايته تعبيد أنفسهم ومجتمعهم لله رب العلمين و لم يكن الباطن في فهمهم معنى مقابلا للظاهر يلتقيان حينا ويفترقان أحيانا [4].بل هو كما قال أبو طالب المكي: (ولعمري أن الظاهر والباطن علمان لا يستغني أحدهما عن صاحبه بمنزلة الإسلام والإيمان، مرتبط كل واحد بالآخر كالجسم والقلب لا ينفك أحدهما عن صاحبه) [5].

لقد كان الموجه للمفسرين الإشاريين المحققين هي النصوص، النصوص وحدها ولا شيء غير ذلك،فمن كان منازعا لهم –ولا ريب موجود– فلينازعهم في النصوص التي اعتمدوا عليها – وهم في هذا كغيرهم –صحة وضعفا ووضعا، فهما ظاهرا صحيحا أو خاطئا، تأويلا بعيدا أو قريبا، مردودا أو مقبولا، وقد علم من نصوصهم أن استلال الإشارة من العبارة ينبغي ألا يقودنا إلى مخالفة ظاهرها (لأن الظاهر أولى من المفهوم المتناول لها، ولأن الظاهر قدر مشترك يحتكم إليه الجميع، ويلجأ إليه طالبوا المعرفة كافة[6]. ولذا فإن الكمّل من الرجال من جمع بينهما فلم يغلبوا جانبا على جانب، بل

---

[1]- انظر التفسير الإشاري عند أهل السنة .ج1.ص: 37.

[2]- مقدمة محقق "جواهر القرآن" للغزالي (جميل صليبا)ص: 31.دار الآفاق الجديدة –بيروت ط4/1979م.باعتناء: عادل نويهض وزميليه .

[3]- انظر مقدمة جواهر القرآن .ص: 35.

[4]- انظر التفسير الإشاري عند أهل السنة .ج1.ص: 57.

[5]- قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد .ج1.ص: 236.دار الكتب العلمية –بيروت ط1/1417ه-1997م.ضبطه وصححه باسل عيون السود.

[6]- التفسير الإشاري عند أهل السنة .ج1.ص: 314.

اتخذوا بين ذلك سبيلا مع استنكاف منهم عن دعوى أن ما قالوه هو التفسير وهو القول الفصل في الآية، بل أنصفوا أنفسهم حين سموا ما فتح عليهم بأنه إشارة تحتملها الآية مع إبقائهم على ظاهر النص وإقرارهم بأنه الأصل الذي يجتمع عليه الناس ويجمعهم على معنى أول أساس، فلم يلزموا أحدا بما قالوه وأشاروا إليه [1] مما أفيض عليهم من المعاني المجاوزة لظواهر الألفاظ من غير خروج عن مدلول اللفظة القرآنية، بل إن المعنى الجديد مشدود إلى النص بإحكام، مع إفادته لمعنى يظهر أحيانا في صورة السهل الممتنع الذي ينبهك إلى عدم طلب الوصول إلى ما وصلوا إليه لعدم إباحتهم بالتجربة حال ومضها، بل بعد انتهاء الذوق ومرور اللوائح،ومهما وصفوا لك فلن تبلغ مبلغهم من العلم لنقص في ذوقك، ولأن الواصل إليك، مما لا يدرك أصله بالعقل، وتضيق عنه –في حقيقته –العبارة، وما تسمع مما يقال لك رذاذُ وابلٍ ،وليس الوابل ذاته [2].

لقد كان الإشاريون يسارعون في الخيرات ويهرعون إلى الطاعات مع عدم قرب المنهيات، فلا يصدنّك عن تمييز الخبيث من الطيب المشابهةُ الصوريةُ القويةُ بين ثمرة تجربتهم الصحيحة وبين دعاوى بعض الإشاريين النظريين التي حملت البعض على أن يعاملهم معاملة واحدة، وينظر إليهم نظرة لا تفرق بينهما مع أن البعد هائل بين الفريقين [3] وأول ما بينهما من البعد هو أن إشارات الفيضيين ثمرة التوحيد الخالص، والطريق إليها الشرع والشرع وحده، ومحلها القلب لا العقل وحده وبدايتها القراءة والعلم والمجاهدة، ونهايتها الإلهام والإلقاء في الروع الذي لا يحل محل التفسير بالظاهر .

لقد حلقت تجربة الفيضيين في كتاب الله تعالى عاليا، وتركت إرثا من الإشارات غزيرا غزارة خيالهم، وغنيا غنى وجدانهم وطاقتهم المعطاءة الطامحة للكمال، والمتعالية في النظر تعالٍ لا حدود له[4]، فإذا ما أضيف إلى هذا أن المفسرين الإشاريين من أهل التصوف كان منهم –كما يقول الشاطبي–: (علماء وفقهاء ومحدثون، ومن يؤخذ عنه الدّين أصولا وفروعا ... وهم كانوا أهل الحقائق والمواجد

---

[1]- انظر التفسير الإشاري عند أهل السنة .ج1.ص: 343.

[2]- انظر المرجع نفسه .ج1.ص: 400.

[3]- انظر: مقدمة محقق: "لطائف الإشارات "للقشيري .ج1.ص: 5.

[4]- انظر: موسوعة ومصطلحات التصوف الإسلامي .د: رفيق العجم .ص:VII

والأذواق والأحوال والأسرار التوحيدية، فهم الحجة لنا على كل من ينتسب إلى طريقهم ولا يجري على مناهجهم)[1]. وقد وصفهم الغزالي بأنهم السالكون لطريق الله، وسيرهم أحسن السير، وطريقهم أصوب الطرق، وأخلاقهم أزكى الأخلاق، وأن جميع حركاتهم وسكناتهم ظاهرا وباطنا قبسة من نور مشكاة النبوة، وليس وراء نور النبوة نور يستضاء به [2].

وهم —أعني أهل الإشارة من الصوفية – حجة أيضا على كثير من الجهال الذين يعتقدون فيهم التساهل في الاتباع، واختراع والتزام القول والعمل بما لم يأت به الشرع (وحاشاهم — كما يقول الشاطبي— من ذلك أن يعتقدوه أو يقولوا به فـ (إن) أول شيء بنوا عليه طريقتهم اتباع السنة واجتناب ما خالفها) [3] ومسالك غيرهم من أتباعهم الفاسدة في التفسير وفي غيره التي بدت للناس كأنها شريعة

مخالفة لما أتت به شريعة الإسلام مع تساهل في اتباع السنة، بل واختراع لعبادات رأوها طريقا للتعبد صحيحا، لا تعود على الأصل بالفساد والإبطال، (وطريقة القوم بريئة من هذا الخبط بحمد الله) [4] لقد علم أهل الإشارة أنه لا ينبغي لشيء أن يتقدّم بين يدي الشرع —العقل وما فوقه وما دونه فضلا عما يصادم الشرع — لأن هذا من التقدم بين يدي الله ورسوله وعلى العقل وسواه أن يكون ملبيا من وراء الشرع [5].

وقد نقل عن إمامهم سهل بن عبد الله التستري كما جاء في" الاعتصام"أنه قال: (مذهبنا مبني على ثلاثة أصول: الاقتداء بالنبي ﷺ في الأخلاق والأفعال، والأكل من الحلال، وإخلاص النية في جميع الأعمال) [6].

وقد قال غير واحد من أعلامهم ومن غيرهم ومنهم المستشرق "نيكلسون"-وإن كان لا اعتماد

---

[1]- الاعتصام .ج1.ص: 74.

[2]- انظر المنقذ من الضلال —بتصرف بسيط-ص: 378(الملحق بكتاب: "قضية التصوف "لد: عبد الحليم محمود .

[3]- الاعتصام .ج1.ص: 67.

[4]- المصدر نفسه .ج1.ص: 67.

[5]- انظر: المصدر نفسه .ج2.ص: 495.

[6]- ج2 . ص: 507، 508 .

لي فيما كتبت على المستشرقين ومن كان على شاكلتهم على ما عندهم من علم وقد تورّط كثير منهم – أعني المستشرقين – في أخطاء إما: (لغرابة المادة العربية والإسلامية على تفكيرهم، أو لقلة بصرهم بالذوق العربي، وعجزهم الطبيعي عن التغلغل في أسرار اللسان ومسالك البيان كما يقول عبد الحليم النجار) * لأني أعتقد أني أسير في طريق ينبعث منه النور وتضيئه سرج استقت وهجها ونهلت ضياءها من مشكاة النبوة، والمستشرقون حملة إرث حضارة مظلمة انقطعت صلتها بالسماء منذ قرون حين شابت التوحيدَ بالشرك، وسوّت بين كلام الرعية ومالك الملك جاعلة من العقل مبلغا ومنتهى، فكيف يدرك من كان كذلك فهم لطائف أئمة هذا الشأن وهي – بإصفاق أو باتفاق – فوق مدركات العقل ووراء أطواره، فهذا مبلغ المستشرقين من العلم و:

لا يكلف الله نفسا فوق طاقتها ***** ولا تجـــــود نفس إلا بما تجد [1].

وجل جناب الحق عن أن يكون شرعة لكل وارد، أو أن يطلع عليه إلا الواحد بعد الواحد – كما يقول الدكتور عبد الحليم محمود نقلا عن ابن سينا) [2] قال –أعني نيكلسون–: (إن جميع ما يصدر منهم –يعني الصوفية– من قول أو عمل متفق تمام الاتفاق مع روح الشرع [3]، وهو مأخوذ من القرآن الكريم ومحاط بأدبه، و(ليس لغير الإسلام) أي تأثير جوهري عليه ولا أي مدد مغذ له) [4] قبل أن يطرأ عليه ما طرأ من الأفكار المنحرفة المختلفة المشارب والمصادر، فخلط بعض أهله عملا صالحا وآخر سيئا، فما ثبت صلاحه وصحته ومواءمته لنصوص الوحي قرآنا وسنة قبل بصرف النظر عن صاحبه، وما لم يكن كذلك رد من غير التفات إلى من قاله لأن الحق هو المعتبر دون الرجال، واتباع الرجال على انحراف شأن أهل الضلال [5].

---

* مقدمة كتاب مذاهب التفسير الإسلامي .ص: ج.

[1]- وانظر: التفسير الإشاري عند أهل السنة .ج1.ص: 377.

[2]- قضية التصوف.ص: 259.

[3]- وانظر نيكلسون في: في التصوف الإسلامي .ص: 26. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة/ 1388هـ-1969م، ترجمة: أبو العلاء عفيفي.

[4]- قضية التأويل في القرآن الكريم بين الغلاة والمعتدلين. ج2.ص: 253.

[5]- انظر: الإعتصام .للشاطبي بتصرف بسيط تقديما وتأخيرا .ج2.ص: 508، 515 .

(والعاقل –كما يقول الغزالي – يعرف الحق ثم ينظر في نفس القول، فإن كان حقا قبله سواء كان قائله مبطلا أو محقا، بل ربما يحرص على انتزاع الحق من أقاويل أهل الضلال عالما بأن معدن الذهب: الرغام (التراب) ، ولا بأس على الصراف إن أدخل يده في كيس القلاب وانتزع الإبريز الخالص من الزيف والبهرج، مهما كان واثقا ببصيرته، وإنما يزجر عن معاملة القلاب: القروي دون الصيرفي البصير، ويمنع من ساحل البحر الأخرق دون السباح الحاذق، ويصد عن مس الحية الصبي دون المعزم البارع [1] أما العالم فأقل درجاته (أن يتميز عن العامي الغمر، فلا يعاف العسل وإن وجده في محجمة الحجام . ويتحقق أن المحجمة لا تغير ذات العسل) ليخالف بذلك ما غلب على أكثر الخلق الذين (يعرفون الحق بالرجال، ولا يعرفون الرجال بالحق، وهو غاية الضلال !!) [2] فلا يلبس عليه – أي على العالم- ملبس من أهل الدعاوى الكاذبة، الناسب نفسه لتلك الثلة المختارة، زاعما أنه من أهل الإرشاد، وهو في الحقيقة من أهل الجهل والفساد، الحائدين عن سبيل السداد ... ولعمري إن هذا من أشر الأشرار، وأفجر الفجار، وخير منه بكثير المجاهر بأنواع الفسق من العوام الجهال وإن ساءت منه الأعمال [3].

إن الذي يعمد –بعد معرفة كل هذا –إلى إخضاع آيات القرآن الكريم باستخراج معنى باطني منها اتباعا لهوىً آثم وشهوة تولدت عن خدمة مذهب ضال أو تيار فكري أو سياسي جائر، غير معدود في خانة هؤلاء الأجلة لافتقار عمله التفسيري إلى ميزان شرعي ولغوي وعقلي وذوقي لأن المعنى الجديد الذي أجريت له الآية لا يقارب الأول في القصد فضلا عن أنه يجامعه . وقد ذكر الشاطبي أن الاعتبارات القرآنية الواردة على القلوب الظاهرة للبصائر الصحيحة –أعني الاعتبارات – المستوفية للشروط على ضربين:

أحدهما: ما كان أصل انفجاره من القرآن ويتبعه سائر الموجودات، فهذا الاعتبار صحيح وهو

---

[1]- المنقذ من الضلال .الملحق بكتاب: قضية التصوف .لد: عبد الحليم محمود.ص: 359، 360 .

[2]- المصدر نفسه .ص: 361.

[3]- انظر: جامع كرامات الأولياء .للنبهاني (يوسف بن اسماعيل ت: 1350 ه)ج1.ص38.ط1/1422ه-2001م.مركز أهل سنت بركات رضا –بوربندر –غجرات –الهند .تحقيق ومراجعة: ابراهيم عطوة عوض .

اعتبار يخرق نورُ البصيرة فيه حجب الأكوان من غير توقف، فإن توقف فهو غير صحيح أو غير كامل

والثاني: يكون أصل انفجاره من الموجودات جزئيها أو كليها، ويتبعه الاعتبار في القرآن .

فالأول من الاعتبارين صحيح معتبر في فهم باطن القرآن، لوروده على وفق ما نزل له القرآن وهو الهداية التامة التي هي الصراط المستقيم المورث لمثل هذه الاعتبارات التي قل أن يجدها من لم يكن من أهل القرآن العاملين به تقليدا أو اجتهادا، ومن كان من أهله كانت اعتباراته غير خارجة عن حدوده لأنه لم يخرج في العمل به والتخلق بأخلاقه عن حدوده، فتأتي الإعتبارات جارية على سَنن صحيح على ما تقضي به العربية وأدلة الشرع، ولعل أقرب تفسير مما بأيدينا يصدق عليه هذا الاعتبار هو تفسير الإمام القشيري "لطائف الإشارات"، إذ هو أعدل التفاسير الإشارية كما وصفه غير واحد.

وأما الثاني، وهو الذي سماه الشاطبي الاعتبار الوجودي، وهي اعتبارات غير قرآنية لعدم جريانها على مقتضى الشروط، فالتوقف عن اعتبار ما كان كذلك –أي أصل انفجاره من الموجودات جزئيها أو كليها، ويأتي الاعتبار بالقرآن تابعا له –،في فهم باطن القرآن لازم، وأخذه على إطلاقه فيه ممتنع، ويصح تنزيلها –أي الاعتبارات – على معاني آيات القرآن على أنها اعتبارات وجودية لا على أنها اعتبارات قرآنية، غير أن التنزيل بهذا الإعتبار مغرِّر –كما يقول – بمن ليس براسخ أو داخل تحت إيالة راسخ، على ألا يقول قائل بأنه المعنى المراد والمقصود المخاطب به الخلق، بل أجراه قائله مجراه وسكت عن كونه هو المراد فإن قال إن هذا المعنى هو المراد من الآية فهو من أرباب الأحوال الذين لا يميزون بين ما كان أصل انفجاره من القرآن ويتبعه سائر الموجودات، وبين ما كان أصل انفجاره من الموجودات ويتبعه الاعتبار القرآني .

والكلام هنا موجه لمن ثبت اعتبار قولهم وصح عند الخلق استقامتهم، فكانوا من المشهود لهم بمراعاة حرمة الكتاب الكريم وعدم الخروج على ما تقرر من أصول التفسير المتفق عليها، ولا يلتفت لقول من لم يثبت اعتبار قوله كالباطنية وغيرهم [1].

[1]- انظر: الموافقات. للشاطبي .ج3.ص: 404.دار المعرفة – بيروت . تحقيق: عبد الله دراز .

فإن كان الأمر كذلك على وفق ما قرّرته مبادئ العقل وحدود اللغة التي أبانت حدود العبارة ورسمت المدى الذي ينتهي إليه الباطن والإشارة، فما المراد بالإشارة، وأين وصل الناس بها في فهم كتاب الله تعالى ؟ .

وهو ما نراه فيما يلي من مباحث هذه الرسالة .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث:

مفهوم التفسير الإشاري و أنواعه وشروط قبوله

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: مفهومه و موقف بعض العلماء منه :

الإشارة مرادفة للنطق في فهم المعنى، وهي عند إطلاقها حقيقة في الحسية، وربما كانت ذهنية لا حسية كما في ضمير الغائب وما أشبهه، وهي: التلويح بما يقوم مقام النطق .

فإذا اقترنت الإشارة بـــ :"على"عرف السامع أن المراد الإشارة بالرأي، أما إذا استعملت بحرف الجر"إلى" فالمراد الإيماء باليد، قال الخليل: (والمِشْورة، مفعلة، مشتق من الإشارة، أشرت عليهم بكذا ويقال: مشورة .والـــمُشيرة: الإصبع التي يقال لها السبابة) [1].

قال الأزهري: قال الأصمعي: (أشار الرجل يشير إشارة، إذا أومى بيديه، وأشار يشير، إذا ما وجّه الرأي) [2]. وقال ابن منظور: (أشار إليه وشور، أومأ، يكون ذلك بالكف والعين والحاجب: أنشد ثعلب:

نُسِرُّ الهوى إلا إشارة حاجب ** هناك، وإلا أن تُشير الأصابع .**

وشوّر إليه بيده أي أشار .. وفي الحديث: كان يشير في الصلاة، أي يومئ باليد والرأس، أي يأمر وينهى بالإشارة ... وأشار الرجل يشير إشارة إذا أومأ بيديه ويقال: شورت إليه بيدي، وأشرت إليه أي لوحت إليه ...وأشار إليه باليد: أومأ وأشار عليه بالرأي .وأشار يشير إذا ما وجّه الرأي) [3] وقال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت: 255ه)[4]: إن جميع أصناف الدلالات من لفظ وغير لفظ مدارها على خمسة أشياء لا غير، منها: الإشارة. وهي –كأخواتها الأربع –كاشفة في الجملة عن أعيان المعاني، وحقائقها في التفسير والإبانة، وعما سوى ذلك جدا كان أم هزلا، وتكون باليد، والعين والرأس والحاجب والمنكب، والثوب والسيف، وهي (واللفظ شريكان، ونعم العون هي له،

1- كتاب العين . ج6.ص: 281.

2- تهذيب اللغة. ج11.ص: 404.

3- لسان العرب. ج7.ص: 235.

4- هو عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء الليثي ، كبير أئمة الأدب و رئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة ، مات و الكتاب على صدره ، قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه له تصانيف كثيرة منها : "الحيوان " ،"البيان و التبيين" ، "البخلاء" وغيرها كثير . - انظر ترجمته في : وفيات الأعيان .3/ 470 (رقم 506) ، معجم المفسرين .نويهض .403/1 ، الأعلام . 5/ 74.

ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ، وما تغني عن الخطّ ... إلى أن قال: ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص، ولجهلوا هذا الباب ألبتة) [1]. وهو -كما ترى -لم يتعد في حديثه عنها عن المحس منها مما ذكره نثرا أو ما أورده من الشواهد شعرا، وقد ذكرت كلامه للاستئناس،وبيان جانب من جانبي الإشارة وهو الجانب الحسي الذي وصفه بأنه أبعد من مبلغ الصوت، وأن جانب الإشارة الحسي من نحو اليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان [2].

قال ابن عاشور: (وليس من الإشارة ما يعرف في الأصول بدلالة الإشارة وفحوى الخطاب ... ودلالات أخرى ذكرها ثم قال بعدها: لأن جميع هذا مما قامت فيه الدلالة العرفية مقام الوضعية، واتحدت في إدراكه أفهام أهل العربية فكان من المدلولات التبعية) [3].

والإشارة عبارة عن أن يشير المتكلم إلى معان كثيرة بكلام قليل يشبه الإشارة باليد(فاليد حين يشار بها تختصر معاني متعددة أحيانا، لو عبر عنها المتكلم بألفاظ لكانت كثيرة، قال الشافعي: (وتَكَلَّمُ (يعني العرب) بالشيء تُعرِّفه بالمعنى دون الإيضاح باللفظ، كما تعرِّف الإشارةُ، ثم يكون هذا عندها من أعلى كلامها لانفراد أهل علمها به دون أهل جهالتها) [4].

ومن الأمثلة التي ذكرت مما أشير فيه إلى معان كثيرة بكلام قليل قوله تعالى: ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾ هود: ٤٤ ، فقد أشير في شطر هذه الآية المشتمل على كلمتين إلى انقطاع مادة المطر، وبلع الأرض، وذهاب ما كان حاصلا على وجهها من قبل[5]

وقد عرف الجرجاني الإشارة بأنها: (الثابت بنفس الصيغة من غير أن يسبق له الكلام) [6] فإشارة النصوص هي تلك المعاني – القريبة أو البعيدة – التي تفهم لا من عبارة النص وألفاظه ولكن من مفهومه وإشارته، لأن النص غير مسوق لها ابتداء، ولذا يُحتاج في الوصول إليها واستلالها منه إلى

---

[1]- البيان والتبيين .ج1.ص: 78. دار الفكر – بيروت . تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون .

[2]- انظر: المصدر نفسه .ج1.ص: 79.

[3]- التحرير والتنوير .ج1.ص: 34، 35.

[4]- الرسالة .لمحمد بن إدريس الشافعي (ت: 204ه).ص: 52. مطبعة البابي الحلبي 1309ه- تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر .

[5]- انظر: الكليات .للكفوي .ص: 28.

[6]- كتاب التعريفات .ص: 43.

مزيد من التأمل والتفكر فيه .

ولها شواهد في الحسيات كما لها شواهد في الذهنيات والمعنويات ؛ فالناظر إلى شيء من الأشياء الحسية مقصودٍ ابتداء يتبعه وقوع العين على أشياء حسية أخرى تعرض للعين لكنها ليست المرادة وما كانت مقصود الرائي ومبتغاه.

ومثله في الذهنيات والمعاني قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ البقرة: ٢٣٣ ، فالآية سيقت لإثبات النفقة، وهو المعنى الذي تتنزل عليه عبارات وألفاظ الآية لكنها أشارت إلى أن النسب للآباء، فالمعنى الإشاري تابع وليس مقصودا [1]ومع أن أحسن الكلام ما أغنى قليله عن كثيره، وكان معناه في ظاهر لفظه –كما يقول الجاحظ – [2]، لكن حكم المعاني أوسع من حكم الألفاظ وأعم ذلك لأن (المعاني مبسوطة إلى غير غاية، وممتدّة إلى غير نهاية) [3]. فقوله سبحانه: ﴿أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ﴾المائدة: ١ ، (كلمتان جمعتا كل ما عقده الله على خلقه لنفسه، وتعاقده الناس فيما بينهم ... ومثله قوله تعالى: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ الحجر: ٩٤، ثلاث كلمات اشتملت على شرائط الرسالة، وشرائعها، وأحكامها، وحلالها، وحرامها) [4]. وكذلك قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾﴾ الأحقاف: ١٣، وقوله :﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾﴾ الزخرف: ٦٨ ، فكلمة "استقاموا " أفصحت عن الطاعات جميعها في الائتمار والانزجار، فنفي الخوف والحزن عنهم أُدرج فيه ذكر كل محبوب عليهم، وأزال كل مكروه عنهم، ذلك لأن الخوف والحزن موضوعان بإزاء كل محنة وبلية، والأمن

---

[1]- انظر: كتاب التعريفات .ص: 43.

- وانظر: الكليات .ص: 121، 122 .

[2]- انظر: البيان والتبيين .ج1.ص: 83.

[3]- المصدر نفسه ج1.ص: 76.

[4]- الإعجاز والإيجاز .للثعالبي (أبي منصور عبد الملك بن محمد بن محمد بن اسماعيل النيسابوري ت: 429ه)ص: 23.دار البشائر – دمشق.ط1/1422ه-2001م.تحقيق: ابراهيم صالح.

والسرور لكل منحة ونعمة[1]، فاشتمال القرآن الكريم على المعاني الكثيرة المخبوءة في الألفاظ ووراء العبارات، جعل رحال الخواطر الذكية معقولة بفنائه لتطلع على رموزه، والأنظار الصافية مأسورة في رق ملكه،تنشد أدنى جوهر كنوزه، ففتح الله بما فتح به لأوليائه وأصفيائه المرموقين بعين محبته ومودّته الذين شغلوا أنفسهم،وأتعبوا خواطرهم لنيل قليل من مخزون تلك الأسرار[2] فالفرق بينهم وبين الناظرين في كتاب الله تعالى ممن أخرجوا الألفاظ عن دلالاتها والمفاهيم القرآنية عن اللائق بها من معانيها من الفلاسفة ومن سلك مسلكهم يظهر في اختلاف مسلك كل منهما .

فمسلك المنضبطين بحدود الشرع واللغة من أهل الله الذوق المتكئ على العقل، مع حصر نظرهم في الحق سبحانه وتعالى ثم يأتي النظر إلى مخلوقاته تبعيا ثانويا، مع شعورهم التام بأنهم عُبّاد لله ومحبوه وغيرهم عبدوا أنفسهم وهواهم وفرق بين أن يكون العقل أو قل الهوى قائدك وبين أن يكون الشرع سائقك والحق سبحانه غايتك، فالفرق بينهما كالفرق بين الضياء الساطع والظلمة الدامسة –كما يقول بديع الزمان سعيد النورسي – [3]* ولا يعني هذا الاستخفاف بالعقل عند هؤلاء الأجلة لأنه مناط التكليف، بل المراد حركته على ضوء من الشرع واللغة، لأن هذه المعاني والإشارات يدركها ذوو البصائر المنيرة ممن آتاهم الله تبارك اسمه نفاذ عقل واستقامة فكر [4]. بحكم أن خطاب الله سبحانه وتعالى في كتابه للناس موجه أساسا إلى العقول السليمة والقلوب الصافية [5] .

أما من كان صواما عن المعروف، مفطرا على المنكر،و كان أكثر ذنبا من الدهر، وإليه تفد مواكب الضلالة ومن عنده يرجع مدون الأيام، فليستحي من مسكة العقل التي بقيت عنده، فتلازم

---

[1]- انظر: الإعجاز والإيجاز.الثعالبي .ص: 22

[2]- انظر: كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز .ليحيى بن حمزة بن علي بن ابراهيم العلوي اليمني .ص: 569.دار الكتب العلمية – بيروت .ط1/1415ه-1995م.مراجعة وضبط وتدقيق: محمد عبد السلام شاهين.

[3]- انظر: المثنوي العربي .ج6. من" كليات رسائل النور " ص: 433، 434. سوزلر للنشر – القاهرة . ط1/1415ه-1995م تحقيق: إحسان قاسم الصالحي .

* والنورسي هو أحمد بن الحسين بن يحي الهمذاني ، أبو الفضل له "مقامات" كان قوي الحافظة ،له "ديوان شعر "صغير(ت: 398ه). انظر: وفيات الأعيان . 1/ 102.الأعلام.115/1.

[4]- انظر: المعجزة الكبرى .محمد أبو زهرة .ص: 523.دار الفكر العربي .

[5]- انظر: الإنسان والكون في الإسلام . د: أبو الوفاء الغنيمي التفتازاني . ص: 34.دار الثقافة للنشر والتوزيع - القحالة / 1995م.

الشرع والعقل محصل لأقوى الدرجات، مبعد عن الانحراف، والتبعية للشرع في نهاية المطاف أقوم وأفيد للعقل من استقلاله والشرود عنه لأنه –أي الشرع –ألبسه أوصاف التسديد والتأييد [1] ولا شك أن هذا سيلازمه تسليم بالمستوى الظاهر في معنى النص في آيات القرآن كلها لأنه ضروري، بل لاوجود للمعاني الثانية إلا من خلاله لأنه –أي الظاهر –يبرزه –أي يبرز المعنى الثاني– في إطار اللغة كما يفهمها عامة الناس، لأن القرآن على هذا النحو نزل [2] فإن قامت المعاني الثانية على هذا الأساس ستظل وثيقة الصلة بالمعنى الظاهر مشدودة إليه على نحو يبعده عن تحريف الغالين وتأويل المبطلين. ولا يعني هذا تقييدَ المفسر وحملَه على سلوك منهج محدد سلفا يقود في النهاية –كما قيل– (إلى عزل المعرفة الدينية عن غيرها من أنواع المعرفة وإلى إنكار تطور المعرفة الإنسانية من جهة أخرى) [3] بل لئلا يحرف كلام الله عن موضعه، وحتى لا يخرج عن ضوابط اللغة وحدود الشرع، وربما تبنت الأمة أو شريحة منها هذا المعنى الفاسد وظلت حبيسة لهذه الإشارات حقبة من الزمن ممتدة قبل أن يثبت خطأه وبطلانه ولذا لا ينبغي الوثوق بكل ما يقال في كتاب الله تعالى مما كان من هذا القبيل حتى يعرض على الشرع واللغة ليصوّباه أو يخطّئاه .

إن العقلانية الجديدة أو الدهريين المعاصرين الذين يحاكمون القرآن الكريم إلى منهجهم النشاز الذي تنبعث منه رائحة الزيغ عن كل ضابط لغوي أو شرعي – إن كان فيهم بقية من إيمان بشرع – ويعملون جاهدين لإقناع المجتمع من خلال مشاريعهم ومناهجهم بأن هذا الكتاب الكريم مصدره بشري، وأنه مشتمل على ما اشتمل عليه كل عمل بشري وبالتالي فهو خاضع لما يخضع له كل عمل بشري، (ولا يذهب إلى هذا إلا منكر لوجود الذات العلية التي يتبعها بالضرورة إنكار للنبوات، وإن تسمى صاحب هذا المسلك زيدا أو عمرو) . ذلك لأن العام والخاص علم علما لا يخالطه شك أن هذا الكتاب نص عربي فريد، بل هو كتاب العربية الأول التي هي عند العقلاء ثلاثة أشياء: شعر ونثر

---

[1] انظر: العمل الديني وتجديد العقل د: طه عبد الرحمان .ص: 65، 67.المركز الثقافي العربي –الدار البيضاء (بيروت)ط2/1997م.

[2] - انظر فلسفة التأويل –دراسة في تأويل القرآن عند محي الدين بن عربي .نصر حامد أبو زيد .ص: 26.المركز الثقافي العربي .الدار البيضاء .ط4/1998م.

[3] - المرجع نفسه .ص: 12.

وقرآن، فإن كان للشعر فيها خصوصياته ودعائمه ومميزاته التي يخالف بها النثر، فإن للنثر أيضا ما يميزه عن الشعر ولا يحتاج العربي – حتى قبل أقدم شعراء العربية المعروفين – إلى جهد ليميز بين منثور الكلام ومنظومه وأن كلا منهما مصبوغ بصبغة المخلوقين من أهل لغته أما القرآن فشأنه غير ذلك فليكن التعامل معه تابعا لذلك ولا يصح في منطق العقلاء جميعا أن يحاكم أي أمر من الأمور لغير طبيعته ومميزاته ولا يقال إن في هذا حجرا على العقل، بل هي اللاعقلانية بزعمهم، فحتى لا يحيد العقل عن مساره ينبغي أن يسلم صاحبه بأن طبيعة هذا الكتاب مختلفة عن كل كتاب عربي يقرأه، إذ من السماء كان مصدره ومهبطه وإن صيغ بلسان عربي مبين: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾ البقرة: ١٣٨.

إن إخراج القرآن الكريم عن طبيعته بإخضاعه لما تخضع له النصوص الأدبية سيقود إلى إفراغ حقائق تاريخية من مضمونها، بل إلى إنكارها بسبب الاعتماد على القول بأن القرآن نص أدبي وأن هذه الخاصية فيه لا تتقدمها أو تسبقها خاصية أخرى، وهو افتئات على القرآن الكريم قطعا، وجناية في حقه يقينا لما فيها من المخالفة لطبيعته – كما قلت –، كائنا من كان من دعا إليها، ذلك لأن القرآن الكريم وإن كان كتاب العربية الأول –كما أسلفت– فهو من حيث مصدره كلام الله تعالى، فالفرق بينه وبين أي كلام آخر كالفرق بين الحق والخلق وهو في النهاية متعال عن إملاءات البشر وأهوائهم وإفرازات حركة المجتمع البشري برمته، وصلاحيته لأن يوجه البشرية ويقودها آتية من كونه كذلك، أي ليس إنتاجا معرفيا بشريا –إن صحت العبارة –حتى يحاكم إلى ما تحاكم إليه المعارف البشرية فيؤدي ذلك إلى "تمزيق" حقائق الإسلام في العقائد والشرائع والأخلاق وتدميرها حتى تنسجم مع ظروف تاريخية طارئة تهيمن عليها حضارة إلهها الحس وربها المشاهَد، لها أجل مسمىً،وتلك الأيام نداولها بين الناس والأيام دول –كما يقال–.

وكون القرآن الكريم حمَّال وجوه لا يعني عدم ثبوت معاني آياته أو قبولها لأي فهم من أي جهة جاء بحيث يتأتى لكل شاذ فكريا توظيفه على النحو الذي يعجبه، ولا شك أن هذا سيؤدي إلى تخريب الدلالات الأصلية المرادة من النص الموحى به،وهذا عبث بمجرى الخطاب العربي وغير العربي أيضا حامل للناس كلهم على عدم الوثوق بالنصوص اللغوية في أية لغة من لغات الدنيا، وهي لا

شك نهاية مأساوية تستنكف العقول الحرة عن أن تفكر فيها ناهيك عن أن تكون طرفا محرضا عليها أو مشاركا في وجودها دافعا بها إلى الأمام بالنظر إلى النتيجة التي يفضي إليها هذا الاعتداء السافر غير المقدر لمآلات هذا الفعل وما يثمره من سد لمجرى الخطاب، بل إن المفسرين نبّهوا على ما هو أدنى من ذلك قال أبو حيان: (كلام الله تعالى أفصح الكلام فلا يجوز فيه جميع ما يجوّزه النحاة في شعر الشماخ والطرماح وغيرهما من سلوك التقادير البعيدة والتراكيب القلقة والمجازات المعقدة) [1].

فأفضل التفاسير ما كان متجاوزا لحدود حل الألفاظ وإعراب الجمل، وبيان النكات البلاغية والإشارات الفنية إلى تجلية هدايات القرآن وتعاليمه والحكمة فيما شرّع (على وجه يجتذب الأرواح، ويفتح القلوب، ويرفع النفوس إلى الاهتداء بهدي الله) [2].

ولا يعني "التجاوز"و"التجلية" هدم جدار اللغة وتخطي حدود الشريعة .كما لا يعني كون القرآن الكريم نصا مطلقا يأخذ منه أهل كل عصر بما يفتح الله به عليهم أن ينطلقوا في فهمه والقول فيه بآرائهم دون ضابط فيفسدوا معانيه ويحمّلوا آياته من الدلالات ما لا تحتمل، وهو الأمر الذي حمل علماء مناهج التفسير بالاعتماد على ما ذكره أهل الإشارة أن يعرفوا هذا اللون من التفسير بتعريفات مختلفة جزئيا لكنّها متوافقة في الترابط بين العبارة والإشارة .

قال صاحب المناهل: (هو تأويل القرآن بغير ظاهره لإشارة خفية تظهر لأرباب السلوك والتصوف، ويمكن الجمع بينهما وبين الظاهر المراد) [3]، وعرفه الذهبي تعريفا قريبا من السابق فلعله نقله عنه مع تغيير بعض ألفاظه بما لا يفسد معناه العام فقال: (هو تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك، ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة) [4]، وقيل في تعريفه إنه: (تأويل آيات القرآن الكريم على غير ما يظهر منها بمقتضى إشارات تظهر لأهل العلم والسلوك تقوم على التطابق بينها وبين الظواهر المرادة من الآيات القرآنية،

1- البحر المحيط .ج1.ص: 12.

2- مناهل العرفان في علوم القرآن .ج2.ص: 11.

3- ج2.ص: 89.

4- التفسير والمفسرون .ج2.ص: 338.

بوجه من الوجوه الشرعية)[1]. والألوسي ـرحمه الله تعالىـ في الفائدة الأولى من الفوائد السبع التي استهل بها تفسيره وهو يذكر معاني التفسير والتأويل أورد معنى للتأويل ينطبق على ما كان مفهوما من الآيات بالإشارة لا بالعبارة فقال: (وعندي أنه إن كان المراد الفرق بينهما ـيعني التفسير والتأويل ـ بحسب العرف، فكل الأقوال ما سمعتها وما لم تسمعها مخالفة للعرف اليوم، إذ قد تعارف من غير نكير أن التأويل: إشارة قدسية، ومعارف سبحانية تنكشف من سجف العبارات للسالكين، وتنهل من سحب الغيب على قلوب العارفين، والتفسير غير ذلك) [2].ولما فرغ من الحديث عن التفسير والتأويل انتقل إلى الكلام عن التفسير بالرأي وكلام الصوفية في القرآن الكريم فقال: (وأما كلام السادة الصوفية في القرآن فهو من باب الإشارات إلى دقائق تنكشف على أرباب السلوك،و يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة، وذلك من كمال الإيمان ومحض العرفان، لا أنهم اعتقدوا أن الظاهر غير مراد أصلا وإنما المراد الباطن فقط إذ ذاك اعتقاد الباطنية الملاحدة توصلوا به إلى نفي الشريعة بالكلية، وحاشا سادتنا من ذلك، كيف وقد حضوا على حفظ التفسير الظاهر وقالوا: لا بد منه أولا إذ لا يطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر، ومن ادعى فهم أسرار القرآن قبل إحكام التفسير الظاهر فهو كمن ادّعى البلوغ إلى صدر البيت قبل أن يجاوز الباب) [3]. والتعريفات المذكورة تشير إلى نوع من التفسير الإشاري وهو التفسير الصوفي الفيضي مع إغفالها لنوع ثان وهو التفسير الإشاري النظري الفلسفي وكلاهما ناشيء عن نوعين من التصوف، وهما التصوف العملي، والتصوف النظري.

فأصحاب التفسير الإشاري الفيضي يرون (أن النص القرآني تحتجب وراء دلالته اللفظية أفكار عميقة ومعان دقيقة، و..أن المعنى الحقيقي للتنزيل الإلهي لا يتناهى عند هذه البسائط البادية من ظاهره وان هناك معنى ظاهرا، ومعنى باطنا، وأن الأهم هو أن يكونا معا) [4]، وأن مواصفات الذين تكلموا في هذه المسائل، وصدرت عنهم اللطائف، وأشاروا إلى هذه الإشارات (إنما تكلموا بعد قطع

---

[1]- أصول التفسير وقواعده .خالد عبد الرحمان العك .ص: 205.

[2]- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني .ج1.ص: 24.

[3]- المصدر نفسه .ج1.ص: 28.

[4]- أصول التفسير وقواعده .ص: 210.

العلائق، وإماتة النفوس بالمجاهدات والرياضات والمنازلات والوجد والاحتراق والمبادرة والاشتياق إلى قطع كل علاقة قطعتهم عن الله- ﷻ – طرفة عين، وقاموا بشرط العلم ثم عملوا به ثم تحققوا في العمل، فجمعوا بين العلم والحقيقة والعمل) [1] وأنهم خيرة أولياء الله وأن الله سبحانه فضلهم على كافة عباده بعد الأنبياء والرسل [2]، وأن الدقائق التي يذكرونها لو عُرضت مدلولات ألفاظها على الفقهاء وغيرهم بما ألفوه من العبارات في علومهم لاستحسنوها أشدّ الاستحسان ولكانوا أول القائلين بها لما فيها من عدم المباينة أو المعارضة لكليات الشريعة وجزئيات نصوصها، لكن إيرادها بعبارات مستغربة، واصطلاحات خاصة مستغلقة صدت أهل الفقه وغيرهم عن التشاغل بها لما في ظاهرها أحيانا من مصادمة لظاهر الشريعة، وليست –على الحقيقة– كذلك. [3]، فالقوم لهم تعلق بالقرآن واللطائف والإشارات التي يذكرونها لها بالقرآن صلة لما في الكتاب الكريم من المعارف الأهية ورياضة النفوس، وتنوير القلوب، وتطهيرها باكتساب حميد الأخلاق واجتناب ذميمها وهم في تفسيرهم للقرآن الكريم كغيرهم فمنهم المحسن المجيد النافذ بنور بصيرته إلى دقائق المعاني الواقف على حقيقة المراد، ومنهم الموغل في قوله الحامل لآيات الكتاب الكريم على ما لا تقتضيه حدود اللغة التي رسمتها العرب لمعاني الألفاظ –كما يقول ابن جزي الكلبي– [4].

وقد حصر ابن تيمية –رحمه الله– كلام أحدهم –وهو أبو عبد الرحمان السلمي –ولعله ينطبق على سائرهم – في ثلاثة أقسام فقال: (ذكر –يعني السلمي– في "حقائق التفسير" من الإشارات التي بعضها كلام حسن مستفاد، وبعضها مكذوب على قائله مفترى كالمنقول عن جعفر وغيره، وبعضها من المنقول الباطل المردود فإن إشارات المشايخ الصوفية التي يشيرون بها تنقسم إلى إشارة حالية وهي إشارتهم بالقلوب وذلك هو الذي امتازوا به... وتنقسم إلى الإشارات المتعلقة بالأقوال مثل ما يأخذونها من القرآن ونحوه فتلك الإشارات هي من باب الاعتبار والقياس وإلحاق ما ليس بمنصوص بالمنصوص مثل الاعتبار والقياس الذي يستعمله الفقهاء في الأحكام لكن هذا يستعمل في الترغيب

---

[1]- كتاب اللمع في التصوف .ص: 03، 04.

[2]- انظر: الرسالة القشيرية في علم التصوف .ص: 36.

[3]- انظر: جمهرة الأولياء وأعلام أهل التصوف نقلا عن غيره .ج1.ص: 92.

[4]- تفسير ابن جزي .ص: 876.

والترهيب وفضائل الأعمال ودرجات الرجال ونحو ذلك، فإن كانت الإشارة اعتبارية من جنس القياس الصحيح كانت حسنة مقبولة، وإن كانت كالقياس الضعيف كان لها حكمه، وإن كان تحريفا للكلام عن مواضعه، وتأويلا للكلام على غير تأويله كانت من جنس كلام القرامطة والباطنية والجهمية) [1].

و(قد) قال التفتازاني[2] شارحا لكلام النسفي: (والنصوص على ظواهرها والعدول عنها إلى معان يدعيها أهل الباطل إلحاد وكفر "قال موضحا معنى: "على ظواهرها"أي ما لم يصرف عنها دليل قطعي ...إلى أن يقول: وأما ما يذهب إليه بعض المحققين من أن النصوص محمولة على ظواهرها ومع ذلك ففيها إشارات خفية إلى دقائق تنكشف على أرباب السلوك يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة فهو من كمال الإيمان ومحض العرفان) [3].

ومعلوم أن كتب التفسير الإشاري وغير الإشاري اشتملت على كثير من الإشارات الخفية واللطائف والدقائق في التفسير لأهل العرفان، قد لا توجد عند غيرهم، لما في أرواحهم من سمو، ولما في بواطنهم من أنوار أفصحت عنها ألسنتهم وفاضت بها جوانحهم في عبارات أشرقت عليها صورة أرواحهم، وأغلب أعلام التفسير الفيضي الإشاري (يمثلون الوضوح في التفسير، والاعتدال في التأويل وربما شاب أحدهم شيء من الغلو والغموض، لكنهم لا يذهبون إلا أن الإشارات هي المعنى الأول والأخير لآيات الكتاب المبين بل يسبقه المعنى الظاهر الذي ينساق إليه الذهن قبل غيره، والمستفاد من لغة القرآن العربية ومن نظمه العربي المبين [4].

---

[1]- تفسير سورة النور .ص: 207.دار الريان للتراث_القاهرة.ط1/1408ه،1987م.راجع نصوصه وخرج أحاديثه: د.عبد العلي عبد الحميد حامد.(الناشر: الدار السلفية_بومباي.الهند).

[2] – هو سعد الدين مسعود بن عمر، عالم بالنحو والتصريف والمعاني، والبيان والاصلين والمنطق وغيرها، صاحب التآليف والشروح الكثيرة (ت 792 ه) .

– انظر ترجمته في: الدرر الكامنة . ابن حجر . 4 / 217 (رقم 4933) ، البدر الطالع . الشوكاني .2/ 164 - 166 (رقم 548) ، الشذرات . 6 / 319 – 321 .

[3]- مجموعة الحواشي البهية على شرح العقائد النسفية .للتفتازاني .ج1.ص: 204.مطبعة كردستان العلمية –مصر/1329ه.

[4]- انظر: قضية التأويل في القرآن الكريم بين الغلاة والمعتدلين.ج2.ص: 274

نجد صدى ما عندهم، وما يذهبون إليه من اعتبار الظواهر،بل هي الباب الوحيد الذي لا يلج الناس باحة التفسير إلا منه، عند ابن عطاء الله السكندري[1]في قوله: (إعلم أن تفسير هذه الطائفة لكلام الله تعالى ولكلام رسوله-صلى الله عليه وسلم-بالمعاني الغريبة ...ليس إحالة للظاهر عن ظاهره، ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جلبت له الآية ودلّت عليه في عرف اللسان، وثم إفهام (كذا) باطنة تفهم عند الآية .. لمن فتح على قلبه... فلا يصدنك عن تلقي هذه المعاني منهم أن يقول ذو جدل ومعارضة: هذا إحالة لكلام الله عز وجل ... فليس ذلك بإحالة، وإنما يكون إحالة لو قالوا: لا معنى للآية إلا هذا، وهم لم يقولوا ذلك، بل يقرون الظواهر على ظواهرها مرادًا بها موضوعاتها، ويفهمون عن الله ما أفهمهم)[2].

إن دوافع النظر في كتاب الله تعالى معتبرة هنا، والفرق بين المهاجر إلى الله ورسوله ينشد مزيدا من الزلفى والقرب، ليس كمن رام الكيد واستبطن الشر، فمن قصد إلى الخطإ قصدا عن تعمد خبيث وسوء طوية، ليس كمن ساقه إليه الجهل بما قال أو بما آل إليه ما تأوله [3] فأي الفريقين خير مقاما، وقد كان منطلق أكثر المفسرين الفيضيين وغايتهم عبادة الله، فكان تفسيرهم —وإن أخطأوا أحيانا — ثمرة سلوك تعبدي مشروع غايته تصفية النفس من كدراتها، والسمو بها عن زخرف الدنيا وزينتها بالرغبة عنها وعدم الاغترار بمباهجها، والعيش مع العبادة بإتيان ألوانها المختلفة: ذكرا وصياما وحجا وصدقة وقراءة وتدبرا للقرآن الكريم، وأمرا بمعروف ونهيا عن منكر إلى ما هنالك من ضروب العبادة التي يلخصها اجتناب المناهي، والحرص على الطاعات قدر الاستطاعة، بما قد يفتح الله به (معه) على صاحبه من المعاني والإشارات المختزنة في آيات القرآن اللانهائية المعاني والدلالات من غير أن يدعي من كان شأنه وغايته كذلك أن هذا المعنى هو الأصل، وأنه هو مراد الله تعالى، بل يذهب

---

[1] - هو أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله الشيخ تاج الدين أبو الفضل الجذامي ثم السكندري الشاذلي ، له اليد الطولى في العلوم الظاهرة و المعارف الباطنية ، إمام في التفسير و الحديث و الأصول ، متبحر في الفقه ، صاحب "الحكم" .
- انظر ترجمته في : الكواكب الدرية . 3 / 8 – 10 (رقم 583) ، الموسوعة الصوفية .عبد المنعم الحفني .ص: 501 وما بعدها .

[2] - لطائف المنن .ص: 235، 236.دار الكتاب المصري –القاهرة –دار الكتاب اللبناني –بيروت .ط1411/1ه-1991م.باعتناء د: عبد الحليم محمود .

[3] - انظر: التفسير والمفسرون .ج2.ص: 342.

إلى أن هذا مما فتح الله به عليه من غير نكير منه للمعاني الظاهرة، وبلا مصادمة أو نقص أو إبطال لنص من نصوص الشريعة صحيح، أو إدخال فساد على مقصد من مقاصد دين الله، وكل هذا سيسوق إلى إفساد معاني الألفاظ العربية التي تواضع عليها أهل هذه اللغة بل العبث وتمزيق أوصال معانيها، فيسد في النهاية مجرى الخطاب العربي، وهذا لا يذهب إليه ولا يرتضيه من كان فيه مسكة من عقل وعلم لأنه يصير ضربا من التعمية والتجهيل، بل خرافة (لا يقبلها عقل ولا يؤيدها نقل) [1]، لأن الأصل في فهم القرآن واستنباط معانيه أن يكون جاريا على مقتضى العربية، ولا معارض له من الشرع، بل فيه على صحته شاهد حتى يقبل وإلا أدى إلى نقض بناء الشريعة والخروج من الإسلام، وعرض نصوص الوحي للفوضى والهوى فيؤدي إلى تهافت النصوص وتناقض التعاليم [2] وتفسير الفيضيين نسبته إلى الظاهر (كنسبة المفهوم إلى المنطوق، فكما أن المنطوق هو ما دل عليه اللفظ في محل النطق ...كذلك التفسير اللفظي للآية، هو ما أفاده نظمها، واقتضاه سياقها، وكما أن المفهوم هو ما دل عليه اللفظ لا في محل النطق ...لأنه غير منطوق به، كذلك التفسير الإشاري هو ما استفيد من الآية لا بطريق لفظها وعبارتها) [3]، فهو معارف ربانية استخرجها أهلها من القرآن كما استخرج الأصوليون والفقهاء بطريق الإشارة بعض أحكام التشريع [4].

فالتفسير الإشاري الفيضي لا يغفل المعنى الظاهر للنص الكريم، بل هو فيه معتبر وهو الأصل، لكنه –أي النص– بالمقابل مشتمل على معان بعيدة وفهوم باطنة خلف الألفاظ [5]، حتى قال غير واحد وهو يصور حالة من ترك ظاهر القرآن فلم يحكمه وعمد إلى استنباط ما بعده من الأسرار التي اشتمل عليها، (كمن ادعى بلوغ سطح البيت قبل أن يجاوز الباب) [6]، وتفاوت أهل التفسير الإشاري العملي أو الفيضي في إصابتهم فيما يوردون كتفاوت أهل كل فن من فنون المعرفة، ففيها

---

[1]- مناهل العرفان. ج2.ص: 56.

[2]- انظر: المرجع نفسه .ج2.ص: 86، 87.

[3]- كتاب بدع التفاسير .لأبي الفضل عبد الله محمد الصديق الغماري.ص: 150.

[4]- انظر: المرجع نفسه .ص: 151.

[5]- انظر: مدرسة التفسير في الأندلس .د: مصطفى ابراهيم المشني .ص: 640.مؤسسة الرسالة –بيروت .ط1/1406هـ-1986م.

[6]- مناهل العرفان .ج2.ص: 90.

—فنون المعرفة-طفولة ورجولة، ورعونة وتمكين، ودعوى وحقيقة، وخذلان وتوفيق، وهذا النوع من التفسير أولى بهذا وأحق، لأن نهايته انعكاس لبدايته، فمن صحت بدايته صحت نهايته، ومن فسدت بدايته فسدت نهايته وربما هلك، ومن ظن أنه يمكن أن يصل إلى شيء من هذا(دون مجاهدة أو وهب محقق، ومرشد موصل) [1]عالم بالكتاب والسنة عارف بالطريق الموصل إلى النور كان كمن ينشد جني الورد من غير أن يشاك أو يلعق العسل من غير أن يلدغ .

إن مراد الله سبحانه وتعالى في كتابه لا ينحصر في القدر الذي وقف عليه الناس حتى اليوم، لأن الآيات الحاضة على التدبر أبدية، فمن أوتي فهما وعلما من لدنه سبحانه وتعالى فقد أوتي خيرا كثيرا على أن (يكون الضابط في صحته أن لا يرفع ظاهر المعاني المتفهمة عن الألفاظ بالقوانين العربية، وألا يخالف القواعد الشرعية، ولا يباين إعجاز القرآن ولا يناقض النصوص الواقعة فيها، فإن وجد فيه هذه الشرائط فلا يطعن فيه وإلا فهو بمعزل عن القبول) [2]، ومعلوم أن أكثر المفسرين الإشاريين ابتداء «بالتستري»، وانتهاء «بابن عجيبة» و«الألوسي» مرورا «بالقشيري» و«ابن عربي» في بعض جوانب التفسير الإشاري عنده كانت أقوالهم قائمة على معرفة رفيعة مبنية على (بصر كامل باللغة والاشتقاق والقصص، وأسباب النزول والأخبار والتصوف) [3]، فسهل بن عبد الله يتفق المترجمون له على انه بصير بما ذكرنا، والقشيري إمام من الأئمة وله تفسير كبير سماه: "التيسير في علم التفسير" على طريقة أهل العبارة كما قيل: (وهو من أجود التفاسير —كما يقول طاش كبرى زادة- [4]، أما ابن عربي فبحر لا تكدره الدلاء، وابن عجيبة طود شامخ في فنون من المعرفة كثيرة و"بحره المديد " خير دليل بل إنه أوضحها عبارة، وأقربها فهما، وأحسنها سياقا وأسهلها عذوبة حتى ليشعر القارئ أن الآية ما نزلت إلا في هذا المعنى وما قصد منها سواه[5].

أما الألوسي فهو من كبار محققي علماء القرن التاسع عشر، و"روح المعاني"شاهد على جلالة

---

[1]- جمهرة الأولياء وأعلام اهل التصوف .ج1.ص: 39.

[2]- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم .ج2.ص: 80، 81.

[3]- البسملة بين أهل العبارة وأهل الإشارة .ص: 7.

[4]- مفتاح دار السعادة .ج2.ص: 96.

[5]- انظر: كتاب بدع التفاسير .ص: 151.

قدره وسعة علمه، مما يدل على أن التفسير الإشاري الفيضي خاصة لم يكن مرتعا يسرح فيه ويمرح كل من هب ودب، بل له أهله ومصطفوه وأصول يقوم عليها بالإضافة إلى ما ذكر من نحو: الاستعداد، والاصطفاء، وحمل النفس على المجاهدة بالتحلي بمحامد الأخلاق، والتخلي عن رعونات النفس وكدراتها، وقد قال أحدهم إن علومهم (لا تحصل مع محبة الدنيا، ولا تنكشف إلا بمجانبة الهوى، ولا تدرس إلا في مدرسة التقوى، قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ البقرة: ٢٨٢[1]، فطريقة تناولهم لآيات القرآن الكريم وإن جاءت – ظاهرا – مخالفة للمعهود والمألوف لكنها في حقيقة الأمر متممة لما قيل بسبب نفاذها إلى الداخل واتجاهها نحو المركز[2]،حتى قيل: إن لكلامهم صولة في القلب ظاهرة تدل على عمل في الباطن، وإخلاص في الضمير، وليس كلامهم كلام مبطلين) [3].

وقد قرروا أن كل قول لا يشهد عليه شاهد من كتاب أو سنة لا يعتد به لأنهما (لم يتركا في سبيل الهداية لقائل ما يقول، ولا أبقيا لغيرهما مجالا يعتد فيه، وإن الدين قد كمل، والسعادة الكبرى فيما وضع، والطلبة فيما شرع، وما سوى ذلك فضلال وهتان، وإفك وخسران، وأن العاقد عليهما بكلتا يديه مستمسك بالعروة الوثقى، محصل لكلمتي الخير دنيا وأخرى، وما سواهما فأحلام وخيالات وأوهام) [4]، وإن صح ان لكل فرد من أفراد الإنسان (قوة للتخلص إلى الغيب برؤيا يراها أو برأي يبصره، أو هتيف يسمعه أو حدس يتفطن له ... وله صفات يجل طورها عن طور صفات البهائم كالخشوع ... وكظهور بوارق الجبروت والملكوت من استجابة الدعاء وسائر الكرامات والأحوال والمقامات... (وكـ) زيادة القوة العقلية ... (الـ) مستعدة للعلوم الغيبية الفائضة بطريق

---

[1]- كتاب عوارف المعارف .للسهروردي.ص: 35.

- وانظر: البسملة بين أهل العبارة وأهل الإشارة .ص: 57.

[2]- انظر: المرجع نفسه.ص: 60.

[3]- مقدمة محقق"لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام ".لعبد الرزاق القاشاني (ت: 736ه) .ج1.ص: 38. دار الكتب المصرية – القاهرة .ط1/1416ه-1996م.تحقيق ودراسة: سعيد عبد الفتاح.

[4]- الإعتصام.للشاطبي .ج1.ص: 25.

الوهب) [1]، فلا ينبغي له –إن من الله عليه-بأشياء من هذه – أن يرمي بميزان الشرع من يده لأن الحكم له والنجاة في موافقة ما حكم به ظاهره ولأن الحجة فيه لا فيما يعرض لك مما يمكن أن يكون مكرا بصورة علم إلهي وأنت لا تشعر، فلا تقدم شيئا على النص فإن قدمت فإنك إذا من الخارجين عن الانتظام في سلك أهل الله اللاحقين بالأخسرين أعمالا [2].

فالوحي ميزان للأقوال والأفعال والأحوال والخواطر ومن لم يعتد به –أعني الوحي –(فلا تعده في ديوان الرجال) [3]لأن الله جل جلاله ما أرسل الرسول إلا ليطاع، وما كتبت الطاعة إلا للوحي والنصوص، وللمسلم بعد ذلك أن يأخذ ما جرى على هديهما مما اشتمل عليه "اللطائف "و"الفتوحات "و"الفصوص"،(فإن تخطئة غير المعصوم أهون من نسبة الباطل إلى المعصوم) [4]، ومهما بلغ حب فلان من العلماء إلى نفسك فإن الإسلام –وهو الحق كله –يجب أن يكون أحب إليك منه، والعصمة ليست إلا لكتاب الله وسنة رسوله فهما بحق ("حجة الإسلام"على كل أحد،وهما بحق "المنقذ من الضلال "و"القسطاس المستقيم"و"ميزان العمل"و"منهاج العابدين والعارفين ") [5]، وقد قيل: إن كل أحد يؤخذ منه ويرد عليه إلا من ضمه ثرى المدينة المنورة ﷺ، وقد نقل عن أبي الحسن الشاذلي –رحمه الله-انه كان يقول: (إذا عارض كشفك الكتاب والسنة فتمسك بالكتاب والسنة ودع الكشف، وقل لنفسك إن الله تعالى قد ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة و لم يضمنها لي في جانب الكشف والإلهام ولا المشاهدة مع أنهم أجمعوا على أنه لا ينبغي العمل بالكشف ولا الإلهام ولا المشاهدة إلا بعد عرضه على الكتاب والسنة) [6] اللّذين قام على صحة حصول خيري الدنيا والآخرة للمستمسك بهما البرهان الذي لا شبهة تعتريه (فرأيت –كما يقول الشاطبي –أن الهلاك في اتباع السنة هو النجاة، وأن الناس لن يغنوا عني من الله شيئا) [7] وأن اليقين حصل لمن أنار الله عقله

---

[1]- حجة الله البالغة .الدهلوي .ج1.ص: 77.

[2]- انظر: مجموعة رسائل ابن عربي .المجلد الثالث-المجموعة الثالثة.ص: 89، 90.

[3]- جمهرة الأولياء .ج1.ص: 86.

[4]- أبو حامد الغزالي والتصوف .عبد الرحمان بن محمد سعيد دمشقية .ص: 05.دار طيبة للنشر والتوزيع.الرياض .ط1409/2ه.

[5]- المرجع نفسه .ص: 05.

[6]- جمهرة الأولياء وأعلام أهل التصوف .ج2.ص: 221.

[7]- الاعتصام .ج1.ص: 28.

وبصيرته بأن (كل الآداب تتلقى من رسول الله ﷺ فإنه ﷺ مجمع الآداب ظاهرا وباطنا) [1] وأن (كل علم لا يوافق الكتاب والسنة، وما هو مستفاد منهما أو معين على فهمهما أو مستند إليهما كائنا ما كان، فهو رذيلة، وليس بفضيلة، يزداد الإنسان به هوانا ورذيلة في الدنيا والآخرة)[2].

وقد نقل السهروردي عن سهل بن عبد الله التستري أنه قال: (كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فباطل، قال السهروردي عقب إيراده لكلام "سهل": (هذا حال الصوفية وطريقهم، وكل من يدّعي حالا على غير هذا الوجه فمدّع مفتون كذاب) [3] وقال في موضع آخر تعقيبا على كلام عبد الواحد بن زيد حين سئل: من الصوفية عندك ؟ قال: القائمون بعقولهم على فهم السنة، والعاكفون عليها بقلوبهم، والمعتصمون بسيدهم من شر نفوسهم "قال –أعني السهروردي –: (وهذا وصف تام وصفهم به) [4].

كما نقل عن الجنيد قوله: علمنا هذا مشتبك بحديث رسول الله ﷺ وقال آخرون: من أمّر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة، ومن أمّر الهوى على نفسه قولا وفعلا نطق بالبدعة، وعن أبي سعيد الخراز[5]أنه كان يقول: كل باطن يخالفه ظاهر فهو باطل [6] وأحسب أنه لا فرق بين كلام من مر ذكرهم وكلام شاه بن شجاع الكرماني[7]الذي كان لا تخطئ له فراسة كما يقول ابن تيمية، فقد قال –كما نقل عنه ذلك ابن تيمية: ("من عمّر ظاهره بإتباع السنة، وباطنه بدوام المراقبة، وغض

1- مجموعة رسائل الغزالي –روضة الطالبين وعمدة السالكين .ص: 100.

2- كتاب عوارف المعارف .السهروردي .ص: 30.

3- المصدر نفسه .ص: 51.

4- المصدر نفسه .ص: 47.

5- هو أحمد بن عيسى ، من أهل بغداد ، صحب ذا النون المصري و غيره من أئمة القوم و أجلة مشايخهم ، قيل أول من تكلم في علم الفناء و البقاء (ت: 279 ه) .

– انظر ترجمته في : طبقات الصوفية .طبقة 2 (رقم 14) ص:228 ، حلية الأولياء .10/ 264 – 267 (رقم 567) ، الرسالة القشيرية .ص:22 ، الكواكب الدرية .1/ القسم الثاني .ص:510 – 515 (رقم 210)

6- المصدر نفسه .ص: 50.

7- هو شاه بن شجاع ، أبو الفوارس ، كان من أولياء الملوك من أجلة الفتيان و علماء هذه الطبقة له رسالات مشهورة ، (ت قبل 300ه) . انظر ترجمته في : طبقات الصوفية . طبقة 2 (رقم7) ص: 192 ، حلية الأولياء .10/ 252 – 254 (رقم 564)، صفة الصفوة .4/ 41 ، الرسالة القشيرية .22 .الكواكب الدرية .2 /102 – 105 (رقم 341) .

بصره عن المحارم، وكف نفسه عن الشهوات، وذكر خصلة خامسة أظنه هو أكل الحلال —لم تخطئ له فراسة " والله تعالى يجزي العبد على عمله بما هو من جنس عمله، فيطلق نور بصيرته ويفتح عليه باب العلم والمعرفة والكشوف، ونحو ذلك مما ينال ببصيرة القلب) [1].

فالقوم كما قيل يحملون منهجا إسلاميا في تصوره، وسلوكه، سنده القرآن والسنة بما اشتملا عليه من هدي وتوجيه وتربية لا تجافي الواقع، ولا تعادي العقل، ولا تستخف بالقلب أو تستهين به في تدفّقه الفياض، ولا تركن إلى الدنيا بل تجعل من العمل فيها معبرًا لسعادة الأخرى [2].

ولعل أجمع وصف لهم ما ذكره عبد القاهر البغدادي (ت: 429هـ) حيث قال: (والصنف السادس منهم —يعني من أهل السنة والجماعة —الزهاد الصوفية الذين أبصروا فأقصروا واختبروا فاعتبروا ورضوا بالمقدور وقنعوا بالميسور، وعلموا أن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك مسؤول عن الخير والشر ومحاسب على مثاقيل الذر، فأعدوا خير الاعتداد ليوم المعاد، وجرى كلامهم في طريقي العبارة والإشارة على سمت أهل الحديث دون من يشتري لهو الحديث، لا يعملون الخير رياء ولا يتركونه حياء، دينهم التوحيد ونفي التشبيه، ومذهبهم التفويض إلى الله تعالى والتوكل عليه والتسليم لأمره والقناعة بما رزقوا، والإعراض عن الاعتراض عليه: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ الحديد: ٢١) [3] وكانوا عالمين بأن الألفاظ (إذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع، ومن غير ضرورة تدعو إليه من دليل العقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالألفاظ وسقط به منفعة كلام الله تعالى وكلام رسوله — ﷺ—، فإن ما يسبق منه إلى الفهم لا يوثق به، والباطن لا ضبط له، بل تتعارض فيه الخواطر، ويمكن تنزيله على وجوه شتى) [4].

وهذا الذي ذكره الغزالي هو منهج أهل السنة والجماعة في فهم الوحي بالاستعانة باللغة في وضوح ألفاظها وسلامة استعمالها واستقامة التعبير عن المعاني ابتغاء تجلية المعنى إن كان اللفظ لا

---

[1]- تفسير سورة النور .ص: 202

[2]- انظر قضية التأويل في القرآن الكريم بين الغلاة والمعتدلين .ج2.ص: 267، 268.

[3]- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم .ص: 302.

[4]- إحياء علوم الدين .لأبي حامد الغزالي .ج1.ص: 65.

يحتمل غيره أو ترجيح المعنى إن احتمل اللفظ عدة معان [1].

إن التأويل في صورته الصحيحة المنضبطة بضوابط اللغة والشرع والعقل مخرج من ساحته لكلّ تأويل أساسه الهوى الآثم، ودافعه الشهوات الضالة، ولكلّ تأويل ليس عليه دليل قرّرته الشريعة أو أقرّه العقل الذي أشرق عليه نور من ربه، وتسلل إليه شعاع من أشعة التوفيق الإلهي .(فالتأويل وليد نظر سليم معمق، واجتهاد موفق لا يُقبل إلا من أولي الألباب الراسخين في العلم المتحصّنين بالإيمان)[2].

فمن قام نظره في كتاب الله تعالى على علم صحيح، ومعرفة راسخة مرصّعة بإيمان وتقوى لا يلتفت إلى صاحبه بعد ذلك إن كان من أهل النظر والبحث والدراسة ممن يعتقدون أن الربّ ربّ والعبد عبد، الفاصلين بين الحق والخلق بين الله والعالم، أو كان من أصحاب الذوق والأحوال المؤثرين للزهد الملازمين للتقشف المولعين بطاعة الله المتفانين في حبّه [3].العالمين بأن الصريح عام في الدين –كما يقول ابن العربي –(به جاء البرهان، وعليه دار البيان، فلا يجوز أن يعدل بلفظ عن صريح معناه إلى سواه، فإن ذلك تعطيل للبيان، وقلب له إلى الإشكال، فإذا تقرر الصريح في نصابه، فالإشارة بعد ذلك إلى الأمثال والأشباه، والتنبيه لوجه التشبيه أصل عظيم في العقل، وباب متسع في الدين، وسبيل واضحة في الشريعة) [4] بشرط أن تكون الآية قابلة لهذه الإشارة وإن لم تسبق إليها ابتداء فقد يذكر أهل الإشارة معنى هو في نفسه صحيح لكن الآية لم تسق إليه وهنا لا ينبغي أن يقال إن المعنى الإشاري مراد منها، خاصة إذا دل عليه دليل آخر صريح فيه، إذ لا خلاف في أن ما كان كذلك لا يطلب بالتضمين من غيره [5].

إن عامة المسلمين –ناهيك عن علمائهم –لا يرون في آيات العقائد والقصص وغيرها إلا حقا وصدقا منها تؤخذ العقائد وأنواع العبادات، وتستلهم المواعظ والعبر، ولا يدور بخلدهم أنها أساطير

---

[1]- انظر قضية التأويل في القرآن الكريم بين الغلاة والمبتدعين .ج2.ص: 225.

[2]- المرجع نفسه .ج1.ص: 76.

[3]- المرجع نفسه .ج2.ص: 307.

[4]- العواصم من القواصم .ص: 196.دار الثقافة –الدوحة .ط1/1413ه-1992م.تحقيق: د: عمار طالبي .

[5]- انظر: المصدر نفسه .ص: 198.

الأولين اكتنبها – ﷺ- فهي تملى عليه بكرة وأصيلا، بل هي عقيدة وشريعة وما كانت حديثا يفترى، وأن المعنى الذي يطلب- إشاريا أو ظاهرا - لا يطلب من ورائه كسر الحدود المرسومة والشروط المعلومة وقبلها الحقائق التي تنص عليها أمثال هذه الآيات، فهذا مسلك الباطنية من القدامى ومن يضاهيهم من الباطنية الجدد ممن لم يرعوا للوحي حرمة ولا للعقل قيمة ومقاما فأقحموه فيما لا طاقة له به مقررين به أنه لا يوجد نص غير قابل للتأويل، وهي سفاهة لا يرغب فيها إلا من سفه نفسه فحكّم في كل أمر عقله ساعيا إلى تأويل ما لا يقبل التأويل .

وما كان دأب من وصفنا حالهم من الأصفياء هذا، ولا كانت الإشارات غاية لهم، بل كان الله قصدهم ومبتغاهم .قال ابن خلدون –رحمه الله-: (وأما المتصوفة فرياضتهم دينية، وعرية عن هذه المقاصد المذمومة، وإنما يقصدون جمع الهمة والإقبال على الله بالكلية ليحصل لهم أذواق أهل العرفان والتوحيد، ويزيدون في رياضتهم إلى الجمع والجوع التغذية بالذكر فبها تتم وجهتهم في هذه الرياضة، لأنه إذا نشأت النفس على الذكر كانت أقرب إلى العرفان بالله، وإذا عريت عن الذكر كانت شيطانية، وحصول ما يحصل من معرفة الغيب والتصرف لهؤلاء المتصوفة إنما هو بالعرض، ولا يكون مقصودا من أول الأمر، لأنه إذا قصد ذلك كانت الوجهة فيه لغير الله، وإنما هي لقصد التصرف والاطلاع على الغيب، وأخْسِرْ بها صفقة، فإنها في الحقيقة شرك، قال بعضهم: من آثر العرفان للعرفان فقد قال بالثاني، فهم يقصدون بوجهتهم المعبود لا لشيء سواه، وإذا حصل في أثناء ذلك ما يحصل فبالعرض، وغير مقصود لهم، وكثير منهم يفر منه إذا عرض له، ولا يحفل به، وإنما يريد الله لذاته لا لغيره .وحصول ذلك لهم معروف، ويسمون ما يقع لهم من الغيب والحديث على الخواطر فراسة وكشفا، وما يقع لهم من التصرف كرامة، وليس شيء من ذلك بنكير في حقهم) [1] فمن كانت حاله بهذه المثابة لا يمكن أن يقصد إلى تحريف كلام مولاه عن مواضعه، أو يذهب بعيدا عن معتقده الفكري البسيط العميق السهل الممتنع أو يدعو إلى الانفصال عن القيود، وإن وهم ذلك واهم متحجر أو شطح شاطح مجذوب أو ادعى الانتساب إلى هؤلاء الأصفياء مدع موتور يرجو النعيم بمسلك لئيم [2].

---

[1]- مقدمة ابن خلدون . ج1.ص: 223، 224.

[2]- انظر: التفسير الصوفي للقرآن . دراسة وتحقيق لكتاب " إعجاز البيان في تأويل أم القرآن " . ص: 51.

إن الهيبة والحذر من الاقتراب من تفسير القرآن الكريم باعتبار أن شرحه محاولة من المفسر لإظهار مراد الله تعالى بقدر الإمكان ظل هاجسا يلاحق كل من يفكر في الإنبراء لهذا الأمر لأنه – أعني تفسير القرآن الكريم –(من أصعب الأمور فالإقدام عليه جرأة كما يقول الونشريسي) [1]، والهيبة والحذر في ما كان متناولا لظاهره، فلأن يخشى الناس ويتهيبون من" باطنه " أولى حتى وجدنا بعض الأجلة ينفرون وينفرون من التصدي لهذا اللون من التفسير، نجد هذا عند علماء القرآن في القديم وفي الحديث، ما حملهم على هذا إلا علمهم بأن الأمر عظيم، واحتمال صرف الآية إلى معنى غير مراد واقع ممن وصفنا حالهم أو من غيرهم .

فالزرقاني –رحمه الله تعالى –حذر المسلمين من الوقوع في شباك المعاني الإشارية التي لا ضابط لها من دين أو لغة، مشيرا عليهم بأن ينفضوا أيديهم من أمثال تلك التفاسير الملتوية غير معولين عليها (لأنها كلها أذواق ومواجيد خارجة عن حدود الضبط والتقييد، وكثيرا ما يختلط فيها الخيال بالحقيقة،والحق بالباطل، وإذا تجردت من ذلك فقلما يظهر فيها مراد القائل، وإذا ظهر فقد يكون من الكفريات الفاحشة التي نستبعد صدورها من العلماء والمتصوفة بل من صادقي عامة المسلمين،والتي نرى الطعن فيها بالدس والوضع أقرب وأسلم من الطعن فيمن عزيت إليه بالكفر والفسق.

فالأحرى –والكلام للزرقاني أيضا –بالفطن العاقل أن ينأى بنفسه عن هذه المزالق، وأن يفر بدينه من هذه الشبهات، وأمامه في الكتاب والسنة وشروحهما على قوانين الشريعة واللغة رياض وجنات: ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾البقرة: ٦١.و قال رسول الله ﷺ:

«فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه »، وقال رسول الله ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا

---

[1]- المعيار المعرب .ج2.ص: 482.وزارة الأوقاف –الرباط/1981م.

- و الونشريسي هو أبو العباس أحمد بن يحي التلمساني ثم الفاسي مفتيها ، الإمام العالم العلامة العمدة المحصل الفهامة المحقق المطلع ، حامل لواء المذهب باليمين مع الورع و الدين المتين ، ألف "المعيار " جمع فيه فأوعى ، وأتى على كثير من فتاوى المتقدمين و المتأخرين و له تعليق على ابن الحاجب ، و شرح على وثائق الفشتالي ، وكتاب القواعد في الفقه و الفائق لم يكمل و غيره (ت: 914ه) .

-انظر ترجمته في : شجرة النور الزكية .ص:274 (رقم 1022)، دائرة المعارف الإسلامية .32 .ص: 10171 .

يريبك»[1]*وقد ألمح إلى هذا من المتقدمين غير واحد، فقد قال ابن العربي مشيرا إلى التنفير منه: (ثم نظرنا في طائفة نبعت يقال لهم أصحاب الإشارات، جاءوا بألفاظ الشريعة من بابها، وأقروها على نصابها، لكنهم زعموا أن وراءها معاني غامضة خفية وقعت الإشارة إليها من ظواهر هذه الألفاظ، فعبروا إليها بالفكر، واعتبروا منها في سبيل الذكر) [2] وذكر في غير العواصم من القواصم وقوع هذا وجريانه في كثير من كتب التفسير فقال: (ومن علم الباطن أن تستدل من مدلول اللفظ على نظير المعنى، وهذا باب جرى في كتب التفسير كثيرا، وأحسن ما ألف فيه كتاب "اللطائف والإشارات "للقشيري – ﷺ– وإن فيه لتكلفا أوقعه فيه ما سلكه من مقاصد الصوفية، فخذوا ما تعلمون، وقفوا دون ما تجهلون، ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون) [3].

وجَعْلُ الاعتبار الذي أشار إليه ابن العربي في "العواصم"معتبرا ألمح إليه كثيرون،وممن ذكره "شاه ولي الله الدهلوي" وإن لم يعده من فن التفسير فقال: (وأما إشارات الصوفية واعتباراتهم فليست في الحقيقة من فن التفسير وإنما يظهر على قلب السالك عند استماع القرآن أشياء، وتتولد في نظم القرآن، ومثل يتصف به السالك من حالة أو معرفة حصلت له) [4] منبها إلى أن لهذا أصلا ومنبتا شرعيا فقال: (و ههنا فائدة ينبغي الاطلاع عليها وهي: أنّ حضرته ﷺ جعل من الاعتبار معتبرا، وسلك ذلك الطريق لتكون سنة لعلماء الأمة، ويكون ذلك فتحا لباب ما وهب لهم من العلوم، كآية: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ﴾ الليل: ٥ قرأها في مسألة القدر بالتمثيل، وإن كان منطوق الآية أن من عمل هذه الأعمال لهديه إلى طريق الجنة والنعيم، ومن عمل بضدها تفتح له طريق النار والتعذيب، ولكن يمكن أن يعلم بطريق الاعتبار أن كل واحد خلق لحالة تجري عليه تلك الحالة من حيث يدري أو لا يدري –فبهذا الاعتبار وقع لهذه الآية ارتباط بمسألة القدر) [5].

---

[1]- مناهل العرفان في علوم القرآن .ج2.ص: 101، 102.

* وانظر: حديث " دع ما يريبك ..." عند الترمذي عن الحسن بن علي .في صفة القيامة و الرقائق و الورع عن رسول الله ﷺ .حديث رقم 2518. ج4.ص: 668. قال : "هذا حديث صحيح " .

[2]- العواصم من القواصم .ص: 193.

[3]- قانون التأويل .ص: 207.دار الغرب الإسلامي –بيروت .ط1990/2م.دراسة وتحقيق: محمد السليماني .

[4]- الفوز الكبير في أصول التفسير .ص: 106.

[5]- المرجع نفسه .ص: 106.

ولم ير الذهبي الدكتور غضاضة في الاعتداد بباب الاعتبار فقال: (إن الناظر في القرآن الكريم، قد يأخذ من معنى الآية معنى باب الاعتبار فيجريه فيما لم تنزل فيه الآية، لأنه يجامعه في القصد أو يقاربه)[1] وهذا الذي ذكر" الذهبي " ومن قبله "الدهلوي " ناحية من أنحاء ثلاثة لا تعدوها الإشارات ولا تخرج عنها ذكرها العلامة "ابن عاشور "، وسمى ثالث الأنحاء "عبر ومواعظ " قال فيه: (وشأن أهل النفوس اليقظى أن ينتفعوا من كل شيء ويأخذوا الحكمة حيث وجدوها فما ظنك بهم إذا قرءوا القرآن وتدبّروه فاتعظوا بمواعظه، فإذا أخذوا من قوله تعالى: ﴿ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴾ المزمل: ١٦ اقتبسوا أن القلب الذي لم يتمثل رسول المعارف العليا تكون عاقبته وبالا .

ومن حكاياتهم في غير باب التفسير أن بعضهم مر برجل يقول لآخر: هذا العود لا ثمرة فيه فلم يعد صالحا إلا للنار .فجعل يبكي ويقول: إذن فالقلب غير المثمر لا يصلح إلا للنار) [2] .

ولنفاسة ما ذكره ابن عاشور ودقته ودلالته على ما نحن فيه وما يسلط من ضوء على هذا اللون من التفسير نورد الناحية الأولى والثانية حتى يتضح موقفه، ويبين مسلكه مما نحن فيه .

أما **الأولى** فهي: (ما كان يجري فيه معنى الآية مجرى التمثيل لحال شبيه بذلك المعنى كما يقولون مثلا ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ البقرة: ١١٤ أنه إشارة للقلوب لأنها مواضع الخضوع لله تعالى، إذ بها يعرف فتسجد له القلوب بفناء النفوس .ومنعها من ذكره هو الحيلولة بينها وبين المعارف اللدنية،"وسعى في خرابها "بتكديرها بالتعصبات وغلبة الهوى، فهذا يشبه ضرب المثل لحال من لا يزكي نفسه بالمعرفة ويمنع قلبه أن تدخله صفات الكمال الناشئة عنها بحال مانعي المساجد أن يذكر فيها اسم الله، وذكر الآية عند تلك الحالة كالنطق بلفظ المثل) [3].

---

[1]- التفسير والمفسرون .ج2.ص: 345.

[2]- التحرير والتنوير . ج1.ص: 34.

[3]- المصدر نفسه.ج1.ص: 33.

و أمّا الناحية الثانية: فقال إنّها ما كان من نحو التفاؤل (فقد يكون للكلمة معنى يسبق من صورتها إلى السمع هو غير معناها المراد،وذلك من باب انصراف ذهن السامع إلى ما هو المهم عنده والذي يجول في خاطره، وهذا كمن قال في قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾البقرة: ٢٥٥ من"ذل ذي "إشارة للنفس يصير من المقربين الشفعاء، فهذا يأخذ صدى موقع الكلام في السمع، ويتأوله على ما شغل به قلبه،ورأيت الشيخ "محي الدين " يسمي هذا النوع سماعا ولقد أبدع) [1]" ولا أدري كيف سكت عن هذا الذي أورده وهو يعلم ما قاله غيره فيه*، وربما خفف وطأة هذا عنده ما ستسمع نبأه بعد حين، حين ختم –رحمه الله –كلامه بنص يشبه أن يكون سياجا ودرعا يحمي النص الكريم من أن تمتد إليه يد العابثين المزقين لحدود اللغة والشرع فقال: (فنسبة الإشارة إلى لفظ القرآن مجازية، لأنها إنما تشير لمن استعدت عقولهم وتدبرهم في حال من الأحوال الثلاثة، ولا ينتفع بها غير أولئك،فلما كانت آيات القرآن قد أنارت تدبرهم وأثارت اعتبارهم نسبوا تلك الإشارة للآية، فليست تلك الإشارة هي حق الدلالة اللفظية والإستعمالية حتى تكون من لوازم اللفظ وتوابعه ... وكل إشارة خرجت عن حد هذه الثلاثة الأحوال إلى ما عداها فهي تقترب إلى قول الباطنية رويدا، رويدا إلى ان تبلغ عين مقالاتهم[2]، ولا يرضى أن يبلغ عين مقالتهم من أثمر له صالح عمله سني الأحوال، وهيّأ له صفاء الفهم لقبول العلم، وصار له بعد اللسان لسان وبعد العرفان عرفان، وبعد الإيمان إيمان [3].

وبعد تقلبه في الأحوال بين سير وطير، وارتقاء من عال إلى أعلى منه، مع فتح أبواب المزيد علما وحالا عليه، حتى صار باطنه معدن حقائق ومجمع علوم[4].

فهل ينكص على عقبيه من فتت الخوف من الله كبده، وهل يقبل أن يحرم لذة المناجاة والقرب

---

[1]- التحرير والتنوير .ج1.ص: 34.

* فقد أفتى سراج الدين البلقيني حين سئل عمن قال هذا في الآية –كما نقل عنه السيوطي في الإتقان .ج4.ص: 195.(بأنه ملحد).

[2]- التحرير والتنوير .ج1.ص: 34.

[3]- انظر: كتاب عوارف المعارف .للسهروردي .ص: 64.

[4]- انظر: المصدر نفس .ص: 60.

من مزق الخوف من القطيعة قلبه وفؤاده، وهو أخشى ما يخشاه، لما فيه من إلقاء بالأيدي إلى التهلكة، ورمي بالأنفس في أجمة السباع [1].

وقبل أن أتحدث عمن عرف من المفسرين بالإشارة ومحض تفسيره لها أو خلطها بغيرها حتى قال الزركشي ناسبا إليهم هذا اللون من التفسير: (فأما كلام الصوفية في القرآن فقيل ليس تفسيرا، وإنما هي معان ومواجيد يجدونها عند التلاوة، كقول بعضهم في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ التوبة: ١٢٣.

إن المراد: النفس، فأمرنا بقتال من يلينا، لأنها أقرب شيء إلينا، وأقرب شيء إلى الإنسان نفسه)[2] أحب أن أشير إلى وجوده على قلة عند غيرهم ممن لم يكن لهم اعتناء به، بل ربما كانوا من خصومه، ومع ذلك نبهوا عليه وأثبتوه في بعض الآيات .

فابن عطيّة: كان شديدا على أهل هذا اللون من التفسير، ولم أر في الآيات القليلة التي طالعتها في "محرره " تعريجا منه عليه، كيف يورده في تفسيره وقد وصف أهله بالملحدين، ونعت تفاسيرهم للقرآن بأنها افتراء على الله وبهتان من القول .

وقد ذكر في مقدمة التفسير، وهو يكشف عن منهجه العام في شرح الآيات وتفسيرها: (...وأثبتُّ أقوال العلماء في المعاني المنسوبة إليهم على ما تلقى السلف الصالح –رضوان الله عليهم – كتاب الله تعالى من مقاصده العربية، السليمة من إلحاد أهل القول بالرموز، وأهل القول بعلم الباطن وغيرهم، فمتى وقع لأحد من العلماء الذين قد حازوا حسن الظن بهم لفظ ينحو إلى شيء من أغراض الملحدين نبّهت عليه)[3].

ولذا قال في تفسيره لقوله سبحانه: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ النحل: ٣٨ .

---

[1]- انظر: البسملة بين أهل العبارة وأهل الإشارة .ص: 86.

[2]- البرهان في علوم القرآن .ج2.ص: 311.

[3]- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز .ج1.ص: 10،11.

(والبعث من القبور مما يجوزه العقل، وأثبته خبر الشريعة على لسان جميع النبيئين، وقال بعض الشيعة: إن الإشارة بهذه الآية لعلي بن أبي طالب –رضي الله عنه–،وإن الله سيبعثه في الدنيا، وهذا هو القول بالرجعة، وقولهم هذا باطل وافتراء على الله، وبهتان من القول رده ابن عباس –رضي الله عنه –وغيره) [1]

وفي تفسيره لقول الله تبارك اسمه: ﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ النحل: ٦٩.

قال: (وذهب قوم من أهل الجهالة إلى أن هذه الآية إنما يراد بها أهل البيت من بني هاشم، وأنهم النحل، وأن الشراب القرآن والحكمة) [2].وهو قول سخيف كما يقول، " والإشارة " أملاها المذهب قبل أن يخطها قلم من كتبها أو قول من قالها .

أما الزّمخشري: فقد جعل هذا النوع من التفسير من البدع الداخلة الدخيلة على بيان معاني القرآن فقال في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴾ الضحى: ٦: (ومن بدع التفاسير أنه –يعني: "ألم يجدك يتيما فآوى "–من قولهم: درّة يتيمة، وأن المعنى: ألم يجدك واحدا في قريش، عديم النظير ؟فآواك! [3]" وقال غيره بعد إيراده لكلام الزمخشري السابق –: (يجوز أن يكون من باب الإشارة .والمعنى: أن النبي ﷺ كان عديم النظير في قريش، يبغض الأصنام، وهم يعبدونها، ويتجنب قبائح الجاهلية، وهم منغمسون فيها، وينشد معالي الأمور، وهم يحبون سفاسفها، فهو درة يتيمة، وسط معادن غير كريمة، وأشق شيء على الشخص وجوده بين ناس غير موافقين، فآواه الله إليه وآنسه بوحيه) [4] .

أما القاضي أبو بكر بن العربي: فمع تصريحه برفضه لقبول هذا التفسير في غير واحد من كتبه

---

[1]- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز .ج8.ص: 416.

[2]- المصدر نفسه .ج8.ص: 463.

[3]- الكشاف .ج6.ص: 392.

[4]- كتاب بدع التفاسير .ص: 147

إلا أنه استعمله في غير موضع من تفسيره "أحكام القرآن"،كما قبل بعض أقوال أهله ورد بعضها الآخر في كتب أخرى له وربما نعت أقوالهم بأنها متكلفة يستغنى عنها لغرابتها [1].

فمِمَّا رده: ما جاء في تفسيره لقوله تعالى في سورة الرعد: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴾ الرعد: ١٥ قال: إن تفسيرها على أقوال جمهورها أربعة .

(الثالث: قال الصوفية: المخلص يسجد لله محبة، وغيره يسجد لابتغاء عوض أو لكشف محنة فهو يسجد كرها .

الرابع: الخلق كلهم ساجد، إلا أنه من سجد بقلبه فهو طوع، ومن سجد بجاله فهو كره، إذ الأحوال تدل على الوحدانية من غير اختيار ذي الحال، ثم قال معلقا على قول الصوفية: (أما من سجد لدفع شر فذلك بأمر الله، هو الذي أمرنا بالطاعة، ووعدنا بالثواب عليها، ونهانا عن المعصية وأوعد بالعقاب عليها، وهذا حال التكليف، فلا يتكلف فيها تعليلا إلا ناقص الفطرة قاصر العلم، وغرض الصوفية ساقط ... فما عبد الله نبي مرسل ولا ولي مكمل إلا طلب النجاة) [2] .

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ هود: ١١٤ قال مضعفا لأقوال الصوفية رادا لها لمخالفتها الظاهر ولعدم قيام دليل من الشرع على حجيتها، ولإيقاع المكلفين في الحرج، وتكليفهم بما ليس في طاقتهم -: (قال شيوخ الصوفية: إن المراد بهذه الآية استغراق الأوقات بالعبادات نفلا وفرضا، وهذا ضعيف فإن الأمر لم يتناول ذلك لا واجبا فإنها خمس صلوات، ولا نفلا فإن الأوراد معلومة، وأوقات النوافل المرغب فيها محصورة، وما سواها من الأوقات يسترسل عليه الندب على البدل لا على العموم ؛ فليس ذلك في قوة بشر) [3].

وقال في "العواصم من القواصم": (قالوا إن قوله تعالى: ﴿ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ

1- انظر: قانون التأويل .ص: 196 .

2- أحكام القرآن .ج3.ص: 82.

3- المصدر نفسه .ج3.ص: 29، 30.

﴿ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ طه: ١٢ الإشارة فيه إلى خلع الدنيا والآخرة من قلبه، وقيل تنقّ من نوعي أفعالك، وقالوا في قوله "ألق عصاك" أي لا يكون لك معتمد ومستند غيري .

قال القاضي أبو بكر رضي الله عنه: هذه إشارة بعيدة أو قل معدومة، فإنها إلى غير مشار) [1].

وبعد كلام أبطل فيه ما قيل من الإشارات، واصفا إياها بالخرافة، قال: فدع عنك لُبا صيح في حجراته، وعوّل على كتاب الله ومعلوماته) [2].

ولم يرتض حمل بعضهم لقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ البقرة: ١١٤ على غير ظاهرها وأن المراد بالمساجد أماكن العبادة التي يقيم فيها المسلمون شعائرهم، أما تخريبها على قلوب المؤمنين فلا يستقيم .وكذلك القول في آية المشرق والمغرب فإنه نص في الجهات، ومن تكلف غير هذا فقد تعسف) [3] .

بل إنه رفض هذا في حديث رسول الله ﷺ وذلك في قوله ﷺ: « لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة »[4]، فقد فند الإشارات التي ذكرت شرحا للحديث على طريقة القوم فقال: (هذه قدحة خاطر ولمحة ناظر لا يحتاج إليها، وأصلها إنما هو من القوم الذين ..شأنهم ..تعطيل الشرائع، وإن كل ما جاء منها وجرى في ألفاظها، ليس على ظاهره، وإنما هو كله مبني على التعبير عن باطن سواه، وغرض آخر غيره على معنى الكتابة والرموز...وهذا معنى فاسد) [5]وقد قال قبل هذا -- بعد إقراره لظاهر الحديث وذكر ما قيل من الإشارات فيه -- (نقر الحديث على ظاهره ونعبر منه على طريق الاعتبار إلى هذا المعنى المشار إليه فنلحقه به، ونكون عاملين بالوجهين، موفين حق اللفظ في

---

[1]- العواصم من القواصم .ص: 199.

[2]- المصدر نفسه .ص: 199.

[3]- انظر: المصدر نفسه .ص:

[4] - الحديث في صحيح البخاري عن ابن عباس .كتاب بدء الخلق . باب :"إذا قال أحدكم آمين و الملائكة في السماء ".ج4.ص:138.

[5]- العواصم من القواصم .ص: 200.

المعنيين وهذا حكم الاعتبار والإلحاق) [1]، لأنه كالمقطوع به أن ما ذهب إليه أهل الإشارة لم يكن مقصودا له ﷺ، ثم إن تطهير القلوب الذي يشيرون إليه في الحديث منصوص عليه في مواضع كثيرة، فتفسيرهم لا يُحتاج إليه، وملامح الأغراض الفلسفية لائحة عليه، ومنهج الشريعة غير ذلك، فلا يفهم إلا على أنه كيد الكائدين من الطوائف الخبيثة [2].

لكنه قبل بعض أقوالهم التي لم يخرجوا فيها عن ظواهر النصوص، ولا ما تقرر في لسان العرب، وليس فيه ما يخالف الشرع، ففي تفسيره لقوله سبحانه: ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴾ النمل: ٢٠ قال: قال القشيري –نقلا عن غيره –: (إنما قال: " مالي لا أرى الهدهد " لأنه اعتبر حال نفسه إذ علم أنه أوتي الملك العظيم، وسخر له الخلق فقد لزمه حق الشكر بإقامة الطاعة وإدامة العمل، فلما فقد نعمة الهدهد توقع أن يكون قصر في حق الشكر فلأجله سلبها، فجعل يتفقد نفسه فقال: مالي! .وكذلك تفعل شيوخ الصوفية إذا فقدوا آمالهم تفقدوا أعمالهم .هذا في الآداب فكيف بنا اليوم، ونحن نقصر في الفرائض) [3].

وفي إجابته عن سؤال سالك عن قول صاحب "الحقائق": ما الحكمة في قول الله سبحانه: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ يونس: ١٠٧ فأضاف الضر إلى المس والخير إلى الإرادة ؟فقال: أي ابن العربي –(فأمليت في ذلك على طريقة القوم ما نصه:) ثم ذكر سبعة أقوال كلها على طريقة القوم –كما قال –إلا الأول والسابع وهاك اثنين منها، وهما: الثاني والثالث، فقال: (الثاني: أنه أراد أن يضيفه إلى نفسه باللفظ الأخص الأقرب ليكون أهون على الحبيب وأعذب: ألا ترى إلى قولهم "الحنظلة من كف من تحب مستعذبة "وقال الناظم في المخلوق:

---

[1]- العواصم من القواصم .ص: 200.

[2]- انظر: المصدر نفسه، ص: 200، 201.

[3]- أحكام القرآن .ج3.ص: 479.

أستودع الله في أبياتكم قمـــرا *** تـــــراه بالشـــــوق عيـــني وهـــو محجـــوب

أرضى أو أسخط أو أنوي تجنبه *** فكل ما يفعل المحبوب محبـــوب(فالله تعالى أحق)

الثالث: أراد بقوله: "وإن يمسسك الله بضر" من السرور والطرب، فإن الركون إلى ذلك غفلة وغرور وأمن من المكر، وإنما ينبغي للمحب أن يكون مع حبيبه متدرجا على بساط الوصل بتحفظ وتيقظ وتوقف وتشوّف)[1].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ العنكبوت: ٤٥ نقل كلامهم من غير أن يتعقبه بشيء، قال: (قال شيوخ الصوفية: المعنى فيها أيضا أن من شأن المصلي أن ينهى عن الفحشاء والمنكر، كما من شأن المؤمن أن يتوكل على الله، كما قال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ المائدة: ٢٣، وكما لا يخرج المؤمن بترك التوكل على الله عن الإيمان، كذلك لا يخرج المصلي عن الصلاة بأن صلاته قصرت عن هذه الصفة، وقال مشيخة الصوفية: الصلاة الحقيقية ما كانت ناهية، فإن لم تنه فهي صورة صلاة لا معناها، ومعنى ذلك أن وقوفه بين يدي مولاه، ومناجاته له إن لم تدم عليه بركتها، وتظهر على جوارحه رهبتها حتى يأتي عليه صلاة أخرى، وهو في تلك الحالة، وإلا فهو عن ربه معرض، وفي حال مناجاته غافل عنه)[2].

وفي غير "أحكام القرآن" ذكر في رد الله جل جلاله "موسى" إلى أمه في لحظة، ورد "يوسف" إلى "يعقوب" في مدة أيضا سبعة أوجه من الحكمة نص على أنه سمعها من شيوخ الزهاد، ولم يتعقبها بشيء مما يوحي بقبوله لها، مع أنها جميعا مخرجة على طريقة أهل الإشارة، قال: (الثاني: أن رمي موسى كان من الله، وذهاب يوسف كان من الناس باستحفاظه لإخوته، فخانوا فيه، فأدب لئلا يستحفظ أحدٌ غيرَ الله ...

السادس: أن يوسف لو قال حين أخرج من الجب: أنا حر، وابن نبي، وهؤلاء إخوتي، وهذه

---

[1]- قانون التأويل .ص: 200.

[2]- أحكام القرآن .ج3.ص: 516، 517.

قريتي لما اشتروه، ولكنه استسلم فأسلمه الله إلى الحكمة حتى يجعله سنة لمن بعده، وموسى صغير فتولى الله تعالى سلامته ورده في الحال) [1].

وقال في قوله سبحانه: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ الحج: ٢٦: (...وباطنه قلب عبدي المؤمن الذي كرمته بان جعلته محل معرفتي، وشرحته بنور هدايتي، وملأته حكمة من علمي، وخصصته بأن أحييته بروحي قال علماؤنا: ونحن نقطع على أن المراد بخطاب ابراهيم هذا، الكعبة، ولكن الناظر العالم يتجاوز من الكعبة إلى القلب بطريق الاعتبار عند قوم، وبطريق الأولى عند آخرين ...ومن باطنه أيضا: إلحاق سائر المساجد به في التطهير لاستوائها في حرمة المسجدية معه وقد أضافها الباري سبحانه –إلى نفسه–فقال: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ الجن: ١٨ وهذا باطن فقهي، ونظر عملي ومن باطنه عند قوم: العبور به –بعد تقريره –من المشركين الذين قيل فيهم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ التوبة: ٢٨ [2].

وعلى سنن ابن العربي سار القرطبي، ففرق بين المقبول والمردود، بين المنضبط والذي لا ضابط له، فما كان منه موافقا لظواهر نصوص الشريعة، قبله، وربما نص على صحته لموافقته لما في الكتاب والسنة، كما في قوله سبحانه: ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ يوسف: ١٠٠ حيث قال: (و لم يقل من الجب استعمالا للكرم لئلا يذكر إخوته بصنيعهم بعد عفوه عنهم بقوله: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ يوسف: ٩٢ قلت: وهذا هو

---

[1]- قانون التاويل .ص: 204.

[2]- المصدر نفسه .ص: 224، 225.

وانظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي .ج2.ص: 333، 334.

الأصل عند مشايخ الصوفية: ذكر الجفا في وقت الصفا جفا، وهو قول صحيح دل عليه الكتاب)[1]

ومثله قوله تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ البقرة: ١٠ قال –رحمه الله–: (وقال أرباب المعاني: في قلوبهم مرض أي بسكونهم إلى الدنيا وحبهم لها وغفلتهم عن الآخرة وإعراضهم عنها) [2].

فإن خرجت الإشارة عن حدود الشريعة وسياج اللغة ردها ورفض تخريج الآيات عليها من غير التفات منه إلى صاحب الخاطرة ففي قوله سبحانه: ﴿فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ البقرة: ٥٤ .

قال: (قال أرباب الخواطر: ذلّلوها بالطاعات وكفوها عن الشهوات، والصحيح أنه قتل على الحقيقة هنا، والقتل إماتة الحركة، وقتلت الخمرة: كسرت شدّتها بالماء) [3]

وشبيه به ما جاء من قول بعض أهل المعاني في تفسير قول الحق سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ البقرة: ٢٦٠ (إنما أراد إبراهيم من ربه أن يريه كيف يحيي القلوب، وهذا فاسد مردود بما تعقبه من بيان) [4].

أما أبو حيّان: فقد قبل من كلام الصوفية ما فيه بعض مناسبة لمدلول اللفظ، وضرب صفحا عن كثير من أقاويلهم ومعانيهم التي يحملونها الألفاظ، وترك أقوال الملحدين الباطنية المخرجين الألفاظ العربية عن مدلولاتها اللغوية إلى هذيان افتروه على الله وعلى علي وذريته، ويسمونه تأويلا، وقد وقف –كما يقول –على بعض تفاسيرهم فيها أقاويل عجيبة لا تكاد تخطر في ذهن عاقل، ومع ذلك

---

[1]- الجامع لأحكام القرآن .ج9.ص: 233.

[2] - المصدر نفسه .ج1.ص: 197. دار عالم الكتب . 1423ه – 2003م تحقيق: هشام سمير البخاري .

[3]- المصدر نفسه .ج 1. ص: 401.

[4]- المصدر نفسه . ج3 . ص: 297.

فإن صاحبها يزعم أن ما قاله هو المراد من الآيات ؛مع ازدراء منه لأقاويل السلف[1].

ومن القليل الذي قبله مما فيه بعض مناسبة لمدلول اللفظ –كما يقول –ما جاء في تفسيره لقوله سبحانه: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ البقرة: ٨٦ حيث قال بعض أرباب المعاني: "إن الدنيا ما دنا من شهوات القلب والآخرة: ما اتصلت برضا الرب "[2].ولم يتعقبه بشيء فدل على أنه لا غضاضة عنده في قبول مثل هذا .

ومما رده ورفض قبوله والتسليم بالمعنى المنقول عن المتصوفة ما جاء في قوله تعالى: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ الفاتحة: ٦، قال: وروي عن المتصوفة في قوله تعالى: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ الفاتحة: ٦: أقوال منها قول بعضهم: "إهدنا الصراط المستقيم بالغيبوبة عن الصراط لئلا يكون مربوطا بالصراط، وقول الجنيد أن سؤال الهداية عند الحيرة من أشهار الصفات الأزلية، فسألوا الهداية إلى أوصاف العبودية لئلا يستغرقوا في الصفات الأزلية، وهذه الأقوال –والكلام لأبي حيان –ينبوا عنها اللفظ، ولهم فيما يذكرون ذوق وإدراك لم نصل نحن إليه بعد)[3] ومما رده من الإشارات بل ووصف الكتب التي فيها هذا النوع من الأقوال بأنها من كتب الضلال ما جاء في تفسيره لآية سورة الأنعام: ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ الأنعام: ٨٦ حيث قال: (فيه دلالة على أن الأنبياء أفضل من الأولياء خلافا لبعض من ينتمي إلى الصوف في زعمهم بأن الولي أفضل من النبي كمحمد بن العربي الحاتمي صاحب كتاب "الفتوح المكية "و"عنقاء مغرب "وغيرها من كتب الضلال، وفيه دلالة على أن الأنبياء أفضل من الملائكة لعموم العالمين، وهم الموجودون سوى الله تعالى فيندرج في العموم الملائكة)[4].

إن كل تفسير لآية من القرآن الكريم لا حظّ لمفهوم اللغة فيه ولا خيط من مناسبة يربط بينه وبين مدلول اللفظ أو كانت مخالفته للشرع بيِّنة محظورٌ واجب الرد، لأنه إن لم يكن تأويل جاهل

---

[1]- انظر: البحر المحيط في التفسير .ج1.ص: 13.

[2]- المصدر نفسه.ج1.ص: 473،474.

[3]- المصدر نفسه .ج1.ص: 48.

[4]- المصدر نفسه .ج4.ص: 576.

كان تحريف غال أو تفسير مبطل، وذلك كمن فسر ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ الرحمن: ١٩ بأنهما علي وفاطمة، وفسر ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ الرحمن: ٢٢ بأنهما الحسن والحسين [1]وهو تفسير مقرر لمذهب فاسد حملت عليه الآيات حملا، فكانت تابعة في معناها له، عوض أن يكون هو التابع لها، ثم إن كل أحد يمكنه أن يحمل آيات القرآن الكريم على من يحب، ويسقطها ويتزل معانيها على ما يصادف رغبته وهواه، ولا شك أن هذه مفسدة عظيمة تدخل على كتاب الله تعالى لا يمكن أن يقبلها عاقل ناهيك عن مسلم .ولعل هذا هو الذي حمل "السيوطي" وغيره من علماء القرآن على تنبيه كل مفسر أن يتحرى فيما يقول جملة من المعايير والضوابط التي تحفظه من الزيغ عن المعنى الذي سيقت له الآية، فجعل –أي السيوطي –الاستنباط والإشارة آخر ما ذَكر[2]كأنه يشير إلى أن من اجتمعت فيه تلك المعايير والضوابط كانت استنباطاته وإشاراته أقرب إلى الصحة، وكانت الآيات محتملة لها، ومعناها مألوفا لا غرابة فيه، ومن زاغ قوله فقد دخل عليه الزيغ من "زيادة لا تليق بالغرض "أو نقص وجهل" من جهة اللغة تصريفا واشتقاقا وإعرابا أو قصورا في علم البلاغة، إلى آخر المعايير التي يجب على المفسر أن يتحراها في بيانه لمعاني القرآن الكريم، وقد شاب التفاسير الإشارية الفلسفية نقص جزئي في أقوالهم وأفعالهم وآرائهم في كتاب الله تعالى، فجاءت معانيهم نشازا وأفهامهم خلوا من سند لغوي أحيانا وشرعي أخرى .

أما ابن جزي الكلبي: فقد أماط اللثام عن موقفه من أقوال الصوفية في مقدمة تفسيره حين قال: (وأما التصوف فله تعلق بالقرآن لما ورد في القرآن من المعارف الإلهية، ورياضة النفوس، وتنوير القلوب وتطهيرها باكتساب الأخلاق الحميدة، واجتناب الأخلاق الذميمة، وقد تكلمت المتصوفة في تفسير القرآن، فمنهم من أحسن وأجاد، ووصل بنور بصيرته إلى دقائق المعاني، ووقف على حقيقة المراد، ومنهم من توغل في الباطنية وحمل القرآن على ما لا تقتضيه اللغة العربية، وقد جمع أبو عبد الرحمان السلمي كلامهم في التفسير في كتاب سماه "الحقائق"، وقال بعض العلماء: بل هي البواطل، وإذا انتصفنا قلنا فيه حقائق وبواطل، وقد ذكرنا ...ما يستحسن من الإشارات الصوفية

---

[1]- انظر: الإتقان في علوم القرآن .للسيوطي . ج4.ص: 185.

[2]- انظر: المصدر نفسه . ج4.ص: 198.

دون ما يعترض أو يقدح فيه) [1].

فما استحسنه من الإشارات قبله واستعمله في تفسيره، وما بدا له فيه رائحة الاقتراب من الباطنية والبعد عن صفاء الإشارات الصوفية رده [2].

فمما قبله من إشاراتهم ما جاء في قوله سبحانه: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ المائدة: ١٨. قال: (وقد أخذ الصوفية من الآية أن المحب لا يعذب حبيبه، ففي ذلك بشارة لمن أحبه الله) [3].

وقال في آية سورة "الصافات": ﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ الصافات: ٩٩ "(وقال المتصوفة: معناه إني ذاهب إلى ربي بقلبي، أي مقبل على الله بكلّيتي تاركا سواه) [4].

ومن المواضيع التي نص على صحة المعنى الذي يذكره الصوفية، لكن استلاله من الآية لا يصح لعدم اقتضائها له ما ذكره في تفسيره لقول الحق سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ فصلت: ٣٠ قال: (وقال بعض الصوفية: معنى استقاموا أعرضوا عما سوى الله وهذه حالة الكمال، على أن اللفظ لا يقتضيه) [5]. قلت: بل يقتضيه لوجوب ملازمة الاستقامة للعارف ابتداء وانتهاء وهي حالة الكمال كما سماها –رحمه الله –،لأن من لم يستقم في جميع أحواله (ضاع سعيه وخاب جهده ...ومن شرط المستانف الاستقامة في أحكام البداية، كما أن من حق العارف الاستقامة في آداب

---

[1]- تفسير ابن جزي الكلبي .ص: 876.

[2]- انظر: ابن جزي ومنهجه في التفسير .ج2.ص: 606. د: علي محمد الزبيري . دار القلم – دمشق – بيروت . ط1/ 1407ه – 1987م .

[3]- تفسير ابن جزي .ص: 150.

[4]- المصدر نفسه .ص: 601.

[5]- المصدر نفسه .ص: 645.

النهاية) [1]، وهي من أعظم المنن والنعم على العبد، وعلامتها وأمارتها عند أهل البداية خلو معاملتهم من الفترة، وأمارتها عند أهل النهاية ألا تدخل مواصلتهم الحجبة[2].

وقد قال "الأدمي"[3] كما نقل ذلك عنه القشيري: ("استقاموا على انفراد القلب بالله تعالى ... (ثم إنها) لا يطيقها إلا الأكابر ...(وهي) كما يقول الشبلي"أن تشهد الوقت قيامه ")[4].

فالاستقامة بالمعنى الذي ذكره ابن عطاء، والشبلي تقتضيها الآية وهي حالة الكمال التي ذكرها ابن جزي، وهي –أعني الاستقامة – (الخصلة التي كملت بها المحاسن كلها ... وكل من كان أتم معرفة كان أتم استقامة) [5].

ومما ذكره –رحمه الله تعالى –من غرائب الإشارات، وهو من استنباطاته هو، مما لا يُقبل وهو بمعزل عن سياق الآيات وأغراضها ما جاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ الشورى: ٣٦ قال: (ويظهر لي أن هذه الآيات إشارة إلى ذكر الخلفاء الراشدين –رضي الله عنهم –لأنه بدأ أولا بصفات أبي بكر، ثم صفات عمر بن الخطاب ثم صفات عثمان بن عفان ثم صفات علي بن أبي طالب، فكونه جمع هذه الصفات ورتبها على هذا الترتيب يدل على أنه قصد بها من اتصف بذلك)[6]ثم راح يعدد صفات كل واحد من هؤلاء الأربعة الكرام مترلا لكل آية على من بدا له أن صفاته فيها في كلام طويل[7] و لم يكتف بالإشارة إلى هؤلاء الأجلة الأربعة بل ضم إليهم غيرهم: الحسن والحسين، وبني أمية، وأهل البيت،

---

[1]- الرسالة القشيرية في علم التصوف .ص: 205.

[2]- انظر: المصدر نفسه .ص: 205.

[3]- هو أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء ، من ظراف مشايخ الصوفية و علمائهم له لسان في فهم القرآن يختص به ، صحب الجنيد و غيره ، كان أبو سعيد الخراز يعظم شأنه (ت : 309) .

- ترجمته في : طبقات الصوفية .طبقة 3 (رقم 2) ص:263 ، الرسالة القشيرية .ص:23 ، الكواكب الدرية .2 / 34، 36 (رقم307) .

[4]- الرسالة القشيرية .ص: 206.

[5]- كتاب عوارف المعارف .للسهروردي .ص: 542.

[6]- تفسير بن جزي .ص: 656.

[7]- انظر: المصدر نفسه .ص: 656، 657 .

والإشارات كلها باردة متكلفة، بل ربما كانت باطلة لأنها تفتح بابا للشر لا يغلق، فلا وجه لتخصيصها بهؤلاء على بعض الأنحاء التي ذكرها –رحمه الله –،والعموم هنا هو المتبادر والصحيح لدخول كل من كان كذلك تحته، وهؤلاء الأطهار من باب أولى، ثم إن بني أمية ليسوا شرا محضا فإن منهم السيد النبيل "عمر بن عبد العزيز" والعموم هو الذي ارتضاه واحد من أئمة التفسير وهو أبو حيان فأجرى الآيات كلها على عمومها وإن أورد رواية تشتم منها رائحة التخصيص ثم عقب عليها –حتى لا يفهم منها ذلك –بقوله: (والظاهر أنه خطاب للناس)[1].

ولكي تتضح صورة شرود الإشارة فلا مناص من التعرّض لضرب من الإشارات كان العقل المبعد عن تأييد الوحي والمذهب في جانبه المتعصّب سائقا لصاحبها راسما للوجهة التي طلبها، وهو المسمّى بالتفسير الإشاري النظري .

[1]- البحر المحيط في التفسير .ج9.ص: 342.

المبحث الثاني: التفسير الإشاري النظري:

وهو الضرب الثاني من ضربي الإشارة وهو: مسلك فلسفي ابتعد عن أصول السلوك والتّأمّل الصّحيح في كتاب الله تعالى، وخاص فيما لا مدخل للعقل فيه، وفيما لم ترد به نصوص الشرع، فأطلق العنان للعقل والخيال فتاه في بيداء الأخيلة والافتراضات الفلسفية التي أوصلته إلى ما يتنافى مع عقيدة الإسلام ومقررات الشرع، فحمل نصوص القرآن الكريم على غير ظاهرها، موغلا في التأويلات البعيدة، واصلا بها إلى الزيغ والإلحاد ومجافاة دين الله، وربما ادّعى أكثر أصحاب هذا اللون من التفسير أن حقائق التفسير هي ما قالوه وما ذهبوا إليه، وأن معانيه الباطنة هي المقصودة ابتداء وبالأصالة، وهي مختبئة وراء معاني القرآن الظاهرة، بل قالوا: (إن الظاهر غير مراد أصلا، وإنما المراد الباطن، وقصدهم-كما يقول الزرقاني- نفي الشريعة)[1] ،وترك الظاهر إلى الباطن، والعبارة إلى الإشارة والرمز مع عدم الاعتداد بضوابط اللغة والشرع لهو ولعب[2].

وقد نقلتُ نصوصا كثيرة عن غير واحد من الأجلة تحذر من التأويل وصرف الألفاظ عن ظاهرها من غير موجب، وأضيف إليها ما قاله الغزالي-وهو شديد الاتصال والتعلق بما نحن فيه- قال: (في صرف ألفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة إلى أمور باطنة لا يسبق منها إلى الأفهام فائدة -- كدأب الباطنية في التأويلات- ضرر عظيم)[3] لأنهم جعلوا الأصل فرعا، والمتبوع تابعا، والحاكم محكوما عليه وربما أظهروا التزهد ثم (ابتكروا طريقة زينها لهم الهوى، ثم تطلّبوا لها الدليل، وإنما ينبغي للإنسان أن يتبع الدليل، لا أن يتبع طريقا، ويتطلّب دليلها)[4]. فمعيار القبول والرفض قائم على اتساق أو عدم اتساق المعنى الباطني مع الآية، ولذا قبل الناس الكثير من أقوال القشيري وردوا الكثير

---

[1]- مناهل العرفان. ج2. ص: 90

- وانظر التفسير القرآني. د: محمد رجب بيومي. ص: 133.

[2]- انظر: مدرسة التفسير في الأندلس. مصطفى ابراهيم المشيني. ص: 640.

- وانظر: مناهل العرفان. ج2. ص: 85.

[3]- إحياء علوم الدين. ج1. ص: 65.

[4]- صيد الخاطر. لابن الجوزي (أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ت: 597ه). ص: 67. دار ابن خزيمة-الرياض. ط1/1418ه-1997م. تحقيق وتعليق: عامر بن علي ياسين.

مما قاله شيخه السّلمي ونصّوا أيضا على فساد قول غيرهما من الباطنية لهذا الاعتبار، ويندرج في هذا الصنف المردود كل الذين (لم يجدوا في قراءة القرآن الكريم على ظاهره ما يسعفهم في توطيد أسسهم الفكرية (الزائفة في القديم وفي الحديث) فتبنوا فيه التأويل الباطني فعظموه، وحقروا فيه التأويل الظاهري وهمشوه، واتخذوا من التفسير بالباطن مدخلا إلى تطويع القرآن على الهيئة التي تناسبهم، وهؤلاء-في غالبهم- ملتزمون بقضايا سياسية ودينية وحضارية متنوعة كأصحاب البدع...وأبرزهم الشيعة على اختلاف فرقهم، ومن هؤلاء أيضا الصوفية والفلاسفة والمفسرون القرآن تفسيرا عمليا ممن وجهوا القرآن وجهة معينة حددوها لأنفسهم مسبقا قبل أن يشرحوا النص، وأخضعوا مادته لقناعاتهم الفكرية والأيديولوجية، ولهذا فقد سلكت هذه المناهج على ما بينها من اختلاف في المكان والزمان والتوجه سلوكا واحدا في ممارسة النص...وهو مسلك لو أجملنا فيه الوصف واختصرناه لقلنا: إنه مسلك غير لغوي وحينئذ فهو إسقاطي تعسفي طائش)[1] يذهب بجمال المعنى القرآني، ويسلب التأويل والإشارة صبغتهما العلمية السليمة، ويعرى صاحبه عن الموضوعية، ويفقده الحياد في التناول، الأمر الذي يحد من انتشار آرائه، وعدم قبول الدارسين لها، وقبل هذا وبعده فهو قول في القرآن بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير. وعيب هذه المناهج والمسالك في التعامل مع القرآن الكريم (لا يتعلق باتخاذها التأويل الرمزي المجازي منفذا إلى النص، وإنما..في عدم انضباطها للشروط اللغوية الواجب اتباعها للخروج من المعاني الأوائل إلى المعاني الثواني أو..من الحقيقة إلى المجاز أو..من الظاهر إلى الباطن)[2] . فالباطنية ومن لفّ لفّهم إنما أُخذوا بقولهم: إن اللفظ لا يعدو أن يكون ظلا شاحبا (أما حقيقته فتقع في عالم المثل، التي تعد الألفاظ صورها الظلية كما يقول جولد تسيهر)[3].

ونص جولد تسيهر وغيره من النصوص المشابهة له فيصل في التفرقة بين الفيضيين والفلسفيين، وقد علمنا أن الفيضيين (حين يتكلمون على آية من القرآن يقرون تفسيرها اللفظي كما ذكره المفسرون، ويأخذون منها بعد ذلك معنى إشاريا يتصل بما يفيضون فيه من مقامات وأحوال ومعارف

---

[1]- قضايا اللغة في كتب التفسير: المنهج-التأويل-الإعجاز. د: الهادي الجطلاوي. ص: 101..

[2]- المرجع نفسه. ص: 109.

[3]- مذاهب التفسير الإسلامي. اجنتس جولد تسيهر. ص: 204.

وأسرار)[1] ولا شك أن الكثير من إشاراتهم فيها مواءمة لدين الله، ولذا نقلها بعض كبار المفسرين في كتبهم كما رأينا.

إن الغاية من التعامل مع كتاب الله تعالى هي الوصول إلى بعث الذّات القوية في الإنسان المسلم ومحق وتدمير الذات الضعيفة التي خلفتها المناهج الدخيلة الخانعة الذليلة التي نشّأت فراخ النسور تنشئة بغاث الطير، فالعودة إلى الذات وإلى المنهج المطلق للذات الإسلامية الأصيلة من عقالها، بل من سجنها الذي حبسها فيه الذاهلون عن الحياة المادية والروحية معا بات أمرا لا مناص منه بمنهج وفهم الأولين فاتحي القلوب قبل الأمصار (لا فهم (مدققي) زماننا، فإن التدقيق الفارغ داء عضال يجعل المحكم متشابها، والمعلوم مجهولا)[2] والأصول فروعا والمقاصد وسائل.

إن المناهج القائمة على الافتراضات الفلسفية التي لا تنتهي، فإذا انتهت فإلى نهاية لا لون لها يشاهده أولوا الأبصار، ولا طعم يتذوقه أولوا الألباب، وهو اتحاد الخالق والمخلوق، فلا يُدْرى بعده من الخالق ومن المخلوق، وما فيها من محاربة للحق، ومجافاة للحقيقة، أو القائمة -أعني المناهج- على خيالات وأوهام ورؤى وهمية وذهول وفناء، وتدمير للذات طلبا للاتحاد بالله -بزعمهم-، وهذا لا يعدو أن يكون فرارا من حياة العمل الباني الذي كان طريق النبي -صلى الله عليه وسلم- وصحبه في إيصال النور إلى البشرية تحول سلوكا سلبيا تجسد فيه التيه والفراغ، وقتل فيه الإنسانُ المسلمُ الإنسانَ المسلمَ الحقيقي[3]، لقد تستر بستار التصوف أدعياء وكائدون ومتآمرون وضالون ظلوا طوال حياتهم (يُظهرون باللسان إقرارا، ويضمرون في الجنان تماديا وإصرارا، ويحملون من الذنوب أوقارا، ويعلنون في الدين تقوى ووقارا، ويحتقبون من المظالم أوزارا، لأنهم لا يرجون لله وقارا، ولو خاطبهم دعاة الحق ليلا ونهارا لم يزدهم دعاؤهم إلاّ فرارا، فإذا أطل عليهم سيف أهل الحق آثروا الحق إيثارا، وإذا انقشع عنهم ظله أصروا واستكبروا استكبارا، فنسأل الله ألاّ يدع على وجه الأرض منهم ديارا)[4]، فأي صلة تربط أمثال هؤلاء بالقرآن حتى يتحدثوا عنه أو يفسرونه وهم متسربلون بالشكوك

---

[1]- كتاب بدع التفاسير. للغماري (أبي الفضل عبد الله محمد الصديق) ص: 151.

[2]- الفوز الكبير في أصول التفسير. لشاه ولي الله الدهلوي. ص: 77.

[3]- انظر: قضية التأويل في القرآن الكريم بين الغلاة والمعتدلين. ابراهيم بن حسن بن سالم. ج2. ص: 270.

[4]- فضائح الباطنية. للغزالي. ص: 12. المكتبة العصرية- صيدا. 1426ه-2005م. اعتنى به وراجعه: محمد علي القطب.

والأوهام، متجلببون من أعلى الرأس إلى الأقدام بالضلال والظلام، استدلالاتهم رجل خشبية، وأقوالهم وليدة خيال، لم تتنور بنور ذي الجلال، فلا تورث إلاّ ظنا، والظن لا يغني من الحق شيئا، ولا تزيد صاحبها إلاّ بعدا وحجبا عن الرب تبارك اسمه، وهم-كما شبههم جلال الدين الرومي[1]- (كالمسافر الشقي الذي ظهره إلى غايته فكلما أمعن في السفر وجدّ به السير ازداد بعدا عن المنزل، وحُرم الوصول)[2].

إن أولى الناس بتفسير القرآن أقوام كانوا أئمة في العلم والعمل وهما قادوا الناس ورسموا لهم منهج تربية، وطريق سلوك استقامت على هديهما حياة الناس، وما كانوا منعزلين عنهم أو ذاهلين عن مسار الحياة بما فيها، بل وجد منهم من حمى الأرض والعرض مرابطا في الثغور، مجاهدا في جيوش الإسلام، مهاجما حين تحين ساعة الهجوم، ومدافعا حين يكون الدفاع وسيلة لدرء الشر ودفع الضر، وما أكثر من سقط منهم في ساح الوغى، وكانوا يرون أن هذا من صميم التصوف وروحه، ومن ثمار الزهد وغاياته[3]، ولذا لم أر من نقل عنه منهم أنه قال: (إن الظواهر عذاب، وباطنها فيه الرحمة)[4] أو اعتقد أن (الظاهر كالقشر والباطن كاللب، واللب خير من القشر)[5] ، وهاك قولا لرجل من خير القرون (متزن الفكر، سليم الوجدان، جيد التحليق في آفاق المعرفة، منطلق في تحفظ، ينفر من ظلام المغارات السحيقة التي بناها المتعصبون قبورا لمواهبهم، وإهدارا لإنسانيتهم، كما ينفر من مفازات الشاطحين المضلة المهلكة، وهو رجل أخلاق من أهل السنة يجمع بين العقل والنقل

---

[1]- هو محمد بن محمد بن الحسين بن أحمد البلخي القونوي الرومي ، جلال الدين ، عالم بفقه الحنفية و الخلاف و أنواع العلوم ، ثم متصوف (ترك الدنيا و التصنيف)كما يقول مؤرخو العرب ، وهو عند غيرهم صاحب (المثنوي) المشهور بالفارسية ، و صاحب الطريقة المولوية المنسوبة إلى (مولانا) جلال الدين ، عرف بالبراعة في الفقه، شعره أدب صوفي كامل ، له كل المقومات الأدبية ، وليس مجرد فوران عاطفي يعبر به عن نفسه في بضعة أبيات ،أسلوبه في أدبه الصوفي قوي البيان فيّاض الخيال ، بارع التصوير يوضح المعنى الواحد في صور مختلفة ، فالمعاني تأتيه أرسالا و الألفاظ تواتيه انثيالا (ت: 672ه) .

- انظر ترجمته في : كشف الظنون .1587 ، الموسوعة الصوفية .ص: 307 وما بعدها . الأعلام . 7 / 30 .

[2]- نقلا عن: رجال الفكر والدعوة في الإسلام. لأبي الحسن الندوي. ج1. ص: 322.

[3]- انظر: قضية التأويل في القرآن الكريم بين الغلاة والمعتدلين. ج2. ص: 271.

[4]- الفرق بين الفرق. وبيان الفرقة الناجية منهم. عبد القاهر بن طاهر البغدادي ت: 479ه. ص: 287.

[5]- المصدر نفسه.ص: 287.

والوجدان في وحدة متناسقة المنهج، يعز نظيره بين مفكري الإسلام)[1].

قال –رحمه الله–وهو يشرح معنى الظهر والبطن والحد والمطلع-: (...وأما حدها: فمنتهى حدها، وعند هذه الحُلة فرق الله بين الصادقين والكاذبين ممن تلاها أو من عرف تفسيرها و لم يبلغ منتهى فهمها، أو صادق بلغ منتهى فهمها، لأن أقل الصدق من المؤمن المريد بعد الإيمان بالآية أن يفهمها عن ربه وأن يعمل بها. وإنما قصَّر بالناس عن فهمها قلة تعظيمهم لقائلها.

وأما مطلعها فمجاوزة حدها بالغلو والتعمق والفجور والمعاصي. من ذلك قول الله –عز وجل:

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ البقرة: ٢٢٩)[2].

ولعل من الغلو والتعمق الذي أشار إليه المحاسبي –رحمه الله– الخروجَ عن النطاق المقرر للآيات بل والحروف، بل امتد هذا –عند بعض المتأخرين (إلى الفهم الروحي لقواعد النحو والصرف كما فعل الإمام احمد بن عجيبة الحسني –رحمه الله–)[3]. حتى ذكر الناس من التأويلات الفاسدة لآيات الكتاب الكريم معاني منكرة لا يحل الإعتماد عليها ولا ذكرها إلاّ للتحذير منها، ومن ذلك ما ذكر تفسيرا لأول حروف سورة الشورى "حم عسق": إن "الحاء" حرب علي ومعاوية، و"الميم" ولاية المروانية، و"العين" ولاية العباسية، و"السين" ولاية السفيانية، و"القاف" قدوة المهدي!!. والمعاني ذكرها الكرماني (محمود بن حمزة ت: 500ه)[4] في مؤلفه: "العجائب والغرائب"، قال: أردت بذلك –يعني نقل هذه المعاني– أن يعلم أن فيمن يدعي العلم حمقى.●

---

[1]- عن مقدمة محقق: التفسير الصوفي للقرآن. دراسة وتحقيق لكتاب: إعجاز البيان في تأويل أم القرآن. لأبي المعالي صدر الدين القونوي. ص: 50. دار المكتبة الحديثة. 1389ه-1969م. دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا.

[2]- العقل وفهم القرآن.-كتاب فهم القرآن ومعانيه- للمحاسبي: (الحارث بن أسد ت: 243ه). ص: 328. دار الفكر-بيروت. ط1/1391ه-1971م. قدم له وحقق نصوصه: حسين القوتلي.

[3]- التفسير الصوفي للقرآن. للقونوي. ص: 36.

[4]- هو محمود بن حمزة بن نصر ، أبو القاسم برهان الدين الكرماني (ت: 505ه) ، يعرف بتاج القراء ، عالم بالقراءات ، من كتبه: "لباب التفسير"، "شرح اللمع لابن جني" وغيرهما .

- انظر ترجمته في : معجم المفسرين .عادل نويهض .662/2 ، الإعلام .7/ 168 .

●انظر النص في: غرائب التفسير وعجائب التأويل. ج1. ص: 112. دار القبلة للثقافة الإسلامية-جدة. -مؤسسة علوم القرآن- بيروت. ط1/1408ه-1988م. تحقيق: د. شرمان سركال يونس العجلي.

وشبيه بهذا لكن في الآيات لا في الحروف ما نقل عن ابن فُورك[1] في قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ البقرة: ٢٦٠ أن مراد إبراهيم –عليه الصلاة والسلام– "بقلبي" وصف لصديقه، أي ليسكن هذا الصديق إلى هذه المشاهدة إذا رآها عيانا[2]

وشبيه به ما جاء في تفسير: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ يس: ٨٠ يعني "ابراهيم" "نارا" أي نورا، وهو محمد ﷺ: ﴿ فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ يس: ٨٠ تقتبسون الدين[3].

ومن ذلك ما ذكره "الزركشي" في قوله سبحانه: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ البقرة: ٢٠٥ (قالت الروافض: إنه معاوية، وأن قوله تعالى في سورة الرحمن: ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴾ الرحمن: ١٩ علي وفاطمة، و﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ الرحمن: ٢٢ الحسن [4] والحسين[5]، وعد هذا من التأويل المخالف للآية

---

[1]- هو محمد بن الحسن الأصبهاني أبو بكر ، الإمام الجليل و الحبر الذي لا يجارى فقها و أصولا ،وكلاما ووعظا و نحوا ، روى عنه البيهقي ، وأبو القاسم القشيري و غيرهما (ت : 406 ه) .

- انظر ترجمته في : طبقات الشافعية .ابن السبكي .4/ 127 وما بعدها ، وفيات الأعيان . 4 / 272 (رقم 610) .الرسالة القشيرية .310 .

[2]- انظر الإتقان. ج4. ص: 202.

[3]- انظر: المصدر نفسه. ج4. ص: 203.

[4]- هو سبط رسول الله ﷺ و ريحانته ،أمير المؤمنين ، السيد المحبب و الحبيب المقرب ، له في التصوف الكلام المشرق ، ولد في نصف رمضان سنة (3 ه)، سمّته أمه "حربا " فقال المصطفى: "بل هو الحسن" ، كان سيدا كريما ، حليما كريما ، ذا سكينة ووقار ، جوادا ممدحا يكره الفتن و السيف ، مات ﷺ سنة (49ه) و دفن بالبقيع عند أمه فاطمة الزهراء –رضي الله عنها–

- انظر ترجمته في : صفة الصفوة . 1/ 328 – 329 (رقم 120) ، وفيات الأعيان .2 / 65 (رقم 155) ، الكواكب الدرية 1./134- 142 .القسم الأول (رقم 15) .

[5]- هو الحسين بن علي :سبط رسول الله ﷺ و ريحانته الذي قال فيه :" حسين مني ، وأنا من حسين ، أحب الله من أحب حسينا، حسين سبط من الأسباط " – رواه الحاكم عن يعلى العامري و صححه في معرفة الصحابة .باب فضائل الحسن .ج3.ص: 177 – كان شجاعا ، مقداما من حين كان طفلا ، و كانت إقامته بالمدينة إلى أن خرج مع أبيه إلى الكوفة ، فشهد معه مشاهده ، قتل يوم عاشوراء يوم الجمعة سنة (61ه) .

- انظر ترجمته في : صفة الصفوة .1/ 330 (رقم 121) ، الكواكب الدرية .1/ 142- 150 .القسم الأول .

والشرع)[1]، ساق إليه الضيق الفكري والعقل المحطم للقيود، الداخل في متاهات التحليق الأهوج، الموصل للإنسان إلى حال من الفوضى والتعدي على الحدود [2].لأنه تجاهل الصلة والمناسبة القائمة بين المعنى الظاهر والمعنى الباطن فسيق رويدا رويدا من حيث يدري أو لا يدري إلى الإلحاد في آيات الله، والغلو المفضي إلى الحيرة لعدم قيام صرف الآية وتأويلها على سند يرتاح له العقل ويطمئن إليه القلب بسبب بتر اللفظة أو الآية أو الآيات وفصلها عن سياقها العام حتى كأنها "كيان" مستقل عما قبلها وعما بعدها، بالإضافة إلى مخالفتها لأشياء كثيرة خارج النص، قد تكون اللغة أو نصا من نصوص الوحي.

إن صرف النصوص عن ظواهرها وما يمكن أن يلوح من وراء ظاهر ألفاظها من الإشارات قد يكون بدافع الاستزادة والتعمق في فهم كتاب الله تعالى، وقد يكون الحامل عليه الكيد لتعاليم الإسلام، والحكم في كل هذا موافقة أو عدم موافقة القول والرأي لما ذكر بصرف النظر عن قائله في رد قوله أو قبوله لكن يُتلطف مع صاحب القصد الحسن على اعتبار أن ما صدر عنه عثرة من عثراته تشفع لها حسناته الكثيرة. وقد فرق ابن خلدون في شطحات الصوفية بين من علم فضله واقتداؤه كأبي يزيد، فهذا يحمل على القصد الجميل، ومن لم يكن كذلك و لم يشتهر ولا كان معروفا فمؤاخذ بما صدر عنه من ذلك إذا لم نجد لكلامه محملا حسنا، وأما من تكلم مع حضور حسٍّ وعدم غلبة حال فمؤاخذ كما وقع للحلاج حين أفتى الفقهاء وأكابر الصوفية بقتله لأنه تكلم في حضور وهو مالك لحاله[3].

والذاهب في محاولته المواءمة والتوفيق بين الدين والفلسفة بتأويل بعض النصوص لتتفق وتنسجم في معانيها مع آراء الفلاسفة —هو نوع إخضاع للوحي حتى ينسجم مع "اجتهادات" البشر- ليس كمن شرح الشرع بآرائه الفلسفية حتى طغت على نصوصه، وتحكمت فيها بدل أن تكون —أي نصوص الوحي- هي الحاكمة على الأقوال الفلسفية، ولا شك أن الطريقين شر على دين الله لكن

---

[1]- البرهان. ج2. ص: 288.

[2]- انظر: التفسير الصوفي للقرآن. ص: 49.

[3]- انظر: مقدمة ابن خلدون. ج2. ص: 243.

الثانية عليه أشد، وأصحابها على شريعة الله أكثر خطرا[1].

إن الصلة بين النص الكريم والباطن الذي يدعيه أصحاب التفسير الفلسفي ومن سلك مسلكهم في بعض آيات كتاب الله تعالى متبوتة لأن (الباطن الذي أشار إليه الحديث، وقال به جمهور المفسرين، هو عبارة عن التأويل الذي يحتمله اللفظ القرآني، ويمكن أن يكون من مدلولاته، أما الباطن الذي يقول به الشيعة (وأصحاب الإشارات الفلسفية) فشيء يتفق مع أذواقهم ومشاربهم، وليس في اللفظ القرآني الكريم ما يدل عليه ولو بالإشارة)[2] ويكاد يتفق الدارسون للتفسير الإشاري على (أن استنباط الإشارات اللطيفة من النص القرآني ليس عملية عقلية صرفة إلا في الحدود التي تضمن عدم افتيات الإشارة على العبارة فلا تخرج بها عن مألوف ما ينسجم مع الأسلوب العربي سواء من حيث اللغة أو النحو أو الاشتقاق أو الفنون الأدبية، ولا تخرج بها عن الدلالات التي توافق أسباب النزول والأخبار الموثوقة وعلوم الحديث والأصول والفقه، فكأن الإشارة ليست انبعاثا تلقائيا محضا ولكنها مقيدة –منذ البداية– بالكثير من العلوم العقلية والنقلية)[3] بالإضافة إلى عدم انطواء جوانح صاحبها على (مذهب عقلي خبيء، (أو) عقيدة باطنية مستورة)[4] تحمله على أن يقول في نحو قوله تعالى: "وطهر بيتي" إنه القلب، ولا حظ للكعبة فيه، وهو قول من كان عن سبيل الحق ناكبا –كما يقول ابن العربي–[5] أو يقول في الشريعة كلها: (إن التأويل واجب في الأعمال الشرعية وأوضاعها وهومعنى يقف عليه العقلاء دون العامة، وذلك أن أوضاعه يضعها صاحب الشريعة على مثال الخلقة الطبيعية والأوضاع الجسمية التي هي على ضربين: ظاهر وخفي، فيكلف الأجسام الظاهر، ويكلف العقول الخفي الباطن)[6] ويزيد القول شرحا وتفصيلا فيقول: (والذي يجب الانتباه إليه عند تلاوته –يعني القرآن– والذي تهيأت نفسه لطلبه، وهذا مما يجب أن يكون في أكثر مما في شريعته من الأسماء

---

[1]- انظر التفسير والمفسرون. ج2. ص: 400- 401.

[2]- المرجع نفسه. ج2. ص: 29.

[3]- مقدمة محقق: لطائف الإشارات. للقشيري. ج1. ص: 24.

[4]- السابق. ج1. ص: 24.

[5]- انظر: قانون التأويل. ص: 226.

[6]- كتاب: تاج العقائد ومعدن الفوائد. تأليف الداعية الإسماعيلي اليمني المطلق. علي بن محمد الوليد. ولد سنة 522ه- وتوفي سنة 612ه. ص: 113. دار المشرق (المطبعة الكاثوليكية). تحقيق: عارف تامر.

المعروفة الواقعة على الجسمانيات التي لها تأويل إذا وقع الإشكال يرجع فيه إلى العقليات الروحانيات فيظهر ما يثلج الصدور، وينوّر العقول من كل أمر مستور، وسوى ذلك مما في الأرض، وما عليها من بحارها وأشجارها ونباتها ومعادنها وحيواناتها وما أشبه ذلك مما يتكرر ذكره في القرآن فإن لكل محسوس منها تأويل موافق (كذا)لظاهره)[1] وأن أعاجيب الصورة العقلية أكثر مما في الطبيعيات، وعليه فلا يجوز أن يقال إنه لا يوجد في شريعة النبي وكتابه إلا ما يحمل على الطبيعة الجسمانية فقط، إذ لا يقول هذا أحد، (وليس حجة النبوة على هذه الأمم كلها إلا بأن تقام عليهم من صورهم وتراكيبهم حجج عقلية موجودة في معاني القرآن دون ظاهر لفظه، المعروفة عند الراسخين في العلم[2]ثم ينسب هذا التأويل ويوصله إلى رسول الله ﷺ الذي تلقاه –كما يزعم هذا الإسماعيلي– عنه علي –رضي الله عنه– دون غيره، وتعلمه منه بنوه دون سواهم لأن عليا أمسكه عن باقي الأمة لمخالفتها له، وقعودها عن نصرته، وميلها للمفاخرة وركوب الأهواء. ونصوص هذا الإسماعيلي صريحة في فهم واعتقاد واعتبار التصوف النظري الفلسفي القائم على الباطن (هو الحق وهو الحقيقة، تصورا وتصديقا)[3] ولا شك أن اعتبار الرمز والإشارة هو الأصل في فهم النص الكريم سيوصلنا في النهاية –كما يقول جولد تسيهر– (إلى أروقة أفلاطون الإلهي، وإلى مذهبه المثالي)[4] ، وعليه فلن نمل من تكرار القول بأن (ظاهر اللفظ هو الأصل وعليه المعول وهو الراجح، فلا يجوز العدول عنه إلا بدليل سواء كان ذلك الدليل متصلا أو منفصلا أو كان الدليل برهانا عقليا أو نقلا صحيحا من الشارع، وبهذا يتميز التأويل الذي ذهب إليه أهل الحق من التأويل الذي ذهب إليه المبطلون من أصحاب الفرق والمتلاعبون بالشريعة الذين يحكمون أهواءهم في التأويل)[5].

والمشتغلون بالتفسير الإشاري من لاذ منهم بالفرار إلى ظل ظليل مستمسكا بالعروة الوثقى وُقي العثار، أما من ركب متن عمياء، وظن أن عقله مانعه من التردي فلم يك ينفعه سائقه حين وجد

---

[1]- كتاب تاج العقائد ومعدن الفوائد. ص: 116- 117.

[2]- المصدر نفسه. ص: 114.

[3]- قضية التأويل في القرآن الكريم بين الغلاة والمعتدلين. ج2. ص: 306.

[4]- مذاهب التفسير الإسلامي. ص: 204.

[5]- معايير القبول والرد لتفسير النص القرآني. د. عبد القادر محمد الحسين. ص: 350.

نفسه غارقا في لجج بحور التيه وظلمة القول وفساده[1]لأنه أتى البيوت من غير أبوابها، ذلك لأن النشأة، والمنهج، والموضوع، والغاية عند المفسرين الفيضيين بوجه عام مخالفة من كل وجه للإشارات الفلسفية النظرية. ومشابهة شيء من الأقوال والآراء الفلسفية –أو ما يبدو للبعض أنه كذلك- لبعض ما عند الفيضيين لا يجعل منهم فلاسفة لانضباطهم وتقيدهم بمسلمات شرعية يرون في الخروج عنها شرودا عن سواء الصراط لن يورث صاحبه إلا الخسران المبين حتى قالوا: من ضيع الأصول حُرم الوصول، ومن صحت بدايته صحت نهايته، ومن فسدت بدايته فسدت نهايته وربما هلك، أو كما قال ابن خلدون: (إن كان الأصل صالحا كانت الآثار صالحة، وإن كان فاسدا كانت فاسدة)[2] أو كقول السهروردي: (كل من كانت بدايته أحكم كانت نهايته أتم)[3] ، بخلاف الفلاسفة فإن نظرهم قائم على العقل الذي لا قيد يحد من حركته. ولا عاصم يعصمه من الزلل إلا أن يلجم بلجام الشرع فيما ينظر –أي العقل- فيه من المسائل فهذا مجاله وفي ذلك سلامة له وأمن من أن يُجر إلى الغواية والضلالة. وقد جرَّت أقوالهم-أي الفلاسفة- في التفسير وفي غيره من علوم الشريعة بسبب خوضهم بالاعتماد على العقل فيما لا مدخل له فيه، وما لا يُتوصل إليه أو يُدرك به الوبال على الأمة حتى قال أبو حيان في رده على ما نقله الرازي عن بعض حكماء الإسلام في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ يونس: ٢٧

مغاليا في وصفهم: (وهم أحق بأن يسمَّوا سفهاء جهلاء من أن يسمَّوا حكماء، إذ هم أعداء الأنبياء والمحرفون للشريعة الإسلامية، وهم أضر على المسلمين من اليهود والنصارى)[4].

وقد أورد محمد حسين الذهبي كلاما قريبا في معناه مما ذكره أبو حيان فقال: (إن الإمامية الاثنا عشرية، والباطنية الإسماعيلية، ومتطرفي الصوفية، ورجال الفلسفة الإسلامية كلهم يسيرون على نمط

---

[1]- انظر: مقدمة مراجع: فضائح الباطنية (بحمد علي القطب) لأبي حامد الغزالي. ص: 4.

[2]- شفاء السائل وتهذيب المسائل (لابن خلدون). ص: 177.

[3]- كتاب عوارف المعارف. ص: 532.

[4]- البحر المحيط. ج6. ص: 46.

واحد هدام لمقاصد القرآن ومراميه، ذلك هو ما يعبر عنه بالرمز أو الإشارة أو الباطن، ويظهر لنا أنها عدوى سرت إلى المسلمين من قدماء الفلاسفة، ثم تلقتها هذه الفرق بصدر رحب، وتقبلتها بقبول حسن، لأنهم رأوا فيها عونا كبيرا على ترويج بدعهم، ونشر ضلالاتهم بين المسلمين!!)[1].

إن الفرق بيّن والاختلاف واضح بين أن تقول إن التفسير بالرأي المحمود يقوم على(الاجتهاد في إبراز المعاني الجلية والخفية التي يدل عليها النص بصريح العبارة أو لطيف الإشارة) [2] وبين أن يتنادى قوم بأن للقرآن ظاهرا وباطنا، بل بواطنه كثيرة، وعلم ذلك كله عند الأئمة، وأن أكثر القرآن أو كله إما في أئمتهم ومواليهم أو في أعدائهم ومخالفيهم[3]، وربما ادعى هؤلاء الأقوام أن ظاهر القرآن مجعول للدعوة إلى التوحيد والنبوة والرسالة، وباطنه للدعوة إلى الإمامة والولاية ومتعلقاتها[4]، وربما ذهبوا أبعد من ذلك فجعلوا الكلام في الظاهر والباطن فيصل تفرقة بين الكفر والإيمان، وقالوا: (إن الإنسان يجب عليه أن يؤمن بظاهر القرآن وباطنه على السواء... ولا يجوز أن ينكر الباطن بحال... ولو أن إنسانا آمن بالظاهر وأنكر الباطن لكفر بذلك، كما لو أنكر الظاهر وآمن بالباطن أو الظاهر والباطن جميعا)[5].

إن الشطط والمغالاة في تأويل آيات القرآن الكريم وحملها على غير معناها امتد شرره إلى كل جهة فوقع فيه متطرفو الصوفية كما سماهم محمد حسين الذهبي، أو متأخرو الصوفية ممن عنوا بعلوم المكاشفة —كما سماهم ابن خلدون- كما وقع فيه حكماء وفلاسفة الإسلام ودعاة الفرق الخالعة لربقة الإسلام من عنقها ففسروا —يعني متأخري الصوفية- (المتشابه من الشريعة كالروح والملك والوحي والعرش والكرسي وأمثالها بما لا يتضح أو يكاد، وربما يتضمن أفعالا منكرة ومذاهب مبتدعة ككلمة (كذا) الباطنية في حمل كثير من آيات القرآن المعلومة الأسباب على معنى باطن، ويضربون بحجب التأويل على وجوهها السافرة وحقائقها الواضحة كقولهم في آدم وحواء إنهما النفس

---

[1]- التفسير والمفسرون. ج2. ص: 413.

[2]- ابن جزي ومنهجه في التفسير. ج2. ص: 596.

[3]- انظر: التفسير والمفسرون. ج2. ص: 25 -26.

[4]- المرجع نفسه . ج2 . ص: 28 .

[5]- المرجع نفسه. ج2. ص: 27.

والطبيعة، وقولهم في ذبح البقرة إنها النفس،...وأمثال ذلك)[1] ، فإطلاق اسم "موسى" على "العقل" لمناسبة بينهما، وهي تنظيم الملك وسياسته وتدبيره والرمز بـ"الخضر" إلى "الروح" لأنه إن حل بمكان أخضر، وكذلك الروح إذا قامت بالأبدان، والرمز للنفس الأمارة بالسوء لعتوها وتمردها بفرعون، خطأ في الفهم والإعتقاد لأن الثلاثة أشخاص بأعيانهم، وقصصهم بينة في كتاب الله تعالى، فحمل أسمائهم على النحو المذكور باطل وفيه مصادرة للحق والحقيقة معا[2].

إن شأن المبتدع اللائذ بهواه ليس أمامه إلا هذا، (فليس له قصد إلا تحريفَ الآيات وتسويتها على مذهبه الفاسد بحيث أنه لو لاح له شاردة من بعيد اقتنصها، أو وجد موضعا له فيه أدنى مجال سارع إليه)[3] مستمسكا بالذي أوحاه إليه هواه، ظنا منه أنه على صراط مستقيم.

إن التعرض لبقر باطن الآيات والحروف بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ملأ مخازن التراث الإسلامي بالخرافات، وأثقل كاهل المميزين لخبيث القول من طيبه، وحمَّلهم أعباءً مضاعفة، وبدلا من أن تتجه أكبر العقول الإسلامية نحو إيصال النور إلى البشرية قاطبة ممثلا في صورة الإسلام البسيطة التي تخاطب فطرة الإنسان وكيانه كله بلا التواء ولا اعوجاج، فقد كان على ثلة من هؤلاء الخيرة أن يُصفُّوا التبر من التراب والعسل من السم الذي دسه فيه الكائدون لهذا الدين والذاهلون عن مقاصده وغاياته الكبرى، ثم ما الذي استفاده الناس من المحاولات المتكررة لمعرفة باطن الحروف المقطعة في أوائل السور مثلا وشأنها (ليس من باب التكليف، وإنما من باب العلم، فلا سبيل إلى الظن فيه، ولا يوجد دليل القطع عليه فوجب التوقف. ومن جملة العشرين قولا —التي قيدها فيها ابن العربي– ما لا سبيل إلى معرفته بالعقل، وإنما يعلم بالنقل الشرعي، ومنها ما يعلم بالنقل اللغوي لو وجد من طريق صحيحة، ولكنهما معدومان، ولم يخلق الله أحدا يحكم عليها —يعني علم الحروف المقطعة في أوائل السور– بعلم، ولا يدعي في المراد منها فهما، بلْهَ رسول الله ﷺ)[4]وعلام يحوم بعض المهووسين حول

---

[1]- شفاء السائل وتهذيب المسائل. لابن خلدون. ص: 211.

[2]- انظر: التفسير الصوفي الفلسفي للقرآن الكريم. محمد غازي عراقي. ج1. ص: 5. دار البشائر-دمشق. ط1/1426ه-2006م.

[3]- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. حاجي خليفة (المولى مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي الشهير بالملا كاتب الجلبي: 1017-1067ه) ج1. ص: 427. دار الفكر. 1410ه-1990م.

[4]- قانون التأويل. لابن العربي. ص: 208.

مسائل ساق القول فيها أحيانا إلى مناقضة ظاهر بعض الأحكام، و لم يكن هذا شأن الأكابر، (قال ذو النون: علامة العارف ثلاثة: ...(منها) ولا يعتقد باطنا من العلم ينقص عليه ظاهرا من الحكم) [1] حتى لا تختل أركان الشريعة المؤسسة على ظواهر النصوص وعلى ما استنبط منها موافقا للكتاب والسنة ظاهرا وباطنا، (فـ)(علم الشريعة علم واحد، وهو اسم واحد يجمع معنيين: الرواية والدراية –كما يقول السرّاج الطوسي– فإذا جمعتهما فهو علم الشريعة الداعية إلى الأعمال الظاهرة والباطنة، ولا يجوز أن يجرد القول في العلم أنه ظاهر أو باطن، لأن العلم متى كان في القلب فهو باطن فيه إلى أن يجري ويظهر على اللسان فإذا جرى على اللسان فهو ظاهر غير أنا نقول إن العلم ظاهر وباطن وهو علم الشريعة الذي يدل ويدعوا إلى الأعمال الظاهرة والباطنة، والأعمال الظاهرة كأعمال الجوارح الظاهرة وهي العبادات والأحكام مثل: الطهارة والصلاة...فهذه العبادات، وأما الأحكام فالحدود والطلاق...وأما الأعمال الباطنة فكأعمال القلوب...مثل التصديق والإيمان واليقين)[2] إلى أن يقول: (ولكل عمل من هذه الأعمال الظاهرة والباطنة علم وفقه وبيان وفهم وحقيقة ووجد، ويدل على صحة كل عمل منها من الظاهر والباطن آيات من القرآن وأخبار عن الرسول ﷺ علمه من علمه وجهله من جهله، فإذا قلنا علم الباطن أردنا بذلك علم أعمال الباطن التي هي على الجارحة الباطنة وهي القلب، كما أنا إذا قلنا علم الظاهر أشرنا إلى علم الأعمال الظاهرة التي هي على الجوارح الظاهرة وهي الأعضاء، وقد قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ لقمان: ٢٠، فالنعمة الظاهرة ما أنعم الله تعالى بها على الجوارح الظاهرة من فعل الطاعات، والنعمة الباطنة ما أنعم الله تعالى بها على القلب من هذه الحالات، ولا يستغني الظاهر عن الباطن ولا الباطن عن الظاهر)[3].

---

[1]- عوارف المعارف. للسهروردي. ص: 539. دار الكتاب العربي-بيروت. ط1/1966م.

[2]- كتاب اللمع في التصوف. للسرّاج الطوسي (أبي نصر عبد الله بن علي). ص: 23. مطبعة بريل في مدينة لندن 1914م. باعتناء: (نسخا وتصحيحا) رنولد الد نيكلسون.

[3]- المصدر نفسه. ص: 24.

فمن خلط الخرافة بالحقيقة والانحراف والشعوذة بالاستقامة فهذا ينسب إليه ويلصق به هو ودين الله وشريعته بريئان مما قال أو عمل.

إن دعوى الباطن والتأويل وصرف النصوص عن ظاهرها بغير دليل هو الذي أوجب افتراق أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وهو الذي أوجب افتراق هذه الأمّة، وبسببه أريقت دماء المسلمين في صفين وغيرها، ومن جهته دخل أعداء الإسلام من الفلاسفة والباطنية ودعاة الإتحاد والحلول لإفساد دين الله وإظهار البيان والتبيين الإلهي الواضح المشرق المعجز في صورة الألغاز والطلاسم وما لا يفهم[1] ولم يجد حملة هذه الدعوى معولا لهدم الشريعة والإتيان على الدين من أساسه أفضل من القول بالباطن وصرف الآيات عن ظاهرها وتأويلها بغير دليل أو بدليل واه أو وهمي حتى تعانق عند قوم-بسبب ذلك- الكفر والإيمان[2].

وقد تحدث الغزالي عن صنف من أصحاب تلك الدعاوى فقال: (مما تطابق عليه نقلة المقالات قاطبة أن هذه الدعوة لم يفتتحها منتسب إلى ملة ولا معتقد لنحلة معتضد بنبوة، فإن مساقها ينقاد إلى الإنسلال من الدين كانسلال الشعرة من العجين)[3]،ووصف عبد القاهر البغدادي-(ت 429ه) ضرر أصحاب هذه الدعوة على المسلمين بأنه أعظم من ضرر اليهود والنصارى والمجوس بل وأعظم من مضرة الدهريين وسائر الكفرة، وفضائحهم (أكثر من عدد الرمل والقطر)[4]، ثم ساق نصوصا لهم فيها الإشادة بالفلسفيين والدهريين،في مقابل الحط من الشرائع والأنبياء وإنكار ما تدعوا إليه وإبطاله،ثم أصدر حكمه عليها فقال: (إن الباطنية خارجة عن فرق الإسلام،وداخلة في فرق الكفر الصريح لأنها لم تتمسك بشيء من أحكام الإسلام لا في أصوله ولا في فروعه)[5].

وقال في "الفرق بين الفرق" له: (الذي يصح عندي من دين الباطنية أنهم دهرية

---

[1]- انظر: إعلام الموقعين عند رب العالمين.لابن القيم.ج4.ص: 441- 477.

[2]- انظر: التصوّف والتفلسف – الوسائل والغايات . د: صابر طعيمة . ص: 07 .

[3]- فضائح الباطنية.ص: 26.

[4]- الفرق بين الفرق.وبيان الفرقة الناجية منهم.ص226.

[5]- كتاب أصول الدين.ص: 329.دار الكتب العلمية_بيروت.ط1401/3ه_1981م.

زنادقة...ينكرون الرسل والشرائع كلها لميلها-يعني الباطنية-إلى استباحة كل ما يميل إليه الطبع)[1].

وقد نعتهم النسفي، وشارح عقيدته التفتازاني بالإلحاد،وأهل الباطن لادعائهم بأن النصوص ليست على ظواهرها بل لها معان باطنة لا تعرف إلا من قبل المعلّم وغايتهم نفي الشريعة بالكلية[2]، ووصف الغزالي مذهبهم وغاية مقصودهم فقال: (فهو.. مذهب ظاهره الرفض،وباطنه الكفر المحض، ومفتتحه حصر مدارك العلوم في قول الإمام المعصوم...ثم إنهم بالآخرة يظهرون ما يناقض الشرع وكأنه غاية مقصودهم)[3]، وله -رحمه الله تعالى- كلام في هؤلاء القوم يعرف بهم ويلخص للقارئ أصولهم والدعائم التي تقوم عليها دعوتهم والتداعيات التي نجمت عنها،كصرفهم لآيات عن ظاهرها على صورة لا يصدقها عقل ولا يدعمها دليل،ولا خطرت ببال من نزلت عليه ﷺ أو من أخذها عنه رضي الله عنهم فقال: (أما الباطنية فإنما لقبوا بها لدعواهم أن لظواهر القرآن والأخبار بواطن تجري في الظواهر مجرى اللب من القشر، وأنها بصورتها توهم عند الجهال الأغبياء صورا جلية وهي عند العقلاء والأذكياء رموزا وإشارات إلى حقائق معينة،وأن من تقاعد عقله عن الغوص في الخفايا والأسرار،و البواطن والأغوار،وقنع بظواهرها مسارعا إلى الاغترار،كان تحت الأواصر والأغلال، معنيًّ بالأوزار والأثقال، وأرادوا بـــ"الأغلال" التكليفات الشرعية، فإن من ارتقى إلى علم الباطن انحط عن التكليف واستراح من أعبائه، وهم المرادون بقوله تعالى: ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ الأعراف: ١٥٧.وربما موهوا بالاستشهاد عليه بقولهم: إن الجهال المنكرين للباطن هم الذين أريدوا بقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ الحديد: ١٣

وغرضهم الأقصى إبطال الشرائع، فإنهم إذا انتزعوا عن العقائد موجب الظواهر قدروا على الحكم بدعوى الباطن على حسب ما يوجب الانسلاخ عن قواعد الدين،إذ سقطت الثقة بموجب

---

[1]- ص: 278. دار الآفاق الجديدة-بيروت. ط4/1400ه-1980م.

[2]- انظر: شرح العقائد النسفية في أصول الدين وعلم الكلام. ص: 191. وزارة الثقافة-دمشق/1974م تحقيق كلود سلامة.

[3]- فضائح الباطنية. ص: 43.

الألفاظ الصريحة فلا يبقى للشرع عصام يرجع إليه ويعول عليه)[1] ، ولذا اتفقت كلمة العقلاء على أن دعواهم بأن هذا القول في نصوص الوحي هو القول الصحيح غير المنكر، منكر من القول وزور، ولا يعد شرحا لكتاب الله تعالى ولا لسنة نبيه ﷺ بل هو جَرح، وأيّ جَرح!! وليس هذا من علوم المكاشفة –عند من يسلم بها– التي لا يكشف عنها العبارة ولا من العلم اللّدني الوجداني الذي لا يفي بنطقه المقال، لخضوعها عندهم–في الغالب– لأصول التأويل وأسسه، بل هذا قول من سقطوا من عين الله بإغراقهم في التأويل والإمعان في الرمزية على نحو ممزق للنص عابث به.

إن التأويلات الإشارية بمعناها اللغوي العام لا بمعناها الاصطلاحي الصوفي الضيق (كثيرا ما تدفع (بأصحابها) إلى تخريجات اعتباطية لا تعتمد في النص حجة ولا قرينة، والاغتباط في ذلك درجات ومنازل، أهونها تحويل المعنى عن سياقه الدلالي القرآني إلى سياق دلالي شيعي (أو فلسفي) أو صوفي بدعوى أن العلاقة بين الأطراف علاقة واحدة، وأن الأحوال والأحداث متشابهة هنا وهناك. وباختصار فإن شبها يقوم بين السياقين ولكن لا شيء يدل على أن السياق القرآني مشير إلى السياق المذهبي)[2]، كتفسير الإمامية –كما في أصول الكافي وغيره– لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴾ النساء: ١٣٧ حيث قالوا: (إن هذه الآية نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان، آمنوا بالنبي أولا، ثم كفروا حيث عرضت عليهم ولاية علي، ثم آمنوا بالبيعة لعلي، ثم كفروا بعد موت النبي، ثم ازدادوا كفرا بأخذ البيعة من

---

[1]- فضائح الباطنية. ص: 21- 22.

وانظر: التعريف بالباطنية. التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين. لأبي المظفر الاسفرايني. ت: 471ه. ص: 140 وما بعدها. عالم الكتب–بيروت. ط1403/1ه–1983م. تحقيق: كمال يوسف الحوت.

ومما خلص إليه –طيب الله ثراه – بعد أن عرف بهم ودل على أصولهم، وبين للناس أهدافهم وغاياتهم قال: (ينبغي أن يعرف الإنسان أن رتبة هذه الفرقة أخسّ من رتبة كل فرقة من فرق الضلال، إذ لا نجد فرقة ينقض مذهبها بنفس المذهب سوى هذه، إذ إن مذهبها إبطال النظر، وتغيير الألفاظ عن موضوعاتها بدعوى الرموز. وكل ما يتصور أن ينطلق (كذا) به لسانهم إما نظر أو نقل. أما النظر فقد أبطلوه، وأما اللفظ فقد جوز أن يراد باللفظ غير موضوعه فلا يبقى لهم معتصم)(*)

(*) فضائح الباطنية. للغزالي(أبي حامد). ص: 56.

[2]-قضايا اللغة في كتب التفسير. ص: 104.

كل الأمة)[1].

إن الذي لا يختلف فيه مؤمنان هو أن القرآن الكريم قد اشتمل على حقائق فكر القرون الممتدة إلى آخر الدهر، فضلا عن القرون السحيقة الماضية السابقة لنزوله، مع مسايرته في خطاب العرب لجوانب حياتهم المختلفة، نازلا لهداية البشر كافة، ولكونه كذلك فقد اقتضت حكمة الباري جل جلاله (أن ينزل بأسلوب لا يصدم البدهي المسلم به عند الناس فيكذبوه، ولا ينافي حقائق الأشياء فيكون ذلك داعيا إلى تكذيب إذا يسر الله سبيل الكشف عنها لأولي العلم في مستقبل العصور، وهذا من أعجب عجائب القرآن التي لا تنقضي، فإن التعبير عن حقائق الأشياء بأسلوب يطابقها تماما، ثم لا يصدم الناس فيما يعتقدون أمر يعجز عنه البشر ولا يقدر عليه إلا الله الذي انزل القرآن بالحق هدى للناس)[2]، فإذا ما انبرى أصحاب المناهج الرمزية فلاسفة كانوا أم شيعة أم صوفية، (ينظّرون، كل من جهته، لقراءتهم الباطنية، فيحددون، في إطار المذْهب، قانونا داخليا ومعجما محليا يتضمن المفاتيح..التي بدونها يبقى النص منغلقا، والمعنى محتجبا)[3] يوجب بناء على تنظيراتهم تلك –الحاملة للخطاب على الرمز– تأويل الضمائر والإشارات والمحددات على أن تنزّل على المعاني التي تدور في فلكها عقولهم كالأئمة وأشياعهم أو أعدائهم عند الإمامية، وما يضاهيها في عقول الفلاسفة، وما "اهتدت" إليه أذواق متطرفي الصوفية –كما سماهم غير واحد من الدارسين–،فسنرى عجبا من القول، وتنزيلا للنص الكريم على أمر لا سند له من عقل أو نقل أو لغة، وليس له في لغة النص نصير ولا كفيل، وكل هذا دفع إليه دافع مفترض كامن خارج النص، مختبئ في ذات قائله وميوله التي أملت عليه هذا الفهم المعوج[4].

إن الناس في درجة المعرفة متفاوتون تفاوتا بعيدا، والفهم و(العقل عن الله... منفتح على لا نهاية

---

[1]- التفسير والمفسرون. ج2. ص: 35.

-وانظر تفسير الآية في التفسير المنسوب لابن عربي.

[2]-معايير القبول والرد لتفسير النص القرآني. ص: 44- 45.

[3]-قضايا اللغة في كتب التفسير. ص: 106.

[4]-انظر: المرجع نفسه. ص: 39.

في المعرفة...وزيادة المعاني بعد المعاني في العقل لا تعرف حدّا ولا تتوقف عند نهاية) [1]، والناس جميعهم مصدقون لما يوافق هواهم، ويلائم غرضهم ومناهم –كما يقول الغزالي– [2] وفيض التفسير الصوفي الإشاري الجاري على غير الظاهر لا ينتهي إلى شاطئ[3]، و(باب التأويل الباطني باب واسع يمكن لكل من ولجه أن يصل فيه إلى كل ما يدور بخلده ويجيش بخاطره) [4]ولأن الرمز والإشارة كثيرا ما نجد فيه تحررا من القيود اللفظية أو الأسلوب يجعل التحكم في الدلالة المقصودة عن طريق الرمز والإشارة أمرا صعب المنال[5].

إن كل هذه الاعتبارات التي ذكرها هؤلاء الأعلام في نصوصهم هذه توجب على كل من يقول في نصوص الوحي قرآنا وسنة من طريق العبارة والإشارة إظهار أدلة الأقوال التي يذهب إليها والحجج التي يعتمد عليها، على أن تكون الأدلة التي يتكئ عليها سليمة من الشبهات حتى يصح له الاستدلال بها على المطلوب وتسلم من المعارضات [6]، أما من ادعى أنه أوتي مثل ما أوتي رسل الله، أو قال إنه أوحي إلي، و لم يوح إليه شيء، فإنه يفتح الباب للدعاوى الكاذبة، والتلاعب برسالات المصطفَيْن الأخيار الذين صُنعوا على عين الله جل جلاله، وكانوا ﷺ بأعينه تبارك اسمه، فمقامهم رفيع ومكانهم عليٌّ، وما بينهم وبين سائر البشر من الفرق والبعد مثل ما بين ضوء الشمس وجسم مضاء استمد نوره من أشعتها، وما بينهم وبين غيرهم من البعد فكما بين الثريا والثرى. وبتعبير ابن خلدون: (إن..المدارك كلها تخمد في (جنب) النبوة، كما تخمد الكواكب والسرج عند وجود الشمس، لأن النبوة هي النور الأعظم الذي يخفى معه كل نور ويذهب) [7].

إن من تنادى بتحريف القرآن بالنقص، ثم ادعى أن له بطنا اختص بمعرفته قوم دون سواهم، ثم

---

[1] عن مقدمة محقق "العقل وفهم القرآن". ص: 168.

[2] -انظر: فضائح الباطنية. ص: 41.

[3] - انظر: مذاهب التفسير الإسلامي. ص: 280.

[4] - التفسير والمفسرون. ج2. ص: 29.

[5] - انظر: دراسات إسلامية–التأويل الصحيح. ص: 185.

[6] - انظر: الإمام ابن تيميه وقضية التأويل–دراسة لمنهج ابن تيميه في الإلهيات، وموقفه من المتكلمين والفلاسفة والصوفية. للدكتور: محمد السيد الجَلَيْند. ص: 138.

[7] -مقدمة ابن خلدون. ج1. ص: 213.

ختم الإدّعاءين ببلية ثالثة طعن من خلالها في نقلة رسالة النبي ﷺ من الصحابة ومن جاء بعدهم عبَّد الطريق لأعداء الوحي، ودلّهم على السبيل الموصلة إلى التشكيك في شريعة الله، وحفر ثلمة في دين الله لم تتعاف منها الأمة إلى اليوم، لأن الداعين إليها سقوا الناس-كما قيل- كأس الضلالة في آنية أهل البيت رضي الله عنهم[1].

إن حمل النصوص على ما لا ينبغي شر مستطير، وسوء أدب مع الله تعالى الذي أنزل القرآن مفصلا، وزاده نبيه ﷺ تبيانا سدًّا لجراءة حمل الآيات على غير محملها التي يقود إليها قلة العلم والمعرفة بالله وكتابه، قال الشيخ محمد الفاضل بن عاشور[2]: (إن الذين نزعوا إلى النحلة الباطنية، عطلوا دلالات التركيب، وأنكروا أن تكون المعاني مستفادة منها بطريق الوضع اللغوي، والتأليف النحوي والبلاغي فجنحوا إلى الإشارات بإبراز الأعداد وأسرار الحروف، وزعموا ذلك علما خفيا يتلقى ممن هو عنده بطريق الوراثة أو الوصاية أو الهبة، قد اعتبروا معطلين لمعنى الدين منكرين لحقيقته، ملحدين عنه إلى الكفر: لما تقتضيه تلك المقالة من إنكار التبليغ، والنزول بالتعاليم الشرعية إلى منزلة العدم، ومدرجة الإباحية، والزج بالحكمة الدينية في المنهج السلبي الذي تذرعت به السفسطة اللاأدرية إلى نقض مباني الفلسفة العقلية. فالقرآن العظيم عندنا معاشر المسلمين، كلام دال على معانيه دلالة مأخوذة بالطريق الواضح العادي لدلالة الكلام العربي)[3]، وليس كما ادعى الباطنية ومن اقتفى أثرهم من أن النصوص (لا تعبر عن الحقيقة كما هي في ذاتها ونفس الأمر)[4]، وهي تهمة للأنبياء في أنهم لا يكادون يُبِينُون، لا،بل تهمة للحق جل جلاله الذي أنزل الكتاب المبين الواضح البالغ في الوضوح والبيان ما لا طاقة لبشر به، وما صرْف الباطنية والفلاسفة ومن تمذهب بمذهبهم للنصوص عن ظواهرها وتأويلها رموزا وخيالات إلاّ ليصرفوا الناس عنها تمهيدا لإبطالها والشبه قوي والعلاقة

---

[1]- انظر: الإمام ابن تيميه وقضية التأويل. ص: 170 -171.

[2]- أديب خطيب ، مشارك في علوم الدين ، من طلائع النهضة الحديثة الناهين في تونس مولده ووفاته بها ، تخرج من المعهد الزيتوني، وأصبح أستاذا فيه فعميدا و كان من أنشط أقرانه دؤوبا على مكافحة الاستعمار ، شغل القضاء بتونس ثم منصب مفتي الجمهورية، من أعضاء المجمع اللغوي بالقاهرة و رابطة العالم الإسلامي بمكة طبع من كتبه " أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي " و "التفسير و رجاله " و غيرها . الاعلام . 6/ 325 .

[3]- التفسير ورجاله. ص: 18 .

[4]- الإمام ابن تيميه وقضية التأويل. ص: 132.

بين هؤلاء واضحة[1]. ولم تسلم أكثر آيات القرآن الكريم من تأويلاتهم، فقد أوّلوا الآيات التي تتحدث عن الكون وأفلاكه من سماوات ونجومها وكواكبها، بل امتد تأويلهم إلى آيات عالم الغيب كالجنة والنار والملائكة وسواها فحملوها على ما حملوها عليه متناسين أن استحالة إدراك الغيب بالعقل مقطوع به، والوصول إلى معرفة كنهه مجردا عن الوحي لا يتأتى لأحد، وأنه لا فرق في كشف حجب الغيب الإلهي [2]بين عامي وفيلسوف، والناس سواسية في ذلك، وحاجة الفيلسوف إلى الوحي كحاجة العامي سواء بسواء، والفرق بينهما في سعة إدراك نصوص الوحي ودرجة فهمها، لا في إنشاء صفات عوالم الغيب –وأعظمها الذات العلية– بالاعتماد على العقل المجرد، فالفيلسوف فيها كالعامي، ولذا عاد إلى أدلة الوحي كثير ممن اشتغل بالفلسفة، كالرازي وغيره[3].

إن من استسلم من فلاسفة الإسلام لما قرره من سبقهم من فلاسفة اليونان وغيرهم مثله: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ العنكبوت: ٤١ .

ومن ظن منهم أن طريق هؤلاء طريق رشد وسداد موصل إلى إدراك عوالم الغيب بالعقل فهو كالمعتمد على أعمى يرجو أن يخلصه من أشواك وأفاع وسباع ملئ بها طريق الوصول إلى الغاية التي ينشدها، ولا أدري كيف وصل الإعجاب "بعقول كبيرة" كالفارابي والكندي وابن سينا حد الذوبان والتمثل التام لأقوال وآراء من تقدمهم من الفلاسفة نابذين فصوص الدرّ وجواهر اللؤلؤ وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون، متبعين بعض ما تتلو الشياطين على عقل أفلاطون وأرسطو[4]؟!! فهم (في محاولتهم للتوفيق بين الدين والفلسفة، يوضحون لنا أن لغة الرسل لغة رمزية إيحائية، يفهم منها العامة ظاهر معناها على سبيل التمثيل والتخييل تقريبا للأفهام، وترويضا للعقول، أما الخاصة فهم

1- انظر: الإمام ابن تيميه وقضية التأويل. ص: 121- 122.

2- المرجع نفسه. ص: 126.

3- انظر: المرجع نفسه.ص: 126.

4- هو أرسطو طاليس .384 – 322 قبل الميلاد .

انظر ترجمته في : الموسوعة الفلسفية. ج1.ص: 98 وما بعدها وصفه عبد الرحمان بدوي في الصفحة و الجزء المذكورين بأنه أعظم فيلسوف جامع لكل فروع المعرفة الإنسانية في تاريخ البشرية كلها .

المعنيون بفهم الحقائق، وتأويل الرموز، وإدراك المعاني الباطنة وراء هذه الألفاظ التي استعملها الأنبياء)[1]، وهذا الفهم غدا معه التفسير الرمزي (أقرب إلى الأدب واللعب منه إلى الواقع. وهو بابتعاده عن (معاني ظاهر الآيات ومدلولاتها اللغوية) ينتقل إلى عالم مجرد، خاص، خيالي أو شبيه بالخيالي) [2].

ففيلسوف كابن سينا في شرحه لمعاني بعض ما وصلنا من تفسيره فلسفي، عقلاني، يُعمل فكره ومنطقه...ويفسر من عنديات فارضا على الآيات ما يود، محملا لها ما لا تحتمل وما لن تحتمله ملبسا إياها ثوبا إشراقيا متأغرقا –كما يقول حسن عاصي– مشذبا لمعانيها (حتى تتوافق مع ما هيأ لها، ثم يلبسها ثوبا مخصصا وفق مشيئته لا على مقاسها) [3].

أما "إخوان الصفا" فإن انحرافهم أشد، واعوجاجهم أنكى لأنهم عدّوا التأويل هو مركز الدائرة، وجعلوا السعّادة الكاملة في الآخرة نصيب من أدرك الشريعة بمعناها المتأوّل[4]. وقد أبان عن نحلتهم ونواياهم المستشرق المجري جولد تسيهر فقال: (وصنع "إخوان الصفا" فلسفتهم في خدمة هذه السياسة الغنوصية التي يمثلها الإسماعيلية، وفي خدمة هذه السياسة أيضا كان يوحى إلى الأتباع والأشياع بالتعاليم الهدّامة على درجات متصاعدة من الوحي والمكاشفة. أما من كانوا أعلى مرتبة من هؤلاء فكانوا يعلمون تفسير النصوص المقدسة عن طريق التأويل الذي يترقّى باطّراد إلى أسمى درجات التعطيل الكامل للشريعة) [5]، والدعوة إلى التأويل التي أطلقها هؤلاء لا تزال قائمة ومستمرة وإن اختلفت مسمّياتها وتباينت الأسماء والألقاب لكن الغاية واحدة حتى قال أحد المعاصرين: (كثيرا ما نرى الشرّاح المعاصرين اليوم يلحّون على ضرورة تأويل النص مثلما ألحّ على ذلك أصحاب التفسير الباطني قديما بدعوى أن التفسير على الظاهر، أوالتفسير"البنيوي" بعبارة العصر، تفسير

---

[1]- الإمام ابن تيمية وقضية التأويل.ص: 119.

[2]- التفسير الصوفي للقرآن عند الصادق- الصادقية في التصوف وأحوال النفس والتشيع. د: علي زيعور.ص: 75. دار الأندلس.ط1 | 1979م.

[3]- التفسير القرآني في اللغة الصوفية في فلسفة ابن سينا.د: حسن عاصي.ص: 22. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع- بيروت.ط1 | 1403ه-1983م.

[4]- انظر: السابق . ص: 19.

[5]- مذاهب التفسير الإسلامي. ص: 232.

منقوص، بل ربما نعت بنعوت مجفـــّلة: من قبيل التفسير السطحي أو التفسير الساذج... ومثل هذا المنهج الداعي إلى التأويل مُغْر ومطلوبٌ من جهة التوغّل في الدلالة والتحليق في فضاء النصّ، غير أنه أيضا خطر المزلة من جهة كسر القيود الرابطة بين النص والقارئ وتمكينه من حرية مطلقة لا يقيدها قانون، جامحة لا يحدها فضاء، تائهة لا يردها ساحل، وذلك هو التفسير غير اللغوي الذي لا يشده إلى النص حبل، ولا يستند فيه إلى قرينة)[1].

إن محاولة المواءمة والتوفيق بين الفلسفة ونصوص القرآن الكريم أوصلتنا إلى نتائج مروعة بسبب أن أصحابها لم يراعوا للقرآن عهدا ولا رجوا له وقارا، وإلا فما معنى أن يفسر "الفارابي" الملائكة بأنهم "صورة عملية، جواهرها علوم إبداعية قائمة بذواتها"، ولا أدري لهذا الكلام معنى، وما معنى أن يفسر"إخوان الصفا" الجنة بأنها عالم الأفلاك، والنار بأنها عالم ما تحت الفلك، والملائكة كواكب الأفلاك، وما معنى أن يقول ابن سينا إن العرش هو الفلك التاسع وهو فلك الأفلاك، وأن الملائكة هم الأفلاك الثمانية المذكورة في قول الحق سبحانه: ﴿ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾ الحاقة: ١٧، وأن الثمانية أفلاك المذكورة في الآية دون الفلك التاسع الذي هو العرش عنده[2]، وما دام أن معنى هذه الآية هو هذا، فما معنى لفظة "الملائكة" في غيرها كقول الحق سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ التحريم: ٦، وقوله تبارك اسمه: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ النبأ: ٣٨، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ الأحزاب: ٥٦، وقوله: ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [المعارج: ٤]، وقوله: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ

---

[1]- قضايا اللغة في كتب التفسير. المنهج-التأويل-الإعجاز . ص: 103 .

[2]- انظر مقدمة محققي "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني". للألوسي(محمود أبي الفضل شهاب الدين البغدادي ت: 1270ه) ج1. ص: 15 -16 .

أَللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ الشورى: ٥، إلى آخر الآيات التي تتحدث عن هؤلاء الأطهار الذين ذُكروا معرّفين بالألف واللام في كتاب الله تعالى أكثر من ستين مرة، وخمس مرات تقريبا من غير تعريف، والسياقات فيها جميعها ومنها آية الحاقة، عن عباد الله يسبحون الليل والنهار لا يفترون، "مخلوقات حقيقية واعية" تسأل الحق سبحانه فيجيبها، وتكلف "بوظائف" فتؤديها ومنها إيصال آية الحاقة إلى محمد بن عبد الله ﷺ في مكة، ومنها مناداة زكريا وهو قائم يصلي في المحراب، ومنها قولها لمريم عليها السلام: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ آل عمران: ٤٢، ومنها الدخول على المومنين في الجنة من كل باب.

لقد تبين لكل ذي لب (أن في فهم معاني القرآن مجالا رحبا ومتسعا بالغا، وأن المنقول من ظاهر التفسير ليس منتهى الإدراك فيه) [1]لكن هذا لا يعني أن نضيف إليه منها ما ليس له في واقع اللغة مكان، أو نقلب معاني الحقائق الشرعية التي تنطق بها الأيات والأحاديث المتظافرة، فإن هذا يقينا تحريفا للكلم عن مواضعه دعا إليه عقيدة رسخت في الذهن، وتمكنت من العقل، وهوى استحكم فأملى فهما وتأويلا نشازا تأباه اللغة وينكره العقل المسدَّد ويرده الشرع لأنه-كما يقول الذهبي: (تفسير من اعتقد أولا ثم فسر ثانيا بعد أن اعتقد) [2] ولا شك أن من اعتقد أن القرآن الكريم باطنا هو مركز الدائرة وعليه يدور الفهم وهو السعادة الأبدية في الدارين -كما مر- سينتهي في فهمه إلى هذا وإلى ما هو أشنع من هذا، ولذا قال ابن العربي محذرا ومنبها إلى ما يمكن أن يوول إليه القول بالباطن فقال: (وأما علم الباطن فقد ضلت فيه الأمم فأوغدوا في هذا الباب وأوعدوا حتى كَفَرَت منهم طائفة لا يحكى قولها الآن لسخافته، وتسورت عليه أخرى، وادعى كل واحد منهم أن علمه في كتاب الله ليحرص عليه من يطلبه) [3] مع أنه لا يعدو أن يكون مسخا من القول، وهذيانا من الفكر لا اعتماد له على شيء مسلم إلا الضبابية وعدم الوضوح، والالتواء المخرج للقول عن موضوعية

---

[1]- إحياء علوم الدين. للغزالي. ج1. ص: 384. دار ومكتبة الهلال-بيروت. ط2004/1م. تحقيق وتصحيح: هيئة التحقيق بدار الوعي العربي-حلب .

[2]- التفسير والمفسرون. ج2. ص: 23.

[3]- قانون التأويل. ص: 196.

التأمل والاستنباط[1].

إن العاقل وهو من جمع في علومه ومعارفه بين المعقول والمنقول (إذا وجد نفسه في موقف يحتم عليه أن يختار بين ما يهدي إليه النص الموحى به الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ فصلت: ٤٢ وبين إملاءات العقل القاصر المعرض للخطأ وللصواب تبعا لقصوره ومحدوديته، إذا وجد نفسه في هذا الموقف سيجنح ويختار هداية النص على افتراض العقل)[2]، فإشارة ابن سينا أو رمزه وتأويله لآية الحاقة على النحو الذي أوردنا لا يقبل منه وإن وصل لتوّه من أحد الأفلاك التسعة التي ادّعاها لأن الآية تصور مشهدا حقيقيا سيقع، كما صورت آيات أخرى مشاهد لحقائق وقعت والمتكلم عن المشاهد الحقة الواقعة والتي ستقع هو الحق سبحانه وتعالى، أ أبو علي أعلم أم الله؟! إن الخلاف بين ابن سينا وبين الله وبقول الله أقول.

قال الزركشي: (حكى بعض المغاربة من شارحي "البرهان": أن الناس اختلفوا في أن الألفاظ اللغوية هل يجوز تغييرها حتى يسمى الثوب دارا مثلا: قال: فالذي أجمع عليه العلماء أن ما تعلق به حكم من الألفاظ لا يجوز تغييره إذ يؤدّي إلى تغيير الحكم، وما لم يتعلق به حكم، فإن كان توقيفيا فمن الناس من يقول: لا يجوز تغييره، وكان التوقيف حكما، ومنهم من جوز التّغيير،وقال: إمكان الحكم ليس بحكم، وإنما الحكم بالخطاب والعلم به عند توجه الخطاب)[3]، فإن لم يكن إبدال النفس بالأرض وما يتبعها مما ذكر من المتقابلات في تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ٢٢ عند من قال إن: (الأرض بمثابة النفس، ولذلك وصفها سبحانه بالفراش أي ما فرش، والنفس فرشت ليقوم بناء السماء أي الروح، والتسوية قلب ابن آدم، أنزل الله من سماء

---

[1]- انظر: قضية التأويل في القرآن الكريم بين الغلاة والمعتدلين. ج1. ص: 54.

[2]- المرجع نفسه. ج2. ص: 195- 196 .

[3]- البحر المحيط في أصول الفقه. ج2. ص: 31 -32. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية-الكويت. ط1413/2ه-1992م. تحرير: عبد القادر عبد الله العاني. مراجعة: د. عمر سليمان الأشقر.

الروح ماء العلم اللدني، فأخرج ثمرات تلك العلوم الوهبية رزقا للقلب اليتيم) [1] تغييرا للألفاظ اللغوية فما هو التغيير؟! ومعنى الآية في غاية الوضوح وهو أنها (تضمنت عبادة رب موصوف بما يجعله كالمشاهد من خلقه لهم ولأصولهم وإبداع الكائنات العظيمة والتفضل بإفاضة النعم الجسيمة فدلت عليه دلالة عرفتهم به) [2]، فهي بيان لوحدانية الله وتعداد لنعمه الظاهرة والباطنة –كما يقول ابن كثير[3].وقد ذكر القرطبي –رحمه الله تعالى– للآية معنى جميلا أردفه بكلامٍ لعلماء الصوفية فيه بعض طيب رائحة ألفاظ الآية فقال: (دلت هذه الآية على أن الله تعالى أغنى الإنسان عن كل مخلوق...فمن أحوج نفسه إلى بشر مثله بسبب الحرص والأمل والرغبة في زخرف الدنيا فقد أخذ بطرف من جعل لله ندّا. وقال علماء الصوفية: أعْلم اللهُ عز وجل في هذه الآية سبيل الفقر؛ وهو أن تجعل الأرض وطاء، والسماء غطاء، والماء طيبا، والكلأ طعاما، ولا تعبدَ أحدا في الدنيا من الخلق بسبب الدنيا، فإن الله عز وجل قد أتاح لك ما لا بد لك منه من غير منّة فيه لأحد عليك)[4] ، ويشهد لقول الصوفية هؤلاء قول علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– لنوف البكالي في حديث طويل –بعد أن نظر نظرة في النجوم–: (يا نوف، أراقد أنت أم رامق؟ قلت: بل رامق يا أمير المؤمنين، قال: طوبى للزاهدين في الدنيا والراغبين في الآخرة؛ أولئك قوم اتخذوا الأرض بساطا، وترابها فراشا، وماءها طيبا، والقرآن والدعاء دثارا وشعارا) [5]، أما ما ذكر أوّلا فمعناه متكلف، والإشارة فيه باردة، والرمز تلوح عليه مخايل عقل خفّت صلته بنور الوحي وخَفَتَ فيه ضياء القلب المفعم بنور الإيمان، فبدت الصلات والروابط بين المتقابلات مفكّكَة واهنة إن لم أقل واهية.

وشبيه بما مرّ لكن الإشارة في هذا أملتها العصبية المذهبية، واعتقاد صاحب الإشارة أن ما عليه هو، هو الحق وأن ما يدعو إليه غيره هو الباطل، صارفا عن حقائق التاريخ المتواترة وجه كل منصف، ومشكّكا في شواهد النقل القاطعة إن ضمّ بعضها إلى بعض كل موافق فضلا عن مخالف، فقال في

---

[1]- التفسير الصوفي الفلسفي للقرآن الكريم. محمد غازي عرابي. ج1.ص: 11 .

[2]- روح المعاني. للألوسي. ج1. ص: 275.

[3]- انظر: تفسير ابن كثير. ج1. ص: 99 .

[4]- الجامع لأحكام القرآن. ج1. ص: 230.

[5]- المصدر نفسه. ج1. ص.230.

وانظر: لطائف الإشارات للقشيري. ج1 ص: 68.

تفسير قوله تعالى في سورة "البقرة": ﴿وَذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ البقرة: ٨٣. (قال "ع" –يعني الصادق رضي الله عنه–: وأشدّ من يُتْمِ هذا اليتيم، من يُتِّم عن إمامه ولا يقدر على الوصول إليه ولا يدري كيف حكمه فيما يبتلى به من شرائع دينه إلاّ فمن (كذا) كان من شيعتنا عالما بعلومنا، وهذا الجاهل بشريعتنا المنقطع عن مشاهدتنا يتيم في حجره، ألا فمن هداه وأرشده وعلمه شريعتنا كان معنا في الرفيق الأعلى حدثني بذلك أبي عن آبائه عن رسول الله ﷺ)[1].

ولا شك أن الإشارة مقحمة، ومعناها فاسد وقد ألمحت إلى بعض أسباب الفساد، وقد عدّ العلماء مثل هذه المعاني –إشارية كانت أم ظاهرة– من الدخيل في التفسير، وعبارات الإشارة في النص السابق سافرة عن معناها كاشفة عن مدلولها ومرماها وقد ذكر شيخ طائفة صاحبنا في زمانه أن معنى اليتامى (جمع يتيم: مثل أسير وأسارى. ويدخل في اليتامى الذكور والإناث، (و) المعنى: ...أن يتعطفوا عليهم بالرأفة والرحمة) [2] لم يزد على هذا ولم يشر إلى سواه ومبعث هذه الإشارة ودافعها هو ما اتفق عليه "الكاشاني"[3] ومن كان على مذهبه في حكم الإمامة من أنها (ليست من

1- تفسير الصافي. للفيض الكاشاني (ت: 1091ه) ج1. ص: 135.

2- التبيان في تفسير القرآن. لأبي جعفر محمد بن حسن الطوسي ت: 460ه. ج1. ص: 329.

– وانظر: مجمع البيان في تفسير القرآن. للطبرسي (أبي علي الفضل بن الحسن). ج1. ص: 283.

– وانظر تفسيرا إشاريا للطبرسي، وتوجيها رمزيا لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ النور: ٣٥ فقد عُدَّ بعضُ قوله فيها من التفسير الرمزي أو الباطني الذي يقول به الشيعة * انظر: التفسير والمفسرون. ج2. ص: 123.

وقد ذكر رواية مسندة لابن بابويه عن أبي جعفر الباقر أن كمشكاة فيها مصباح: نور العلم في صدر رسول الله، والمصباح في زجاجة: الزجاجة صدر علي ومنه صار العلم إلى من بعده في كلام طويل قال بعده: تحقيق هذه الجملة تقتضي: أن الشجرة المباركة المذكورة في الآية هي دوحة التقى والرضوان، وثمرة الهدى والإيمان، شجرة أصلها النبوة، وفرعها الإمامة، وأغصانها التنزيل، وأوراقها التأويل، وخدمها جبريل وميكائيل** مجمع البيان في تفسير القرآن. ج7. ص: 252.

وانظر: التبيان في تفسير القرآن. ج7. ص: 436 وما بعدها.

وأمر هذه الآية في حمل الطبرسي على هؤلاء الأجلة أهون من سابقتها، ولو أجراها على ما أجراها عليه الطوسي لكان خيرا له وأشد تثبيتا وإذا لأوتي أجرا عظيما ولهدي صراطا مستقيما.

3- هو الفيض الكاشاني محسن بن مرتضى بن فيض الله محمود الكاشي مفسر من علماء الإمامية ، قرأ كتب أبي حامد الغزالي ، له نحو ثمانين مصنفا .انظر : معجم المفسرين .2/ 651 . و الأعلام .5/ 290 .

المصالح العامة التي تفوّض إلى نظر الأمة، ويتعين القائم بها بتعيينهم، بل هي ركن الدين وقاعدة الإسلام، ولا يجوز لنبي إغفاله ولا تفويضه إلى الأمة بل يجب عليه تعيين الإمام لهم، ويكون معصوما من الكبائر والصغائر، وإن عليا رضي الله عنه هو الذي عيّنه صلوات الله وسلامه عليه، بنصوص ينقلونها ويؤوّلونها على مقتضى مذهبهم، لا يعرفها جهابذة السنة ولا نقلة الشريعة، بل أكثرها موضوع، أو مطعون في طريقه، أو بعيد عن تأويلاتهم الفاسدة) [1].

إن الاختيار في باب الإمامة أصلٌ (لا يمكن دفعه وإنكاره) [2]لفساد نصوص التعيين، ولو صح النص على التعيين أو تواتر -كما يُدَّعى- لوجب (أن تعلمه العذراء في خدرها من المسلمين ومن ليس من أهل الإسلام أيضا من أهل السير كما يقول الباقلاني) [3].

واجتماع الأمة وانقيادها للثلاثة الأول وإجماعها عليهم قاطع لقول كل خطيب ومبطل لدعوى كل مريب، ولذا قلت إن الإشارة مقحمة ومعناها فاسد، أما فضائل من يشير إليهم صاحب التفسير المذكور وفي مقدمتهم تاج المؤمنين وسيد العارفين وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب —كرم الله وجهه- فقد بلغت مبلغا يسمح معه التعرض لذكرها، والتصدي لتفصيلها كما يقول ابن أبي الحديد (ت: 656ه) [4] ، حتى صارت —كما يقول نقلا عن غيره- (كالمخبر عن ضوء النهار الباهر، والقمر الزاهر الذي لا يخفى على الناظر، فأيقنت أني حيث انتهى بي القول منسوب إلى العجز، مقصر عن الغاية، فانصرفت عن الثناء عليك إلى الدعاء لك ووكّلت الإخبار عنك إلى علم الناس بك) [5] وأما أن يقال على وجه التعميم والقطع إن (كل ما لا يخرج من بيتهم فلا تعويل عليه)[6]

---

[1]- مقدمة ابن خلدون. ج1. ص: 373.

[2]- التمهيد في الرد على الملحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة. ص: 167-169. الناشر: دار الفكر العربي-القاهرة. 1366ه-1947م. ضبط وتقديم وتعليق: محمود محمد الخضيري، محمد عبد الهادي أبو ريدة.

[3]- المصدر نفسه .ص: 167، 169 .

[4]- هو عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين ، أبو حامد عز الدين ، عالم بالأدب من أعيان المعتزلة ، ولد بالمدائن و توفي ببغداد ، له " شرح نهج البلاغة " و غيره .

-انظر ترجمته في : وفيات الاعيان .7/ 342 (رقم 283) .الأعلام .الزركلي . 289/3.

[5]- شرح نهج البلاغة. ج1. ص: 35. دار مكتبة الحياة-بيروت. 1963م. تحقيق: حسن تميم.

[6]- تفسير الصافي. للمولى محسن الملقب بـــ: "الفيض الكاشاني" ت: 1091ه. ج1. ص: 10.

فلا، مع التعويل على ما خرج من بيتهم إن صح أنه منه خرج أو أن يقال على التعميم والقطع أيضا -كما روى ذلك الكليني[1] في "الكافي" عن أبي جعفر، وأثبته الكاشاني أنه -أي أبا جعفر- (قال: ما يستطيع أحد أن يدّعي أن عنده جميع القرآن كله -يعني معانيه- ظاهره وباطنه غير الأوصياء)[2]. وقد قال الذهبي في ترجمته لأبي جعفر المذكور -رضي الله عنه- بعد أن ذكر عائشة رضي الله عنها فيمن روى عنهم الباقر كما في سنن النسائي مع انقطاع الرواية، وأنه كان للخلافة أهلا، وهو أحد الأئمة الإثني عشر المعصومين العارفين بجميع الدين عند الشيعة، قال: لا عصمة إلا للملائكة والنبيئين، وكل أحد يصيب ويخطئ، ويؤخذ عن قوله ويترك سوى النبي صلى الله عليه وسلم فإنه معصوم مؤيد بالوحي.

وشهر أبو جعفر[3] بالباقر، من: بقَرَ العلمَ، أي شقه فعرف أصله وخفيّه. ولقد كان أبو جعفر إماما، مجتهدا، تاليا لكتاب الله، كبير الشأن، ولكن لا يبلغ في القرآن درجة ابن كثير ونحوه، ولا في الفقه درجة أبي الزناد[4]، وربيعة[5]، ولا في الحفظ ومعرفة السنن درجة قتادة وابن شهاب[6]. فلا

---

[1] - هو محمد بن يعقوب بن إسحاق ، أبو جعفر الكليني (329ه) ،فقيه إمامي ،كان شيخ الشيعة ببغداد و توفي فيها ، من كتبه (الكافي في علم الدين) ،(الرد على القرامطة) و غيرها .

-انظر ترجمته في : سير اعلام النبلاء .15 / 280 (رقم 125) . الأعلام .الزركلي . 7/ 145 .

[2] - تفسير الصافي. ج1. ص: 20.

[3] - هو محمد الباقر بن علي بن زين العابدين بن الحسين ، سمي به لأنه بقر العلم أي شقّه فعرف أصله و خفيه ، صفا قلبه و زكا علمه ولُبّه ، مات سنة (117ه) عن نحو (73سنة) .

- انظر ترجمته في : وفيات الأعيان. 4/ 174 (رقم 560) ، الكواكب الدرية .1/ 440 – 441 القسم الثاني (رقم 171) .

[4] - عبد الله بن ذكوان القرشي المدني ، محدث ، من كبارهم ، كان سفيان يسميه "أمير المؤمنين في الحديث" ، كان يغضب إذا قيل له: "أبو الزناد" و يكني "بأبي عبد الرحمان" كان ثقة في الحديث ، عالما بالعربية فصيحا .

- انظر ترجمته في : تذكرة الحفاظ .101/1(رقم 121) ،الأعلام .الزركلي .85/4 .

[5] - هو ربيعة بن أبي عبد الرحمان (ربيعة الرأي) يكنى بأبي عثمان ، قال الإمام أحمد بن حنبل : ربيعة ثقة ، توفي سنة (136ه) .

- انظر ترجمته في : تذكرة الحفاظ .1/ 118 (رقم 153) ، صفة الصفوة .1/ 421، 423 (رقم 183) ، وفيات الأعيان .2/ 288 .(رقم 232) .

[6] - هو محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري ، من بني زهرة بن كلاب (ت124 ه) أول من دوّن الحديث و أحد أكابر الحفاظ و الفقهاء، تابعي من أهل المدينة ، كان يحفظ مئتين و ألفي حديث نصفها "مسند" . -

نحابيه، ولا نحيف عليه، ونحبه في الله لما تجمع فيه من صفات الكمال)[1].

وفي تفسير قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ البقرة: ٣٤ عند "الفيض الكاشاني" أرجع الأمر الإلهي لسجود الملائكة لآدم إلى ما كان في صلب أبينا عليه السلام من أنوار النبي ﷺ وأهل بيته المعصومين، مدللا على ذلك برواية عن علي بن الحسين –رضي الله عنه– يرفعها إلى جده ﷺ فيها أن آدم رأى نورا ساطعا من صلبه حين نقلت إليه أشباح ذريته من أهل البيت من ذروة العرش إلى ظهره، فرأى النور و لم يتبين الأشباح، فسأل عن تلك الأنوار فبُيِّنت له صور تلك الأشباح مطبوعة في ذروة العرش انطباع وجه الإنسان في المرآة الصافية، ثم ذكر أسماء تلك الأشباح: النبي ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضوان الله عليهم، وقال الله لآدم: هؤلاء خيار خليقتي، بهم آخذ وبهم أعطي، فتوسّلْ بهم إلي، واجعلهم إلي شفعاءك، فإني لا أردّ بهم سائلا، فلما عصى ربه عليه السلام، وأدركته الخطيئة دعا ربه بهم فغفر له[2]، والرواية فيها طول هذا مختصره، ولا أدري لم أعرض عن ذكرها إمامان من أشهر أئمة التفسير عند الشيعة وهما: الطوسي والطبرسي فلعل المروي عن أئمة آل البيت الذي ذكره الطبرسي وهو أن السجود كان (على وجه التكرمة لآدم، والتعظيم لشأنه، وتقديمه عليهم –أي الملائكة–، وهو قول قتادة وجماعة من أهل العلم)[3] كان في أول أمره شيرا فعاد بفعل المط الشيعي

-- انظر ترجمته في : تذكرة الحفاظ .1/ 83(رقم 97) ، وفيات الأعيان .4/ 177 (رقم 563) ، صفة الصفوة .1/ 414 – 416 (رقم 178) .طبقات الشافعية .1/ 63 (رقم 107) .

[1]- سير أعلام النبلاء. ج4. ص: 402. مؤسسة الرسالة-بيروت. ط2/1402ه-1982م. أشرف على تحقيق الكتاب وخرّج أحاديثه: شعيب الأرناؤوط. حقق هذا الجزء: مأمون الصاغرجي.

[2]- انظر: تفسير الصافي. ج1. ص:100، 101 .

[3]- مجمع البيان في تفسير القرآن. ج1. ص:161، 162 . مؤسسة العلمي للمطبوعات-بيروت. ط1/1415ه-1995م. تقديم: السيد محسن الأمين العاملي.

- وانظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن. لأبي جعفر الطبري ت: 310ه. ج1. ص: 293. دار الفكر-بيروت. ط1/1421ه-2001م. تقديم: خليل الميس. ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطار.

وفيه أن الآية تذكير وتعداد لنعم الله على اليهود الذين كانوا بين ظهراني مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنها: (فكرمت أباكم آدم بما آتيته من علمي وفضلي وكرامتي، وإذ أسجدت له ملائكتي فسجدوا له).

لأصل الرواية – إن كان لها أصل- من الجهتين ذراعا بَعْدَ زَمَنِ المفسِّرَيْنِ المذكورَيْن، فإن الشيعة بيت الكذب بالإضافة إلى أن بين بعض أقوال غلاة الشيعة ومتعصبي الصوفية -كما سماهم ابن خلدون- وأقوال الفلاسفة من وشائج القربى ما يكاد يصل حد التطابق والتماثل أحيانا، فالقول فيما لا يقع تحت الحس من عالم الغيب بلا اعتماد على نقل صحيح ركوب لمتن عمياء، وسماع بأذن صماء، وكل قول في كتاب الله تعالى مَالَ صاحبه إلى التأويل من غير داع (أو قدم الباطن على الظاهر، أو اكتفى بالظاهر عن الباطن، أو أتى من أحدهما ما لا يوافق عليه الآخر...فهو هالك لا نجاة له) [1]، فإن جارينا "الكاشاني" فيما ذكره فإن من ذرية آدم: نوحا وإدريس وذا الكفل وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، وداود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون، وزكرياء ويحي وعيسى وإلياس، واليسع ويونس ولوطا وغيرهم عليهم وعلى خاتمهم الصلاة والسلام، وهم أشرف المخلوقين وليس فوق النبوة شيء.

قال أبو يزيد البسطامي –كما نقل ذلك ابن عطاء الله-: (جميع ما أخذ الأولياء مما أخذ الأنبياء كزق مملوء عسلا ثم رشحت منه رشاحة، فما في باطن الزق للأنبياء، وتلك الرشاحة هي للأولياء)[2]، وقال السرَّاج الطوسي (أبو عبد الله بن علي ت: 378ه): (كل ولي من الأولياء ينال ما ينال من الكرامة بحسن اتباعه لنبيه صلى الله عليه وسلم...وإنما يعطى الأولياء رشاشة مما يعطى الأنبياء عليهم السلام...وللأنبياء عليهم السلام الرسالة والنبوة ووحي بنزول جبريل عليه السلام، وليس للأولياء ذلك، ولو بدت ذرة على الخضر عليه السلام من أنوار موسى عليه السلام وتخصيصه بالكلام لامتحق الخضر عليه السلام، ولكن حجبه الحق عن ذلك تهذيبا وزيادة لموسى عليه السلام...والولاية والصديقية منورة بأنوار النبوة فلا تلحق النبوة أبدا فكيف تُفَضَّل عليها) [3]. ومع الإقرار بأن التخصيص ليس بنكير في حق هؤلاء الأطهار، لكن الأمر المنسوب إليهم وإلى سيد الخلق ﷺ غيب لا بد فيه من نقل صحيح، وإلا رد كائنا من كان من رواه فإن صح أن رسول الله ﷺ قال

---

[1]- قواعد التصوف... لأحمد زروق البرنسي الفاسي ت: 899ه. ص: 199 .

[2]- لطائف المنن. ص: 265. دار الكتاب المصري-القاهرة، دار الكتاب اللبناني-بيروت. ط1/1411ه-1991م. باعتناء: د.عبد الحليم محمود.

[3]- كتاب اللمع في التصوف. ص: 423، 424. لندن. 1914م. باعتناء: ارنولد ألن نيكلسون.

ذلك قلنا: سمعنا وأطعنا رسولَ الله ﷺ والمروي ما ذكره الحاكم في "المستدرك وصححه عن عمر بن الخطاب قال: قال ﷺ: "لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد ﷺ لما غفرت لي، فقال يا آدم، وكيف عرفت محمدا ولم أخلقه؟ قال: يا رب، لأنك لما خلقتني بيدك، ونفخت في من روحك، رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا: لا إله إلا الله محمد رسول الله فعرفت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال: يا آدم، صدقت إنه لأحب الخلق إلي، إذْ سألتني بحقه فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك" ورواه البيهقي[1] في "دلائل النبوة" وكذلك رواه الطبراني، وزاد فيه: "وهو آخر الأنبياء من ذريتك".

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ يوسف: ٣٦ إلى قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ يوسف: ٤٢ حمل "محمد غازي عرابي" –ولا أدري عمن نقل هذا– الآيات على ما لم يخطر ببال يوسف ورفيقيه في السجن والسجانين وكل من كانت له صلة بيوسف ومن معه، بل لا سجن ولا سجناء، وأن رفيقي يوسف ليس سوى الفكر والقلب، والسجن والخلوة، والخمر رمز للمحبة، (و"عبارة" يسقي ربه خمرا تشير إلى أن القلب حين يبلغ درجة معينة من النضج العلمي اللدني ينتقل من مرحلة التعلم من العقل الفعال الذي أشير إليه بالرب في "القصة" إلى مرحلة أخرى يستغني فيها عن تعليم العقل الفعال، ويصير هو عقلا قدسيا يمثل مقاما يكون فيه العلم والعالم والمعلوم واحدا، أي يصير القلب مرآة الله، هويته هويته، وأنيته أنيته، وصفاته صفاته، وفعله فعله)[2].

---

[1] – هو أبو بكر أحمد بن الحسين الإمام الفقيه المحدث (ت: 458 ه) .

– انظر ترجمته: في وفيات الأعيان . 1 / 75 – 76 (رقم 28) ، تذكرة الحفاظ . 3 / 1132 – 1135 (رقم 1014) ، الشذرات . 3 / 304 – 305 .

[2] – التفسير الصوفي الفلسفي للقرآن الكريم . ج1 .ص: 386 .

– وانظر: تفسير الصافي للكاشاني . في قوله سبحانه: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ البقرة: ٣٧ ج1 . ص: 105، 106 .

إن هذا التفسير الممزّق للنص العابث به الحامل لحقائقه على أوهام بل هذيان لو أن أفلاطون أدرك هذا النص الكريم لآستحيا من نفسه وعقله أن يقول في هذه الآيات ما قاله غيره فيها، فالمعنى المذكور لا رابط بينه وبين ما تتحدث عنه الآية، أوقل: ما الذي يربط بين "الباطن" الذي قيل به وبين ظاهر الآية وقد عُلم عند الناس كلهم امتناعُ حمل الآية على غير ظاهرها إذا كانت متعلقة بالتوحيد والإيمان والميراث وسائر الأحكام الشرعية، كما يمتنع حمل أخبار الأمم السابقة كقوم نوح وفرعون على غير حقائقها التاريخية والشرعية واللغوية، ومخالفة ذلك مؤدّ إلى تعطيل الشريعة كلاّ أو جزءاً[1].

وقد سلك المؤلف في الآيات كلها مسلكا واحدا حيث ذكر أن الفتى الآخر –وهو الذي يمثل الفكر– لم يكن إلا تعبير يوسف لمنامه أنه سيصلب،(والمعنى: أن الفكر الذي هو إشعاع الأنا الجزئية سيموت، والموت يكون معنويا، أي يرى الفكر نفسه بنور الكشف أنه شعاع من العقل الفعال، وأن الأنا الجزئية فرع الأنا الجامعة وأداة استقبال لها، فيذوب الظل في الشمس، ولا يبقى إلا الروح الجامع للأرواح، ورمز إلى هذا الروح بالطير التي تأكل من رأس الفتى، أي تأكل فكره الذي هو رأسه، أي يكشف الروح للفكر أنه أصله وأسه وإشعاعه ومصدر قواه، وأن الفكر ليس إلا مرآة وبوقا ومعبرا ومحلا ووسيلة)[2].

إن العبارة التي ختم بها المؤلف "تفسيره" للآيات تكشف عن جذور هذه المعاني وأصولها، فهي خليط بين أقوال فلاسفة اليونان وأصحاب وحدة الوجود. قال: (والحوار –كما يتبين– بين يوسف وصاحبيه هو حوار ذاتي إذن، فليس في الخلوة إلا يوسف وحده، والفَتَيان قواه، وابلإنسان كله مجموعة قوى سمتها الفلاسفة اليونانيون عقولا، وجعلوها عقول أفلاك، وعاد ابن عربي فجمع فأنشد قائلا:

وتحسب أنك جرم صغير *** وفيك انطوى العالم الأكبر

فليس في الوجود إلا الله والإنسان الكامل الذي مثله يوسف لّما رَقَى إلى مقامه الذي خص به أزلا)[3]. ألا ترى أن الإشارات في الآيات خلت من الحقائق والرقائق المورثة للراحة، والحلاوة

---

[1]- انظر: بدع التفاسير. ص: 9.

[2]- التفسير الصوفي الفلسفي للقرآن الكريم. ج1. ص: 387.

[3]- المرجع نفسه.ص: 387.

والسكينة، والطمأنينة التي غالبا ما تشرق على إشارات أهل الصفاء والتي يحرم منها كل مبتدع فلا يكون له منها حظ[1]، لأن أصحاب الإشارات من أهل الصفاء (لا ينفون –كما ينفي الباطنية وأذنابهم– كما يقول الشيخ محمد الخضر حسين[2]في "بلاغة القرآن"– المعنى الذي يدل عليه اللفظ العربي من نحو الأحكام والقصص والمعجزات، وإنما يقولون إنهم يستفيدون من وراء تلك المعاني وعلى طريق الاعتبار معاني فيها موعظة وذكرى) [3]، ومع ذلك فقد نازعهم أهل العلم وتحفظوا في قبول أقوالهم وإلصاقها بألفاظ القرآن الكريم وحجتهم وجود تلك المواعظ والحكم في صريح القرآن والسنة وهو مغن عن ارتكاب تلك الطرق البعيدة التي في أصلها نزعة للصادين عن هدي الله المعطلين لأحكام شريعته، وهي النزعة التي تفرق بين الباطنية وأهل الصفاء[4].

أين لغة أهل الصفاء في التفسير المذكور لآيات سورة "يوسف" البالغةُ أرقى المستويات في الإفصاح عن المشاعر والعواطف الإنسانية، الواصلةُ إلى أدق ما يمكن الإفصاح عنه، الشديدةُ السطوة والسيطرة والهيمنة على عقل ومشاعر المتلقي؟!![5] لاستمدادهما في الغالب من الكتاب والسنة اللذَين هما أصل كل علم دنيوي وأخروي، الحاملَين لمتبعهما من الصوفية المحققين والأئمة المدققين على إثبات المعاني، وتحقيق المباني، وأخذ الإشارة من ظاهر اللفظ وباطن المعنى، ومخالفة الباطنية (الذين حملوا الكل عن(كذا) الإشارة، فهم لم يثبتوا معنى ولا عبارة فخرجوا عن الملة، ورفضوا الدين

– وانظر: فصوص الحكم . لابن عربي . ج1 . ص: 99 وما بعدها . دار الكتاب العربي – بيروت . ط2 / 1400ه – 1980م. تعليق: أبو العلاء عفيفي .

[1]- انظر: التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين. ص: 192.

[2]– هو محمد الخضر بن علي بن عمر الحسيني التونسي ، عالم إسلامي أديب باحث من أعضاء المجمّعين العربيين بدمشق و القاهرة، ممن تولوا مشيخة الأزهر ، أنشأ " مجلة السعادة العظمى " كان هادىء الطبع وقورا ، خص قسما كبيرا من وقته لمقاومة الاستعمار .له تآليف منها : "حياة اللغة العربية" ،"الدعوة إلى الإصلاح" ،"بلاغة القرآن " . انظر ترجمته في :الأعلام .للزركلي . ج6. ص: 114 .

[3]- نقلا عن: مقالتان في التأويل. معالم في المنهج ورصد للانحراف . د.محمد سالم أبو عاصم. ص: 28. دار البصائر-القاهرة. ط1/1424ه-2003م .

[4]- انظر: مقالتان في التأويل-معالم في المنهج...ورصد للانحراف.ص: 28 ،29. نقلا عن "بلاغة القرآن" للخضر حسين.

[5]- انظر: التفسير العرفاني للقرآن الكريم. ذو النون المصري. ص: 26. مكتبة مدبولي-القاهرة. ط1/2007م. تحقيق وتقديم: محمود الهندي (والاقتباس من كلام المحقق لا من كلام ذي النون).

كله)[1] وتفسيرها عند القشيري لم يخرج عن سياق الآية و لم يشتط فشرحها شرحا ظاهريا بعبارات صوفية فيها رقة الأديب وتحليق العارف فقال في قوله سبحانه: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴾ يوسف: ٤١: (اشتركا في السؤال واشتركا في الحكم وفي دخول السجن، ولكن تباينا في المآل؛ واحد صُلب، وواحد قُرِّب ووُهب...وكذا قضايا التوحيد واختيار الحق؛ فمن مرفوع: فوق السماك مطلعه ؛ ومن مدفون: تحت التراب مضجعه) وقال في قوله سبحانه: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ﴾ يوسف: ٤٢: (...ثم إنه عاتب يوسفَ عليه السلام لأنه نسي في حديثه من يستعين به حين قال: "اذكرني عند ربك"...ولما استعان بالمخلوق طال مكثه في السجن، كذلك يجازي الحق سبحانه من يعلق قلبه بمخلوق) [2].

وفي تفسير الفلاسفة ومتعصبة الشيعة لقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۗ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ النور: ٣٥ ترى الإسقاط المعرفي وصدى المذهب يسمع من بعيد، فالآية عند "إخوان الصفاء وخلان الوفاء" هي في قولهم: (اعلم أن قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌ ﴾النور: ٣٥، وقال: ﴿ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ الروم: ٢٧، وأما قوله: "مثل نوره" فيعني العقل الكلي الذي هو أول مبدع أبدعه الله، وقوله: "كمشكاة فيها مصباح...من يشاء" فهي النفس الكلية المنبعثة منه، المضيئة (كذا) بنور العقل كما تضيء المشكاة بنور المصباح المشرق بنور الله عز وجل، والزجاجة هي الهيولي الأولى الشفافة المضيئة بما يرى فيها من

---

[1]- قواعد التصوف على وجه يجمع بين الشريعة والحقيقة ويصل الأصول والفقه بالطريقة. ص: 85.

[2]- لطائف الإشارات. ج2. ص: 186.

فيض النفس عليها كفيض العقل على النفس، كأنها كوكب دري مجردة من الصورة ومكوكبة بالأنوار الذاتية يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية، وأن النفس الكلية...هي التي تعطي الحياة والحركة لكل الموجودات، كوقود المصابيح والقناديل بالزيت، لا شرقية ولا غربية بل مبدعة بأمر الله عز وجل، لا مركبة ولا مؤلفة يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار، نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء أي تكاد للطفها وشرفها أن تكون عقلا ولو لم يتصل بها فلما أمرها بخيراته كان نورا (كذا) على نور، كذلك نور العقل من نور النفس)[1] ولا أدري ما مراد هؤلاء "الإخوان" من كلامهم سوى أنه ما خرج من مشكاة الإسلام، ولا أشرق عليه ضوء مصباحه، ولا أُوقِد من شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء يملأها إشعاعا ونورا. "ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور".

أما معناها عند الكاشاني فهو: أن المشكاة –كما روي عن الصادق– صدر محمد ﷺ، فيها مصباح: فيه نور العلم يعني النبوة، المصباح في زجاجة: علم رسول الله ﷺ صدر إلى قلب علي عليه السلام، "الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية": ذاك علي عليه السلام لا يهودي ولا نصراني "يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار": العلم يكاد يخرج من فم آل محمد من قبل أن ينطقوا به. "نور على نور": إمام بعد إمام[2]، وكلام "الكاشاني" في الآية على درجات وفيه تفاوت من حيث قبوله ورده، فقد شاركه غيره في بعض ما قال وانفرد هو بزيادات من نحو قوله في معنى: "نور على نور": إمام في إثر إمام، فتنزيل الآية منه على هؤلاء الأطهار لا يضر باعتبارهم أئمة هدى وحداة قافلة الإيمان لا على معنى التوارث وانتقال الإمامة بينهم على النحو الذي أراده "الكاشاني"، وقد وجد من المفسرين من عمم القول على جميع المؤمنين وهؤلاء الأطهار تيجانهم.

---

[1]- ج5. ص: 338. منشورات عويدات–بيروت،باريس. إعداد وتحقيق: د. عارف تامر. ط1/1415هـ–1995م.

–وانظر: التفسير الصوفي الفلسفي للقرآن الكريم. لمحمد غازي عرابي. ج2. ص: 672، 673.

[2]- تفسير الصافي. ج3.ص: 435.

–وانظر: قول الباقر عند "الكاشاني" نفس الجزء والصفحة.

–وانظر: مجمع البيان في تفسير القرآن. للطبرسي. ج7. ص: 251 وما بعدها.

–وانظر: لطائف الإشارات. للقشيري. ج2. ص: 611 وما بعدها.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ النور: ٤٠ قال الكاشاني مخرجا للآية عما يفهم منها طاعناً بها –بزعمه– في صدور سادة الدنيا وأحب الخلق إلى رسول الله ﷺ، نافثا سُمَّ عوجه وانحرافه العقلي وبدائية مشاعره التي لم يسلم منها أناس بعضهم حطوا رحالهم في الجنة التي بشروا بها قبل مفارقتهم الدنيا. فقال: (وفي "الكافي" عن الصادق عليه السلام "أو كظلمات" قال: الأول وصاحبه يغشاه موج الثالث من فوقه موج ظلمات الثاني بعضها فوق بعض معاوية..وفتن بني أمية إذا أخرج يده المؤمنُ في ظلمة فتنتهم لم يكد يراها، ومن لم يجعل الله له نورا "إماما من ولد فاطمة عليها السلام" فما له من نور "إمام" يوم القيامة. والقمي[1] عنه عليه السلام "أو كظلمات فلان وفلان في بحر لجي يغشاه موج" يعني "نعثل" من فوقه موج "طلحة والزبير" بعضها فوق بعض: "معاوية ويزيد"..وفتن بني أمية إذا أخرج يده في ظلمة فتنتهم لم يكد يراها، "ومن لم يجعل الله له نورا يعني إماما من ولد فاطمة عليها السلام" فما له من نور "فما له من إمام يمشي بنوره) [(2)]. والآية ذكر في تفسيرها من أهل طائفته، بل شيخ طائفته في زمانه، من كان عقله في شرحه لها فوق علمه، غير ما نفثه "الكاشاني" من السم الزعاف، قال: (وقوله: في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض" مبالغة في تشبيه هذه الأفعال بالظلمات المتكاثفة على ما وصفه الله تعالى) [(3)]. وليس لي من تعليق على تفسير "الكاشاني" للآية إلاّ ترديد قول الشاعر:

لكل داء دواء يستطب به ** إلاّ الحماقة أعيت من يداويها .

---

[1]- هو علي بن الحسين بن موسى بن بابويه (أبو الحسن) شيخ الإماميين بقم في عصره، مولده ووفاته فيها، له كتب في "التوحيد" و "الإمامة" و "التفسير" وغير ذلك. الأعلام. 1/ 115 .

[2]- تفسير الصافي. ج3. ص: 438.

-وانظر تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الحجر: ٨٨ إلى آخر السورة." وكيف نزّل الآيات على ما أملاه عليه مذهبه.

[3]- التبيان في تفسير القرآن. لأبي جعفر الطوسي. ج7. ص: 443.

-وانظر: مجمع البيان في تفسير القرآن. ج7. ص: 256.

وقول القائل: "إذا لم تستح فقل ما شئت".

ما كان لي أن أردد هذا الكلام على سمع القارئ، لكن الأمر فظيع، وانتهاك سُرُج الحق والعدل فاضح فـ (كأن ظلمة بغضهم للصحابة رضي الله عنهم حالت بينهم وبين أن يحيطوا علما بتلك الآيات فوقعوا فيما وقعوا فيه من الضلالات)[1]، فإن كان أبو بكر وعمر وعثمان بهذه "الدونية" فماذا يبقى من الحق والعدل، بل ماذا يبقى من الإسلام، وقد قيل في عظماء كانوا يتباهون بذكر أبي بكر وعمر وعثمان لأنهم العظمة والرفعة والكمال البشري ذاته: (ستر زلل الأئمة واجب، وصيانة الدين أوجب، والقائم بدين الله مأجور، والمنتصر له منصور، والإنصاف في الحق لازم، ولا خير في ديانة يصحبها هوى) [2]، وأرفع من قول "زروق" وأسلم وأحكم قول الحق سبحانه: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ البقرة: ١٣٤، وإن واحدا ممن غمزهم "الكاشاني" (أبدت له الدنيا زينتها وزخرفها، وألقت إليه أفلاذ كبدها، (أي) كنوز الذهب، فمشى ضحضاحها وخرج منها سليما ما ابتلت قدماه) [3].

لقد كنتُ أطالب الدنيا بحبّ: فكان أبو بكر جدُّ أمِّ فروة بنتِ القاسم بن محمد بن أبي بكر الصدّيق زوجة أبي جعفر وأمّ ولده أبي عبد الله جعفر الصادق[4]، وعمرُ وعثمانُ وعليٌّ والحسنُ والحسينُ، الحبَّ وانقطع الكلام.

أولئك (أحبائي) فجئني بمثلهم ** إذا جمعتنا يا " كشان " المجامع .

ومعنى الآية عند القشيري: (ظلمات الحسبان، وغيوم التفرقة، وليالي الجحد، وحنادس الشك إذا اجتمعت فلا سراج لصاحبها ولا نجوم ولا أقمار ولا شموس..فالويل ثم الويل:

قوله: ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾ النور: ٤٠، إذا لم يسبق لعبد نور القسمة، و لم يساعده تعلق فجهده وكدّه، وسعيه وجدّه عقيم من ثمراته، موئس من نيل بركاته. والبدايات غالبة للنهايات؛ فالقبول لأهله غير مجتلب والرد لأهله غير مكتَسَب، وسعيد من سعد بالسعادة في علمه في

---

[1]- روح المعاني. ج20. ص: 312.

[2]- قواعد التصوف ... ص: 23 .

[3]- التمهيد . للباقلاني . ص: 198.

[4]- انظر: سير أعلام النبلاء . للذهبي .ج4 .ص: 406 وما بعدها .

آزاله. وأراد كون ما علم من أفعاله يكون، وأخبر أن ذلك كذلك يكون، ثم أجرى ذلك على ما أخبر وأراد وعلم. وهكذا القول في الشقاوة، فليس لأفعاله علة، ولا تتوجه عليه لأحد حجة) [1].

وفي تفسير "الكاشاني" لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ النمل: ٨٢ ذكر –بعد أن حمل الآيات على (ما وُعدوا به من الرجعة عند قيام المهدي) [2]– أن المراد بالدابة علي عليه السلام، وساق رواية القمي عن الصادق يرفعها إلى رسول الله ﷺ وفيها أنه ﷺ حرك عليا برجله حين وجده نائما في المسجد (ثم قال له: قم يا دابة الأرض فقال رجل من أصحابه يا رسول الله: أيسمّي بعضنا بعضا بهذا الاسم فقال: لا والله، ما هو إلا له خاصة، وهو الدابة الذي ذكره الله في كتابه فقال عز وجل: "وإذا وقع القول عليهم...الآية" فقال رجل لأبي عبد الله عليه السلام: إن العامة يقولون إن هذه الدابة إنما تكلمهم (كذا) فقال أبو عبد الله: كلمهم الله في نار جهنم إنما هو (يعني: عليا) يكلمهم من الكلام) [3]، وزاد "الكاشاني" رواية يتحدث فيها أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه عن الدجال ومن يقتله، وأن الطامة الكبرى بعد قتله، فقيل له وما ذاك يا أمير المؤمنين قال خروج دابة الأرض من عند الصفا معها خاتم سليمان وعصا موسى عليهما الصلاة والسلام، وفي رواية ثانية أنه ﷺ وصف الدابة بأن الطالب لا يدركها، والهارب لا يفوتها، وأن طولها ستون ذراعا، وفي رواية ثالثة عن علي كرم الله وجهه أنه لما سئل عنها أقسم بأن لا ذَنَب لها، وإن لها للحية[4]. قال الطبرسي: (وفي هذا إشارة إلى أنها من الإنس) [5].وقال

---

[1]- لطائف الإشارات .ج2. ص: 616 .

[2]-تفسير الصافي . ج4 . ص: 74.

- وانظر: مجمع البيان. للطبرسي. ج7. ص: 405.

- وانظر: التبيان في تفسير القرآن. للطوسي. ج8. ص: 120.

[3]- تفسير الصافي. ج4. ص: 74.

- وانظر: رواية بعدها ذكرها الصادق عن عمار بن ياسر فيها المعنى المذكور فأوردها الطبرسي في ج7. ص: 405 مشيرا إليها على استحياء.

[4]- انظر تفسير الصافي. ج4. ص: 75.

[5]- مجمع البيان في تفسير القرآن. ج7. ص: 404.

وانظر: التبيان في تفسير القرآن. للطوسي. ج8. ص: 119.

القشيري في تفسير الآية: "وإذا وقع القول..."(إذا حق الوعد بإقامة القيامة أوضحنا أشراطها في كلام الدابة المُخرَجة من الأرض وغير ذلك من الآيات) [1]وهو شرح للآية على ظاهرها –كما ترى-.

قال الآلوسي منكرا عليهم قولهم بأن الدابة علي رضي الله عنه، وأن في الآية دليل الرجعة: (وكل ما يروونه في ذلك كذب صريح، وفيه القول بالرجعة التي لا ينتهض لهم عليها دليل) [2]. وفي الجزء والصفحة المذكورين من تفسير الآلوسي نقلا عن ابن أبي حاتم، أن ناسا يزعمون أنك –يخاطبون عليا- دابة الأرض، فأجاب بأن لدابة الأرض لريشا وزغبا، ومالي ريش ولا زغب...إلى آخر الرواية.

والرجعة معتقد الإمامية: (والزيدية كافة منكرون لهذه الدعوة إنكارا شديدا، وقد ردوها في كتبهم على وجه مستوفى بروايات عن أئمة أهل البيت أيضا تعارض روايات الإمامية) [3].

والروايات –كما ترى- يناقض أولها آخرها، وينكر آخرها أولها، وقبل هذا ما وزن هذه الروايات عند صيارفة المتون والأسانيد؟ لينفوا عنها الكذب فيطرحوه، ويقروا الصدق –إن وجد- فيثبتوه.أما تأويلات "الكاشاني" وصرفه للآيات عن ظاهرها، وذكر "بواطن" بعض الألفاظ وإنزالها على أهل البيت إن كانت مدحا، أو على بعض، بل أكثر صحابة رسول الله ﷺ إن كانت ذمّا فغير مستغربة، فهو (أحد غلاة الإمامية الاثني عشرية) وتفسيره (في جملته يدل على مقدار تعصب صاحبه لمذهبه وغلوه في تشيعه)[4]، وما سمعتَ قطرة من محيط.

و من قطرات المحيط قوله في تفسير آية الزمر: ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُّ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴾ الزمر: ٥٦ فيما نقله غيره عن الباقر أن أشد الناس حسرة يوم القيامة: من

---

[1]- لطائف الإشارات. ج3. ص: 50.

[2]- روح المعاني. ج20. ص: 305.

- وانظر: الرواية عند ابن أبي حاتم في تفسيره .ج9 . ص: 2924. حديث رقم: 16595، 16596 .

[3]- روح المعاني. ج20. ص: 311.

[4]- التفسير والمفسرون. للذهبي. ج2. ص: 127 ،130.

وصفوا العدل ثم خالفوه،وهو معنى الآية المذكورة. وفي "الكافي" عن "الكاظم"[1]كما يقول الكاشاني أن: "جنب الله في الآية معناه علي ومن بعده من الأوصياء،إلى أن يقول: (وقد زاد ذكره في البنيان وإثبات الحجة بقوله في أصفيائه وأوليائه أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله تعريفا للخليقة قربهم،ألا ترى أنك تقول فلان إلى جنب فلان إذا أردت أن تصف قربه منه، وإنما جعل الله تبارك وتعالى في كتابه هذه الرموز التي لا يعلمها غيره وغير أنبيائه وحججه في أرضه لعلمه بما يحدثه في كتابه المبدلون من إسقاط أسماء حججه منه، وتلبيسهم ذلك على الأمة ليعينوهم على باطلهم فأثبت فيه الرموز وأعمى قلوبهم وأبصارهم لما عليهم في تركها وترك غيرها من الخطاب الدال على ما أحدثوه فيه وإن كنت لمن الساخرين بأهله يعني فرطت وأنا ساخر) [2] ويلوح لي أن بين تفسير "الكاشاني" للآية (وبقر باطنها الخفي) الذي استل منه ما سمعت،و بين قول أحد الدعاة الإسماعليين في نصوص الوحي بوجه عام صلة و"وشيجة"قربى،فقد قال هذا الداعية: (إن المعرفة المحضة هي الخروج من تشبيه ما أدخله النطقاء صلوات الله عليهم في مرموزات كلامهم لما جعلوا كلامهم الروحاني جسمانيا تعطفا منهم على أممهم لمعرفتهم ما هم عليه من العجز عن قبول الكلام البسيط ما لم يجعل جسما مشاكلا لأجسادهم المركبة،ثم نفوا عنه ما ألصقوه به من التشبيه بـــ:التأويل

---

[1]- هو موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر أبو الحسن ، سابع الائمة الإثني عشرية عند الإمامية ، كان من سادات بني هاشم ومن أعبد أهل زمانه ، وأحد كبار العلماء الأجواد .

- انظر ترجمته في : وفيات الأعيان .5 / 308 ، سير أعلام النبلاء .6/ 270 ، الأعلام . 7 / 321 .

[2]- تفسير الصافي لفيلسوف الفقهاء وفقيه الفلاسفة. الكاشاني.ج4 .ص: 326، 327 .مؤسسةالأعلمي للمطبوعات_بيروت ط1042/2ه_1982

-انظر: تفسير "الكاشاني" لقوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ﴾ النبأ: ١ - ٣.ج5 .ص: 273.

-وانظر: تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ﴾ النجم: ١ - ٣ ج5.ص: 84،85.

-وانظر: تفسيره لقوله تعالى في سورة "العاديات"﴿أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ﴾العاديات: ٩. ج5.ص: 361، 362، 363، 364، 365.

الصحيح،وهو ما عبر عنه القاضي النعمان[1]بقوله: إن الظاهر قبل أن يبلّغه الرسول كان باطنا)[2].

إن إنزال "الكاشاني" الآية على علي رضي الله عنه ليس بمستغرب منه وممن كان على شاكلته،فقد نقل عن "الكافي"،وتفسير العياشي[3]عن أبي جعفر قال: (نزل القرآن على أربعة أرباع: ربع فينا،وربع في عدونا،وربع سنن وأمثال،وربع فرائض وأحكام،وزاد العياشي: ولنا كرائم القرآن)[4].

ونقل عن العياشي عن أبي جعفر أيضا: (أن في القرآن ما مضى وما يحدث وما هو كائن كانت فيه أسماء الرجال فألقيت،و إنما الاسم الواحد منه في وجوه لا تحصى يعرف ذلك الوصاة)[5].

وزاد مصحح الكتاب والمقدم له معلقا على كلمة: "كانت فيه أسماء الرجال" فقال: "لعل المراد بأسماء الرجال الملقبة أعلامهم وبالاسم الواحد ما كني به تارة عنهم وتارة عن غيرهم من الألفاظ التي لها معان متعددة وذلك كالذكر فإنه قد يراد به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد يراد به أمير المومنين عليه السلام، وقد يراد به القرآن،و كالشيطان فإنه قد يراد به الثاني،وقد يراد به إبليس،

---

[1]- هو النعمان بن محمد بن منصور ، أبو حنيفة بن حيون التميمي ، من أركان الدعوة للفاطميين و مذهبهم بمصر ، كان واسع العلم بالفقه و الأدب و التاريخ من أهل القيروان ، تفقه بمذهب المالكية و تحول إلى مذهب الباطنية ، له "اختلاف أصول المذاهب"، "المناقب و المثالب " وغيرها . انظر: وفيات الأعيان .5/ 415 (رقم 766) . معجم المفسرين .702/2 . الأعلام . 8 / 41.

[2]- التأويل أسسه ومعانيه في المذهب الإسماعيلي .الحبيب الفقي .ص: 24.مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية _تونس (القاضي النعمان _دراسة ونصوص .سلسلة الدراسات الإسلامية (7)_الجامعة التونسية .

ونص هذا الإسماعيلي _بالإضافة إلى جعل التأويل هو الأصل وهو المعرفة المحضة _فيه إشارة أيضا إلى خلق القرآن وأنه ليس من الله بلفظه ومعناه –كما يشير النص إلى ذلك .

[3]- هو محمد بن مسعود العياشي السلمي ، أبو النضر ،فقيه من كبار الإمامية ، من أهل سمرقند ،اشتهرت كتبه في نواحي خراسان اشتهارا عظيما ، وهي تزيد على 200 كتاب ، أورد ابن النديم أسماء أكثرها .(ت: 320هـ) .انظر :الأعلام .الزركلي . ج7.ص: 95.

[4]- تفسير الصافي .ج1.ص: 23 .

[5]- المصدر نفسه .ج1.ص: 37.

- وانظر: تفسير الصافي للكاشاني .ج1.ص: 169.عند تفسير قول الحق: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ البقرة: ١٢٤

وقد يراد به غيرهما)[1].

و معنى في "جنب الله" عند بن عطية: (في مقاصدي إلى الله،وفي جهة طاعته، أي في تضييع شريعته والإيمان به)[2].

وقال الزمخشري-بعد ذكره لمعنى قريب من الذي أورده ابن عطية-: (وفي حرف عبد الله وحفصة: في ذكر الله)[3].

قال الطبري معناها: (على ما ضيعت من العمل بما أمرني الله به، وقصرت في الدنيا في طاعة الله[4]. وقال ابن كثير: (﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ الزمر: ٥٦ (أي يوم القيامة يتحسر المجرم المفرط في التوبة والإنابة ويود لو كان من المحسنين المخلصين المطيعين لله عز وجل)[5].

ومعنى الآية عند أبي جعفر الطوسي (ت: 460ه): (فرطت في طاعة الله أو في أمر الله)[6].

وقال في معناها الطبرسي: (يا ندامتي على ما ضيعت من ثواب الله، عن ابن عباس، ثم ذكر قول مجاهد والسدي والحسن، والفراء والزجاج ثم قال: (العياشي بالإسناد عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: نحن جنب الله)[7].

إنه لا خلاف عند عاقل بين التفسيرات السابقة للآيات المذكورة، وبين قول القائل في قول الحق سبحانه: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ۝٥

1- المصدر نفسه .ج1.ص: 37.

2- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز .ج14.ص: 97.

3- الكشاف .ج4.ص: 138. وانظر: روح المعاني للألوسي .ج24.ص: 365.

- وانظر: التحرير والتنوير .لابن عاشور .ج24.ص: 117.

4- جامع البيان عن تأويل آي القرآن .ج23.ص: 24.

5- تفسير ابن كثير .ج6.ص: .104

6- التبيان في تفسير آي القرآن .ج9.ص: 39.دار إحياء التراث العربي .

7- مجمع البيان في تفسير القرآن. ج 8 . ص: 410.

- وانظر معناها عند القشيري في لطائف الإشارات .ج3.ص: 288. فقد فسر الآية على ظاهرها وأجرى القول فيها على عمومه .

﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾ الطور: ١ - ٦: إن "الطور " (إشارة إلى العقل ... فالطور العقل الفعال الذي يفعل في الفكر ويلهمه ..."والبيت المعمور "هو بيت المعقولات الكليات التي هي جملة المعلومات المطوية في النفس والسقف المرفوع سماء هذه المعاني ..."والبحر المسجور "هو ماء الهيولي الأول أو المادة الأساسية أو عالم الذر ...والعذاب الوقوع في أسر المادة ...وأسرها بعدها عن الله واحتجابه عنها)[1]

وقد عمل القائل على إيجاد صلة بين المعاني الظاهرة للآيات والمعاني الإشارية الفلسفية التي "شرح" بها الآيات لكن الصلة باهتة والعلائق متكلفة مستوحاة من خارج النص غريبة عن معناه وسياقه العام، حتى إن القارئ لتفسيره يحس أنه يقرأ شروحا لكتاب من كتب فلاسفة اليونان لا تفسير كتاب الرحيم الرحمان . وقد أقر الشارح في ثنايا تفسيره للآيات وانتقال الإنسان في المعرفة متدرجا من المادي المحس إلى المعقول المجرد بأن (هذا مجمل فلسفة هيجل)[2*].

وقال في سورة الزلزلة: (الأرض: البدن، و"أثقالها" قوى البدن والحواس تكشف لأصحاب الذوق والبصيرة فيرون الناس موتى أحياء بالله، متحركين بالله، ناطقين بالله، ونطقهم عين كلام الله لأنه الإلهام ...)[3].

والحكم موكول إلى ذوقك وبصيرتك على حياة وحركة ما قال أو موته وسكونه، ولم يزد الألوسي على أن قال: (وفيهم من فسر الأثقال ههنا بالأسرار وهو مع مخالفته للمأثور بعيد) [4] .

---

[1]- التفسير الصوفي الفلسفي للقرآن الكريم .محمد غازي عرابي .ج2.ص: 1029.

[2]- المرجع نفسه .ج2.ص: 1029.

* " 1770- 1831" فيلسوف ألماني من أصول نمساوية ، ولد في مدينة شتوتجارت ، أحد الفلاسفة الذين استبعدوا الجانب الإلهي في المسيح عليه السلام ، ونظروا إليه على أنه سام طاهر مكافح من أجل الفضيلة و الحقيقة و الحرية ، فكان طبيعيا أن يتعد بمقولاته هذه عن المألوف عند المسيحيين ، ومذهبه الفلسفي حافل بالتناقضات كما يقول بدوي .

- انظر ترجمته في : موسوعة الفلسفة .بدوي . ج2. ص: 570 وما بعدها ، الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي و الاجتماعي .ص: 647 وما بعدها .

[3]- المرجع نفسه .ج2.ص: 1186.

وانظر الإشارة إلى وحدة الوجود والحقيقة المحمدية، والإنسان الكامل في "تفسير محمد غازي عرابي" لسورة الضحى والشرح.ج2.ص: 1179، 1180، 1181.

[4]- روح المعاني .ج30.ص: 551.

وذكر القشيري بعض الإشارات في الآيات مع إجرائها على ظواهرها فقال: "والطور هو الجبل الذي كلم عليه موسى عليه السلام لأنه محل قدم الأحباب وقت سماع الخطاب) [1] .

وقال: ("والبيت المعمور ": في السماء الرابعة .ويقال هو: قلوب العابدين العارفين المعمورة بمحبته ومعرفته، ويقال: هي مواضع عباداتهم ومجالس خلواتهم .وقيل هي الكعبة ."والسقف المرفوع: هي السماء .وقيل سماء همتهم في الملكوت،و"البحر المسجور": البحار المملوءة . أقسم بهذه الأشياء: إن عذابه لواقع .وعذابه في الظاهر: ما توعد به عباده العاصين، وفي الباطن: الحجاب بعد الحضور، والستر بعد الكشف والرد بعد القبول) [2].

وأقول: إن ما قاله "عرابي"ليس فيه أثارة من رائحة الآيات الزكية، ولم يشر أي من المفسرين إلى ما أشار إليه، قال الألوسي في باب الإشارة ـ وهو يلمح أحيانا إلى بعض ما ورد من الآثار في تفسير الآيات ـ قال: (" والطور " إشارة إلى قالب الإنسان "وكتاب مسطور "إشارة إلى سره، "في رق منشور "إشارة إلى قلبه، "والبيت المعمور "إشارة إلى روحه، "والسقف المرفوع "إشارة إلى صفته "والبحر المسجور " إشارة إلى نفسه المسجورة بنيران الشهوة والغضب والكبر) [3]، فهل هذا جواهر من المعنى الباطني الذي يجب معرفته والبحث عنه والشعور بالنشوة والفرح به حين يفجأ معناه صاحبه ويباغته؟!! .

وأبعد مما مر وأغرب ما قاله "محي الدين بن عربي "(ت: 638)في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ البقرة: ٦وهو تفسير بينه وبين دلالات الألفاظ نفور بل عداوة مستحكمة تأبى معها ألفاظ الآية أن تحمل على ما ذكره ولو اجتمع أهل اللغة جميعا على أن يوائموا بينها وبين المعاني المذكورة قال: (إن الذين كفروا ستروا محبتهم في عنهم فسواء عليهم أأنذرتهم بوعيدك الذي أرسلتك به أم لم تنذرهم لا يؤمنون بكلامك فإنهم لا يعقلون غيري، وأنت تنذرهم بخلقي وهم ما عقلوه ولا شاهدوه، وكيف يؤمنون بك وقد ختمت على قلوبهم فلم

---

[1]- لطائف الإشارات .ج3.ص: 471.

[2]- المصدر نفسه .ج3.ص: 472.

[3]- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني .ج27.ص: 57.

أجعل فيها متسعا لغيري، وعلى سمعهم فلا يسمعون كلاما في العالم إلا مني وعلى أبصارهم غشاوة من بهائي عند مشاهدتي فلا يبصرون سواي، ولهم عذاب عظيم عندي أردهم بعد هذا المشهد السَّنِيِّ إلى إنذارك وأحجبهم عني كما فعلت بك بعد قاب قوسين أو أدنى قربا ، أنزلتك إلى من يكذبك ويرد ما جئت به إليه مني في وجهك، وتسمع في ما يضيق له صدرك، فأين ذلك الشرح الذي شاهدته في إسرائك فهكذا أمنائي على خلقي الذين أخفيتهم رضاي عنهم فلا أسخط عليهم أبدا)[1]هل هذا "التفسير" والمعنى مما دس على ابن عربي ــكما قال غير واحد ــأم هو من كلامه الذي لا يعقله إلا " الخاصة" لعلو مرتبته ورفعة معانيه، وعلو مراقيه ــكما قيل أيضا ــوأنه (وأمثاله محمول على معنى صحيح يعرفه أهل الذوق ولا ينافي ما وردت به القواطع) [2]فنكره بالتالي على قبوله مهما أوغل في البعد والغرابة تحت تأثير مكانة صاحبه العلمية والدينية، ولا نتحول عن قبول أقواله وأقوال أصحابه لأننا إن جعنا جوعهم، وسهرنا سهرهم، ولحقتنا مواجيدهم سنسلم لهم بكل ما قالوا[3] ثم: في أي ناحية من الناحيتين اللتين يقوم عليهما غالبا التفسير عند ابن عربي نجعل تفسير هذه الآية ؟ في ناحية التأثر بمذهب وحدة الوجود، أم في ناحية الفيض الإلهي أم أن لها ناحية ثالثة معناها في رأس قائلها وذوقه لاح له من خلف أستار الآية، ومن روح ألفاظها أدركه هو وجهله غيره إ[4].

والحياء يصدني، والأدب يسكتني، وبدائيتي الروحية تحول بيني وبين أن أقول أكثر مما قلت من القول مما يمكن أن يخرج إلى سد باب الإنصاف، والصد عن جميل الأوصاف، وعدم التصديق بكل منة فاتتك في نفسك ظنا منك أنه لم يمنن بها على غيرك .

إن التفسير الذي ذكره ابن عربي للآية ــعلى فرض صحة معناه ــلا يمكن أن تنقاد إليه ألفاظها وتستجلب لإثبات هذه الصحة واعتبار مفردات الآية دليلا عليها، ذلك أن أحدا لا يمكن أن يفهم منها إلا ما جلبت له وأن المذكورين صنف ثان مخالف كل المخالفة للصنف المذكور قبله وفيه بعض المخالفة للذي بعده، وحمل الآية على ما حملها عليه ابن عربي نسف لفئة من البشر لم يخل منها مجتمع

---

[1]- الفتوحات المكية معرفة الأسرار المالكية والملكية . ج1.ص: 165.

[2]- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني .للألوسي . ج1.ص: 212.

[3]- انظر التفسير والمفسرون . ج2.ص: 329 ، 330 .

[4]- انظر: المرجع نفسه . ج2.ص: 360.

من المجتمعات إلى قيام الساعة بالإضافة إلى أن الأوصاف التي ذكرها ابن عربي لمن حمل الآية عليهم، والمحل الأرفع الذي بلغوه ؛ من أي طريق وصلوا إليه إنه طريق الفئة الأولى والصنف المذكور قبل هولاء وإلا فإن الطريق مسدود، والسبل كلها مظلمة والمعراج والوصول الأنبياء وحدهم هم حداته والأدلاء عليه، ومن ادعى غير هذا فهو مبطل، ذلك لأن (صدق التوجه – ناهيك عن الوصول – مشروط بكونه من حيث يرضاه الحق، وبما يرضاه، ولا يصح مشروط بدون شرطه) [1] والعلم في مثل هذه المسائل ما كان بتعليم الشارع، وما تفيده التقوى المستمدة من ذلك (إنما هو فهم يوافق الأصول، ويشرح الصدور، ويوسع العقول، ثم هو ــ يعني الفهم- منقسم لما يدخل تحت دائرة الأحكام وفيه ما لا يدخل تحت دائرة العبارة، وإن كان مما تتناوله الإشارة، ومنه ما لا تفهمه الضمائر، وإن أشارت إليه الحقائق، مع وضوحه عند مشاهده، وتحقيقه عند متلقيه [2]حتى لا يجر إلى (نفي الأحكام الشرعية وتعطيل النبوات وفتح باب لايسد) [3] .

فالمعنى المقول في الآية لا يؤيده شرع، ولا شاهد له من لغة (لأن التفسير الباطن ليس أمرا خارجا عن مدلول اللفظ القرآني) [4] والسياق والسباق لا يساعدان على قبوله لأنه مخرج للآية (عن مدلولها الذي أراده الله تعالى) [5]فعملية "الإستبدال "التي وقع فيها ابن عربي بذكره لصفات "خاصة الخاصة"-كما يقال –واستلالها –أعني الصفات –من سياق يتحدث عن أراذل الخلق وصفهم ربهم بما وصفهم به، لا يمكن إجراؤها على ألفاظها وإلا عرضنا آيات القرآن الكريم كلها لمثل ما تعرضت له هذه الآية، ولو كان الحمل على الآيات السابقة على هذه، على نحو من الأنحاء يربط بين ما ذُكر وبين آية المتقين لالتمست له الأعذار، لكن استبداله لها بآية الفئة الكافرة وتنزيل ألفاظها على "خاصة الخاصة "قاطع لكل عذر لما ذكر من الأسباب ولا يشفع له قوله –وهو يزيد المعنى المذكور شرحا وتوضيحا –(انظر كيف أخفى سبحانه أولياءه في صفة أعدائه ...) [6] لأنه سيقال: إنه سبحانه قد

---

[1]- قواعد التصوف (قاعدة 4).ص: 23."

[2]- المصدر نفسه .(قاعدة 25) ص: 38، 39 .

[3]- روح المعاني للألوسي . ج1.ص: 213.

[4]- التفسير والمفسرون .للذهبي .ج2.ص: 313.

[5]- المرجع نفسه .ج2.ص: 299 .

[6] - الفتوحات المكية . ج1 .ص: 165.

أظهر صفات أوليائه في غير موضع من كتابه، كما كشف خزايا عباده من الكافرين في كثير من آياته، فما الذي "حمله "جل جلاله، "وأوجب "عليه جل في علاه إخفاء صفات أوليائه في صفات أعدائه، وهو القاهر فوق عباده الذي لا يسأل عما يفعل، وأولياؤه وأعداؤه يسألون، فآيات كتابه الكريم أوضح من الوضوح، وأشد بيانا من البيان وهي المحجة البيضاء ليلها كنهارها، ألا ترى أنك تقرأ الآية والسورة وما قيل من المعاني فيها، ثم تعود فتقرأها ثانية فإذا هي أوضح من كل كلام قيل في شرحها ومعناها، وما ذلك إلا لأن الذي أنزلها على قلب محمد ﷺ بلسان عربي مبين لا تزيدها معرفة دلالات ألفاظها وأسباب النزول إلا إشراقا وإنارة .

إن تفسير ابن عربي للآية على الصورة التي رأيت يحمل القارئ على الحيرة في تصنيفها في الخانة التي تليق بها، فهي —وإن لاحت عليها ملامح الإشارة والفيض لكن إنزالها أو بالأحرى استلالها واستخراجها من الآية المذكورة إشارة مولدة من غير مشكاتها، واستنباط مستوحى من غير منهله، فهل هي إذن من الإشارات الفلسفية النظرية التي اشتملت عليها "الفتوحات المكية "؟!.

إن الألفاظ التي شرح بها "ابن عربي " الآية من نحو قوله: "فإنهم لا يعقلون غيري "وقوله: "فلا يسمعون كلاما في العالم إلا مني "و قوله: "فلا يبصرون سواي " وقوله: "فأين ذلك الشرح الذي شاهدته في إسرائك"مقتبسا ومتأولا معاني آيات وأحاديث حين شرحه للآية يظهر بعده عن هذا المعنى النظري الفلسفي في ألفاظه ومعانيه، فجاز أن يقال إن الإشارة ملتمسة من غير مشكاتها خارجة من غير جهتها، والله أعلم.

وحتى تطمئن إلى أن ابن عربي "حلّق" بعيدا عن نص الآية فإني أسوق إليك ما قال فيها واحد من أئمة هذا الشأن وهو الإمام القشيري: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ البقرة: ٦ (من كان في غطاء وصفه محجوبا عن شهود حقه فالإشارة لنعته أنه سيان عنده قول من دله على الحق، وقول من أعانه على استجلاب الحظ، بل هو إلى دواعي الغفلة أميل، وفي الإصغاء إليها أرغب، كيف لا ؟وهو بِكَيِّ الفرقة موسوم، وفي سجن الغيبة محبوس، وعن محل القربة ممنوع، لا يحصل منهم إيمان ...إلى أن يقول: ويقال إن الكافر لا يرعوي عن ضلالته لما سبق من

شقاوته) [1] وقال في قوله سبحانه: ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ البقرة: ٧

(حكم الحق سبحانه بألا يفارق قلوب أعدائه ما فيها من الجهالة والضلالة، ولا يدخلها شيء من البصيرة والهداية، على أسماع قلوبهم غطاء الخذلان، سدت تلك المسامع عن إدراك خطاب الحق من حيث الإيمان، فوساوس الشيطان وهواجس النفوس شغلتها عن استماع خواطر الحق ...إلى أن يقول: وعلى بصائر الأجانب غشاوة يشهدون لا ببصر العلوم ولا ببصيرة الحقائق، ولهم عذاب عظيم لحسبانهم أنهم على شيء[2].

والفرق بين ما أشار إليه "ابن عربي"من المعنى في الآية، وبين الخفي الذي أثبته القشيري واضح، والأمر يحتاج إلى صدق في البدايات والوسائل والغايات حتى يكون صاحبه محفوظا من قبل الحق سبحانه وتعالى (في كل كلمة ينطق بها أو كل حركة تصدر عنه، فإذا نطق نطق بالله، وإذا تحرك تحرك بالله، ومثل هذا العبد لا ينتظر منه –وهو في يد الله على هذا النحو–أن يكون غريب الأقوال أو غريب الأفعال) [3].

وليس هذا غمزا في ابن عربي ولا في غيره ولا اعتذارا خفيا عما قلت فيما أورده هو وابن عجيبة لأن المصادمة لنص الآية مكشوفة والمخالفة واضحة ؛ بل هذا لفت لنظر كل من يتصدى لتفسير آيات الكتاب المبين التي يجب أن يراعى فيها سياقها العام وعرف خطاب العرب حتى لا يسد مجرى هذا الخطاب فتحمل الألفاظ على غير معانيها التي وضعت لها أو توضع المعاني على غير ألفاظها التي جعلت لها فيختل نظام اللغة ويفسد بناء الفهم ودلالات الألفاظ السائقة إليه فيصبح التفاهم بين

---

[1]- لطائف الإشارات .ج1.ص: 59.

[2]- المصدر نفسه .ج1.ص: 60.

وانظر ما قال في تفسيرها ابن عجيبة (أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي الحسيني ت: 1224ه)في "البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ".ج1.ص: 56، 57.دار الكتب العلمية –بيروت .ط1 /1423ه-2002م.تحقيق: عمر أحمد الراوي، فقد أجرى تفسيره لها بالظاهر على نحو قريب مما قاله القشيري، وأجرى باطنها وإشاراتها على معنى قريب من المعنى الذي ذكره ابن عربي فلعله استوحاه من "فتوحاته".

[3]- مقدمة محقق "لطائف الإشارات ".ج1.ص: 17.

الناس مستعصيا والتواصل بينهم عسيرا، بالإضافة إلى أن استنباط الإشارة الصحيحة السديدة من العبارة، واستشفاف الجواهر من وراء الظواهر اجتباء إلهي صُفّي صاحبه من كل كدورة بعد جهود مضنية أعقبها صفاء للنفس والقلب من كل العلائق، بتخليتها عن كل شاغل دني، وتحليتها بكل وصف سني[1].

لقد أجمع أهل التفسير على بطلان كل تأويل ممزق للآية عابث بسياقها، ليس فيه من " رائحة " الآية أو الآيات الزكية شيء، سواء كان هذا التأويل " سنيا " أم "شيعيا" أم "فلسفيا"، لكن موقفهم من "تأويلات" و" إشارات " و" لطائف " فيها الكثير من المخالفة لكثير مما مرّ، وهي اللطائف والإشارات التي نقلت عن أناس شهد الناس باستقامة أحوالهم، كانت موضع تردّد من كثيرين في قبولها وردّها على نحو ما سنرى فيما سمي بالتفسير الإشاري العملي الفيضي .

[1]- انظر: مقدمة محقق "لطائف الإشارات ".ج1.ص: 23.

المبحث الثالث: التفسير الإشاري العملي :

التفسير الإشاري لون من ألوان التفسير بالرأي والاجتهاد الذي يراد منه الوصول إلى استنباط معان بعيدة أو باطنية تشير إليها الآية يمكن أن تشرق منها بعد طول تأمل يسبقه اجتهاد في العبادات ومجاهدة للنفس بحملها على الطاعة والتزكية فتفيض جوانح صاحبها بمعان يبديها الوهاب –جل جلاله– على من أناخ ببابه ذليلا فقيرا إلى مزيد فضله وجزيل عطائه طامعا في أن يؤتيه فهما في كتابه ومعرفة بكلامه الذي (هو مفتاح الخزائن النفيسة، وشراب الحياة الذي من شرب منه لم يمت، ودواء للأسقام الذي من سقي منه لم يسقم)[1]، ثم إن (من لم يكن له علم وفهم وتقوى وتدبر لم يدرك من لذة القرآن شيئا)[2] لأنه إن كان محروس الظاهر عن مس بشرة اللامس إلا إذا كان متطهرا، فباطن معناه –بحكم عزه وجلاله– أولى بالحجب (عن باطن القلب إلا إذا كان متطهرا عن كل رجس، ومستنيرا بنور التعظيم والتوقير، وكما لا يصلح لمس جلد المصحف كلُّ يد، فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان، ولا لنيل معانيه كلُّ قلب)[3].

وإن كان هذا اللون من فروع الرأي فإن الاختلاف في قبوله هو فرع عن الاختلاف في التفسير بالرأي، ويضاف إليه أن أكثر ما فيه من الإشارات و" الرأي" تتعلق أحيانا بالحديث عن سبل الاستقامة التي ترشد إلى معارج الروح وزيادة قربها من الله تعالى وعن المواعظ والأخلاق، وربما جاءت ظواهرها مخالفة لما ألفه الناس في اللسان العربي فيزيد هذا في التحفظ من قبوله حتى وإن كان أغلب ما قالوه لا يُحل حراما ولا يحرم حلالا مع بعده عن تأويلات الباطنية، لكن الحذر والحيطة والاختلاف في القبول تابع –كما قلت– للرأي برمته، وقد نص غير واحد على هذا التحفظ حتى لا أقول عدم القبول كما فعل كل من حجر الواسع –كما يقول "طاش كبرى زاده" فقصر التفسير على المنقول، مبدِّعا ما سواه، مما فسر على قواعد المعقول، أو ما كان على قواعد أرباب القلوب، مع علمه بأن القرآن لا تنقضي عجائبه، بالإضافة إلى أن له ظهرا وبطنا ومطلعا[4] وإدراكه بأن العقل

---

[1]- إحياء علوم الدين. ج1. ص: 253. عالم الكتب .

[2]- البرهان في علوم القرآن. للزركشي. ج2. ص: 155.

[3]- إحياء علوم الدين. ج1. ص: 253.

[4]- انظر: مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم. ج2. ص: 539.

الذي بيده سراج الشرع رادع عن ركوب الهوى، دال على الشرع المنجي من الردى، ومعرفته بأن الذي تكلم على قواعد أرباب القلوب لم يفته تحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن التي هي لب الكلام العربي وكرائمه، وهي التي يقع اعتماد كل ناظر في كتاب الله تعالى عليها وإليها مفزعه، وإحراؤها على معانيها التي وضعت لها غاية المطلوب، وهي اللب الذي ينبغي أن يكون قشره-وهي المعاني المتولدة عنه قلبية أو سواها- من جنسه حتى يقبل[1] فإن بُتَّ بأن كان مقطوع الصلة به هو أو السياق العام الذي هو-أي اللفظ- أحد مكوناته فهذا لا التفات إليه، وهو إلى الهذيان أقرب منه إلى القول العاقل كتلك المعاني التي يذكرها أهل الباطن.

فهل كان التفسير الإشاري الفيضي بدعا من القول في كتاب الله تعالى جد بعد ظهور الصوفية وذيوع طريقتهم أم أن الأمر أقدم من ذلك؟ بل إن له أصلا شرعيا يقوم عليه-كما يقول الذهبي[2].

لعل من أسباب الريبة والشك في هذا اللون من التفسير ما ذكر مما يتعلق بظروف النشأة وغموض عبارات القوم في الغالب، وقبل هذا وذاك ظنية النصوص المعتمدة في دلالتها على جواز التفسير الإشاري إن كانت صحيحة، أو ضعفها وعدم صحتها إن سلمنا بصحة دلالتها على المقصود، ولا تزال الريبة والشك والحذر والحيطة تلازم التفسير الإشاري، فكان أن انقسم الناس حياله فريقين:

فريق: يرى أن المعاني الثانية التي تحتملها الآيات، والمستنبطة ممن فتح الله قلبه فلم يجعل على بصره غشاوة هي من كمال الإيمان ومحض العرفان .

وفريق: يذهب إلى أنها انحراف بدلالات الألفاظ القرآنية عن معانيها التي وضعت لها إلى معان النصوصُ الكريمة في غنى عنها لما فيها من لَيٍّ لأعناق النصوص، "واستنباط "لدلالات يلوح منها التعسف والتكلف غالبا، بل وجد من ذهب إلى أنها إلحاد في آيات الله .

فالذين ذهبوا إلى جواز هذا التفسير قالوا إن أصل جوازه الكتاب والسنة والمأثور عن الصحابة .

---

[1]- انظر: مفردات الراغب . الأصفهاني . ص: 06 . دار المعرفة – بيروت . تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني

[2]- انظر: التفسير والمفسرون. ج2.ص: 339.

فمن الكتاب: قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾النساء: ٧٨ حيث قالوا في توجيه الآية ودلالتها على مرادهم: إن المعنى الظاهر غير مقصود لأن المخاطبين بالقرآن عرب وبلسانهم نزل فتعين أو هو كالمتعين أن المقصود أنهم لا يفهمون المراد من الخطاب الإلهي المختبئ خلف دلالات الألفاظ لا أنهم لا يفهمون معاني الألفاظ، والواضح أن هذا التوجيه يحتاج إلى توجيه، ولعل الأولى أن يقال في توجيه الآية أن الحق تبارك اسمه نزلهم منزلة من لا يفقه، كما نزل صحاح الآذان وغيرها منزلة من لا يسمع في قوله سبحانه: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ الأنفال: ٢١ "وقوله "﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ الأعراف: ١٧٩ .

كما استدلوا بآيتي التدبر في سورة "النساء"،وسورة "محمد ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ محمد: ٢٤ فقالوا إن ظاهر المعنى شيء —وهو واضح —في دلالته عندهم — والمقصود الحقيقي شيء آخر وهو: أن هذا الكتاب لا شك فيه من عند الله، وهو المعنى البعيد أو الباطن المشار إليه —كما قال غير واحد .

ويظهر أن الاستدلال بهما على المطلوب مقدم على الآية السابقة وإن نص في واحدة منهما على التوجيه الذي ذكروه لكن الاعتبار غير الاعتبار، إذ المعتبر والمقصود أن يعتقدوا أنه من عند الله، لا أن يسمعوه،أو يُذكّروا بأنه من عند الله من غير أن يخالط ذلك شفاف قلوبهم وتقتنع به عقولهم.

وشبيه بالآيتين السابقتين قوله سبحانه: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ ۖ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ البقرة: ٢٤٥ وما كان من قول اليهود ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ آل عمران: ١٨١ في مقابلة قول من قال من صحابة رسول الله ﷺ – وهو أبو الدحداح –: "إن الله كريم استقرض منا ما أعطانا" (ففهمُ أبي الدحداح هو الفقه وهو

الباطن المراد)[1]، وفهم اليهود لم يزد على مجرد القول العربي الظاهر السَّمج .

وقد ساق الشاطبي أمثلة أخرى سماها باطن القرآن من نحو قوله تعالى في المنافقين: ﴿ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ الحشر: ١٣ (وهذا عدم فقه منهم، لأن من علم أن الله هو الذي بيده ملكوت كل شيء وأنه مصرف الأمور فهو الفقيه ولذلك قال تعالى ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ الحشر: ١٣ وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا ﴾التوبة: ١٢٧ وقد قال قبل ذلك "إعلم أن الله تعالى إذا نفى الفقه أو العلم عن قوم فذلك لوقوفهم مع ظاهر الأمر وعدم اعتبارهم للمراد منه، وإذا أثبت ذلك، فهو لفهمهم مراد الله من خطابه وهو باطنه)[2].

ومن السنة: حديث البخاري عن أبي سعيد الخذري أن النبي ﷺ قال بعد أن جلس على المنبر: « إن عبدا خيّره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده، فاختار ما عنده، فبكى أبو بكر وقال: فديناك بآبائنا وأمّهاتنا، فعجبنا له، وقال الناس: انظروا إلى هذا الشيخ، يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا وبين ما عنده، وهو يقول: فديناك بآبائنا وأمّهاتنا، فكان رسول الله عليه الصلاة والسلام هو المخيّر، وكان أبو بكر هو أعلمنا» [3]، فالعبد في الحديث مطلق، والكلام عربي لا لغز فيه، كما يقول ابن تيمية، ففهم الصديق أن النبي ﷺ هو العبد المخير لقوّة معرفته بمقاصد كلام رسول الله ﷺ ، مع أن هذا المعين الذي كان مطلقا قبل "تعيين "أبي بكر له، خارج عن دلالة اللفظ، فكانت الإشارة أو "التعيين"موافقة لروح السياق، بل كانت مستوى من الفهم أعلى ولذا قال أبو سعيد –رضي الله عنه: وكان أبو بكر أعلمنا[4].

---

[1]- الموافقات . ج3 . ص: 388 .

[2]- المصدر نفسه . ج3 . ص: 385.

[3]- انظر : الصحيح .باب هجرة النبي ﷺ و أصحابه إلى المدينة . ج5 .ص: 73.

[4]- انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية . ج11.ص: 78.

-وروى ابن مسعود -كما أخرج ذلك الطبراني في "الكبير "وأبو يعلى في مسنده عن النبي ﷺ قال: «أنزل القرآن على سبعة أحرف لكل آية - وعند أبي يعلى: لكل حرف — منها ظهر وبطن»[1] في رواية، ولكل آية في أخرى، وكلاهما عن عبد الله بن مسعود قال محقق مسند أبي يعلى عن رواية نزول القرآن على سبعة أحرف ...التي ليس فيها: "لو كنت متخذا خليلا ... "الحديث: (إسناده صحيح)[2].

-وأخرج ابن أبي شيبة أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾المائدة: ٣ فرح الصحابة وبكى عمر، وقال: ما بعد الكمال إلا النقص مستشعرا نعيه- ﷺ -، (فعمر -رضي الله عنه -أدرك المعنى الإشاري وهو نعي رسول الله ﷺ وأقره النبي على فهمه هذا ..وأما باقي الصحابة .. فقد فرحوا بنزول الآية لأنهم لم يفهموا أكثر من المعنى الظاهر)[3].

وأخرج الديلمي من رواية عبد الرحمان بن عوف مرفوعا أنه-صلى الله عليه وسلم-قال: «القرآن تحت العرش له ظهر وبطن يحاج العباد ».

وأرسل الحسن عن رسول الله ﷺ قال: لكل آية ظهر وبطن، ولكل حرف حد،ولكل حد مطلع، والحديث رواه الفريابي[4].

-وروي عن ابن عمر أنه قال: سمعت رسول الله ﷺيقول: "بينا أنا نائم أوتيت بقدح لبن فشربت، حتى إني لأرى الرِّي في أظفاري، ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب .قالوا: فما أوَّلته يا رسول الله ؟ قال: العلم[5].

---

[1] - قال الألباني في السلسلة الضعيفة : "ضعيف" .ج6.ص:559.

[2] - مسند أبي يعلى .ج9 .ص: 278.حديث رقم: 437(5403) .دار المأمون للتراث -دمشق -بيروت .ط1/1407ه-1987م.تحقيق وتخريج: حسين سليم أسد.

[3] - التفسير والمفسرون .ج2.ص: 341..

[4] - هذا الحديث رواه عبد الرزاق في مصنفه. كتاب : فضائل القرآن ، باب تعاهد القرآن و نسيانه .ج3.ص:358.

[5] - أخرجه البخاري في صحيحه من حديث ابن عمر .كتاب العلم .باب : فضل العلم . ج1 .ص: 31 .

والرواية –إن صحت –وإن كانت تأويلا لرؤيا رآها ﷺ ثم عبرها بنفسه لكن الإشارة إلى الإشارة فيها قوية .

وفي صحيح البخاري –كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ باب مناقب عمر بن الخطاب ...أن النبي ﷺ قال عن عمر –رضي الله عنه واصفا لحالة سموٍّ روحي كانت فيه لم يقل أحد من أهل العلم إنها خاصية فيه دون غيره، وإن كان ظاهر الرواية يشير إلى هذا لكن واقع حياة الصحابة وغيرهم يذكر غيره، ويضيف إليه سواه قال –صلى الله عليه وسلم –: "لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء ,فإن يكن في أمتي منهم أحد فعمر)[1] وبنوا إسرائيل ليسوا بأفضل من خير أمة أُخرجت للناس –وهل يبقى لكلمة "مكلم"معنى إن كان صاحبها لا يتجاوز في قوله إلا ما عرفه الناس وألفوه وإن كانوا من "علية" القوم و" خاصتهم" ناهيك عن "عامتهم" ؟! .

-وأخرج أحمد[2]وابن جرير[3]وابن المنذر وابن مردويه عن ابن عباس قال: لما نزلت "إذا جاء نصر الله والفتح"قال رسول الله ﷺ"نعيت إليّ نفسي أني مقبوض في تلك السنة".

- وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: "لما نزلت: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ النصر: ١ - ٣ "قال رسول الله ﷺ نعيت إليّ نفسي وقرب أجلي .

فإن صحت هاتان الروايتان فقد سقط الاستدلال بحديث البخاري الآتي عن عبد الله بن عباس:" أن عمر كان يدخله في أشياخ بدر" لاحتمال أن يكون غيرهما لم يسمع ما سمعاه وهو بعيد وبعيد أن يفوت هذا شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر ●.

أما المأثور عن الصحابة: فإن أشهر ما يستدل به حديث البخاري عن ابن عباس أنه قال في

---

[1] - الحديث في صحيح البخاري . عن أبي هريرة ﷺ .ج5.ص: 15.

[2] - في المسند .ج1/ ص : 217 (رقم 1873)

[3] - انظر : تفسيره "جامع البيان ". ج30 /ص: 472 .دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع .تقديم : خليل الميس .

● وانظر: الروايتين في الدر المنثور للسيوطي .ج8. ص: 660.

تفسير "سورة النصر" في قصة مع عمر وأشياخ بدر: إن فيها أجل رسول الله ﷺ وموافقة عمر وتصديقه لابن عباس بقوله له: ما أعلم منها إلا ما نقول (فبعض الصحابة لم يفهم من السورة أكثر من معناها الظاهر، أما ابن عباس وعمر فقد فهما معنى آخر وراء الظاهر هو المعنى الباطن الذي تدل عليه السورة بطريق الإشارة)[1].

وقد أخذ ابن حجر من الرواية جواز تفسير القرآن بالإشارة فقال: (وفيه جواز تأويل القرآن بما يفهم من الإشارات، وإنما يتمكن من ذلك من رسخت قدمه في العلم، ولهذا قال علي- رضي الله عنه-: "أو فهما يؤتيه الله رجلا في القرآن"[2] .

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس أنه قال:« إن القرآن ذو شجون وفنون وظهور وبطون، لا تنقضي عجائبه ...وظهر وبطن، فظهره التلاوة وبطنه التأويل» .

-وروى عن أبي الدرداء أنه قال:« لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يجعل للقرآن وجوها» .

-وعن ابن مسعود أنه قال: « من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن »[3].

فهذه الروايات دالة -كما قال محمد حسين الذهبي -على أن الصحابة عرفوا هذا اللون من التفسير، بل قالوا به وفسروا القرآن بمعان مختبئة خلف الدلالات الظاهرة لبعض آيات الكتاب الكريم.

-وعن عمر -رضي الله عنه -قال لبعض من توسع في الدنيا من أهل الإيمان: أين تذهب بكم هذه الآية ؟"أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا "وكان هو يعتبر نفسه بها، مع أن الآية نزلت في حق الكفار لقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ

---

[1]- التفسير والمفسرون .ج2.ص: 341.

[2]- فتح الباري بشرح صحيح البخاري .كتاب التفسير باب قوله: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴾ النصر: ٣.ج8.ص: 736. مؤسسة: مناهل العرفان -- بيروت . مكتبة الغزالي -- دمشق . قرأ أصله تصحيحا وتحقيقا وأشرف على مقابلة نسخه المطبوعة والمخطوطة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي . قام بإخراجه وتصحيحه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب .

[3]- رواه الطبراني في المعجم الكبير .ج9.ص: 136 .حديث رقم (8666) .قال الهيثمي :رواه الطبراني بأسانيد و رجال أحدها رجال الصحيح. 15/ 304.

﴿ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾ الأحقاف: ٢٠. فعمر –رضي الله عنه– له في الآية نظر واعتبار، فأخذ من معناها معنى أجرى الآية فيه وإن لم تنزل فيه، حذرا منه وخوفا أن يكون التوسع في المباحات سببا في الحرمان من نعيم الآخرة ومتاعها، فإذا صح لعمر –رضي الله عنه– أن يتزل الآية على المتوسعين في المباحات من المؤمنين و لم تنزل فيهم، صح (لغيره) أيضا أن يتزل الآية على معنى من المعاني بدا له فيها وإن لم تنزل فيه كذلك[1].

أما من جاء بعدهم فقد كثرت عندهم الاستنباطات ومن ذلك: ما روي عن الفضيل بن عياض[2] في قول الله سبحانه: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ النساء: ٢٩.

قال: (أي لا تغفلوا عن أنفسكم، فإن من غفل عن نفسه فقد قتلها .وروي عن سفيان بن عيينة بعض هذه التفاسير الإشارية كقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ الأنبياء: ٣٠ حيث يقول: فلا إله إلا الله بمنزلة الماء في الدنيا، ومن لم تكن معه لا إله إلا الله فهو ميت ومن كانت معه فهو حي)[3].

والملاحظ على هذه الأدلة والأحاديث والروايات والأخبار أن شرّاحها من المجيزين لهذا التفسير –متفقون على أن آيات القرآن الكريم تختزن من المعاني ما لا يحصى ولا يستقصى، وإن اختلفوا في توجيه الآيات وتعددت أقوالهم في الأحاديث والروايات المذكورة، فأحدهم يقول: إن معنى الباطن: التأويل وهو شرح للماء بعد الجهد بالماء، والآخر يذهب إلى أن الباطن: العظة والعبرة بمن شاق الله حتى لا يحل بالمخاطب ما حل بمن سبقوه، والثالث يقول: الباطن وجوب العمل بالقرآن، ووجوب العمل لا يقتصر على باطن القرآن إن سلمنا بالقول بوجوب العمل بباطنه، ذلك لأن أكثر أحكام

1- انظر التفسير والمفسرون .ج2.ص: 315.

2- هو الفضيل بن مسعود بن بشر التميمي ثم اليربوعي خراساني(ت: 187 ه) ، شيخ الحرم المكي ، كان ثقة في الحديث .
- انظر ترجمته في : طبقات الصوفية .ص: 6- 14 .الطبقة الأولى (رقم 1) ، صفة الصفوة .1/ 476 – 481 (رقم 218) ، تذكرة الحفاظ .1/ 180 (رقم 232) .حلية الأولياء .8/ 87 – 148 (رقم 397) ، الرسالة القشيرية .9. الكواكب الدرية.1/ القسم الثاني .395 – 403 (رقم 156) .

3- تطور تفسير القرآن –قراءة جديدة لد: محسن عبد الحميد .ص: 154.

الشريعة ثابت بالصريح أو ما هو كالصريح في دلالته على المراد، والرابع يقول: إن المراد بالباطن التدبر والتفكر، ومصداق ذلك قول الحق سبحانه: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ ص: ٢٩ والخامس يذهب إلى أن المراد بالباطن كل ما خفي من معاني الآيات الكريمة، وهو معنى عام يدخل فيه ما كان مستنبطا بطريق الإشارة أو مفهوما بدلالات العبارة المعروفة التي يعد الاختلاف فيها هينا إذا ما قيس بما نحن فيه، وهو اختلاف يتجاوز ظواهر الآيات إلى معان خفية هي أبعد مما تعطيه مفهومات العبارة في الكثير من موضوعاتها ومجالاتها، وأول ما يسبق إلى الذهن من صور الاختلاف بينهما عدم إلزامية الإشارة .

إن الأدلة التي سيقت لجواز التفسير بالإشارة لا يمكن أن يفهم منها إلا أن أصحابها أرادوا الاستزادة في الفهم والاستنباط على نحو يجمع بين الظاهر والباطن، بين ما تمليه قواعد اللغة ومقرراتها وامتداد المعاني ولا محدوديتها في تناغم يشد الباطن إلى الظاهر، ويجعل الأخير أصلا لكل معنى جديد باعتباره باب المفسر الذي يوصله إلى صدر البيت، كما قرر ذلك غير واحد من الأئمة كالغزالي .

ولا يشترط في الإشارات بعد جريانها على سنن صحيح أن يفهمها كل الناس تبعا لاستنباطها الذي لا يتاح لكل أحد فالتفاوت بين الناس في الفهم والإدراك كما في الاستنباط سنة من سنن الله في الإنسان وفي باقي المخلوقات فالحصان ليس كالحمار .لكن شرط قبولها من غير أن تكون ملزمة ألا تقلب حقائق الإسلام، وتلبسها أوهامها وخيالاتها التي أملتها عليها بواعث مختلفة يقف دون قبولها شاهدان عدلان: الكتاب والسنة، وحَكَمان نزيهان العقل الحر الموضوعي، واللغة وما تواضع عليه أهلها من معان ودلالات لألفاظها .فمن قال في قول الحق سبحانه "هذا بيان للناس "إن معناه: أنا: بيان ابن السمعان —وكان حقا على من سمعه أول مرة ألا ينقله لسخافته —شبيه في حقارته بمن قال: "أنا ربكم الأعلى "وهو يعلم أنه مخلوق من ماء مهين .فمن ألحق الكثير من الإشارات التي ذكرها كبار المربين كالمحاسبي، والتستري والقشيري وسواهم بالإشارات الباطنية التي لا سند لها من دين أو عقل أو لغة فقد أعظم الفرية على هؤلاء الأجلة الذين خضعوا للنص فيما أشاروا إليه، و لم تكن لهم الجراءة التي كانت لغيرهم ممن أخضعوا آيات الكتاب الكريم لما أملته عليهم أهواؤهم ونحلهم الفاسدة.

لقد أنكر الطبري أو ضعف أو لم يستجز بعض القراءات التي نص غيره على تواترها أو استفاضتها .وملأ "جار الله ""كشافه "بالاعتزاليات، وفضائل بعض السور التي لا أصل لها وحكى كثير من المفسرين القصص المكذوبة والإسرائيليات الدخيلة على التفسير، فهل يترك ما في تفسير الطبري من خير بسبب زلة، بل هفوة غارقة في محيط من الخير في تفسيره، وهل نضرب صفحا عن جمال الصور البلاغية واللغوية التي رصع بها الزمخشري تفسيره مما لم ينسج مثله أحد قبله، و لم يلحقه أحد بعده لتأويلات له في بعضها مستند من لغة أو أثر صح المستند أم ضعف أم كان متهافتا باطلا .

إن ما قيل في هذين الكتابين العظيمين يصدق ولو بنسبة أقل على مؤلفات التفسير الإشاري التي عمل أكثر أصحابها –كمثال – على صقل الروح والعروج بها إلى عالم الطهر والنقاء وصولا بها إلى درجات الكمال، فكانوا حداة إلى الله الذي كان وحده جل جلاله غاية ما يطلبون، وألذ ما يناجون، وأحب ما يذكرون، وأخوف ما يخافون، وأرجى ما يرجون، فسخروا كل نعمة واصلة منه سبحانه إليهم لمعرفته وتعريف الخلق به، فإذا نطقوا ذكروه، وإذا نظروا صرفوا أعينهم عن محارمه،وإذا تكلموا أشاروا إليه، ملأ حبه جل جلاله عليهم أقطار نفوسهم فلم يروا فيما خلق من شيء حولهم إلا يده تعمل، وقدرته نافذة في الخلق، وحكمته وعدله وقهره وتدبيره يهيمن على كل ذرة من ذرات الكون.

فهل ترد هذه النفائس الدالة على الله، السائرة بالخلق إليه لأن "التستري "أو "السلمي "ذكرا إلى جنبها معنى يضيق السياق القرآني به، ولا دلالة فيه عليه لكن معناه في نفسه ربما كان صحيحا ؟.

إن العقل الحصيف –ناهيك عن العقل المسلم –لا يمكن أن يذهب هذا المذهب أو يسلك هذا المسلك .

إن واحدا من محققي المفسرين ممن لا يعرف عنه أنه من أصحاب الإشارة، وهو الإمام القرطبي قال في تفسير قول الحق سبحانه: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ﴾التغابن: ٩ ناقلا عن بعض علماء الصوفية ما نصه: (وقد قال بعض علماء الصوفية: إن الله قد كتب الغبن على الخلق أجمعين، فلا يلقى أحد ربه إلا مغبونا، لأنه لا يمكن الاستيفاء للعمل حتى يحصل له استيفاء

الثواب)[1]. فهذه إشارة ومعنى مستل من وراء ظاهر الآية لا يرده إلا من ضمن لنفسه مقعد صدق عند مليك مقتدر !! فالحق إذا لاح على كلام قبل، وإذا تلبس باطل بقول رد كائنة ما كانت جهة الورود، وما أسرع ما تكتشف الإشارة الباردة –ناهيك عن الباطلة –العاجزة بطبيعتها عن التحليق عاليا لصدورها عن دعي، كما يكتشف المعنى البارد النازل عن مستويات البلاغة العليا إن صادف ذواقة خبيرا بمراتب الجمال اللغوي، والرمز المظلم والاستنباط الغامض غموض قائله لا تلوح عليه مخايل الضياء، ولا يعلو أغراضه النور الذي يلف عادة إشارات الصادقين فكيف يلوح الضياء ويعلو النور قول من اتبع غير سبيل المؤمنين وادعى أن (لله أولياء خاصة لم يرسل إليهم محمد ﷺ، ولا يحتاجون إليه بل لهم طريق إلى الله من غير جهته .كما كان الخضر مع موسى، أو أنهم يأخذون عن الله كل ما يحتاجون إليه وينتفعون به من غير واسطة أو أنه مرسل بالشرائع الظاهرة وهم موافقون له فيها، وأما الحقائق الباطنة فلم يرسل بها أو لم يكن يعرفها أو هم أعرف بها منه، أو يعرفونها مثل ما يعرفها من غير طريقته) [2] وجهل أو غفل عن حقيقة أن من الإيمان به ﷺ الإيمان بأنه الواسطة بين الحق جل جلاله وبين الخلق في تبليغ الشرائع والعقائد والأخلاق وكل صغير وكبير من شؤون الناس (فمن اعتقد أن لأحد من الأولياء طريقا إليه سبحانه وتعالى من غير متابعة محمد ﷺ فهو كافر من أولياء الشيطان[3]، كما أن من تعدى شروط النظر الصحيح في القول في كتاب الله تعالى جمع به قلمه وشرد به خياله، وساقه مذهبه إلى أن يقول إن الإشارة في قول الحق سبحانه: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ الرحمن: ١٩ – ٢٠ إلى علي وفاطمة – رضي الله عنهما – كما قال غيره في الآية ذاتها –من بين ما قال –(البحران: النفس والقلب، فالبحر العذب القلب، والمالح النفس، ومن بحر القلب كل جوهر ثمين وكل حالة لطيفة، ومن النفس كل خلق ذميم، فالدر من أحد البحرين يخرج، ومن الثاني لا يكون إلا التمساح وما لا قدر له من سواكن النفس، بينهما برزخ

---

[1]- الجامع لأحكام القرآن. ج8 .ص: 138 .

[2]- الفرقان بين أولياء الرحمان وأولياء الشيطان .ابن تيمية .ص: 63.دار الفضيلة –الرياض، دار ابن حزم –بيروت .ط1420/1هـ-1999م.تحقيق وتخريج وتعليق د: عبد الرحمان بن عبد الكريم اليحيا.

[3]- انظر: المصدر نفسه .ص : 78، 79 .

لا يبغيان، يصون الحق هذا من هذا ولا يبغي هذا على هذا)[1].

والإشارتان- الشيعية والصوفية – أملتهما نزعة قائليهما، وربما كانت الإشارة الصوفية –على ما فيها- ألطف وأظرف لما فيها من حديث عن الذات العلية، بالإضافة إلى أن سياق الآيات كله تقريبا حديث عن خلق الله وصنعه في هذا الكون، وهذا لا يعني قبول الإشارة الصوفية هاهنا وعلى هذه الصورة .

وخير منها ومن سابقتها إجراء الآية على ظاهرها، بل وهو الذي لا يقال غيره، فمعانيها أكثر إشراقا، وأوضح بيانا، وأقوى تأثيرا في السامع بالإضافة إلى أن بعض المعاني التي قيلت من أصحاب الإشاريين مبثوث في غير هذه الآية فاستلال هذا البعض من آية سورة "الرحمان"ضرب من البطالة ونوع من التكلف لا يذهب إليه من رام طلب الحق العاري عن كل شائبة هوى، ثم إن استلال الإشارة من الآية ينبغي ألا يقودنا إلى مخالفة ظاهرها (لأن الظاهر أولى (وهو)...قدر مشترك يحتكم إليه الجميع، ويلجأ إليه طالبوا المعرفة كافة)[2].

والهوى عدو مبين وشيطان مريد للإنصاف العلمي والمعرفي (يطمس الحقيقة ويحارب الحق ويهمش البحث، ويفسد التأويل ويجعل صاحبه معاندا ضالا محشورا في عداد الجاهلين الذين يجافيهم الهدى،و يتبرأ منهم الرشد، ويتخلى عنهم النصير)[3].

وخير من إشارة الشيرازي السابقة، وأقرب إلى الانسجام مع شروط قبول الإشارة ما جاء في قوله تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ المجادلة: ١، حيث قال: (بين الله سبحانه في أول هذه السورة مقام الانبساط حيث انبسطت المجادلة مع الحبيب، ثم استحسن الله انبساطها ومجادلتها حين خلصت من الالتفات إلى غيره بقوله: "وتشتكي إلى الله "أي لا إلى غير الله ومنزل الشكوى مقام النجوى وبين النجوى والشكوى

---

[1]- عرائس البيان .ج2.ص: 298.

[2]- التفسير الإشاري عند أهل السنة .ج1.ص: 314.

[3] - قضية التأويل في القرآن الكريم بين الغلاة والمعتدلين .ج1.ص: 101.

انبسطت إلى المولى ثم زاد الكريم في إظهار فضله عليها حين سمع كلامها وأجابها بخطابه)[1].

وأخيرا فإن المجوزين للتفسير الإشاري نظروا إليه على أنه تأمل في كتاب الله تعالى لم يقف أصحابه عند ظواهر النصوص بل تجاوزوها إلى ما وراءها من المعاني فجاءوا أحيانا بلفتات لافتة لاقت استحسانا وقبولا من غيرهم، وجانبهم الصواب في أحايين كثيرة فخرجوا إلى تأويلات بعيدة كانت باعث تحفظ من هذا اللون من التفسير عند بعض، وسبب رد ورفض له عند آخرين .

[1]- عرائس البيان .جـ2.ص: 312.

ثانيا: المانعون:

الأصل في استنباط معاني القرآن الكريم والسنة النبوية، وتعدد الفهوم فيهما أن تكون موافقة لهما ظاهرا وباطنا، لكن مسار التفسير الإشاري الفيضي وغيره لم يكن كذلك، إذ شهد تاريخه ظهور تفاسير أملت على أصحابها أن يتعاملوا مع القرآن الكريم من خلال معارفهم الخاصة فكان الإنقياد إليها –أحيانا –يملي عليهم ما يقولون في كتاب الله فبدأ الابتعاد عن الموضوعية في التعامل مع الكتاب الكريم وبدل أن ينقاد الناس إلى ما تمليه عليهم الموضوعية راحوا يوردون من الأقوال ما أوقعهم في زلات وأخطاء فلزم تمييز المنهج الصحيح من المنهج المزيج من صور الصواب ووجوه الخطإ، من غير أن تحول منزلة الغالط العلمية دون بيان غلطه وزلته .

ومن بين المفسرين الذين لم يرتض علماء الإسلام الكثير من أقوالهم مفسرو الصوفية حتى وصل الأمر ببعضهم إلى القول بأن من اعتقد أن القول في القرآن على طريقتهم تفسير له فقد كفر كما نقل عن الواحدي[1] في وصفه "لحقائق التفسير""للسلمي "،الأمر الذي انتفض له ابن الصلاح فراح يدفع عن "السلمي " ما ذكره "الواحدي " ويدافع عنه وعن كثير مما قال فقال: (الظن بمن يوثق به منهم أنه إذا قال شيئا من أمثال ذلك أنه لم يذكره تفسيرا ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة المذكورة في القرآن العظيم، فإنه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسلك الباطنية، وإنما ذلك ذكر منه لنظير ما ورد به القرآن، فإن النظير يذكر بالنظير) [2] ثم ذكر شاهدا لهذا اللون من التفسير مذيلا دفاعه عن السلمي بقوله: (ومع ذلك فيا ليتهم لم يتساهلوا بمثل ذلك لما فيه من الإبهام والالتباس)[3]. و لم يعده "السيوطي"لونا من ألوان التفاسير[4]، بل نص في "طبقات المفسرين" له على أنه من التفاسير غير

---

[1]– هو علي بن أحمد بن محمد (أبو الحسن) توفي سنة 468ه ، مفسر ، عالم بالأدب ، نعته الذهبي بإمام علماء التأويل ، له "البسيط " ،"الوسيط " ، " الوجيز " كلها في التفسير ، و "أسباب النزول".

-انظر ترجمته في : طبقات الشافعية .الإسنوي .2/ 303 (رقم 1241) ، سير أعلام النبلاء .18 .339 (رقم 160) ، الوفيات .303/3. الأعلام . 4/ 255 .

[2]– فتاوى ومسائل ابن الصلاح . ج1.ص: 197.دار المعرفة –بيروت .ط1/1406ه-1986م.حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: د: عبد المعطي أمين قلعة جي .

[3]– المصدر نفسه .ج1.ص: 179.

[4]– الإتقان .ج 2 . ص: 184. المكتبة الثقافية – بيروت . 1973م .

المحمودة[1].

-وقال النسفي في "عقائده": (النصوص على ظواهرها، والعدول عنها إلى معان يدعيها أهل الباطن إلحاد) [2]، وهو عند "الزركشي" معان ومواجيد يجدها أصحابها عند التلاوة ولا يصدق عليها اسم التفسير[3].

وقد أوضح الشيخ " أطفيش" دواعي عدم قبول التفسير الإشاري الصوفي -كما نقل ذلك عنه الذهبي -فقال: (وليس التفسير الصوفي عندي مقبولا إذا خالف الظاهر وكان تكلفا أو خالف أسلوب العربية، ولا أعذر من يفسر به، ولا أقبل شهادته، وأتقرب إلى الله تعالى ببغضه، والبراءة منه، فإنه لو كان في نفسه حقا لكان جعله معنى للآية أو الحديث خطأ،لأنه خروج عن الظاهر وأساليب العرب التي يتخاطبون بها وتكلف من التكلف الذي يبغضه الله) [4].

وقال النيسابوري: (إعلم أن مقتضى الديانة أن لا يأول المسلم شيئا من القرآن والحديث بالمعاني بحيث تبطل الأعيان التي فسرها النبي ﷺ والسلف الصالح، مثل الجنة والنار والصراط والميزان والحور والقصور والأنهار والأشجار والثمار وغيرها، ولكنه يجب أن يثبت تلك الأعيان كما جاءت، ثم إن فهم منها حقائق أخرى ورموزا ولطائف بحسب ما كوشف فلا بأس، فإن الله تعالى ما خلق شيئا في عالم الصورة إلا وله نظير في عالم المعنى، وما خلق شيئا في عالم المعنى وهو الآخرة إلا وله حقيقة في عالم الحق وهو غيب الغيب، وما خلق في العالمين شيئا إلا وله أنموذج في عالم الإنسان) [5]ووصف -رحمه الله-المقتصر على التأويل المعرض عن التفسير بأنه ركون منه (إلى الأضاليل، وسكون على شفا جرف الأباطيل، إلا من عصمة الله وإنه لقليل) [6].

---

[1]- طبقات المفسرين .ص: 85 .دار الكتب العلمية - بيروت .

[2]- شرح العقيدة النسفية . سعد الدين التفتازاني . ص: 126، 127 .دار الهدى - الجزائر . تحقيق: مصطفى مرزوقي .

[3]- البرهان . ج2 . ص: 170. المكتبة العصرية - صيدا . تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم .

[4]- التفسير والمفسرون .ج2.ص: 287.

[5]- غرائب القرآن ورغائب الفرقان .ج1.ص: 57.مطبعة مصطفى الباي الحلبي وشركاه -مصر .تحقيق ومراجعة: إبراهيم عطوة عوض.

[6]- المصدر نفسه .ج1.ص: 7

والناظر في تفاسير بعض هؤلاء الإشاريين يتملكه العجب حين يقف على كلام إشاري يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴾ البروج: ١ (السماء ذات البروج سماء قلوب العارفين ذات الأبراج من العلوم والحكم والحقائق تسري فيها الأرواح والعقول لوجدان أنوار وجود الحق: ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ البروج: ٣ الشاهد والمشهود هو من يرى نفسه بنفسه إذ لا يراه أحد بالحقيقة ...)[1] * أو يقول في تفسير ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴾ الطارق: ١: (أقسم بسماء قلوب الصديقين وما يطرق فيها من نجوم تجلي الذات والصفات) [2] أو يحمل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟

---

[1]- عرائس البيان .ج2.ص: 367.

-وانظر تفسيره لأول سورة الحديد ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ الحديد: ١ ج2.ص: 305.

وقوله: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ الحديد: ٣ -وقوله: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ الحديد: ٤

*: قال ابن تيمية عن الفناء في المحبوب بالمعنى الصوفي وهو الذي أشار إليه صاحب "عرائس البيان "في آية "وشاهد ومشهود" "البروج" (...وقد يقع لبعض المصطلمين من أهل الفناء في المحبة أن يغيب بمحبوبه عن نفسه وحبه، ويغيب بمذكوره عن ذكره، وبمعروفه عن معرفته وبموجوده عن وجوده حتى لا يشهد إلا محبوبه فيظن في زوال تمييزه ونقص عقله وسكره أنه هو محبوبه ...(فـ)إن كان هذا لقوة المحبة والذكر من غير أن يحصل عن سبب محظور زال به عقله كان معذورا في زوال عقله، فلا يكون مؤاخذا بما يصدر منه من الكلام في هذه الحال التي زال فيها بغير سبب محظور ...

وبكل حال ؛فالفناء الذي يفضي بصاحبه إلى مثل هذا حال ناقص، وإن كان صاحبه غير مكلف، ولهذا لم يرد مثل هذا عن الصحابة الذين هم أفضل هذه الأمة، ولا عن نبينا محمد ﷺ وهو أفضل الرّسل، وإن كان لهؤلاء في صعق موسى تعلق، وإنما حدث زوال العقل عند الواردات الإلهية على بعض التابعين ومن بعدهم) **

**: التحفة العراقية في الاعمال القلبية .ص: 76، 77 . مكتبة المنار -الزرقاء -الأردن .ط1/1408هـ-1987م.تحقيق: حماد سلامة.إشراف: د: محمد عويضة .

ثم قال مبينا غلطا وقع فيه من وقع ممن ظن أن كمال العبد في أن لا تبقى له إرادة حال الفناء: (و(من) ظن أن كمال العبد ألا تبقى له إرادة أصلا، فذاك لأنه تكلم في حال الفناء، والفاني الذي يشتغل بمحبوبه له إرادة ومحبة ولكن لا يشعر بها، فوجود المحبة شيء، والإرادة شيء، والشعور بها شيء آخر، فلما لم يشعروا بها ظنوا انتفاءها وهو غلط) ***.

***: التحفة العراقية .ص: 79.

[2]- انظر: عرائس البيان .ج2.ص: 368.

-وانظر في هذا المعنى: تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ الزلزلة: ١، وقوله: ﴿ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴾ العاديات: ١.ج2.ص: 382، 381 على التوالي

عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ ﴾ الممتحنة: ١على معنى: (لا تحبوا أنفسكم الأمارة فإنها عدوي وعدوكم مبغض عبادتي ومبغضكم إذا لم تكونوا مطيقين (مطيعين) لها في إنفاذ شهواتها، وإنها تعارضكم في مكاشفاتكم وأحوالكم، ألا ترى كيف قال الله: "وقد كفروا بما جاءكم من الحق")[1].

أو أن يقول في سورة "الواقعة "ما تقلب معه حقائق الآيات كما قلبت في الشواهد السابقة، حين أشير في بعضها إلى مقام الفناء، وأنزلت حقيقة آية أخرى من السماء إلى قلوب العارفين، أو يتناسى المعنى الحقيقي لاتخاذ الأعداء أولياء التي يصرخ فيها سبب النزول أن أنقذوا معنى الآية الأصلي الشاهد لحاطب بن أبي بلتعة بالإيمان حتى لا يجرأ أحد ممن لا خلاق لهم عن أن يقول فيه مقالة سوء أو يخرجه من دائرة الموحدين .أو يكيف ما قام به في لحظة ضعف بشري أقاله الله منه على أنه خيانة عظمى . فقد قيل إن معنى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴾ الواقعة: ١: (واقعة كل صاحب قلب حين وقعت عليه أنوار المعارف والكواشف من مكامن الغيب حين أراد الحق جذب قلبه بمباشرة وارد مشاهدته ...)[2].

والآية وما بعدها –كما هو معلوم –تصوير لمشاهد يوم القيامة يمتد إلى منتصفها تقريبا، إذ لا كشف يومها، ولا جذب ﴿ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ عبس: ٣٧. لكن يخفف من غلواء ما قيل، معان قالها هؤلاء مشدودة إلى الآيات ولا يشتم منها رائحة الغربة عن سياقها العام بالإضافة إلى صياغتها الجميلة وذلك كما في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ المجادلة: ٦، ولعله إلى الظاهر أقرب منه إلى الإشارة: (أخبر الله سبحانه عن عظيم إحاطته بالضمائر والخواطر وذرات الوجود من الأزل إلى الأبد بحيث لا يعزب عن علمه وإحاطته مثقال ذرة في السماوات والأرض، قال الله: "والله على كل شيء شهيد" شاهد الأشياء بعلمه الذي شاهد كينونيتها في الأزل فأوعد العباد وحذرهم في مراقبته من اطلاعه بما كان وما يكون وبين غفلة العباد عن ذلك حيث نسوا ما فعلوا، وما حاسبوا أنفسهم قبل أن

[1]- عرائس البيان .ج2.ص: 322.

[2]- المصدر نفسه.ج2.ص: 301.

يحاسبوا، قال بعضهم: من نسي جرائمه و لم يكثر بكاؤه و لم يتأسف عليها بالندم وطلب التوبة فقد ضيع عمره لأن الله أحصى عليه أعماله وسيريها إياه في المشهد الأعظم حين لا ينفع توبة تائب .ولا يسمع دعاء داع، ولا يقبل معذرة معتذر قال الله: أحصاه الله ونسوه) [1].

ومما قاله من الإشارات مما ينعش النفس وينبه العاقل ويوقظ الغافل ما ذكره في تفسير قول الحق سبحانه "أتى أمر الله فلا تستعجلوه "الإشارة في إتيان الأمر الإلهي أنه تعالى كان قديما موصوفا بالإرادة القديمة والعلم القديم،وفي الإرادة والعلم كان كون العالم والعالمين فتقاضى سر الإرادة كون الوجود فكون الحق الكون بأمره القديم الذي كان في نفسه فوقع الأمر منه بغير زمان ومكان فصدر الكون من الأمر بما كان في إرادته وعلمه فكون ذلك أبد الآبدين بغير سؤال من الغير ولا انتظار ولا تعجيل، فإن الأمر قائم به، والمأمور معلق به، وجف القلم بما هو كائن، فإذا سقط السؤال والعجلة إذ هما صفتا جاهل بالله وبأمره، ولو كان الأمر يأتي بمراد الحدثان لكان نقصا في الوحدانية لذلك نزه نفسه عن ذلك النقص بقوله: " سبحانه وتعالى عما يشركون) [2].

إن مبعث الرفض للتفسير الإشاري عند قوم خروجه السافر في أحايين كثيرة عن منهج التعامل مع نصوص الوحي قرآنا وسنة، مصحوبا بدعوى الذوق والوجد غير المنضبطة بشروط وضوابط تحول دون شرود وشطط أصحابها كما رأينا، بالإضافة إلى أن كل هذه التفاسير اشتملت على معان لا تلوح عليها مخايل الإشارات بالمعنى الصوفي، بل هي خيالات وأحيانا أوهام عقلية مبتوتة الصلة بالذوق والوجد، يدرك هذا القارئ للإشارات حين لا يجد فيها شعاعا من نور الكلمات التي تصدر عن ذوق حقيقي ووجد صحيح، ولا النضارة التي يلبسها الوجد الصادق والذوق المستوحى من نصوص الوحي بعد معايشة طويلة لروح ألفاظ القرآن والسنة وما يصحب هذه المعايشة من عبادات ومناجاة تتسع معها ميادين الأسرار وتشرق معها ومضات الأنوار متجلية في تلك الإشارات التي تهدي الحائر ويلتذ لسماعها العارف.

إنّ الضياء والوميض في قول من قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن

---

[1]- عرائس البيان .ج2.ص: 313.

[2]- المصدر نفسه .ج1.ص: 520.

ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴾ الأعراف: ١٧٢ كما نقل ذلك الألوسي مما تشير إليه الآية .قال: (وذكر بعضهم أن الباء لكونه أول حرف فتحت الذرة به فمها حين تكلمت لم تزل الأطفال في هذه النشأة ينطقون به في أول أمره ولا بدع فكل مولود يولد على الفطرة) [1] باهت في شطر الإشارة الثاني يحتاج إلى تحقيق "يقطع" بأن كل ذراري الدنيا تبدأ النطق بحرف الباء فربما خالف أطفال بعض الأمصار فبدأوا بحرف الميم أو العين أو ما سواهما، وألسنة الخلق متعددة الحروف مختلفة الأصوات كما هو مشاهد فالإشارة بحاجة إلى شاهد علمي يدفع عنها مقالة السوء في شطرها الثاني- كما قلت- أما شطرها الأول فمتساوق مع النص الكريم المطلق المعنى الناطق بلغة كونية تتعالى على الأمكنة والأزمنة على أحد التفسيرين [2].

وأوضح منه وألمع ما قاله سهل بن عبد التستري في قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ البقرة: ٤٥ قال: (لا يكون أي إنسان خاشعا حتى تخشع كل شعرة في جسده لقول الله تبارك وتعالى: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ الزمر: ٢٣، ولذا قال القرطبي مستحسنا الإشارة الشبيهة بالعبارة: (قلت هذا الخشوع المحمود لأن الخوف إذا سكن القلب أوجب خشوع الظاهر، فلا يملك صاحبه دفعه فتراه مطرقا متأدبا متذللا) [3]، فالإشارة العبارة - إذا صحت العبارة — لم يدع التستري أنها مرادة وحدها دون الظاهر. وتأويلها ليس بعيدا عن معناها الظاهر، ولا منافاة بينها وبين

---

[1] - روح المعاني .جـ9.ص: 144.

[2] - انظر تفسير الآية عند الطبري، جـ: 13 . ص: 233 وما بعدها . مؤسسة الرسالة . ط1 / 1420ه - 2000م . تحقيق: أحمد محمد شاكر .

- انظر: تفسير ابن كثير . ج3 . ص: 245 وما بعدها . دار الأندلس . (طبعة ثانية) .

- وانظر: الجامع لأحكام القرآن . القرطبي . ج7 . ص: 314 وما بعدها .

[3] - ج1 . ص: 375 .عالم الكتب . تحقيق: هشام سمير البخاري (طبعة ثانية) .

سياق الآية العام وليس لها معارض شرعي، ولها شواهد شرعية كثيرة منها ما ذكره الإمام القرطبي رحمه الله تعالى.فالتستري أثبت معنى الآية الأصلي، وحقق مبناه الأولي، واستل الإشارة من ظاهر اللفظ وخفي المعنى، فرفض إشارة لاحت عليها نفحات الأنس بالله وحللها حب الوقوف بين يديه كهذه مرفوض كقبول الشطح والأوهام والخيالات العقلية، وما أكثرها في تفاسير أهل الإشارة.

وشبيه بما قاله التستري ما ذكره "سيد قطب" في قول الحق سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ المائدة: ٥٤ قال: (وإذا كان حب الله لعبد من عبيده أمرا فوق التعبير أن يصفه فإن حب العبد لربه أمر أقلما استطاعت العبارة أن تصوره إلا في فلتات قليلة من كلام المحبين، وهذا هو الباب الذي يفوق فيه الواصلون من رجال التصوف الصادقين -وهم قليل من بين ذلك الحشد الذي يلبس مسوح التصوف ويعرف في سجلهم الطويل-، ولا زالت أبيات رابعة العدوية تنقل إلى حسي مذاقها الصادق لهذا الحب الفريد وهي تقول:

فليتك تحلو والحياة مريرة ... وليتك ترضى والأنام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عامر ... وبيني وبين العالمين خراب

إذا صح منك الود فالكل هين ... وكل الذي فوق التراب تراب

فما أبعد ما بين هذه الإشارات وبين ما قاله الألوسي من إشارة في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ البقرة: ١٦٤، قال: (إن في إيجاد سماوات الأرواح وأرض النفوس، واختلاف النور والظلمة بينهما، وفلك البدن التي تجري في بحر الاستعداد، بما ينفع الناس في كسب كمالاتهم وتكميل نشأتهم وما أنزل الله من سماء الأرواح من ماء العلم فأحيا

به أرض النفوس بعد موتها بالجهل وبث فيها القوى الحيوانية،وفرق في أفلاك سيارات عوالم الملكوت وتصريف رياح النفحات المحركة لأغصان أشجار الشوق في رياض القلوب وسحائب التجليات المسخر بين سماء الروح وأرض النفس ليمطر قطرات الخطاب على نيران الألباب لتسكن ساعة من الاحتراق بالتهاب نار الوجد ودلائل لقوم يعقلون)بالعقل المنور بالأنوار القدسية المجرد من شوائب الوهم) [1] وأي وهم أكبر من أن تجر الآية إلى هذا "المعنى " النشاز الذي مزق أوصالها وعبث بمعانيها ونقلها من معنى كلي معجز وعجيب إلى معنى جزئي إن كان صحيحا في ذاته فإن استنباطه من الآية المذكورة طلب للحليب من خلية النحل، فالإشارة أنزلت النص من عليائه في معناه الكلي لتحصره في معنى جزي – كما قلت- غريب عن سياقها، مع علم قائلها –الألوسي أو من أخذ عنه أبو الثناء – أن خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس.

وهاك ثلاثة شواهد أخرى أكل أمر التعليق عليها إليك مع إمكان إحلال روسيا مكان فرس وأمريكا مكان روم، قال الألوسي رحمه الله في قوله سبحانه: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾ الروم: ١ – ٣: (ففي الآية إشارة إلى أن حال أهل الطلب يتغير بتغير الأوقات، فيغلب فارس النفس روم القلب تارة، ويغلب روم القلب فارس النفس بتأييد الله ونصره سبحانه تارة أخرى)[2].

وقال في تفسير قول الحق سبحانه: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ البقرة: ٢٦٠ " قال: موتى القلوب بداء الجهل ". وقال في "فخذ أربعة من الطير" إشارة إلى طيور الباطن التي في قفص الجسم، وهي أربعة

---

[1] – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني . ج2 . ص: 435 . دار الكتب العلمية – بيروت .ط1 / 1415 ه – 1994م .ضبطه وصححه: علي عبد الباري عطية . (طبعة ثانية) .

[2] – روح المعاني .جـ 21 . ص . 61. دار الكتب العلمية – بيروت . ط1 / 1415 ه – 1994 م . ضبطه وصححه: علي عبد الباري عطية . (طبعة ثانية) .

من أطيار الغيب: العقل والقلب والنفس والروح) [1] .

وفي تفسير قوله تعالى ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ﴾ الأعراف: ١٦٣ أي أهل قرية الجسد وهم الروح والقلب والنفس الأمارة وتوابعها التي كانت حاضرة البحر" أي مشرفة على شاطئ بحر البشرية)[2] والإشارات دركات بعضها فوق بعض .

فالحق كل الحق مع من منع التفسير الإشاري إن كان بهذه المثابة، لأن حقائق الدين وفق هذا الفهم تنقلب وتفسد وقوانين الحياة بموجب ذلك تحرف وتحطم.وتنقلب الآيات التي نزلت بلسان عربي مبين إلى فرضيات وخيالات لا يسندها عقل صريح ولا نقل صحيح[3].(والتفسير مطلوب كما يقول الشاطبي – فيما يتوقف عليه فهم المراد من الخطاب، فإن كان المراد معلوما فالزيادة على ذلك تكلف)[4] وإفهام مراد خطاب الحق من مشرق (أوتي إيمانا صادقا،وقلبا شاكرا، ولسانا ذاكرا) [5] فأظهر الله على لسانه وقلمه، كرمه ونعماءه وعطاءه وفتحه وهداه، هو غاية المطلوب ونهاية المرغوب.

فإذا رأيت إشارة (يمكن إرجاعها بدون تكلف إلى اللفظ القرآني بدون معارضة شرعية أو عقلية...(فاعلم أنها إشارة) لا شوب فيها) [6] لكن من غير أن يتوقف انكشافها وظهورها عند أهلها على الأدلة المحررة ومن ظن ذلك فقد ضيق رحمة الله الواسعة كما يقول أبو حامد[7] لأن طريق إظهارها وإنكارها وانكشافها الذوق والسلوك أما السماع والتعلم والبراهين العقلية فمرحلة ممهدة لها سابقة عليها حتى يتم لها الكمال ويعلو محياها الجمال، لأنها ثمرة علم ومعرفة ومجاهدة لا تفتر ولا

---

[1] – روح المعاني . ج3 . ص: 30 .

[2] – روح المعاني .جـ 9. ص: 102.

[3] – أنظر: تطور تفسير القرآن .د. محسن عبد الحميد .ص: 158.

[4] – الموافقات جـ1 . ص53.

[5] – التفسير الإشاري عند أهل السنة.جـ1.ص: 386.

[6] – مقدمة محقق "تفسير القرآن العظيم للتستري .ص60.الدار الثقافية للنشر – القاهرة .ط1/ 1422هـ- 2002م .تحقيق محمود حجرة الله.

[7] – المنقذ من الضلال .(الملحق بكتاب: قضية التصوف .عبد الحليم محمود) .ص: 333.

ينقطع صاحبها عن مولاه، متبرئا من حوله وقوته،مستسلما له وحده، واثقا بما عنده جل جلاله أشد مما بيده، وما حباه الله به من النعم وأعظمها العقل الذي يحتاج هو ذاته إلى أن ينتشل بفيض إلهي يحل في قلب صاحبه من بيداء التيه والشرود، (فيضيئه بعد ظلمة، ويؤمِّنه بعد يأس، ويطمئنه بعد اضطراب ويهدئه بعد لوعة وفزع) [1] وليس هذا إلا لعقل حامل بيمينه سراج الشرع الرادع له عن ركوب الهوى المنجي له من الردى الموصل له إلى الإشارة المفاضة من مشكاة النور، المفصولة بحاجز الشريعة الحصين عما يضل العاصم لصاحبه من أن تتفرق به السبل .

إن الذي يقرأ قولا يقول فيه صاحبه: (من نظر إلى قول مفسر يسكن إلى علم الظاهر أو يرجع إلى عقله، أو يقضي بمذاهب أهل العربية واللغة في باطن الخطاب، هؤلاء كلهم محجوبون بعقولهم مردودون إلى ما يقدر في علومهم، موقوفون مع ما تقرر في عقولهم) [2] ثم يقرأ لآخر: (وما خلق الله أشق ولا أشد من علماء الرسوم على أهل الله المختصين بخدمته العارفين به عن طريق الوهب الإلهي الذي منحهم أسراره في خلقه، وفهمهم معاني كتابه، وإشارات خطابه، فهم لهذه الطائفة – يعني الصوفية –مثل الفراعنة للرسل عليهم السلام) [3]. قلت: إن الذي يقرأ كلاما كهذا وغيره مما يشابهه من الأقوال وهي كثيرة: حق له أن يمنع الإشارة "التي لا نسب لها ترجع إليه إذ لا يعرف الرحم الذي نشأت فيه ثم منه خرجت، ولا الحضن الذي تربت فيه حتى بلغت أشدها واستوت على سوقها. إن مصدرها مريب، وأصلها مخيف فكيف يأمن جانبها الناس؟ فقد تكون شرقية كما قد تكون غربية، كما قد تكون محالة على كشف أبعد من طريقه ما سمعت من الضوابط، بل ما يدريني أن صاحب الإشارة أبعد الوحي والنبوة أو اتخذهما غطاء على حين غفلة من الناس" [4] فالإشارة حتى إن كانت صادرة عن ولي لله فإنه لا يجوز له (أن يعتمد على ما يلقى إليه في قلبه، وعلى ما يقع له مما يراه إلهاما، ومحادثة، وخطابا من الحق، بل يجب عليه أن يعرض ذلك جميعه على ما جاء به محمد ﷺ، فإن

---

[1] – عن مقدمة محقق "الإشارات والتنبيهات" لابن سينا .جـ2. ص: 46. دار المعارف – مصر .ط2.تحقيق: سليمان دنيا .مع شرح نصير الدين الطوسي .

[2] – قوت القلوب .93/1 . دار الرشد –القاهرة .ط1/ 1412هـ – 1991م .تحقيق و تصحيح و دراسة :د .عبد المنعم الحفني .

[3] – الفتوحات المكية .279/1

[4] – انظر: تطور تفسير القرآن.قراءة جديدة .محسن عبد الحميد .ص: 164.

وافقه قبله، وإن خالفه لم يقبله، وإن لم يعلم أموافق هو أم مخالف توقف عنه) [1]، وليس صاحب كل إلهام أو محادثة أو خطاب أو كشف وهي أمور ثابتة لأولياء الله كما يقول ابن تيمية [2] -أولى بعد أبي بكر وأفضل في أمة محمد ﷺ من عمر فقد كان (يفعل ما هو الواجب عليه، فيعرض ما يقع له على ما جاء به الرسول ﷺ فتارة يوافقه ...وتارة يخالفه فيرجع عمر عن ذلك) [3]. والشواهد في هذا الباب كثيرة لم يقل عمر في واحد منها -أخطأ فيه أو أصاب-: (أنا محدث ملهم فينبغي لكم أن تقبلوا مني ولا تعارضوني) [4] فكذلك من دونه من الأولياء لا تجب طاعته فيما يأمر به ولا الإيمان بجميع ما يخبر به حتى يعرض أمره وخبره على شريعة الله .فما وافق مصدريها قبل وما خالفهما رد وإن كان صاحبه من أولياء الله[5]، وقد نقل عن أبي سليمان الداراني —وهو من أئمة الصوفية أنه قال: " إنه ليقع في قلبي النكتة من نكت القوم فلا أقبلها إلا بشاهدين الكتاب والسنة.وقال غيره: كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل. فليحذر الذين يخالفانهما أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم، فإن المخالفة عن أمرهما موقعة في البدع والضلالات، مخرجة إلى الكفر والنفاق[6]موصلة إلى وضع عقيدة الإلحاد في قالب المكاشفة كما يقول ابن تيمية[7]. وما يدعى من أن (الإمامة ويلحق بها الولاية والعقل عند آخرين) مقام فوق النبوة، وأنه مقام تشريعي وتكويني معا) [8] كله خروج عن السنن الصحيح موصل في نتائجه إلى هدم وتحطيم (منطلق الفهم الأصولي السديد للقرآن الكريم) [9] وصولا إلى إبطال الشريعة كلها عقيدة وشريعة وأخلاقا.

---

[1] - الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.لابن تيمية.ص: 146، 147 .

[2] - المصدر نفسه .ص: 151، 152 .

[3] - المصدر نفسه .ص: 152، 153 .

[4] - المصدر نفسه. ص 157.

[5] - انظر: المصدر نفسه.ص: 158.

[6] - انظر: المصدر نفسه.ص: 164.

[7] - انظر: المصدر نفسه.ص: 198.

[8] - الإمامة والولاية في القرآن الكريم.نخبة من العلماء. ص: 40.الناشر مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام .ط1/1427هـ .

[9] - تطور تفسير القرآن – قراءة جديدة .ص: 168 .

إن رفض الإشارة التي يحمِّلُ قائلُها قول الحق سبحانه: ﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾ الفجر: ٢٩ - ٣٠ على معنى: (وادخلي جنتي التي هي ستري، وليست جنتي سواك، فأنت تسترني بذاتك الإنسانية فلا أعرف إلا بك، كما أنك لا تكون إلا بي فمن عرفك عرفني، وأنا لا أعرف، فأنت لا تعرف، فإذا دخلت جنته دخلت نفسك، فتعرف نفسك معرفة أخرى غير المعرفة التي عرفتها حين عرفت ربك بمعرفتك إياها فتكون صاحب معرفتين، معرفة به من حيث أنت، ومعرفة به بك من حيث هو لا من حيث أنت.

فأنت عبد وأنت رب لمن له فيه أنت عبـــــد

وأنت رب وأنت عبد لمن له في الخطاب عهد[1]

ينسجم مع منطق العقل والشريعة،وما تمليه قواعد التنزيل (والأصول التي يقوم عليها تفسير النصوص.

والتلبيس على الناس بنزع موجبات الألفاظ، وتقدير الهلوسات والخيالات بدلا عنها للتوصل إلى إبطال الشرع مسلك باطني آثم[2].، وقد أملى الظاهر الذي تُفهمه الإشارة والمعنى الذي قاله فيها ابن عربي هذا التعليق .

إن التفسير الإشاري الفيضي شأنه شأن الكثير من المسائل التي اختلفت فيها، فقبوله ورده متوقف على المعنى الذي يلبسه الإشاري للآية، وعلى مبلغ التئامه مع ما تمليه الشريعة وعلوم الآلة المعينة على الوصول إلى فهم صحيح لا يسيء إلى معاني الألفاظ في صورتها الأولى ولا إلى ما اتفق عليه أصول التفسير مما لا يعدم له وجه صحيح يحمل عليه، فإن وقف العقل الحصيف حائرا، والذوق السليم مشدوها أمام الإشارة وعدم محمل تحمل عليه ردت[3] وإن قال من قال في كلام ابن عربي: (فإذا وقع الجدار وانهدم الصور وامتزجت الأنهار، والتقى البحران وعدم البرزخ،صار العذاب نعيما، وجهنم جنة، ولا عذاب ولا عقاب إلا نعيم وأمان بمشاهدة العيان، وترنم أطيار بألحان على المقاصير

---

[1] - فصوص الحكم .ابن عربي . ج1 . ص: 92. (الفص الإسماعيلي) .

[2] - انظر: فضائح الباطنية .للغزالي.ص: 64.

[3] - انظر: التفسير والمفسرون .الذهبي .ج2. ص316.دار الحديث – القاهرة .1426هـ -2005م

والأفنان ...) [1] إلى آخره (فـ) هذا وأمثاله محمول على معنى صحيح يعرفه أهل الذوق ولا ينافي ما وردت به القواطع .. وإياك أن تقول بظاهره مع ما أنت عليه، وكلما وجدت مثل هذا لأحد من أهل الله تعالى فسلمه لهم بالمعنى الذي أرادوه مما لا تعلمه أنت ولا أنا بالمعنى الذي ينقدح في عقلك المشوب بالأوهام فالأمر والله وراء ذلك)[2] وهو نص من الألوسي آسر للقارئ حادٌّ من حركته واضعٌ للقيود عليه بل سيف مصلت أشهره –رحمه الله– ليكره كما يقول الذهبي – غيره على قبول وجدانيات وأذواق وشطحات موغلة أحيانا في البعد والغرابة، إن صحت فهي وقف على أهلها [3].على أن لا تخرق حدود الإشارة المتعارف عليها، وتنحرف عن جهة الصحة والاستقامة بأن تحمل الآيات على محامل باطلة، وهو مراد قول ابن عباس: يضعون الكلام في غير موضعه[4]، فمن أراد إشارة خفية مستضيئة وطمع في معرفة أسرار صحيحة (فليضرع إلى ربه كما يقول الألوسي)[5] الذي قال– أعني الالوسي – إن الإشارة في قوله سبحانه: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ الزمر: ٢ (أي اعبده تعالى بنفسك وقلبك وروحك مخلصا، وإخلاص العبادة بالنفس التباعد عن الانتقاص وإخلاص العبادة بالقلب العمى عن رؤية الأشخاص، وإخلاص العبادة بالروح نفي طلب الاختصاص)[6] وقال في تفسير قول الحق سبحانه:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ الزمر: ٢١

قال– على مذهب أهل الإشارة: (ألم تر أن الله أنزل من سماء حضرته سبحانه أومن سماء القلب "ماء" ماء المعارف والعلوم " فسلكه ينابيع " مدارك وقوى " في الأرض "أرض البشرية "ثم يخرج به

---

[1] – الفتوحات المكية .لابن عربي.جـ1 ص: 163، 164 ، دار إحياء التراث العربي – بيروت . ط1/ 1418هـ –1998م قدم له: محمد عبد الرحمن المرعشلي.

[2] – روح المعاني .الألوسي.جـ1.ص: 212، 213.

[3] – انظر: التفسير والمفسرون .جـ 2.ص: ، 329، 330.

[4] – انظر: روح المعاني .جـ 24.ص: 504 .

[5] – المصدر نفسه .جـ1.ص: 107.

[6] – المصدر نفسه .جـ24.ص: 390.

زرعا من الأعمال البدنية والأقوال اللسانية"ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما" إشارة إلى أفعال المرائين وأقوالهم ترى مخضرة وفق الشرع ثم تصفر من آفة الرياء ثم تكون حطاما لا حاصل لها إلا الحسرة)[1] فالإشارة الأولى تفصيل لمجمل هو من مقتضيات إخلاص العبادة والديانة لله رب العالمين،وهي إشارة واقعة في منزلة بين منزلتين، منزلة العبارة والإشارة، يؤكد هذا ما ذكره في تفسيره لها على الظاهر حين قال: (أي فاعبده تعالى ممحضا له الدين من شوائب الشرك والرياء حسبما بين في تضاعيف ما أنزل إليك)[2] أما الإشارة الثانية التي في قول الحق سبحانه " ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء ..." الآية، فإن العبارة أو ظاهر المعنى أجمل وأدل على قدرة الله وعظيم صنعه من الإشارة التي أجهد نفسه في حبك معانيها الخفية حتى لا يتسلل إليها التكلف ويظهر عليها التعسف مستندا في ذلك إلى معان سابقة عليها وأخرى لاحقة نحو " وجعل لله أندادا "وطي ذكر الصنف المقابل للقانت، وقوله: ﴿ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ الزمر: ١٥ وقوله ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾ الزمر: ٢٢ وقوله ﴿ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجۡهِهِۦ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴾ الزمر: ٢٤.

ومع ذلك كله فإنه رحمه الله تعالى – قلب بإشارته المعاني الظاهرة والدلالات الأولى والأصلية للآية إن أخشى ما يخشاه المانعون للتفسير الإشاري أن يكون ظاهر الألفاظ غير مراد عند الذاهبين باللفظ مذاهب شتى فتتحول آيات الكتاب العزيز عند فئة من الإشاريين من آيات الهداية إلى آيات تذهب بحقائق الأمور ومطايا في أيدي العابثين ينفثون من خلالها عصبياتهم وأهواءهم وانتماءاتهم المذهبية فالفلسفي لا يرى الإشارة إلا في ما أملاه عليه منهجه المعرفي المحلق في آفاق الخيالات والافتراضات بل والأوهام العقلية أحيانا، والشيعي والباطني لا يرى الإشارة إلا أنها مدح لفئة أو قدح في أخرى، والصوفي لا يرى الإشارة إلا في الأبدال والأوتاد والأقطاب والشيخ والمريد والنفس والروح وما شاكل ذلك، ويذهب صنف آخر إلى "إشارة" أخرى وهي التي اصطلح عليها بالإشارة

[1] – روح المعاني.جـ24.ص: 392.

[2] – المصدر نفسه .جـ23.ص: 301.

العلمية أو التكوينية ليسوق التخصصَ والمذهبَ الإشاري في الآخر إلى تمزيق أوصال النص والذهاب بطريقته المثلى إلى حيث يفقد النص جمال سبكه وإعجاز معانيه المتعالية على ذلك كله الدالة على كل خير، المنبهة على كل شر، السالكة لمن استقام على منهج الفهم الصحيح إلى النجاة. فمن تكلم في كتاب الله فليتكلم بخير (فإن التكلم بالخير خير من السكوت عنه، (ويتأكد هذا في كتاب الله تعالى) والصمت عن الشر خير من التكلم به) [1] وهو من أوجب الواجبات إن كان في تفسير القرآن الكريم وإلا فهو الافتراء على الله، لكن واقع الناس ليس كذلك إذ (من المسلم به –كما يقول "نيكلسون" أن بين كل أرباب نحلة أدعياء كاذبين، وفي كل قطيع شياهه السُّود وقد كان بين الصوفية كثير من الزنادقة والمجان ومدمني الخمور فجروا مقالة السوء على الإخوان الأطهار ...فليس عدلا .. أن يحكم على التصوف الإسلامي جملة بفلتات هؤلاء المجان) [2] وفيصل التفرقة بين الأصفياء والأدعياء هو أن المعتبر في أولياء الله (صفاتهم وأفعالهم وأحوالهم التي دل عليها الكتاب والسنة، (حيث) يعرفون بنور الإيمان والقرآن، وبحقائق الإيمان الباطنة، وشرائع الإسلام الظاهرة) [3] وهي الحواجز التي تميز بين منهجين المتروك منهما باطني صرف لعب فيه الخيال والكشف المدعى دورا خطيرا في محاولة تحطيم ضوابط التفسير الأصولي السديد للقرآن الكريم[4]، كما أحدث اضطرابا في فهم المعنى داخل اللغة، بقطعه للنص من حياة اللغة إلى أن وصل الأمر إلى ما يشبه إلغاء أسس التفاهم والفهم،التفاهم بين البشر وفهم معاني ومقاصد النص[5].

لقد أغلق الإسلام مجسدا في مصدري التشريع في وضوحهما وبيانهما — كل منفذ يتسلل منه المتربصون والمخادعون من اليهود وغيرهم حين حكم على عقائدهم وتشريعاتهم وأخلاقهم بالانحراف والزيغ ومحادة الله ورسوله، والآيات في هذا كثيرة كقوله سبحانه في حق النصارى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ

---

[1] – الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان. لابن تيمية.ص: 141.

[2] – الصوفية في الإسلام.ص: 102.مكتبة الخانجي – مصر .1371هـ -1951م.علق عليه: نور الدين شريبة.

[3] – الفرقان بين أولياء الرحمان وأولياء الشيطان .ص: 169.

[4] – انظر: تطور تفسير القرآن .ص: 169.

[5] – انظر: المرجع نفسه .ص: 202.

وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ المائدة: ١٤ وقال في حق اليهود ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ٧٥

وقال بشأنهم ايضا: ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾المائدة: ١٣ وقال: ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا ﴾المائدة: ٤١، والناس وقتئذاك كان أكثرهم تابعا لهم في دينه أوموالي لهم خاضعا لسلطانهم، فحذر الإسلام منهم وممن كان على شاكلتهم حتى لا يغتر بهم مغتر فيصدقهم وقد كذبهم الله أو يأمنهم وقد خوّنهم الله أو يرجو أن يهدوه سواء السبيل وقد ضلوا الطريق.ومع ذلك وجدنا في تاريخ التفسير وغيره من المعارف من يرى بأعينهم ويسمع بآذانهم ويفكر بعقولهم نابذا لمقررات الإسلام واللغة النازل بها كتابه وراء ظهره كأنه لا يعلم، حتى وصل الأمر بأقوام في القديم وإلى الآن إلى أن يطالبوا بقراءة للقرآن وتفسيرٍ لآياته وفق منهج أعدوه وغاية أرادوها تزيح النص العظيم وتزحزحه عن مكانته السامية المقدسة وتفرغ محتواه مؤذنة للقارئ أو المفسر على أن يرغم النص الكريم على النطق بما يريده القارئ، لا بما يريده ويرتضيه منزله جل جلاله[1] وقد أرجع "الذهبي" رحمه الله تعالى صور الانحراف الواقعة في التفسير الهادفة إلى هدم مقاصد القرآن ومراميه إلى قدماء الفلاسفة فقال: (إن الإمامية الاثني عشرية، والباطنية الإسماعيلية ومتطرفي الصوفية ورجال الفلسفة الإسلامية، كلهم يسيرون على نمط واحد هدام لمقاصد القرآن ومراميه.ذلك هو ما يعبرون عنه بالرمز أو الإشارة أو الباطن ويظهر لنا أنها عدوى سرت إلى المسلمين من قدماء الفلاسفة ثم تلقتها هذه الفرق بصدر رحب، وتقبلتها بقبول حسن لأنهم رأوا فيها عونا كبيرا على ترويج بدعهم ونشر ضلالاتهم بين المسلمين) [2] وهو سبب من الأسباب المانعة من تفسير القرآن بالإشارة إن لم يكن أقواها سدا للذريعة

[1] - انظر: معايير القبول والرد لتفسير النص القرآني .عبد القادر محمد الحسين .ص: 19 .

[2] - التفسير والمفسرون.جـ2. ص: 378.

التجني على كتاب الله وإخراج ألفاظه ومعانيه إلى حيث أخرجها هؤلاء كما رأيت وكما سنرى إن شاء الله.

فإذا كان الأمر كذلك بإزاء من سلك هذه المسالك في فهم القرآن عند المحققين من أهل العلم، فإن الأمر في حق غيرهم – ممن جعلوا الظاهر أصلا وما وراءه من المعاني الثانية تابعا له وظلا من ظلال معانيه مما سمي عند علماء علوم القرآن بالتفسير الإشاري العملي أو الفيضي الصوفي – بخلاف ذلك . على خلاف بينهم في قبوله أو رده تبعا لالتزام الإشاري بشروط وضعت لم يخرج في إشارته عنها .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الرابع: شروط قبول التفسير الإشاري العملي وضوابطه

القرآن الكريم كلام الله تعالى المنزل على محمد ﷺ بلفظه ومعناه، (يأبى بطبيعته أن يكون من صنع البشر، وينادي بلسان حاله أنه رسالة القضاء والقدر، حتى إنه لو وجد ملقى في صحراء لأيقن الناظر فيه أنه ليس من هذه الأرض منبعه ومنبته، وإنما كان من أفق السماء مطلعه ومهبطه)[1].

. لقد أدرك أصحاب القرون الأولى هذه الحقيقة، وأيقنوا أن معانيه -بحكم مصدر مطلعه ومهبطه — مبسوطة إلى غير غاية، وممتدة إلى غير نهاية، وإن جاءت ألفاظه ومبانيه أو قل أسماء معانيه مقصورة معدودة، ومحصلة محدودة)[2].

كما علموا علما لم يشبه شك أن الدنيا كلها تنقضي ولن يحيط الناس بتأويل كل ما فيه اشتماله على قوة شاذة تغلب كل مغالب، وتتصاغر دونها معرفة وعلم كل عالم[3]، قوة حجته (على الأيام باقية، وعلى الدهور والأزمان ثابتة، وعلى مر الشهور والسنين دائمة، يزداد ضياؤها على كر الدهور إشراقا، وعلى مر الليالي والأيام ائتلاقا)[4]، فعند هذا الكتاب تلتقي نهايات الفضيلة كلها كما يقول دراز[5]، وهو المعين الذي يرده عطشى الروح للارتواء من نبعه الصافي، فكان المنهل العذب لكل وارد، ومن هؤلاء أهل الإشارات الذين حطوا رحالهم بباب آياته مستلهمين منها أدق حقائق الطريق التي توصلهم إلى بارئهم، تلك الحقائق التي تلوح لقلوبهم (في ارتحالهم الذوقي لمنابع النور الإلهي سيرا بأقدام الصدق والتجرد عن الأكوان، وطيرا بأجنحة المحبة لاختراق سماوات الأحوال والمقامات..حتى تحط عصا الترحال والسفر عند خيام القرب من الله)[6]، الذي أوصل إلى قلوبهم من معارفه ما أنسها من وحشة الفكر ورجم الظنون- كما يقول الجاحظ[7]، وجعلها موطنا لأسراره بعد أن صفاهم من

---

[1] - النبأ العظيم-نظرات جديدة في القرآن.د: محمد عبد الله دراز.ص: 77.

[2] - انظر: البيان والتبيين للجاحظ.ج1.ص: 76.

[3] - انظر: النبأ العظيم.ص: 49.

[4] - جامع البيان عن تأويل القرآن للطبري.ج1.ص: 4.

[5] - انظر: النبأ العظيم .ص108.

[6] - مقدمة محقق: ديوان عبد القادر الجيلاني.ص: 5.

[7] - انظر: البيان والتبيين.ج1.ص: 81.

أكدار البشرية...ووفقهم للقيام بآداب العبودية...(فـــ) رجعوا إلى الله سبحانه وتعالى بصدق الافتقار ونعت الإنكسار، و لم يتكلوا على ما حصل منهم من الأعمال، أو صفى لهم من الأحوال علما منهم بأنه جل وعلا يفعل ما يريد) [1].

لقد كان أكثر المفسرين الاشاريين الفيضيين كالتسترى، والقشيري في المتقدمين، والجيلاني[2]، وابن عربي في مواطن كثيرة من "فتوحاته"، وابن عجيبة والألوسي في المحدثين (ممن عرف الأدلة والحقائق، وباشر الأحوال والطرائق، وساكن الرياض والحقائق، وفارق العوارض والعلائق، وتبرأ من المتنطعين والمتعمقين، ومن أهل الدعاوى من المتسوفين، ومن الكسالى والمتثبطين، والمتشبهين بهم في اللباس والمقال، والمخالفين لهم في العقيدة والفعال)[3]، فكان أن من الله عليهم بأن جعل منهم مصابيح دجى، وينابيع رشد وحجى، حين خصهم بخفي الاختصاص،ونقاهم من التصنع بالإخلاص[4] ثم أطلق أقلامهم وألسنتهم بإشارات ولمحات سريعة خاطفة مفصحة وموضحة أحيانا عن مرادهم، وغامضة تلفها أغلفة تحجب ما بداخلها من معنى أحيانا أخرى إلا عن مزود "بوسائل" من فطرة سليمة ودراية حكيمة ونفس مشرقة وعقل متوثب ناهض، تعين على التسلل إلى باطن معناها، والنفوذ إلى داخل مرادها ومرماها حتى يستفاد منها[5]وتحمل على ما أرادوا منها مما لا ينـــاقض ما تواطأ عليه المفسرون من الشـــروط الموجبة لحفـــظ النص الكـــريم من التأويلات البعيدة والإشارات المتخيلة الموهومة التي لا سند لها من عقل ولغة وشريعة .

وقد دارت تفاسير القرآن الكريم منذ نزوله على ثلاثة أصول كما يقول ابن القيم.

---

[1] – الرسالة القشرية في علم التصوف.ص: 36 .

[2] – هو عبد القادر بن أبي صالح الحسني نسبة إلى الحسن بن علي – رضي الله عنهما- الجيلاني ويقال الجيلي والكيلاني (ت: 561 ه) ، إمام الحنابلة في عصره، فقيه صالح دين، كثير الذكر، دائم الفكر، سريع الدمعة، قطب الطريقة القادرية ومؤسسها، وأحد كبار رجال الصوفية .

- انظر ترجمته: الطبقات الكبرى، الشعراني 1 / 108، الكواكب الدرية، المناوي 2 / 253 (رقم 424) الشذرات .4 / 198.

[3] – حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. لأبي نعيم الأصفهاني(أحمد عبد الله ت: 430هـــ)ج1.ص: 4.

[4] – انظر: حلية الأولياء. ج1.ص: 15

[5] – انظر مقدمة محقق"الاشارات والتنبيهات" لابن سينا. الدكتور سليمان دنيا. ج2.ص: 11ومابعدها.دار المعارف–مصر.ط2.(مع شرح لخير الدين الطوبي)

ـ تفسير على اللفظ: وهو الذي ينحو إليه المتأخرون.

ـ تفسير على المعنى: وهو الذي يذكره السلف.

ـ تفسير على الإشارة والقياس: وهو الذي ينحو إليه كثير من الصوفية وغيرهم.

وهذا ـ يعني التفسير على الإشارة والقياس ـ لابأس به بأربعة شروط:

ـ أن لا ينافي معنى الآية.

ـ أن يكون معنى صحيحا في نفسه.

ـ أن يكون في اللفظ إشعار به.

ـ أن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم.

فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة كان استنباطا حسنا[1]. فهذه الشروط وهذا الاستحسان منه يجعل موقفه من هذا التفسير مع أهل الوسط الذين لا يردون ولا يرفضون كل تفسير من هذا القبيل واصل إليهم, بل ينظرون في القول بصرف النظر عن قائله, وبالمقابل لا يقبلون كل قول حامل لآيات القرآن الكريم قلت ـ أم كثرت ـ على محامل لم تألفها حتى يوزن القول بالميزان الذي يعدله أو يجرحه، يقبله أو يرده كليا أو جزئيا،على أن العاقل ـ ولا يكون إلا من أهل الوسط ـ يفحص أقوال الناس على أنها صادرة من ناقصين وهم عرضة للصواب وللخطأ، والخطأ في فهم الآية لا يعني خطأ الآية، وما أكثر الفهوم الخاطئة في تفاسيرنا الإشارية وغيرها حيث يختلط الصحيح بالفاسد، بل

---

[1] - التبيان في أقسام القرآن.ص: 90.دار الكتاب العربي-بيروت.ط1418/2هـ-1998م. تعليق وتصحيح: فواز أحمد زمرلي.

- وانظر: الموافقات . ج3 . ص: 394 .

- وانظر التفسير والمفسرون،للذهبي. فقد جعل الشروط أربعة هي:

- أن لا يكون التفسير الإشاري منافيا للظاهر من النظم القرآني الكريم.

- أن يكون له شاهد شرعي يؤيده.

- أن لا يكون له معارض شرعي أو عقلي...

- أن لا يدعي أن التفسير الإشاري هو المراد وحده دون الظاهر، بل لا بد أن يعترف بالمعنى الظاهر أولا، إذ لا يطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر) ج2.ص: 330.

- وانظر: ابن جزي ومنهجه في التفسير،د: علي محمد الزبيري. ج2.ص: 602، 603.

- وانظر: مناهل العرفان .للزرقاني. جـ2.ص: 81 وقد جعل الشروط فيه خمسة ولعل ما أثبته عن ابن القيم يغني عنها جميعا لتضمنها في النهاية فيه.

بالممعن في البطلان والفساد.

وهي-أعني الإشارات- لا تخرج عما وصفها به ابن تيمية وهو يتحدث عن "حقائق السلمي" حيث نص على حسن بعضها وصحة استفادته، وفساد بعضها وبطلانه منقولا أو مستنبطا[1].

وكما نص غير واحد من أقطاب هذا اللون من التفسير كالتسترى والسلمي والقشيري والجيلاني والألوسي وغيرهم على عدم ترك الظاهر، نصوا بالمقابل على أن اشتمال الإشارة على الشروط المذكورة لا تعني وجوب إتباعه والأخذ به، وقد جمع الزرقاني هذا الأمر في قوله: (إن هذه شروط لقبوله بمعنى عدم رفضه فحسب، وليست شروطا لوجوب اتباعه والأخذ به، ذلك لأنه لا يتنافى وظاهر القرآن، ثم إن له شاهدا من الشرع يعضده، وكل ما كان كذلك لا يرفض وإنما لم يجب الأخذ به لأن النظم الكريم لم يوضع للدلالة عليه، بل هو من قبيل الإلهامات التي تلوح لأصحابها غير منضبطة (أحيانا) بلغة، ولا مقيّدة (أحيانا أخرى) بقوانين) [2]، لكنهم-بوجه عام- لم يبتعدوا عن أصول السلوك والتأمل الصحيح في كتاب الله تعالى، و لم يخوضوا فيما لا مدخل للعقل فيه ولا تظاهره الشريعة، كما لم يطلقوا العنان لأخيلتهم حتى لا تتيه في بيداء الافتراضات الباطلة، وما ادعى أحد من هؤلاء الأجلة ومن كان على مشربهم أن حقائق التفسير هي ما قالوه أو ما ذهبوا إليه أو أن ما أشاروا إليه هو المقصود ابتداء وبالأصالة، لأنهم إن قالوا بهذا فقد حملوا ألفاظ القرآن الكريم على معان (لا تعرفها العرب مدلولات لهذه الألفاظ، لا بالوضع الحقيقي ولا بالوضع المجازي المناسب، وليس في مساق الآيات ما يدل على هذه المعاني المذكورة)[3].

إن العقل وظاهر اللغة ومقررات الشريعة لم تكن في يوم من الأيام قيدا أو حجر عثرة في طريق الوصول إلى الإشارات، بل هي المعبر والوسيلة الصحيحة للوصول إلى معنى ثان مستبطن في الآيات يفيضه الله تعالى على من استقام على منهجه، وقل من خرج على الناس بإشارات صحيحة مقبولة وهو بمنأى عن هذا المسلك وهو الطريق الذي يرى فيه العارف من أصحاب الإشارة (الفعل الإلهي

---

[1] - انظر تفسير سورة النور.ص: 207

[2] - مناهل العرفان. ج2.ص: 93

[3] - التفسير والمفسرون. ج2.ص: 51

في كل حركة كونية من حبة الرمل في الصحراء إلى السماء المرصعة بالنجوم) [1]، ليخرج على الناس بأقوال فيها مخالفة أحيانا لما ألفوه في وعيهم وتجاربهم اليومية الموافقة لقوانين المنطق وإملاءات العقل، وتجارب تجاوز الذات وتعلو على المعهود[2].

إنّ محاولة إحاطة الانسان وإشرافه على كل شيء ومعرفته لكل أمر ضرب من ضروب طلب الربوبية بعقل لا يرتاب ذو عقل أنه (لديه القدرة على معرفة التصورات واستخلاص الكل من الجزء ولكن هذا لا ينفي القول بأن للعقل حدوده في المعرفة كما أن للحس أيضا حدوده) [3].

فلا أدري كيف يتأتى لعاقل أن يقبل قول من قال في تفسير الباء من البسملة: (توجد "الباء" في كل سورة للزوم البسملة حتى سورة "براءة"، فإن الباء أول حرف فيها، فكل القرآن في الفاتحة، وهي في البسملة، وهي في الباء، وهي في النقطة، فكذلك الحق سبحانه وتعالى- مع كل أحد بكماله لا يتجزأ ولا يتبعض، فالنقطة إشارة إلى ذات الله تعالى الغائب خلف سرادق كبريته في ظهوره لخلقه، ألا تراك ترى النقطة، ولا تحسن تقرأها ألبتة لصمونها وتنزيهها عن التقييد بمخرج دون مخرج)[4].
وقد ذكروا لهذا "المعنى" خبرا عن رسول الله ﷺ[5].

والمقطوع به أو كالمقطوع به أن نقط الحروف أتى عليه حين من دهر نزول القرآن الكريم لم يكن شيئا مذكورا، بل هو مما تواضع الناس عليه وأحدثوه بعد ذلك لداع دعا إليه.

وقد ذكر غير واحد من العلماء منهم "عبد القاهر البغدادي" في "الفرق بين الفرق" أن البحث

---

[1] - التصوف والفلسفة. ولترستيس(ت: 1969م). ص: 6.مكتبة مدبولي-القاهرة. ترجمة وتعليق وتقديم: د: إمام عبد الفتاح إمام.

[2] - السابق .ص: 19.

[3] - الاتجاه الاشراقي في فلسفة ابن سينا.د: مرفت عزت بالي.ص: 268.دار الجيل-بيروت. 1414هـ-1994م.
- وانظر ما قال الشاطبي في "الاعتصام" ج2.ص: 349 - دار الرياض ط1/1416هـ-1996م. تحقيق وتخريج وتعليق: د:مصطفى أبو سليمان الندوي .
- وانظر في المعنى ذاته: الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية- تفسير القرآن العظيم للطوفي(نجم الدين أبوالربيع سليمان بن عبد الكريم الصرصري الحنبلي(ت 716هـ)ص: 14 .

[4] - البسملة بين أهل العبارة وأهل الإشارة.ص: 112. والنص منقول عن " الجيلي " كما سيأتي .

[5] - وانظر: الخبر بتمامه في " البسملة بين أهل العبارة وأهل الإشارة . ص: 108 . وقد ذكر الأخبار " الجيلي " في "الكهف والرقيم " .

عن معاني حروف الهجاء وما شابهها مسلك من مسالك الباطنية، وما نحن فيه شبيه به، بل ربما كان أشد منه، وغايتهم من هذه التأويلات (انتزاع المعتقدات الظاهرة من نفوس الخلق حتى تبطل به الرغبة والرهبة- كما يقول الغزالي) [1].

أما تفسير البسملة فالأمر فيه قريب وهين وربما وجدنا من يفسرها مع بداية كل سورة مع علمه باختلاف عدها عند الفقهاء والقراء منوع لمعانيها حتى تتماشى مع سياقها العام، فتكون دلالة بسملة سورة "النساء" متساوقة مع سياق السورة العام ودلالتها مع سورة " الأنفال" كذلك، وهكذا مع باقي سور القرآن الكريم، وهو مسلك القشيري فيها[2]، أما ما ذكر عن "الجيلي" من تفسير نقطة الباء فدخيل على التفسير، وهو من مشرب يعرفه الجيلي وأمثاله، ولا أريد أن أقول إنه كلام لا تقوم على صحته حجة لغوية أو عقلية أو شرعية، فالله أعلم بحاله[3].

والذي تقرر عند علماء التفسير وغيرهم أن من خالف ما قررته قواعد اللغة ونصوص الشرع وما استقر في العقول، ولم يكن له فيها أو في واحد منها متعلق ما يقيه مصارع السوء فهو ممن بدل دين الله وغير شريعة محمد ﷺ[4]، وألحد في آيات الله بقبوله بإفلات المعنى الجديد للآية عن تلك الحدود المرسومة، وعد ما قاله ضربا من البطالة وإن سماه صاحبه إشارة، والصواب أنه ليس إشارة، ولا مشروع القصد-كما يقول ابن خلدون[5] والمنقول عن السلف _كما يقول ابن تيمية_ هو: (أن الله جمع الكتب المنزلة في القرآن وجمع علم القرآن في المفصل وجمع علم المفصل في فاتحة الكتاب وجمع علم فاتحة الكتاب في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الفاتحة: ٥[6].

---

[1] - فضائح الباطنية .ص: 51.

- وانظر مقدمة محقق "لطائف الإشارات" للقشيري.جـ 1.ص: 26.

[2] - انظر السابق.جـ 1.ص: 26.

[3] - وانظر: الكهف والرقيم في شرح " باسم الله الرحمان الرحيم " له .ص: 13 وما بعدها . دار الكتب العلمية – بيروت .ط1 / 1424 هـ – 2004 م . باعتناء: عاصم إبراهيم الكيالي .

[4] - انظر هامش ص: 206 من كتاب "مذاهب التفسيرالإسلامي"لجولد تسيهر.

[5] - انظر: شفاء السائل وتهذيب المسائل.ص: 220، 221 .الدار العربية للكتاب.1991م .باعتناء: أبي يعرب المرزوقي.

[6] - التحفة العراقية في الأعمال القلبية .ص: 31 .

إن المطالع لمواقف كثير من المفسرين وبعض المهتمين بمناهج التفسير يجد صدودا وإعراضا وعدم قبول لهذا النوع من التفسير وإن حاز على الشروط التي قال غيرهم إنها إن وجدت فيه ـ وهي نادرة ما تكون ـ قبل بحجة أنّ الكلام إذا جرى على مقتضى الظاهر المقرر في لسان العرب وأيده شاهد من الشرع (فأين تكون الاشارة إذن, إنه التفسير البياني الجاري على السنن الصحيح !) [1] .

ثم ضرب المعرض أمثلة للاشارات المرفوضة عنده لأنها شبيهة(بالتفسير الفلسفي النظري الذي ذهب إليه ابن عربي وأضرابه, حيث لم يجر على المقاصد العربية, و لم يأت له شاهد من نص آخر ...إلى أن قال بعد أمثلة ساقها ـ والذي يقطع بشطط هذا الاتجاه أن كل مفسر من هذا الوادي يأتي بفهمه الخاص,وقد يعارضه فهم آخر لزميل لم يتجه متجهه الإشاري, فتكثر الأقوال في النص الواحد, ولا مرجح من المدلول الصحيح , وتتكاثر النقول الباطلة, وكتاب الله أحق بالصون والبعد عن المنازع فيما لم ينطق به صريحا , وإذا كان شرط الشاطبي لم يتحقق في هذه الامثلة * ونظائرها الكثيرة فهي ظاهرة الاعتساف) [2].

وقد عد "رجب بيومي" حديث عمر مع ابن عباس وما جاء في تفسيرهما لسورة "النصر" كما في صحيح البخاري من وجهة بلاغية (كناية عن قرب الموت, وهذا ليس من قبيل التفسير الاشاري الذي نراه عند المفسرين) [3].

وكذلك كان صنيعه مع آية "اليوم أكملت لكم دينكم" وما كان من فهم "عمر" لها[4]فقال:

---

[1] - التفسير القرآني لمحمد رجب بيومي.ص: 137.

*والتي منها تفسير " التستري " لقوله تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ النساء: ٣٦ .

[2] - المرجع السابق.ص: 138.

[3] - المرجع نفسه.ص: 136.

[4] - هذا الحديث رواه ابن أبي شيبة في مصنفه عن هارون بن أبي وكيع عن أبيه. باب :فيما ذكر عن نبينا ﷺ (رقم 34408).ج7.ص:88 . قال :نزلت هذه الآية ...يوم الحج الأكبر فبكى عمر فقال رسول الله ﷺ ما يبكيك يا عمر ، فقال :-

(وهذا ما يؤخذ من طريق الكناية أيضا، ولو كان التفسير الإشاري من هذا القبيل ما كان موضع النزاع (كذا) ولكنه يتعداه إلى ذوق شخصي يتصل بالمفسر ذاته دون أن تقوم الصلة الواضحة بين المشار إليه والإشارة من النص الكريم) [1] لكن رفضه لمصطلح الإشاري أجبره بحكم تكثره حتى في غير تفاسير الصوفية -كما رأينا- حمله على " ابتكار " ووضع مصطلح جديد لا أدري إن كان قد سبق إليه أم لا؟ سماه "الاستشفاف" ليبعد به مصطلح "الإشاري" عن تلك المعاني بحكم ما علق به من انحرافات طوال مسيرة التفسير، فهل "الاستشفاف" صورة بلاغية كالكناية مثلا، ووجه بياني جار على السنن العربي الصحيح؟! قال: (لدينا نوع من الاستشفاف تلهمه الآية الكريمة للواعظ الداعية ذي الإحساس الرقيق فيجود خاطره بمعان تدور حول النص ولكنها لا تتجه إليه في صميمه، ومثل هذا الاستشفاف لا يعد تفسيرا، ولكنه انفعال بأثر حي صادف روحا صافية فانطلقت تعبر عن مشاعرها لتحيي موات القلوب، ونعتبر ذلك فيضا دافقا من روح حسّاسة اطمأنت لمعاني الذكر فتفتقت عن أطايب العظات) [2] ثم ساق آية: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ البقرة: ١١٥ قائلا بعدها: (وهو نص استلهمه ابن عطاء الله السكندري فقال: "كيف يتصور يحجبه شيء..." فتلك معان جميلة استشفها ابن عطاء مستلهما قول الله : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾البقرة: ١١٥ ولكنها شيء وتفسير الآية شيء آخر بلا جدال) [3] قلت: ظهر لي – والله أعلم بالصواب- أن هذا هو التفسير الإشاري بشحمه ولحمه وروحه، ولا مشاحة في الاصطلاح، وإن كنت لا أرتضي لنفسي التحليق خارج السرب أو أكون من قاصية الغنم، ورأي الجماعة لا تشقى به البلاد رغم الخلاف ورأي الفرد يشقيها، على أن لا يكون للمعنى الإشاري الذي قيل أدنى مخالفة للشريعة حتى يكون سراجا للسالكين، فإن مخالفتها سر جميع الحجب، والحقيقة ما

-"إنا كنا في زيادة من ديننا ..." (مكتبة الرشد- الرياض .ط1 /1409ه. تحقيق : كمال يوسف الحوت .ذكره الألباني في السلسلة الضعيفة وقال : "لا يصح إسناده" (رقم 5860) .ج12.ص:782. (دار المعارف –الرياض .ط1412/1ه – 1992م) .

[1] - التفسير القرآني لمحمد رجب بيومي. ص: 136

[2] - المرجع نفسه .ص: 138، 139 .

[3] - المرجع نفسه. ص: 139.

عقد بالشريعة،وكل باطن مجرد من الظاهر باطل كما يقول "زروق"[1]، إذ المقصود من دين الإسلام والغاية من إنزاله في عقائده وشرائعه وأخلاقه موافقة الحق سبحانه وتعالى لا ما تعشقه النفس وتهواه، إلا أن يكون ما تحب –أعني النفس- موافقا لمقصود الحق[2].

إن شرط قبول الإشارة متوقف على أخذها واستنباطها من الكتاب والسنة، ملقاة بالوجه الشائع فيهما.وإلا فلا عتب على منكر استند لأصلين صحيحين، وشاهدين عدلين هما الكتاب والسنة المستكن برهانهما فيهما في وضوح لا يقبل التنازع، وبيان ينقاد إليه كل مقارع،أما الإشارة والذوق فعلمهما مقصور على ذائقه موقوف على صاحبه فلا يعم[3]، وقد قال ابن عاشور وغيره: (إن ما يتكلم به أهل الإشارات من الصوفية في بعض آيات الكتاب الكريم من معان ليست جارية على الظاهر، بل بتأويل ونحوه ما كانوا يدعون أنها تفسير، بل عنوا صلاحيتها للتمثيل بها في الغرض المتكلم فيه، ويكفي أنهم ما سموها معاني، بل قالوا إنها إشارات[4].

وهي – أي الإشارات- ليست عملية عقلية صرفة إلا في الحدود التي تضمن عدم الخروج والاقتيات على العبارة بل هي منذ البداية مقيدة ومحاطة بكثير من المعارف النقلية والعقلية حتى لا تكون انبعاثا تلقائيا محضا لا ضابط يحكمه ولا أصل يرجع إليه.على أن تلك المعارف لا تعدوا أن تكون وسائل يعبر بها صاحبها إلى المعنى الجديد فاضا بها الأغلفة الظاهرة بلا إساءة إليها[5].

وقد تقرر عند المفسرين وغيرهم (أن المعاني التي تتحملها جمل القرآن تعتبر مراده بها – كما يقول ابن عاشور)[6] ودليل ذلك أن بعض ما وصلنا عنه ﷺ من تفسير لآيات من القرآن الكريم يجعلنا (نوقن بأنه ليس هو المعنى الأسبق من التركيب، ولكنا بالتأمل نعلم أن الرسول عليه الصلاة

---

[1] – قواعد التصوف .ص: 42 .

– وانظر: القاعدة 32.ص: 44.

[2] – انظر: قواعد التصوف .ص: 96.

[3] – انظر: المصدر نفسه .ص: 180، 182

[4] – انظر: التحرير والتنوير: ج1. ص: 32.

[5] – انظر مقدمة محقق"لطائف الإشارات" للقشيري.جـ1.ص: 23، 24 .

[6] – التحرير والتنوير .ج1 . ص: 91.

والسلام ما أراد بتفسيره إلا إيقاظ الأذهان إلى أخذ أقصى المعاني من ألفاظ القرآن)[1]. وذلك حين يكون التشبيه صالحا للحمل على تمام المشابهة فيعلمنا ﷺ أن ذلك مراد منه المعنى الأقصى أو التبعي أو الثانوي أو معنى المعنى أو الثاني أو الإشاري الذي لم يمنع منه مانع صريح أو غالب من دلالة شرعية أو لغوية أو عرفية، ومن ذلك (قول النبي لأم كلثوم بنت عقبة بن معيط حين جاءت مسلمة مهاجرة إلى المدينة وأبت أن ترجع إلى المشركين فقرأ النبي قوله تعالى "يخرج الحي من الميت"فاستعمله في معنى مجازي هو غير المعنى الحقيقي الذي سيق إليه)[2] وقد ذكر ابن عاشور لهذا شواهد كثيرة في أحاديث عنه ﷺ وآثار عن صحابته الكرام استعملت فيها آيات في معنى " ثان " هو غير المعنى الحقيقي أو الأصلي أو الأسبق —كما سماه- الذي سبقت إليه الآية: كتيمم عمرو بن العاص في يوم بارد حين أصبح جنبا في إحدى الغزوات" مستدلا: " بقوله سبحانه:

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ النساء: ٢٩ (مع أن مورد الآية أصله في النهي عن أن يقتل الناس بعضهم بعضا)[3]، وكاستدلال عمر على عدم قسمة أرض السواد بآية الحشر مع أنها نازلة في فيء قريضة والنضير(والمراد بالذين جاؤوا من بعد المذكورين هم المسلمون الذين أسلموا بعد الفتح المذكور)[4].

وشبيه به استدلال الفقهاء على مشروعية الجعالة والكفالة في الإسلام بآية يوسف: ﴿ قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴾ يوسف: ٧٢ مع أن الآية في أمة خلت ليست على شريعة سماوية كما يقول ابن عاشور .

ومثلها استنباط الشافعي حجية الإجماع وتحريم خرقه من آية النساء: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ النساء: ١١٥ (مع أن السياق في أحوال المشركين، فالمراد مشاقة خاصة، واتباع غير سبيل خاص،

[1] - تفسير التحرير والتنوير.جـ1.ص: 92 .
[2] - المصدر نفسه . ج1. ص: 93.
[3] - المصدر نفسه . ج1 .ص: 93.
[4] - المصدر نفسه.ج1.ص: 94.

ولكن الشافعي جعل حجية الإجماع من كمال الآية)[1].

وهناك معنى ثان جعله ابن عاشور وغيره كابن حجر في " الفتح" دليلا على جواز التفسير الإشاري وإن تفنن — أعني ابن عاشور - في تنويع العبارة بجعله متولدا من المعنى الأول وهو من مستتبعات التراكيب مثل الكناية والتعريض والتهكم مع معانيها الصريحة ثم قال: (وهذا لا شبهة في الحمل عليه... ومن هذا القبيل ما في صحيح البخاري عن ابن عباس قال: كان عمر يدخلني مع أشيخ بدر...)[2]. الحديث.

إن المعنى الجديد إن أحاطت به شروط القبول إحاطة السوار بالمعصم فلم يند عن مردات الشريعة و لم يخرج عن مهيع الكلام العربي البليغ[3] وإن لم تسق إليه الآية أو الآيات ابتداء قبل،وهو صورة من صور تعدد المعاني في الآية وهو أمر مقرر لم يختلف فيه، ولذا قال ابن عاشور (وإنك لتمر بالآية الواحدة فتتأملها وتتدبرها فتنهال عليك معان كثيرة يسمح بها التركيب على اختلاف الاعتبارات في أساليب الاستعمال العربي، وقد تتكاثر عليك فلا تكن من كثرتها في حصر، ولا تجعل الحمل على بعضها منافيا للحمل على البعض الآخر إن كان التركيب سمحا بذلك)[4].

إن محيط المساتير في كتاب الله تعالى لا يزال واسعا،بل لأنه لا نهاية له (كلما تكشف جزء منه تبين عظم ما وراءه من مساتير)[5].

إن الرغبة في اقتحام قلاع اللغة القائمة والمألوفة ابتغاء السفر خارج الحدود طلبا للاشراقات القلبية[6] ينبغي أن يكون ثمرة من ثمرات الاستقامة، وقل أن يحصل لغير مستجيب للشرع مقتف أثر الأصفياء مهتد بهدي سيد الأنبياء متبع لأهل الفصاحة من البلغاء، فإن مخالفة هذا وعدم جريانه مع الشريعة على فهم اللسان مؤدٍّ إلى (تعطيل أحكام الشرائع وقلب أعيانها، وكل ما يؤدي إلى هدم

---

[1] - التحرير والتنوير. جـ1.ص: 94.

[2] - المصدر نفسه. جـ1.ص: 95.

[3] - المصدر نفسه. جـ1.ص: 98.

[4] - المصدر نفسه. جـ1.ص: 95.

[5] - التفكير الفلسفي في الإسلام .عبد الحليم محمود.ص: 270.

[6] - انظر: شعرية الخطاب الصوفي.ص: 62.

قاعدة من قواعد الدين أو سنة من سننه ولو في العادات كالأكل والشرب والوقاع فهو مذموم بالإطلاق) [1] لأن البعد عن الشريعة يثمر اعوجاجا في المعرفة فإن استقامت الإشارات على هذا السنن يجمعها (بين ظاهر النص ونور المعنى)[2] وحازت على هذه الشروط ثم جاءت غامضة المعنى بعيدة المرمى فلا يلتفت بعد ذلك إلى إنكار منكر لما لم يحط به خبرا لأن هذا من توابع التفاوت والتفاضل بين عباد الله في اليقين وقوة إدراك المعاني المحبوءة في كتاب الله تعالى، والتفاوت هنا والتفاضل شبيه بالتفاضل في الرزق بل هذا أكبر درجات وأكبر تفضيلا، وإن كان من الرزق باعتبار أنه مخرج للروح من ظلمة البدن وأدران الواقع والعروج بها إلى عالم النور ولذة الأنس بالله[3] وهو أعز ما يطلب . (واليقين صفاء العلم في القلب، واستقراره فيه، والناس فيه متفاوتون) [4].

لقد كان الخوف من الأخطاء في التأويل وحمل الآيات على غير محاملها دافعا قويا لوضع شروط تكبح جماح كل متأول أومشير حفاظا على (التوافق بين منطوق العبارة، وما تنطوي عليه من إشارة)[5] فالمفسر بالإشارة عليه أن يكون عباريا في إشاراته- إذا صحت هذه الصياغة —حتى يُبقي على العلاقة القائمة بين الألفاظ وما تدل عليه والتي تسوق إليها — بالإضافة إلى المعارف العلمية المعهودة — العبادات المختلفة فرضا ونفلا . والله هو المتفضل بالكرم والجود والفتوح والعرفان، وكل هذا لا يمنع الإشاري من الخطأ ولا يحول دون بيان زلته.فإن كونه ممن هرع إلى الله وفر إليه ملتجئا فأدركته العناية وشمله اللطف وفتح عليه بما فتح من المعارف لا يعني العصمة فإن كل أحد يؤخذ منه ويرد عليه إلا دفين المدينة ﷺ، فالإشاريون (عندما يستدلون بآية ماكانوا يقصدون تفسيرها (بالمعنى المعهود للتفسير)وإنما يهدفون بذكرها تأييد ما يذوقون وما ينظرونه بقلوبهم، وهذا من قبيل حمل النظير على النظير، وهو جائز لكنه ليس من باب التفسير، لأنهم لا يرمون إلى ذلك،وإنما ينطلقون من نور أضاء (كذا) في سويداء قلوبهم،فكانت الآية علامة دالة على ذلك، وملجأ يلجأون إليه كلما

---

[1] - المختار من كلام الأخيار".محمد بن علي بن عباس المالكي .ص21.مطبعة السعادة ط1/1398هـ -1978م.

[2] - التفسير الإشاري عند أهل السنة.ج2.ص: 641.

[3] - انظر: المرجع نفسه.ج1.ص: 17.

[4] - كتاب اللمع .ص: 369 .

[5] - التفسير الإشاري عند أهل السنة .ج1 . ص: 325.

غمرتهم هذه اللطائف ...أوكلما غالب أبصارهم نور البصيرة، فيجدون في الآية مرفأ يقيهم الضياع ومتنفسا وراحة وأمنا، فتصبح الآية إشارة لهم)[1]. من غير إبعادٍ لظاهر أو ادعاءٍ لعصمة من الخطإ إذ يبعد – إن لم يكن غير وارد – في عرف الشرع أن يجاور النور الظلمة، والهداية الضلالة، والرشد الغي، وقد علم المحققون من الإشاريين كما علم غيرهم أن الشريعة حجة حاكمة عليهم ومنار يهتدون بها إلى الحق، وشرفهم إنما يثبت بحسب ما اتصفوا به من الدخول تحت أحكامها قولا واعتقادا وعملا...فمن كان أشد محافظة على إتباع الشريعة فهو أولى بالشرف، يزيد شرفه بالمبالغة في تحكيمها، وهو دون ذلك لمن كان دون ذلك[2]. وقد عُلم أنه يمكن أن تصاغ الإشارات من غير أن يغرب صاحبها أو يلغز ملبسا على الناس[3]، بألفاظ وعبارات مرضية جاعلا من اللسان العربي المألوف مترجما لتلك الإشارات ومعبرا عن هاتيك المعاني والأذواق كما فعل غير واحد من المفسرين وغيرهم ممن كانت لهم نظرات في بعض آيات القرآن على طريقة الإشاريين كالجيلالي وابن القيم وغيرهما، فيكون الإشاري بذلك قد جمع بين لطيف المعنى وجميل العبارة بالإبقاء على المبنى اللغوي على صورته المعهودة التي تقي الإشاري السلق بالألسنة الحداد يتولى كبره قوم (إلههم هواهم، ومعبودهم سلاطينهم، وقبلتهم دراهمهم ودنانيرهم، وشريعتهم رعونتهم وإرادتهم جاههم وشهواتهم، وعبادتهم خدمة الأغنياء،وذكرهم وساوسهم، وفكرهم استنباط الحيل لما تقتضيه حشمتهم، فهؤلاء من أين يتميز لهم (حقيقة ومدلول العبارة من ضياء ونور الإشارة) أبإلهام إلهي و لم يفرغوا القلوب عن كدورات الدنيا لقبولها، أم بكمال علمي وإنما بضاعتهم في العلم مسألة إزالة النجاسة وماء الزعفران وأمثالهما، هيهات هذا المطلب أنفس وأعز من أن يدرك بالمعنى أو ينال بالهوينا، فاشتغل أنت بشأنك ولا تضيع فيهم بقية زمانك: ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ ﴾ النجم: ٢٩ - ٣٠[4].

وأخيرا فإن الطريق إلى الله سبحانه وتعالى – وليس إلا القرآن طريقا إليه – قائم على دعامتي

---

[1] – انظر: التفسير الإشاري عند أهل السنة .ج1.ص: 422.

[2] – انظر: الاعتصام للشاطبي .ج2.ص: 501.

[3] – انظر: جامع كرامات الأولياء .جـ1.ص: 38.

[4] – فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة .للغزالي .ص: 48.دار الفكر- بيروت .ط1 /1993م/تحقيق: سميح دغيم.

الظاهر والباطن فالإخلال بأحدهما مضر وقاطع لطريق الوصول.

ولعل أفضل من جعل الإشارة غير بعيدة عن العبارة في تاريخ هذا اللون من التفسير طوال مسيرته – في جملة من واءم بينهما – أربعة كانوا من أعلام زمانهم في الزهد والعبادة والعلم وطول الملازمة لها مع الاستقامة التي شهد لهم بها أكثر الذين ترجموا لهم . وهم: التستري، السلمي، والقشيري، وابن عجيبة، وهو من المحدثين مع تفاوت بينهم في الإشارة عند أهل التفسير قبولا وردا – والتفاوت في التعبير عن الإشارة عائد – كما قيل – إلى التفاوت في درجات الوصول[1].

[1] – انظر: التفسير الإشاري عند أهل السنة . ج 1. ص: 423 .

الفصل الرابع:
نماذج التفسير الإشاري العملي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: تفسير القرآن العظيم... للإمام التُستري (سهل بن عبد الله (ت:283هـ)

هو سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع التُستري المولود سنة 203هـ وقيل 200هـ وكنيته: أبو محمد (والتُستَرِي) بضم التاء المثناة من فوقها، وسكون السين المهملة وفتح التاء الثانية وبعدها راء هذه النسبة إلى تستر وهي بلدة من كور الأهواز من خوزستان يقول لها الناس ششتر – بشينين معجمتين بها قبر البراء بن مالك- ﷺ -[1] .

قال السلمي: (أحد أئمة القوم – يعني الصوفية- وعلمائهم، والمتكلمين في علوم الرياضيات والإخلاص وعيوب الأفعال)[2].

وقال أبو نعيم -بعد وصفه بـ: الشيخ المسكين، والناصح الأمين، والناطق بالفضل الرصين -: (عامة كلامه في تصفية الأعمال، وتنقية الأحوال عن المعايب والإعلال)[3]، وقال غير واحد إنه أمضى عمره كله متفرغا للعبادة، وكان من أهل السنة، (ومن شيوخ الإسلام المحمودين)[4]ووصف الهجويري[5]عباراته بالسهلة الإدراك والأيسر في الفهم على الطبائع[6] وهو عند الذهبي (شيخ العارفين)[7].

---

[1] – أفاده ابن خلكان .جـ2. ص: 430.دار صادر – بيروت . تحقيق: د: إحسان عباس .

[2] -طبقات الصوفية .ص206. دار الكتاب العربي – مصر . ط1 / 1372 ه – 1953 م . تحقيق: نور الدين شريبة .

[3] – حلية الأولياء وطبقات الأصفياء.ج10.ص: 190.

[4] -الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان .ابن تيمية.ص 87.

[5] – أبو الحسن علي بن عثمان بن علي الغزنوي الهجويري صاحب " كشف المحجوب" الذي يعد أقدم كتاب في التصوف باللغة الفارسية و أشهرها ،(ت: 468ه) ،و قيل (469ه)بلاهور ، وقد كانت فيه –رحمه الله – ميول فلسفية: وكان سنيا . انظر ما له و ما عليه في : الموسوعة الصوفية .ص: 724 وما بعدها .

[6] – أنظر: كشف المحجوب .جـ1.ص: 351/ دار النهضة العربية / بيروت -1980م .تحقيق: إسعاد عبد الهادي قنديل.راجع الترجمة: د: أمين عبد المجيد البدوي.

[7] – سير أعلام النبلاء .جـ13.ص: 370 .مؤسسة الرسالة – بيروت .ط1/1403هـ- 1983م. أشرف على التحقيق وخرج الأحاديث: شعيب الأرناؤوط.

– وانظر ترجمته في: الرسالة القشيرية .أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري .ص: 18، 19 .دار السلام –القاهرة .ط2/ 1423هـ- 2003م.

وقال المناوي (زين الدين محمد عبد الرؤوف: ت 1021هـ): (الشيخ الأمين الناصح المكين، الناطق بالعقل الرصين من أعاظم المشايخ المشهورين... حبر تجمل الإسلام بوجوده وزين طريق الصوفية بقلائد فوائده وعقوده، وكان أوحد زمانه في علوم الرياضات أخذ عنه الأكابر طبقة بعد طبقة)[1] ووصفه ابن خلكان[2] بالصلاح والشهرة وأنه في المعاملات والورع لم يكن له في وقته نظير كما كان له اجتهاد وافر ورياضة عظيمة[3].

صحب خاله "محمد بن سوار"، وشاهد ذا النون سنة خروجه إلى الحج بمكة. توفي سنة ثلاث وثمانين، وقيل سنة ثلاث وتسعين ومائتين. ورجح " السلمي " -بعد ذكره لسنتي الوفاة – الأول وقال: (وأظن أن ثلاثا وثمانين أصح)[4].

إسناده الحديث: ذكر "السلمي" في ترجمته لـ: "سهل" حديثا بسنده إلى أنس رضي الله عنه، في رجال إسناده سهل،ونص الحديث كما رواه أنس: كان رسول الله ﷺ يغزوا ومعه عدة من نساء الأنصار يسقين الماء ويداوين الجرحى)[5] والحديث ذاته ذكره الحافظ أبو نعيم في "الحلية" بالإسناد واللفظ الذي ساقه السلمي، كما ذكر الحديث ذاته من غير طريق"سهل" مع اختلاف في ألفاظ الرواية كما روى أبو نعيم حديثا آخر بسنده إلى أبي سعيد الخدري وفي رجال إسناد هذا الحديث "سهل"[6].

ومما روى عنه في باب العبادات والاقتداء بالنبي ﷺ والحض على العلم قوله – رحمه الله- كما روى ذلك الحافظ أبو نعيم بسنده إليه قال- معددا لأركان الدين-، وذكر منها (... والاقتداء بالنبي

---

[1] – طبقات الصوفية –الكواكب الدرية في ترجمة السادة الصوفية .الطبقات الكبرى .جـ1.القسم الثاني.ص: 633.دار صادر – بيروت.ط1/ 1999م .تحقيق: محمد أديب الجادر.

[2] – هو أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان البرمكي الإبلي ، أبو العباس (ت : 681ه) ،انتقل إلى مصر فأقام فيها مدة ، سافر إلى دمشق وولي التدريس بها ، يتصل به نسب البرامكة .

- انظر ترجمته في : وفيات الأعيان .ج1/ ص: 1 ، الأعلام . ج1/ ص: 220 .

[3] – انظر: وفيات الأعيان وأنباء الزمان .جـ2.ص: 429.

[4] – طبقات الصوفية.ص: 206.

[5] – المصدر نفسه.ص: 207.

[6] – انظر."الحلية".جـ10.ص 211.

ﷺ والاستعانة بالله على ذلك إلى الممات) [1] وقال أيضا كما في "الحلية": (لا معين إلا الله ولا دليل إلا رسول الله، ولا زاد إلا التقوى، ولا عمل إلا بالصبر عليه) [2].

ونقل"أبو عبد الرحمن السلمي " بسنده إلى "سهل" قوله: (الذي يلزم الصوفي ثلاثة أشياء: حفظ سره، وأداء فرضه، وصيانة فقره)[3] كما روى عنه بالإسناد المتصل أنه قال: (أصولنا سبعة أشياء: التمسك بكتاب الله تعالى، والاقتداء بسنة رسوله ﷺ وأكل الحلال، وكف الأذى، واجتناب الآثام، والتوبة، وأداء الحقوق)[4] وفي باب الحض الصريح على العلم ما رواه الحافظ أبو نعيم بالسند المتصل إلى "سهل"قوله: (الدنيا كلها جهل، إلا العلم فيها، والعلم كله وبال إلا العمل به، والعمل كله هباء منثور إلا الإخلاص فيه، والإخلاص فيه أنت منه على وجل حتى تعلم هل قبل أم لا؟)[5] وروى عنه أيضا في هذا الباب قوله: (ما أعطي أحد شيئا أفضل من علم يستزيد به افتقارا إلى الله) [6]. وقال أيضا كما روى أبو نعيم: (الهجرة فرض إلى يوم القيامة: من الجهل إلى العلم ومن النسيان إلى الذكر...)[7] ونقل ابن حميس الموصلي (الحسين بن نصر بن محمد ت: 552هـ)[8] أن "سهلا" قال: (لا يشم رائحة الصدق عبد داهن نفسه أو داهن غيره) [9].

ونقل أيضا أنه – رحمه الله – سئل عن الفتوة فقال: (الفتوة اتباع السنة) وقال كما في "مناقب

---

[1] – طبقات الصوفية.ج10. ص: 192.

[2] – المصدر نفسه .ج10. ص: 198.

[3] – المصدر نفسه.ص: 208.

[4] – المصدر نفسه.ص 210.

[5] – الحلية.جـ 10.ص: 194.

[6] – المصدر نفسه.جـ 10.ص: 195.

[7] – المصدر نفسه.جـ 10.ص: 197.

[8] – من بني حميس الكعبي الموصلي الجهني من فقهاء الشافعية ، مجد الدين أبو عبد الله ، كان فقيها فاضلا ، أخذ الفقه عن الغزالي و غيره وولي القضاء ، صنف كتبا منها : " مناسك الحج " .

– انظر ترجمته في : طبقات الشافعية .الإسنوي .1/ 234 (رقم 442) . وفيات الاعيان .2/ 139 (رقم 188) .

[9] – مناقب الأبرار ومحاسن الأنصار في طبقات الصوفية . جـ1.ص: 205. دار الكتب العلمية – بيروت ط1/ 1427 هـ- 2006 م تحقيق: سعيد عبد الفتاح.

لأبرار" أيضا: (إن لله في كل يوم وليلة عطايا، وأعظم العطايا أن يلهمك ذكره) [1].

سئل عن الذات العلية فقال: (ذات الله سبحانه موصوفة بالعلم غير مدركة بالإحاطة،ولا مرئية بالأبصار في دار الدنيا،وهي مأخوذة بحقائق الإيمان من غير حد ولا إحاطة ولا حلول، وتراه العيون في العقبى ظاهرا في ملكه وقدرته، قد حجب الخلق عن معرفة كنه ذاته، ودلهم عليه بآياته، فالقلوب تعرفه، والعقول لا تدركه، ينظر إليه المؤمنون بالأبصار من غير إحاطة ولا إدراك نهاية) [2].

وقال كما نقل ذلك المناوي: (لا يرى في القيامة عمل بر أفضل من ترك فضول الطعام،والاقتداء بالمصطفى ﷺ في أكله)[3].

والولي عند سهل: "من توالت أفعاله على الموافقة) [4]ومن تمام المحبة عنده: أن تحب ما يحب حبيبك وتكره ما يكره، وإذا علمت أن الله قريب منك، فقد بعد عنك كل ما سواه[5].

ومن أقواله: (ما أعرف معصية أقبح من نسيان الرب)[6] وقال: (حياة القلب الذي يموت بذكر الحي الذي لا يموت) [7].

وفي تفسيره ذكر في غير موضع أن الابتداع وهجران طريق النبوة وعدم الاقتداء برسول الله ﷺ صاحبها ليس من أمة محمد ﷺ .

ففي تفسير قوله تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ المجادلة: ٢٢، (كل من صح إيمانه فإنه لا يأنس بمبتدع وبجاهه، ولا يؤاكله ولا يشاربه ولا يصاحبه، ويظهر له من نفسه العداوة والبغضاء، ومن داهن مبتدعا سلبه الله حلاوة السنن، ومن

---

[1] - جـ1.ص: 219.

[2] - مناقب الأبرار ومحاسن الأخبار.جـ1.ص: 206.

[3] - الكواكب الدرية ...الجزء الأول – القسم الثاني.ص: 637.

[4] - جـ1.ق638/2.

[5] - جـ1.ق633/2.

[6] - جـ1.ق641/2.

[7] -الكواكب الدرية .ج1.القسم الثاني .ص: 639.

تحبب إلى مبتدع يطلب عزة الدنيا وعرضا، أذله الله بذلك العز، وأفقره الله بذلك الغنى، ومن ضحك إلى مبتدع نزع الله نور الإيمان من قلبه ومن لم يصدق فليحرب) [1].

وقال في قوله سبحانه: ﴿ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ الحشر: ٢: (أي يخربون قلوبهم، ويبطلون أعمالهم باتباعهم البدع وهجرانهم طريق الاقتداء بالنبيين)[2].

وفسر "الأميين " في قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ الجمعة: ٢ بأنهم: (الذين صدقوا محمد ﷺ، نسبوا إليه لاتباعهم إيّاه، واقتدائهم به، ومن لم يقتد به فليس من أمته) [3].

وقال في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ التحريم: ٦: (يعني: بطاعة الله واتباع السنة) [4].

وسئل عن معنى قوله عليه الصلاة والسلام: القرآن حبل الله بين الله وبين عباده، فقال: (لا طريق لهم إليه إلا به، وبفهم ما خاطبهم فيه للمراد منهم به، والعمل بالعلم لله مخلصين فيه، والاقتداء بسنة محمد ﷺ المبعوث إليهم كما قال تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ النساء: ٨٠، يعني: من يطع الرسول ﷺ في سنته فقد أطاع الله في فرايضه) [5].

ويذكر بعض الذين ترجموا لسهل أنه ترك مؤلفات يدور أكثرها حول الزهد والتقشف وتربية

---

[1] - تفسير التستري.ص: 164.

[2] - المصدر نفسه .ص: 165.

[3] - المصدر نفسه .ص: 168.

[4] - المصدر نفسه .ص: 171.

[5] -المصدر نفسه .ص18 .

النفس وإصلاحها[1] ولم يبتعد في كتابه " تفسير القرآن العظيم " الواصل إلينا عن هذه المعاني، وهو – أعني التفسير المذكور – باكورة هذا اللون في التفسير. (وأول كتاب في التفسير الإشاري، فنحن، لا نكاد نجد هذا اللون من التفسير إلا في صورة فقرات مبعثرة بين أمهات المراجع الصوفية التي وضعت حتى ذلك العهد، والكتاب (التفسير) قليل الصفحات إلا أنه مع ذلك عظيم القيمة من حيث هو عمل رائد لم يسبق إليه) [2] وإن قيل إن (تفسير "الصادق" أقدم تفسير صوفي للقرآن) [3].

ويظهر أن هذا التفسير غير مشتمل على كل ما قاله" التستري"شرحا وتأويلا لكتاب الله تعالى، ذلك أن محقق الكتاب أحال على مواضع كثيرة نسبها القرطبي في تفسيره إلى "سهل" لا وجود لها في تفسيره الذي بين أيدي الناس اليوم، فلعلها منقولة عن مؤلفات أخرى لـ: "سهل"[4] والذي يقرأ هذا التفسير يجد صاحبه يذكر المعاني الإشارية جنبا إلى جنب مع المعاني الظاهرة، وربما اقتصر على المعنى الظاهر دون المعنى الإشاري أو باطن الآية –كما يسميه أحيانا – دون ظاهرها[5] وبعض المعاني والإشارات التي يوردها يمكن قبولها وإرجاعها من غير تكلف إلى السياق العام من دون معارضة شرعية أو عقلية كما يقول الذهبي[6] وبعضها (يشوبه الغموض ويكتنفه الإبهام) [7]، ويبعد أن يكون مما يشير إليه لفظ الآية أوسياقها العام كما سنرى من خلال بعض الشواهد .

-والكتاب بالإضافة إلى أنه استوعب السور كلها وإن لم يستوعب الآيات جاء غزير المادة في موضوعه إذا نظر إليه من زاوية أنه كان يمثل البدايات الأولى لنشوء هذا اللون من التفسير إن لم يكن أولها في نزوع صاحبه نحو إيراد المعاني البعيدة والإشارات اللطيفة التي ارتبطت في غالبيّتها بأهل

---

[1] -انظر: مقدمة محقق تفسير التستري.ص: 8 وما بعدها.

[2] – البسملة بين أهل العبارة وأهل الإشارة .إبراهيم بسيوني.ص: 51، 52.

[3] – التفسير الصوفي للقرآن عند الصادق – الصادقية في التصوف وأحوال النفس والتشيع.علي زيعور.ص: 121.

[4] – انظر: مقدمة محقق . تفسير التستري.ص13 وهامش 3من الصفحة المذكورة.

[5] -انظر: التفسير والمفسرون للذهبي .جـ2.ص: 381.دار إحياء التراث العربي (دار الكتب الحديثة).ط1396/2هـ – 1976م.

[6] -انظر: المرجع السابق .ج2.ص: 383.

[7] – مقدمة محقق "تفسير التستري".ص: 11.

التصوف وإن شاركهم فيها غيرهم على تفاوت بينهم[1] وقبول هذه المعاني البعيدة والإشارات المستنبطة من باطن اللفظ راجع إلى عدم معارضتها لما تقرر من شروط قبول القول في كتاب الله كانبنائها على قواعد لغوية،ومواءمتها لسياق الآية وعدم معارضتها لما يصححه النظر ويقويه الدليل[2].

إن التفسير عند "سهل" كما عند غيره من أهل الإشارة (لا يقوم على الظاهر وما يدل عليه من معان ترتبط بحقيقة الألفاظ أو مدلولاتها فحسب بل يقوم أيضا على الباطن الذي لا تتوقف معانيه عند شاطئ معلوم، فهي تتمدد وتتزايد تبعا لنضج التجربة الروحية للمتصوف) [3].

والباطن عند سهل: الفهم، ذكر هذا في مقدمة تفسيره حين قال: إن الله تعالى ما استولى وليا من أمة محمد ﷺ إلا علمه القرآن إما ظاهرا وإما باطنا، قيل له: إن الظاهر نعرفه فالباطن ما هو؟قال: فهمه،وإن فهمه هو المراد ..سمع ..هذه الحكاية الجنيد فقال: صدق سهل) [4].

والباطن الذي معناه تعدد مستويات الدلالة والمعنى للآية الواحدة، لا يعني عند سهل في الغالب تمزيق أوصال الآيات الكريمة والعبث بسياقها العام السابق واللاحق، وقطع ما بينها من مناسبات لعلمه بأن التشريع الإلهي ليس قائما على أصول موهومة وفهوم لا تنضبط، بل أسس على أصول ثابتة ودلائل واضحة مع التسليم بأن المعنى الباطن أو الإشاري (لا يكفي فيه الجريان على اللسان العربي وحده - باعتباره أصلا من الأصول الثابتة في الفهم والاستنباط - بل لابد فيه مع ذلك من نور يقذفه الله تعالى في قلب الإنسان يصير به نافذ البصيرة سليم التفكير،ومعنى هذا أن التفسير الباطن ليس أمرا خارجا عن مدلول اللفظ القرآني) [5]، لاستناد معانيه إلى رياضات روحية، وارتكازها على مجاهدات وعبادات بنيت على أصول صحيحة وممارسات شرعية (يأخذ بها الصوفي نفسه حتى يصل إلى درجة تنكشف له فيها من سجف العبارات هذه الإشارات القدسية، وتنهل على قلبه من سحب

---

[1] وانظر: مناهل العرفان .الزرقاني .ج2.ص: 85، 86.

[2] - انظر: التفسير والمفسرون .جـ2.ص: 351.

[3] منهج الطاهر بن عاشور في التفسير .نبيل أحمد صقر .ص: 240.الدار المصرية .ط1/1422 هـ - 2002م.

[4] تفسير التستري .ص: 19.

[5] - التفسير والمفسرون .جـ2.ص: 357.

الغيب ما تحمله الآيات من المعارف السبحانية)[1]، وهي معارف ومعان مستنبطة من آيات القرآن التي (لا تقف عند الحد الذي تصل إليه مداركنا القاصرة بل هي أمر فوق ما نظن وأعظم مما نتصور)[2] لأنها تخاطب القلب (ولغة القلب لا تدرك بوصف أو بلفظ، وإنما يدركها ذو قلب متذوق،ولذلك لا تحيط بالتعبير عن لغة القلب العبارة، وإنما يعبر عنها بالإشارة فهي تلويح للمراد، لا إفصاح عنه لعدم قدرة الألفاظ عن (كذا) تحمل المراد)[3]. ذلك أن مصدره الغيبي المفارق يجعله يسمو ضرورة على دلالات اللغة البشرية المعتادة فلن يكون بوسعها استيعابه وهو بهذه المثابة وإن كان امتدادا طبيعيا للمعنى اللغوي لا رادا له أو مجاوزا لدلالته المعتبرة في أصل اللغة .وإلا أصبحت الإشارة تحريفا للكلم عن مواضعه، خارجة عن حدود الكلمة عند أهلها ولا مسوغ لهذا في أي من لغات الدنيا[4].

فالسمو على دلالات اللغة البشرية المعتادة لا يلغي الوضوح والبيان والفهم المباشر الذي تتّسع له لغة البشر المألوفة، كما يقر هذا السمو ويرسّخ تفاوت الناس وتباعدهم في إدراك معانيه المتجددة أبدا والجهتان بينهما تضافر وتضايف لا تنافر واختلاف[5]. وعليه فإن ما كان قائما من المعاني الإشارية على هذه الركائز فلا وجه لرده ولا مبرر لإنكاره، فإن خرج عن هذا خرج عن الاعتبار.

وقد عمل القوم في تفاسيرهم ومؤلفاتهم الأخرى كل ما أوتوا من جهد على إيجاد مستند شرعي لاتجاههم الذوقي الإشاري في تفسير القرآن الكريم فاتكأوا أحيانا على أدلة صحيحة، واعتمدوا أحيانا أخرى على آثار لم ترق إلى ما ذكر سعيا منهم للوصول إلى معان ظنوها صحيحة، (ولعل ما يشهد لهم في ذلك —في نظرهم — هو عدم وجود مانع عقلي أو شرعي يمنع من إبداء تفسير الآية القرآنية على وجه لم يسبق أن أتى به الأولون إذا لم يعارض أصلا تشريعيا، ولذلك قال "

---

[1] – التفسير والمفسرون .جـــ2.ص: 352.

[2] – المرجع نفسه .جـــ2.ص: 356.

[3] –مقدمة محقق لطائف الإشارات.للقشيري.ج1.ص05.

[4] – انظر: إسلامية المعرفة مجلة فكرية فصلية محكمة يصدرها المعهد العالمي للفكر الإسلامي.ص: 24. السنة التاسعة، العدد 1425/36هـــ2004م .عنوان المقال: "في التصوف المقارن-ملاحظات منهجية-للدكتور: عرفان عبد الحميد، ص9.

[5] –انظر: إسلامية المعرفة. ص:24.

الفخر الرازي "في تفسيره لقوله تعالى: "فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة: "فثبت .. أن المتقدمين إذا ذكروا وجها في تفسير الآية فذلك لا يمنع المتأخرين من استخراج وجه آخر في تفسيرها، ولولا جواز ذلك لصارت الدقائق التي استنبطها المتأخرون في التفسير مردودة باطلة، وذلك لا يقوله إلا مقلد خلف)[1].

وأكثر ما ذكره التستري مما يمكن قبوله من غير تكلف لاتساع جلد اللغة لأكثر ما ذكر وعدم معارضته للشريعة بالإضافة إلى أنك حين تقرأ ما كتب في تفسيره لا تكاد تجد أثرا لعصبية مذهبية- وإن لم تكن المذاهب زمنه قد استبحرت- لأن هذا اللون من التفسير مستقى من منابع صافية ترفع صاحبها عن الخصومات المختلفة (وتلقي به في بحار المعرفة الباطنية التي لا تبقي ولا تذر من آثار الأشكال والألوان والصور) [2].

وتفسير التستري مع كونه إشاريا إلا أنه جاء مشتملا على روايات كثير من الصحابة، كأبي بكر وعمر وعلي وابن عباس كما روى عمن جاء من بعدهم كالحسن البصري وأويس القرني[3]وسفيان الثوري ثم يتبع الرواية عنهم بالإشارة، والرواية عن هؤلاء وغيرهم مشعرة بأن الإشارة مشدودة معانيها إلى تلك الروايات وهو جانب يضفي نوعا من الطمأنينة على تلك الإشارة ويفتح لها باب القبول عند حراس معاني القرآن الكريم[4].

وتظهر معان ذكرها تفسيرًا لآيات كثيرة أنه –رحمه الله- كان مستقيم العقيدة محمود الطريق لا

---

[1] - الشيخ أحمدبن عجيبة ومنهجه في التفسير .حسين عزوزي .جـ2.ص: 273.وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – المملكة المغربية /1422هـ-2001م.

– وانظر: النص في " تفسير الفخر الرازي للآية المذكورة . ج9 . ص: 184 . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

[2] - التفسير الإشاري عند أهل السنة .جـ2.ص: 603.

[3]- أصله من اليمن ، أدرك حياة النبي ﷺ و لم يره ، خير التابعين و سيد العباد ، وعلم الأصفياء و الأولياء من الزهاد ، سكن الكوفة، يتلو القرآن بمجهول في الأرض ، معروف في السماء (ت:37ه) .

-انظر ترجمته في : سير أعلام النبلاء . 19/4 ،صفة الصفوة .24/2- 32 (رقم 398) ، الكواكب الدرية .1/ القسم الأول .210-215 .(رقم 44) .

[4] - انظر: المؤلفات الرئيسية في التفسير الإشاري عند أهل السنة . صالح الداسي.ص: 46.دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة- دمشق – سوريا /ط1/2010م.

غنى له عن مولاه في هذه الدنيا ويوم القيامة فقد قال في تفسير قول الله سبحانه في سورة"التحريم": ﴿ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ التحريم: ٨: (لا يسقط الافتقار إلى الله عز وجل عن المؤمنين في الدنيا ولا في العقبى، هم في الجنة أشد افتقارا إليه، وإن كانوا في دار العز والأمن والغنى لشوقهم إلى لقائه)[1] ولا شك أن "سهلا "ومن سلك طريقه كانوا (يرون من الإهانة والاحتقار لأنفسهم أن تكون أقوالهم ومعتقداتهم مقتبسة من الوثنية اليونانية، أو من الفلسفة الهندية والبوذية، أو أن تكون تقليدا للمسيحية أو تشربت بالرهبانية، بل يقولون: إن التصوف (وما يثمره من إشارات) إنما هو لباب باطن القرآن والأحاديث النبوية)[2]، إذ من معينهما الصافي ينهل كل عارف ومن بحر جودهما وحده يروى كل وارد، فالقرآن لا يزال (روضة يانعة، ودوحة جامعة، حتى كأن الآخذ منه زاد (كذا) فيه ...غضا طريا في كل عصر وأوان، فحاله في السابق كحاله الآن في استلهام المعاني القريبة الظاهرة والإشارات البعيدة الخفية)[3] التي يطلّ من خلالها المؤمن على مواطن الاطمئنان الذي يجد فيه برد السكينة واليقين، لأن الإشارة الصحيحة نفحة سماوية تقطع الطريق أمام نزعات الهوى ووساوس الشيطان[4].

لقد كان تركيز "التستري" في تفسيره -عبارة وإشارة- على الجانب العملي السلوكي شديدا حتى غدا أشبه بمجموعة من النصائح مستمدة من القرآن وموجهة إلى من كان يصغي لنصائحه ويحضر مواعظه[5]الأمر الذي جعل من إشاراته تنحو في معظمها منحى تزكية النفس وتهذيب السلوك، مطبوعة بطابع الترغيب تارة والترهيب أخرى، مع الدعوة إلى التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل مشفوعة بحكايات الصالحين وأخبارهم لتعزيز ما يسوق من إشارات ومعان خفية موجزة

---

[1] - تفسير التستري.ص: 171.

[2] - التفسير الإشاري عند أهل السنة.جـ1.ص: 37، 38.

[3] - البحر المسجور في تفسير القرآن بمحض النور. أحمد بن مصطفى العلاوي المستغانمي .ص: 9.المطبعة العلاوية -مستغانم-الجزائر .ط1.

[4] - انظر: التصوف والمتصوفة في مواجهة الإسلام، ص: 90.

[5] - انظر: الإمام القشوري - سيرته - آثاره -مذهبه في التصوف .إبراهيم بسيوني .ص: 56. منشورات المكتبة العصرية- صيدا - بيروت /1392هـ- 1972م.

مقتضبة دقيقة ولطيفة يعز نظيرها[1] ومن ذلك تفسيره لقوله تعالى: " ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ الكهف: ٣٠ حيث قال: (حسن العمل: الاستقامة عليه بالسنة، وإنما مثل السنة في الدنيا مثل الجنة في الآخرة، ومن دخل الجنة سلم. كذلك من لزم السنة في الدنيا سلم من الآفات)[2].

والمعنى وإن لم يكن إشاريا خالصا بل وسطا بين العبارة والإشارة – إن أحسنتُ الفهم- إلا أنه من أنفس ما قيل في الاتباع،ولذا علق عليه الشيخ عبد الحليم محمود بقوله: (وهو – يعني معنى الآية المذكور من أجمل ما كتبه سهل في الإتباع)[3].

ولعل مرد استقامة الإشارة عند "سهل" عائد إلى أن الحلة الصوفية التي لبسها أوائل النساك من أمثال الجنيد والحسن البصري ورابعة والفضيل بن عياض وإبراهيم بن أدهم[4]والتستري وغيرهم من أفاضل أهل الله كانت سنية خالصة لم يصبها ما أصاب الطريق بعد رحيل الرعيل الأول حين تسلل إليه الدخيل واختلط الأصيل الصحيح بالغريب الفاسد فغدت الحلة مزيجا بين هذا وذاك[5].

إن الإشارة الفاسدة الكاذبة التي لا تشهد لها اللغة لا بمعناها الحقيقي ولا بمعناها المجازي، ولا يؤيدها شرع ولا يصححها عقل انبجست وانبثقت من محل منحرف واستفيدت من نظريات مذهبية أو أصول فلسفية.

وقد فرق الناس بين إشارة أو باطن فاسد، وإشارة أو باطن صالح في التفسير الصوفي الإشاري

---

[1] – انظر: الشيخ أحمد بن عجيبة ومنهجه في التفسير .حسن عزوزي.جـ2.ص: 44، 45.

[2] – تفسير التستري.ص: 98.

[3] – العارف بالله سهل بن عبد الله التستري.ص: 63، 64.. مكتبة دار السلام الوادي – الجزائر.

[4] – هو أبو إسحاق من أهل بلخ ، كان من أبناء الملوك و المياسير ، خرج إلى مكة و صحب بها سفيان الثوري ، و الفضيل بن عياض،(ت : 161ه) .

– انظر ترجمته في : طبقات الصوفية .الطبقة الأولى .(رقم 3) .ص: 27 . حلية الأولياء .7/ 426 – 452 (رقم 394) .الرسالة القشيرية .8 . الكواكب الدرية . ج1 .القسم الأول . 195 – 206 (رقم 40) .

[5] – انظر: منهج أهل السنة في تفسير القرآن الكريم – دراسة موضوعية لجهود ابن القيم التفسيرية- صبري المتولي، ص: 271. دار الثقافة والنشر والتوزيع- القاهرة .1406هـ – 1986م.

العملي، ذلك أن كلا منهما يحدث غالبا عند الاجتهاد في العبادة، وعلى ضوء هذه العبادة يكون التحديث أو الإلهام .فإن كان الاجتهاد بدعيّا كان التحديث أو الإلهام شيطانيا فيمتلئ القلب بالمواجيد الفاسدة التي تقود إلى إشارة كاذبة .

وأما إن كان على سنن صحيح فإن الإلهام أو التحديث ملكي رباني، فيمتلئ قلب صاحبه بالأذواق والمواجيد الصحيحة الصالحة التي تقود إلى إشارات ولطائف صادقة، ومن صحت بدايته صحت نهايته، ومن فسدت بدايته فسدت نهايته وربما هلك.

والإشارتان أو الباطنان واقعان ولا بد في كلام أو تفسير كل سالك، إذ لا عصمة لأحد من الخطأ أو الزلل، ومعيار الكمال هنا رجحان وغلبة الصلاح على الفساد .كما في كل المجالات[1] هذا إذا لم تكن الإشارة غريبة وإحالة معنى الآية عليها منكرة والباطن الذي حملت عليه الآية واضح الفساد، فإنها في هذه الحالة ترد كائنا من كان من قالها[2]، حتى نحافظ بهذا على الإشارة الصحيحة،ونضفي عليها صفة المشروعية، ونعتد بها من غير إلزام لأن سبيلها أصبح معبَّدا يسير فيه الإشاري وقد أمن العوائق والعلائق[3]، وكون الإشارة غير ملزمة لأن الأحكام الشرعية لا تؤخذ منها –كما هو معلوم– لعدم قيام الدليل الواضح عليها، ولأن أقصى ما يستفاد من هذا اللون من التفسير لا يعدوا المجال الأخلاقي والسمو الروحي وزيادة الإيمان وتثبيت اليقين[4] ولذا عمل التستري في تفسيره على إبراز هذه الكنوز الخفية، مستخرجا لها في الكثير من الأحيان من أعمق مكامنها دون إبعاد أو غض أو تهوين من قيمة ما يعطيه المعنى الأصلي الموجود على سطح الآية الظاهر[5].

ولأن عامة كلام التستري في تصفية الأعمال وتنقية الأحوال عن المعايب فقد فسر قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾آل عمران: ٩٧ المتعلق بالحج ووجهه هذه الوجهة، وحمل الآية على هذا المعنى البعيد الذي يبدوا كأنه لم يسبق إليه فقال: (الزاد والراحلة، ثم

---

[1] – انظر: منهج أهل السنة في تفسير القرآن الكريم . صبري المتولي .ص: 302.

[2] – انظر: المرجع نفسه.ص: 306.

[3] – انظر: منهج أهل السنة في تفسير القرآن الكريم . صبري المتولي .ص: 137

[4] – انظر: أصول التفسير وقواعده .خالد عبد الرحمن العك.ص: 209.

[5] – انظر: مذاهب التفسير الإسلامي. جولد تسيهر.ص: 268.

قال: أتدرون ما الزاد والراحلة ؟فقالوا: لا، فقال الزاد الذكر، والراحلة: الصبر.. وقد صحبه رجل في طريق مكة فلم يجد يومين شيئا فقال: يا أستاذ: أحتاج إلى قوت،فقال: القوت: هو الله.فقال: لا بد من قوت يقوم به الجسد .فقال: الأجساد كلها بالله عز وجل ...ثم قال: الدنيا هي التي قطعت المنقطعين إلى الله عز وجل . وقال: عيش الملائكة في الطاعة، وعيش الأنبياء بالعلم وانتظار الفرج، وعيش الصديقين بالاقتداء، وعيش سائر الناس (عالما كان أو جاهلا، زاهدا كان أو عابدا) في الأكل والشرب) [1] وهو مسلك في الحياة للتستري لا يلزم أحدا من المسلمين وطريقة في الحياة ألفها وراض نفسه عليها ليس له أو لغيره أن يحمل الناس عليها، وتبقى عبارة الآية وظاهرها الأجمل والأصح والأليق بالتستري وغيره من عباد الله، وقد وضح فقهاء الشريعة معنى الاستطاعة بما لا مزيد عليه .

ومن طرائف ما في تفسير" سهل " أن يوضح آية بشيء رآه في المنام كما في تفسيره لآية الكرسي، حيث قال بعد أن قرر أن هذه الآية هي الأعظم في كتاب الله –: (وفيها الاسم الأعظم، وهو مكتوب بالنور الأخضر في السماء سطرا واحدا من المشرق إلى المغرب كنت رأيته كذلك في ليلة القدر مكتوبا وأنا "بعبدان ": لا إله إلا هو الحي القيوم...فمن قال لا إله إلا الله فقد بايع الله، فحرام عليه إذا بايعه أن يعصيه في شيء من أمره ونهيه، في سره وعلانيته، أو يوالي عدوه أو يعادي وليه) [2].

وتقرير "سهل" بأن في هذه الآية الكريمة اسم الله الأعظم صحيح كما هو معلوم، أما قبول أورد منامه الذي يشبه أن يكون إشارة فموكول إليك قبوله أورده .

وفي تفسيره للفظة " الطاغوت" في الآية المذكورة، ذكر بأن المراد الشيطان ثم قال: (ورأس الطواغيت كلها النفس الأمارة بالسوء،لأن الشيطان لا يقدر على الإنسان إلا من طريق هوى النفس،فإن أحس منها بما تهم به ألقى إليها الوسوسة) [3].

---

[1] – تفسير التستري.ص: 34.

– وقد رووا عنه أنه (كان يأمر أصحابه أن يأكلوا اللحم في كل جمعة مرة، كيلا يضعفوا عن العبادة). ص: 88.

[2] – المصدر نفسه .ص: 37.

[3] – المصدر نفسه.ص: 37 .

وحمل مثل هذه الألفاظ وما شاكلها على النفس مسلك صوفي محض ربما استساغ الناس قبوله على قلة إن أحسن المفسر توجيه الإشارة لكن أغلب الإشارات في مثل هذه المواطن فاسدة ومتكلفة تحيط بها البرودة والتعسف من كل جانب، وليست هذه منها .

وشبيه بهذا وربما كان أولى بالقبول منه وأقرب إلى ظاهر الآية تفسيره لقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ فقد قال: (أي لن تبلغوا التقوى كلها حتى تحاربوا أنفسكم، فتنفقوا بعض ما تحبون، ولا إنفاق كإنفاق النفس في مخالفتها وطلب مرضاة الله عز وجل)[1].

وكثيرا ما يقرن "سهل" بين العبارة والإشارة، فيستهل تفسيره لها بظاهر معناها، وهو إقرار خفي كالصريح منه بتقديم هذا على الإشارة، ثم يردفه بباطنها كما يسميه هو كما في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾ آل عمران: ٩٦، وكما في قوله سبحانه: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ النساء: ٣٦، فقد قال في الأولى: (أي أول بيت وضع للناس بيت الله عز وجل بمكة هذا هو الظاهر، وباطنها: الرسول يؤمن به من أثبت الله في قلبه التوحيد من الناس)[2]. وقال في تفسير الثانية: (أما ظاهرها: فالجار الجنب: البعيد الأجنبي، والصاحب بالجنب: هو الرفيق في السفر، وقد قيل: الزوجة، وابن السبيل: الضيف .أما باطنها: فالجار ذو القربى هو

= وانظر: تفسيره لقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ النساء: ٧٦ ص: 54 .

- وانظر: تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ البقرة: ٢٦٠ فقد حمل القلب على "الخلة أو الخليل"، والتأويل والإشارة باطلة، وإن حاول بعضهم التماس مخرج لغوي لها لا يعرف، بالإضافة إلى أن سياق الآية العام يأبى هذا التأويل،ص: 37، 38 .

[1] - تفسير التستري. ص: 49.

[2] - المصدر نفسه .ص: 50.

القلب، والجار الجنب هو: الطبيعة، والصاحب بالجنب: هو العقل المقتدي بالشريعة، وابن السبيل: هو الجوارح المطيعة لله) [1] ولم يتبين لي شيء يحملني على قبول هذا التأويل أورده خاصة بعد أن قرر ظاهر الآيتين ومعناهما الأول وإن كانت النفس أميل إلى الرد وأكثر اطمئنانا إلى عدم قبول الإشارة لما فيها من صرف لظاهر الألفاظ على نحو يبعدها كثيرا عن المعنى الأصلي خاصة في آية "النساء "والله أعلم.

وقد يكتفي التستري أحيانا بإيراد المعنى الظاهر حين لا يبدوا له فيها باطن كما في قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾ الأعراف: ١٤٦، حيث قال في تفسيرها: (هو أن يحرمهم فهم القرآن، والاقتداء بالرسول عليه الصلاة والسلام) [2].

وهذا المعنى المذكور يظهر نفاسة الاتباع والاقتداء عند "سهل" والموفقين من أمثاله الذين كثيرا ما يتهمون "بخرق" هذا وربما أشار إلى هذه النفاسة على بعد من آية وردت في أمر كلي استل منها هو معاني جزئية يبدوا منها "سلطة "الاتباع والاقتداء و"هيمنته" على روح وقلب وعقل"سهل "كما في تفسيره لقوله سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ الأعراف: 172.

قال: (...ثلاث من علامات الشقاوة: أن تفوته الجماعة وهو يقرب من المسجد، وأن تفوته الجماعة وهو في المدينة وأن يفوته الحج وهو بمكة)[3] وقد يكتفي بباطن الآية وإشارتها من غير المرور بظاهر المعنى كما في تفسيره لقول الله سبحانه: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا

---

[1] – تفسير التستري.ص: 53.

– وانظر: الظاهر والباطن معا في تفسير "وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ". ص: 83.

[2] –المصدر نفسه، ص: 67.

[3] – المصدر نفسه .ص: 68.

–وانظر: المصدر نفسه .ص: 87 .

جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ الأعراف: ١٤٨ قال: (عجل كل إنسان ما أقبل عليه فأعرض به عن الله من أهل وولد، ولا يتخلص من ذلك إلا بعد إفناء جميع حظوظه من أسبابه، كما لم يتخلص عبدة العجل من عبادته إلا بعد قتل النفوس)[1].

ويظهر من بعض نصوص "سهل" أن مصطلحات صوفية كانت واسعة الانتشار كثيرة الاستعمال في زمانه من نحو: المشاهدة، والكشف والفناء وسواها، ففي تفسير قوله تعالى في سورة "يونس":

﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾ لقمان: ٣٢.قال: (الإخلاص هو المشاهدة)[2] وقال في تفسير: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ يوسف: ٨٦: (لم يكن حزن يعقوب على يوسف، إنما كان مكاشفا لما وجد من قلبه الوجد على مفارقة يوسف فقال: كيف يكون وجد فراق الحق عز وجل، وقد عمل بمفارقة مخلوق كل هذا فشكى بثه وحزنه إلى الله تعالى لا إلى غيره)[3] ونفي حزن يعقوب على يوسف كما يذهب إلى هذا "سهل" منفي لأن الآيات أثبتته وتكرر هذا أكثر من مرة فقد جاء في السورة على لسان يعقوب (قال: ﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴾ يوسف: ١٣ وجاء فيها أيضا على لسانه وقال: ﴿ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ يوسف: ٨٤ ومع الإقرار بأن من فقد الله ما وجد شيئا في دنياه لا أبا ولا أما ولا ابنا ولا سواهم، وسياق السورة كله سياق حديث عن صنف من البشر مصطفين أخيار يقينهم في الله واقع قبل وأثناء وبعد

---

[1] - تفسير التستري.ص: 67.

[2] - المصدر نفسه. ص: 76.

[3] - المصدر السابق .ص: 82، 83 .

- وانظر: تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾ مريم: ٥٢ " ص: 99.

البلاء، وآيات السورة باد هذا فيها من أولها إلى آخرها، وأين الكشف الواقع لآحاد الناس من مقام النبوة العلي السامق، إلا أن السورة فيها تصريح بحزن يعقوب على يوسف كما مر، واطراح يعقوب بين يدي الله، وعرض ما ألم به من ألم على مولاه طبيعة فيه وفي ابنه وفي أبيهما قبلهما عليهم جميعا الصلاة والسلام.

ومن الشائع عن الصوفية استخفافهم بالعقل والحط من قدره لكن "سهلا" قال مشيدا بمكانة العقل رافعا لرايته وهو يفسر قول الله تعالى: ﴿ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ النحل: ١١ (...واعلم أن الله تعالى لما أراد إظهار علمه أودع علمه العقل، وحكم أنه لا يصل أحد إلى شيء منه إلا بالعقل فمن فاته العقل فقد فاته العلم)[1]، إلا أن يقحم العقل نفسه فيما لا طاقة له به، أو يشتغل بما لا يصح أن يشتغل به (كاشتغاله بتدبير الدنيا)[2] كما يقول "سهل"، وهي الأمور التي قام بها غيره عنه مما لا يستطيع هو أن يقوم بها لنفسه،فهذا عمل للعقل لا يقبله عاقل لأنه بمعزل عن العقل وطور وراء طوره،ولن يغيّر الاشتغال به من الأمر شيئا، وقد سئل عن العقل فقال: (العقل حسن النظر لنفسك في عاقبة أمرك) [3].

ومن الآيات التي حملها على غير ظاهرها وعمد إلى تأويلها تأويلا يبعدها عن سياقها العام الذي يتحدث عن تعداد المخلوقات ومنها الإنسان،ما جاء في تفسيره لقوله سبحانه: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلۡخَلۡقِ غَٰفِلِينَ ﴾ المؤمنون: ١٧ قال: (يعني الحجب السبعة التي تحجبه عن ربه عز وجل، فالحجاب الأول عقله والثاني علمه، والثالث قلبه،والرابع خشيته، والخامس نفسه، والسادس إرادته، والسابع مشيئته.فالعقل باشتغاله بتدبير الدنيا، والعلم بمباهاته مع الأقران،والقلب بالغفلة والخشية بإغفالها عن موارد الأمور عليها، والنفس لأنها مأوى كل بلية، والإرادة إرادة الدنيا

---

[1] - تفسير التستري. ص: 90. وانظر تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ﴾ الكهف: ٢١، فقد قال فيها: (... وباطنها – يعني الآية- نفس الروح، وفهم العقل، وفطنة القلب بالذكر لله عز وجل) ص: 97.

[2] - المصدر نفسه .ص: 110.

[3] -المصدر نفسه.ص: 152.

والإعراض عن الآخرة،والمشيئة بملازمة الذنوب)[1].

ولم يكن شيء ألمن ولا أغلى من الاتباع والاقتداء وملازمة الشريعة عند "سهل" كما قلنا ولذا حمل كثيرا من آيات الكتاب الكريم على ذلك فقد قال في تفسير قوله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴾ العنكبوت: ٢١: (يعذب من يشاء "بمتابعة البدعة "ويرحم من يشاء" بملازمة السنة)[2] ويظهر لي أنه لم يبتعد كثيرا عن معنى الآية الظاهر فإن العذاب كل العذاب أن تقتفي آثار من اتخذ إلهه هواه وإن ألذ من اللذة أن تستمسك بالذي أوحى إلى محمد ﷺ فهو العروة الوثقى التي لا انفصام لها لأنه لا عصمة ولا نجاة إلا فيه.

---

[1] - تفسير التستري.ص: 110وانظر: تفسيره لقوله سبحانه: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾ الشعراء: ٧٨ ص: 115. وانظر تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓاْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ النمل: ٥٢ فقد قال: (الإشارة في البيوت إلى القلب، فمنها ما هو عامر، ومنها ما هو خرب بالغفلة،ومن ألهمه الله عز وجل بالذكر فقد خلصه من الظلم) ص: 116.

-وانظر أيضا تفسيره لقوله سبحانه: ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ النمل: ٨٨ ص: 117.

وانظر: أيضا تفسيره لقوله سبحانه في سورة الروم: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ الروم: ٤١ ص: 121.

-وانظر قوله تعالى: ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾لقمان: ٢٠ ص: 122.

-وانظر تفسيره لقوله سبحانه: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ الحجرات: ٩ فقد قال: (ظاهرها ما عليه أهل التفسير، وباطنها هو الروح والعقل والقلب والطبع والهوى والشهوة،فإن بغى الطبع والهوى والشهوة على القلب والعقل والروح فليقاتله العبد بسيوف المراقبة وسهام الطاعة، وأنوار الموافقة ليكون الروح والعقل غالبا، والهوى والشهوة مغلوبا) ص: 149.

- وانظر: تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴾ الطور: ٤ ص: 155.

- وانظر: تفسيره لـ: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ النجم: ١ ص: 156.

[2] - المصدر نفسه .ص: 120.

- وانظر: تفسيره لقوله سبحانه في سورة النحل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ النحل: ٩٠ ص: 92

وأختم شواهد الإشارة في تفسير التستري بما ذكره في قوله سبحانه: ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ التغابن: ١٥، فقد قال: (إن أعطاك الله المال تشاغلت بحفظه، وإن لم يعطك تشاغلت بطلبه، فمتى تتفرّغ له ؟!)[1] ، وبما ذكره في تفسيره قوله سبحانه: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾ الطلاق: ٣ حين قال: (اطرح ما في الجيب يأتك ما في الغيب) [2] نخلص إلى أن "سهلا" لم يشرد في إشاراته كما شرد الذين جاؤوا من بعده، فقد كان في أكثر إشاراته رائحة العبارة والمعنى الظاهر، وكثيرا ما كان يذكر آية أخرى يؤكد أو يستأنس بها للمعنى الإشاري الذي يورده أو يستند إلى حديث نبوي شريف يدعم به ما أشار إليه بصرف النظر عن صحة الحديث أو نزوله عن هذه الدرجة عند النقاد، ويتخلل تفسير الآية عند " سهل" توظيف واستعمال ما سماه البعض: مصطلحات الصوفية، كالتوكل، واليقين والتقوى والإيمان ...وغيرها، وهي ألفاظ وتعبيرات قرآنية عرفها أهل الشريعة قبل أن يظهر التصوف كتيار له أهل وأتباع ومؤلفات وطرق ...إلخ.

ولا يستغرب أن نجد بعض الإسرائيليات وحكايات الصالحين في تفسير "سهل"، فقد تغيا -رحمه الله-، من وراء نظره في آيات الكتاب الكريم (إلى إصلاح النفوس وترقيتها والتخلق بأخلاق العارفين بالله) [3] وربما وجد في روايات أهل الكتاب ما يستأنس به للمعنى الظاهر أو الإشارة الباطنة فأثبته. و"سهل" بهذا الاعتبار ليس بدعا، فقد وجد هذا في تفاسير كبار الحفاظ والمفسرين كالطيالسي[4] والطبري والبغوي وغيرهم، فما يقال في هؤلاء يقال في "سهل"، وفرق بين من يورد هذا للاستئناس وبين من يذكره للاستدلال.

ويحسب للرجل أخيرا أنه لم يحم حول ما يخدش دينه من نحو الحلول والاتحاد والولاية على

---

[1] - تفسير التستري.ص: 169.

[2] - المصدر نفسه. ص: 170.

[3] المؤلفات الرئيسة في التفسير الإشاري عند أهل السنة .صالح الداسي .ص: 54.

[4] - هو سليمان بن داود بن الجارود أبو داود ، من كبار حفاظ الحديث فارسي الأصل ، كان يحدث من حفظه ،له (مسند) .
- انظر ترجمته في : تذكرة الحفاظ .1/ 257 (رقم 340) ، سير أعلام النبلاء . 9 / 378 (رقم 123) ، الأعلام .3/ 125.

النحو الذي وقع فيه أناس جاؤوا بعد عصره، ولعل مردّ ذلك الابتاعُ والاقتداء وقرب عصره من القرون الخيرة، إذ كيف يخوض في هذه وهو القائل: (لا يرفع الحجاب عن العبد حتى يدفن نفسه في الثرى؟ قيل له: "كيف يدفن نفسه في الثرى؟" قال: يميتها على السنّة، ويدفنها في اتباع السنة، لأن كل شيء من مقامات العابدين مثل: الخوف والرجاء والحب والشوق والزهد والرضا والتوكل غاية إلا السنة فإنه ليست لها غاية ونهاية، وسئل عن معنى قوله: " ليست للسنة غاية " متى بن أحمد" فقال: لا يكون لأحد مثل خوف النبيﷺ أو حبه أو شوقه أو زهده أو رضاه أو توكله أو أخلاقه وقد قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ القلم: ٤[1].

إن مطابقة الآية في إشارتها إلى ما يقابلها في عبارتها وظاهر معناها وتنزيلها عليها، تساهل بعض الناس في قبولها و لم يروا بأسا في ذلك بشرط أن لا يُرفَع الفهم الظاهر الأول لأنه على هذا النحو نازل، كحمل بعض الألفاظ على القلب أو النفس أو سواهما، وإن لم تنزل بالأصالة لذلك، وهذا هو المسلك العام الذي يميز " تفسير القرآن العظيم " لسهل بن عبد الله التستري[2].

[1] – تفسير التستري .ص: 98.

[2] – انظر: نماذج من تفسير "سهل" في " المؤلفات الرئيسة في التفسير الإشاري عند أهل السنة .صالح الداسي .ص: 137 وما بعدها.

المبحث الثاني: حقائق التفسير... للإمام أبي عبد الرحمان السلمي.

(محمد بن الحسين بن موسى الأزدي ت: 412 هجري)

كان العالم الإسلامي في الفترة التي عاش فيها السلمي قسمة بين العباسيين في أكثر أمصاره المشرقية والفاطميين في شمال إفريقيا بما في ذلك مصر وفرع بني أمية في الأندلس، ولم يكن جناحه المشرقي القريب من حاضرة الخلافة العباسية بغداد مهيمنًا عليه بالقدر الكافي فقد كانت الإرهاصات الأولى لأفول شمس العباسيين تلوح في الأفق وضعف قبضتهم على مساحات الدولة المترامية الأطراف تتضعضع وتضعف، والتفكك والانقسام يتسلل إلى جسمها المنهك بجراح الخلافات والمؤامرات .لكن هذا الوضع ونشوء هذه الممالك وسواها لم يكن ليضع حواجز بين أجزاء العالم الإسلامي مشرقا ومغربا، فقد ظل التواصل بينها حقا طبيعيا لكل مسلم تهفو نفسه إلى أن يشرّق أو يغرّب وربما عد هذا من الأسباب القوية التي كانت وراء عدم جمود تيار التفكير الإسلامي، بل كان كما قيل: (بشير ازدهار فكري وتسابق حضاري، قلما يشهد المرء له نظيرا في تاريخ الحضارات)[1] فطلاب العلم وأهل التجارة كانت حواضر التعليم وكبرى المدن التجارية في طول العالم الإسلامي وعرضه مفتحة الأبواب فأخذ المشرقي التعليم عن المغربي، وتبادل التجارة المغربي مع المشرقي، ولم يقف التفكك السياسي دون التواصل بين أجزاء العالم الإسلامي ألبتة.

في هذه الأجواء السياسية والعلمية وفي واحدة من أهم مدن خراسان ذات المركز الهام في الخلافة الإسلامية وأشهرها وهي "نيسابور" ذات الفضائل الجسيمة معدن الفضلاء ومنبع العلماء، لم أر فيما طوفت من البلاد مدينة كانت مثلها-كما يقول ياقوت الحموي -(شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي البغدادي ت 626ه)[2]. ومركز من أهم مراكز التصوف في العالم الإسلامي في ذلك الوقت[3] ولد السلمي من أب وأم رضعا الزهد والورع والشهرة والجاه وحب العلم. فقد ذكر

---

[1] - مقدمة محقق" طبقات الصوفية" لأبي عبد الرحمن السلمي (ت412هـ) . مكتبة الخانجي- القاهرة . ص: 13 .ط3/ 1406هـ -1990م. ت: نور الدين شردية

[2] - معجم البلدان. جـ5.ص382. دار الكتب العلمية -بيروت .ط1/ 1410هـ- 1990م تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي.

[3] - انظر: مقدمة محقق "طبقات الصوفية ".ص: 16.

الذهبي وغيره أن السلمي استأذن أمه في الحج مع أبي القاسم النصر آباذي فقالت له: (توجهت إلى بيت الله فلا يكتب عليك حافظاك شيئا تستحي منه غدا)[1].

وقد جد في الطلب برعاية من أحاطوا به – منذ البدايات الأولى لسني عمره، فلقي الأكابر من علماء الحديث والتزكية، ورحل في طلب الحديث والتصوف وغيرهما في العراق والحجاز وسواهما، وممن كان لهم الأثر الواضح في حياة السلمي: الحافظ الدار قطني، وأبو نصر السراج صاحب "اللمع" وأبو القاسم النصرآباذي[2]، وأبو نعيم[3]الحافظ صاحب" الحلية" وشيخ الشافعية في زمانه: أبو بكر القفال الشاشي[4]، وغيرهم من سادات الدنيا علما وعملا في نيسابور وغيرها من حواضر العلم وقتذاك.

أما أشهر تلامذته وأسيرهم ذكرا:

فأبو بكر البيهقي الحافظ الفقيه، وعبد الله بن يوسف[5]والد إمام الحرمين الجويني، وأبو القاسم

---

[1] – سير أعلام النبلاء. جـ17. ص: 249.

[2] – هو إبراهيم بن محمد بن محويه ، شيخ خراسان في وقته نيسابوري الأصل و المنشإ و المولد ، كان أوحد المشايخ في وقته علما وحالا، صحب أبا بكر الشبلي و أبا علي الروذباري أقام بالحرم مجاورا (ت : 367ه) .

- انظر: طبقات الصوفية .طبقة 5 (رقم 14) .ص: 484 ، الرسالة القشيرية .ص: 30 ، الكواكب الدرية . 2/ 13، 16 (رقم 292)

[3] – هو أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني ، أبو نعيم :المؤرخ الحافظ ، من الثقات في الحفظ و الرواية ، ولد ومات في أصبهان من تصانيفه : "الحلية : و " معرفة الصحابة " ، " دلائل النبوة" وغيرها (ت : 948 ه) .

- انظر : الوفيات . 1/ 91 (33) ،طبقات الشافعية .ابن السبكي . 4/ ص: 18 وما بعدها . الأعلام 1/ 157 .

[4] – هو محمد بن علي بن إسماعيل الإمام أبو بكر الشاشي الفقيه الشافعي المعروف بالقفال الكبير (ت 365ه) ، كان إمام عصره بما وراء النهر فقيها محدثا مفسرا أصوليا لغويا شاعرا صنف في التفسير و الأصول و الفقه ، له كتاب في أصول الفقه ، وله "شرح الرسالة " وعنه انتشر الفقه الشافعي وله "دلائل النبوة " و "محاسن الشريعة " .

- انظر ترجمته في : طبقات المفسرين .السيوطي .ص:94 (رقم 109) ، وفيات الاعيان .3 /200 (رقم 575) ، طبقات الشافعية .الإسنوي .2 / 104 (رقم 668) .طبقات الشافعية .ابن السبكي .472/1 وما بعدها .

[5] – هو أبو محمد بن محمد بن حيويه الجويني (ت: 438ه) من علماء التفسير و اللغة و الفقه ، سكن بنيسابور و توفي بها ، من كتبه: " التفسير " و " التبصرة و التذكرة " و "الجمع و الفرق " في فقه الشافعية وغيرها .

- انظر ترجمته في : وفيات الأعيان .ج2. 47 (رقم 332) ، معجم المفسرين .1/ 329. الأعلام .ج4 / ص: 147 .

القشيري صاحب " لطائف الإشارات " و"الرسالة" والحاكم النيسابوري أبو عبد الله الحافظ صاحب " المستدرك على الصحيحين " المعروف بابن البيّع، وغيرهم كثير[1].

وقد أثمرت مجالسة الشيوخ والأخذ عنهم ثم التفرغ للتدريس والإملاء والتأليف جملة من المؤلفات في الحديث والتفسير والتصوف وغيرها (لم يصلنا منها إلا جزء يسير جدا إذا قيس بالمفقود)[2].

والذي يعنينا من الواصل إلينا هو "حقائق التفسير" الذي جر على صاحبه خصومة ولددا شديدين لأنه لم يؤلفه على الطريقة المعهودة في التفسير بل جعله على لسان أهل الحقائق من الصوفية[3]، وبصرف النظر عن طبيعة "الحقائق" الذي نسجه صاحبه على النحو الذي ذكرنا فإن مؤلّفه (معين له خطره في ذكر آراء الصوفية)[4] في تفسير القرآن وغيره من الأقوال ذات الصنعة الصوفية الإشارية، وصدى لمرحلة تاريخية شهدت استبحارا عظيما للمعارف الإسلامية هو من توابع التوسع الجغرافي للحضارة الحديثة المهيمنة التي أخذت عن غيرها مالا يتعارض مع مقرراتها كما أعطت هي لغيرها، وتسلل إلى أنساقها الفكرية وسلوكيات بعض أهلها ما كان سببا في إحداث نوع من القلق في مسيرة هذه الحضارة الزاحفة لا تزال آثارها ممتدة حتى اليوم.

وما كان السلمي بدءا مطلقا في تناول آيات القرآن على هذا النحو غير المعهود فقد كان له سلف كالتستري على ما بينهما من تفاوت في التناول، ومع ذلك فإن الحقائق (لقي رواجا وقبولا عند خاصة العلماء حتى في حياة مؤلفه)[5]، وهذا لا يعني خلو التفسير من كثير من الهنات بل المطبات أحيانا، وقد اشتمل تفسيره على أحاديث ضعيفة وموضوعة وضعت جنبا إلى جنب مع الأحاديث الصحيحة والحسنة لأن الرجل لم يكن بالقوي في الحديث كما ذكر غير واحد فهو بذلك

---

[1] – انظر: مقدمة محقق" طبقات الصوفية".ص: 19 وما بعدها.

[2] – السابق .ص: 30.

[3] – انظر: السابق. ص: 30.

[4] – انظر: السابق. ص: 42.

[5] – السابق. ص: 45 .

– وانظر: أقوال بعض العلماء –المادحين والقادحين – في مقدمة محقق الطبقات.ص: 43وما بعدها.

يستوي مع كثيرين ممن لم يتفرغوا لهذا الأمر، بل إن بعض الأجلة من علماء الحديث المتفرغين له استدرك عليهم شيء من مروياتهم وهو ما يزيد من إضعاف موقف المغالين في الطعن على أبي عبد الرحمن السلمي وتفسيره[1]. ولذا قال الذهبي نقلا عن المحدث أبي سعيد محمد بن علي الخشاب[2]: (وكانت تصانيفه - يعني السلمي- مقبولة)[3]، وأضاف الخشاب "-كما نقل عنه ذلك الذهبي – (كان مرضيا عند الخاص والعام، والموافق والمخالف والسلطان والرعية في بلده وفي سائر بلاد المسلمين، ومضى إلى الله كذلك وحبب تصانيفه إلى الناس، وبيعت بأغلى الأثمان)[4].

قال الذهبي: (للسلمي سؤالات للدارقطني عن أحوال المشايخ الرواة سؤال عارف وفي الجملة ففي تصانيفه أحاديث وحكايات موضوعة)[5].

ولعل من الضعيف والموضوع ما عناه الذهبي بقوله في موضع آخر: (يروى عن محمد بن عبد الله الرازي الصوفي[*]أباطيل وعن غيره)[6].

والذي لا شك فيه أن السلمي واحد من أظهر شيوخ المدرسة الصوفية في نيسابور وما جاورها مع " الطوسي والقشيري" في مقابل مدرسة بغداد التي كان الجنيد أشهر حراسها.

فمن يكون السلمي ؟ .

السلمي،أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي ت412هـ

محمد بن الحسين بن موسى الأزدي، أبو عبد الرحمن السلمي جدا النيسابوري بلدا، إمام يقتدى

---

[1] – انظر: مقدمة محقق الطبقات الصوفية .ص: 47.

[2] – الإمام المحدث المفيد الثقة ، ولد سنة (381 ه) وسمع من الحاكم ، كان محدثا مفيدا من خواص خدم أبي عبد الرحمان السلمي (ت: 456 ه) . سير أعلام النبلاء .الذهبي .18/ 150.

[3] – انظر: سير أعلام النبلاء.جـ17ص: 247.

[4] – انظر: المصدر نفسه .جـ17ص: 248.

[5] – انظر: المصدر نفسه .جـ17ص: 252.

[*] أبو محمد ، مولده و منشأه بنيسابور ، صحب الجنيد و غيره (ت:353ه) .

– انظر ترجمته في : الرسالة القشيرية .ص:28 ، طبقات الصوفية السلمي .ص:451 وما بعدها ، الكواكب الدرية .108/2 – 109و ج4 / 389

[6] – انظر: المصدر نفسه .جـ17ص: 255.

بمقالاته، وزاهد يهتدى بأنوار أحواله ومقاماته، سمع من أهل الرواية، وأخذ عن أرباب الدراية، ورحل إلى الأقطار، وبلغ المقاصد والأوطار، ثم كر راجعا إلى خراسان، وصار عالمها وصوفيها ومحدثها المشار إليه ببديع البيان، ورؤوس البنان. سمع الحديث من حاتم الأصم ..وغيره. وعنه الحاكم والقشيري والبيهقي ﷺ .

بلغت تصانيفه نحو المائة، وحدث أكثر من أربعين سنة، وكتب الحديث ببلده نيسابور والعراق والحجاز ومرو وغيرها، وصنف سننا[1].

قال الخطيب البغدادي: (..وكان ذا عناية بأخبار الصوفية، وصنف لهم سننا وتفسيرا وتاريخا. وقال لي محمد بن يوسف القطان النيسابوري: كان أبوعبد الرحمن السلمي غير ثقة، ولم يكن سمع من الأصم إلا شيئا يسيرا، فلما مات الحاكم أبو عبد الله ابن البيع حدث عن "الأصم" بتاريخ يحيى بن معين وبأشياء كثيرة سواه. قال: وكان يضع للصوفية الأحاديث.

قال الشيخ أبو بكر (الخطيب البغدادي): قدر أبي عبد الرحمن عند أهل بلده جليل، ومحله في طائفته كبير، وقد كان مع ذلك صاحب حديث مجودا جمع شيوخا وتراجم وأبوابا، وبنيسابور له دويرة معروفة به يسكنها الصوفية قد دخلتها، وقبره هناك يتبركون بزيارته قد رأيته وزرته)[2].

وكأن الخطيب لم يرض هذا الطعن من يوسف القطان النيسابوري في أبي عبد الرحمن السلمي فعقب عليه بما سمعت[3]. ولذا قال ابن السبكي في طبقات الشافعية: (قول الخطيب فيه هو الصحيح، وأبو عبد الرحمن ثقة ولا عبرة بهذا الكلام فيه)[4].

وقال الذهبي شيخ بن السبكي في وصف السلمي: (الإمام الحافظ المحدث شيخ خراسان وكبير

---

[1] - انظر: الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية الطبقات الكبرى للمناوي زين الدين محمد عبد الرؤوف (ت1021هـ).جـ2.ص: 199 وما بعدها.

[2] - تاريخ بغداد.جـ2.ص: 248.المكتبة السلفية -المدينة المنورة.

[3] -انظر مقدمة محقق"تفسير السلمي وهو: حقائق التفسير " سيد عمران .جـ1.ص: 9.دار الكتب العلمية.ط1421/1هـ - 2001م.

[4] - ج4. ص: 145 . طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه / 1385ه - 1966م .

الصوفية، أبوعبد الرحمن النيسابوري، الصوفي، صاحب التصانيف.. وكانت تصانيفه مقبولة) [1]إلا أنه قال عن حقائق التفسير: (وفي " حقائق تفسيره أشياء لا تسوغ أصلا، عدها بعض الأئمة من زندقة الباطنية، وعدها بعضهم عرفانا وحقيقة، نعوذ بالله من الضلال ومن الكلام بهوى، فإن الخير كل الخير في متابعة السنة والتمسك بهدي الصحابة والتابعين ﷺ)[2].

وقال في موضع آخر: (و"حقائقه " قرمطة"، وما أظنه يتعمد الكذب)[3] ولذا قال الدكتور إبراهيم بسيوني من المعاصرين: إن حقائق السلمي لقي معارضة شديدة إبان عصره وبعد وفاته وانصرام عصره[4].

وهو المعنى الذي ذكره محقق كتاب "طبقات الصوفية " لأبي عبد الرحمن السلمي حين قال: (..ذلك التفسير – يعني الحقائق- الذي جر على أبي عبد الرحمن خصومة ولددا شديدين تولى كبرهما -في أكثر الأمر – الشيخ الحنبلي الجليل " ابن الجوزي")[5].

فهل كان السلمي الغزير الإنتاج في العلوم الصوفية[6] من أولئك الذين أسرفوا فحملوا النص القرآني فوق ما يحتمل وأخضعوا الكثير من آياته لنصرة مذهبهم مبتعدين به عن خط التفسير الأصيل الذي ينبغي أن تخضع له كل الدروب العقلية ورياضات الناس ومجاهداتهم وأحوالهم بعيدا عن المذاهب العقلية الظاهرة والخفية، والعقائد الباطنية المستورة ؟[7] وهل تركت مقولة الظاهر والباطن التي استغلت استغلالا سيئا لخدمة ونصرة الكثير من الأغراض المريضة والدعوات الجامحة آثارها على مؤلفات السلمي عامة وعلى حقائقه بوجه أخص فتورط وتعسّف وانزلق في دروب الشطط، الأمر

---

[1] – سير أعلام النبلاء. ج17.ص: 247.ترجمة: 152.حققه: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي...؟

[2] – المصدر نفسه .جـ17.ص: 252.

[3] – المصدر نفسه .جـ17.ص: 255.

[4] – أنظر: البسملة بين أهل العبارة وأهل الإشارة.ص: 50.

[5] – ص: 30.دار الكتاب العربي – مصر-ط1372/1 هـ -1953م .تحقيق: نور الدين شريبة.

[6] – أنظر: مقدمة محقق "لطائف الإشارات".للقشيري.جـ1.ص: 11.

[7] – انظر: السابق. جـ1.ص: 24.

الذي حمل بعض العلماء على قول ما قال في حق "السلمي" وحقائقه؟[1] أم أنه -رحمه الله - كان بعيدا عن كل هذا بريئا من أكثر ما قيل فيه، ويشفع له ما أفصح عنه في مقدمة تفسيره حين ذكر بأن المشتغلين بعلوم الظاهر صنفوا في أنواع من القرآن كثيرة كالناسخ والمنسوخ والإعراب واللغة وغيرها وأنه أراد شيئا آخر هو ما تشير إليه الكثير من الآيات مما يدق إلا على أرباب الإشارات وأهل الحقائق الذين جعلهم الله من أهل الفهم لخطابه العالمين بلطائف ودائعه في هذا الكتاب المنزل على نبيه ﷺ ومعنى ذلك أن أصح الأقوال في أبي عبد الرحمن السلمي وتفسيره هو قول الخطيب البغدادي وأنه ثقة[2] ولا عبرة بقول غيره فيه كما يقول ابن السبكي، وقد وصفه ابن السبكي في قوله: (له اليد الطولى في التصوف والعلم الغزير والسير على سَنن السلف)[3] ووصف تفسيره فقال: (..وكتاب "حقائق التفسير" قد كثر الكلام فيه من قبل أنه اقتصر فيه على ذكر تأويلات ومحالٌ للصوفية ينبو عنها ظاهر اللفظ)[4]. لأنه كان يقر الظواهر على ظاهرها ويضيف إليها ما فتح الله به عليه من لطائف أسراره ومعانيه التي لا تحجب ظاهر المعنى وأصل المراد من الآية فضلا عن أن تكون أصلا لفهم الخطاب الإلهي إذ لا يذهب إلى هذا إلا باطني مفسد لمجرى الخطاب القرآني المبين[5].

قال أبو نعيم الحافظ : (وهو -يعني السلمي- أحد من لقيناه وممن له العناية التامة بتوطئة مذهب المتصوفة وتهذيبه على ما بينه الأوائل من السلف، مقتد بسيمتهم، ملازم لطريقتهم، متبع لآثارهم، مفارق لما يؤثر عن المتخرمين المتهوسين من جهال هذه الطائفة، منكر عليهم، إذ حقيقة هذا المذهب عنده متابعة الرسول ﷺ فيما بلغ وشرع،وأشار إليه وصدع، ثم القدوة بالمتحققين من علماء المتصوفة ورواة الآثار، وحكام الفقهاء)[6].

---

[1] - انظر: مقدمة محقق" لطائف الإشارات".جـ1.ص: 25.

[2] - انظر: مقدمة "السلمي لحقائقه".جـ1.ص: 19.

[3] - المصدر السابق.جـ4.ص: 143.

[4] -المصدر السابق.جـ4.ص: 147.

[5] -انظر: مقدمة" السلمي" لـ: حقاق التفسير".ج1.ص.19

- وانظر: مقدمة محقق" الحقائق".ج1.ص: 11.

[6] - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء.جـ2.ص: 25.

ويتميّز حقائق السلمي باستيعاب جميع السور لكنه لا يتعرض لكل آياتها كما لا يتعرض لظاهر الألفاظ إلا قليلا، بل جرى في جميع ما فسر على نمط واحد وهو التفسير الإشاري من غير أن ينكر الأصل وهو التفسير بالظاهر ولا يعدو "الحقائق" أن يكون جمعا لما تشتت عند غيره وليس لصاحبه إلا الترتيب ونقل أقوال أجلة سبقوه كأبي عبد الله جعفر الصادق وابن عطاء،والجنيد، والفضيل بن عياض والتستري وسواهم[1].

وقد جر عليه الاقتصار على الإشارة مقالة السوء فيه وفي تفسيره، إذ عده السيوطي فيمن صنف في التفسير من المبتدعة وتفسيره غير محمود عنده،كما وصف الذهبي تفسيره بأنه تحريف وقرمطة،وتمنّى عدم تصنيفه، وتأويلات السلمي عند السبكي ككثير من تأويلات الصوفية ينبو عنها اللفظ، وأبعد "الواحدي"حين قال عن صاحب الحقائق: (إن كان السلمي قد اعتقد أن ما قاله تفسير فقد كفر، وعند ابن تيمية: (أكثر ما نقله السلمي عن جعفر الصادق كذب).ومع أن غير واحد قد دافع عن السلمي كما رأيت وبرأه من بعض ما قيل فيه وفي تفسيره، إلا أن كثيرا مما ذكره — كما سنرى- يصعب أن يوافق عليه لبعد المعاني المذكورة في كثير من الآيات عما سيقت له[2].

ومما قاله في تفسير" بسم الله الرحمن الرحيم" من غير أن يفرق بين حروف الكلمة المجتمعة (أي الحروف) لأن تفسيرها مفرقة لا يكون إلا للحروف المتقطعة في أوائل بعض سور القرآن الكريم - إن سلمنا بتفسيرها والقول فيها بالرأي والاجتهاد — نقلا عن الجنيد أن في " بسم الله الرحمن الرحيم " " بسم الله " هيبته، وفي "الرحمن" عونه وفي "الرحيم": مودته ومحبته)[3].

ومما قاله مفرقا لحروف الكلمة المجتمعة، راويا له عن النبي ﷺ بصيغة التمريض غير واثق من صحته:

(وروي عن النبي ﷺ - إن صح هذا — الباء: بهاؤه، والسين: سناؤه، والميم: مجده[4].

---

[1] - انظر: مقدمة محقق "تفسير السلمي وهو حقائق التفسير.جـ1.ص: 10.

[2] - انظر: السابق.جـ1.ص: 11.

- وانظر: التفسير والمفسرون .للذهبي .جـ2.ص: 384. وما بعدها.ط2/1396هـ- 1976م.

[3] - تفسير السلمي وهو حقائق التفسير.جـ 1.ص: 24.

[4] -المصدر نفسه.جـ1.ص: 25.

وهذا الذي أورده السلمي تفسيرًا لـــ: "بسم" هو جزء من حديث رواه "الطبري" ثم تعقبه بقوله: (أخشى أن يكون غلطا من المحدث وأن يكون أراد: " ب س م " على سبيل ما يعلم المبتدئ من الصبيان في الكتاب حروف أبي جاد، فغلط بذلك فوصله فقال: " بسم "لأنه لا معنى لهذا التأويل إذا تلى "بسم الله الرحمن الرحيم " على ما يتلوه القارئ في كتاب الله لاستحالة معناه عن المفهوم به عند جميع العرب وأهل لسانها إذا حمل تأويله على ذلك) [1] ونص الحديث عند "ابن جرير" كما حدثه به إسماعيل بن الفضل قال: (حدثنا إبراهيم بن العلاء بن الضحاك،قال: حدثنا إسماعيل بن عباس عن إسماعيل بن يحيى عن ابن أبي مليكة عمن حدثه عن ابن مسعود، ومسعر بن كدام عن عطية عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: إن عيسى بن مريم أسلمته أمه إلى الكتاب ليعلمه، فقال له المعلم: اكتب "بسم" .فقال عيسى: وما بسم؟ فقال المعلم: ما أدري، فقال عيسى: الباء بهاء الله والسين سناؤه، والميم مملكته) [2] بدلا عن "مجده" كما ذكر ذلك السلمي ثم عقب أبو جعفر على الحديث بما مر ذكره.

قال ابن الجوزي – بعد أن ساق الحديث بطوله بأسانيد ذكرها، وأقوال لبعض علماء الجرح والتعديل أثبتها –: (ما يصنع مثل هذا الحديث إلا ملحد يريد شين الإسلام، أو جاهل في غاية الجهل وقلة المبالاة بالدين، ولا يجوز أن يفرق حروف الكلمة مجتمعة ...(إلى أن قال): فقد جمع واضع هذا الحديث جهلا وافرا وإقداما عظيما،وأتى بشيء لا يخفى برودته والكذب فيه) [3].

وقال ابن كثير بعد إيراده لرواية الحافظ أبي بكر بن مردويه، ورواية الطبري المذكورة: (وهذا غريب جدا، وقد يكون صحيحا إلى من دون رسول الله ﷺ، وقد يكون من الاسرائليات لا من المرفوعات) [4].

وقد ترتب على تفريق حروف الكلمة المجتمعة أن قال الناس في معاني بعضها ومنها الباء ما يصم

---

[1] – جامع البيان من تأويل آي القرآن.جـــ1.ص: 53.

[2] – المصدر نفسه، ج1.ص: 53.

[3] – كتاب الموضوعات.جـــ1.ص: 145، 146.دار الكتب العلمية – بيروت .ط1/1415هـــ -1995م .خرج آياته وأحاديث: توفيق حمدان.

[4] تفسير ابن كثير .جـــ 1.ص: 33.

الآذان، ومن ذلك قول بعضهم: (.. وأما الحكمة في أن الله تعالى جعل افتتاح كتابه بحرف الباء واختياره على سائر الحروف لا سيما على الألف بأنه أسقط الألف من ال"اسم" وأثبت مكانه الباء وقال" بسم " فعشرة معان أحدها: إن في الألف ترفعا وتكبرا وتطاولا،وفي الباء إنكسارا وتواضعا وتساقطا، فالألف لما تكبرت وضعها الله تعالى، والباء لما تواضعت رفعها الله تعالى، كما ورد في الحديث: «من تواضع لله رفعه الله، ومن تكبر وضعه الله *»[1] إلى آخر ما قال مما يشبه ما سمعت، فأين الأذواق والمواجد في هذا التفسير المسمى إشاريا ذوقيا، فالأليق والأصوب في الحروف المقطعة التي استهلت بها بعض السور جعلها من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله نازلة للإعجاز، أما تفكيك وتفريق حروف الكلمات ثم شرح كل حرف على حدة فمسلك في غاية الغرابة وطريق في الفهم شديد الظلمة .

ومن المعاني التي قيلت في حرف الباء من "بسم" وليس له شاهد من عقل ناهيك عن أن يكون له شاهد من الشرع: (أن الباء حرف عامل يعمل ويتصرف في غيره، فظهر لها من هذا الوجه قدر وقدرة فصلحت للابتداء، والألف ليس بعامل ولا متصرف في غيره فليس له هذا القدر والقدرة فما صلح للابتداء والاقتداء) [2].

ويشبه ما سبق من وجه مع لطف عبارة وجمال معنى، وإن كان حرف الباء في لغة العرب لا يحتمل كل هذه المعاني التي تكلف صاحبها وتعسّف في إضافتها إليه قول من قال: (إن الباء حرف شفوي تفتح الشفة به ما لم تفتح بغيره من الحروف لأن الميم وإن كان شفويا لا تفتح الشفة به كما تفتح بالباء حسًا وكان أول انفتاح في الذرة للإنسانية في عهد "ألست بربكم "بالباء في جواب "بلى"فلما كان الباء أول حرف نطق به الإنسان وفتح به فمه، وكان مخصوصا بهذه المعاني اقتضت الحكمة الإلهية اختيارها من سائر الحروف فاختارها ورفع قدرها وأعلى شأنها وأظهر برهانها وأعز

---

* هذا الحديث رواه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب البر و الصلة و الآداب . باب :استحباب العفو و التواضع .حديث (رقم2588).ج4 /2001 ، و الترميذي في أبواب البر و الصلة عن رسول اللهﷺ .باب ما جاء في التواضع .حديث(رقم 2029).ج376/4 . قال الترميذي :هذا حديث حسن صحيح .

[1] - تفسير الجيلاني.جـ 1. هامش ص: 54.المكتبة الصوفية- بيروت .2010م. تحقيق: أحمد فريد المزيدي.

[2] -المصدر نفسه. جـ 1. هامش ص: 55، 56 .

سلطانها وجعلها مفتتح كتابه ومبتدأ كلامه وخطابه ...(إلى أن يقول): وقرنها بسم ذاته وصفاته، وجعلها معدن إشارته ومنبع كراماته مع بريته) [1].

إن استخلاص مثل هذه "المعاني" و" الفهوم" من الباء أو من أي حرف من حروف العربية على نحو لا يشهد له شرع ولا يؤيده عقل ولا حظ له ولا نصيب في قواعد العربية تضع أهل الإشارة من الصوفية في خانة لا يتميزون فيها (عن الباطنية والحروفية الذين يزاولون مثل هذه الأعمال الفنية من علوم رموز الحروف كما يقول جولد تسيهر) [2].

ويضيف – مع استخفاف منه مُحقٌ إلى ما سبق– أن ظاهرة التحريف هذه بقصد إيجاد سند لأنظار الصوفية الأساسية تمثل أعمالا متعسفة عنيفة أجراها المتصوفة على النصوص كانت كثيرا ما توحي إلى القارئ المتبصر فيها بأن الغرض منها إنما هو إجراء تمرينات لحدة الذكاء العقلي مضحكة أكثر من كونها تفسيرا للآيات بقصد جاد قويم [3].

وأجمل من كثير مما مر وأولى بالقبول قول الشيخ عبد القادر الجيلاني –رحمه الله –في التفسير المنسوب إليه من غير أن يفرق ما اجتمع من حروف البسملة: ("بسم الله" ... هذه كلمة تزيل الهم هذه كلمة تكشف الغم، هذه كلمة تبطل السم،هذه كلمة نورها يعم) [4].

وهو معنى من رجل مجذوب مختطف من نفسه، وسالك سلوك إرادة واختيار ومجاهدة، يوجه جذبه وسلوكه معا نصوص الوحي وتطبيقات أهل الاستقامة من أهل الله تعالى فقد كان شبيها بمن قيل فيه إنه ممن (عايش التجربة الإيمانية أروع ما تكون المعايشة ومارس الرياضة الروحية أصدق ما تكون الممارسة (إذ) سهر كما سهر القوم وجاع كما جاعوا، ونصب في عبادة الله كما نصبوا، ورغب فيما عند الله كما رغبوا، فحق له أن يعرف كما عرفوا، وأن يفهم... كما فهموا) [5].

---

[1] – تفسير الجيلاني ، ج1.هامش ص: 56.

[2] – مذاهب التفسير الإسلامي، ص280.

[3] – انظر: المرجع نفسه. ص: 282 .

– وانظر: تفسير السلمي .ج1.ص26 وما بعدها.فإن فيه تفريقا للمُجتمع فيما بعد "بسم"من الكلمات.

[4] – تفسير الجيلاني .ج1.ص: 20.

[5] – منهج أهل السنة في تفسير القرآن الكريم .دراسة موضوعية لجهود ابن القيم التفسيرية .صبري متولي.ص: 280.

ولعل المعنى والفهم الذي فاضت به روح وعقل الجيلاني الصافيان محاولة من المحاولات التي "غسلت" "البسملة" وغيرها من آيات الكتاب الكريم مما شابها من أوضار، وطهرتها وطهرت غيرها من آيات الكتاب المبين مما لحق بها من انحرافات[1].

وليس هذا بالمستغرب من الجيلاني وأمثاله (من أهل العلم الذين يدعون من ضل إلى الهدى ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصِّرون بنور الله أهل العمى وينفون عن كتاب الله تحريف الضالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين) [2].

فصدور اللطائف والدقائق والاشارات الصحيحة الصائبة من بعض المحققين من أهل الاشارة مما لا يتفق لغيرهم لسمو في أرواحهم وأنوار في بواطنهم ليس بالغريب[3].

ومن المعاني الجميلة التي ذكرها "السلمي" تفسيرا للاسم الكريم"الرحيم" من البسملة قوله: ("الرحيم ": هو الذي يقبلك بجميع عيوبك إذا أقبلت عليه ويحفظك أتم الحفظ في العاجلة وإن أدبرت عنه لاستغنائه عنك مقبلا ومدبرا) [4].

فهل هذا يشبه ما قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ البقرة: ٤٣ من أن الصلاة والزكاة مفروضتان في كل عام مرة، ومن صلى مرة في السنة فقد أقام الصلاة بغير تكرار، وأن (الصلاة والزكاة سبعة أحرف، فالمعني بالصلاة والزكاة ولاية محمد وعلي، فمن تولاهما فقد أقام الصلاة وآتى الزكاة) [5].

لقد جعل الذين يلحدون في آيات الله لكل آية من القرآن تفسيرا، ولكل حديث عن رسول الله

---

[1] - انظر: منهج أهل السنة في تفسير القرآن الكريم.ص: 38.

[2] - المرجع نفسه .ص: 42.

[3] -انظر: أصول التفسير وقواعده.خالد عبد الرحمن العك. ص: 216.

[6] -تفسير السلمي.ج1. ص: 33.

- وانظر تفسير "بسم الله" في لطائف الاشارات للقشيري ج1.ص44 .

- وانظر تفسير الاسم الكريم "الرحيم" في اللطائف .ج1. ص: 47 الآية الثانية من الفاتحة.

[5] - كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ص: 12. محمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادي اليماني . مكتب نشر الثقافة الإسلامية / 1357ه- 1939م . تقديم وتعليق: محمد زاهد الكوثري . نشر وتصحيح ومراجعة: عزت العطار .

ﷺ تأويلا، وراحوا يزخرفون الأقوال ويضربون الأمثال ويجعلون لكل آية شكلا يوازيها ومثلا يضاهيها (بزعمهم) من المعاني الباطنة الباطلة[1].

وجهلوا أن (للقرآن الكريم في استخدام ألفاظ اللغة العربية معجما يكاد يكون خاصا به فعلى من يتصدى لتفسير آية أو أكثر من آياته أن يتتبع مفرداتها في القرآن الكريم والمعاني التي استعملت هذه المفردات لأدائها، ليختار من بينها ما يناسب سياق آيته وموضوعها) [2].

والفرق بين ما قاله "السلمي" تفسيرا للاسم الكريم "الرحيم" في البسملة وبين تفسير الباطنية الملاحدة لقوله تعالى: " أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة" كالفرق بين النور والظلمة، ومتواتر المعاني اللغوية قبل مقررات الشريعة يقضي بذلك، ومن جعل الباطن المعوج الذي لا تقيده قيود أصلا في الفهم والاستنباط قال هذا وأكثر من هذا .

وهو مسلك يستنكف عنه من أثبت المعاني البعيدة والفهوم السديدة التي لا تحصل إلا بجمال الاقتداء، وحسن الاهتداء والاستجابة للشرع ومقررات اللغة لعلمهم بأن الرمز أو التنبيه أو الإشارة أغلفة تحجب ما بداخلها من معنى إلا عن مزود بوسائل من فطرة سليمة ودراية حكيمة واستقامة على المنهج الصحيح تعين جميعا على التسلل إلى الباطن والنفوذ إلى الداخل[3] الذي هو ثمرة علم وعمل موافق للشريعة، ولذا قال ابن تيمية: (...فمن دعا إلى العلم دون العمل المأمور به كان مضلا ومن دعا إلى العمل دون العلم كان مضلا، وأضل منهما من سلك في العلم طريق أهل البدع، فيتبع أمورا تخالف الكتاب والسنة يظنها علوما وهي جهالات.

وكذلك من سلك في العبادة طريق أهل البدع فيعمل أعمالا تخالف الأعمال المشروعة يظنها عبادات وهي ضلالات ... وطريق الله لا تتم إلا بعلم وعمل يكون كلاهما موافقا للشريعة)[4].

لقد خلط السلمي في حقائقه إشارات صالحة وأخرى سيئة، وأكثرها -صالحة أو سيئة -نقلها

---

[1] - انظر كشف أسرار الباطنية .ص: 17.

[2] - دراسات في التفسير .مصطفى زيد .ص: ص، ق دار الفكر العربي ط1: /1967م- 1968م (كذا).

[3] - أنظر مقدمة محقق: "الإشارات والتنبيهات" .أ بو علي بن سينا مع شرح نصر الدين الطوسي .ج2. ص14.

[4] - مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية،ج11.ص: 27.

عن غيره كالجنيد والشبلي والحلاج وأبي عثمان المغربي[1]والتستري وأبي عبد الله جعفر الصادق وذي النون وابن عطاء وسفيان الثوري وعبد الله بن المبارك والداراني والمحاسبي، وكثير من هذه النقول فاسد المعنى ولا يثبت عمن قيل إنهم قالوه، ولعل منه الإشارة التي تنسب إلى جعفر الصادق في تفسيره لقوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾آل عمران: ١٩ حيث قال "السلمي": (قال جعفر "إن الدين عند الله الإسلام" هو ما سلم عليه صاحبه من وساوس الشيطان وهواجس النفس وعذاب الآخرة)[2].

والإشارة –كما يقول محقق "الحقائق" بعيد معناها من سياق الآية غير مستساغة لدى العوام ناهيك عن طلاب العلم وأهله[3] ومعنى الآية كما رواه الطبري عن ابن عباس على قراءة من القراءتين هو أن الله: (شهد هو وملائكته وأولوا العلم من البشر بأن الدين عند الله الإسلام) [4].

---

[1] –هو سعيد بن سلام المغربي ، واحد عصره لم يوصف مثله أحد ، مات بنيسابور سنة 373 ه ، وأوصى أن يصلي عليه أبو بكر بن فورك . انظر ترجمته في الرسالة القشيرية .ص: 29 .

[2] – ج1.ص: 93 .

– وانظر: التوجيه غير السديد والإشارة والمعنى البعيدين في تفسيره لقوله سبحانه: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ﴾الحجرات: ٩ الآية فقد قال في تأويلها: (قال سهل: هو الروح والعقل والقلب والطبع والهوى والشهوة فإن بغى الطبع والهوى على العقل والروح والقلب فليقاتله العبد بسيوف المراقبة وسهام المطالعة وأنوار الموافقة ليكون الروح والعقل غالبين والهوى والشهوة مغلوبين) ج2.ص: 261 فالسورة اشتملت على نداءات زاجرة ونواه رادعة واقعة فعلا في حياة الفئة المؤمنة، فحملها على الروح والعقل والقلب والشهوة والطبع والهوى تأباه معاني آيات السورة من أولها إلى آخرها إلا أن يقال إن أسباب وبواعث تلك الزواجر والنواهي، أو الدافع إلى ضدها مما نصت عليه بعض الآيات في السورة فهذا صحيح، وهذا الفهم لا نحتاج إلى إخراج "طائفتان " وما بعدها إلى المعنى والتأويل الذي ذكره سهل لأنه متضمن في المعنى الأصلي الأول ومشتمل عليه.

[3] – تفسير السلمي .جـ1.ص: 93.هامش "1".

[4] – جامع البيان .جـ 3 ص: 378. والوجه الذي ذكره "ابن جرير " على قراءة غير الكسائي فقد فتح الهمز – وحده – من " إن الدين عند الله الإسلام " .

– وانظر: التيسير في القراءات السبع . الداني (أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان ت: 444ه) . ص: 68 . دار الكتاب العربي – بيروت .ط2 / 1404 ه – 1984 م .

– وانظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري . ج2 . ص: 238 . دار الكتب العلمية – بيروت . تصحيح ومراجعة: -

=علي محمد الضباع .

-وانظر المعاني الفاسدة والإشارات البعيدة عند السلمي في تفسيره لقوله سبحانه:

- ﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ (أول سورة البقرة) .جـ1.ص: 49، 50 .

-وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ البقرة: ١٢٥ جـ 1.ص: 64، 65.

-وقوله تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ البقرة: ١٣٢ جـ1.ص67.

-وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ البقرة: ٢٥٥ .جـ1.ص: 75، 76 .

-وقوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ آل عمران: ٥٥ فقد قال نقلا عن الواسطي: (إني متوفيك عنك ورافعك إلي ومطهرك من إرادتك وهواك،وذلك لإظهار نعوت الأزل عليه) جـ1.ص: 101. وعبارة: " وذلك لإظهار نعوت الأزل عليه " يوحي ظاهرها بإثبات الأزلية لعيسى عليه السلام و لم يقل بهذا عاقل إلا أن يكون نصرانيا، ناهيك عن مسلم. إلا أن يكون الواسطي قد أراد: أن الله أراد إظهار أزليته هو سبحانه لعيسى عليه السلام وبدل أن يعبر ب" إليه" أو باللام" وهو الذي يوائم الفعل"ظهر "فغلط وعبر بـ: "عليه". فإن قصد ما يفهمه ظاهر النص –وهو بعيد جدا – برأ " الواسطي " أن يقع فيه، فقد أشرك مع الله في الأزلية عيسى –عليه السلام–، وهو أعظم الكفر.

-وقوله تعالى: ﴿ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ النساء: ٣٦ فقد حمل شطر الآية وأشار بها إلى ما حملها عليه غير واحد من الإشاريين وهي أخف وطأة من بعض الإشارات السابقة التي وقعت الإحالة عليها.ج1، 147.

-وقوله تعالى: ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْٓا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾ الأعراف: ٤٦ وهي شبيهة بالسابقة، فقد نقل عن "سهل " أن المراد بهم: أهل المعرفة"يعرفون كلا بسيماهم ": (أقامهم ليشرفهم على الدارين وأهلهما ويعرّفهم الملكين،كما أشرفهم على أسرار العباد في الدنيا والآخرة وأحوالهم(جـ1.ص: 229).

وقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ۚ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الأعراف: ١٤٣ فظاهر العبارة فيه تفضيل للعارفين على نبي الله ورسوله موسى عليه السلام وبطلان هذا لا يخفى على المجانين والسكارى، بالإضافة إلى عبارات أخرى أشد وطأ وأعظم قيلا.من نحو قوله: (ثم إذ حملتني تلك القلوب وصيرت لمشاهدتي فأنا حاملي لا غير إذ بي حملني وبإياي صير لمشاهدتي لا غير، فلا مشاهدة للحق سواه جل ربنا وتعالى)ج1.ص: 240.

وفي تفسير بعض الآيات معان ذكرها " السلمي" لا يحتمل ظاهرها إلا الفساد، ومن حاول أن يلتمس لها مخارج وتأويلات صحيحة كان سالكا سبيل العناد، لكن بعضها الآخر يمكن الوقوف فيه

-وانظر تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴾ طه: ١١ ج1.ص: 436.فالنص فيه مخالفة حتى لكثير من متأخري الصوفية ممن عرفوا بالتنظير لوحدة الوجود والدعوة إليها كابن عربي فقد قال في أعظم مخلوقات الله وهو العرش(فهو سبحانه وتعالى إنما اوجد العرش إظهارا لقدرته لا محلا لذاته) ،- شجرة الكون –ص: 11.مكتبة عالم الفكر –القاهرة ط1407/1ه-1987م.مراجعة وتعليق: عبد الرحمان حسن محمود.

وقال –أي ابن عربي-: بعد ذلك فاصلا فصلا كاملا وتاما بين الحق والخلق بين الله والعالم: (...فهو"سبحانه"مقدس في وجوده عن ملامسة ما أوجده ومجانبته ومواصلته،لأنه كان ولا كون، وهو الآن كما كان لا يتصل بكون ولا ينفصل عن كون لأن الوصل والفصل من صفات الحدوث لا من صفات القدم، لأن الاتصال والانفصال يلزم منه الانتقال والارتحال ويلزم من الانتقال والارتحال: التحول والزوال والتغير والاستبدال، هذا كله من صفات النقص لا من صفات الكمال، فسبحانه: "سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون والجاهلون علوا كبيرا " –شجرة الكون–ص: 12. وهذا صريح في أن العالم ليس عين الحق سبحانه وتعالى إذ لو كان هو هو ما صحّ كون الحق سبحانه بديعا. ولا شك أن ما قاله "السلمي " في آية طلب موسى الرؤية والنظر إلى ربه وغيرها مما شابهها وعده من الإشارات والمواجيد والأذواق.هو الذي حمل كثيرين على وصفه بالقرمطة والإلحاد ووصف هذا بالأذواق والمواجيد والإشارات المنتجة من عبادة صحيحة لا يصح، وهو لا يعدوا أن يكون من نتائج الخيال العقلي، والخيال العقلي درجة دون ما نحن فيه (لأن الخيال (العقلي) لا يعطي أبدا إلا المحسوسات غير ذلك ليس له – كما يقول ابن عربي) .-فصوص الحكم "الفص اليوسفي–ص: 60.دار صادر –بيروت .ط1426/1ه-2005م.تحقيق وشرح: د: نواف الجراح.

وقد تقرر أن كل قول أو فكرة أو رأي متعلق بما وراء الطبيعة فيه مخالفة لما أتى به الوحي فهو إما خرافة أو ضلال عقلي والحياة الجادة تأبى أن ينفق العمر ويذهب الزمن في دراسة الخرافة والضلال العقلي وتقرر أيضا أن عالم الغيب وما وراء الحجب لا يعتمد فيه على موازين العقل ومقاييسه،ومن فعل ذلك كان أشبه بمن يريد قطع البحر على لوح من خشب، وهيهات أن ينجو من يفعل ذلك. انظر: التفكير الفلسفي في الإسلام .د: عبد الحليم محمود .ص: 464، 465 .دار الكتاب المصري –القاهرة، دار الكتاب اللبناني – بيروت /1989م.

-وانظر إشارة يضيق بها سياق الآية في قوله تعالى: ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ الأنبياء: ٨٩ فقد قال "أبو عبد الرحمان" نقلا عن جعفر -رضي الله عنه – لا تجعلني ممن لا سبيل له إلى مناجاتك،والتزين بزينة خدمتك .وقال أيضا: يعني: الصادق: فردا عنك لا يكون لي سبيل إليك .ج2 . ص: 14.

وشبيه بها ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴾ الصافات: ١٤٣ فقد نقل عن الواسطي أنه قال: (من العارفين أن تسبيحه لا ينجيه مما هو فيه، وإنما ينجيه منه: الفضل وسابق القضاء) ج2.ص: 181.

وخير منه قول سهل قبله: (من القائمين بحقوق الله قبل البلاء) ج2.ص: 181. وإخراج التسبيح والقيام بحقوق الله قبل البلاء وأثناءه وبعده عن فضل الله وسابق قضائه غلط من قائله، فإنه جل جلاله قال: ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾ الفرقان: ٧٧ . والله أعلم .

على معان ليست مردودة عند التأمل ومن ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى في سورة " يونس": ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ يونس: ٣ فقد ساق معاني تنسجم مع سياق الآية العام وأورد ضمن هذه المعاني تفسيرا نسبه إلى سهل بن عبد الله التستري فقال: (...وقيل لسهل بن عبد الله حين حضرته الوفاة: فبماذا تلقّنُ وأين تقبر ومن يصلي عليك ؟قال: أدبر أمري حيا وميتا وقد كفّنت (بالنون) بسابق تدبير الله لي)[1] وقد حمل النص بهذه الصيغة "المحقق" على أن يصبّ جام غضبه على " المؤلف" فنعته بالمعتوه الضال الذي نصب نفسه مكان الله في تدبير أمر نفسه حيا وميتا وأن لا سلطان لله عليه. والتسليم بصحة نص "سهل" على هذا النحو وبهذه الصيغة غير مسلم ولا يمكن أن يقع في هذا " التستري "إن سلمنا بصدور هذا عن " السلمي" وهو بعيد جدا لأن المعاني التي ذكرها قبله وبعده تصادم هذا المعنى وتعارضه هذا أوّلا، ولأن النص يمكن أن يكون فيه تحريف بزيادة حرف في كلمة وتغيير آخر بما يماثله في أخرى ثانيا ولعل النص الأصلي على هذا النحو: (دبر أمري حيا وميتا، وقد كفيت (بالياء لا بالنون) بسابق تدبير الله لي وهذا المعنى هو الذي ينبغي أن يقال لاتساقه مع المعنيين السابقين عليه، والمعنى الذي بعده وقد نقله "السلمي عن الجنيد رحمه الله، ونسبة صدور هذا عن النّساخ أولى من إلصاقه " بالتستري " أولا وموافقة السلمي عليه بهذه الصيغة ثانيا .

قال الذهبي: (ما ينبغي لك يا فقيه أن تبادر إلى تكفير المسلم إلا ببرهان قطعي، كما لا يسوغ لك أن تعتقد العرفان والولاية فيمن قد تبرهن زغله وافتك باطنه وزندقته، فلا هذا ولا هذا، بل العدل: أن من رآه المسلمون صالحا محسنا فهو كذلك، لأنهم شهداء الله في أرضه، إذ الأمة لا تجتمع على ضلالة، وأن من رآه المسلمون فاجرا أو منافقا أو مبطلا،فهو كذلك، وأن من كان طائفة من الأمة تضلّله، وطائفة من الأمة تثني عليه وتبجله وطائفة ثالثة تقف فيه وتتورع من الحطّ عليه،، فهو ممن ينبغي أن يُعرض عنه، وأن يُفوض أمره إلى الله، وأن يُستغفر له في الجملة لأن إسلامه أصلي بيقين، وضلاله مشكوك فيه، فبهذا تستريح ويصفو قلبك من الغلّ للمؤمنين)[2].

---

[1] - ج1، ص295.

[2] - سير أعلام النبلاء .ج14.ص: 343، 344. حقق هذا الجزء(14): أكرم البوشي.

ويرد نسبة هذا القول إلى "سهل" أيضا ما نقله "أبو نعيم" حيث قال: قال "سهل": (من خَدم خُدم، ومعناه من ترك التدبير والاختيار وفق ومن لم يوفق لم يترك التدبير، فإن الفرج كله في تدبير الله لنا برضاه، والشَّقَاء كلّه في تدبيرنا، ولا نجد السلامة حتى نكون في التدبير كأهل القبور) [1]بل إن السلمي نفسه روى عن سهل بالإسناد المتصل إليه أنه قال: (الأعمال بالتوفيق، والتوفيق من الله، ومفتاحها التضرع والدعاء) [2].

ومن المعاني التي ذكرها السلمي نقلا عن غيره وفيها مصادمة ظاهرة لقول سهل قول أبي عثمان في رسالته إلى شاه: (قد دبر الله لك يا أخي كل تدبير، وأسقط قدم صدق السنة والمتابعة سوء تدبيرك،وارض بتدبير الله لك كي تنجو من هواجس النفس لأن الله تعالى يقول: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ الرعد: ٢[3].

وبالإضافة إلى ما ذكر فإن حمل كلام "سهل" على ما حمله عليه محقق "الحقائق " يكذب آخرُه أوله، ويناقض أولُه آخرَه، والله أعلم.

قال القشيري "في تفسير شطر الآية المذكورة: " يدبر الأمر": أي الحادثات صادرة عن تقديره، وحاصلة بتدبيره، فلا شريك يعضده وما مضى فلا أحد يرده) [4] وهو معنى ظاهر للآية من الإمام "القشيري" يدعم المعاني الصحيحة التي ذكرها " السلمي" ويفيد ما نقل عن " سهل" على النحو المذكور.

ومن الآيات التي جاءت متحدثة عن عجيب خلق الله معددة لجملة من المخلوقات المحسّة المشاهدة الدالة على وجود الله وقدرته المحلية لتسخير الله لها للعين لنوع من المخلوقات كالأرض لكن بعض الإشاريين حملوها على غير ظاهرها وأشاروا بها إلى مخلوقات أخرى سواها، فجاء المعنى الجديد غريبا عن سياق الآية والإشارة مقحمة فاسدة يأباها الذوق المسدد ويمجّها الفهم المؤيد ويردها العقل

---

[1] - الحلية. ج10، ص196.،

[2] - طبقات الصوفية.ص: 211.

[3] - تفسير السلمي .جـ1. ص: 295.

[4] - لطائف الإشارات .جـ2.ص: 78.

الذي جعل الوحي موجها وقائدا.ومن ذلك ما جاء في تفسير"السلمي" لقوله تعالى في سورة "الرعد": ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الرعد: ٣ حيث قال: (قال بعضهم: هو الذي بسط الأرض وجعل فيها أوتادا من أوليائه وسادة من عبيده، فإليهم الملجأ وبهم الغياث، فمن ضرب في الأرض يقصدهم فاز ونجا، ومن كان سعيه لغيرهم خاب وخسر)[1] والإشارة التي ذكرها السلمي فضلا عن فسادها – لا يمكن قبولها لمصادمتها لقطعي الثبوت والدلالة من نصوص الوحي قرآنا وسنة،وعدم مواءمتها للسياق العام وأمر الخلائق من المبدإ إلى المنتهى في كلياته وجزئياته بيد الله وحده – ولا يملك ملك مقرب أو نبي مرسل ناهيك عن غيرهم أن يقدم أو يؤخر أو يزيد أو ينقص من الأمر شيئا، ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الأعراف: ٥٤ ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ الروم: ٢٧ سبحانه وتعالى .

وكما لم يسلم" السلمي"[2] -مما رمي به – من الأوصاف والنعوت التي سبق ذكر بعضها لم يسلم أيضا من الرمي بالتشيع والرفض، لكن يرد هذا ويدحضه معاني بعض الآيات التي أشارها إلى أبي بكر أو إلى الثلاثة الذين جاءوا من بعده رضي الله عنهم أجمعين ومن ذلك تفسيره لقوله سبحانه":

﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ النور: ٣٥ حيث قال في شرح"لا شرقية ولا غربية "رواية عن جعفر الصادق: (...ونور الطريق إلى الله جل جلاله بنور أبي

---

[1] – تفسير السلمي .جـ1. ص: 326.

– وانظر: المعنى في استقامته في لطائف الإشارات، ج2، ص216.

[2] – انظر تفسير قوله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾ التوبة: ٤٠ جـ1.ص: 224 وما بعدها.

بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم ورحمته ...وقال أيضا- يعني جعفر الصادق-: في هذه الآية نور السماوات بأربع: جبريل ومكائيل وإسرافيل وعزرائيل عليهم السلام، ونور الأرض بأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم)[1] والإشارة – بصرف النظر عن قبولها أوردها – تنزه " أبا عبد الله " عما ألصقه به الكذابون وتبرىء ساحة " أبا عبد الرحمن" مما افتراه عليه المفترون. وأوضح من هذا وأصرح وأشد في التنكيل بمن آذوا رسول الله ﷺ في عرضه ما جاء في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ النور: ١ فقد قال في تفسيرها: (قال بعضهم: لو لم تكن من آيات هذه السورة إلا براءة الصديقة بنت الصديق، حبيبة حبيب الله لكان كثيرا، فكيف وقد جمعت من الأحكام والبراهين ما لم يجمعه غيرها)[2].

إن تفسير السلمي عمل " علمي " ككثير من الأعمال التي اشتملت على صحيح من الروايات والآثار والأقوال والمعاني الصحيحة في أسانيدها ومتونها ومعانيها من غير أن تخلو أيضا من كثير من الأخطاء بل الخطايا أحيانا أملتها طبيعة المرحلة التاريخية التي عاش فيها بمكوناتها السياسية والعلمية والثقافية،فلم يكن – رحمه الله – بدعا في هذا، إذا علمنا أن علماء محققين جاءوا بعده بقرون متطاولة وقعوا فيما وقع فيه " السلمي" وغيره مع علمهم بأخطاء من سبقوهم واطلاعهم على تلك المعاني الدخيلة في التفسير إلا أنهم أثبتوها في تفاسيرهم وضموها إلى الصحيح من المعاني في التفسير كما وقع للألوسي وابن عجيبة من المحدثين ووقع لآخرين سابقين عليهما أو متأخرين عنهما ولا يعود هذا لجهل أو قلة علم ومعرفة بالسنن والآثار والإسلام بوجه عام-كما قيل- بقدر ما يعود إلى نزعة جامعة لكل ما قيل في التفسير ورغبة ذاتية تملي على صاحبها أن يقول كل ما يعرف في تفسير هذه الآية أو تلك بصرف النظر عن اتساق المعنى مع الآية اتساقا تاما أم لا، تاركين الحكم على المعنى صحة أو فسادا للقارئ الذي لا شك أنه سيكتشف أن الكثير من الإشارات واللطائف إن لم تكن نوعا من أنواع التخدير الفكري فهي ترف عقلي تولت سيرورة الحياة العقلية والفكرية عبر القرون المتعاقبة الحكم عليها بالانزواء في زوايا بعيدة عن مسار الحياة العقلية والسلوكية .التي عرفت الإشارة

[1] – تفسير السلمي .جـ2. ص: 52

[2] – المصدر نفسه .جـ2. ص: 41.

في زمن القوة والانتصار كما ترددت على ألسنة شريحة عريضة في المجتمعات الإسلامية في فترات التراجع والانكسار، وسواء قيلت في زمن القوة أو وقت الضعف فمعيار صحتها أو فسادها موافقتها أو مخالفتها للإسلام فإن جنحت إلى فساد المعنى ردت أو أشارت إلى حلول واتحاد فهذا غير مظنون بعاقل ناهيك عن مسلم صيغ صياغة تأبى الإشارة والتأويل الذي يلوي عنق الآية وتجرها جرا إلى المعنى المخبأ في بطنه وعقله المأسور بإملاءات الهوى، ويلبسها معنى فاسدا يشين نص التنزيل الكريم، ويبتعد به عن أداء ألفاظه في صورتها الإفرادية أو التركيبية لمعانيها الموضوعة لها.

إن تحويل أكثر آيات الكتاب الكريم إلى رموز وأسرار متجهة نحو كيان الإنسان وأجزائه من القلب والعقل والنفس سمُج لكثرة تخريج الآيات عليه وبدا فيه التكلف الذي لا ينعش الروح، ولا يشرح الصدر والخاطر، ولا يسر السامع والناظر. كما أن الإشارة التي تذهب في تفسيرها لآية من الآيات إلى القول بأنه لا فرق بين الخالق والمخلوق القديم والحادث، الله والعالم مع نفيها لحقائق الأشياء وإثبات وجود واحد هو وجود الله القديم ونفي الوجود الحادث لا يذهب إليها إلا ذاهب العقل حين لم يتورع عن أن يقول: إن الوجود هو عين الوجود الإلهي، وأن هذا العالم المختلف في أشكاله وموجوداته ليس سوى مظاهر متعددة أو تجليات لهذه الحقيقة الواحدة ولأسمائها الحسنى، وكل ما ندركه فهو وجود الحق متجليا في أعيان الممكنات،ونسي القائل حقيقة بسيطة أحاط بها علما عامة الناس وخاصتهم عقلاؤهم ومجانينهم —ولله المثل الأعلى— أن السيارة ومصممها والعمارة وبانيها أمران مختلفان وشيئان بينهما برزخ لايبغيان،لأن تنكب قوله عن الحق واضح، وزلة لسانه عن مهيع الطريق لائحة . ولأن آثار بعض الإشارات كانت وبالا ودمارا ركنت معها الأمة إلى التخلف فسيقت بعد أن كانت سائقة،واقتيدت بعد أن كانت قائدة، وتحكم فيها أعداؤها بعد أن كانت حاكمة، وتردت بعد أن كانت رائدة، وتابعة بعد أن كانت حادية للقافلة الحضارية في سيرها، فخسر العالم بانحطاطها .وتراجع أدائها الحضاري مرشدا وموجها إلى الحق وإلى طريق مستقيم.

أما من قال في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ هود: ١١٤ إن الآية أشارت إلى (أن الله سبحانه لم يرض للمؤمن بالذنب حتى ستر، و لم يرض بالستر حتى

غفر و لم يرض بالغفران حتى بدّل)[1] فليس فيما قال وإليه أشار خروج عن دلالة النص ولا تعسّف في إنزال الآية على غير مرادها وقد دلّ على هذه الإشارة نصوص أخرى من الكتاب والسنة .

وقد جاءت الإشارات الصحيحة في تفسير السلمي جنبا إلى جنب مع اللطائف الفاسدة، إذ لا يتصور أن يصدق على كل الإشارات واللطائف ويلحقها حكم الفساد والبطلان وقد نقل أكثرها "السلمي" عن أمثال: الجنيد والثوري وجعفر الصادق وسهل وسواهم.

فمن الإشارات التي يمكن قبولها لاشتمالها على شروط القبول فيما يبدوا ما ذكره في معنى

﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ الفاتحة: ٦ حيث قال: ("اهدنا" أي أرنا طريق أنسك فنفرح ونطرب بقربك، فهذا دعاء العارفين)[2] وإن كان قصره على العارفين تقصيرا من أبي عبد الرحمن –رحمه الله.

ومن ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى في آية الكرسي: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ ﴾البقرة: ٢٥٥ حين قال: (قال بعض البغداديين: وأنى تأخذ السنة من كان ولا سنة،وأوجد السنة قهرا لعباده ونقصا ارتبط الأشياء بأضدادها (كذا) وانفرد هو عن الأحوال لأنه مَخولها[3] .

ومن ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ يونس: ٩٦ حيث قال نقلا عن "الواسطي "[4] – وهو كثير النقل عنه –، قال: قال الواسطي: من لم يلحقه نور الأزل لا يتبين عليه صفات الوقت، فإن صفات الوقت نتائج أنوار الأزل قال الله تعالى:

---

[1] – روح المعاني.الألوسي .جـ12.ص: 498.

[2] – تفسير السلمي .جـ1. ص: 39،

– وانظر: المعاني والإشارات الكثيرة في "اللطائف"، ج1، ص49، 50 . والتي منها: ("الصراط المستقيم" ما عليه من الكتاب والسنة دليل، وليس للبدعة عليه سلطان، ولا إليه سبيل) وهو عبارة لا إشارة.

[3] – المصدر نفسه .جـ1. ص: 76

[4] – هو أبو بكر محمد بن موسى من قدماء أصحاب الجنيد و غيره ، ومن علماء مشايخ الشام ، كان عالما بالأصول و علوم الظاهر، دخل خراسان و مات بها بعد (320 ه) .

– انظر ترجمته في : طبقات الصوفية (الطبقة الثالثة .ص: 303 (رقم 12) ، الرسالة القشيرية .ص: 24 ، الكواكب الدرية . 2/ 159 – 162 (رقم 379) .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ يونس: ٩٦ - ٩٧ [1].

ومن ذلك أيضا ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ الحجر: ٤٩، قال " أقم عبادي بين الخوف والرجاء ليصح لهم سبل الاستقامة والإيمان، فإنه من غلب عليه رجاؤه عطّله،ومن غلب عليه خوفه أقنطه) [2].

ومما يمكن قبوله لأنه لم يبتعد عن معنى الآية ما جاء في تفسيره لقول الله عز وجل: ﴿ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ النحل: ٦٩ قال نقلا عن أبي بكر الوراق[3]: (النحلة لما اتبعت الأمر وسلكت سبيلها على ما أمرت به جعل لعابها شفاء للناس،كذلك المؤمن إذا اتبع الأمر وحفظ السر وأقبل على ربه جعل رؤيته وكلامه ومجالسته شفاء للخلق، فمن نظر إليه اعتبر ومن سمع كلامه اتعظ ومن جالسه سعد)[4].

ونقل في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾ طه: ١٤ عن الواسطي أنه قال —من جملة ما قال-: (أحب أن يريه عجزه) [5]والعبادة والعبودية ليست إلا كمال الفاقة والعجز والفقر إلى الله تعالى المنزه عن كل نقص الغني عن العالمين سبحانه وتعالى.

ومما ذكره من المعاني وشهد له صحيح الوحي ما نقله عن أبي عبد الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ الحج: ٢ حيث قال جعفر:

---

[1] - تفسير السلمي .جـ1. ص: 309.

[2] - المصدر نفسه .جـ1. ص: 356.

[3] - هو محمد بن عمر الحكيم ، أصله من ترمذ له الكتب المشهورة في أنواع الرياضات و المعاملات و الآداب .

- انظر ترجمته في : طبقات الصوفية (الطبقة الثانية) .ص:221 (رقم 13) ، حلية الأولياء .10/ 251 – 252 (رقم 563)، صفة الصفوة .4/ 97 ، الرسالة القشيرية .ص: 22 .

[4] - تفسير السلمي .جـ1. ص: 369

[5] - المصدر نفسه .جـ1. ص: 437

أسكرهم ما شاهدوا من بساط العز وسلطان الجبروت وسرادق الكبرياء حتى ألجأ النبيين إلى أن قالوا: نفسي نفسي)[1].

ومن المعاني الجليلة التي ذكرها في تفسير لفظة "التوكل" في قوله سبحانه: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴾ الفرقان: ٥٨ قوله: (قال بعضهم: التوكل أن تكون مثل الطفل لا يعرف شيئا يأوي إليه ولا يرى إلا أمه، كذلك المتوكل يجب ألا يرى لنفسه مأوى إلا الله..

قال بعضهم: الاعتماد على الغنى غايته الفقر، والاعتماد على القوة آخره الضعف، والاعتماد على الخلق هو طريق الخذلان، ومن اعتمد سوى ربه، وتوكله (كذا) على غيره، فقد ضيع وقته وخاب سعيه لأنه الحي الذي لا يجري عليه فتور العوارض، دعاك إليه باللطف دعوة فقال: وتوكل على الحي الذي لا يموت")[2].

وتبدوا الإشارة التي نقلها "السلمي" عن سهل " في قوله تعالى: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ

---

[1] - تفسير السلمي .جـ2. ص18، وانظر: تفسيره لقوله سبحانه بعد ذلك: ﴿ وَلِيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا ۖ وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۚ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۖ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ ۖ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ الحج: ٢٦ - ٢٨ فقد خلط معاني صحيحة وإشارات لطيفة وهي الأكثر بمعان ولطائف، التوقف في قبولها أولى من بحارات من نقل عنهم أبو عبد الرحمان والله أعلم.

[2] - المصدر نفسه .جـ2. ص: 63،

- وانظر: الكثير من المعاني الصحيحة والجميلة في تفسيره لقوله سبحانه: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ الفرقان: 63 جـ2. ص: 66 وما بعدها.

- وانظر أيضا تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ العنكبوت: ٦٩ . فقد قال من جملة ما قال في تفسيرها وتوضيح معناها . (قال أبو عثمان: الطريق إلى الله واضح والوصول إليه بالمجاهدة والمجاهدة بنظام* (كذا) النفس والشهوات ونزوع القلب عن الأماني والشبهات وخلو السر عن النظر إلى الخلق والرجوع إلى رب السماوات، حينئذ تصح لك المجاهدة) ج2 .ص: 120.

*ولعلها "قطام" بالقاف والمهملة بعدها.

فِي جَوْفِهِ ﴾الأحزاب: ٤ صحيحة منسجمة مع السابق واللاحق .

قال سهل التوجه إلى الله قصدا من غير التفات، فمن نظر إلى شيء سوى الله فما هو بقاصد إلى ربه فإن الله يقول: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ﴾الأحزاب: ٤ قلب يقبل به على ربه، وقلب يدبّر به أمر دنياه) [1].

ونقل في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ يس: ٢٢ عن ابن عطاء والحلاج وغيرهما فقال: (قال ابن عطاء: بالفطرة جعل الأشخاص في قبضة القدرة،والأرواح في قبضة العزة .

قال الحسين: كل قلب يشتغل بالثواب عن خدمة الآمر فهو أجير وليس بعبد، وإنما يعمل على الأجر عبيد النفوس، ومن أخذه تعظيم حرمة أمر الله لا يلتفت إلى الثواب.

قال بعضهم: العبد الخالص من عمل على رؤية الفطرة لا غير، وأجل منه من يعمل على رؤية الفاطر) [2]. ولا يُسأل عن الجهة التي ورد منها المعنى والإشارة صحة وفسادا، بل المعتبر صحة المعنى أو فساده في ذاته، وفيما نحن فيه إن كان المراد من قول الحسين بن منصور أو البعض الذين نقل عنهم"السلمي" عدم الالتفات إلى الثواب ورجائه ابتداء وانتهاء فالقولان تردهما النصوص القطعية الثبوت القطعية الدلالة، أما إن كان المراد زيادة تعظيم الحق جل جلاله، والنظر إلى كل ما فيك من النعم الظاهرة والباطنة على أنها من الله وحده مصداقا لقوله سبحانه: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴾ النحل: ٥٣، وهو ما يشير إليه قول "بعضهم": " وأجل منه من

---

[1] – تفسير السلمي .جـ2. ص: 141 .

– وانظر: تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ فاطر: ١٥ فقد نقل عن "ذي النون" أنه قال: (الخلق محتاجون إليه في كل نفس وخطرة ولحظة) .جـ2. ص: 159.

– وانظر: تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ فاطر: ٣٢.جـ2. ص: 161 وما بعدها.

[2] – المصدر نفسه. جـ2. ص: 172

يعمل على رؤية الفاطر " فالمعنى أو الإشارة صحيحان.

ونختم شواهد "السلمي" بما فسر به قوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ الذاريات: ٥٨ فقد نقل عن بعضهم أنه قال: (اعتبروا كيفية الأرزاق باللبيب الطالب وحرمانه والطفل العاجز وتواتر الأرزاق عليه "لتعلموا أن الرزق طالب وليس بمطلوب فإن الله هو الرزاق ذو القوة المتين)[1].

والخلاصة أن حقائق التفسير "لأبي عبد الرحمن السلمي" ضم في ثناياه معاني وإشارات موهمة يوجب ظاهرها ردها وعدم قبولها لخروجها السافر أحيانا عن المعاني البعيدة التي يمكن استنباطها منها ناهيك عن المعاني القريبة كما اشتمل على معان مقبولة في مجملها، وأكثر المعاني المردودة والمقبولة نقلها عن أئمة موثوقين في علمهم وديانتهم كمالك وسفيان الثوري وابن المبارك والجنيد والداراني وسواهم،كما نقل عن آخرين تكلم فيهم أهل العلم وجرحوهم وتعاملوا مع ما نقل عنهم بحذر وحيطة شديدين كالحسين بن منصور الحلاج وغيره.

ولا يحتاج الأمر بعد هذا إلا إلى التثبت من المنقول عن هؤلاء وهؤلاء ليحكم على الصحيح بالصحة والفاسد بالبطلان، وقد سمعت ما قاله ابن تيمية: عن منقولات "السلمي عن جعفر الصادق رضي الله عنه . والله أعلم ".

هذا عن أبي عبد الرحمن السلمي، فكيف كان مسلك تلميذه القشيري في "لطائف الإشارات"، وما صلة ما قيل فيه بمن سبقه وفي مقدمتهم السلمي؟ .

[1] - تفسير السلمي.جـ2. ص: 279

المبحث الثالث: لطائف الإشارات... الإمام القُشَيْري عبد الكريم بن هوازن النيسابوري (377هـ-465هـ).

(نسبة إلى قشير بن كعب وهي قبيلة كبيرة)[1].

الأستاذ أبو القاسم القشيري، الملقب زين الإسلام، الإمام مطلقا، وصاحب "الرسالة" التي سارت مغربا ومشرقا، والأصالة التي تجاوز بها فوق الفرقد ورقى .إمام الأئمة، ومجلي ظلمات الضلال المدلهمة، شيخ المشايخ، أستاذ الجماعة، مقدم الطائفة، الجامع للطريقين .

ولد سنة سبع وسبعين وثلاثمائة، (وقيل ست وسبعين وثلاثمائة) وسمع الحديث من: الحاكم، والأهوازي، والسلمي وغيرهم، وروى عنه الخطيب وغيره .

وكان فقيها من رفعاء الشافعية، أصوليا متحققا، متكلما سنيا، محدثا حافظا، مفسرا مفتيا، نحويا لغويا أديبا، كاتبا شاعرا مليح الخط جدا، شجاعا بطلا، أجمع أهل عصره على أنه سيد زمانه وقدوة وقته وأوانه. لم ير مثل نفسه، ولا رأى الراؤون مثله في كلامه وبراعته، جمع بين الشريعة والحقيقة .

...(قيل عنه): لو قَرَعَ الصخرَ بسوط تحذيره لذاب، ولو ربَطَ إبليسَ في مجلس تذكيره لتاب ... ماهر في التكلم على مذهب الأشعري[2]، خارج في إحاطته بالعلوم عن الحد البشري...).

وقد ذكر بعض الذين ترجموا له أن أتباعه بلغوا الألوف، لأنه تلميذ الأكابر من شيوخ نيسابور وغيرها[3] كان يحضر مجالسه الأكابر[4].

---

[1] – ابن خلكان .ج3.ص: 208.

[2] – هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم ، ينتهي نسبه إلى أبي موسى الأشعري ، إمام المتكلمين ، ناصر السنة و قامع البدعة ، كان آية في الذكاء و قوة الفهم و سعة العلم ، صاحب المؤلفات الكثيرة ، منها "مقالات الإسلاميين" و "الإبانة" و غيرهما توفي حوالي (324هـ)

- مصادر ترجمته : تاريخ بغداد . 11 / 346 – 347 (رقم 6189) ، الوفيات .3/ 384 – 386 (رقم 429) ، السير 15 / 85 – 90 (رقم 15) .

[3] – الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية –الطبقات الكبرى –ج2.ص: 187.

[4] –انظر: المصدر السابق .ص: 188.

(الصوفي الزاهد شيخ خراسان وأستاذ الجماعة ومصنف "الرسالة ")[1] .

ذكر ابن خلكان قصة حضوره بمجلس الشيخ أبي علي الحسن بن علي النيسابوري المعروف بالدقاق[2]وخروجه إلى درس أبي بكر محمد بن أبي بكر الطوسي، كما ذكر اختلافه إلى أبي بكر بن فورك، وتردده إلى أبي إسحاق الإسفراييني[3]، كما أشار إلى أنه ألف تفسيرا كبيرا قبل سنة عشر وأربعمائة وسماه: "التيسير في علم التفسير "وصفه ابن خلكان بأنه من أجود التفاسير .ثم قال: (وأما بمجالس الوعظ والتذكير فهو إمامها، وعقد لنفسه بمجلس الإملاء في الحديث سنة سبع وثلاثين وأربعمائة)[4]. قال ابن الجوزي: (...وكان –يعني القشيري–) يهوى مخالطة أهل الدنيا، فحضر عند أبي علي الدقاق فجذبه عن ذلك فسمع الفقه من أبي بكر محمد بن بكر الطوسي، ثم اختلف إلى أبي بكر بن فورك فأخذ عنه الكلام، وصار رأسا في الأشاعرة، وصنف "التفسير الكبير"، وخرج إلى الحج في رفقة فيها أبو المعالي الجويني، وأبو بكر البيهقي فسمع معهما الحديث ببغداد والحجاز، ثم أملى الحديث وكان يعظ)[5].

ثم قال: (ولم يدخل أحد من أولاده بيته، ولا مسَّ ثيابه ولا كتبه إلا بعد سنين احتراما له وتعظيما.

ومن عجيب ما وقع أن الفرس التي كان يركبها كانت قد أهديت له، فركبها عشرين سنة لم يركب غيرها، فذكر أنها لم تعلف بعد وفاته، وتلفت بعد أسبوع)[6].

---

[1] –شذرات الذهب في أخبار من ذهب .لابن العماد الحنبلي .ج3.ص: 320.

[2] – هو الحسن أبو علي الدقاق الزاهد العارف شيخ الصوفية (ت406 ه) لسان وقته و إمام عصره برع في الفقه ثم سلك طريق التصوف ، صحب الأستاذ أبا القاسم النصراباذي و أخذ عنه الطريقة . أخذ عنه القشيري .

– انظر ترجمته في : طبقات الشافعية .ج1 / 253 – 254 (رقم 477) .الكواكب الدرية .2/ 179 – 182 (رقم 387) .

[3] – إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران ، عالم بالفقه و الأصول ، كان يلقب بركن الدين ، له كتاب " الجامع في أصول الدين" و"رسالة" في أصول الفقه ،وله مناظرات مع المعتزلة .انظر : وفيات الأعيان.1 / 28 (رقم 4) . الأعلام .1 / 61 .

[4] –وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان .ج3.ص: 206.

[5] –المنتظم في تاريخ الملوك والأمم .ج16.ص: 148. دار الكتب العلمية –بيروت .دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصححه: نعيم زرزور .

[6] –المصدر نفسه .ج16.ص: 149.

وقد كان للقشيري محنة مع الحنابلة أشار إليها ابن الجوزي في "المنتظم" عمل بشأنها رسالة سماها "شكاية أهل السنة لما نالهم من المحنة "قال عنها ابن الجوزي: (لو أن القشيري لم يعمل في هذا رسالة كان أستر للحال ...إلى أن قال: ثم لم يذكر حجة له، ولا دفع شبهة للخصم —يعني الحنابلة- وذِكْرُ مثلِ هذا نوع تغفيل) [1].

وقد كان من شيوخه: محمد بن فورك، ومحمد بن أبي بكر الطوسي، وأبو إسحاق الإسفراييني، وأبو علي الدقاق الذي حمله إعجابه بالقشيري على مصاهرته فزوجه ابنته، وإمام الحرمين أبو المعالي الجويني، وكان من أصدقائه ونظرائه في المعرفة، وممن استفاد منهم في علم الكلام والفقه[2]، وأبو عبد الرحمان السلمي، والنصرأباذي وأجل ما أخذ عن السلمي والنصرأباذي التزكية ومعارف أهل الخاصة حتى قيل إنه زاد على الأخير حالا ومقالا [3].

كان القشيري شافعيا في الفروع، أخذ أصول المذهب وفروعه عن القفال والحصري وغيرهما، وأشعريا في الأصول، ومشيخته تشير إلى ذلك[4].

قال الخطيب البغدادي: -بعد ذكره لبعض شيوخ القشيري -: (... وقدم علينا في سنة ثمان وأربعين وأربعمائة، وحدّث ببغداد وكتبنا عنه وكان ثقة، وكان يعظ، وكان حسن الموعظة، مليح الإشارة وكان يعرف الأصول على مذهب الأشعري، والفروع على مذهب الشافعي) [5]. وساق بعد ذلك حديثا رواه القشيري قال: أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن عمر الخفاف —بنيسابور — أخبرنا أبو العباس السراج، حدثنا عبيد الله بن سعيد، حدثنا يحيى بن سعيد عن هشام قال: أخبرني أبي عن عائشة قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ يقرأ في شيء من صلاة الليل جالسا حتى إذا كبّر قرأ جالسا، فإذا بقي عليه من السورة ثلاثون —أو أربعون —آية قام فقرأهن ثم ركع) [6].

---

[1] -ج15.ص: 341.

[2] -انظر: المؤلفات الرئيسية في التفسير الإشاري عند أهل السنة .صالح الداسي .ص: 61.

[3] -انظر: المرجع نفسه .ص: 61.

[4] -انظر: المرجع نفسه .ص: 62.

[5] -تاريخ بغداد أو مدينة السلام .ج11.ص: 83. المكتبة السلفية – المدينة المنورة-.

[6] -المصدر نفسه .ج11.ص: 83.

مولده: قال الحافظ أبو بكر البغدادي: (سألت القشيري عن مولده فقال: في ربيع الأول من سنة ستّ وسبعين وثلاثمائة . قال شجاع الذهلي: وتوفي بنيسابور في سنة خمس وستين وأربعمائة)[1]. وقال عنه "ابن خلكان "(الفقيه الشافعي، كان علامة في الفقه والتفسير والحديث والأصول والأدب والشعر والكتابة، وعلم التصوف، جمع بين الشريعة والحقيقة) [2].

وقد كان لهذه المشيخة ظلال واضحة في آثاره العلمية بدت في "لطائف الإشارات " خاصة حتى قيل عنه إنه أعدل تفسير إشاري، فلم يتعرض لما تعرض له "حقائق" شيخه "السلمي"، فالتحفظ الشديد في تناوله لتفسير آيات الكتاب الكريم تناولا إشاريا حمله على أن لا ينبو بالألفاظ الكريمة عن مبانيها، ولا السياقات القرآنية عن فهومها ومعانيها فجاءت إشاراته ومذاقاته مخالفة لإشارات ومذاقات الباطنية المبعدين للألفاظ عن حدودها اللغوية والمخرجين للمعاني عن سياجاتها الشرعية، التي تعتمد أساسا في استلال خفايا الألفاظ والغوص في معانيها المستترة مع عدم هدم هذه الحدود وتمزيق تلك السياجات [3].

وقد سلك القشيري هذا المسلك المعتدل حتى عد مقياسا (يسبر به مدى استقامة صوفي بعينه، ومدى التزامه بأسس الشريعة الإسلامية، ودليلا من الأدلة على أن المؤثرات الأجنبية لم تخرج بالتصوف الإسلامي الأصيل عن دائرة الكتاب والسنة[4].

والتصوف عند القشيري حَلٌّ لمشكلات عجزت العلوم العقلية عن حسمها لكن من غير أن تحط

---

[1] - تاريخ بغداد أو مدينة السلام. ج11.ص: 83.

[2] -وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان .ج3.ص: 205.

[3] -انظر: المؤلفات الرئيسية في التفسير الإشاري عند أهل السنة .د: صالح الداسي .ص: 64.

- وقال الأسنوي (عبد الرحيم جمال الدين ت: 772ه) في ترجمته للقشيري: (الأستاذ ... الإمام الفقيه الأصولي، المتكلم، المفسر، النحوي، الأديب، الشاعر، الكاتب، الصوفي، لسان عصره وسيد وقته، وسر الله في خلقه، أستاذ الجماعة، ومقدَّم الطائفة، ومقصود سالك الطريقة، وبندار الحقيقة، لزم العلم والعبادة، وسلك الطرائق المفضية إلى نيل السعادة، فأينعت زهراته، وطابت ثمراته، وتفرّعت منه فروع أضحت في العلوم والمعارف أصولا، ورامت الفحول الوصول، فلم يستطع إليه سبيلا ووصولا)" - طبقات الشافعية .ج2.ص: 157. دار الكتب العلمية –بيروت .ط1/1407ه-1987م(تحقيق): كمال يوسف الحوت .

[4] - انظر: تقديم الدكتور محمد عبد الرحمان بيصار للكتاب: "الإمام القشيري –سيرته –آثاره –مذهبه في التصوف – للدكتور: إبراهيم بسيوني .ص: د .

من قدر العقل عند أرباب القلوب بل جعل مجاله ودوره تصحيح البدايات، وهو شرط أساسي في تقوية الإيمان، لكن الاستمرار في الاعتماد عليه في طريق المعرفة والوصول إلى الحقائق العليا أمر محفوف بالمخاطر [1].

وليست الرياضات والمجاهدات وثمراتها من الأذواق والمواجيد بالمقابل عند القشيري بدعا بل بنيت على أصول كانت الشريعة مصدرها الذي بدأت منه وموردها الذي انتهت إليه .

وفي باب التفسير الإشاري الصوفي – وهو ما يعنينا هنا أكثر من غيره – أخطأ كثير من الباحثين وفي مقدمتهم " جولد تسيهر" من المستشرقين حين حصروه في "السلمي "، وإخوان الصفا، وابن عربي وكأنه وقف عليهم دون سواهم (مع أن النظرة المتفحصة تدلنا على أنهم في حقيقة الأمر لا يمثلون التفسير الصوفي الحق، فإخوان الصفا لم يكونوا متصوفة، وإنما كانوا مشتغلين بالفلسفة وبغيرها من المعارف حتى وصلوا –في رأي البعض –إلى أنهم كانوا ملاحدة، وأبو عبد الرحمان السلمي صاحب حقائق التفسير متهم في رأي كثير من النقاد الأقدمين بالوضع في الحديث، وباتجاهه نحو القرمطة . وابن عربي صاحب مدرسة وحدة الوجود وصاحب آراء في الولاية وغير ذلك من الاتجاهات التي أنكرت عليه، بل ذهب البعض إلى تكفيره) [2]فالإنصاف يقضي بأن يلتفت الباحثون إلى تفاسير إشارية أخرى كـــ: "لطائف الإشارات" للقشيري الذي لم يتورط صاحبه في المزالق التي تورّط فيها غيره، والأخطاء التي وقع فيها سواه، ولذا لا نبتعد عن الحقيقة إذا قلنا إنه يمكن اعتباره نموذجا يمثل التفسير الإشاري الصوفي أصدق تمثيل[3].

ذلك أن صاحبه –رحمه الله –ليس لديه كما –سنرى– شيء يأباه الإسلام من الأقوال التي عارضت الشريعة وأسخطت أهل السنة على من قالها كالحلول والاتحاد والانسان الكامل[4].

ولا شك أن مَردَّ الاستقامة عنده وأساسها شيوخه وتجربته الروحية الخاصة التي آتت أكلها علما

---

[1] – انظر: المرجع السابق .ص: حـــ، ز .

[2] – الإمام القشيري –سيرته –آراؤه – مذهبه في التصوف – ص: ح للدكتور: إبراهيم بسيوني .منشورات المكتبة العصرية .صيدا– بيروت .1392ه–1972م.

[3] – انظر: المرجع نفسه .ص: ط.

[4] – انظر: المرجع نفسه .ص: ط .

غير مسطور في ورق بل كان رهن مكابدة وذوق، ولا يعبر عن الشوق إلا من يكابده، ولا عن الصبابة إلا من يعانيها، ساعده في التعبير عما يجيش في أعماقه حسّه الأدبي المرهف ولغته الشاعرة التي جعلت من الطريق إلى الله تعالى عند إمامنا قلبا واللغة نثرا وشعرا قالبا ومعالم الشريعة هاديا وموجها حتى لا تزلّ قدم بعد ثبوتها[1] فهو سني حريص على سنيته، ملتزم بذلك في جميع نواحي تفكيره وتعبيره[2]متعدد العلوم والمعارف، (وليس أجدى على المفسر لكتاب الله من تنوّع ثقافاته، وليس أجدى على البحث الصوفي من أن يطرق الإنسان أبوابه بعد أن يكون قد تزوّد بحصيلة فائقة من العلوم العقلية والنقلية) [3] فإن انطوت بعض أفكاره على أثر خفي فيه مجافاة لسنيته، فإن سفينته لم تكن في عمومها محملة إلا بأفكار سنية، متجهة إلى شطآن السنية، ولا تعدو تلك الآثار أن تكون إحدى وشوشات صديقه "السلمي" كما يقول إبراهيم بسيوني[4] لكن بصمات شيوخه العظام من أمثال ابن فورك، ومحمد بن أبي بكر الطوسي، وأبي إسحاق الإسفراييني وغيرهم من المشتهرين غلبت (فقد تركوا فيه آثارا بعيدة المدى تجلت في سير حياته وفي مسلكه وفي اتجاهاته وفي طرائق تفكيره وتعبيره) [5].

وقد اتفق الذين ترجموا لشيوخ القشيري[6] ومن تأثر بهم وطالع مؤلفاتهم كالباقلاني أنهم كانوا جميعا –إلى جانب غيرهم من المشتهرين بالبراعة في الناحية العلمية التي تخصصوا فيها – ذوي نزعات زاهدة صوفية، فأبو بكر محمد بن بكر الطوسي إمام أصحاب الشافعي وفقيههم، كان زاهدا ورعا، نزه نفسه عن كل ما لا يليق بأهل العلم .

وأما ابن فورك، فقيل عنه إنه يستسقى به، ويستجاب الدعاء عنده .

وأما الإسفراييني، فقد قيل إنه كان يحضر مجلسه سبعمائة فقيه، وأفتى وهو في السابعة عشرة من

---

[1] –انظر: الإمام القشيري –سيرته –آراؤه – مذهبه في التصوف.ص: ي.

[2] –انظر: المرجع نفسه.ص: 5.

[3] –الإمام المرجع نفسه.ص: 15.

[4] – انظر: المرجع نفسه. ص: 28.

[5] – المرجع نفسه. ص: 30.

[6] –كالسبكي وابن خلكان وابن العماد وغيرهم .

عمره، وفضله وقدّمه الموافق والمخالف، وحدّث عنه البيهقي والقشيري وغيرهما .

وأما الباقلاني الذي لم يكن من شيوخ القشيري لكنه استفاد من مؤلفاته احترام البدايات والمقدّمات العقلية التي تتوقف عليها الأدلة، وإن رأى القشيري –بعد أن اتصل بالحياة الصوفية – أن مهمّة العقل قاصرة على تلك البدايات، وأن القلب منوط بما فوق طور العقل حتى تتم رحلة الروح في عروجها نحو القمم البعيدة والوصول إلى المعارف العليا[1].

وكانت مجالس أبي علي الدقاق: للقشيري نوعا جديدا من الدراسة لم يألفه، ونوعا من الشيوخ لم يستطع عن شخصية الدقاق ولا عن حديثه فكاكا، حتى صار رائدا له ومهمّا، بصّره بآفات النفس، وكشف له عن كثير من الخفايا والدقائق، حتى صارت آراء " الدقاق " عند تلميذه: الحجّة الحاسمة التي لا تُنْقَضُ[2].

وأما السلمي فيمتّ بالقرابة إلى القشيري من جهة أمّه، وهو حلقة اتّصال مباشر بعدد كبير من الشيوخ المرموقين كالدارقطني والسراج الطوسي والنصراباذي، وهو غزير الإنتاج فله نحو مائة كتاب أشهرها طبقات الصوفية، وحقائق التفسير ...بالإضافة إلى أن السلمي سليل بيت زهد، فأبوه صوفي، وأمّه ورعة تقية .

وآثار السلمي قوية في "الرسالة " وفي "اللطائف"لكن القشيري اجتنب المزالق التي كانت سبب نقمة غير واحد على أبي عبد الرحمان السلمي فسَلِم القشيري بمسلكه هذا من النقد والتجريح الذي تعرّض له السلمي وهو بالنسبة إلى القشيري صديق أقرب منه إلى الأستاذ .

في حين كان "الجويني" بالنسبة للقشيري صديقا أقرب منه إلى التلميذ، وكلاهما –أعني الجويني والقشيري– نصر المذهب الشافعي، وكلاهما اكتوى بنار المحنة كونهما أشعريين[3]، وكان الجويني كالقشيري صاحب نزعة صوفية[4].

---

[1] – انظر: الإمام القشيري –سيرته –آراؤه – مذهبه في التصوف–.ص: 31، 32 .

[2] – انظر: المرجع نفسه ص: 33.

[3] – انظر رسالة القشيري " شكاية أهل السنة بحكاية ما نالهم من المحنة " بطولها في "طبقات الشافعية الكبرى" للسبكي (تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي ت: 771ه)ج3.ص: 399 وما بعدها .مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه. ط1/1384ه-1965م. تحقيق: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو.

[4] – انظر: الإمام القشيري –سيرته –آراؤه – مذهبه في التصوف–.ص: 35، 36، 37 .

ومعين الدولة محمود بن سبكتكين[1] الذي كان بأسه على المعتزلة والرافضة والإسماعيلية وغيرهم شديدا.

وفي عهد طغرلبك السلجوقي ووزيره الكندري تعرّض القشيري لأعظم محنة في حياته، ذكر السبكي الكثير من تفاصيلها، وأثبت الرسالة التي كتبها القشيري وبعث بها إلى بعض الأمصار الإسلامية، و لم تنته محنته إلا بعد أن خلف ألب أرسلان طغرلبك سنة (455ه) .

ومع هذه الاضطرابات السياسية وسقوط ممالك وقيام أخرى فإن أهل العلم شقوا طريقهم أمام كل تلك التقلبات وعملوا على نشر العلم والمعارف الإسلامية وغير الإسلامية المختلفة حتى قيل عن "نيسابور" على سبيل المثال إنها كانت زمن القشيري من أكثر الأقاليم فقها وعلما، وأن أهل العلم فيه كان لهم صيت عجيب . وقد صوّر بعض مؤرخي الإسلام الأوضاع السياسية والاجتماعية والعلمية في جانبها المشرق وفي جانبها المظلم وأثر هذه وهذه على حياة الناس بوجه عام، وما يمكن أن نستنتجه مما يتعلق منها بالإمام القشيري والظلال التي تركتها على الآثار العلمية التي خلفها .

ولا شك أن التدافع والصراع اللذين كانا قائمين في تلك الفترة قد كان لهما الأثر القوي على هذا الإمام بحكم المكانة العلمية التي تبوّأها، والصيت الذي بلغه والشهرة التي حازها .

وعلى الرّغم من سوء الأحوال الاجتماعية والاقتصادية بسبب عدم الاستقرار السياسي والصراع العنيف بين المذاهب والنحل المختلفة إلا أنّ جانبه العلمي والثقافي شهد ظهور حواضر علم جديدة نافست بغداد التي كانت حاضرة العلم في تلك الفترة، فعرف أهل العلم "القاهرة" و"قرطبة" و"بخارى" و"نيسابور" و"نسا" و"طوس" و"سجستان" وغيرها . وطلع على الناس أسماء أعلام عظام منهم إمامنا القشيري وشيوخه وكثير من تلامذته، حتى عدّ عصره عصر تفتح وابتكار في العلوم كلّها نقلية وعقلية .

وبصرف النظر عن الغاية من وراء تشجيع العلم، فإنّ نهضة علمية شاملة عمّت أرجاء العالم

---

[1] – هو أبو القاسم سيف الدولة بن الأمير ناصر الدولة أبي منصور ،أحد أئمة العدل ، ومن دانت له البلاد و العباد ، وظهرت محاسن آثاره ، كان إماما عادلا شجاعا ، فقيها ، فهما ، سمحا ، جوادا ، سعيدا ،مؤيدا (ت: 421 ه) .

– انظر ترجمته في : طبقات الشافعية .5/ 314 ، معجم المؤلفين .12 / 167 .

ومعين الدولة محمود بن سبكتكين[1]الذي كان بأسه على المعتزلة والرافضة والإسماعيلية وغيرهم شديدا.

وفي عهد طغرلبك السلجوقي ووزيره الكندري تعرّض القشيري لأعظم محنة في حياته، ذكر السبكي الكثير من تفاصيلها، وأثبت الرسالة التي كتبها القشيري وبعث بها إلى بعض الأمصار الإسلامية، ولم تنته محنته إلا بعد أن خلف ألب أرسلان طغرلبك سنة (455ه) .

ومع هذه الاضطرابات السياسية وسقوط ممالك وقيام أخرى فإن أهل العلم شقوا طريقهم أمام كل تلك التقلبات وعملوا على نشر العلم والمعارف الإسلامية وغير الإسلامية المختلفة حتى قيل عن "نيسابور" على سبيل المثال إنها كانت زمن القشيري من أكثر الأقاليم فقها وعلما، وأن أهل العلم فيه كان لهم صيت عجيب . وقد صوّر بعض مؤرخي الإسلام الأوضاع السياسية والاجتماعية والعلمية في جانبها المشرق وفي جانبها المظلم وأثر هذه وهذه على حياة الناس بوجه عام، وما يمكن أن نستنتجه مما يتعلق منها بالإمام القشيري والظلال التي تركتها على الآثار العلمية التي خلفها .

ولا شك أن التدافع والصراع اللذين كانا قائمين في تلك الفترة قد كان لهما الأثر القوي على هذا الإمام بحكم المكانة العلمية التي تبوّأها، والصيت الذي بلغه والشهرة التي حازها .

وعلى الرّغم من سوء الأحوال الاجتماعية والاقتصادية بسبب عدم الاستقرار السياسي والصراع العنيف بين المذاهب والنحل المختلفة إلا أنّ جانبه العلمي والثقافي شهد ظهور حواضر علم جديدة نافست بغداد التي كانت حاضرة العلم في تلك الفترة، فعرف أهل العلم "القاهرة" و"قرطبة" و"بخارى" و"نيسابور" و"نسا" و"طوس" و"سجستان" وغيرها . وطلع على الناس أسماء أعلام عظام منهم إمامنا القشيري وشيوخه وكثير من تلامذته، حتى عدّ عصره عصر تفتح وابتكار في العلوم كلّها نقلية وعقلية .

وبصرف النظر عن الغاية من وراء تشجيع العلم، فإنّ نهضة علمية شاملة عمّت أرجاء العالم

---

[1]– هو أبو القاسم سيف الدولة بن الأمير ناصر الدولة أبي منصور ،أحد أئمة العدل ، ومن دانت له البلاد و العباد ، وظهرت محاسن آثاره ، كان إماما عادلا شجاعا ، فقيها ، فهما ، سمحا ، جوادا ، سعيدا ،مؤيدا (ت: 421 ه) .

– انظر ترجمته في : طبقات الشافعية .5/ 314 ، معجم المؤلفين .12 / 167 .

الإسلامي في ذلك الوقت كان من حداقها ابن فورك، والبيهقي، والإستراباذي والإسفراييني أبو إسحاق وإمام الحرمين وأبو حامد وغيرهم، واستحوذ على المناهج والمقررات الدراسية فيها آراء أبي الحسن الأشعري ومذهب الإمام الشافعي فكانت القلعة التي تكسّر عليها النفوذ الفاطمي، والملاذ الذي احتمى به أهل السنّة والمنبر الذي علت منه السنة وجعلت كلمة خصومهم من أهل البدع والضلالات السفلى .

في هذا الجو العلمي عاش القشيري، وفي هذا الوسط تتلمذ، وفي هذا الخضم علّم وتخرّج على يديه خلق كثير، فكان من شيوخه وأقرانه وتلامذته سيوف للسنّة وأفاع على أهل البدع والأهواء ووعاظ يسمع الصمُّ نداءهم، وأمالي ومناظرات زادته علما إلى علمه .

وقد أدى كل هذا إلى انتعاش حركة التأليف حفاظا على العلم حتى لا يندرس وتلبية لاحتياجات طلابه المتزايدة، وتبع كل هذا حركة نقد واسعة شملت المعارف اللغوية والحديثية والتفسيرية وغيرها[1].

ويعد القشيري في باب التفسير بوجه عام والتصوف والتفسير الصوفي على وجه التحديد حلقة مهمّة، ذلك أن المرحلة التي عاش فيها القشيري تمثل مرحلة النضج والاكتمال للدراسات الصوفية وما يتبعها من وسائل المعرفة التي وظفت لتبسيط هذا العلم وتقريبه من الناس .

وقد كان التصوّف الميدان الذي تخصّص فيه القشيري ونذر عمره له، وعمل طوال حياته على تطويع جميع المعارف التي تعلّمها لخدمة هذا اللون من المعرفة، فامتدّ التطويع —في جملة ما امتدّ إليه- إلى علم النحو(*)مع أنه من علوم الآلة التي تقيم الألسن لكنّ القشيري سخّره لخدمة التصوّف بطريقة عجيبة

لقد سبق القشيريّ إلى هذا الميدان أئمّةٌ أعلامٌ مثّلوا البدايات الاولى لهذه المعرفة، ومهّدوا السبيل

---

[1]- انظر: (ملخص هذه اللمحة التاريخية) كتاب: الإمام القشيري —سيرته —آراؤه - مذهبه في التصوف-.ص: 4 وما بعدها .

* نحو القلوب الصغير (مطبوع)، نحو القلوب الكبير: وفيه نقل القشيري الاصطلاح النحوي بما له من خصائص إلى علم التصوّف: انظر: الإمام القشيري —سيرته —آراؤه - مذهبه في التصوف-.ص: 76، 77، وأحسب أن هذا من الترف والمتعة العقلية، وصلته بالتزكية مبتوتة، وإن حاول بسيوني وصل هذا بذاك .والله أعلم . وفي نسبة الكتاب — أعني: نحو القلوب الكبير إلى القشيري تردّد.

للقشيري ولمن جاء من بعده، ذلك أن الناس قد عرفوا قبل القشيري: المحاسبي، والجنيد، وابن عطاء، وابراهيم بن أدهم، والفضيل، وشقيق البلخي[1]، وبشر الحافي، والشبلي، والتستري، والسقطي[2]، والبسطامي وغيرهم إلى أن وصل الأمر إلى شيوخ القشيري وفي مقدّمتهم السلمي، ثم تبعه –كما قلت– تلميذه القشيري الذي استفاد من علوم ومعارف سابقيه فجنب هذا العلم أخطاء وانحرافات وقع فيها سابقوه[3] فراح ينفي عن التصوّف ما لحقه من بدع وأباطيل حتى قيل: إن الفرق بين الباقلاني وبين القشيري هو: (أن الباقلاني تكلّم عن الابتداع في الحياة العامة للمسلمين، وأن القشيري قد تناول انعكاس ذلك على التصوّف وفي محيط الصوفية)[4].

ومع الإقرار بهبوب رياح الأفكار التي تهاجر كالطيور طليقة من كلّ قيد كما يقول بسيوني من وراء حدود المشرق الإسلامي، ومن وراء حدود مغربه، لكنّنا لا نجد عند القشيري إلا تصوّفا (كان الإسلام و– والإسلام وحده– معينه الأصلي، ومصدره الأوحد)[5].

والتوافق والاشتراك في النتائج لا يعني بالضرورة أخذ اللاحق عن السابق، ووجود علاقة ونسب بين متشابهين يقويه أو يثبته دليل لا يقبل الرد، ولا دليل، إذ في الإسلام ما يغذي العاطفة الحانية والوجدان الظامئ والأرواح المشرئبّة إلى الملإ الأعلى من غير حاجة إلى مصدر خارج عنه، وعلى فرض وجوده عند القشيري فإنّه لا يتجاوز المظاهر البسيطة التي لا تمسّ جوهر الدين، كما يقول

---

[1] – بن إبراهيم ، أبو علي الأزدي ، من أهل بلخ ، من مشاهير مشايخ خراسان ، صحب إبراهيم بن أدهم ، وأخذ عنه الطريقة .
– انظر ترجمته في : طبقات الصوفية .الطبقة الأولى (رقم 7) .ص: 61 ، صفة الصفوة .4/ 94، الكواكب الدرية .1 القسم الأول (رقم 113) .ص: 320 – 322 . الرسالة القشيرية .ص:13.

[2] –هو سري السقطي بن المغلس (كنيته أبو الحسن) يقال إنه خال الجنيد و أستاذه ، صحب معروفا الكرخي ، و هو أول من تكلم ببغداد في لسان التوحيد و حقائق الأحوال ، و هو إمام البغداديين (ت: 251ه) .
– انظر ترجمته في : طبقات الصوفية .الطبقة الأولى .5 / 48 ، حلية الأولياء .10 / 119 – 132 (رقم 467) ، صفة الصفوة.2/ 172 ، الرسالة القشيرية .ص: 10 ، الكواكب الدرية .1 . القسم الثاني .618 – 623 (رقم 249) .

[3] –انظر: الإمام القشيري –سيرته –آراؤه – مذهبه في التصوف–.ص: 15، 16 .

[4] –المرجع نفسه.ص: 20.

[5] –انظر المرجع نفسه.ص: 21.

الدكتور إبراهيم بسيوني[1]، ويغلب على الظن أن بعض ما أشار إليه " بسيوني" له عند القشيري ومعتدلة الصوفية سلف، فإن لم يكن موجودا رُدَّ من غير التفات إلى المصدر الذي منه جاء فالحق أحق أن يتبع .

لقد نجا القشيري من المؤثرات الشيعية[*]فيما ترك من آثار مع أنها أحاطت به من كل جانب ولازمته طوال عمره الذي زاد عن التسعين عاما فكيف يقال بعد هذا إن السموم الهندية أو اليونانية، أو الفارسية، أو هي مجتمعة كان لها وجود في فكره وحضور فيما خلفه مع أن سفينته –رحمه الله– لم تكن محمّلة إلا بأفكار سنية و لم تكن متّجهة إلا لشطآن السنية –كما يقول بسيوني – [2] .

وما أن يذكر الناس القشيري حتى تقفز إلى أذهانهم " رسالته" وقلّ من يعرف أن له تفسير "التيسير" (بعيدا عن التصوف كل البعد، قريبا من التفاسير التقليدية كل القرب) [3].

ويعرف كثير من أهل العلم أن له تفسيرا آخر للقرآن الكريم (على طريقة أرباب القلوب الذين يعتمد منهجهم في التفسير على الإشارة لا على العبارة، وعلى استبطان خفايا الألفاظ –مفردة ومركبة –دون التوقف عند حدود ظواهرها المألوفة، ومعانيها القاموسية، فهم ينظرون إلى اللفظة القرآنية على أنها ذات جوهر يدق على الفهم العادي، ويرون أن أهل التجريد وحدهم هم الذين يتاح لهم –بفضل من الله–علم يميطون به اللثام عن هذا الجوهر، ويربطون بين هذا العلم وبين العمل فلا يحظى به إلا من جرّد نفسه من العلائق، ونقى سريرته من الكدورات حتى يصل إلى مرتبة الصفاء الكاشف، فتجرد اللفظة من ظواهرها أمام بصيرته، كما تجرّدت نفسه، وتعرى له الحقائق فيستخرج منها ما شاء له الله من إشارات ...لا تعتمد كلية على المهارة العقلية، ولكنّها تعتمد على شفافية

---

[1] –انظر: الإمام القشيري –سيرته –آراؤه – مذهبه في التصوف–.ص: 23.

[*](فالتشيع الذي كان فيما قبل مجرّد عاطفة حانية على آل البيت، قد تطوّرت عبر القرون تطوّرا خطيرا، إذ امتزجت بها أهداف سياسية وأهداف عنصرية بحثت عن دخول العنصر الفارسي ضمن تركيب المجتمع، وكان من أسوإ نتائج هذا التطوّر استشراء أمر الباطنية في هذا العصر –أي عصر القشيري –ونشرهم لكثير من المبادئ الهدامة في السر وفي العلن، الأمر الذي دعا إلى ظهور عديد من الكتب تفضح مخازيهم وقبائحهم) الإمام القشيري –سيرته –آثاره – مذهبه في التصوف –ص: 25.

[2] – انظر: المرجع نفسه.ص: 28.

[3] – المرجع نفسه.ص: 47.

الذوق، وهي لا تنفصل عن عمل الإنسان وجهده في رياضة نفسه، وهي –أخيرا مرتبطة ارتباطا وثيقا بالحياة الروحية الخالصة الصافية) [1].

ويقدّر محقق " اللطائف" أن هذا التفسير هو أهم عمل تركه القشيري وأجلّه[2].

وقد رسم القشيري الملامح التي سلكها لتحقيق الغايات التي يبتغيها من خلال مقدّمة اللطائف، حيث أبان طبيعة التفسير وشرح المقاصد المتوخّاة منه فقال: (الحمد لله الذي شرح قلوب أوليائه بعرفانه، وأوضح نهج الحق بلائح برهانه لمن أراد طريقه، وأتاح البصيرة لمن ابتغى تحقيقه ...إلى أن يقول: وأكرم –الأصفياء– من عباده بفهم ما أودعه من لطائف أسراره وأنواره لاستبصار ما ضمنه من دقائق إشاراته وخفي رموزه: بما لوّح لأسرارهم من مكنونات، فوقفوا بما خُصُّوا به من أنوار الغيب على ما استتر عن أغيارهم ... والحق سبحانه وتعالى يلهمهم بما به يكرمهم، فهم به عنه ناطقون، وعن لطائفه مخبرون، وإليه يشيرون، وعنه يفصحون) [3].

والقشيري وإن طلب المعنى الذي وراء ظاهر العبارة في" اللطائف " إلا أنه لا استغناء له فيما قاله عن مألوف اللغة، ومقررات العقل، وما تضمّنته الروايات وأشار إليه النقل، فلم يجاف بما قاله من اللطائف والتأويلات عقائد الإسلام وشرائعه ومألوف الكلام العربي فلم يجمح و لم يتكلّف و لم يزل به قدم كما زلّت بقوم سبقوه وآخرين جاؤوا بعد عصره كانوا عرضة للسلق بالألسنة الحداد[4].

فحُقَّ أن يقال عن تفسيره: "اللطائف" إنه أوّل تفسير صوفي نحاشى فيه مؤلّفه وجوه نقص كثيرة وقع فيها أسلافه وفي مقدّمتهم شيخه أبو عبد الرحمان السلمي [5].

وخلاصة ما ذكر حول "اللطائف"أن صاحبه (قد استكمل وجوه النقص التي اتّسم بها التفسير الإشاري قبله، وتجنّب التطرّف الذي تورّط فيه بعض المفسّرين الإشاريين من بعده، وأنّه أقرب

---

[1] – الإمام القشيري –سيرته –آراؤه – مذهبه في التصوف–.ص: 50.

[2] – انظر: المرجع نفسه.ص: 52.

[3] –لطائف الإشارات .ج1.ص: 41.

[4] – انظر: الإمام القشيري –سيرته –آراؤه – مذهبه في التصوف–.ص: 54، 55.

[5] –انظر: المرجع نفسه. ص: 56.

التفاسير الإشارية إلى الكمال، وأن باستطاعته أن يساعد على خلق جو ملائم تتلاقى فيه معارف التصوّف ورياضته مع أصول العقيدة وأحكام الشريعة) [1]، ويبين استقامة الرجل، وتعظيم حرمة الشريعة في حياته قولا وعملا، كما يظهر في "اللطائف" قوله في مقدّمة "الرسالة " وهو يميّز بين سبيل الهداية والرشاد وطريق الضلالة والغواية: (زال الورع وطوي بساطه، واشتدّ الطمع وقوي رباطه، وارتحل عن القلوب حرمة الشريعة، فعدّوا قلّة المبالاة بالدّين أوثق ذريعة، ورفضوا التمييز بين الحلال والحرام ... واستخفوا بأداء العبادات، واستهانوا بالصوم والصلاة ...)[2].إلى آخر ما ذكر من المسائل المفرّقة بين الخبيث والطيّب .

ومراعاة حرمة الشريعة في "اللطائف" وغيره من التفاسير الإشارية العملية تبعدها عن التأويلات التي عند الإشاريين من أصحاب النزعات العقلية، لأن ثمرة الإشارة الأولى ناتج عن: عمل إنساني كسبي، مع فضل إلهي وهبي يفتقر إليه في الغالب أهل التأويل من أصحاب النزعة العقلية [3]فالعبد في عرف أهل الاستقامة – عبد والربّ ربّ ولا تداخل ولا امتزاج ولا حلول ولا اتحاد، والاطراد حاصل بين زيادة تحقق العبودية وتحقق الربوبية، إذ بمقدار ما تزيد عبودية العبد لربّه يزيد تحقّقه من ربوبية الرّب تبارك اسمه وتنزيهه عن كل إفك وباطل[4].

فالإشارة السديدة الخالية من الزور والافك والباطل في جانبها الوهبي يسبقها اجتباء واصطفاء إلهي، يتيح استشفاف الجواهر من وراء الظواهر وهي ثمرة جهود مضنية تصفى معها النفس والقلب من كلّ العلائق، مصحوبة بتخليتهما من كل شاغل دني، وتحليتهما بكلّ وصف سَنِيٍّ .وهذا يعني أنّ الإشارات اللطيفة عند القشيري ومن كان على شاكلته ليست عملية عقلية صرفة إلّا في الحدود التي تضمن عدم افتيات هذه الإشارة على العبارة، إذ ليست انبعاثا تلقائيا محضا، بل هي مشدودة منذ البداية بإحكام إلى أسس تحول دون زيغانها[5].

---

[1] – الإمام القشيري –سيرته –آراؤه – مذهبه في التصوف–. ص: 60.

[2] – ص: 2 . دار الكتاب العربي –بيروت. (طبعة ثانية) .

[3] – انظر: الإمام القشيري –سيرته –آراؤه – مذهبه في التصوف.ص: 109.

[4] – انظر: مقدّمة محقق "لطائف الإشارات ".ج1.ص: 05.

[5] – انظر: السابق .ج1.ص: 23، 24 .

ومع ما في "اللطائف" من هنات وإجراء لآيات على غير معناها بالجنوح بها إلى معان تزيد في عدم قبولها إلا أنّه لا يزال كما يقول – إبراهيم بسيوني – من أفضل الأعمال التي أنتجتها قرائح الصوفية في شتى العصور، وإن حكم عليه بأن يبقى لقرون متطاولة في منطقة الظل[1]، فقد مزج فيه صاحبه بين التكوين العقلي الرفيع المستوى، وبين التربية الوجدانية التي تحلّق معها الروح عاليا يسوقها إلى الملإ الأعلى نصوص الوحي وفهوم له ترى الاتباع أغلى وأعلى ما يطلب، فكان هذا سياجا حماه من الاضطراب والجموح والغموض، وأبان له خط الاستقامة والاعتدال والوضوح والصدق والإخلاص في التوجّه نحو الغاية المرجوّة [2].

لقد كشف القشيري في تفسيره هذا عن كثير من الأسرار الكامنة خلف ظاهر اللفظة القرآنية في إفرادها وتركيبها، كما أبان عن مكان عليٍّ في تذوّقه ومدى عمق تدبّره لكتاب ربّه، وليس هذا بالغريب على صوفي ذي بصيرة كاشفة، وشاعر ذي حسّ دقيق رقيق مرهف، ومربٍّ خبير بأغوار النفس الإنسانية، وأديب يحسن التعبير عما يذوق ويجد [3]، وبمقدار ما يزيد من العبد تجاه مولاه الوظائف يضاعف له الكريم جل جلاله المزيد من العطايا واللطائف، وتنهال عليه من لدن المنعم المعارف، والحق سبحانه وتعالى يستحيي ممن طال بالباب وقوفه، ورفع أكفّ الضراعة، وداوم على دعائه ومناجاته .

إن نقل الأنا والآخر من عالم الحس إلى عالم الروح لا يتأتى إلا لواحد بعد واحد، ولا يتوصل إليه إلا بعد أن تصبح الروح كلفة يحب الملأ الأعلى، وأقوى وأعنف من أن تقف عند الجمال المحسوس وهو جمال ينبت من الأرض، ويتغذى من الأرض، ويرجع إلى الأرض، وهو جمال يُفتن به كبار الأطفال، فإذا نضجت أرواحهم استصغروه واستقلوه واحتقروه، ثم مضوا يبحثون عن جمال يوائم ما في أرواحهم من قوّة وصفاء وحبّ ينشد متعة وراء المتعة الحسية، ونعيم غير نعيم الأشياء الماثلة بين أيدينا لعلمنا بل ليقيننا بأن الأرض ليست بعيدة من السماء، فهما في عالم الأرواح شديدا

[1] – انظر: السابق .ج1.ص: 06، 07 .

[2] – انظر: السابق .ج1.ص: 10.

[3] – انظر: السابق .ج1.ص: 37.

الاقتراب، وأكثر الخلق بواطنهم موصولة الأواصر بأقطار السماء [1].

فهل أعاد القشيري التصوف إلى بواطن القلوب بعد أن صار في ظواهر الثياب، وعاد به سيرته الأولى حُرقة بعد أن حوّله أصحاب البطون والقصع الكبيرة والبلادة الروحية حرقة، فألهمتهم أنفسهم بما يدنّس بدل الاشتغال بما يشرّف ؟ .

وهل سدّ القشيري تبعا لذلك باب الإشارة واللطائف، وصفاه من فيض الوساوس بلغة ملك ناصيتها وعبارات روّضها وطوّعها لتشير وترمز إلى غير ما أشار ورمز له من لم يكن من أهل القلوب التي واجهت سرائر الليل وداومت على العبادة وقراءة القرآن والذكر .

إنّ هذا الكتاب – أي القرآن – قد أطال القول في وصف الدنيا وذمّها، وثلبها وتحقيرها، وقضى بأنها لهو ولعب وأنها في نضارتها ليست إلا متاع الغرور، وأنه –أعني القرآن الكريم–أثر روحي مطلق لأنه كلام الله تعالى، وهو حتى في أحكامه التشريعية –وإن بدا أنه ليس إلا تنظيما للعلاقات الدنيوية، فإن هذه العلاقات في نظره تمهيد للصلات، صلات الناس بالكبير المتعال، وكل مغنم لا يقرب المرء من ربه ومولاه هو في نظر هذا الكتاب المبين ذخر باطل سخيف [2].

فإن لم تُعطّر الإشارات واللطائف بعبير الشريعة فلن تملأ جوانب القلوب الخالية، ولن يكتب لها القبول والبقاء تبعا لذلك .

وما أجمل أن تأتي الإشارة من مفسّر يزن أقواله بميزان الشرع، مخالط للناس، صابر على أذاهم، محبٌّ لهم، مشفق عليهم، طامعٍ في توبتهم وإنابتهم، عالم بأن هذه الدنيا مزرعة لدار غيرها، وأن هذه المزرعة خليقة بأن تحبّ وليس في حبّها ما يعيب لأنها من خلق الله، على شرط ألا تكون غالبة مستعبِدة مُذِلة لمن يحبّها، وأن يكون ما فيها من الطيّبات وسيلة لصالح الأعمال [3].

وأحسب أن" القشيري " كان فيه كل هذا وأكثر من هذا، ولذا جاء تفسيره صدى لهذه الروح مع أن "طبيعته " تختلف عن التفاسير المعهودة وقد تميّز منهجه في "اللطائف" بميزات أهمها:

---

[1] – انظر: التصوّف الإسلامي في الأدب والأخلاق.د: زكي مبارك .ج1.ص: 137، 138، 139 .

[2] – انظر: المرجع نفسه .ج2.ص: 06.

[3] – انظر: المرجع نفسه.ج2.ص: 115.

-أنه لا يرى القول بالتكرار في كتاب الله، فالبسملة، والقصص وآية: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ الرحمن: ١٣، وآية ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ المرسلات: ١٥ وسواها لا تعدّ تكرارا في نظره أو إعادة خلت من معان مرتبطة بالسياق الذي وردت فيه، بل تختبئ فيها إشارات ومعان يدركها من رسخت أقدامهم في العلم وأوصلهم الخضوع والذل إلى فهوم وقفوا أمامها حيارى لا يبغون عنها حولا، ولذا التزم تفسير "البسملة " بداية كل سورة باعتبارها آية من القرآن غير مكررة، فجاء تفسيره لها مختلفا من سورة إلى سورة لرجوعها في كل سورة من السور إلى الغرض الخاص الذي للسورة كما يقول الطباطبائي (محمد حسين) [1] .

-ومنها: كثرة استشهاده بالأشعار واستدلاله بها .

-ومنها: تفسيره لسور القرآن الكريم جميعها مرتبا لها على النحو المعهود .

-ومنها: قلة تعرّضه لأسباب النزول .

-ومنها: تفسيره لآيات المعاملات كالمواريث وغيرها بالظاهر .

-ومنها: أنّه إذا أراد المعنى الإشاري غالبا فيقول: (فصل)ثم يورد الإشارات الكثيرة واللطائف العديدة، وربما استعمل لفظ: (والإشارة) ، تنبيها للقارئ على أنه سلك مسلكا جديدا في التعامل مع الآية، وربّما قال: (وعند أهل الحقيقة) .

- ومنها: عدم إهماله التفسير اللغوي لأنه ركيزة للفهم، وسياج يقي من الغلط والشطط.

- ومنها: اهتمامه بالآيات التي تتحدّث عن بعض الظواهر الكونية لا لذاتها، ولكن بهدف التوجيه التربوي وتقويم النفس .

- ومنها: توقفه طويلا عند الآيات المتعلقة بضرب الأمثال " كالكلب، والبعوض، والذباب ...إلخ .والغاية: الوقوف على ما عند الصوفية من توفيق للطاعات .

---

[1] - انظر: الميزان في تفسير القرآن .ج1.ص: 19 . منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت . ط1 / 1411 . – 1991م، صححه وأشرف على طباعته: حسين الأعلمي .

- وانظر: التفسير الإشاري عند أهل السنة .ج2.ص: 457، 458.

- ومنها: أن يبدو لأوّل وهلة في تفسيره للآية متجاوزا لظاهرها غير متعرّض له، لكنه في النهاية يوصلك إلى الغاية من سياق الآية العام، وإن لم يعرج على ظاهرها، فيبرز الظاهر عندها دليلا على ما أشار ومعبّراً إلى ما ذكر من اللطائف [1].

وبالإضافة إلى هذه الميزات المنهجية فإنه يمكن أن نضيف خصائص أخرى "للطائف" من نحو:

-ذكر المعاني الإشارية الكثيرة للآية الواحدة جنبا إلى جنب مع الظاهر من غير أن يتنافيا .

-شدّة اهتمامه بآيات العبادة دون التعرض لتفصيلاتها وجزئياتها، وذلك لأن الإشارة تدور أكثر ما تدور حول هذا المعنى (العبادة)

-تعرّضه لآيات الأحكام كالقتل والجهاد، والدّين والطلاق وغيرها، وربّما وجه بعضها توجيها ينسجم مع طبيعة الكتاب وأصل وضعه، وربما مزج في بعضها الآخر بين الظاهر والباطن بين العبارة والإشارة .

-اعتباره المعاني الإشارية واللطائف التفسيرية عطاء إلهيا محضا وتوفيقا ربانيا خالصا ساق إليها التوفيق والتّسديد في الطاعات إتيانا وتركا .

- استنكافه عن الخوض في مسائل الغيب بوجه عام وما تعلق بالذات العلية بوجه أخص كالخوض في الفناء وما شابهه، بالإضافة إلى ميزات وخصائص أخرى .

"فاللطائف" اشتمل على إشارات لأهل الحقائق من غير إسهاب ولا إسفاف ولا غلو، فكان بحق صورة صادقة لمذهب صاحبه في مشربه الصوفي أكثر من "الرسالة"، كما مثّل في كثير من جوانبه نظرة تجاوزت التفسير المألوف وجسدت نوعا من الفهم والمعرفة مبعثهما المشاعر التي تثمرها الطاعة وتفجّرها في أهلها الخشية والمحبّة، وهي قيم روحية عليا تمثل مجتمعة سياجا يحول بين الرمز والإشارة -وهما من الخصائص المركزية لهذا اللون من التفسير- وبين تمزيق الحدود التي أقرّتها الشريعة أو العبث بمعاني الألفاظ التي أملتها اللغة، ومن لم يرع حرمة لما ذكر ارتدّ إلى الضلال بعد أن أولاه الله هداية التنبه والذكرى، ثم لا يصحو بعد ذلك إلا على سوء المصير الذي لا مردّ له، لأن الله تعالى ما ضمن

[1] - انظر: التفسير الإشاري عند أهل السنة . ج2.ص: 462.

المعونة إلا لمن هو تحت أمره المشروع على ألسنة رسله) [1].

وهاك نماذج من تفسير القشيري توقفك على بعض ما أشير إليه فيما مرّ، وبعض ما لم يرد له ذكر فيما سبق مستلة من هذا السفر النفيس الذي حاول فيه صاحبه أن يوفق بين علوم الحقيقة وعلوم الشريعة التي لا تعارض بينها في الأصل، ذلك أن "اللطائف" يشعرك بأن كل صغيرة وكبيرة عند الصوفية لها أصل في كتاب الله، وأن أصول "مذهبهم " وفروعه مستمدة من كتاب الله، وأن ما نقل عنهم من علوم ومعارف ليست غريبة ولا مستوردة من هذه الجهة أو تلك)[2] يضاف إلى هذا أن القشيري أوتي حظا وفيرا من العلوم العقلية والنقلية — كما قلت – قبل ولوج باب التصوف وهو أمر يبعد عنه تهمة الجهل وتهمة احتقار العقل التي تلصق بالمتصوّفة [3].

(فإذا جاء بعد ذلك ليدرس الأسلوب القرآني، وليستخرج منه إشارات لطيفة فهو مُعَدٌّ لذلك أحسن إعداد، وهو قمين للوصول إلى نتائج باهرة، بقدر ما لديه من تهيّء صالح مكتمل ...فليس غريبا أن يجيء "لطائف الإشارات " تعبيرا صادقا عن التصوف في أفضل درجات الاعتدال، وأنقى صور التناول) [4].

لأن استنباط الإشارة من العبارة فيه واستشفاف الجواهر من وراء الظواهر يسبقها اجتباء إلهي، وتقترن بجهود مضنية تصفي النفس والقلب من كل العلائق بتخليتهما عن كل دنيٍّ وتحليتهما بكل سنيٍّ فأبعد القشيري بهذا تفسيره عن كل مذهب عقلي نجيء، وعن كل عقيدة باطنية مستورة، فقد كان شديد الحرص على النص القرآني، ناظرا إليه نظرة تقديس واعتبار، حتى لا تتعسف أو تتزلق في درب من دروب الشطط — كما ذكرنا- [5].

وأوّل نموذج نوقفك عليه هو تفسيره للبسملة التي يدل مسلكه هذا على أنه يعدها آية من كل

---

[1] – لواقح الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية .للشعراني (عبد الوهاب ت: 973ه).ص: 61. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع –بيروت .ط1/بإشراف مكتب البحوث والدراسات .

[2] – انظر: مقدمة محقق "لطائف الإشارات ".ج1.ص: 06.

[3] – انظر: السابق .ج1.ص: 16.

[4] – السابق .ج1.ص: 16.

[5] – انظر: السابق .ج1.ص: 23، 24، 25 .

سورة من سور القرآن سوى براءة، وهو مذهب صاحب المذهب الذي ينتسب إليه إمامنا القشيري، ويتبع هذا اختلاف دلالتها وإشارتها ومقاصدها تبعا للسورة التي هي فيها، ولذا قال في تفسيرها في أول الفاتحة: (فلما أعاد الله سبحانه وتعالى هذه الآية أعني " بسم الله الرحمان الرحيم" في كل سورة وثبت أنها منها أن نذكر في كل سورة من إشارات هذه الآية كلمات غير مكررة وإشارات غير معادة) [1].

ومما قال في تفسيرها أن (الباء في: " بسم الله "حرف التضمين، أي بالله ظهرت الحادثات، وبه وُجدت المخلوقات، فما من حادث مخلوق، وحاصل منسوق ... إلا بالحق وجوده، والحق مَلِكُه، ومن الحق بدؤه وإلى الحق عوده، فبه وَجَد من وَجُد، وبه جحد من ألحد، وبه عرف من اعترف، وبه تخلّف من اقترف) [2].

ولا أدري إن كان من المعاني التي يتضمّنها حرف الباء عند أهل اللغة التضمين كإفادته الإلصاق والاستعانة، وقد ترد زائدة – كما قيل –أم لا ؟.

فإن تضمن هذا المعنى فإن ما رتّب عليه "القشيري" من المعاني مما فيه ثناء على الله سبحانه وتعالى فهو صحيح، فقد قال غير واحد: إن "الفاتحة" من حيث معناها اشتملت على معنيين اثنين دارت عليهما معاني القرآن الكريم:

–**أوّلهما**: ثناء على الله تعالى يبدأ بالبسملة عند من عدّها آية منها إلى: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ الفاتحة: ٤.

–**ثانيهما**: دعاء يبدأ بقوله سبحانه: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ الفاتحة: ٥ إلى آخر السورة .

ولم يخرج "القشيري " .

---

[1] –لطائف الإشارات .ج1.ص: 44.

– وقد خفي عليَّ بعد تتبع لكثير من المعاني واللطائف والإشارات –المعاني والدلالات التي ذكرها وبينها وبين السورة التي هي فيها مناسبة، فرأيت أن التوقف عن متابعته على ما قاله أسلم وأعصم لي مع الدعاء بأن يفتح الله عليَّ كما فتح عليه .

[2] -المصدر نفسه .ج1.ص: 44.

في تفسيره للقسم الأول منها عما ذكر وفي تفسيره للحروف المقطّعة في أول سورة "البقرة " ذكر بعض المعاني التي ذكرها غيره لكنّه بدأ بما يشعر أنه مقدّم عنده على غيره وهو أن هذه الحروف من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله ثم قال عن الألف: (والألف من بين سائر الحروف انفردت عن أشكالها بأنها لا تتصل بحرف في الخط، وسائر الحروف يتصل بها إلا حروف يسيرة، فينتبه المتعبّد عند تأمّل هذه الصفة إلى احتياج الخلق بجملتهم إليه، واستغنائه عن الجميع)[1].

ومن الإشارات التي تشبه السابقة في الألف قوله أيضا: (ويقال: الإشارة منها إلى انفراد العبد لله سبحانه وتعالى فيكون كالألف لا يتصل بحرف ولا يزول عن حالة الاستقامة والانتصاب بين يديه)[2].

وهذا المعنى الذي استله " القشيري " من الألف مبثوث في آيات كثيرة ونصوص نبوية متعدّدة وهي أحق به وأولى من الألف هنا أوفي موضع آخر من السور التي افتتحت بهذا الحرف .

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ البقرة: ٦ لم يحمل الآية على ما حملها عليه غيره فساقه إلى إخراج التأويل عن سياقه، بل ذكر إشارة يشبه أن تكون ومضة تضاف إلى ومضات غيرها قيلت في شرح الآية فقال: (من كان في غطاء وصفه محجوبا عن شهود حقّه فالإشارة لنعته أنه سيان عنده قول من دلّه على الحق، وقول من أعانه على استجلاب الحظ، بل هو إلى دواعي الغفلة أميل، وفي الإصغاء إليها أرغب .

كيف لا ؟ وهو بِكيٌّ الفُرقة موسوم، وفي سجن الغيبة محبوس، وعن محلّ القربة ممنوع، لا يحصل منهم إيمان، لأنه ليس لهم من الحق أمان ؛ فلما لم يؤمنوا لم يؤمنوا .حكم سبق من الله حتم، وقول له فصل، وإن القدرة لا تُعارَض، ومن زاحم الحق في القضية —يعني القضاء- كبسته سطوات العزة، وقصمته بواده الحكم) [3].

---

[1] - اللطائف .ج1.ص: 53.

[2] -المصدر نفسه .ج1.ص: 54.

[3] - المصدر نفسه.ج1.ص: 59.

ولم تجر الإشارة عند القشيري على سنن واحد، فقد أبعد في تفسير قوله سبحانه: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ البقرة: ٦٧ حين قال: (حصلت الإشارة أن الذي يصلح لهذه الطريقة من الذي لا يستهويه نزق الشباب وسكره، ولم يعطله عجز المشيب وضعفه، بل هو صاح استفاق عن سكره، وبقيت له – بعد– نضارة من عمره) [1].بعد قوله: (ولما قال إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك، أي ليست بفتيةٍ ولا مسنةٍ بل هي بين السِّنين) [2].

فزيادة على أن الإشارة مقحمة عن سياق الآية العام الذي يتحدث عن أمر حسي معهود، فإن قصر هذا الطريق وصلاحه لمن وصفه "القشيري" والتسليم بأن هذه الطريقة ليست إلا لمحسن فبمن يلوذ –إن كان الحال على هذا النحو وحده – ويستجير المجرم، وقد علم –مع ارتكابه للجرم – أن لا ملجأ من الله إلا إليه؟.

وشبيه بالإشارة السابقة الإشارة التي ذكرها في تفسير قوله تعالى: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ البقرة: ١٠٦ حين حمل الآية على غير ما تعارف عليه أكثر المفسرين وغيرهم فقال: (النسخ الإزالة أي ما ينقلك من حال إلى ما هي فوقها وأعلى منها، فغصن وصلك أبدا ناضر، ونجم عزّك أبدا ظاهر، فلا ننسخُ من آثار العبادة شيئا إلا وأبدلنا عنه أشياء من أنوار العبودية، ولا نسخنا من أنوار العبودية أشياء إلا أقمنا مكانها أشياء من أقمار العبودة فأبدا سرك في الترقي، وقدرك في الزيادة بحسن التولي) [3].

---

[1] – اللطائف. ج1.ص: 97، 98 .

[2] –المصدر نفسه .ج1.ص: 97.

[3] – المصدر نفسه .ج1.ص: 111، 112 .

–وانظر: الفرق بين مصطلح "العبادة"، و"العبودية "، و"العبودة "عنده في: "الرسالة " .ص: 91.

– وانظر: تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ البقرة: ١١٤ – ١١٥ .ج1 . ص: 115، 116 .

ويعرف عن القشيري غيرته على ظاهر الشريعة، وما كان –في ظنه– من باطنها صحيحا، ولذا كثيرا ما يجمع بينهما على نحو ما ذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ البقرة: ٢٠٣. فقد قال مفسرا للآية على ظاهرها: هذه صفة أواخر النسك، وهو الرمي في أيام منى لما قدموا (هكذا) بأركان الحج خفف عنهم بأن خيرهم في المقام والإفاضة والتعجيل في التفريق . ثم قال – مظهرا لما فيها من إشارة –و الإشارة منه أن من حمدت نفسه وحيي قلبه واستدام

--وانظر: الإشارة البعيدة أيضا في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۙ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴾ البقرة: ١٥٩ - ١٦٢ . ج1.ص: 142، 143 .

-وانظر: الإشارة في قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ البقرة: ١٧٧ . ج1.ص: 149.

- وانظر الإشارة في قوله سبحانه: ﴿ فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ البقرة: ١٨٢ . ج1.ص: 152.

- وانظر المعاني الجميلة التي لم يبتعد فيها عن ظاهر المعنى كثيرا، في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ البقرة: ١٨٦ . ج1.ص: 155 وما بعدها .

-وانظر أيضا الإشارات الكثيرة في قوله تعالى: ﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ البقرة: ١٩١ - ١٩٤ ج1.ص: 160 وما بعدها .

وانظر: أيضا الإشارة في قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾البقرة: ١٩٦ . ج1.ص: 164.

بحقائق الشهود (سره) فإن سقط عنه شيء من فروع الأوراد ففيما هو له مستديم من آداب الحضور عوضٌ عن الذي يفوت) [1].وهذا كثير في" لطائف الإشارات ".

ومع أن القشيري تملّص من كثير من الأوضار التي علقت بالمتصوفة وتخلص من رق إملاءات ومواقف وسلوكيات متعدّدة أشرب حبها بعض ممن سبقوه وعاصروه، إلا أنه لم يستطع التحرر من أسر بعض الأفكار من نحو التفرقة بين علماء الظاهر ومن كان كصاحب "اللطائف" –رحمه الله–، فقد قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴾ البقرة: ٢٠٤ .حاملا للآية على هذا المعنى المفرق بين أهل الله تعالى فقال: (أخبر أن قوما أعرض الحق سبحانه وتعالى عن قلوبهم فأعطاهم في الظاهر بسطة في اللسان ولكن ربط على قلوبهم أسباب الحرمان، فهم في غطاء جهلهم، ليس وراءهم معنى، ولا على قولهم اعتماد، ولا على إيمانهم اتكال، ولا بهم ثقة بوجه) [2].

ثم قال – صارفا للآية عن معناها الظاهر مشيرا بها إلى أهل العبارة والظاهر، مُنزلا لمرتبتهم – كما يفهمه ظاهر كلامه – عن مرتبة أهل الإشارة، بل عن مرتبة العوام، كما هو منصوص عليه في إشارته فقال: (والإشارة إلى أهل الظاهر الذين لم تساعدهم أنوار البصيرة فهم مربوطون بأحكام الظاهر، لا لهم بهذا الحديث إيمان، ولا بهذه الجملة استبصار، فالواجب صون الأسرار عنهم فإنهم لا يقابلون هذا الحديث إلا بالإنكار، وإن أهل الوداعة من العوام الذين في قلوبهم تعظيم لهذه الطريقة، ولهم إيمان على الجملة بهذا الحديث لأقرب إلى هذه الطريقة من كثير ممن عدّ نفسه من الخواص وهو بمعزل عن الإيمان بهذا الأمر) [3].

---

[1] – اللطائف .ج1.ص: 169.

[2] –المصدر نفسه .ج1.ص: 169.

[3] – المصدر نفسه .ج1.ص: 170.

–وانظر: تفسيره لقوله سبحانه: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ البقرة: ٢٦٠ .ج1.ص: 201.

والقارئ لتراث المتصوفة يفهم أنهم كثيرا ما يطلقون عبارة " أهل الظاهر " على فقهاء الشريعة أصحاب الرسوم كما يحلوا لكثير من المتصوّفة أن يسميهم غامزين لهم بهذا الوصف منتقصين من أقدارهم، ومسايرتهم في هذا دونه قطع الأعناق لأنهم –أعني الفقهاء– نقلة الدين وحفاظ الشريعة فهم الأصل وغيرهم الفرع، هم الباب الوحيد الذي لا يلج وألج ساحة الشريعة إلا من خلاله .

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾ آل عمران: ٩٦ .

ذكر مجموعة من المعاني والإشارات على طريقته في الإكثار من ذلك في الآية الواحدة، ومن جملة ما قال من المعاني والإشارات: (بيت من زاره بنفسه وجد ألطافه، ومن شهده بقلبه نال كشوفاته)[1]، وقال أيضا: (ويقال إذا كان البيت المنسوب إليه لا تصل إليه من ناحية من نواحيه إلا بقطع المفاوز والمتاهات، فكيف تطمع أن تصل إلى رب البيت بالهوينى دون تحمل المشقات ومفارقة الراحات ؟ .

ويقال: لا تعلق قلبك بأول بيت وضع لك، ولكن أفرد سرّك لأوّل حبيب آثرك.

ويقال: شتان بين عبدٍ اعتكف عند أول بيت وضع له وبين عبد لازم حضرة أول عزيز كان له)[2].إلى آخر المعاني واللطائف التي ذكرها هاهنا .

إن الحكم بعدم شرود الإشارة وابتعادها عن الأصل عند بعض الدارسين لـــ: "لطائف" القشيري

-- وانظر: تفسيره لقوله سبحانه: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ آل عمران: ٧٨ .ج1.ص: 252، 253 .

- وانظر تفسيره لقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ آل عمران: ١٥٥ .فقد قال في شرحها: (الإشارة من هذه الآية إلى أحوال من سقمت إرادتهم، وضعفت نياتهم، وقادهم الهوى، وملكتهم الفترة) اللطائف .ج1.ص: 289.

[1] – اللطائف .ج1.ص: 260.

[2] – المصدر نفسه .ج1.ص: 261.

آتٍ من تتبع واستقراء لهذا التفسير الذي يشعرك في مواطن كثيرة بأن الإشارة لا تبدو غريبة عن المعنى الأصلي الذي قد يتعرض إليه كالذي جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا غَفُورًا ﴾ النساء: ٤٣. ومعلوم أن الآية لها مناسبة وسبب نزول، لكن القشيري لم يتعرّض له، وذكر في المقابل المعنى الإجمالي ثم رتب على الظاهر إشارة تتعلق بالخمر والسكر في عرف الصوفية فقال:

(النهي عن موجب السكر من الشراب لا من الصلاة، أي لا تصادفنكم الصلاة وأنتم بصفة السكر، أي امتنعوا عن شرب ما يسكر فإنكم إن شربتم سكرتم، ثم إذا صادفكم الصلاة على تلك الحالة لا تقبل منكم صلاتكم .

والسكر ذهاب العقل والاستشعار، ولا تصح معه المناجاة مع الحق، المصلّي يناجي ربه، فكل ما أوجب للقلب الذهول عن الله فهو ملحق بهذا من حيث الإشارة، ... والسكر على أقسام:

-فسكر من الخمر، وسكر من الغفلة لاستيلاء حب الدنيا .

وأصعب السكر سكرك من نفسك فهو الذي يلقيك في الفرقة عنه، فإن من سكر من الخمر فقصاراه الحرقة – إن لم يغفر له –ومن سكر من نفسه فحاله الفرقة –في الوقت– عن الحقيقة .

فأما السكر الذي يشير إليه القوم – يعني: الصوفية– فصاحبه محفوظ عليه وقته حتى يصلي والأمر مخفف عليه: (فإذا خرج عن الصلاة هجم عليه غالبه فاختطفه عنه ومن لم يكن محفوظا عليه أحكام الشرع فمشوب بحظ) [1].

---

[1] - اللطائف .ج1.ص: 335.

-وانظر: معنى "السكر" في الرسالة .ص: 38.

- وانظر: تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمۡ فَأَقَمۡتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلۡتَقُمۡ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُم مَّعَكَ وَلۡيَأۡخُذُوٓاْ أَسۡلِحَتَهُمۡۖ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلۡيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمۡ وَلۡتَأۡتِ طَآئِفَةٌ أُخۡرَىٰ لَمۡ يُصَلُّواْ فَلۡيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلۡيَأۡخُذُواْ حِذۡرَهُمۡ وَأَسۡلِحَتَهُمۡۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ

وأحسب أنه أشار إشارة بعيدة جدا – حتى لا أقول فاسدة ولا يصح حمل الآية عليه – حين جعل مصير المنكرين الجاحدين لآيات الأولياء – كما يقول – مؤيدة عقوبتهم، وذلك في تفسير قوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ النساء: ٥٦ . لأن العقوبة ليست مساوية لحجم " الجريمة" عند جميع العقلاء . قال –رحمه الله–: (الإشارة منه إلى الجاحدين لآيات الأولياء، يقيمهم بوصف الصغار ويقيهم في وحشة الإنكار ؛ كلما لاح لقلوبهم شيء من هذه القصة – يشير إلى الصوفية – جرهم إنكارهم إلى ترك الإيمان بها والإزراء بأهلها على وجه الاستبعاد فهم مؤبّدة عقوبتهم) [1].

وشبيه به وإن كان أخف وطأ وأقرب قبولا إلى القبول ما حمل عليه الآية التي في" العقود " وهي قوله جل جلاله: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ

كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ النساء: ١٠٢ فإن في تفسيره لها ما يدل على أن الرجل كان بعيدا عن الشطط وقافا عند حدود الشريعة .فقد قال: (تدل هذه الآية على أن الصلاة لا ترتفع عن العبد ما دام فيه نَفَس من الاختيار لا في الخوف ولا في الأمن، ولا عند غلبات أحكام الشرع إذا كنت بوصف التفرقة، ولا عند استيلاء سلطان الحقيقة إذا كنت بعين الجمع) اللطائف .ج1.ص: 358.

–وانظر: معنى: التفرقة والجمع ومضافاتهما في " الرسالة "ص: 35، 36 .

– وانظر: تفسيره لقوله سبحانه: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ النساء: ١١٣ .ج1.ص: 261، 262 .

[1] – اللطائف .ج1.ص: 340.

–وانظر: إشارة شبيهة بهذه في تفسيره لقوله سبحانه: ﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَـٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَـٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَـٰتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾ النساء: ٨٩ – ٩٠ .اللطائف .ج1.ص: 353.

وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ﴾المائدة: ٣ .

ويظهر لي أن إيراده للغيبة في تفسير اللفظ الكريم " الميتة " مقحم متعسف وإن رتب على ذكره كلاما جميلا، وكذلك باقي الألفاظ الكريمة فإن لها معاني في لغة العرب إذا أطلقت لا تنصرف إلا إليها، ولولا ما تقرر من أنه – رحمه الله تعالى – يغار على ظواهر الشريعة كما يغار عليها أمثاله من أهل الاستقامة من علماء الإسلام المحققين لما ترددت في رد ما ذكره من " إشارات " و"لطائف" لتلك الألفاظ المبينة [1].

---

[1] - اللطائف . ج1.ص: 339 ، 400 .

-وانظر: الإشارة في قوله تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ المائدة: ٣ .اللطائف .ج1.ص: 402.

- وانظر: تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ﴾المائدة: ٤ . فقد قال: (ولما كان الكلب المعلم ترك حظّه، وأمسك ما اصطاده على صاحبه جلت فريسته، وحاز اقتناؤه، واستغرق في ذلك حكم خساسته، فكذلك من كانت أحواله لله –سبحانه – مختصة، ولا بشوها حظ تُحِلُّ رتبته، وتعلو حالته .ويقال: حسن الأدب يلحق الأخسة برتبة الأكابر، وسوء الأدب يردّ الأعزة إلى حالة الأصاغر) اللطائف .ج1.ص: 403.

- وانظر: تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ﴾المائدة: ٦ .اللطائف .ج1.ص: 405.

- وانظر: أيضا صرفة الآية وألفاظها عن ظاهرها إلى معان بعيدة في تفسيره لقوله سبحانه: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ المائدة: ٨٩ . اللطائف .ج1.ص: 444، 445 .

- وانظر: شبيهها في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾ المائدة: ٩٤ - ٩٥ . اللطائف .ج1.ص: 448، 449 .

وأجمل مما قال وأولى بالقبول ما فسر به قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ المائدة: ١٥ - ١٦ وقوله سبحانه: ﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ المائدة: ١٧ فقد قال في تفسير الأولى: (أنوار التوحيد ظاهرة لكنها لا تغني عند فقد البصيرة، فمن استخلص تقديم العناية أخرجه من ظلمات التفرقة إلى ساحات الجمع فامتحى عن سره شواهد الأغيار، وذلك نعت كل من وقف على الحجة المثلى) وقال في تفسير الثانية: (من اشتملت عليه أرحام الطوامث متى يفارقه نقص الخلقة ؟ .

ومن لاحت عليه شواهد التغيُّر أنى يليق به نعت الربوبية ؟ ولو قطع البقاء عن جميع ما أوجد فأي نقص يعود إلى الصمد ؟)[1] .

ومن المعاني التي كساها القشيري بعباراته التي تفيض رقة ثوب الجمال مقرّبا لها من المعنى الظاهر مبعدا لها عن الإشارة، أو قل جاعلا لها بين المنزلتين ما قاله في تفسير قوله سبحانه: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٤٠ بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ فَيَكۡشِفُ مَا

---

[1] - اللطائف .ج1.ص: 313 ، 314 .

- وانظر: تفسيره لقوله تعالى: ﴿ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ١٧٢ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦ ﴾النساء: ١٧٢ – ١٧٣: فقد قال هناك: (كيف يستنكف عن عبودبته وبالعبودية شرَفُه، وكيف يستكبر عن التذلل وفي استكباره تَلَفُه، ولهذا الشأن نطق المسيح أول ما نطق بقوله: "إني عبد الله "، وتجمل العبيد في التذلل للسادة، هذا معلوم لا تدخله ريبة) اللطائف .ج1.ص: 393.

﴿ تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾ الأنعام: ٤٠ - ٤١ .

قال: (فإذا جربت الكل، وذقت الحلو والمر، أفضى بك الضر إلى بابه، فإذا رجعت بنعت الانكسار، وشواهد الذل والاضطرار، فإنه يفعل ما يريد: إن شاء أتاح اليسر وأزال العسر، وإن شاء ضاعف الضر وعوّض الأجر، وإن شاء ترك الحال على ما قبل السؤال والابتهال) [1].

ومثله ما ورد في تفسيره لقوله سبحانه: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾ الأنعام: ٤٦ . قال: (عرّفهم محلّ عجزهم، وحقيقة حاجتهم إلى القدرة القديمة لدوام فقرهم . وحذرهم فقال: إن لم يدم عليهم نعمة أسماعهم وأبصارهم، ولم يوجب لهم ما ألبسهم من العوافي – بكل وجه في كل لحظة – فمن الذي يهب ما سلبه، أو يضع ما منعه، أو يقيد ما نفاه، أو يرد ما أبداه ؟ كلا ...بل هو الله تعالى)[2].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الأنعام: ٥٢ .

(هذه وصية له ﷺ في باب الفقراء والمستضعفين، وذلك لما قصّروا لسان المعارضة عن استدفاع ما كانوا بصدده من أمر إخلاء الرسول ﷺ مجلسه منهم، وسكنوا متضرّعين بقلوبهم بين يدي الله الذي أراد أن يبيّن له أثر حُسْن الابتهال فتولى – سبحانه – خصيمتهم .وقال: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الأنعام: ٥٢ .

لا تنظر يا محمد إلى خرقتهم على ظاهرهم وانظر إلى حُرقتهم في سرائرهم .

---

[1] - اللطائف .ج1.ص: 471.

[2] - المصدر نفسه .ج1.ص: 473

ويقال: كانوا مستورين بحالتهم فشهرهم بأن أظهر قصتهم، ولولا أنه – سبحانه – قال: "يريدون وجهه" فشهد لهم بالإرادة، وإلا فمن يتجاسر أن يقول: إن شخصا مخلوقا يريد الحق سبحانه ؟) [1].

ثم قال: (ويقال: تقيّدت دعوتهم بالغداة والعشيّ لأنها من الأعمال الظاهرة، والأعمال الظاهرة مؤقتة، ودامت إرادتهم فاستغرقت جميع أوقاتهم لأنها من الأحوال الباطنة، والأحوال الباطنة مستمرة غير مؤقتة) [2].

وفي تفسير قوله سبحانه :﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾الأنعام: ٥٤ قال :(إن وَكَلَ بك من كتب عليك الزلة فقد تولى بنفسه لك كتابة الرحمة .

و يقال : كتب بمعنى حكم، وإنه ما حكم إلا بما علم .

و يقال : كتابته لك أزلية، وكتابته عليك وقتية، والوقتية لا تبطل الأزلية) [3].

وفي تفسيره لقوله تعالى : ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ الأنعام: ٧٦ – ٧٨ قال أحاطت به سجوف الطلب، ولم ينجل له بعد صباح الوجود، فطلع نجم العقول فشاهد الحق بسره بنور البرهان، فقال : "هذا ربي"، ثم يزيد في ضيائه فطلع له قمر العلم فطالعه بشرط البيان فقال :" هذا ربي" ثم أسفر الصبح ومتع النهار فطلعت شموس العرفان من برج شرفها فلم يبق للطلب مكان، ولا للتحويز حكم ولا للتهمة قرار فقال : " يا قوم إني بريء مما تشركون " إذ ليس بعد العيان ريب، ولا عقب الظهور ستر) [4].

---

[1] -اللطائف . ج1. ص: 475.

[2] - المصدر نفسه . ج1. 476 .

[3] - المصدر نفسه .ج1.ص:477.

[4] - المصدر نفسه .ج1.ص: 485.

والإشارة خلط وإلغاز ورمز لا تدل عليها الآية بأي وجه من وجوه الدلالات — كما يقول أبو حيان – : (والظاهر والذي عليه المفسرون أن المراد من الكوكب والقمر والشمس هو ما وضعته له العرب من إطلاقها على هذه النيرات) [1].

ثم قال – بعد إيراده لإشارة " القشيري " السابقة : (والعجب كل العجب من قوم يزعمون أن هؤلاء المنسوبين إلى الصوف هم خواص الله تعالى وكلامهم في كتاب الله تعالى هذا الكلام) [2] .

قلت — مكرّرا ما سبق أن قلته – : " إن ظاهر الألفاظ الكريمة وما تعطيه من دلالات تعارف عليها أهل اللغة هو الأصل وإليه يردّ كل فهم وفيه منتهى الإعجاز البياني لكتاب الله تعالى ويبقى ما وراء ذلك مما يقوله أهل الإشارة أو سواهم كلام بشر محكوما بتلك الحدود قبولا أو ردا .

و الأثر والاصطلاحات الصوفية تخللت " اللطائف " من أوله إلى آخره، فلا غرابة بعد ذلك أن يعنونه صاحبه بهذا العنوان، ولا غرابة بعد ذلك أيضا أن يصنفه علماء المناهج ضمن التفاسير الإشارية .

انظر إليه وهو يفسر قول الله تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴾ الأنعام: ١٣٣

---

[1] – البحر المحيط . ج4. ص: 567.

[2] – المصدر نفسه .ج4.ص: 568.

–قال في الكشاف للزمخشري .ج2.ص: 40 – وهو من أنفس ما قيل في تفسير الآيات – : (فأراد — " يعني إبراهيم عليه السلام " أن ينبههم على الخطإ في دينهم ، و أن يرشدهم إلى طريق النظر و الاستدلال ، و يعرفهم أن النظر الصحيح مُؤدٍّ إلى أن شيئا منها لا يصح أن يكون إلها لقيام الحدوث فيها و أن وراءها محدثا أحدثها ، و صانعا صنعها ، و قديرا دبّر طلوعها وأفولها و انتقالها و مسيرها و سائر أحوالها ، " هذا ربي " قول من ينصف خصمه مع علمه بأنه مبطل ، فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه ، لأن ذلك أدعى إلى الحق ، و أنجى من الشغب ، ثم يكرّ عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة " لا أحب الآفلين " لا أحب عبادة الأرباب المتغيرين عن حال إلى حال ، المنتقلين من مكان إلى مكان ، المحتجبين بستر ، فإن ذلك من صفات الأجرام " لئن لم يهدني ربي " تنبيه لقومه على أن من اتخذ القمر إلها و هو نظير الكواكب في الأفول فهو ضال ، و أن الهداية إلى الحق بتوفيق الله و لطفه " هذا أكبر " من باب استعمال التصفة أيضا مع خصومه) ...إلخ .

وعلق "ابن المنير " على قول " جار الله " في تفسير " هذا أكبر " : من باب استعمال التصفة ...فقال : (و صدق الزمخشري . بل ذلك متعين).

.قال : (" الغني " يشير إلى كشفه، و" ذو الرحمة " يشير إلى لطفه .

أخبرهم بقوله " الغني " عن جلاله، وبقوله " ذو الرحمة " عن أفضاله . فبجلاله يكاشفهم فيفنيهم، وبأفضاله يلاطفهم فيحييهم .

و يقال : سماع غناه يوجب محوهم، وسماع رحمته يوجب صحوهم، فهم في سماع هذه الآية متردّدون بين بقاء وفناء، وبين إكرام وبين اصطلام، وبين تقريب وبين تذويب، وبين اجتياح وبين ارتياح) [1].

و لم يكن الأثر الصوفي مخرجا "للقشيري " عن آثار من سبقوه من أهل الاستقامة، ولا صارفا له عن اتباع واقتفاء آثار من تقدّموه ممن كان الاتباع في حياتهم غاليا، واتباع سير الأولين رفيع القدر عاليا، فقد قال في تفسير قول الحق سبحانه : ﴿وَقَالُوا هَٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَن نَّشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَّا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ الأنعام: ١٣٨ – ١٣٩.

(أخبر عن أشياء ابتدعوها على ما أرادوا، وأمور شرعوها على الوجه الذي اعتادوا، ثم أضافوا ذلك إلى الحق بغير دليل، وشرعوها بلا حجة من إذن رسول، والإشارة فيه أن من نحا نحوهم في زيادة شيء في الدين، أو نقصان شيء من شرع المسلمين فمضاهٍ لهم في البطلان، ينخرط في سلكهم في الطغيان) [2].

---

[1] -اللطائف .ج1.ص: 504 و انظر : تفسيره لقوله سبحانه ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الأعراف: ١٤٣. اللطائف .ج1. ص: 564 وما بعدها .

- وانظر أيضا تفسيره لقوله سبحانه : ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾الأنفال: ١٧ . اللطائف .ج1.ص:610.

- اللطائف . ج1.ص:506. [2]

ولعل الاتباع وعدم الشرود يظهر أكثر في تفسير قوله تعالى : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ يونس: ٦٢ – ٦٤

فقد قال قولة حق في مسألة اشتط فيها غير واحد ممن انتسب إلى القوم، بل وقع في هذا بعض السادة والكبراء .

– وانظر : صورة من صور الاتباع و ترتيبه للأمور على النحو الذي أقرّته الشريعة . فقد قال في تفسير قوله سبحانه : ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ الأعراف: ٧٢ : (لا رتبة فوق رتبة النبوة، و لا درجة أعلى من درجات الرسالة) اللطائف .ج1.ص: 546.

–و مثله في الاتباع و الترتيب ما أورده في تفسير : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ التوبة: ٧٣ . حيث قال (... وقال لنبيّنا ﷺ " واغلظ عليهم " ويقال إنما قال هذا بعد إظهار الحجج و بعد ما أزاح عذرهم بأيام المهلة ... ثم إن لم ينجح الكلام و لم ينفع الملام فالقتال و الحرب و بذل الوسع في الجهاد) اللطائف .ج2.ص:46.

– وقال في تفسير قوله سبحانه : ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ﴾ الأعراف: ١٦٢ (جاء في التفسير أنهم زادوا حرفا في الكلمة التي قيلت لهم فقالوا : "حنطة " بدل " حطة " فلقوا من البلاء ما لقوا تعريفا أن الزيادة في الدين ، و الابتداع في الشرع عظيم الخطر و مجاوزة حد الأمر شديد الضرر) اللطائف .ج1. ص: 580.

– و قال في تفسير قوله سبحانه : ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ الأنفال: ٤٦ (الموافقة بين المسلمين أصل الدين ، وأول الفساد و رأس الزلل الاختلاف ، و كما تجب الموافقة في الدين و العقيدة تجب الموافقة في الرأي و العزيمة ... إلى أن يقول : " و إجماع المسلمين حجة ، و صلاة الجماعة سنة مؤكدة ، و الاتباع محمود ، والابتداع ضلالة) اللطائف .ج1.ص: 629.

– وانظر : تفسيره لقوله سبحانه : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ يونس: ٢٦ فمن جملة ما ذكره تفسيرا لها قوله :

" أحسنوا " أي عملوا و أحسنوا إذا كانت أفعالهم على مقتضى الإذن .

ويقال : لم يقصروا في الواجبات ، و لم يخلّوا بالمندوبات ... إلى أن يقول : قوله : " وزيادة " ... و إجماع السلف النظر إلى الله ، ويحتمل أن تكون " الحسنى " الرؤية " و الزيادة " دوامها. و يحتمل أن تكون " الحسنى " : اللقاء ، و "الزيادة " البقاء في حال اللقاء . و يقال : الحسنى عنهم لا مقطوعة و لا ممنوعة ، و الزيادة لهم لا عنهم محجوبة لا مسلوبة) اللطائف .ج2.ص: 91.

فقد قال – رحمه الله – : إن الولي من توالت طاعاته من غير أن يتخللها عصيان، وقد يكون المراد من الولي : من يتوالى عليه إحسان الله وأفضاله .

و النبي عند القشيري معصوم، والولي محفوظ، والمعصوم لا يلم بذنب ألبتة، أما المحفوظ فتحصل منه هنات، وقد يزل على قلة لكن لا يكون له إصرار، وأنه لا يقصر في حق الحق، ولا يؤخر القيام بحق الخلق [1] .

وأكثر المعاني التي ذكرها في "الولي" مستقيمة ولا مخالفة فيها لأهل التفسير .

و يدعم الاعتدال في القول والاتباع في السلوك ما ذكره على التفسير بالظاهر من الإشارة في تفسير قوله سبحانه : ﴿ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ﴾هود: ٨١ . قال : (والإشارة منه أن الجسارة على الزّلة وخيمة العاقبة – ولو بعد حين – ولا ينفع المرءَ اتصالُه بالأنبياء والأولياء إذا كان في الحكم والقضاء من الأشقياء) [2] .

وللقشيري إشارات من أجمل ما يمكن أن يسمع ملأ بها " لطائفه " من نحو قوله في تفسير :

﴿ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ ﴾ يوسف: ٢٣، وقوله في : ﴿ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ ﴾ يوسف: ٢٥، حيث قال في الأولى : (لما غلقت عليه أبواب المسكن فتح الله عليه باب العصمة، فلم يُضره ما أُغلق بعد إكرامه بما فُتح) [3] .

و قال في الثانية : (... ولم يضر يوسفَ – عليه السلام– أن قدّت قميصه وهو لباس دنياه

---

[1] – انظر :اللطائف .ج2.ص : 104 وما بعدها .

– و انظر : تفسيره لقوله سبحانه : ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ يونس: ٩٥ .– و قوله سبحانه : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ يونس: ١٠٠ ج2 .ص: 115 ، 116 ، 117.

[2] – اللطائف .ج2.ص: 149.

[3] – المصدر نفسه .ج2.ص : 177.

بعدما صح عليه قميص تقواه) [1].

و مثلهما ما جاء في تفسيره لقوله سبحانه في سورة بني إسرائيل : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾ الإسراء: ٣١ ،قال : من عرف أن الرزاق هو الله خف عن قلبه هم العيال – وإن كثُروا –، ومن خفي عليه أنه قسَّم – قبل الخلق – أرزاقهم تطوَّح في متاهات مغاليطه، فيقع فيها بالقلب والبدن ثم لا يكون غير ما سبق به التقدير) [2] .

و شبيه بما مر ما قاله في تفسير قوله سبحانه : ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ الإسراء: ٤٥، قال : (أي أدخلناك في إيواء حفظنا، وضربنا عليك سرادقات عصمتنا، ومنعنا الأيدي الخاطئة عنك بلطفنا) [3] .

ومثل هذه المعاني رُصِّع بها اللطائف من أوله إلى آخره فغدت فيه لآلئ وجواهر موزّعة على آيات القرآن بصرف النظر عن مجال تلك الآيات، وإن كانت صياغتها أكثر جمالا وإشراقا وتلألؤا إذا كانت تتحدث عن الذات العلية في تفرّدها بالهيمنة على كل ذرة من ذرات الكون واستحقاقها وحدها للعبادة دون سواها، وشدة افتقار الخلق إليها وحدها دون غيرها، قال – رحمه الله – في تفسير قوله سبحانه : ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ الإسراء: ٥٧ قال : (يعني الذين يعبدونهم ويدعونهم – كالمسيح وعزير والملائكة – لا يملكون نفعا لأنفسهم ولا ضرا، وهم يطلبون الوسيلة إلى الله أي يتقربون إلى الله بطاعتهم رجاء إحسان الله وطمعا في رحمته، ويخافون العذاب من الله (...) فكيف يرفعون عنكم البلاء وهم يرجون الله ويخافونه في أحوال أنفسهم ؟.

ويقال في المثل : تعلّق الخلق بالخلق تعلّق مسجون بمسجون .

ويقال : إذا انضم الفقير إلى الفقير ازداد فاقة .

---

3 – اللطائف . ج2.ص: 179.

2 - المصدر نفسه . ج2.ص : 346.

3- المصدر نفسه . ج2.ص: 350.

و يقال : إذا قاد الضرير ضريرا سقطا معا في البئر) [1] .

وفي تفسير قوله تبارك اسمه : ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ الكهف: ١٠ . قال : رادا الأمر كله لله في أمر عجيب يحار فيه العقل لما فيه من مخالفة ما ألفه الخلق وجرت عليه عادة ما عهدوه -: (آواهم إلى الكهف بظاهرهم، وفي الباطن : فهو مُقيلهم في ظل إقباله وعنايته، ثم أخذهم عنهم، وقام عنهم فأجرى عليهم الأحوال وهم غائبون عن شواهدهم .

و أخبر عن ابتداء أمرهم بقوله : ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ الكهف: ١٠ أي أنهم أخذوا في التبري من حولهم وقوّتهم، ورجعوا إلى الله بصدق فاقتهم، فاستجاب لهم دعوتهم، ودفع عنهم ضرورتهم (من طعام وشراب وما يترتب عنهما) وبوّأهم في كنف الإيواء مقيلا حسنا) [2].

وقال في تفسير : ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ طه: ٧ .(...و الذي هو أخفى من السر فهو ما لا يطلع عليه إلا الحق .

و يقال : الذي هو أخفى من السر لا يفسده الشيطان، ولا يكتبه الملكان، ويستأثر بعلمه الجبار، ولا تقف عليه الأغيار) [3] .

و في تفسير : ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾ طه: ١٤ . قال : (إقامتها من غير ملاحظة مجريها ومنشيها يورث الإعجاب، وإذا أقام العبد صلاته على نعت الشهود والتحقق بأن مجريها غيره كانت الصلاة بهذا فتحا لباب المواصلة، والوقوف على محل النّجوى، والتحقق بخصائص القرب والزلفة)[4] .

---

[1] - اللطائف . ج2.ص : 354.

[2] - المصدر نفسه .ج2.ص: 379.

[3] - المصدر نفسه .ج2.ص : 446.

[4] - المصدر نفسه .ج2.ص : 449.

وقال في تفسير : ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ طه: ٣٦ : (أعطيناك ما سألت، وتناسيت ابتداء حالك حين حفظناك في اليم، ونجينا أمك من ذلك الغم، وربّيناك في حجر العدو .. فأين – حينذاك – كان سؤالك واختيارك ودعاؤك ؟.

وأثبتنا في قلب امرأة فرعون شفقتك، وألقينا عليك المحبة حتى أحبك عَدوّك، وربّاك حتى قتل بسببك ما لا يُحصى من الولدان، والذي بدأك بهذه المنن هو الذي أتاك سؤلك، وحقق لك مأمولك)[1].

وفي تفسير قوله سبحانه : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ طه: ١٠٨ . خرج بالآية عن ظاهرها، وذهب في تأويلها مذهب الصوفية، ناقلا لمعناها من أهل القيامة الموعودة إلى أهل القيامة الموجودة عن الأكابر الذين هم كالرواسي ثباتا الذين يدخل عليهم من الأحوال ما يمحقهم عن شواهدهم، ويأخذهم عن أقرانهم – كما يقول–، وعندها : (تنقطع الأوهام، وتقف الأفهام، وتنخنس العقول، وتندرس العلوم، وتتحيّر المعارف، ويتلاشى ما هو نعت الخلق، ويستولي سلطان الحقيقة .. فعند ذلك لا عين ولا أثر، ولا رسم ولا طلل ولا غير، في

---

[1] – اللطائف . ج2.ص: 454.

– وانظر : تفسيره لقوله سبحانه : ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ طه: ٤٤ .ج2.ص:459.

– وانظر : تفسيره لقوله تعالى : ﴿ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴾ طه: ٧٢ .ج2.ص: 466.

– و قال في تفسير قوله سبحانه في سورة " المؤمنون " : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾ المؤمنون: ١٥ (... و يقال : نعاك إلى نفسك بقوله : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾ المؤمنون: ١٥ . و كل ما هو آت قريب .

ويقال : كسر على أهل الغفلة سطوة غفلتهم ، وفلّ دونهم سيف صولتهم بقوله : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾ المؤمنون: ١٥ وللحماد مضاهون ، و عن المكنة و المقدرة و الاستطاعة و القوة لمعدون ، وفي عداد ما لا خطر له من الأموات معدودون) اللطائف . ج2. ص: 571.

الحضور خرس، وعلى البساط فناء، وللرسوم امتحاء، وإنما الصحة على الثبات) [1] .

وبيني وبين فهم ما قال "القشيري " مسافات .

و لم ينج "القشيري" من الإسرائيليات – شأنه في ذلك شأن أكثر المفسرين – فقد ذكر بعض الأشياء – على قلّتها في تفسيره – لا يقرّها عقل ولا يسندها نقل [2] .

ولعل ما ذكره في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ الشعراء: ٨٦ . مشابه للإسرائيليات في بعده وعدم قبوله قال : – رحمه الله وغفر له – : على لسان العلماء : قاله بعد

---

[1] – ج2 . ص: 477 .

وشبيه به في غموض معناه ، و جمال لفظه و مبناه ، قوله في تفسير : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ﴾ الحج: ٣٢ .قال : (يقف المؤمن على تعيين شعائر الله و تفصيلها بشهادة العلم جهرا ، و بخواطر الإلهام سرا .

و كما لا تجوز مخالفة شهادة الشرع لا يجوز مخالفة شهادة خواطر الحق ، فإن خاطر الحق لا يكذب ، وعزيزٌ من له عليه وقوف .

وكما أن النفس لا تصدق ، فالقلب لا يكذب ، و إذا خولف القلب عَمِي في المستقبل ، وانقطعت عنه تعريفات الحقيقة ، و العبارة و الشرح يتقاصران عن ذكر هذا على التعيين و التفسير . و يقوى القلب بتحقيق المنازلة ، فإذا خرست النفوس ، و زالت هواجسها فالقلوب تنطق بما تكاشف به من الأمور .

ومن الفرق بين ما يكون طريقه العلم و ما طريقه من الحق أن الذي طريقه العلم يعلم صاحبه أوّلا ثم يعمل مختارا ، وما كان من الحق يجري و يحصل ثم بعده يعلم من جرى عليه ذلك معناه ، ولا يكون الذي يجري عليه ما يُجرى مضطرا إلى ما يُجرى ، و ليس يمكن أن يقال إنه ليس له اختيار ، بل يكون مختارا ، ولكنّ سببه عليه مشكل ، والعجب من هذا أن العبارة عنه كالبعيد)ج2. ص: 543-542.

وانظر تفسير : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ الحج: ٦٢ ج2.ص: 557.

-وقال في تفسير : ﴿ فَأَنشَأۡنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ لَّكُمۡ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٞ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴾ المؤمنون: ١٩ . قال : (كما يحي بماء السماء الغياضَ و الرياضَ ، و يصنّف فيها الأزهار و الأنوار ، و تثمر الأشجار و تجري الأنهار .. فكذلك يسقي القلوب بماء العرفان فتورق و تثمر بعد بعدما تزهر ، و تؤتي أكلها : من طيب عيش و كمال بسط ، ثم وفور هيبة ، ثم رَوح أنس ، و نتائج تجلٍّ ، و عوائد قرب .. إلى ما تتقاصر العبارات عن شرحه ، و لا تطمع الإشارات في حصره) ج2.ص: 573.

[2] – انظر على سبيل المثال قصة داود و سليمان و أيوب في سورة الأنبياء . ج2 . ص: 511 وما بعدها .

– و انظر أيضا قصة نوح في سورة المؤمنون ج2.ص: 575.

– و انظر : تفسيره لقوله سبحانه : ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا ﴾ النمل: ١٩ .ج3.ص : 31.

يأس من إيمان أبيه، وأما على لسان الإشارة فقد ذكره في وقت غلبات البسط، ويُتَجاوزُ ذلك عنهم .

و ليست إجابة العبد واجبا على الله في كل شيء، فإذا لم يجب فإن للعبد سلوَةً في ذكر أمثال هذا الخطاب، وهذا لا يهتدي إليه كلُّ أحد) [1] .

فإن سلّمنا بجواز وقوع هذا عند آحاد الناس من صالحي المؤمنين فإن تجويز هذا في حق أنبياء الله ورسله، - وهم عند الله من المصطفينَ الأخيار — يردّه الاجتباء ويأباه الاختيار الإلهي .والله أعلم .

و ربما كان ما ذكر بعد ذلك في تفسير " قلب سليم " مُبعداً لما مر، فقد ذكر أن القلب السليم هو الذي سلم من ... " الغفلة " في جملة ما سلم منه مما ذكره القشيري، والغفلة غفلتان : غفلة معفوٌّ عنها وهي من لوازم البشرية، وما ذكره القشيري غير معدود منها، وغفلة قريبة من " الشطح " أو هي هو، وهي رعونة نفس والكمّل من الرجال لا يقعون فيها فكيف بأبي الأنبياء — عليه السلام — ويزيد ما ذكره القشيري بعدًا قوله بعد ذلك : (وهذه كلها آفات — يعني الضلالة والبدعة والغفلة وسواها مما ذكره من الآفات — والأكابر سلموا منها، والأصاغر امتُحنوا بها) [2] .

لقد كان التصوّف وأهله موضع سخرية واتهام طوال التاريخ الإسلامي بأنّهم من أصحاب البطون الكبيرة وأنهم يمشون على بطونهم، وأنهم يتهافتون على المآدب والقصع تهافت الذباب على الجيفة، وأنّهم لا يقولون ولا يفعلون إلا بأجر .

قال القشيري — وهو يفسر قول الحق سبحانه : ﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الشعراء: ١٠٩ : (أخبر عن كل واحد من الأنبياء أنه قال : " لا أسألكم عليه من أجر" ليعلم الكافة أن من عمل لله فلا ينبغي أن يطلب الأجر من غير الله . وفي هذا تنبيه للعلماء- الذين هم ورثة الأنبياء — أن يتأدّبوا بأنبيائهم، وألا يطلبوا من الناس شيئا في بثّ علومهم، ولا يرتفقون منهم بتعليمهم، والتذكير لهم أنه من ارتفق في بث ما يذكّر به من الدين وما يعظ به المسلمين فلا يبارك الله للناس فيما منه يسمعون، ولا للعلماء أيضا بركة فيما من الناس يأخذون، إنهم يبيعون دينهم بعرض

[1] - اللطائف .ج3.ص: 15.

[2] - المصدر نفسه . ج3.ص: 15.

يسير، ثم لا بركة لهم فيه، إذ لا يبتغون به الله، وسيحصلون على سخط الله)[1] .

وللقشيري موقف واضح وكلام بيِّن سواء ما كان منه متعلّقا بالذّات العلية وصفاتها أم ما تعلّق منها بالنبوّات وسواها من أصول الشريعة وفروعها .

ففي أمر تكليم الله لموسى – عليه السلام – قال وهو يفسر قول الله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ النمل: ٧ . قال :(... فجمع – أي موسى- خشيبات وأراد أن يقتبس منها، فعند ذلك سمع النداء من الله لا من الشجرة كما توهّم المخالفون من أهل البدع . وحصل الإجماع أن موسى سمع تلك اللّيلة كلام الله، ولو كان النداء في الشجرة لكان المتكلّم به الشجرة، ولأجل الإجماع قلنا : لم يكن النّداء في الشجرة)[2] .

وفي مباينة الحق – سبحانه – للمخلوقين من كل وجه قال وهو يفسر قول الله سبحانه :

﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ العنكبوت: ٢ . قال – معددا للبلاءات والفتن التي تلحق من آمن تبعا لتفاوت درجاتهم في الإيمان – : (... وعلى الأسرار بلاء وهو الاعتكاف بمشاهد الكشف بالصبر على آثار التّجلّي إلى أن تصير مُسْتهلَكًا فيه .

و يقال فتنة العوام في أيام (كذا) النّظر والاستدلال، وفتنة الخواص في حفظ آداب الوصول في أوان المشاهدات .

و أشدّ الفتن حفظ وجود التوحيد لئلا يجري عليك مكر في أوقات غلبات شاهد الحق، فيظُن أنه الحقّ، ولا يدري أنه من الحق، وأنّه لا يقال إنّه الحق – وعزيز من يهتدي إلى ذلك)[3] .

و آخر النص يلمّح ويشير إلى من قال : " سبحاني" وإلى من قال :" أنا الحق" . والله أعلم .

إنّ القارئ " للطائف الإشارات " ينتهي إلى أنّ صاحبه – رحمه الله – يريد أن يصل به إلى الفرق بين التفسير بالظاهر الذي هو الأصل وبين التفسير الإشاري الذي تبدو كلماته عند القشيري

---

[1] – اللطائف . ج3.ص: 18.

[2] – المصدر نفسه . ج3.ص: 25.

[3] – المصدر نفسه . ج3.ص : 87.

(أشبه بالتسابيح الوافدة من عالم بعيد) [1] .- كما يقول محقق التفسير – تأتي تتويجا للمعنى الأوّل منوّعة لمعاني الآيات بلا تضاد .

ومن ذلك ما ذكره في تفسير " الشكر " في قوله سبحانه : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ لقمان: ١٢ . قال:(...و يقال : الشكر نعت كلّ غني، كما أن الكفران وصف كلّ لئيم . ويقال : الشكر فرع باب الزيادة)[2] .

و من مثل قوله في تفسير " التقوى " في أوّل سورة "الأحزاب " : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ الأحزاب: ١ . قال : (التقوى وسيلة إلى ساحات كرمه، ذريعة نتوسّل بها إلى عقوة جوده) [3] .

ومن نحو قوله في تفسير " التوكّل " في قول الله جلّ ذكره : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴾ الفرقان: ٥٨ . قال : التوكّل تفويض الأمور إلى الله . وحقّه وأصله علم العبد بأن الحادثات كلها حاصلة من الله تعالى، وأنّه لا يقدر أحد على الإيجاد غيرُه) [4] .

و "اللطائف" مليء بمثل هذه المعاني التي قيل إنّها أشبه بالتسابيح الوافدة من عالم بعيد .

وشبيه بما مرّ وقريب منه في إشارته ومعناه ما ذكره على أنّه إشارة في تفسير قول الحق سبحانه: ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾الأحزاب: ٦ . قال :(الإشارة من هذا : تقديم سنّته على هواك، والوقوف عند إشارته دون ما يتعلق به مناك، وإيثار من تتوسّل به سببا

---

[1] - اللطائف .ج3.ص : 78.هامش (1) .

[2] - المصدر نفسه. ج3.ص: 130.

[3] - المصدر نفسه.ج3.ص : 150.

[4] - المصدر نفسه.ج2.ص : 643.

ونسبا على أعزّتك ومن والاك)[1] .

و قال في تفسير : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ الأحزاب: ٥٦ .(... وفي هذا إشارة إلى أنّ العبد لا يستغني عن الزيادة من الله في وقت من الأوقات، إذ لا رتبة فوق رتبة الرسول، وقد احتاج إلى زيادة صلوات الأمة عليه)[2].

و قال في تفسير " الصدق " في قوله تعالى : ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ الأحزاب: ٨ .(... والصدق في الأمر بالمعروف التحرّز من قليل المداهنة وكثيرها، وألا تترك ذلك لفزع أو طمع، وأن تشرب مما تسقي، وتتصف بما تأمر، وتنهى نفسك عما تزجر)[3] .

و قال في حق الصديقة بنت الصّديق، وهو يفسّر قوله جلّ ذكره : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ الأحزاب: ٢٨

(لم يرد أن يكون قلب أحد من المؤمنين والمؤمنات منه في شغل، أو يعود إلى أحد منه أذى أو تعب، فخيّر ﷺ نساءه، ووفق الله سبحانه عائشة أم المؤمنين – رضي الله عنها – حتى أخبرت عن صدق قلبها، وكمال دينها ويقينها (وبما هو المنتظر من أصلها وتربيتها، والباقي جَرَيْن على منهاجها ونسجن على منوالها) [4] .

و لم يخل " اللطائف " من بعض المعاني الغريبة التي يوردها الصوفية، وندر وجودها عند "القشيري".

ومن النادر ما ذكره في تفسيره لقول الله جلّ ذكره : ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ الزمر: ٢٢ .

---

[1] - اللطائف .ج3.ص : 151 ، 152 .

[2] - المصدر نفسه.ج3.ص : 170.

[3] - المصدر نفسه.ج3.ص: 153.

[4] - المصدر نفسه. ج3.ص : 159.

قال : (... والنور الذي من قبله – سبحانه – نور اللوائح بنجوم العلم، ثمّ نور اللوامع ببيان الفهم، ثم نور المحاضرة بزوائد اليقين، ثمّ نور المكاشفة بتجلّي الصفات، ثمّ نور المشاهدة بظهور الذات، ثمّ أنوار الصّمدية بحقائق التوحيد ..، وعند ذلك فلا وُجد ولا فقد، ولا قرب ولا بعد ... كلا بل هو الله الواحد القهار) [1] .

وهذا " النادر " الذي ذكره القشيري هنا حمل " المحقق" على أن يعلّق عليه بقوله : (وهذه أوّل مرّة يصادف للقشيري عبارة " بظهور الذات " لأنه في مواضع كثيرة يلحّ على أن المشاهدة (للصفات كالجمال أو الجلال أو ...إلخ)أما " الذات" فقد جلّت الصمدية – كما يقول (يعني القشيري) عن أن يستشرف منها مخلوق) [2] .

وفي تفسيره لقوله سبحانه : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ الزمر: ٦٧ .

قال : (ما عرفوه حق معرفته، وما وصفوه حق وصفه، وما عظموه حق تعظيمه، فمن اتصف بتمثيل أو جنح إلى تعطيل حاد عن السنّة المثلى، وانحرف عن الطريقة الحسنى، وصفوا الحق بالأعضاء، وتوهّموا في نعته الأجزاء، فما قدّروه حق قدره، فالخلق في قبضة قدرته، والسماوات مطويّات بيمينه، وبمينه قدرته) [3].

و الأمر في هذه الآية أهون من السابقة عليها، ذلك أن الاختلاف في مثل "اليد" و"الاستواء" وما شابهها مألوف بين أهل العلم من دارسي العقائد وغيرها .

و أختم شواهد هذه "اللطائف" في هذه الرسالة بهذا المعنى الجميل الذي ذكره في تفسير قول الحق جلّ ذكره : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ الزمر: ٦ .

---

[1] – اللطائف .ج3.ص : 277.

[2] – المصدر نفسه .ج3.ص: 277.هامش رقم 4.

[3] – المصدر نفسه .ج3.ص: 291.

وهو معنى جاءت كلماته أشبه بالتسبيح والنجوى – كما يقول المحقق-* قال – رحمه الله – :

("أي إن الذي أحسن إليكم بجميع هذه هو ربّكم " "أي : أنا خلقتكم وأنا رزقتكم وأنا صوّرتكم فأحسنت صوركم، وأنا الذي أسبغت عليكم إنعامي، وخصصتكم بجميل إكرامي، وأغرقتكم في بحار أفضالي، وعرّفتكم استحقاق جمالي وجلالي، وهديتكم إلى توحيدي، وألزمتكم رعاية حدودي ...فما لكم لا تنقطعون بالكلّية إلي ؟ ولا ترجون ما وعدتكم لديّ ؟ وما لكم في الوقت بقلوبكم لا تنظرون إلي"؟) [1] .

ومن القشيري ننتقل إلى علم آخر من أعلام التفسير الإشاري في المغرب الإسلامي، جاء بعد القشيري بقرون متطاولة، واضعا في تفسيره الإشاري . جنبا إلى جنب مع العبارة، جاعلا بتفسيره على هذا النحو من أهم الأعمال التفسيرية في المغرب الإسلامي التي شهدت تفسيرا على هذا النحو وبهذا الشكل، ذلكم هو ابن عجيبة صاحب " البحر المديد "، وإيقاظ الهمم في شرح الحكم وسواهما.

فمن يكون ابن عجيبة، وما حال الإشارة عنده قبل العبارة ؟ ذلك ما سنراه في هذا المبحث الأخير من هذه الرسالة .

* هامش رقم (2) .ج3.ص: 269.

[1] - اللطائف .ج3.ص : 269 ، 270 .

المبحث الرابع :البحر المديد في تفسير القرآن المجيد... لابن عجيبة العنبي(أبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي ت:1224ه).

العصر والسيرة الذاتية:

أولا: العصر: عاش ابن عجيبة في الفترة الممتدة بين: [1160-1224ه]،وهي مرحلة تاريخية عرفت الاستقرار السياسي والاجتماعي، تارة والهزات والاضطرابات الاجتماعية والسياسية تارة أخرى، ولهذه ولتلك آثارها على حياة الناس أفرادا وجماعات .

فقد ولد في عصر يموج بالفتن والاضطرابات حيث عرفت مدينته "تطوان" بوجه خاص أحلك الفترات السياسية وأشدها اضطرابا، كما أدرك في صباه عهدا آخر عرف نوعا من الاستقرار والهدوء ابتداء من عام 1171ه، وإن لم يخل هذا العهد من بعض القلاقل والاضطرابات، لكن الاستقرار هو الميزة الغالبة [1]، ذلك أن موقع المدينة المتاخم للصليبيين في الجزء الجنوبي من القارة الأوروبية من الإسبان والبرتغاليين وغيرهم جعل أهلها متوثبين في كل حين للدفاع عن مدينتهم والأحواز المحيطة بها باعتبارها من الثغور المتقدمة، فعاش أهلها عيشة المرابط القريب من العدو المحارب، فانعكس هذا وغيره سلبا على حياة الناس حتى تفشت بينهم المجاعة رغم غنى المنطقة، وسبق هذا وصاحبه إرهاق كاهل الناس بنوع من الضرائب عرفت " بالمكس" مست أكثر ما يملكه الناس ساعتئذ .

و السفه السياسي في كل زمان ومكان رأس كل خراب، وسبب كل تراجع حضاري، فكان التناحر السياسي، واللهث للاستحواذ على الحكم وراء كل بلاء حل بتلك المنطقة من المغرب الأقصى الأمر الذي فتح الباب على مصاريعه للعدو المتربص[2].

ومن الطبيعي أن يمس ضرر هذا التناحر، ويلحق شرره وجهاء الناس من العلماء وغيرهم لأنهم غالبا ما يكونون في الصفوف الأولى، الأمر الذي يحملهم على إظهار موالاتهم أو معارضتهم للذاهب أو للقادم من الحكام والأمراء .

وقد نجم عن كل هذا فساد إداري وتعسف وانحراف وظلم اجتماعي شمل كل مجالات الحياة

---

[1]- انظر: الشيخ أحمد بن عجيبة ومنهجه في التفسير .ج1.ص: 23.

[2]- انظر: المرجع نفسه .ج1.ص: 24 وما بعدها .

الاجتماعية، كما كان سوء العلاقات مع جيران المغرب في الجهة الشرقية، وشمال المتوسّط عاملا آخر ساهم في تردّي الأوضاع الداخلية، وإن ظلت العلاقات التجارية بين المغرب وجيرانه قائمة إلى حين بسبب المصالح المشتركة بين تلك الأطراف، وإن فرض عليها نوع من المراقبة، ورغم تردي الأوضاع السياسية والاقتصادية في المجتمع التطواني في الفترة التي عاش فيها "ابن عجيبة" إلا أن هذا المجتمع كان دائم الاستعداد لخوض الحروب ورد هجمات العدو المتربص في شمال المتوسط، حتى إن الرباط على بعض الثغور القريبة من تطوان من جهة والمتوسط من جهة أخرى كان إجباريا على جميع السكان خوفا من العدو المتوثب للسيطرة والاكتساح[1].

إن الذي عليه العارفون بصعود الحضارات وأفولها هو أن العدل بين الرعية، ونشر الحرية بينهم وإقرار قيم المساواة فيما بينهم والتفاني في خدمتهم وتيسير سبل عيشهم هي أهم الركائز التي تورث تقدما وانبعاثا، وهي الأرضية الصلبة التي تنشيء حضارة وتقيم دولة وعمرانا، فإن نكص المجتمع على عقبيه، وساد فيه أضداد هذه القيم كان مآله التراجع والأفول والانهيار ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ الأحزاب: ٦٢ .

وفيما يتصل بمفسرنا – رحمه الله- فإننا نستغرب ذهوله ويحيّرنا تكتمه الواضح حيال الأوضاع والأحداث السياسية والاجتماعية الجسام في جانبها السلبي أو الإيجابي، والتي كان عنصرا من عناصرها وطرفا فيها [2].

فلم يكن يشير إليها إلا لماما لكن في غير " بحره المديد "، وقد حاول مؤلف " الشيخ أحمد ابن عجيبة ومنهجه في التفسير " أن يلتمس الأعذار للشيخ بالبحث عن مسوّغات وأعذار تبريء ساحة الشيخ و" تطهره " من عدم الخوض في أمور السياسة من نحو قوله: (فهو – يعني ابن عجيبة – عالم مُرَبٍّ ورجل التصوّف والأخلاق، ولذلك فهو لا يريد أن يلوّث مساره الصوفي الصافي بالحديث عن ويلات السياسة وصراعاتها، ففي ذلك ما يشغل القلب وينمي الضغائن ويجلب الشرور والفتن، ..... لكنه كان يأبى إلا أن يجعل كتاباته خالصة للعلم بعيدة عن كل ما قد يشوش الأذهان

---

[1]- انظر: الشيخ بن عجيبة ومنهجه في التفسير .ج1.ص: 27 وما بعدها .

[2]- انظر المرجع نفسه .ج1.ص: 36.

والقلوب الصافية التراعة إلى اكتساب المعارف والحقائق الصوفية)[1]وهو عذر من الدكتور: " حسن عزوزي " أقبح من ذنب، ولعل الصواب أن يقال: إن هذا من بعض الانحرافات التي دخلت على التيار الصوفي بوجه عام، فإن لم يقف في وجه الظلم والقهر والتعسّف وإيذاء المستضعفين — كائنة ما كانت الجهة التي جاء منها — أمثال ابن عجيبة فمن لهذا الأمر الجلل والمكر الذي تزول منه الجبال، لكن صوفية ذلك الزمان — كما قيل — (مضت في سبيلها لا تفكر حتى في أسباب الاضطهاد، فلتكن ما كانت، فالقوم وضعوا نصب أعينهم أن يقتلوا أنفسهم لتتخلص من الانصياع للمخلوقين (زعموا) وتستعد لتلقي الأنوار من مفيضها) [2].

أقول هذا كله إن صح أن ابن عجيبة وقف موقفا سلبيا من حوادث عصره على النحو الذي ذكرنا، وفيه مخالفة لما ألم بالرجل من محنة ذكرها كل الذين تحدّثوا عنه بنوع من الاسهاب، فلو كان بهذه المثابة ما تعرّض لما تعرّض له من السجن وغيره، وفي مواطن من تفسيره إشارة وتلميح بل تصريح منه بعدم الرضا عن ممارسات سياسية واجتماعية كثيرة حمله سياق الآية ومعناها على إيراد سخطه وعدم قبوله لبعض ما سمع أو رأى، وهذا هو الأليق به وبأمثاله من أهل العلم والمعرفة بالله، لأن كل شجاعة تتضاءل وتصغر أمام شجاعة من عرف الله وعلم أن له الخلق والأمر، ولا يشترط التصريح في كل موطن، فإن اللبيب بالإشارة يفهم، ثم إن أمثاله إذا تعلق الظلم بأشخاصهم والإذاية بأعيانهم يكون ملاذهم وشكوى بثهم وحزنهم إلى الله الذي يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء، فإن وعورة الطريق تلفظ من سلكها على حرف، وريح التصفية تذروا من لم يذق حلاوة الطريق ولذّة المقصد والوصول ولا معين على ذلك كله إلا من كان الغاية والمبتغى جل جلاله [3].

وابن عجيبة وإن لم تجد الأحداث السياسية صداها بالقدر الكافي في مؤلفاته فإن الواقع الاجتماعي كانت له أصداء ذات أهمية بالغة في تفسيره الظاهري وفيما يورد من لطائف وإشارات نافعة أو فيها إساءة لقيم المجتمع المغربي المسلم، فنبّه بعبارة القرآن وإشارته إلى ما ارتضاه هذا الدين وأمر به، وما نهى عنه وأنكر وقوعه وحض المسلمين على اجتنابه والنأي عنه، ولا مناص لابن عجيبة

---

[1]- الشيخ أحمد بن عجيبة ومنهجه في التفسير .ج1.ص: 37.

[2]- المرجع نفسه .ج1.ص: 37.

[3]- انظر: المرجع نفسه .ج1.ص: 39.

ولكل من يتعامل مع هذا الدين بمصدريه الكتاب والسنة وفهم المحققين من حداة أهل الإيمان وقادة مواكب المعرفة والنور من الوقوف في صف العدل والحق والضياء، وتنبيه الناكبين عن الصراط إلى مواطن الخلل ومكامن الزلل، وبواعث سوء الفهم والغلط في القول والعمل[1].

إن التشابك بين السياسي والاجتماعي والثقافي عند كل الشعوب وفي جميع الأمصار لا ينفك، وتفاعل هذه العناصر في نهاية المطاف هو تاريخ هذه الأمة أو تلك فمن رام الفصل أو طلب الحقائق التاريخية بعيدا عن هذا التفاعل حصل له معرفة عرجاء وعلم يعوزه لبنة فيه حتى يكتمل بنيانه . ذلك أن ابن عجيبة نشأ – كغيره- في بيئة كان للسياسة فيها كلمتها، ولأهل العلم والثقافة بصماتهم على حياة عامة الناس وخاصتهم، وللمكان الذي شهد ميلاده ونشأته وتعليمه دوره في صياغة مفسرنا .

ففاس كانت وقتئذ قبلة العلم والعلماء، وتطوان قيل إنها كانت وارثة الأندلس الذاهبة، وإن فصلت بينهما قرون لكن الإشعاع لا يزال فيه أنوار تضيء الطريق، وجامعة القرويين لا تزال بها ومضات وأثارة من علم تضيء من تلك الأنوار، وإن غاب فيها عنصر الاجتهاد والابتكار لانكباب الناس على إرث سابقيهم وتراث متقدميهم الذي إن واكب جزء منه جانبا من جوانب الحياة فسيقصر عن أخرى لعقم المناهج الدراسية ومحدوديتها وغياب عنصر التجديد فيها – كما قلنا – لابتعادها عن أصول التشريع السائقة إلى تجديد الأمة وبعثها كلما ألم بها ضعف أو أدركها وهن حضاري .

لقد عمل غير واحد من السلاطين، ولفيف من العلماء في تلك الفترة على تجاوز مرحلة الجمود الفكري، وطغيان وهيمنة التقليد وخنق ملكة الابتكار والتجديد، لكن التراجع الحضاري كان قد ألقى بكلكله على الأمة برمتها، فلم يكن لتلك الومضات التي بدت في الظلمة الكثيفة القدرة على ردّ السيل العرم الذي غطى على تلك الومضات وحال دون اتساع دائرتها أو زيادة وميضها [2].

و رغم جو التقليد السائد وتراجع تجديد العقل المسلم إلا أن اهتمام الناس بعلوم الشريعة لم ينقطع، فما أن يتراجع في حاضرة من الحواضر حتى ينتعش في أخرى، و لم تكن فاس لتضاهى علما

---

[1] – انظر: الشيخ أحمد بن عجيبة ومنهجه في التفسير. ج1.ص: 42 وما بعدها .

[2] – انظر: المرجع نفسه. ج1.ص: 48وما بعدها .

ومعرفة، لكثرة علمائها وطلاب العلم فيها، وللدور الذي لعبه هؤلاء في نشر العلم وتعدد مجالسه .

وما يعنينا في هذه العجالة هو علم التفسير، وهو علم له من الهيبة والجلال ما ليس لغيره من علوم الشريعة لما يصاحبه من الخوف من الوقوع في الزلل في حق كلام الباري سبحانه وتعالى، فاستعيض عن الكتابة والتأليف فيه بمدارسة وإقراء تفاسير لعلماء سابقين مشرقيين ومغربيين كالكشاف، والبحر المحيط، وتفسير البيضاوي، وأبي السعود وغيرها من التفاسير التي حازت الأولوية في التدريس في تلك الفترة، ومن ألف فقد اقتصر على وضع بعض الحواشي والتعليقات على تفاسير السابقين، أما كتابة تفسير كامل فأمر نادر جدا، فظهور تفسير ابن عجيبة في هذا الزمن يعدّ معلمة ضخمة وجهدا معتبرا يستحق كل تقدير لأنه برز في فترة لم تكن الكتابة في التفسير محل اهتمام العلماء [1].

ولا شك أن " ابن عجيبة " كان على صلة بمعارف عصره التفسيرية والفقهية والحديثية وبما كان فيها مذموما عند بعض علماء عصره كالمنطق والفلسفة، ولم يكن هو يرى غضاضة في تعلم ما يفيد في فهم الدين من الوسائل، بالإضافة إلى أن العلم بالشيء خير من الجهل به — كما يقول — [2].

وبعض هذه المعارف أساسي في فهم كتاب الله، وبعضها مكمل، ويوجد منها ما يمكن الاستغناء عنه، وربما عدّ من الدخيل في علم التفسير لأن الآية لا تحتاج إليه ولا يتوقف فهمها ومعرفة معناها عليه.

فهل الإشارة التي هي معنى خارج عما تؤديه العبارة، وإلهامات وإيحاءات تلوح لمن لازم باب العبادة وتوجّه إلى مولاه بكليته مما يحتاج إليها في علم التفسير ويتوقف فهم مراد الله من كلامه عليها، أم هي شيء زائد ومعنى يمكن الاستغناء عنه، بل هو من جملة الأشياء الدخيلة في التفسير وإن قال ابن عجيبة -مخالفا بذلك الأكثرين القائلين بأن الإشارة وإن صح معناها — فهي ليست ملزمة لأحد: " إن الموهبة التي ذكرها الجلال السيوطي إنما يعني بها علم التصوّف وما يثمره من إشارات، وهو — يعني التصوف — ضروري للمفسر الذي يتغيا المعاني الظاهرة والإشارات الباطنة من غير فرق

---

[1] - انظر: الشيخ أحمد بن عجيبة ومنهجه في التفسير . ج1.ص: 56 وما بعدها .

[2] - انظر: المرجع نفسه . ج1.ص: 71.

لأن الكتاب الكريم اشتمل على الظاهر والباطن [1]*.

يدل على ذلك عدم خلو حياة التفسير طوال القرون التي سبقت ابن عجيبة من المعاني الإشارية واللطائف اللطيفة، واستعمال الناس لها من خصوم التصوف ومن أهله واستملاحهم لكثير منها وقبولهم وعدم استبشاعهم لها، فإذا أضفنا إلى هذا أن هذا العلم وطرقه قد لازما الحياة الإسلامية منذ أيامها الأولى وصولا إلى المرحلة التاريخية التي عاش فيها مفسرنا علمنا أن أصول هذا العلم خالطت عقل وقلب شرائح عريضة من المسلمين على امتداد تاريخهم، بل قيل إن فترة حياة ابن عجيبة كانت من أخصب الفترات التي شهدت انتشار الطرق الصوفية مع أن فاس وتطوان كانتا من الثغور التي تترصد حملات الصليبيين وهجماتهم على شمال إفريقيا لكن مع ذلك شهدتا ميلاد زوايا ورباطات كانت في تلك الفترة شبيهة بمؤسسات علوم الشريعة حاليا، حيث ساهم بعض أصحاب الزوايا والطرق الصوفية في مواجهة هجمات الصليبيين، كما كانوا حريصين في ميدان الشريعة على التشبث بالسنة وتعاليمها، بعيدين عن كل أشكال الممارسات الصوفية الغالية، وإن وجد إلى جنبها طرق أخرى هيمنت على بعضها البدع والخرافات والاعتقادات الفاسدة الأمر الذي حمل ابن عجيبة وبعض من سبقه من شيوخه وعاصره من أقرانه وبعض تلامذته للنهوض بأعباء إصلاح الأوضاع الاجتماعية الفاسدة التي شملت عموم التراب المغربي[2].

---

1 – انظر: الشيخ أحمد بن عجيبة ومنهجه في التفسير.ج2.ص: 23، 24 .

* وقال في " إيقاظ الهمم في شرح الحكم " (فعلم التصوف من أجل العلوم قدرا، وأعظمها محلا وفخرا، وأسناها شمسا وبدرا، وكيف لا وهو لباب الشريعة ومنهاج الطريقة، ومنه تشرق أنوار الحقيقة) . ص: 04 . المكتبة الثقافية –بيروت .

– والتصوف عند ابن عجيبة (إنما هو نتائج الأعمال الصحيحة، وثمرات الأحوال الصافية) . إيقاظ الهمم في شرح الحكم .ص: 11.

ولا تكون نتائج الأعمال صحيحة إلا إذا كان القصد صحيحا وصادقا وصالبا بأن تكون غاية المرء (تحقيق العبودية والقيام بوظائف الربوبية دون كرامات ولا تحصيل مقامات، ولا إدراك درجات ولا طلب حظوظ نفسانية) .*

* الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية . لابن البنا السرقسطي . والشرح لـ: (ابن عجيبة أحمد بن محمد الحسيني) ج1. ص: 14. هامش: إيقاظ الهمم في شرح الحكم " لابن عطاء الله " دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

كما لا تكون ثمرات الأحوال صافية زاكية إلا إذا كانت (موافقة للشريعة ... أما .. التي تخالف الشريعة، وهي الأحوال الظلمانية فلا يتنوّر صاحبها، بل لا تزيده إلا ظلمة ... فالأحوال الصافية هي التي لا ضرر فيها لأحد ولا تخالف أمر الشريعة) *

* الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصولية .ج1.ص: 15.

2– انظر: الشيخ أحمد بن عجيبة ومنهجه في التفسير .ج1.ص: 74 وما بعدها .

فالذي يميز بين مسلك ابن عجيبة الصوفي، وبين مسلك بعض صوفية زمانه انبناء الطريقة التي ينتسب إليها على جملة من العلوم الشرعية التي تحول دون تسلل الكثير من المفاسد إلى معتقدات الناس وسلوكياتهم، في حين كان رجال بعض الطرق الأخرى يغلب عليهم الجهل ويسود بين أتباعهم الأمية والسذاجة، والمستوى الاجتماعي المنحط، و لم يكن طغيان البدع والانحرافات وقفا على الطرق الصوفية " العامية "، بل كان في زمن ابن عجيبة طرق صوفية عرفت في بداية نشأتها بالتزامها بالسنة لكنها سرعان ما انحرفت وتفرّقت بها السبل بظهور بدع كثيرة بين أتباعها، ومرد ذلك كلّه إلى الجهل وقلة العلم وإسناد أمر هذه المؤسسات التربوية ذات الطابع الديني إلى غير أهلها .

فكان لا بد أن ينبري لهذا التيار البدعي المفسد لعقائد الناس وسلوكياتهم العارفون بدين الله من العلماء والمربين، والسياسيين الفقهاء الغيورين على دين الله، فشهدت الساحة في تلك الفترة " نماذج " من هؤلاء وهؤلاء عملت على إصلاح ما أفسده المبتدعة ورأب الصدع الذي تركته دعوات الغالين والمبطلين والجاهلين الذين جعلوا من الرقص والشطح وسواهما وسائل يتقرب بها إلى الله تعالى، فقال فيهم ناقد ناقم:

فهـــذه طريقـــة قـــد درســـت ... وشـــجر أغـــصانها قـــد يبـــست

كانـــت إذن مـــواردا شـــريفة ... فاســـتبدلت مـــذاهبا ســـخيفة

قد أســـست علـــى صـــحيح العقـــل ... وأســـسها الآن بمحـــض الجهـــل

ومضى يقول:

يا قاصـــدا علـــم الطريـــق الـــسالف ... لا تقتـــــدي بهـــــذه الطوائـــــف

مـــا منـــهم مـــن علـــم المقـــصودا ... منـــــه ولا الـــــوارد المـــــوروداً

لم يعرفـــــوا حقيقـــــة الطريقـــــة ... فـــالقوم جهـــال علـــى الحقيقـــة

فاحـــذرهم خـــشية أن يفتنوكـــا ... واتـــرك ســـبيلا لم يـــزل متروكـــا

إن التبرم بالأدعياء والمحرّفين للكلم عن مواضعه، دأب أولي الألباب الأصفياء الغيورين على ما صفا أن يتكدر، والصحيح أن يسقم، والصواب أن يتسلل إليه الخطأ والاعوجاج [1].

لقد عمل ابن عجيبة على تجنيب الناس مسالك الغلو والتطرف في الممارسة الصوفية، فكانت الطريقة الدرقاوية الشاذلية عنده بديلا قويا عن أشكال الانتحال الكاذب للطريق الصوفي الحق المراعي لحدود الشريعة المتبع لسبيل الموفقين من أهل هذا الطريق [2].

و الطريقة الدرقاوية التي اعتمد ابن عجيبة منهجها في إصلاح المجتمع المغربي تعدّ امتدادا للطريقة الشاذلية التي كان صاحبها يرفع شعار: " أعرف الله وكن كيف شئت "، (فكان يحب التنعم باللباس الحسن وأكل الطعام الشهي لكن مع الشكر لله وتعلق القلب به) [3].

وهذا معناه أن يكون ملبسك ومطعمك من حلال، لا أن تأكل أموال الناس بالباطل، وتملأ قلبك غلا وحسدا وكبرا ورياء وحرصا على حب الدنيا وجمع حطامها، لكن الطريقة الدرقاوية وأتباعها ومنهم ابن عجيبة غالوا في بعض السلوكيات والمظاهر الخارجية كسؤال الناس في الطرقات من غير ضرورة تدعوا لذلك، وكعدم انتعال أحذية، وكاستعمالهم لنوع من السبحة أثاروا بها جميعا حفيظة الناس، وإن زعموا أن الغاية من هذه المظاهر والسلوكيات إذلال النفس واحتقارها بالاتكاء على بعض النصوص والاستناد إلى بعض الآثار التي يظهر عند التمحيص أنه لا مستمسك لهم فيها، ومع ذلك فقد ترتب على تلك الممارسات والمظاهر وأشكال التحدي والمواجهة التي صاحبت هذه الطريقة انتقادات كثيرة من جهة، وكثرة أتباع من جهة أخرى[4].

ومع أن هذه المظاهر والسلوكيات من ابن عجيبة – على الأقل – لم تكن مقصودة لذاتها –كما قيل – لكنها مشينة للعامة من الناس فكيف بها إن فعلها من كان من علية القوم وأصحاب الأنساب الشريفة كمفسرنا وقد ثبت صدورها عنه .

---

[1] – وانظر: الشيخ أحمد بن عجيبة ومنهجه في التفسير.ج1. ص: 77 وما بعدها .

[2] – انظر: المرجع نفسه .ج1. ص: 139.

[3] – المرجع نفسه .ج1.ص: 143.

[4] – انظر: المرجع نفسه .ج1.ص: 145 وما بعدها .

وفي "إيقاظ الهمم" له نصوص صريحة في ثنايا شرح حكم ابن عطاء الله يزدري فيها أشياء مشابهة لهذه ويشنّع على من فعلها لما فيها من حط من مروءة الإنسان، وإنزال لمقامه العلي، وقد تكرر هذا منه مع أول مناسبة تسنح .

ولعل الأذى والمضايقة والمعارضة والمواجهة الحادة لابن عجيبة وأتباعه آتية من هذه السلوكيات وتلك المظاهر التي لم يألفها الناس عامتهم وخاصتهم، علماؤهم وسياسيوهم، فعمدوا إلى محاربتها والزج بصاحبها وأتباعه في السجون متهمين إياهم بإخراج المسلمين وأولادهم من عاداتهم وتقاليدهم، بل أخرجوهم من السنة إلى البدعة – كما قيل يومذاك – وهو أبرز ما وجه إلى ابن عجيبة وأتباعه من التهم، وكان هذا كافيا لتأليب الناس عليه وعلى أتباعه، بل إن كثيرا من علماء زمانه وقفوا منه موقف المنكر لكثير مما كان يفعل إلى أن وصل الأمر إلى إغلاق الزاوية وإخراجه وأتباعه منها [1].

إن دعوى قيام أي فكرة على مصدري الشريعة الكتاب والسنة بحفظ مراسم ما دلا عليه يصدقه أو يكذبه الممارسة اليومية القولية والفعلية، ولا يمكن أن تخرج ثمرات الذوق والوجد التي قيل إنها تتجاوز طور العقل عن ظاهر الشريعة وما دلت عليه نصوصها في معانيها الأولى التي هي أصل الفهم والعروة الوثقى التي يُربط إليها كل معنى ويشد إليها كل فهم، فما زكاه هذا الأصل قُبل، وما بجه رد وحكم ببطلانه، ولا تحكم بصحة الأقوال والأفعال والأحوال ذات الصلة بعالم الغيب، فضلا عن يقينيتها إلا بنص من كتاب الله أو سنة رسوله ينفي عن القول والفعل والحال تهمة الخطإ لعصمتهما إذ لا سبيل إلى إدراك الحقائق واليقينيات المتصلة بعالم الغيب إلا من خلال منهج معرفي بني على هذين الأصلين الكتاب والسنة، فحركة القلب وما يريد بوسائلها وغاياتها لم تُترك سُدى لأصحابها بل رسمت مساراتها وطرق الأمان التي عليها أن تسلكها، ومن رام غير المرسوم وطلب غير المعلوم فهو من الغاوين، وهو في كل واد يهيم ويقول ويفعل ما لا يدرك أصله ولا يعرف منبعه ومنبته .

وقد عمل ابن عجيبة في تفسيره " البحر المديد " وفي غيره من مؤلفاته على الربط بين وسائل

[1] – انظر الشيخ أحمد بن عجيبة ومنهجه في التفسير.ج1.ص: 158 وما بعدها .

المعرفة المختلفة الحسية والعقلية البرهانية، وما يثمره الذكر والعبادة وفق ما تمليه الشريعة من منح وأنوار، وما تمليه موازين الشريعة وآدابها من غير الوقوف في الفهم والاستنباط عند الظواهر بل لا بد من الغوص بحثا عن الدقائق والحقائق التي تفتح آفاقا رحبة للفهم والإدراك [1].

إن " البحر المديد " في شقيه العباري والإشاري يعد من التفاسير المبسوطة نسبيا بالقياس إلى بعض التفاسير المتقدمة عليه أو التي ألفت بعده، ومع كونه كذلك فإنه ظل مغمورا فلم يشتهر اشتهار أبي السعود، أو " فتح القدير " للشوكاني، ولا " روح المعاني " للألوسي، بل لم يلحق في شهرته حتى " روح البيان " للبرسوي، وقد كانت التفاسير الثلاثة قريبة عهد به من الناحية التاريخية، ولعل مرد عدم شهرته مع أنه يمثل فكرا معتدلا – كما قيل – في شقه الإشاري، فلم يكن فيه ميل إلى شطحات أصحاب التفسير الإشاري الفلسفي، بل التزم في الغالب الاهتداء بمعالم الكتاب والسنة – عائد إلى تهيب أهل المغرب الإسلامي بوجه عام من هذا اللون من التفسير، وعدم الاشتغال به إلا في حدود ضيقة جدا ومن خاصة الخاصة من أهل العلم، فقد لقيت تفاسير كثيرة قبل " البحر المديد " المصير نفسه وإن لم تكن في سعته وإحاطته بأكثر آيات القرآن الكريم وسوره، وهو ما جعل بعثه وإخراجه للناس يتأخر لقرنين تقريبا*، ولم يشفع له في ذلك اتخاذ علوم الآلة من إعراب ولغة وسواهما وسائل وراءها ما هو أولى وأبعد أثرا وهو تذوق القرآن ومعانيه واستشراف أثره الغيبي في القلوب والأرواح [2].

و ترجع قلة أخطائه الإشارية – كما قيل أيضا – فيما ترجع إليه، إلى المصادر الصوفية الموثوقة التي اعتمد عليها في تفسيره فقد كان القشيري والغزالي، وأبو الحسن الشاذلي[3] وابن عطاء الله

[1] – انظر: الشيخ أحمد بن عجيبة ومنهجه في التفسير .ج1.ص: 183 وما بعدها .

*انظر: المرجع نفسه .ج1.ص: 452. فقد أرجع انعدام أثر " البحر المديد " فيمن جاء بعده إلى ما لاقاه التفسير الإشاري في عهوده المتأخرة من إهمال وعزوف إلى تحذير " علماء الظاهر " منه، وقلة اهتمام علماء المغرب بوجه عام به مع اهتمام كبير في مقابل ذلك بالدراسات الفقهية .

[2] – انظر: المرجع نفسه .ج1.ص: 429 وما بعدها .

[3] – هو علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن يوسف بن هرمز الشاذلي المغربي ، أبو الحسن ، رأس الطائفة الشاذلية ، من المتصوفة ، كان ضريرا ، له كتاب " نزهة القلوب و بغية المطلوب " (ت :656) .تخرجت من تحت عباءته أغلب الطرق الصوفية الموجودة في العالم الإسلامي.

– انظر ترجمته في الموسوعة الصوفية .ص:91 وما بعدها . الأعلام .4/ 305 .

السكندري وغيرهم من الموارد التي نهل منها من غير أن يكون فيها تابعا، فلم يتردد في ردّ بعض الأقوال إن رأى فيها جنوحا عن النظر السديد والفهم الجاد، كما تحاشى النقل عن " السلمي " وابن عربي، وابن برجان[1] لما فيها من أقوال قلقة مثيرة للجدل والنزاع وترتب على ذلك- من جملة ما ترتب- أن العبادات عنده لم تكن رسوما ظاهرة يؤديها البدن، بل كانت لها مقاصد سامية تحمل من يؤديها على التغلغل في بواطنها ومعرفة جواهرها [2].

ويفهم من هذه المترتبات وسواها حدارة ابن عجيبة التامة بالانتماء إلى مدرسة الإشاريين العمليين الذين آخوا بين العبارة والإشارة، فالتزموا التزاما كاملا بما تطلبه الأولى، واعتدلوا الاعتدال الذي قارب التمام بما تمليه حدود الإشارة المستساغة [3].

---

[1]- هو عبد السلام بن عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان اللخمي المغربي الإفريقي ثم الأندلسي الإشبيلي المعروف بابن برجان ، شيخ الصوفية ، مفسر صوفي مقرئ ،محدث متكلم ، مشارك في الهندسة و الحساب ، من مؤلفاته : الإرشاد في تفسير القرآن و لم يكمله ، و شرح أسماء الله الحسنى .

- انظر ترجمته في :سير أعلام النبلاء .20 / 72 ، معجم المؤلفين .12 / 246 ، الأعلام . 4 / 6 .

[2]- انظر: الشيخ أحمد بن عجيبة ومنهجه في التفسير.ج1.ص: 422 وما بعدها .

[3]- انظر: المرجع نفسه .ج1.ص: 440 وما بعدها .

ثانيا: السيرة الذاتية:

كتب ابن عجيبة بخط يده نقلا عن جده نسبه الذي ينتهي إلى **الحسن بن علي**- رضي الله عنهما - ويرجح أن أحد أجداده كان في جملة من نزح من الأندلس بعد خروج المسلمين منها ليستقر في المغرب الأقصى، ولا يعنينا هنا ثبوت النسب من عدمه لأن العبرة بالعمل، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه وأكرم الناس عند الله أشدهم تقوى وخوفا منه، إلا بمقدار ما ترك من ظلال على المحيط الاجتماعي المغربي الذي كان ولا يزال فيه للشرفاء مكانة مميزة وحظوة رفيعة لدى كثير من عامة الناس وقليل من خاصتهم[1].

و يذكر ابن عجيبة أن أسرته وأجداده كانوا من أهل التقوى والصلاح والكرامات والنسك والزهد والخوف من الله تعالى وكثرة الذكر مع الحرص على فعل الخير، وكلها بالإضافة إلى النسب الحسني – كانت من العوامل التي حملت الناس في المغرب على أن يضفوا على العائلة في زمن ابن عجيبة وبعد وفاته قدرا كبيرا من الجاه والاحترام، ولعل ما زاد في رفعتهم وأبقى عليها في عقبهم اشتغالهم بالعلم الشرعي الذي يورّث العز ويدرّه، فقد قيل: كل عز لا يسنده علم فإلى ذل يؤول .

و يذكر ابن عجيبة في غير موضع حرص والديه الشديد على أن يشب ابنهما على أكمل وجه، وأن ينال من التعليم والتربية الصالحة أفضلهما، فكان أولَ ما تعلقت به نفسه الصلاةُ فكانت من أكبر العوامل الحافزة على تذوق أصول السلوك والتهيؤ للتجرّد، فتعلق في سن مبكرة بالمسجد، وتاقت نفسه منذ صباه إلى الانعزال والخلوة، فصانه ذلك وحفظه عما يشينه فعاش عفيفا طاهر الذيل مستقيم السيرة، مهيّأ منذ البداية لأمر عظيم، فأحيط بالرعاية العائلية فكانت من جملة ما لاحظته به عيون العناية، وتداركته به الألطاف الإلهية التي ألهمته منذ صغره حب العلم والشغف بمدارسته، فكان له العلم الحصن الحصين، والمَعين المعين على معرفة الله والانكسار بين يديه، فعاش متنقلا في طلبه بين الموطن الذي ولد فيه وتطوان وفاس حيث جلس إلى شيوخ تطوان ونهل من علومهم المختلفة الكثير، كما رحل إلى فاس ولقي الكبار من أهل العلم والمعرفة والسلوك، وقد أفرد أكثر من مؤلف لشيوخه ذكر فيه بالتفصيل شيوخه ونوع العلوم التي أخذها عن كل واحد منهم ومناقب وخصال هؤلاء

[1] – انظر: الشيخ أحمد بن عجيبة ومنهجه في التفسير .ج1.ص: 93 وما بعدها .

الأعلام واحدا واحدا، مع كثرة شيوخه من علماء فاس وشهرتهم على شيوخ تطوان وعلمائها [1].

فمن يكون ابن عجيبة، ومن هم شيوخه وتلامذته، وما المؤلفات التي تركها والجهود العلمية التي بذلها في خدمة العلم ؟.

هو الإمام العلامة المفسر أحمد بن محمد بن المهدي بن الحسين بن محمد، المعروف بابن عجيبة وكنيته (أبو العباس) ، الحسني نسبا، التطواني دارا، الفاسي تعلما، المالكي مذهبا، الشاذلي طريقة .

وتطوان مدينة مغربية تحيط بها الجبال واقعة في أقصى شمال المغرب، ليس بينها وبين البحر الأبيض المتوسط إلا عشرة كيلومترات .

ولد سنة 1160 للهجرة، وقيل سنة إحدى وستين* في بيت صلاح وتقوى وحفظ القرآن في سن مبكرة، ووجّه منذ طفولته نحو طلب العلم فتنقل بين مكان الولادة وبعض المدن المجاورة التي كانت حواضر للعلم وموئلا لطلابه .

و يذكر الذين ترجموا له أن مجالسه كانت متنوعة بين الفقه والتفسير والحديث، واللغة والنحو

1- انظر: الشيخ أحمد بن عجيبة ومنهجه في التفسير .ج1.ص: 106 وما بعدها .

* قال الكتاني (عبد الحي بن عبد الكبير): (وله فهرسة افتتحها بالكلام على نسبه وذكر آبائه، ثم ذكر نشأته وتربيته، وفيها ذكر أن ولادته كانت سنة 1161ه، ثم ترجم لابتداء طلبه للعلم، ثم لأسانيده في الحديث والفقه ثم لإجازات مشايخه المذكورين، ثم ترجم لذكر ما ألفه، ثم انتسابه لطريق القوم، وتجرده وسياحته ومحنته، ثم سنده في طريق القوم، ثم ترجم لشهادة الأعلام له، ثم لمن أخذ عنه الطريق وهي في نحو خمس كراريس، أتمها سنة 1224ه، وفيها مات عند إسفار يوم الأربعاء 7 شوال عام 1224ه بالطاعون) **

** فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات .ج2.ص: 854 . دار الغرب الإسلامي – بيروت، باعتناء الدكتور: إحسان عباس .

-وقد ترجم له " مخلوف " (محمد بن محمد بن عمر بن قاسم (ت: 1360ه) فقال: [أبو العباس أحمد بن محمد بن عجيبة الفاسي العلامة المؤلف المحقق الفهامة البارع المدقق الصوفي الجامع بين الشريعة والحقيقة ... له تآليف منها: "شرح الحكم " و" تفسير القرآن العظيم " في ثمان مجلدات، و" شرح الآجرومية "، و" شرح المباحث الأصلية "، و" أزهار رياض الزمان في طبقات الأعيان "، و"فهرسة أشياخه "، و" رسالة " جمع فيها أسئلة الشيخ العربي الدرقاوي] ***.

*** شجرة النور الزكية في طبقات المالكية .ج1.ص: 571 . الطبقة السادسة والعشرون . فرع "فاس " .ترجمة رقم: 1606 . دار الكتب العلمية - بيروت .ط1/ 2003 م – 1421 ه . تخريج وتعليق: عبد المجيد خيالي .

والصرف، والمنطق ينهل من معينها ومن الأئمة والشيوخ الذين عاصرهم، مواصلا الليل بالنهار في ذلك وسرعان ما بزغ نجمه وعلا شأنه فجلس للتدريس في مساجد ومدارس مدينته " تطوان "، لكنه مع ذلك لم يتوقف عن الطلب، فقد رحل بعد سن الأربعين إلى فاس ليأخذ عن أعلامها، فدرس عليهم الحديث والتفسير والفرائض واللغة، وبقي بها (فاس) سنتين، ثم عاد إلى بلدته " تطوان " ليتابع عمله الذي بدأه قبل أن يرحل إلى " فاس" .

وقد عدد جملة المعارف التي تلقاها عن شيوخ عصره فذكر منها: المنطق، والكلام على مذهب أهل السنة كما يقول، وما لابد منه من علم الفلك أو الهيئة — كما يسميها — وعلم الأديان، وعلوم القرآن خاصة التفسير، والفقه وأصول الفقه، وأصول الدين ... إلى أن قال: " أما التصوف فهو عملي ومحط رحلي، فلي فيه القدم الفالج واليد الطولى " [1].

و بعد أن حصّل من العلوم العقلية والنقلية قدرا أهله لأن يكون رأسا في بلاده فيها (حبب إليه سلوك طريق التصوف، وواكب في هذا الوقت ظهور حركة الشيخ العربي الدرقاوي، مجدد الطريق الشاذلي في الألف الثاني)[2].

وقد أدرك ابن عجيبة من تلامذة الشيخ الدرقاوي محمد البوزيدي الغماري فأخذ عنه الطريقة الدرقاوية الشاذلية، والدرقاوي والبوزيدي — شيخه وشيخ شيخه — من أكبر المربين الذين أخذ عنهم طريق التصوف .

أما الدرقاوي (أبو المعالي)[3] فقد وصف بأنه كان قدوة أهل الكمال، ومرشد السالكين إلى

---

[1] – انظر: مقدمة محقق " البحر المديد في تفسير القرآن المجيد " .ج1.ص: 5، 6 .

– وانظر: معجم المطبوعات العربية والمعربة . يوسف إلياس سركيس .ج1. ص: 169 مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة.

– وانظر: الأعلام . لخير الدين الزركلي . ج1.ص: 245 / دار العلم للملايين – بيروت . الطبعة السابعة .1986م.

– وانظر: معجم المؤلفين – تراجم ومصنفي الكتب العربية – عمر رضا كحالة . ج2 .ص: 163 .دار إحياء التراث العربي – بيروت

[2] – مقدمة محقق " البحر المديد " في تفسير القرآن المجيد. ج1 .ص: 07.

[3] – هو العربي أو محمد العربي الدرقاوي بن أحمد بن الحسين بن علي أبو عبد الله الدرقاوي الحسني ، مولده ووفاته في بني زروال بفاس ، قيل خلف نحو أربعين ألف تلميذ (ت: 1239ه) .الأعلام .224/4.

أعلى المقامات والأحوال، وهو العارف الأكبر والقطب الأشهر، كان آية في المعرفة بالله، قيل إنه ما توفي حتى ترك الآلاف من التلاميذ كلهم مؤهل للدلالة على الله تعالى[1].

و أما البوزيدي (محمد بن الحبيب الحسني) فتلميذ الدرقاوي، وقد دامت ملازمته له ستة عشر عاما، كان أميا لا يقرأ ولا يكتب، لكنه أعطى من المعارف والأسرار ما لم يعطه كثير ممن مهروا في القراءة وخدموا الكتابة، قيل عنه إنه كان شيخ أهل العرفان، رووا عنه أنه قال: لا كرامة أعظم من الاستقامة ظاهرا وباطنا ...[2].

وقد ذكر مترجموا " ابن عجيبة " شيوخا آخرين درس عليهم علوما أخرى غير التصوف كان لهم الأثر في بلوغ ابن عجيبة شأوا بعيدا في معارف عصره أثمرت تآليف بلغت قريبا من الخمسين أكثرها في علوم الصوفية .

و أشهر مؤلفاته خارج دائرة التصوف " البحر المديد " في التفسير، وقد ضمنه لطائف وإشارات شكلت محورا يختم به حديثه عن الآيات أو السورة، ويقع التفسير في مجلدات، وسيكون المصدر الذي نستل منه الإشارات واللطائف، ولعله كان رأسا في تفسير القرآن في زمانه .

و تذكر له مؤلفات في الحديث والأذكار النبوية، والفقه والعقائد، واللغة، والتراجم، والتصوف، وأشهر ما عرف من مؤلفاته في التصوف: " إيقاظ الهمم في شرح الحكم "، بالإضافة إلى مؤلفات أخرى أكثرها شروح لمنظومات أو مؤلفات لبعض المشهورين من الصوفية كالبوصري[3]، والشاذلي، وابن الفارض وغيرهم[4].

و لم يفته في مقدمة تفسيره المذكور أن يشير إلى بعض المسائل المتعلقة بفهم كتاب الله تعالى التي بها يتأهل المرء لولوج عالم التفسير فقال: (لا يتقدم لهذا الخطر الكبير إلا العالم النحرير الذي رسخت

---

[1]- انظر: مقدمة محقق " البحر المديد " في تفسير القرآن المجيد.ج1.ص: 08 .

[2]- انظر: السابق .ج1.ص: 09.

[3]- هو محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله الصنهاجي البوصيري المصري ،شرف الدين ، شاعر حسن الديباجة ، مليح المعاني ، له ديوان شعر و أشهر شعره البردة (ت:696 ه).انظر ترجمته في : معجم المؤلفين .28/10 ، الأعلام .6/ 139 .

[4]- انظر: السابق .ج1.ص: 09 وما بعدها .

أقدامه في العلوم الظاهرة وحالت أفكاره في معاني القرآن الباهرة، بعد أن تضلع من العلم الظاهر عربية وتصريفا ولغة وبيانا وفقها وحديثا وتاريخا ... ثم غاص في علوم التصوف ذوقا وحالا ومقاما بصحبة أهل الأذواق من أهل الكمال، وإلا فسكوته عن هذا الأمر العظيم أسلم، واشتغاله بما يقدر عليه من علم الشريعة الظاهرة أتم) [1].

ثم نبه على ما يسمى بالإشارات أو اللطائف أو المعاني الباطنية، ومن من الناس يحق له أن يتكلم فيها وصلة ذلك بحدود العقل فقال: (واعلم أن القرآن العظيم له ظاهر لأهل الظاهر، وباطن لأهل الباطن، وتفسير أهل الباطن لا يذوقه إلا أهل الباطن، لا يفهمه غيرهم ولا يذوقه سواهم، ولا يصح ذكره إلا بعد تقرير الظاهر، ثم يشير إلى علم الباطن بعبارة رقيقة، وإشارة دقيقة، فمن لم يبلغ فهمه لذوق تلك الأسرار فليسلّم ولا يبادر بالإنكار، فإن علم الأذواق من وراء طور العقول، ولا يدرك بتواتر النقول) [2].

ثم قال شارحا لقول التفتازاني في شرحه لعقائد النسفي ... يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة ...: (أي يمكن أن يشار إليها في باطن الخطاب بحيث لا ينبو عنها سر الخطاب، ولا يبعد اللفظ عنها كل البعد حتى يكون تحريفا)[3].

وزاد الأمر توضيحا وهو يشرح حديث: " لكل آية ظاهر وباطن وحد ومطلع " فقال:

(" فالظاهر" لمن اعتنى بظاهر اللفظ كالنحاة وأهل اللغة والتصريف، و"الباطن" لمن اعتنى بمعنى اللفظ وما دل عليه الكلام من الأمر والنهي والقصص والأخبار والتوحيد وغير ذلك من علوم القرآن وهو نظر المفسرين، و" الحد " لمن اعتنى باستنباط الأحكام منه، وهم الفقهاء، فهم ينتهون إلى ما يدل عليه اللفظ وسبق (كذا) لأجله دون زيادة عليه، و" المطلع " لأهل الحقائق من أكابر الصوفية، لأنهم يطلعون من ظاهر الآية إلى باطنها، فيُكشف لهم عن أسرار وعلوم وغوامض تتجلى لهم عند استعمال

---

[1] - البحر المديد في تفسير القرآن المجيد .ج1.ص: 16.

[2] - المصدر نفسه.ج1.ص: 17.

[3] - المصدر نفسه.ج1.ص: 18.

الفكرة فيها)[1].

وقد عمل" ابن عجيبة " على الجمع بين المعاني الظاهرة لآيات القرآن الكريم ومعانيها الإشارية على نحو أعطى لظواهر النصوص مكانتها اللائقة بها باعتبارها الأصل الذي يبنى عليه غيره فاستوفاها حقها التام، وبوّأ الإشارة مكانتها التي لا هيمنة فيها على العبارة، ولا افتئات فيها عليها، ولعل أقرب المفسرين شبها بابن عجيبة في هذا المسلك " الألوسي " صاحب "روح المعاني"، وهو كابن عجيبة من المتأخرين قريبي العهد به، وقول من قال إن هذا المسلك المؤسس على قاعدة الجمع بين هذين اللونين من التفسير: اجتهاد من ابن عجيبة فريد أسس لنظرية في التفسير تجمع بين ظاهر العبارة وإشارتها، عجيب لما فيه – على بعد – من غمط لكثيرين سبقوا مفسرنا – رحمه الله – إلى هذا [2].

والإشارة عند" ابن عجيبة" مرتبطة بالمجال الذي تدور حوله معاني العبارة ارتباطا وثيقا تجعل منها موضحة للعبارة ومبينة لها أحلى بيان، ومبرزة لمعاني النظم الكريم إبرازا محكما، وإن كانت هذه الإشارة أو المعاني الباطنية لا يصل إليها ولا تكشف إلا لقلب صفت مرآته من الصدأ، وأشرقت عليه أنوار المعارف الربانية [3].

ذلك لأن أسرار هذا الكتاب لا تنكشف إلا لمن آثر الآخرة من ذوي الألباب، ولأنها معنى يتجاوز تفسير ظاهر العبارة كما يعلو على المعنى التأويلي ويستقل عنه، لأن التأويل عنده – أي ابن عجيبة – درجة أدنى من الإشارة، و(لا يوظف إلا لغرض خاص لا يستقيم خطاب القرآن للمؤول بدونه، أما الإشارة فهي ... عبارة عن لطائف لاحت في قلوبهم – يعني المتصوفة – من أنوار إلهية بها بينوا بعض معاني القرآن الكريم) [4].

ولكون الإشارة عند " ابن عجيبة " بهذه المثابة فإنه يوصي بضرورة حمايتها من العامة وأصحاب

---

[1] – المصدر نفسه ...ج1.ص: 19.

[2] – انظر: الشيخ أحمد بن عجيبة ومنهجه في التفسير .ج2.ص: 07.

[3] – انظر: المرجع نفسه .ج2.ص: 12.

[4] – المرجع نفسه .ج2.ص: 11.

الفهوم السطحية لأن لها سرا لا ينبغي كشفه لغير أهله المتحققين به ذوقا وكشفا [1]. وهي والرمز عنده بمعنى واحد تارة ويتفاوتان تارة أخرى على قلة عنده يجعل من مصطلح الرمز مستوى أدق وأعلى من مستوى الإشارة، غير أنه لا يكاد يوجد هذا في تفسيره إلا في الحروف المقطعة في فواتح بعض سور القرآن الكريم [2]، لكنه يخلص إلى أن الفارق بين ما يسمى الظاهر والباطن، وبين ما يسمى العبارة والإشارة والرمز فارق كيفي لا كمي، ذلك أن الإشارة أفصح من العبارة، والرمز أدق من الإشارة، وعليه فلا مانع من الجمع بين هذه جميعا في فهم النص القرآني عند من سلمت أدوات الإدراك عنده من التعلق بما يفنى ويشغل عن الله [3].

فهل وفق " ابن عجيبة" في الجمع بين هذه المعاني فجاءت إشاراته ورموزه صدى لما يظهر من معنى النظم القرآني فلم يحد فيما أشار إليه إلى معان يضيق بها ذرعا سياق الآية العام، أو معان نشاز لا شاهد لها من الشرع يؤيدها وإن أقر بأن المراد أولا هو الظاهر ؟ فإن المعتبر هو ألا يخالف ما ألزم نفسه به خاصة إذا كانت المخالفة مكشوفة يدركها الجاهل ويراها الأعمى، لخلوها من الدليل الهادي في طريق عويص، رواده قلة، وقطاعه كثر، وشيطانه فقيه عالم بمقامات الطريق و نوازله – كما يقول [4].

وهل وجد في الإشارة ما كانت تتطلع إليه نفسه وتهفو إليه روحه التي أتى عليها حين من زمن الطلب لم تكن ترضى بما يرضى به غيرها حتى جاءت الإشارة فأيقظت قلبه المتيقظ المنتظر للمدد الإلهي من غفلته، ودلته على سبل إشباع تطلعاته الروحية التي كانت كامنة في أعماقه تترقب الفتح الرباني يوصلها بالمقصد الأسمى والبغية العليا ؛ بعد أن جعلت من الذكر الدعاء والتفكر و التأمل الروحي الهادىء والعميق والعزلة والخلوة مطية لذلك، على أنه لا ينبغي أن يفهم من عزلته وخلواته النزوع والهروب من مسؤوليات الحياة و متطلباتها المادية، فقد ابتغى فيما آتاه الله الدار الآخرة من غير

---

[1] - الشيخ أحمد بن عجيبة ومنهجه في التفسير . ج2.ص: 17.

[2] - انظر: المرجع نفسه . ج2. ص: 18، 19 .

[3] -انظر: المرجع نفسه . ج2.ص: 20.

[4] - انظر : مقدمة محقق "البحر المديد " في تفسير القرآن المجيد . ج1.ص: 45 .

أن ينسى نصيبه من الدنيا فأحسن تربية الذين أحاطوا به وقصدوا حلق الذكر ومجالس العلم التي كان يعقدها حيثما حل وارتحل نافخا في روح طلابه ثمرات مجاهداته ورياضاته المضنية الشاقة التي فتحت له آفاقا روحية محلقة في عالم الطهر والنقاء، وتجارب إيمانية عميقة زادت روحه شفافية، وقلبه حبا لكل ما يوصل إلى الله تعالى، حتى قال عنه أحد تلامذته : (هو صدر من صدور أئمة الدين وكبير من كبار الأولياء المهتدين، وقدوة في أفراد العلماء الزاهدين، حامل لواء المعارف، حافظ للكتاب والسنة، محافظ على متابعة الشريعة والملة، قائم بأعباء صلاح الأمة، باسط للضعفاء وذوي الحاجات جناح الرأفة والرحمة، كثير الصيام والقيام، دائم الخلوات، مجاب الدعوات، وقور صموت، هين معظَّم، وله في التصوف باع طويل)[1]

و قد ظل يدعو إلى الله تعالى ويربي السالكين بما من الله به عليه من عطاء غير ممنون، ويؤلف ويكتب في علوم المعارف وغيرها إلى أن توفاه الله تعالى سنة 1224 ه – رحمه الله تعالى .

[1] – الشيخ أحمد بن عجيبة و منهجه في التفسير .ج1 . ص: 133.
– و انظر أقوالا أخرى لتلامذته في ج1 . ص: 134.

نماذج وشواهد من "البحر المديد" :

سأقتصر في سرد الشواهد من تفسير " ابن عجيبة " على ما كان ذا لون إشاري، ولا أعرج على ما كان عباريا إلا إذا اقتضت الضرورة ذلك، مع العلم أنه في تفسيره بوجه عام ما تعلق منه بالإشارة أو ما جاء على الوجه الأصلي وهو العبارة كان متكئا فيه على مصادر تفسيرية وغير تفسيرية كثيرة ذكر بعض ما كان منها من علم التفسير فقال -بعد الفراغ من تفسير سور القرآن كلّها- : (وعمدتنا فيه : تفسير البيضاوي، وأبي السعود، وحاشية شيخ شيوخنا سيدي عبد الرحمان الفاسي، وشيء من تفسير ابن جزي والثعلبي* والقشيري)[1] .

وقد سلك في تفسير الآيات بالظاهر طريق المفسرين الذين سبقوه معتمدا الأصول التي اعتمدوها من نحو ذكرهم للمكي والمدني وعدد الآي في السور، وأسباب النزول وفضائل السورة، ليشرع بعدها في تفسير الآية موضحا لمعانيها من خلال آية أو آيات أخر مستعرضا للقراءات القرآنية التي اشتملت عليها الآية أو الآيات، غير غافل عن وجوه الإعراب، وما تشتمل عليه الآيات من الأحكام الفقهية في المذاهب الفقهية الأربعة مع التركيز على ما في مذهب مالك باعتباره مذهب بلده[2] .

وقد أحصى له محقق التفسير من المؤلفات في فنون العلم المختلفة ثلاثة وأربعين بين كتاب ورسالة، فيها حوالي خمس وعشرون رسالة في التصوف وحده، والرقم دليل على معرفة وسعة اطلاع في هذا العلم، بالإضافة إلى التجربة الصوفية والتربية الروحية التي تلقاها عن بعض من ذكرنا من شيوخه، فنحن — والحالة هذه — أمام علم من أعلام التصوف في زمانه، يملك من المؤهلات العلمية والمعرفية ما يخول له أن يفسر القرآن على طريق أهل الظاهر أو على طريق أهل الإشارة، وما يعنينا هنا مما سنورد له شواهد هو التفسير الإشاري، وقد نبه "ابن عجيبة" إلى صعوبة التصدي لهذا اللون من التفسير فقال : (... ثم غاص — يعني من رسخت قدمه في العلم — في علوم التصوف ذوقا وحالا

---

*هو أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الثعلبي أو الثعالبي (ت: 427 ه) شيخ الواحدي (أبي الحسن) .

- انظر ترجمته في : طبقات الشافعية . 4/ 85 -59 ، معجم المفسرين .1/ 62 .

[1] - البحر المديد في تفسير القرآن المجيد .ج8 . ص: 379.

[2] - انظر : مقدمة محقق البحر المديد . ج1 . ص: 03 ، 04 .

ومقاما بصحبة أهل الأذواق من أهل الكمال، وإلا فسكوته عن هذا الأمر العظيم أسلم، واشتغاله بما يقدر عليه من علم الشريعة الظاهرة أتم) [1]، ذلك أن هذا التفسير في رأيه، لا يذوقه إلا أهل الباطن كما يسميهم، ولا يفهمه إلا هم، ولا يصح ذكره في باب التفسير إلا بعد تقرير ظاهر المعنى، لارتباط الإشارة بالذوق،و الذوق وراء طور العقل، غير مدرك بتواتر النقل [2]، ثم إن الإشارة ليست إلا لأهل الحقائق من أكابر الصوفية – كما يقول – وهم وحدهم – كما يقرر – (يكشف لهم عن أسرار وعلوم وغوامض تتجلى لهم عند استعمال الفكرة في الآية) [3].

ووجود المعاني الباطنة والمستورة الخفية التي لا يطلع عليها إلا أرباب الحقائق – كما قيل – قيل إنه (أمر وارد لا يسع إنكاره مهما اختلف في مدلول مصطلح الباطن ما دام أن المقصود هو كل معنى أو إشارة أو إيحاء أو إيماء مما لا يدل عليه ظاهر الكلام) [4]؛و لا يمنع منه مانع شرعي بأن يكون فيه مصادمة لأصل تشريعي، أو يحول دون قبوله مانع عقلي.

و أول ما ذكر ابن عجيبة من الإشارات كان عند تفسيره لقوله سبحانه : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ الفاتحة: ٢ – ٤ . فبعدما تحدث عن أشياء لغوية وفقهية وسواها حام بعد ذلك فيما ذكر إشارة لهذه الآيات الأولى من سورة الفاتحة حول المعاني التي يقرها ظاهر التفسير من غير أن يبتعد كثيرا، كما لم يبتعد في إشارته في السور الأربع الأخرى التي افتتحت بهذا اللفظ الكريم " الحمد لله " إلا في سورة " سبأ " فإنه أورد إشارات – هي فيما يظهر لي – جزء من المعنى الأصلي الذي دل عليه ظاهر الآيات، ولا يبدو أنه إشارة لا يدل عليها ظاهر الكلام، لتضمنها فيه واشتماله على كثير مما ذكره " ابن عجيبة " فقال : (المستحق للحمد هو الذي بيده ما في سماوات الأرواح، من الكشوفات وأنواع الترقيات إلى ما لا نهاية له، من عظمة الذات، وبيده ما في أرض النفوس، من القيام بالطاعات، وآداب العبودية وتحسين الحالات، وما

---

[1] – البحر المديد . ج1. ص : 16 .

[2] – المصدر السابق . ج1 .ص: 16 ، 17 .

[3] – انظر : المصدر السابق . ج 1 . ص : 19 .

[4] – الشيخ أحمد بن عجيبة و منهجه في التفسير . ج 2 . ص: 271.

يلحق ذلك من المجاهدات والمكابدات، وبيده ما يتحفهم به في الآخرة من التعريفات الجمالية، والفتوحات الربانية، والترقي في الكشوفات السرمدية ، فله الحمد في هذه العوالم الثلاثة، إذ كلها بيده يخص بها من يشاء من عباده، مع غناه عن الكل، وإحاطته بالكل، ورحمته للكل، يعلم ما يلج في أرض النفوس من الهواجس والخواطر، وما يخرج فيها من الصغائر والكبائر، أو من الطاعة والإحسان من ذوي البصائر، وما ينزل من سماء الملكوت من العلوم والأسرار، وما يعرج منها من الطاعات والأذكار، وهو الرحيم بالتقريب والإقبال، العفو لمساوئ الضمائر والأفعال)[1] .

لكني لست معتديا إذا قلت، إن قصر ابن عجيبة الإشارة أو الإيحاء أو الإيماء أو الباطن، أو ما لا يدل عليه ظاهر الكلام كما يقول على ما ذكر أنزل الآيات عن مكانها البلاغي العلي حين قصرها على بعض أجزائها مع ألها في معناها الأصلي شاملة لما ذكر ابن عجيبة ولما لم يذكر مما فني ومر، وما هو موجود، وما سيأتي إلى ما لا يعلمه إلا هو سبحانه وتعالى .

إن تبرير بعض الإشارات والتماس الأعذار لأصحابها يفتح الأبواب على مصاريعها للي عنق النص بل والعبث بدلالة ألفاظه وسياقه العام .

ذلك أن قول " ابن عجيبة " في الإشارة التي أوردها لقوله تعالى : ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ البقرة: ٣٥ .

---

[1] - البحر المديد في تفسير القرآن المجيد . ج6. ص: 62.

- وانظر : الإشارة في : ج1 . ص : 31 ، 32 ، 33 .

- ج2 . ص: 235 .

- ج4 . ص:139.

- ج6 .ص: 99.

- و الإشارة في سورة " فاطر " لا تسمى إشارة إلا تجوزا ، لأنها لم تتجاوز تقسيم الحمد في القرآن ، فهي بمنأى عن الإشارة بالمعنى الذي عهدناه . والله أعلم .

- وانظر : الإشارة في تفسير قوله سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ٢١ – ٢٢ .ج1 . ص: 66 .

(الإشارة : يقول الحق جل جلاله للروح إذا كمل تهذيبها وتمت تربيتها : اسكن أنت وبشريتك التي تزوجتها، قال تعالى :﴿ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ التكوير: ٧ . جنة المعارف، وأكلا من ثمار أذواقها، وأنهار علومها، وتبوّءا من قصور ترقياتها كلا واسعا ما دمتما متحليين بالأدب، ولا تقربا شجرة المعصية بسوء الأدب فتكونا من الظالمين) [1].

وهذا القول وجدنا من يبرر معناه، ويلتمس لصاحبه العذر يقول : (... لكن إذا ما استغرقنا النظر مليا في كلام صوفينا – يعني ابن عجيبة – وجدنا له مخرجا ووجها يجري عليه) [2]، متعللا بتعلة تفسير ابن عجيبة للآية تفسيرا بالظاهر لم يخالف فيه غيره من المفسرين، معرجا بعد ذلك إلى ما في الآية من الاعتبار والتذكر مما لا يتنافى مع ظاهر النظم الكريم، وهو أن (أمْر الله تعالى لآدم بالسكن هو وزوجه الجنة يصح حمله على النفس التي يجب جهادها وتهذيبها إلى طريق الخير على اعتبار أنها هي الأمارة بالسوء ما دامت معلقة بالمعاصي والهوى ...) إلى آخر ما قال .

و الإشارة التي أقحمت فيها النفس، وحلت محل زوج آدم تبدو بعيدة جدا وغير مستساغة هنا، ولا أدري كيف نُظر إلى الإشارة ها هنا على أنها مما لا يتنافى مع ظاهر النظم القرآني مع ما فيها من تجاهل بل إبعاد لزوج آدم تخلّل الخطاب الإلهي من أوله إلى آخره، فلو لم يكن في الإشارة من المخالفة لظاهر النظم القرآني إلا هذا لكان كافيا فكيف وقد ضم إليه غيره من الغريب عن ظاهر النظم . ومع أن (نسبة الإشارة إلى لفظ القرآن مجازية، لأنها إنما تشير لمن استعدت عقولهم وتدبرهم في حال من الأحوال الثلاثة * ولا ينتفع بها غير أولئك، فلما كانت آيات القرآن قد أنارت تدبرهم

---

[1] – البحر المديد . ج1 . ص: 76 .

[2] – الشيخ أحمد بن عجيبة و منهجه في التفسير . د . حسن عزوزي . ج 2 . ص: 276 .

– وانظر: تفسير الآية السابقة في " اللطائف " للقشوري . ج1 . ص: 80 ، 81 .

– وانظر: تفسيره لقوله سبحانه : ﴿ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ البقرة: ٨٠ - ٨٢ .ج1.ص: 103 ، 104 . ففيها كلام في غاية الغرابة ، نسأل الله أن يرزقنا الاتباع ، و حسن الفهم عنه .

* انظر : الأحوال و الأنحاء الثلاثة في : ج1.القسم الأوّل .ص: 35 ، 36 .

وأثارت اعتبارهم نسبوا تلك الإشارة للآية)[1] كما يقول ابن عاشور .لكن أحدا من أهل اللغة لم يقل إن المجاز لا لجام له .

و أحسب أن الإشارة السابقة ليست حق دلالة الآية المذكورة اللفظية ولا الاستعمالية حتى تكون من توابعها، فضلا عن أن تكون من لوازمها [2]. والله أعلم .

وأحسن منها وأقرب إلى القبول تعميم الإشارة بجعلها شاملة لكل سامع، وذلك عند تفسير " ابن عجيبة " لقول الله تبارك اسمه : ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾ البقرة: ٤٠ .. حيث قال : (الإشارة : إذا توجه الخطاب إلى طائفة مخصوصة حمله أهل الفهم عن الله على عمومه لكل سامع ... فكأن الحق جل جلاله يقول : يا بني آدم اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم، وتفكروا في أصولها وفروعها، واشكروني عليها بنسبتها إلي وحدي، فإنه لا منعم غيري، فمن شكرني شكرته، ومن فيض إحساني وبري مددته، ومن كفر نعمتي سلبته، وعن بابي طردته، وأوفوا بعهدي بالقيام بوظائف العبودية، أوف بعهدكم بأن أطلعكم على أسرار الربوبية)[3] .

---

[1] – تفسير التحرير و التنوير . الجزء الأول – القسم الأول .ص: 36 . دار سحنون للنشر و التوزيع – تونس .

[2] – انظر : المصدر السابق . ج1 . القسم الأول .ص: 36 .

[3] – البحر المديد .ج1 . ص : 79 .

– وانظر : الإشارة في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ۝٤٥ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴾ البقرة: ٤٥ – ٤٦ ج1 .ص: 81.

– وانظر : "الإشارة " أيضا في تفسيره لقوله حل ذكره : ﴿ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ ﴾ البقرة: ٦١ .ج1 ص: 92 ، 93 .

– وانظر : " الإشارة "في تفسيره لقوله حل ذكره : ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ ﴾ البقرة: ٨٧ .ج1 .ص: 110 .

وانظر : " الإشارة في تفسيره لقول الحق جل ذكره : ﴿ قُلۡ إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةٗ مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٩٤ وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ البقرة: ٩٤ - ٩٥ .ج1.-

و شبيه بالإشارة السابقة الإشارة في قوله سبحانه :﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾العنكبوت: ٢٦، إذ بعد أن ذكر ما عليه المفسرون وهو أن إبراهيم هاجر إلى حيث أمره ربه، فخرج من سواد الكوفة إلى الشام، إلى حران، ثم منها إلى فلسطين، وهي من برية الشام – كما يقول ابن عجيبة –، ومن ثم قالوا : « إن لكل نبي هجرة، ولإبراهيم هجرتان».

و قيل – والكلام لابن عجيبة – إن القائل : إني مهاجر إلى ربي" هو لوط، فأول من هاجر من الأنبياء إبراهيم ولوط، ثم قال : (الإشارة : الهجرة سنة الخواص، وهي على قسمين : هجرة حسية، وهجرة معنوية.

فالحسية هي هجرة العبد من وطن تكثر فيه الغفلة والعوائق عن الله، أو الإذاية والانكار، إلى وطن يجد فيه اليقظة وقلة العوائق .

و الهجرة المعنوية هي هجرة القلب من وطن المعصية إلى وطن التوبة ،ومن وطن الغفلة إلى وطن اليقظة ، ومن وطن الحرص إلى وطن الزهد والقناعة، ومن وطن الحظوظ والشهوات إلى وطن العفة

=ص: 114 ، 115 .

فمن جملة ما قال : (في هذه الآية ميزان صحيح توزن به الأعمال و الأحوال ، ويتميز به المدعون من الأبطال ، فكل عمل يهدمه الموت فهو مدخول ، وكل حال يهزمه الموت فهو معلول ، وكل من فر من الموت فهو في دعواه المحبة كذاب ، فمن ادعى الخصوصية على الناس يختبر بهذه الآية) ... إلى آخر ما قال :

والآية عدت في دلائل نبوة النبي – صلى الله عليه و سلم – كما يقول ابن عاشور – إذ فيها نفي صدور تمني الموت مع حرصهم – أي اليهود – على أن يُظهروا تكذيب هذه الآية .

(و الظاهر – كما يضيف رحمه الله – أن الآية تشمل اليهود الذين يأتون بعد يهود عصر النزول ، إذ لا يعرف أن يهوديا تمنى الموت إلى اليوم ، فهذا ارتقاء في دلائل النبوة) . التحرير و التنوير . ج1 . القسم الثاني . ص: 616 .

-و انظر : " الإشارة " في تفسيره لقوله سبحانه : ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴾البقرة: ٢٧٢ . فقد قال : ("الإشارة " ما قيل في الرسول – عليه الصلاة و السلام – يقال في ورثته من أهل التذكير ، فليس بيدهم الهداية و التوفيق ، وإنما شأنهم الإرشاد و بيان الطريق ، فليس من شأن الدعاة إلى الله الحرص على هداية الخلق ، و إنما من شأنهم بيان " الحق " ﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ النحل: ٣٧ .

انظر : البحر المديد . ج 1 .ص: 271 ، 272 .

- وانظر : الإشارة في "آيات الربا " من سورة البقرة . ج1 . ص: 276 ، 277 .

والحرية، ومن وطن الشواغل إلى وطن التفرغ، ومن وطن رؤية الحس إلى وطن رؤية المعاني، وهذه نهاية الهجرة)[1].

وقد وصفت الإشارة بالرقة، والدقة في التعبير عن أهمية هجرة القلب بالقياس إلى هجرة الوطن.

و الإشارة – كأكثر الإشارات عند الصوفية – تنقل المدلول القرآني الحسي المادي إلى مدلول آخر قلبي معنوي من غير إغفالٍ أكثرِهم لمدلول الآية الأصلي الذي لا تستقيم الإشارة إلا إذا كانت مشدودة إليه، وفي ما يشير إليها [2].

ونقل معنى الآية من معناها الأصلي إلى مدلولات ثانية، قاعدة تفسيرية عند أهل الإشارة، فقد قال في تفسير قوله سبحانه: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ البقرة: ٩٠ - ٩١ .

(الإشارة : إعلم أن قاعدة تفسير أهل الإشارة هي أن كل عتاب توجه لمن ترك طريق الإيمان، وأنكر على أهله أن يتوجه مثله لمن ترك طريق مقام الإحسان وأنكر على أهله ،وكل وعيد توعد به أهل الكفران يتوعد به من ترك السلوك لمقام الإحسان، غير أن عذاب أهل الكفر حسي بدني، وعذاب أهل الحجاب معنوي قلبي) [3].

(و عدم الاكتفاء بذكر وجه تفسيري واحد)[4] بإنزال الآية على الأولياء والشيوخ والمريدين أو ما يشبه هذا مسلك صوفي ربما كان مستساغا حينا، وربما كان ممجوجا متعسفا، ومتكلفا في أحايين

---

[1] – البحر المديد .ج1 .ص: 307 .

– وانظر : " لطائف الإشارت " للقشيري . ج2 .ص: 95 .

[2] – انظر : الشيخ أحمد بن عجيبة و منهجه في التفسير . ج2 . ص : 302 .

[3] – البحر المديد . ج1 .ص: 111.

[4] – المصدر نفسه . ج 2 .ص : 287 .

كثيرة، إن تعللوا بتعلة (تعدد الدلالات التي يمكن أن تثيرها الآية الواحدة) [1]، لأن هذا محكوم بضوابط وشروط إن انتفت أو انتفى أحدها وانتفت معه الدلالة أو الدلالات الجديدة .

ولعل الإشارة التي ذكرها في تفسير قوله سبحانه : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ البقرة: ٦٣ .مما لا يستساغ لما فيه من المبالغة في تخويف المريدين من الشيوخ الذين ذكر أن في الآيات إشارة إليهم حيث قال :

(قلت : وقد كان شيخنا يرسل لنا البطاقات في حال البدايات، فما كنت أفتحها حتى ترتعد نفسي مما فيها، لأنها تعلم – أي نفسه – أنه ما يرسل لها إلا ما فيه موتها، فلولا فضل الله علينا ورحمته – حتى قوانا على العمل بما فيها – لكنا من الخاسرين .

ولقد أخطأت العناية قوما فتعدوا حدود الشيوخ، أو خرجوا عن دائرتهم قبل كمال تربيتهم، فمسخت قلوبهم، وامّحت من ديوان الولاية رسومهم، جعل الله ذلك عبرة لغيرهم ،وزاجرًا لمن حذا حذوهم، نعوذ بالله من السلب بعد العطاء، وكفران النعمة وحرمان الرضى) [2]، وهذا كثير في تفاسير الصوفية بوجه عام، وهو كثير جدا في تفسير ابن عجيبة، تظهر في أكثرها "سطوة " الشيخ على المريدين ماحية لمساحة الحركة، ماحقة لحرية المريد * وإن كنت لا أنكر أن للتربية الروحية رجالا منَّ الله عليهم بمنن هيأتهم لأن يكونوا من الدالين على الله ﷻ ، وأسبغ عليهم نعما ظاهرة وباطنة لم يعطها لسواهم، لكن أحدا من كبار المربين في تاريخ التربية الإسلامية لم يدع أنه معصوم وأن أقواله وأفعاله وتقريراته لا تناقش فضلا عن أن ترد، إلا أن تكون ما يؤمر به، أو ينهى عنه شأنا شرعيا فإن الانقياد هنا للشرع ولا يعدو هو أن يكون الواسطة أو المبلغ لحكم الشرع إتيانا أو تركا، ليس هذا إنكارا للتفاضل والتفاوت في الدرجات بين عباد الله، فإنه تبارك اسمه رفع بعضهم فوق

---

[1] - البحر المديد. ج2 .ص : 288 .

[2] -المصدر نفسه. ج1 . ص: 96 .

* و الشيخ أو (الداعي إلى الله و الدال عليه ، و هو – عند ابن عجيبة – المعلم الأكبر (الذي) صحبته تطهر من العيوب ، ورؤيته تنفي القلوب ، و تدخلها إلى حضرة الغيوب ، ظاهره قائم بوظائف الحكمة ، و باطنه مشاهد لتصاريف القدرة و هذا هو القائم بالتربية النبوية) البحر المديد . ج1 .ص: 141 ، 142 .

بعض درجات، ولا حسد لمن آتاه الله من فضله، وفضّله على غيره .

إن طابعا – يكاد يكون عاما – يصبغ أسلوب الصوفية في الكتابة هو جمال العبارة، وشاعرية الألفاظ والمعاني وسهولة التعبير بكلمات جميلة عن كل ما يجيش في صدورهم، حتى إنهم يكادون يقنعون القارىء لكتبهم من خلال أسلوبهم الجميل بفكرة أو رأي ليس موضع قبول عنده لكن تقديمهم له في ثوب لغوي ماتع يكاد يحمله على قبوله .

ومن ذلك ما ذكره " ابن عجيبة " في الإشارة التي ذكرها وهو يفسر قول الله تعالى : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ البقرة: ٨٨ . قال : (الإشارة : إذا أمر الدعاة إلى الله أهل الدنيا بذبح النفوس وحط الرؤوس، ودفع الفلوس، ليتأهلوا به لدخول حضرة القدوس، أو أمروهم بخرق العوائد، لتخرق لهم العوائد، أنفوا وعنفوا وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه، فيقال لهم : بل سبق لكم من الله البعد والحرمان، فأنكرتم أسباب الشهود والعيان، لكن من سبقت له من الله العناية وهب عليه نسيم الهداية، فلا تضره الجناية، فقد يلتحق بالخصوص، وإن كان من أعظم اللصوص)[1] .

لم يشتط " ابن عجيبة " فيما كان التباين فيه من المسائل بدهيا، كالتباين بين الأنبياء والأولياء الذي اختلط أمره في ظواهر بعض النصوص المثبتة في بعض مؤلفات صنف من الصوفية فقد قال– رحمه الله – في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ

---

[1] - البحر المديد . ج1 .ص: 109.

- و انظر : " الإشارة " في قوله سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَـٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ البقرة: ٩٩ – ١٠٠ . ج1 . ص: 117 ، 118 ، 119.فقد قال فيها (اعلم أن العبد إذا سبقت له من الله العناية ، ألقى الله في قلبه التصديق و الهداية ، من غير أن يحتاج إلى علامة و لا آية ، بل يكشف له الحق تعالى عن سر الخصوصية و أنوارها ، فيشهد سره لصاحبها بالتقويم ، و تخضع له روحه بالتعظيم فتبدوا له أنوار الإيمان ، و تشرق عليه شموس العرفان من غير توقف على دليل و لا برهان . بخلاف من سبق له الحرمان ، فلا ينجح فيه دليل و لا برهان) .

- و انظر : أيضا تفسيره لقوله سبحانه :﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ البقرة: ١١٥ ج1 . ص: 131 ، 132.

﴿ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾البقرة: ١٠٨ .

(الإشارة : - وإن كان ظاهر هذه الآية لا يشير إليها لكن الإشارة جاءت تابعة لما ذكره في الآيات قبلها – لا يشترط في الولي ظهور الكرامة إنما يشترط فيه كمال الاستقامة، ولا يشترط فيه أيضا هداية الخلق على يديه، إذ لم يكن ذلك للنبي، فكيف يكون للولي ؟ قال تعالى : ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾يونس: ٩٩ . وقد سرى في طبع العوام ما سرى في طبع الكفار، ﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴾الإسراء: ٩٠ ...الآية .فكثير من العوام لا يقرون الولي حتى يروا له آية أو كرامة، مع أن الولي كلما رسخت قدمه في المعرفة قل ظهور الكرامة على يديه، لأن الكرامة إنما هي معونة وتأييد وزيادة إيقان، والجبل الراسي لا يحتاج إلى عماد)[1].

و فيما يتصل بالذات العلية فقد فصل بين الحق والخلق، بين الله والعالم في عبارات أحسب أنها دالة على المقصود، واضحة المعاني وذلك في تفسيره لقوله سبحانه : ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ البقرة: ١١٦ - ١١٧، قال : (اعلم أنك إذا نظرت بعين البصيرة أو بحق البصيرة إلى الوجود بأسره وجدته ذاتا واحدة، ونسبته من الحق نسبة واحدة، أنوار ظاهرة، أسرار باطنة، حكمته ظاهرة، وقدرته باطنة، حسن ظاهر، ومعنى باطن، عبودية ظاهرة، وأسرار معاني الربوبية باطنة، إذ لا قيام للعبودية إلا بأسرار معاني الربوبية، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾فاطر: ٤١، وقال تعالى : ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾النور: ٣٥، وقال في الحكم « الأكوان ظاهرها غرة، وباطنها عبرة، فالنفس تنظر إلى ظاهر بهجتها، والقلب ينظر إلى باطن عبرتها »، فأهل "الفرق" يثبتون الأشياء مستقلة مع الله، وربما تغالى بعضهم فأشركها معه في الألوهية، فتعالى الله عن ذلك علوا

[1] - البحر المديد .ج1.ص: 126 .

كبيرا، قال محي الدين الحاتمي : من رأى الخلق لا فعل لهم فقد فاز، ومن رآهم لا حياة لهم فقد جاز، من رآهم بعين العدم فقد وصل . (اه) قلت : ومن أثبتهم بالله فقد تمكن وصاله) [1].

وفي تفسير قوله جل ذكره : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ البقرة: ١٢٥ . قال قولا لا تحتمله الآية، وأشار إشارة غير فرضية حين قال : - في جملة ما قال - (ومقام إبراهيم عليه السلام هو الاستغراق في عين بحر الشهود، ورفع الهمة عن ما سوى الملك المعبود، وهذا المقام هو الذي اتخذه العارفون كعبة لصلاة قلوبهم، وغاية لمنتهى قصودهم) [2].

وقد قال هو نفسه في تفسير الآية بالظاهر قبل أن يأتي إلى الإشارة : (... قلنا لهم : اتخذوا من مقام إبراهيم وهو الحجر الذي فيه أثر قدميه " مصلى " يصلون إليه، هو الذي يصلون خلفه ركعتي الطواف)[3] ، إلا أن يكون قد أراد بالإشارة ما وراء الحس و الظاهر من صور الانكسار والذل والخضوع التام لله رب العالمين .

ومثلها في البعد وعدم مواءمتها لسياق الآيات العام، وتنافر الظاهر مع الباطن والإشارة ما ذكر من الإشارة في قوله سبحانه : ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا

---

[1] - البحر المديد ... ج 1.ص: 133.

[2] - المصدر نفسه .ج1.ص: 139.

[3] - المصدر نفسه . ج1 . ص: 138 .

- و انظر :" الإشارة " الصارفة للآية عن ظاهرها إلى معنى يشعر المتذوق العادي لمعاني القرآن الأولى بعدم " معقوليتها " عند تفسيره لقوله تبارك اسمه :﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ البقرة: ١٥٨ . قال : - رحمه الله - : (الإشارة : الصفا و المروة إشارة إلى الروح الصافية و النفس اللينة الطيبة ، فالاعتناء بتطهيرها و تصفيتها من معالم الطريق ، و بهما يسلك إلى عين التحقيق ، فمن قصد بيت الحضرة لحج الروح بالفناء في الذات ، أو عمرة النفس بالفناء في الصفات ، فلا جناح عليه أن يطوف بهما أو يشرب من كأسهما ، حتى يغيب عن حسهما ، و من تطوع خيرا ببذل روحه و الغيبة عنها في شهود مولاه ، فإن الله يشكر فعله ، و ينشر فضله و يظهر خيره و يتول أمره ، والله ذو الفضل العظيم) . البحر المديد ... ج1 .ص : 162 .

بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ البقرة: ١٤٤ - ١٤٦، وهو مسلك يكاد يكون عاما عند المتصوفة في حملهم على أهل الظاهر أو الشريعة في معناها المقابل للحقيقة عندهم .

قال : (الإشارة : مما جرت به سنة الله تعالى في خلقه أن أهل الحقيقة منكورون عند أهل الشريعة، أو تقول : علماء الباطن منكورون عند علماء الظاهر يقاتلونهم بالإذاية والإنكار مع أنهم يعلمون أن الحقيقة حق من ربهم، وأن علم الباطن حق ... (إلى أن يقول) : فجزاؤهم – يعني أهل الظاهر – الحرمان عن لذة الشهود العيان، فيقال لأهل الباطن :ولئن أتيتهم بكل آية وبرهان ما تبعوا وجهتك التي توجهت إليها لأنها منوطة بموت النفوس، وحط الرؤوس، ودفع الفلوس، وخرق العوائد لاكتساب الفوائد، ومفارقة الأوطان والغيبة عن الأهل والولدان ...الذين آتيناهم الكتاب من علماء الشريعة يعرفون علم الحقيقة كما يعرفون أبناءهم، أي : يقرون به في الجملة، وينكرون وجود أهله مخصوصين، وقد يتحققون به ويكتمون الحق حسدا وهم يعلمون وجود خصوصيته، فيقال للعارف : هذا الذي أنت عليه من سلوك جادة الطريقة، وعلم التحقيق، هو الحق من ربك فلا تكونن من الممترين أنك على الحق المبين) [1] .

---

[1] - البحر المديد ... ج1 .ص: 153 ، 154 .

- و انظر : الإشارة البعيدة عن ظاهر الآية في تفسير قوله سبحانه : ﴿ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۖ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ البقرة: ٢٢١ . ج1 . ص: 221.

- و انظر : الآيات بعدها و هي قوله سبحانه : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ البقرة: ٢٢٢ – ٢٢٣ .ج1 ص: 223 . وقد فعل بآيات التشريع المختلفة الموجودة في هذه السورة و سواها ما فعل بالآيات السابقة حين حملها على ما ينفر منه ظاهرها نفورا لا يقبل الترويض ، و بعدا لا يقبل القرب .

و الثنائية الحادة التي تبعد من الآية – إشاريا – أهل الكتاب من اليهود والنصارى ليخلفهم ويحل محلهم نقلة أصول الدين وفروعه قسمة ضيزى يردها متواتر التاريخ وحقائق الأشياء مع ما فيها من تزكية لجهة على حساب أخرى كلاهما كان الحق ﷻ غاية غاياتهما وهو القائل تبارك اسمه : ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ النجم : ٣٢ .

فهؤلاء وأولئك وسواهم – ما لم يغيروا – من تدبير الله ﷻ في ملكه العظيم لحفظ دينه وتحقيق مصالح عباده، فأهل الشريعة أو الظاهر (قوم أقامهم لحمل شريعته وتمهيد دينه ... أقامهم لحفظ نظام الحكمة، وهم القائمون بالأسباب الشرعية على اختلاف أنواعها، وتعدد فروعها) [1]، فمن أين دخل التمييز بين هؤلاء وهؤلاء، ومن أين تسللت الثنائية – عمليا – فجعلت هؤلاء "طبقة " وهؤلاء " طبقة " أخرى ؟!.

إن الإشارة أو الرمز (تشبه الإلغاز أحيانا .. (وهي) العبارات القصيرة التي تنطوي على المعاني الطويلة العريضة .. (إنها) اللمحات الخاطفة التي تتطلب نفوسا مشرقة وعقولا متوثبة ناهضة حتى تستطيع أن تفيد منها) [2]، وهذه المنن ليست حكرا على أحد دون آخر أو تيار دون سواه، وإن سجّل التاريخ أن هذا لم يكن إلا لثلة من الأولين وقليل من الآخرين ممن قذف الله في قلوبهم نورا لا يدخل معه شك، فضلا عن الحاجة إلى البرهان)[3] .

وليس في هذا الصنف ما يميزهم عن غيرهم (بل يوجدون في جميع أصناف أمة محمد ﷺ، إذا لم يكونوا من أهل البدع الظاهرة والفجور، فيوجدون في أهل القرآن وأهل العلم، ويوجدون في أهل الجهاد والسيف، ويوجدون في التّجار والصناع والزراع)[4] .

و طريق الوصول إلى هذا صعب، ومسلكه وعر، والإفضاء إلى المقصد فيه بعيد، لكن هذا كله لا يقدح في قوة اليقين وصحة العلم التي يعطيها طريق التصفية حين تنبجس منه على غير انتظار من

---

[1] – البحر المديد ... ج1 .ص: 156 .

[2] – مقدمة محقق " الإشارات و التنبيهات " لابن سينا . ج2 .ص : 18 .

[3] – انظر : مفتاح السعادة و مصباح السيادة في موضوعات العلوم . ج2 .ص: 108 .

[4] – الفرقان بين أولياء الرحمان و أولياء الشيطان لابن تيمية . ص: 128.

صاحب معارف ربانية وإلهامات حديثة عهد بربها، يسيرة على من يسرها الله تعالى عليه للسالكين سبل الأنبياء، المتتبعين لمن اقتفى آثارهم من الأولياء [1] .

و لم يمن الله عليهم بما منّ إلاّ لأنهم كانوا واقفين مع الآداب الشرعية ظاهرا، فرأوا أحكامها من الظاهر في الباطن، وباطنا فرأوا حكمها من الباطن في الظاهر، فحصل لهم كمال لتأدبهم بالحكمين كليهما [2]، بشرط ألا يخرج " الباطن " عن حدود الضبط والتقييد، وإن كان منتفيا هنا طالما كان قائله واقفا مع آداب الشريعة وحدودها، فإذا أقام " الباطن " الذي هو العلم بحقائق الإيمان الباطنة وشرائع الإسلام الظاهرة – قولا أو عملا–على هذا كان (أشرف من العلم بمجرد أعمال الإسلام الظاهرة)[3].

لقد طغت الإشارة في " البحر المديد " على العبارة طغيانا كبيرا حتى إنك لتجد المعاني الإشارية في الآية الواحدة أضعاف التفسير بالظاهر [4]، وهو مسلك من " ابن عجيبة " يكاد يكون عاما في

---

1 – انظر : مفتاح السعادة ... ج1 . ص: 68 .

2 – انظر : التعريفات . الجرجاني . ص : 65 .

3 – الفرقان بين أولياء الرحمان و أولياء الشيطان . ص: 196 .

4 – انظر : على سبيل المثال تفسير قوله سبحانه : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴾ البقرة: ١٦٥ . ج1. ص: 166 و ما بعدها .

– و انظر : البحر المديد ...ج1 .ص: 391 ، 392 . 393 . و ذلك عند تفسير : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ آل عمران: ١٥٩ .

– وانظر : تفسيره لقوله سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ آل عمران: ١٩١ - ١٩٤ البحر المديد ...ج1 .ص: 415، 416، 417 .

تفسيره، أو قل هو كثير كثرة لافتة لنظر قارئه وإن كان نفسه طويلا ظاهريا و إشاريا [1].

لقد أظهرت العبارة والإشارة في تفسير" ابن عجيبة " وكشفت سعة علمه في الأولى واستقاءه لمعارفه الأصولية والفقهية والحديثية الكلامية وسواها من ينابيعها الأولى ومصادرها التي اعتمد عليها محققوا المفسرين قبل "ابن عجيبة " وبعده، كما أبانت الإشارة عن تحليق روحي وجهاد غير منقطع للنفس ألزم " ابن عجيبة" نفسه به طوال حياته، فلم يكل إلى أن لقي ربه، وقد صب كل هذا وغيره في تفسيره محذرا فيه مما حذر منه كبار المربين من أهل الاستقامة داعيا إلى ما دعا إليه الموفقون من الصوفية وغيرهم، فجاءت أكثر إشاراته عن الشيخ والمريد والنفس والدنيا وكل ما من شأنه أن يبعد عن الله ويضل عن سواء السبيل.

وفي تفسيره لقوله سبحانه : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ آل عمران: ٥٩ - ٦٠ . بعض ما أشرت إليه، قال – رحمه الله - : (الإشارة : اعلم أن الحق ﷻ أظهر هذا الآدمي في شكل غريب وسر عجيب جمع فيه بين الضدين، وأودع فيه سر الكونين، نوراني ظلماني، روحاني جسماني، سماوي أرضي، ملكوتي ملكي، معنوي حسي ... إلى أن يقول : وتأمل قضية السيد عيسى عليه السلام لما لم يُنشّأ من نطفة أمشاجية كيف غلبت روحانيته حيث لم تجد ما يجذبها إلى الحضيض الطيني، فلم يلتفت إلى هذا العالم الظلماني أصلا ...)[2] إلى آخر الإشارة.

ومع أن الآية جلبت لغير هذا المعنى، ودلت على غير هذا المراد، لكن ما أشار إليه " ابن عجيبة"

= - وانظر غلبة الإشارة على العبارة عنده في قوله سبحانه : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ الأنعام: ١٠٣ . ج2.ص: 291، 292، 293 .

- وانظر أيضا آية أصناف الزكاة في "براءة" . ج3.ص: 89، 90.

- وانظر أيضا : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ الرعد: ٢٨. ج3.ص: 337 وما بعدها .

[1] - انظر : الشيخ أحمد بن عجيبة و منهجه في التفسير . ج2 .ص: 429 .

[2] - البحر المديد ... ج1 . ص: 327.

غير منفك عن الآية انفكاكا لا يقبل القبول وغريبا لا يقبل التقريب، ذلك أن أكثر ما ذكر في الإشارة هو مقصد من مقاصد ذكر ما يتعلق بهذين النبيّين الكريمين، وذلك من نحو قوله في الإشارة المذكورة : (فمن غلبت روحانيته على طينته التحق بالروحانيين، وكان من المقربين في أعلى عليين، فصارت همّته منصرفة إلى طاعة مولاه ... ومن غلبت طينته على روحانيته التحق بالبهائم أو الشياطين، وانحط إلى أسفل سافلين، وكانت همّته منصرفة إلى حظوظه وهواه، غائبا عن ذكر مولاه، قد اتخذ إلهه هواه)[1].

لقد غالى "ابن عجيبة" في حمله لآيات كثيرة على "الشيوخ" و"المريدين"لمناسبة تسنح أحيانا ويمكن قبول الإشارة معها، وفي أحايين كثيرة يشير إلى ما ذكر مع انفكاك جهتي "الاعتبار"، فلا خيط يربط بين ما دل عليه ظاهر الآية، وبين ما نص ابن عجيبة على أنه إشارتها، وهو في هذا يشبه كثيرا من مفسري الشيعة كالكاشاني في "الصافي" مع اختلاف الوجهة ومن تشير إليهم الآية، والإشارة يقبلها أو يردها عنده أو عند غيره قربها أو بعدها من المعنى الأصلي مع قيام الشاهد الشرعي واللغوي على ذلك[2] لكنه –رحمه الله– سلك كغيره من كثير من الصوفية طريق استلال الإشارة من

---

[1] – البحر المديد ...ج1 .ص :327 .

– وانظر : تفسير لقوله سبحانه : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ آل عمران: ٧٥ – ٧٦ . وكيف حذر من أدعياء التصوف و أصحاب التدين المغشوش مشيرا في الإشارة المذكورة إلى أن من اتصف بهذه الصفات التي دل عليها ظاهر الآية فهو مثلهم و إن صلى و صام و زعم أنه مؤمن، فإن سوغ لنفسه و برر ما صدر عنها مما نهت عنه الآية (فقد خلع من عنقه ربقة الإسلام ، واستحق أن يعلو مفرقه الحسام) البحر المديد ... ج1 .ص: 336 .

[2] – انظر : على سبيل المثال "الإشارة" في قوله سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ آل عمران: ٩١ . ج1 .ص : 345 .

– وتفسيره لقوله سبحانه :﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ آل عمران: ١١٠ . فقد ذهب إلى أن الآية في الصوفية (كنتم يا معشر الصوفية خير أمة أخرجت للناس)*. البحر المديد .ج1 . ص:359.

وحتى يقنع القارئ ساق كلاما للقشيري ، و للغزالي و غيرهما ، والتخصيص يأباه الخطاب العام لأمة محمد ﷺ ، و يرده واقع-

غير مصدرها، ووضعها في غير محلها في كثير من الآيات[1] .

وأكثر "الإشارات" في آيات التشريع في "سورة البقرة" أو في سورة "النساء" أو في غيرهما هي بمعزل عن القبول، وأكثر الإشارات التي حازت شروط القبول ما كانت في آيات العقائد والأخلاق وقصص الأمم السابقة وما شابهها ما لم تخرق شروط الإشارة المستساغة).

فمن الإشارات الغريبة وغير المستساغة ما جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ

-الأمة، وفي مقدمتهم المخاطبون الأول من صحابة رسول الله – عليه الصلاة و السلام – ، فإن تفاوتهم في الدرجات في بعض ما نصت عليه الآية أمر واقع و حقيقة تاريخية متواترة لا يردها من ألقى السمع إلى الواصل إليه من سيرة هؤلاء الأجلة ، و إن شملهم الخطاب الإلهي جميعا ، فإن كل إنسان ميسر لما خلق له ، وتفاوت الناس في كل شيء سنة لله ماضية فيهم ومن غريب ما ذكره في الفقراء من أصحابه – كما يقول – جاعلا في قوله تعالى : ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَـٰثَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ آل عمران: ١٢٤ – ١٢٥ . مشيرا إلى كل من توجه لجهاد نفسه في الله ، و اشتغل بذكر مولاه ، أمده الله في الباطن بالأنوار و الأسرار ، وفي الظاهر بالملائكة الأبرار ، وقد شوهد ذلك في الفقراء أصحابنا ، إذا كانوا ثلاثة رآهم العامة ثلاثين ، و إذا كانوا ثلاثين رأوهم ثلاثمائة ، وقد كنا في سَفْرة فرأونا سبعمائة على ما أخبرونا به ، و الله يؤيد بنصره من يشاء) البحر المديد ... ج1. ص: 368 .

[1] – انظر : تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَـٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ النساء: ١٢ . البحر المديد .ج1. ص: 19 – 20 .

– وانظر الإشارة في :﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّـٰتُكُمْ وَخَـٰلَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَـٰتُكُمُ ٱلَّـٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَـٰعَةِ وَأُمَّهَـٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَـٰٓئِبُكُمُ ٱلَّـٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّـٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَـٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَـٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۖ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ النساء: ٢٣ – ٢٤. البحر المديد ... ج1.ص: 29 – 30 .

الصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾ النساء: ١٥٣ ـ ١٥٤، وما جاء أيضا في تفسير قوله تبارك اسمه : ﴿ ۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ النساء: ١٦٣ ـ ١٦٥ .

فقد قال – من جملة ما قال – في الآيات الأولى جاعلا له في باب "الإشارة" : (... واعلم أن طلب الرؤية في الدنيا ليس بممتنع، وإنما عاقب الله بني إسرائيل على طلبها، لأنهم طلبوها قبل إبانها، طلبوها من غير اتصاف بشروط حصولها، وهو كمال التطهير والتهذيب من دنس الحس، فمن كمل تهذيبه وتحقق تطهيره حصل له شهود الحق، حتى لو كلف أن يشهد غيره لم يستطع، وذلك حين تستولي البصيرة على البصر، فيشهد البصر ما كانت تشهده البصيرة، وذلك بعد كمال فتحها . ولذلك قال في "الحكم" : (شعاع البصيرة يشهدك قرب الحق منك، وعين البصيرة يشهدك عدمك لوجوده، وحق البصيرة يشهدك وجود الحق ...إلخ كلامه)[1] .

وقال في تفسير الآية الثانية – من جملة ما قال أيضا –: (... واعلم أن أهل الجمع* لا يشهدون إلا متكلما واحدا، قد انتفى من نظرهم التعدد والإثنينية، غير أنهم يفرقون بين كلام القدرة وكلام الحكمة، كلام القدرة يبرز من غير اختيار، بل يكون المتكلم به مأخوذا عنه، غائبا عن اختياره،

---

[1] – البحر المديد ...ج2.ص: 124 – 125 .

*وانظر معنى "الجمع و الفرق" في: "التعرف " للكلاباذي .ص: 142 وما بعدها .و "الرسالة " للقشيري .ص: 35 ، 36 .
وكشف المحجوب .للهجويري .ص: 493 وما بعدها .

وكلام الحكمة معه ضرب من الاختيار ...)[1] .

وقد سبق هذه "الإشارات" وجاءت بعدها "إشارات" أخرى أشد غرابة منها، والله أعلم بحال صاحبها ومعناها، خاصة إذا علمنا أنها –أعني الإشارة – أدارها "ابن عجيبة" على العارفين من أولياء هذه الأمة وعلمائها الذين هم (كأنبياء بني إسرائيل، والعارفون منهم كالرسل منهم)[2] .

وأولى منه وأقرب إلى القبول ما ذكره مما تشير إليه الآية في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ المائدة: ٦ .

(الإشارة : كما أمر الحق جل جلاله بتطهير الظاهر لدخول حضرة الصلاة التي هي محل المناجاة ومعدن المصافاة، أمر أيضا بتطهير الباطن من لوث السهو و الغفلات فمن طهر ظاهره من الأوساخ و النجاسات و لوث باطنه بالوساوس والغفلات، كان بعيدا من حضرة الصلاة، إذ لا عبرة

---

[1] – البحر المديد ...ج2.ص: 130 – 131 .

[2] – المصدر نفسه ... ج2 . ص : 130 .

– وانظر "إشارة" لا تبتعد عن هذه كثيرا في تفسيره لقوله سبحانه : ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ المائدة: ١٧ ، فقد برا فيها كثيرا من الأولياء و المحققين – كما نعتهم – كابن عربي ، وابن الفارض ، وابن سبعين و الششتري ، والحلاج من تهمة القول بالحلول و الاتحاد ، مبينا أن التعبير عن تلك المعاني تضيق عنها العبارة ، لخروجها (المعاني) عن مدارك العقول ...)البحر المديد ... ج2 .ص: 158 . إلى آخر ما قال مما يتصل بهذا مما وراء طور العقل – كما يسميه – من الأمور التي إن عبر عنها صاحبها بعبارة اللسان كفّر و زُندق –كما قال– .

بحركة الأبدان، وإنما المطلوب حضور الجنان)[1]، ثمّ نقل بعدها كلاما للإمام "القشيري" يصب معناه في معنى ما ذكر، مشيرا إلى أن قوله جل ذكره : ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾المائدة: ٦، فيه إشارة إلى شيخ التربية، فقال معقبا على كلام القشيري الذي ألمح إلى هذا : (قلت : محصل كلامه – يعني كلام القشيري – أن من سقط على شيخ التربية كان كمن وجد الماء فاستعمل الطهارة الأصلية الحقيقية، ومن لم يسقط على شيخ التربية كان كالمستعمل للطهارة الفرعية المجازية وهي التيمم)[2] .

وقد مر أن "ابن عجيبة" أكثر بل غالى في إنزال الإشارة على الشيخ وعلى المريد حتى سمحت، فإن كان فيها بعض المواءمة وكانت بالتالي قريبة من القبول فإنها في أكثر الآيات متكلفة واستلالها منها فيه تعسف واضح، وخير الأمور أوساطها وقربها من القبول،و إلا وقع المفسر بالإشارة من أمثال "ابن عجيبة" فيما وقع فيه كثير من مفسري الشيعة حين أنزلوا –كما ذكرت- أكثر آيات المحبة والوعد وما شابهها على آل البيت بالمعنى الذي يفهمونه، وأنزلوا بالمقابل آيات النفاق والعداوة والكفر وسواها على "مبغضي" آل البيت فلا أهل البيت نصروا، ولا الحق أظهروا .

وابن عجيبة نفسه قال قولا جميلا يليق بأمثاله في وجوب البعد عن الغلو لأنه كله مذموم ، ولأن خير الأمور أوساطها (و قد رُخص في الغلو – كما يقول – في ثلاثة أمور :

- أحدها : في مدح النبي ﷺ ، فلا بأس أن يبالغ فيه ما لم يخرجه عن طور البشرية ، و هذا غلو ممدوح ، مقرب إلى الله تعالى ...
- الثاني : في مدح الأشياخ و الأولياء ، ما لم يخرجهم أيضا عن طورهم أو يغض من مرتبة بعضهم... بالقيدين المتقدمين ...
- والثالث : في تعظيم الحق ﷻ و هذا لا قيد فيه و لا حصر ... إذا كان ممن يحسن العبارة،و

---

[1] - البحر المديد ... ج2 .ص: 149 .

[2] - المصدر نفسه ... ج2 .ص: 150 .

- وانظر: "اللطائف" القشيري . ج1 .ص: 405 – 406 .

يتقن الإشارة ، بحيث لا يوهم نقصا و لا حلولا)[1] .

إن مما يكثر ذكره في باب "الإشارة" عند "ابن عجيبة" كما عند "التستري" و "السلمي" و"القشيري" هو بالعبارة و الظاهر ألصق و أقرب ، فلا أدري لم يذكر على أنه من باطن المعنى مع أنه صريح أو كالصريح في انتسابه لظاهر الآية ، ومن ذلك ما ذكره "ابن عجيبة "على أنه مما أشار إليه قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ الأنفال: ١٣ - ١٤ ، قال –رحمه الله – : (الإشارة : مخالفة الله و رسوله توجب الطرد و البعاد ، و موافقة الله و رسوله توجب القربة والوداد)[2] ، ثم أشار إلى أن هذه الموافقة التي توجب للعبد المحبة و الوداد تحصل بخمسة أشياء هي :

امتثال الأمر ، اجتناب النهي ، الإكثار من الذكر ، الاستسلام للقهر ، و الاقتداء بالنبي عليه الصلاة والسلام في آدابه و أخلاقه و بأضداد ما ذكر تحصل المخالفة الموجبة للطرد و البعد ، ثم عدّد وجوه المخالفات الموجبة للطرد و البعد ، شارحا للأخيرة منها و هي عدم الاقتداء بنبيه ﷺ بارتكاب البدع المحرمة و المكروهة ، حتى يفضي به الحال إلى المشاققة و المباعدة ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ الأنفال: ١٣[3]

و الإشارة المذكورة ليست خفية فيصعب استلالها من الآية إلا على واحد بعد واحد ، بل هي من معاني الآية الأولى المتبادرة منها لأول وهلة .

في حين أن من خصائص الإشارة بعدَ معناها و خفاءَه و صعوبة الوصول إليه إلا لمهيَّء لهذا الأمر و معدٌّ له إعدادا روحيا و علميا ،و لعل من الصعب و الخفي الذي لا يتبادر معناه من الآية

---

[1] – البحر المديد .ج2 .ص: 205 .

[2] – المصدر نفسه .ج3 .ص : 12 .

[3] – انظر : المصدر نفسه .ج3.ص: 12 .

– وانظر السابق .ج3 . ص: 43 عند تفسير قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الأنفال: ٦٤. فقد قال : (الإشارة : ما خوطب به النبي ﷺ يخاطب به ورثته الكرام من الاكتفاء بالله و عدم الإلتفات إلى ما سواه و تصحيح عقد التوحيد ، والاعتماد على الكريم المجيد) .

لأول وهلة ما ذكره إشارة لقوله تعالى :﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ الأنفال: ٥٠ - ٥١ . قال : (الإشارة : قد ذكر الحق ﷻ حال الكاملين في العصيان في هذه الآية، و ذكر في سورة "النحل" الكاملين في الطاعة بقوله :﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ... النحل: ٣٢ الآية، و سكت عن المخلّطين)[1] .

[1] - البحر المديد .ج3 .ص : 37 .

- وانظر الإشارة الشبيهة بهذه في تفسيره لقوله تعالى :﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ المائدة: ٢٧ – ٣٠ ج2 .ص: 168 .

- وانظر إشارة اشتملت على معنى جميل في قوله سبحانه : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ المائدة: ٤٥ .وفيها (الإشارة : القصاص مشروع وهو من حقوق النفس ، لأنها تطلبه تشفيا و غيظا ، و العفو مطلوب و مرغب فيه ، و هو من حقوق الله ، هو طالبه منك ، و أين ما تطلبه لنفسك مما هو طالبه منك ؟ .

ومن شأن الصوفية الأخذ بالعزائم و اتباع أحسن المذاهب ، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ الزمر: ١٨ ، و من شأنهم أيضا الغيبة عن حظوظ النفس ... ومن أوكد الأمور عندهم عدم الانتصار لأنفسهم) ج2.ص: 182 .

-وشبيه بها ما ذكره على سبيل " الإشارة" في قوله سبحانه :﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ الأنعام: ١١٨ - ١٢١ . قال : (الإشارة : ليس المراد من التسمية على الطعام أو غيره مجرد اللفظ ، وإنما المراد =

لقد كان ترتيب الأشياء –كما قلت – عند ابن عجيبة صحيحا آتيا على النحو الذي رتبه الشرع، ففي تفسيره لقوله سبحانه :﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ الأنعام: ١٣٦ ،قال: (الإشارة : مما ينخرط في سلك الآية ، و تجر ذيلها عليه ما يفعله بعض الناس من التساهل في حقوق الله الواجبة ، و المسارعة إلى حقوق الناس التي ليست بواجبة عليه ، فترى بعض العوام يقدمون مد أبي العباس السبتي *، و يتساهل في الزكاة ، و ترى بعض الناس يسارع إلى إطعام الطعام و قرى الأضياف و هو لا يفي زكاته ، و بعضهم يجعلون للصالحين شيئا من أموالهم لتصلح وتنمو و يعتني بشأنها ، و قد لا يعتني بزكاته و لا يخرجها ، وهذا كله شعبة من أهل الشرك ، و علامة اتباع الهوى)[1].

قد يجلب الصوفية الآية أو الآيات إلى معنى من المعاني و مدلول من المدلولات هو في ذاته صحيح و لا مخالفة فيه لشريعة الله لكن الآية في مجموعها لا تدل عليه ، لكنهم –كما قلت – يفجأونك

=حضور المسمى، وهو شهود المنعم في تلك النعمة ، لأن الوقت الذي يغلب فيه حظ النفس ينبغي للذاكر المتيقظ أن يغلب فيه جانب الحق ...وهذا هو المقصود من الأمر بذكر اسم الله ... فإن كان الأكل أو غيره مما شرعت التسمية في أوله ، على هذا التيقظ فهو طائع لله و عابد له في أكله و شربه و سائر أحواله ، وإن كان غافلا عن هذا فأكله فسق ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴾ الأنعام: ١٢١ .ج2. ص: 303.

وقد أشار –قبل أن يورد الإشارة – إلى الاختلاف الحاصل بين فقهاء الإسلام في أكل متروك التسمية من ذبائح المسلمين ، و قد أتى على تفصيله مطولات الفقه المقارن و الفقه المذهبي .

*هو أحمد بن جعفر الخزرجي مولده "بسبتة " عام أربعة وعشرين و خمسمائة (524) نزل مراكش و بها مات عام : أحد و ستمائة، صاحبُ الشيخ الفقيه أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي ، و الناس في مراكش مختلفون فيه فمنهم من يراه وليا ، و منهم من يراه قطبا من الأقطاب ، ومنهم من يكفره ، ومنهم يبدعه ، ومنهم من يراه ساحرا إلى غير ذلك والله أعلم بحقيقة أمره .

– انظر ترجمته في : التشوف إلى رجال التصوف و أخبار أبي العباس السبتي .لأبي يعقوب يوسف بن يحي التادلي (ابن الزيات) المتوفى سنة:617ه .ص:451 وما بعدها .منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية –الرباط .ط2 / 1997 م. تحقيق : أحمد التوفيق .

[1]- البحر المديد .ج2. ص : 313 .

باستلال إشارة و استنباط لطيفة منه ، لا يكاد يوجد بينها و بين الآية أدنى صلة .

و يظهر هذا في ما قاله ابن عجيبة تفسيرا لقصة نوح في سورة الاعراف حين استعان بلفظة الغرق مرتبا عليها معنى للدعوة الإسلامية و شريعة النبي ﷺ فقال : (الإشارة : الشريعة المحمدية :سفينة نوح عليه السلام فمن ركب بحر الحقائق و حاد عنها حال بينه و بينها الموج ، فكان من المغرقين في بحر الزندقة و الكفر ، ومن تمسك بها في ذلك كان من الناجحين الفائزين) [1] .

وإيراد الآية لغير ما جلبت له لأدنى ملابسة أو لغير ملابسة –على قلة عند الموفقين من الصوفية– مسلك صوفي يكاد يكون مطردا عندهم ثم يرتبون عليه ما يرتبون من اللطائف و الإشارت و المعاني البعيدة لهذه الآية أو تلك .

---

[1]- البحر المديد .ج2. ص: 365 .

- وانظر ما هو شبيه بها –بل هو اقرب من معنى الآية – ومن القبول فيها ما ذكره من "الإشارة" في تفسير قوله سبحانه "﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الأعراف: ١٧١. قال : (الإشارة : من لم ينقد إلى الله بملاطفة الإحسان ، قيد إليه بسلاسل الإمتحان ، عجب ربك من قوم يساقون إلى الجنة بالسلاسل) ج2.ص: 412 .

-وانظر إشارة جميلة ذكرها في تفسير قوله تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الأعراف: ١٨٧ .البحر المديد .ج2.ص:424 - 425 .

-وانظر : تفسيره لصدر سورة "براءة" فقد ميز فيها بين "براءتين " ، فقال : (الإشارة : وقد وقع التبرأ من أهل الشرك مطلقا ، أما الشرك الجلي فقد تبرأ منه الإسلام و الإيمان ، وأما الشرك الخفي فقد تبرأ منه مقام الإحسان ، ولا يدخل أحد مقام الإحسان حتى لا يعتمد على شيء ، ولا يستند إلى شيء إلا على من بيده ملكوت كل شيء ، فيطرح الأسباب وينبذ الأرباب و يرفض النظر إلى العشائر و الأصحاب حتى لا يبقى في نظره إلا الكريم الوهاب ، فمن أصر على شركه الجلي أو الخفي فإن الله يمهل و لا يهمل ، فلا بد أن يلحق وباله .. إما خزي في الدنيا ، أو عذاب في الآخرة ، كل على ما يليق به) .البحر المديد . ج3.ص: 53.

-وانظر الإشارة في قوله سبحانه :﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ التوبة: ٢٥ - ٢٧ ، البحر المديد .ج3. ص: 66 .

إن القارئ "للبحر المديد" في عباراته و معانيه أو في لطائفه و إشاراته يكتشف طول نفَس صاحبه و قدرته على استلال هذه و هذه من الآية ، فما أن تظن أن المعاني عنده نفدت و أن الإشارات أصبحت مخازنها فارغة حتى يفجئك بمعنى جديد ، ولطيفة لطيفة ربما كان معناها مكررا لكن صياغتها تبدو لك كأنها تقال لأول مرة .

فالاستقامة على نهج الله و اتباع الشريعة ذكره في غير موضع لكن ما أن تسنح فرصة ، ويجد في الآية ما يشير إليه حتى يعيد التذكير به في عبارات جديدة و ألفاظ تكاد تكون غير مكررة ، وانظر إلى تفسيره لقوله سبحانه :﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ يونس: ٥٩ - ٦٠ ، قال رحمه الله : (الإشارة: الوقوف مع حدود الشريعة و التمسك بالسنة النبوية قولا و فعلا وأخذا و تركا ، و الاهتداء بأنوار الطريقة تخلية و تحلية (كذا) هو السير إلى أسرار الحقيقة ، فمن تخطى شيئا من ذلك فقد حاد عن طريق السير)[1]

ويتبع هذا أنه ربما جعل الإشارة حديثا من أحاديث رسول الله ﷺ كما في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ هود: ١٥ - ١٦.

قال : (الإشارة : في الحديث « من كانت الدنيا همه ، فرق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه، و لم يأته من الدنيا إلا ما قسم له ، ومن كانت الآخرة نيته جمع الله عليه أمره ، وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي صاغرة »)[2*].

ولعله إلى المعنى الظاهر أقرب منه إلى الإشارة إن لم يكن هو و إن جعله صاحبه في باب

---

[1] - البحر المديد .ج3 .ص : 170.

[2] - المصدر نفسه . ج3. ص : 203.

* هذا الحديث رواه ابن ماجة عن زيد بن ثابت في كتاب الزهد .باب الهم بالدنيا .ج2/ ص:1375 (رقم4105) .

الإشارة، ومن الإشارات الجميلة و اللطائف اللطيفة ما ذكره في سورة يوسف عند تفسيره لقول الحق سبحانه : ﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ ۚ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ يوسف: ١٩ - ٢٢ ، قال : (الإشارة : من ظن انفكاك لطف الله عن قدره فذلك لقصور نظره ، لا سيما لطفه بالمتوجهين إليه ، أو العارفين به الواصلين لحضرته ، فكل ما يترل بهم فإنما هو أقدار جارية ، و أمداد سارية و أنوار بهية و ألطاف خفية ، تسبق لهم الانوار قبل نزول الاقدار ، فلا تحوم حول قلوبهم الأكدار و لا تغير قلوبهم رؤية الأغيار ، عند نزول شدائد الأقدار يحفظ عليهم أسرار التوحيد ، و يترل عليهم أنوار التأييد عند نزول القضاء الشديد و البلاء العتيد ...)[1] .

لقد كان "ابن عجيبة" عجيبا في لطائفه و إشاراته و ذوقه السليم حيث أبان عن مقدرة علمية فائقة في باب التفسير بالظاهر ، فلم يقف موقف الناقل و المردد لما قاله من سبقه من المفسرين ، بل كان إلى جانب النقل مرجحا معللا مقارنا و موضوعيا في ذلك كله ، لكن ما يعنينا أكثر من غيره هو ذوقه الصوفي الرفيع المستوى لأسرار آيات الكتاب المبين ،(واستبطان الإشارات الدقيقة و الإيحاءات الرقيقة التي لا تغض من قيمة التفسير الظاهر للآيات و أهميته)[2] ، في الغالب الأعم وما أكثر ما كان يضيف إلى الإشارات التي ينقلها عن غيره إشارات و معاني و لطائف أخرى في غاية

-وانظر الإشارة في تفسير قوله سبحانه :﴿ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ ۖ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴾ هود: ٩١ – ٩٣ . ج3.ص:239.

[1] - البحر المديد .ج3.ص: 268.

[2] - الشيخ أحمد بن عجيبة و منهجه في التفسير .ج2. ص : 453.

الحسن و لا مصادمة بينها و بين التفسير بالظاهر[1] .

ولعل مرد كل هذا عند "ابن عجيبة " المصادر التي شكلت تفسيره هذا في جانبه العباري أو الإشاري ذلك أن استمداده لهذا و ذاك كان من مصادر لمحققين كبار من أمثال القشيري و الغزالي و الرازي و البيضاوي و الزمخشري و ابن عطية و من كان كهؤلاء من شيوخ الفقه و العقيدة و الحديث و التصوف و سواها من العلوم و المعارف ، فجاءت عبارته — تبعا لذلك- سديدة ، و إشارته — في غالبها- صحيحة موفقة ، وزاد في جمال هذا و ذاك — بعد صحتها — ترصيعه المعاني بعيون أشعار الصوفية و غيرهم و هم كثر في تاريخ العربية المنظوم و المنثور .

و أختم شواهد الإشارة عند " ابن عجيبة " بما قاله في تفسير قول الحق سبحانه : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا

---

[1]- انظر على سبيل المثال "الزيادات " التي أضافها على ما نقله عن "اللطائف" للقشيري في صدر سورة "المومنون".ج5 .ص:5، 6.

- و انظر المناقشات و الزيادات في ظاهر التفسير و عباراته و لطائفه و إشاراته عند تفسيره لقول الله سبحانه :﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ يوسف: ٢٣ إلى قوله تعالى : ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِي لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَٰطِـِٔينَ ﴾ يوسف: ٢٩ . ج3 . ص: 269 وما بعدها .

-وانظر : تفسيره لقوله سبحانه : ﴿قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ ابراهيم: ١٠ - ١٢ . ج3 .ص: 361، 362 .

-وانظر موافقة الإشارة للعبارة من غير مصادمة لها ما ذكره في تفسير قوله تعالى في أول سورة "الرعد" ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ الرعد: ١ . قال رحمه الله : (الإشارة : لو صفت القلوب من الأكدار ، و ملئت بالمعارف و الأنوار لفهمت أسرار الكتاب و جواهر معانيه ، و لأدركت معرفة الحق من كلامه ، لأن الكلام صفة المتكلم و لكن أكثر الناس اشتغلوا بمتابعة الهوى ، فصرفوا عن فهم الكلام ، و فاتهم معرفة المتكلم) البحر المديد .ج3.ص: 318 .

وهو معنى قول جعفر الصادق ﷺ " لقد تجلى الله ﷻ لعباده في كتابه ولكن لا يبصرون ".

إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ النحل: ٤٨ - ٥٠ قال : (الإشارة : كل ما دخل تحت عالم التكوين لزمته العبودية و أحاطت به القهرية ، فلا بد من الخضوع لاحكام الواحد القهار تكليفية كانت أو تعريفية ، فمن لم ينقد لها بملاطفة الإحسان قيد بسلاسل الامتحان ، وبهذا امتاز الخصوص من العموم ، فالخصوص علموا أن سلسلة الأقدار في عنقهم تجرهم إلى مراد ربهم فاستسلموا لها ، و انقادوا و خضعوا و تأدبوا لها ، فاستحقوا التقريب و الاصطفائية ، و العموم جهلوا هذه السلسلة أو علموها و لم يقدروا على الاستسلام لها فاستحقوا البعد من حضرة الحق ، إذ لا يدخلها إلا أهل التهذيب و التأديب)[1].

وبما قاله في تفسير قول الله ﷻ :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ النحل: ٩٠ ، قال:(الإشارة : "إن الله يأمر بالعدل " : بالتوسط في الأمور كلها كالتوسط في السير و المجاهدة ، فإن الإسراف يوقع في الملل ، قال ﷺ : « لا يكن أحدكم كالمنبت لا أرضا قطع و لا ظهرا أبقى »[2] وقال ﷺ أيضا:« إن الله لا يمل حتى تملوا »[3] ، والله ما رأيت أحدا أسرف في الأحوال فوصل إلى ما قصد إلا النادر ، وخير الأمور أوساطها)[4] .

وبما قاله في تفسير قول الله جل ذكره :﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾ الكهف: ٢٧، قال :(الإشارة : القرآن شفاء لكل داء ، فمن

---

[1]- البحر المديد .ج4.ص : 31 .

[2]- هذا الحديث رواه البيهقي في كتاب الصلاة .باب القصد في العبادة و الجهد في المداومة .ج3 / 18- 19 (رقم 4520 – 4521) .وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد و منبع الفوائد . باب في قوله "خير دينكم أيسره" .ج1/ص:229 .قال فيه : هذا الحديث رواه البزار و فيه يحي بن المتوكل أبو عقيل و هو "كذاب" .وذكره الألباني في السلسلة الضعيفة .قال :"سنده ضعيف" .المجلد الأول .ص: 64 .

[3]- هذا الحديث رواه البخاري عن أبي هريرة في كتاب الإيمان .باب : أحب الدين إلى الله أدومه . ج1/ص: 17.

[4]- البحر المديد .ج4.ص :53.

نزلت به شدة حسية أو معنوية دنيوية أو دينية ففزع إليه بالتلاوة ، أو الصلاة به رآى فرجا قريبا ، فالالتجاء إلى كلام الله هو الالتجاء إلى الله ، فإن الحق تعالى يتجلى في كلامه للقلوب على قدر صفائها وأما من التجأ إلى غير الله فقد خاب رجاؤه و بطل سعيه قال تعالى :﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ الكهف: ٢٧ . تميل إليه فيأويك ، والله تعالى أعلم) [1]

[1] - البحر المديد .ج4 .ص: 155، 156 .

الخاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

لقد من الله علي فيسّر لي أسباب إتمام هذا البحث، فله الحمد والشكر على ما أنعم به وأولى، وأسأله المزيد من فضله، وما كان هذا البحث ليتم لولا توفيق الله وتسديده ومعونته فله الحمد في هذا وذاك .

وقد خرجت من هذا البحث بحقيقة هي أن التفسير الإشاري إرث إسلامي على ما فيه من اعوجاج كغيره من المعارف الإنسانية المختلفة جنبا إلى جنب مع الجواهر والدرر التي أنتجتها قريحة الصوفية طوال أربعة عشر قرنا تقريبا، وهي جديرة بأن يلتفت إليها، ويتعامل معها كما تعامل الدارسون مع فنون المعرفة المتعددة، بل لعلها أولى من بعض المعارف المورثة في بعض جزئياتها وتفصيلاتها لإحن ومحن وضغائن وأحقاد تنتشر في الحياة الاجتماعية الإسلامية انتشار النار في الهشيم، لا ترقب في أخوة الإسلام إلاّ ولا ذمة .

ذلك أن جهود المفسرين الإشاريين —بصرف النظر عما فيها من أخطاء — واكبت المسيرة العلمية منذ أيامها الأولى ولم تنقطع في أية فترة من فترات تاريخ العلم عند المسلمين، إذ لا يخلو عصر من العصور من مؤلفات في هذا اللون المتصل بكتاب الله تعالى .

ولو أحصينا ما ألف في هذا المجال طوال تاريخ التفسير لألفيناه مكتبة كاملة لهذا اللون من التفسير هو ثمرة عقول كبيرة لرواد كبار ومربين عظام تركوا بصماتهم وآثارهم على حياة المسلمين العامة وعلى مسيرة العلم والثقافة عبر القرون، لكن افتقار التفسير الإشاري لمدونة (غذّى الانطباع بأن المدونة الصوفية الضخمة لا تتوفّر إلا على عدد قليل من التفاسير، ولكن النظر في كتب التراجم وفهارس المخطوطات، وكتب تاريخ الأدب العربي أو تراثه يبدد ذلك الانطباع).

إن تهميش وإتلاف وتوزُّع مدونة هذا اللون من التفسير عبر تاريخه الطويل نجم عنه —من جملة ما نجم- قفزُ الدارسين على ستة قرون تقريبا من تاريخ هذا التفسير، وكأنه لم يبدأ إلا مع ابن عربي مع أن ابن عربي لم يكن بدءا مطلقا للتفسير الإشاري بنوعيه، بل كان حلقة من حلقاته لا غير .

بالإضافة إلى وجود تيار وأصوات إسلامية في القديم وفي الحديث تنفي وجود علاقة بين القرآن والتصوف وما يثمر من لطائف مصدرها أهل الإشارة من المتصوفة، لأن التصوف في نظرهم دخيل على الإسلام، فلا نسب —و الحال هذه- بينه وبين القرآن إلا عند أصحاب التأويل المتعسّف،المفتعل، وهم في هذا ككثير من المستشرقين الذاهبين غلى نفي وجود علاقة بين القرآن

والحنو الروحي.

إنه لا أحد يجهل مقام التستري أو السلمي أو لا يعرف القشيري صاحب "الرسالة" أو الشيخ عبد القادر الجيلاني أو البقلي الشيرازي، بالإضافة إلى بعض المحدّثين الذين شكل بعضهم نقطة تحول غاية في الأهمية في تاريخ العلم أولا وتاريخ وحياة المجتمعات التي عاشوا فيها ثانيا، ولعل أصدق نموذج لهذا الألوسي الكبير –رحمه الله تعالى– في العراق وما حولها مما قرب أو بعد، وابن عجيبة في المغرب الأقصى وما ترك من آثار علمية واجتماعية في "فاس" وما قرب منها وما بعد أيضا.

و لم تكن أعمالهم منبّتة ولا مقطوعة الصّلة في أكثر تفاصيلها عن أصول الإسلام الأولى – القرآن والسنة وسيرة رسول الله عليه الصلاة والسلام وأقوال الصحابة –فمن جاء بعدهم من التابعين وتابعيهم ومن كبار أهل العلم والمربين عبر تاريخ الإسلام الطويل، فإن أحاط بأعمالهم وسلوكياتهم بعض الأخطاء فهم بشر كغيرهم عرضة للخطإ في القول والعمل، و لم يثبت عن أحدهم أنه ادعى أنه فوق هذا، أو رضي بغير الشريعة قائدا وموجها، بل قالوا : (من فارق العلوم الظاهرة فغير مأمون عليه الزلل، ومن سلك غير المحجة كان من السلامة على خطر).

وفي نهاية هذه الخاتمة أقترح وأوصي بأن يعتني المتخصصون في علوم العربية نثرا وشعرا، والدارسون لعلوم الشريعة بوجه عام والمفسرون على وجه أخص بهذا التراث الضخم الذي تركه هؤلاء الأعلام بأن:

-**تقوم فرق بحث بغربلة كتب التفسير الإشاري**: بتمييز صالح الأقوال من فاسدها فيها ليستفاد منها في حياتنا المعاصرة لا سيما والحاجة ملحة إلى إيجاد منهج قويم للتربية الروحية والأخلاقية والسلوكية في حياة المسلمين.

-**بالإضافة إلى أن أقل ما يمكن أن يستفاد مما تركوه لغتهم الجميلة** السابحة في عالم الروح والملكوت الأعلى فإنهم في باب النثر تركوا نفائس قل نظيرها وفي باب الشعر أنشدوا أجمل ما قيل في جانب الحق جل جلاله، فنقلوا مشاعرهم وأحاسيسهم في لغة تفيض بالحب والخير والجمال في تعالٍ عما يفنى وسمو عن ملذات الحياة الدنيا لا يوجد إلا عند من أخذت بيده العناية الإلهية وتداركه اللطف الرباني، إذ لا يخفى أن توبة كثير من الصوفية كان على إثر سماع آية من كتاب الله أو حديث لرسول الله ﷺ أو بيت من الشعر هزّ مشاعره أو هاتف أو قول جميل أعاده

إلى رشده، فهم :(أهل وجدان يتذوقون الأدب ويتأثرونه (كذا)، وتعمل الكلمة في أفئدتهم عملها إذا صادفت موقعها، وحسنت مناسبتها) .

-**وفي جانب الدراسات الشرعية بوجه عام**، فإنه لو لم يكن فيما خلفه كثير من المفسرين الإشاريين إلا جوانب القيم والأخلاق التي نهلوها من أصول الإسلام ومشكاته لكان كافيا، فقد رأى الناس منهم طوال التاريخ أدبا وأخلاقا وعلما بثوها في تلامذتهم ومريديهم وعامة الناس، حتى عادوا سرجا هادية على طريق الهداية والإيمان وحسن الخلق .فلم يكونوا ممن كتم الكبر في قلبه، وأظهر التواضع في لباسه .بل كانوا يناجون مولاهم قائلين:(لا بد لنا منك، أنت أنت لا نريد سواك)

-**وفي باب التفسير أثر عنهم أقوال في غاية النفاسة** ملفوفة في ثوب لغوي قشيب، معبر عنها بألفاظ في غاية الرقة والدقة والحسن والجمال اللغوي، لقد هضم الموفّقون من المحققين من أهل الإشارة كل ما قرأوا، ووعوا كل ما سمعوا، ثم راحوا يهدرون كالفحول في لغة قوية عاتية وشاعرة في الآن نفسه لا يعيبها إلا ما كان فيها من غموض أحيانا على غير من لم يحلق تحليقهم ويداوم على الطاعة مداومتهم.

-**ولو لم تكن لهم إلا شجاعتهم الأدبية في مواجهة الظلم والظالمين** والاستبداد والمستبدين طوال التاريخ الإسلامي لكان كافيا ولا التفات لمن خالفهم ممن انتسب إليهم وادعى أنه منهم، فقد كان لكثير منهم مواقف أثبتوا من خلالها أن من يخاف الله ويعتقد أن علمه وإرادته محيطان بكل ذرة من ذرات الكون من مبدئه إلى منتهاه لا يخشى غيره ولا يقيم وزنا لسواه، وقد عرف الموفقون من أهل الإشارة هذه المعاني وعاشوا بها طوال حياتهم سلوكا لا يفارقهم، ومواقف لا تنفك عنهم.

-**ويضاف إلى هذا أن يدرج الأثر الصوفي شعرا ونثرا أو أفكارا وقيما ضمن الدراسات الأدبية** بمعناها الواسع لا الدراسات الفلسفية الجافة، فإن مكان ما تركه أهل الإشارة الأدب والذوق، لا المجال التجريدي الذي لا روح فيه، فعالمهم أقرب إلى الأدب والشعر منه إلى الدراسات الفلسفية والكلامية التي تتراجع فيها المشاعر والأحاسيس فاسحة المجال للعقل يفكك ويركّب، يقبل ويرفض، يعدّل ويجرّح، لكن قضايا التصوف لا تزال تتناول في أقسام الفلسفة مع أن اللائق بها هو الدراسات الأدبية، فالوضع مقلوب –فيما يظهر– وأهل الأدب –ومن باب أولى

أصحاب الدراسات الشرعية-أولى بالدراسات الصوفية حتى يستقيم الوضع (لأن الإنتاج الصوفي -في كثير من الأحوال- درر من المنظوم والمنثور، والصوفية (وأكثر أهل الإشارة -إن لم يكونوا جميعا-منهم) أنفسهم قوم يصرخون بأن مذهبهم لا يُعنى بالعقل إلا في مراحل البداية من أجل تصحيح الإيمان، أما طريقهم بعد ذلك فوثيق الصلة بالقلب والوجدان، فهم بذلك يقتربون من أهل الفن، ويناؤن عن أهل العقل، هم في حاجة إلى من يتذوق أقوالهم أكثر مما هم فيه من حاجة إلى من يتفكر فيها).

وأخيرا: فإني أعترف بأن هذا البحث في موضوع التفسير الإشاري -خاصة في شقه العملي- فوق طاقتي العلمية والروحية، لأنه (وقع في موضوع كانت طرافته كالأزهار تحميها الأشواك .. ولولا الصبر لأعيتني) وعورة الطريق، وكلما عظم المطلوب وشرف، صعب مسلكه، وطال طريقه، وكثرت عقباته) ، فقلت في خاتمته متضرعا إلى الله تعالى ما قال أبو السعود في مقدمة "إرشاده":(يا من توجهت وجوه الذل والابتهال نحو بابه المنيع،ورفعت أيدي الضراعة والسؤال إلى جنابه الرفيع، أفض علينا شوارق أنوار التوفيق، وأطلعنا على دقائق أسرار التحقيق، وثبت أقدامنا على مناهج هداك، وأنطقنا بما فيه أمرك ورضاك، ولا تكلنا إلى أنفسنا في لحظة ولا آن، وخذ بناصيتنا إلى الخير حيث كان، حتناك على جباه الاستكانة ضارعين، ولأبواب فيضك قارعين، أنت الملاذ في كل أمر مهم، وأنت المعاذ في كل خطب ملم، لا رب غيرك، ولا خير إلا خيرك، بيدك مقاليد الأمور، لك الخلق ولك الأمر وإليك النشور).

والحمد لله رب العالمين

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية
فهرس الأحاديث النبوية
فهرس الأعلام
قائمة المصادر والمراجع
فهرس الموضوعات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الآيات

الآية	الرقم	ص
الفاتحة		
﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	4-2	428
﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾	5	428 ،353
﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾	6	404 ،264 ،46
﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾	7	32
البقرة		
﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ... ﴾	03	397
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ... ﴾	06	429 ،315 ،312
﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ... ﴾	07	316
﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ... ﴾	09	89
﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ... ﴾	10	263
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ... ﴾	12-11	03
﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا ... ﴾	22	475 ،292
﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا ... ﴾	24-23	08
﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ ... ﴾	34	297
﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ... ﴾	35	475
﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ ... ﴾	37	299 ،30 ،26
﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ... ﴾	40	477
﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ... ﴾	43	394
﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ... ﴾	45	477 ،336

﴿ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ... ﴾	54	263
﴿ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ ... ﴾	61	252، 477
﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا ... ﴾	63	480
﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦٓ ... ﴾	67	430
﴿ إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ ... ﴾	69	90
﴿ أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ ... ﴾	75	178، 179، 346
﴿ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾	80	102، 476
﴿ وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ ... ﴾	83	294
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ... ﴾	86	264
﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ ... ﴾	87	477
﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ ... ﴾	88	481
﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥ ... ﴾	90	479
﴿ قُلۡ إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ ... ﴾	94	477
﴿ وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ ... ﴾	99	481
﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ ... ﴾	101	207،
﴿ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا ... ﴾	106	430
﴿ أَمۡ تُرِيدُونَ أَن تَسۡـَٔلُواْ رَسُولَكُمۡ ... ﴾	108	482
﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ... ﴾	114	254، 259، 430
﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُ ... ﴾	115	355، 481
﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥ ... ﴾	117-116	482
﴿ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ ... ﴾	124	309

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ... ﴾	125	483 ،397
﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ... ﴾	129	21
﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ ... ﴾	132	397
﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ... ﴾	134	305
﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ ... ﴾	138	238
﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ... ﴾	143	33
﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ ... ﴾	144	484
﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ... ﴾	151	22
﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ ... ﴾	158	90
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ... ﴾	162-159	431
﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ... ﴾	164	337
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ... ﴾	165	465
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ... ﴾	170	182
﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ ... ﴾	177	431
﴿ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا ... ﴾	182	431
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ... ﴾	183	224
﴿ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ ... ﴾	185	483 ،02
﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى ... ﴾	186	431
﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ... ﴾	187	10
﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ... ﴾	188	18
﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ ... ﴾	189	90

﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ... ﴾	194-191	431
﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ... ﴾	196	224، 431
﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ ... ﴾	203	431
﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ ... ﴾	204	432
﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ ... ﴾	205	274
﴿ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ... ﴾	221	484
﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ... ﴾	222	484
﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ... ﴾	229	273
﴿ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ ... ﴾	233	235
﴿ مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ... ﴾	245	92، 320
﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ... ﴾	255	220، 255، 397، 404
﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي ... ﴾	260	263، 338، 376، 432
﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ... ﴾	269	14
﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ ... ﴾	272	478
﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ... ﴾	282	246
آل عمران		
﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ... ﴾	8-7	58، 61، 73، 79
﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ... ﴾	13	38
﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ... ﴾	19	396
﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ ... ﴾	42	291
﴿ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ... ﴾	51	54

﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ... ﴾	55	397
﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ... ﴾	59	487
﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ ... ﴾	75	488
﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم ... ﴾	78	433
﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا ... ﴾	91	488
﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا ... ﴾	92	376
﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ... ﴾	97	376، 433
﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ... ﴾	97	374
﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ ... ﴾	106	39
﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ... ﴾	110	39، 488
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً ... ﴾	118	205
﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ ... ﴾	125-124	489
﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى ... ﴾	138	87، 90
﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى ... ﴾	155	433
﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ... ﴾	159	486
﴿ لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ ... ﴾	181	92، 320
﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ... ﴾	190	182
﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا ... ﴾	191	486
النساء		
﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ... ﴾	11	87
﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ ... ﴾	12	489

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ ... ﴾	19	38
﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ ... ﴾	24-23	489
﴿ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ ... ﴾	29	325، 357
﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ ... ﴾	36	354، 376، 397
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ... ﴾	43	434
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ... ﴾	56	435
﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ ... ﴾	59	19، 181
﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ... ﴾	65	20، 22
﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ ... ﴾	76	376
﴿ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ ... ﴾	78	91، 320
﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ ... ﴾	80	20، 22، 367
﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ ... ﴾	82	67، 100
﴿ وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ ... ﴾	90-89	435
﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمۡ فَأَقَمۡتَ ... ﴾	102	435
﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ ... ﴾	113	17، 22، 435
﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ ... ﴾	115	88، 357
﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ ... ﴾	125	88
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ... ﴾	137	284
﴿ يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ ... ﴾	154-153	490
﴿ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ ... ﴾	165-163	17، 490
﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾	164	192

﴿ لَن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ ... ﴾	173-172	284، 437
المائدة		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا ... ﴾	1	27، 235
﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ ... ﴾	3	27، 322، 436
﴿ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ ... ﴾	4	436
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا ... ﴾	6	28، 436، 491، 492
﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ ... ﴾	13	346
﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ ... ﴾	14	346
﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ ... ﴾	16-15	437
﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ ... ﴾	17	437، 491
﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ ... ﴾	18	266
﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾	23	261
﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ ... ﴾	30-27	494
﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ سَمَّٰعُونَ ... ﴾	41	346
﴿ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ ... ﴾	42	38
﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ ... ﴾	45	494
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ ... ﴾	54	337
﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ ... ﴾	89	436
﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ... ﴾	93	90
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ ... ﴾	95-94	224، 436
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ ... ﴾	106	244

﴿رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ...﴾	114	153
﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ ...﴾	117	346
الأنعام		
﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ...﴾	38	24
﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ ...﴾	41-40	438
﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ ...﴾	46	438
﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ ...﴾	52	428
﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ...﴾	54	439
﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ...﴾	57	29
﴿أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ ...﴾	70	35
﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ...﴾	78-76	439
﴿فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ...﴾	81	92
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم ...﴾	82	10
﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	86	264
﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ...﴾	103	487
﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ...﴾	121-118	494
﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ...﴾	120	203
﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ...﴾	121	495
﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ...﴾	133	440
﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ ...﴾	136	495
﴿وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ ...﴾	139-138	441

﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ ... ﴾	139	208
﴿ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ ... ﴾	150	05، 207
﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ ... ﴾	151	95
الأعراف		
﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا ... ﴾	23	26
﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً ... ﴾	28	89
﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ... ﴾	40	141
﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ ... ﴾	46	397
﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ... ﴾	53	53، 80، 79، 72
﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ ... ﴾	54	401
﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ ... ﴾	72	442
﴿ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا ... ﴾	119-118	31
﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ ... ﴾	143	397، 441
﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ ... ﴾	146	377
﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ ... ﴾	148	378
﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ ... ﴾	155	221
﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ ... ﴾	157	283
﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ... ﴾	162	442
﴿ وَسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ ... ﴾	163	339
﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ... ﴾	171	496
﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ ... ﴾	172	336، 377

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ ...﴾	179	179، 182، 320
﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ...﴾	187-188	496
﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ...﴾	199	185
الأنفال		
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ...﴾	13-14	493
﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ..﴾	17	441
﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا...﴾	21	320
﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ ...﴾	41	89، 224
﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ ...﴾	42	178
﴿وَإِذْ يُرِيكَهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ وَالْمَسَكِينِ..﴾	44	38
﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ...﴾	46	442
﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا۟ ...﴾	50-51	494
﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ...﴾	60	31
﴿يَـٰٓأَيُّهَا النَّبِىُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ ...﴾	64	493
التوبة		
﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ...﴾	25-27	496
﴿يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ...﴾	28	262
﴿إِنَّمَا النَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى الْكُفْرِ ...﴾	37	90
﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ ...﴾	40	401
﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ ...﴾	48	207
﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ...﴾	67	89

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ...﴾	73	442
﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ ...﴾	115	178
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم ...﴾	123	256
﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ ...﴾	127	321
يونس		
﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ ...﴾	3	399
﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ ...﴾	16	17
﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ...﴾	26	442
﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ...﴾	26	442
﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ ...﴾	27	278
﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ ...﴾	38	07
﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ ...﴾	39	82 ،79
﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم ...﴾	60-59	497
﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ ...﴾	64-62	442
﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ ...﴾	95	443
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ ...﴾	97-96	405 ،404
﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ ...﴾	99	482
﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ ...﴾	100	443
﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ ...﴾	107	260
هود		
﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ ...﴾	13	08

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ... ﴾	16-15	497
﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ ... ﴾	44	234 ،185
﴿ قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ ... ﴾	81	443
﴿ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ... ﴾	92	202
﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ ... ﴾	114	403 ،258
يوسف		
﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ ... ﴾	06	83 ،78
﴿ قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ ... ﴾	13	378
﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ ... ﴾	22-19	498
﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ ... ﴾	21	84 ،83
﴿ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ ... ﴾	23	499 ـ443
﴿ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ ... ﴾	25	443
﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى ... ﴾	29	499
﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ... ﴾	36	299 ،79
﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ ... ﴾	37	79
﴿ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى ... ﴾	41	302
﴿ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ... ﴾	42	302 ،299
﴿ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ... ﴾	44	187 ،78
﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ ... ﴾	45	79
﴿ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن ... ﴾	72	357
﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ ... ﴾	84	378

﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ... ﴾	86	378
﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ... ﴾	92	262
﴿ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ ... ﴾	100	71، 78، 80، 81، 262
﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي ... ﴾	101	78، 80
﴿ حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ ... ﴾	110	36
﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي ... ﴾	111	174
الرعد		
﴿ الْمر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ ... ﴾	1	499
﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ ... ﴾	02	400
﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا ... ﴾	03	401
﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ... ﴾	15	258
﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾	19	178
ابراهيم		
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ ... ﴾	04	02
﴿ قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ... ﴾	12-10	499
﴿ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾	43	192
﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ ... ﴾	46	22
الحجر		
﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾	49	405
﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾	88	304
﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾	94	185، 235

النحل		
﴿ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ ... ﴾	11	379
﴿ إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ... ﴾	37	478
﴿ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ ... ﴾	38	256
﴿ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ ... ﴾	44	03، 05، 17، 30، 102
﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ ... ﴾	50-48	500
﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ... ﴾	53	407
﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ ... ﴾	64	03، 30
﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي ... ﴾	69	257، 405
﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا ... ﴾	89	24
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ... ﴾	90	380، 500
﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ ... ﴾	110	30
الإسراء		
﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا ... ﴾	16	189
﴿ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖ ... ﴾	31	444
﴿ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ ... ﴾	35	78، 84
﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ ... ﴾	36	102
﴿ وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ ... ﴾	45	444
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ ... ﴾	57	444
﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ ... ﴾	88	08
﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا ... ﴾	90	482

الكهف		
﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ... ﴾	5	30
﴿ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ ... ﴾	10	445
﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ ... ﴾	21	379
﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ ﴾	27	500
﴿ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾	27	501
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ... ﴾	30	373
﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ... ﴾	78	78
﴿ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ ... ﴾	82	64
﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى ... ﴾	109	219
مريم		
﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ... ﴾	27	54
﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ ... ﴾	29	54
﴿ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ... ﴾	30	54
﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ ... ﴾	33	54
﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ... ﴾	34	54
﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ ... ﴾	52	378
﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ ... ﴾	57-56	53
﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ... ﴾	64	89
طه		
﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ ... ﴾	7	445
﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾	9	76

﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴾	11	398
﴿ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ... ﴾	12	259
﴿ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴾	13	151
﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي ... ﴾	14	405، 445
﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾	36	446
﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾	44	446
﴿ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا ... ﴾	72	446
﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ... ﴾	108	446
الأنبياء		
﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ... ﴾	30	325
﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا ... ﴾	79	178
﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ ... ﴾	89	398
الحج		
﴿ وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ ... ﴾	02	405
﴿ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴾	20	180
﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ ... ﴾	26	262، 406
﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا ... ﴾	32	447
﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ... ﴾	62	447
﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ ... ﴾	71	102
المؤمنون		
﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾	15	446
﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ ... ﴾	17	447

﴿ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ ... ﴾	19	379
النور		
﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا ... ﴾	01	402
﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ ... ﴾	31	202
﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ... ﴾	35	258، 266، 294، 302، 401، 482
﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ ... ﴾	40	304، 305
﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ... ﴾	45	208
الفرقان		
﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ ... ﴾	24	68
﴿ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾	33	58، 59، 61، 62، 64، 68
﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى ... ﴾	58	406، 450
﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ ... ﴾	63	406
﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ... ﴾	77	398
الشعراء		
﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾	78	380
﴿ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾	86	447
﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ... ﴾	109	448
﴿ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾	195-194	02
النمل		
﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ ... ﴾	07	499
﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ... ﴾	14	08
﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا ... ﴾	19	447

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ ... ﴾	20	260
﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً ... ﴾	52	380
﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ ... ﴾	82	306
﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً ... ﴾	88	380
القصص		
﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ... ﴾	10	192
﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ ... ﴾	50	95
العنكبوت		
﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ... ﴾	02	449
﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ... ﴾	21	380
﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ ... ﴾	26	478
﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ... ﴾	41	28
﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا ... ﴾	43	14
﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ ... ﴾	45	261
﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ ... ﴾	48	17
﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ ... ﴾	69	123، 406
الروم		
﴿الٓمٓ ... ﴾	3-1	338
﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ... ﴾	27	302، 401
﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ... ﴾	41	207، 380
لقمان		
﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ ... ﴾	12	450

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ ... ﴾	20	281، 380
﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ ... ﴾	27	219
﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ ... ﴾	32	378
السجدة		
﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم ... ﴾	17	32
الأحزاب		
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ ... ﴾	01	450
﴿ مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ... ﴾	04	407
﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ ... ﴾	06	450
﴿لِّيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ... ﴾	08	451
﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ ... ﴾	21	24
﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ ... ﴾	28	451
﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ ... ﴾	36	20
﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ... ﴾	56	290
﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ ... ﴾	62	455
﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ... ﴾	72	177
سبأ		
﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ... ﴾	19	29
﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ ... ﴾	22	207
﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم ... ﴾	46	182
فاطر		
﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ ... ﴾	10	140

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ... ﴾	15	407
﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ... ﴾	22-19	151
﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا ... ﴾	32	46، 407
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ... ﴾	41	482
يس		
﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾	12	90
﴿ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى ... ﴾	22	407
﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ ... ﴾	80	274
الصافات		
﴿ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾	99	266
﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴾	143	398
﴿ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾	144	208
ص		
﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً ... ﴾	26	95
﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ ... ﴾	29	04، 100، 107، 326
الزمر		
﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ... ﴾	2	343
﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ... ﴾	6	452
﴿ فَٱعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ... ﴾	15	344
﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ ... ﴾	18	494
﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ... ﴾	21	343
﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ... ﴾	22	344، 451

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا ... ﴾	23	336
﴿ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ ... ﴾	24	344
﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ ... ﴾	56	307، 310
﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ... ﴾	67	452
غافر		
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي ... ﴾	60	32
فصلت		
﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ ... ﴾	17	178
﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ... ﴾	30	266
﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ ... ﴾	42	292
الشورى		
﴿ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ... ﴾	05	53، 291
﴿ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ ... ﴾	33	207
﴿ فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ... ﴾	36	267
﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ... ﴾	52	17، 187
الزخرف		
﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾	3	02
﴿ يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ... ﴾	68	235
﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ ... ﴾	84	207
الدخان		
﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ ... ﴾	16	39
الأحقاف		

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ... ﴾	13	235
﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ ... ﴾	20	178، 179
﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ ... ﴾	26	325
محمد		
﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ ... ﴾	24	100، 107، 320
الفتح		
﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾	3-1	37
﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ... ﴾	10	22، 89
﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ... ﴾	24	20
﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى ... ﴾	26	32
الحجرات		
﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا ... ﴾	09	380، 396
الذاريات		
﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾	58	408
الطور		
﴿ وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ... ﴾	6-1	311، 380
النجم		
﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ... ﴾	3-1	24، 308، 380
﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ... ﴾	8	35
﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا ... ﴾	30-29	360
﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾	32	485
الرحمان		

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾	13	425
﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ... ﴾	20-19	90، 265، 274، 328
﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾	22	265، 274
﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴾	31	193
الواقعة		
﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴾	01	334
﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ... ﴾	14-13	51
الحديد		
﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ... ﴾	1	333
﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ... ﴾	3	206، 333
﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ... ﴾	4	75، 333
﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ ... ﴾	13	283
﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن ... ﴾	16	39
﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ... ﴾	21	249
المجادلة		
﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا ... ﴾	1	329
﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم ... ﴾	6	334
﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ... ﴾	22	366
الحشر		
﴿ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ... ﴾	2	367
﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ... ﴾	7	19، 52
﴿ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم ... ﴾	13	321

الممتحنة		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي ... ﴾	1	334
الصف		
﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ ... ﴾	6	52
﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ ... ﴾	8	52
﴿ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴾	14	202
الجمعة		
﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ ... ﴾	2	03، 367
التغابن		
﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ... ﴾	9	327
﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ... ﴾	15	381
الطلاق		
﴿ وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ ... ﴾	2	181
﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ... ﴾	3	381
التحريم		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ... ﴾	6	367، 390
﴿ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم ... ﴾	8	372
الملك		
﴿ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ ... ﴾	10	179
القلم		
﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾	4	382
﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ... ﴾	17	224
الحاقة		

﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾	12	178
﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ...﴾	17	53، 290
المعارج		
﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ ...﴾	4	290
الجن		
﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ ...﴾	18	262
المزمل		
﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾	16	254
القيامة		
﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾	17	17
المرسلات		
﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾	15	425
﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ﴾	32	35
النبأ		
﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾	1	308
﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ...﴾	38	290
النازعات		
﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا﴾	31	185
عبس		
﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾	37	334
البروج		
﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾	1	333
﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾	3	333

الطارق		
﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴾	1	333
الفجر		
﴿ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴾	5	181
﴿ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴾	29	342
الليل		
﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴾	5	253
الضحى		
﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴾	6	257
البيّنة		
﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ ... ﴾	1	134
الزلزلة		
﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾	1	333
العاديات		
﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ۝١ ﴾	1	333
﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴾	9	308
الماعون		
﴿ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾	5	191
الكوثر		
﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾	1	32، 37
النصر		
﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ... ﴾	1-3	323، 324

فهرس الأحاديث

طرف الحديث	ص
(أقضي بما في كتاب الله)	13
(ألا إن القوة الرمي)	31
(ألا و إني أوتيت الكتاب و مثله معه)	18
(أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي)	48
(إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء)	32
(إن الله لا يصنع بشقاء أختك شيئا)	153
(إن الله لا يمل حتى تملوا ...)	500
(إن عبدا خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا)	321
(إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله)	214
(إن هذا القرآن ليس منه حرف إلا له حد)	211
(إنا كنا في زيادة من ديننا)	355
(أنزل القرآن على سبعة أحرف ...)	322
(إنما ذلك سواد الليل و بياض النهار)	10
(أينا لا يظلم نفسه يا رسول الله ...	10
(بينا أنا نائم أوتيت بقدح لبن فشربت)	322
(تفسير آية (وألزمهم كلمة التقوى) قال ﷺ (لا إله إلا الله)	32
(حسين مني و أنا من حسين ...)	274
(خذوا عني مناسككم)	19
(خمس قد مضين : اللزام ، الروم ،....)	39
(خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ...)	41
(دع ما يريبك إلى ما يريبك)	253
(الدعاء هو العبادة)	32
(صلوا كما رأيتموني أصلي)	19
(فقضى النبي ﷺ بما للزبير)	22
(في الركاز الخمس)	19
(قدم النبي ﷺ صبح رابعة من ذي الحجة ...)	51
(القرآن تحت العرش له ظهر و بطن يحاج العباد)	211
(كان بنوا النضير إذا قتلوا قتيلا من بني قريضة ...) .	38

(كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته منه ...).	38
(لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب)	259
(لا تلحفوا في المسألة ...)	49
(لا يقولن أحدكم إني خير من يونس بن متى)	76
(لا يكن أحدكم كالمنبت ....)	500
(لا ينزع الله العلم من صدور الرجال و لكن ينزع ...)	95
(لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجال)	323
(لكل آية ظهر و بطن)	322
(لو أن لي ما في الأرض جميعا لافتديت به من هول المطلع)	208
(ليس فيما دون خمسة أوسق من التمر صدقة)	19
(ما كان بين إسلامنا و بين أن عاتبنا الله بهذه الآية)	39
(ما لا عين رأت ولا أذن سمعت)	32
(ما من أصحاب النبي ﷺ أحد أكثر حديثا مني)	49
(المسلم من سلم الناس من لسانه و يده ...)	51
(المغضوب عليهم اليهود والضالين النصارى)	32
(من أراد العلم فليثور القرآن)	324
(من تواضع لله رفعه ...)	392
(من حوسب عذب)	10
(من صام الدهر فلا صام ولا آل)	70
(من كانت الدنيا همه ، فرق الله عليه أمره)	497
(نعيت إلي نفسي أني منهوض ...)	323
(هر أعطيه نبيكم ﷺ)	32
(نهى النبي ﷺ أن يقيم الرجل أخاه ...)	50
(هم أتباع الرسل)	36
(وخبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة)	50
(يا عائشة أفلا أكون عبدا شكورا)	37

فهرس الأعلام

العلم المترجم له	ص
إبراهيم الحربي .	132
إبراهيم بن أدهم .	373
ابن أبي الحديد .	295
ابن أبي حاتم .	14
ابن الأثير .	190
أحمد بن حنبل .	135
إخوان الصفا .	113
الأدمي .	267
أرسطو.	288
الأزهري أبو منصور .	63
أبو إسحاق الإسفراييني .	410
الأصمعي .	71
أطفيش محمد بن يوسف.	112
ابن الأعرابي .	59
أفلاطون .	163
الألوسي	03
الإمام الشافعي .	21
أمية بن أبي الصلت .	193
أمين الخولي	06
ابن الأنباري أبو بكر.	71
أويس القرني.	371
البخاري	31
بديع الزمان النورسي	236
برتراندرسل .	144
ابن برجان	464

بروكلمان .	155
البزار .	211
بشر الحارث .	135
البغوي .	57
أبو بكر الجصاص.	114
أبو بكر الطوسي .	132
أبو بكر القفال الشاشي .	384
أبو بكر الواسطي	404
أبو بكر الوراق .	405
أبو بكر بن العربي .	114
البوصيري	468
البيضاوي .	109
البيهقي	299
الترميذي	48
التفتازاني .	242
ابن تيمية .	46
ثعلب النحوي .	62
الثعلبي	473
الثلاثي الزيدي	115
الجاحظ .	233
الجرجاني .	60
ابن جرير الطبري .	39
ابن جزي الكلبي .	180
أبو جعفر .	29
أبو جعفر الباقر.	296
جعفر الصادق .	210
أبو جعفر الطوسي .	112

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أبو جعفر النحاس .	61
جلال الدين الرومي .	272
الجلال السيوطي .	10
الجنيد .	131
ابن الجوزي .	127
جولد تسيهر .	165
الجوهري أبو نصر .	71
الجويني عبد الملك.	75
الحاكم النيسابوري .	09
أبو حامد الغزالي .	162
ابن حزم أبو محمد علي.	73
الحسن البصري .	42
أبو الحسن الشاذلي .	463
الحسن العسكري .	111
الحسن بن علي .	274
الحسين بن علي .	274
حفص .	28
الحلاج .	142
حمزة الزيات .	27
أبو حيان الاندلسي	06
الخازن .	110
الخطيب البغدادي .	15
الخطيب الشربيني .	110
ابن خلدون .	126
خلف .	27
ابن خلكان .	364
الخليل الفراهيدي .	62

ابن خميس الموصلي.	365
أبو داود السجستاني .	47
ابن دريد .	62
ذو النون المصري	165
رابعة العدوية .	149
الراغب الأصفهاني الحسين بن محمد .	61
ربيعة .	296
رشيد رضا .	116
الزجاج .	56
الزركشي .	11
زروق .	133
زكي مبارك	146
الزمخشري .	82
أبو الزناد.	296
الزوزني .	60
زيد بن أسلم	42
ابن السبكي .	77
سري السقطي .	419
أبو السعود .	110
سعيد الخراز .	248
أبو سعيد الخشاب .	386
أبو سعيد السيرافي .	224
سعيد بن المسيب	103
سعيد بن جبير .	42
سفيان الثوري .	75
سفيان بن عيينة .	44
السهروردي .	210

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

السهروردي المقتول .	164
سيبويه .	64
سيد قطب .	116
ابن سيدة .	71
ابن سينا .	113
سينوزا .	144
شاه الكرماني .	248
شاه ولي الله الدهلوي .	212
الشبلي .	131
شريح .	127
الشريف المرتضى	111
شعبة .	27
شعبة بن الحجاج .	44
شقيق البلخي .	419
ابن شهاب الزهري .	296
الشوكاني .	24
ابن الصلاح .	09
الضحاك بن مزاحم .	67
طاش كبرى زاده	221
الطاهر بن عاشور	04
الطباطبائي	112
الطبراني .	211
الطبرسي .	111
ابن الطفيل .	163
طنطاوي جوهري .	115
الطيالسي .	381
عاصم .	29

جمعية التأليف عبد القادر للعلوم الإسلامية

أبو العالية .	42
ابن عامر .	28
أبو العباس السبتي	495.
أبو العباس بن سريج .	132
ابن عبد البر .	23
عبد الجبار القاضي .	111
عبد الرزاق الصنعاني .	43
عبد العظيم الزرقاني .	26
عبد القادر الجيلاني .	349
عبد القاهر الجرجاني (ت: 471هـ) .	91
عبد الله بن يوسف والد أبي المعالي الجويني .	384
عبد الملك بن جريج .	49
أبو عبيد القاسم بن سلام .	72
أبو عبيدة معمر بن المثنى .	71
أبو عثمان المغربي .	396
ابن عربي .	163
ابن عساكر .	53
ابن عطاء الله السكندري .	243
عطاء بن أبي رباح .	42
ابن عطية .	57
عكرمة	02
علاء الدولة السمناني .	113
أبو علي الدقاق .	310
أبو علي الروذباري .	132
أبو عمرو .	29
العياشي .	309
الفارابي الفيلسوف .	113

ابن فارس .	58
ابن الفارض .	163
أبو ا لفتح بن جني .	59
الفخر الرازي.	109
الفراء أبو زكريا يحي بن زياد .	56
الفريابي	210
الفضيل بن عياض .	325
ابن فورك .	274
فيثاغورس .	163
الفيض الكاشاني .	294
القاسمي جمال الدين .	07
القاضي النعمان .	309
ابن قتيبة أبو محمد عبد الله الدينوري .	06
ابن قدامة المقدسي .	180
القرطبي .	75
القمي	304
ابن القيم .	20
كانط .	143
ابن كثير .	29
الكسائي .	27
كعب الأحبار .	47
الكفوي .	206
الكلاباذي .	136
الكليني	296
الكندي .	162
كونفوشيوس .	161
الكيا الهراسي .	114

لا وتسي .	160
اللحياني .	71
الماتريدي أبو منصور .	64
ماسنيون .	142
مالك بن أنس .	15
المتنبي .	59
مجاهد المفسر .	11
المحاسبي .	130
محمد الخضر حسين .	301
محمد العربي الدرقاوي .	467
محمد الفاضل بن عاشور .	287
محمد بن الحسن الشيباني .	98
محمد بن حمزة الكرماني .	273
محمد بن سيرين .	47
محمد بن عبد الله الرازي الصوفي	386
محمد بن كعب القرظي .	42
محمد عبد الله دراز .	08
محمد عبده .	116
محمد مصطفى المراغي .	116
محمود الغزنوي	416
محمود بن سبكتكين	417
مسروق	06
معروف الكرخي .	165
مقداد السيوري .	115
مكي بن أبي طالب .	136
ابن المنذر	52
ابن منظور .	59

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أبو موسى الأشعري	409
موسى الكاظم .	308
نافع .	28
نجم الدين داية .	
النسائي أحمد بن شعيب .	44
النسفي .	110
النصراباذي .	384
أبو نعيم الأصبهاني.	384
النووي أبو زكريا يحي بن شرف .	09
نيتشه .	143
النيسابوري	110
نيكلسون .	143
الهجويري	363
هشام .	29
أبو هلال العسكري .	191
هيجل.	311
الواحدي .	331
وكيع بن الجراح .	44
ولتر ستيس .	144
الونشريسي .	252
وهب بن منبه .	48
ويليام جيمس .	143
أبو يزيد البسطامي .	162
يعقوب .	28

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المصادر و المراجع :

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

المصادر والمراجع:

1. ابن جزي ومنهجه في التفسير . علي محمد الزبيري .دار القلم –دمشق. ط1/ 1407ه – 1987 م.
2. أبو حامد الغزالي و التصوّف . عبد الرحمان بن محمد سعيد دمشقية . دار طيبة للنشر و التوزيع – الرياض .ط2 / 1409 ه .
3. الاتجاه الإشراقي في فلسفة ابن سينا . د : مرفت عزت بالي . دار الجيل – بيروت / 1414 ه – 1994 م .
4. الإتقان في علوم القرآن . (طبعة ثانية) .المكتبة الثقافية –بيروت .1973 م
5. الإتقان في علوم القرآن . جلال الدين السيوطي . المكتبة العصرية – صيدا . 1407 ه – 1987م . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم .
6. الإحكام في أصول الأحكام .ابن حزم. دار الحديث – القاهرة . ط1 / 1419 ه – 1998 م . ضبط و تحقيق و تعليق : د: محمد حامد عثمان .
7. إحياء علوم الدين (طبعة ثانية) .دار الحديث – القاهرة . تحقيق : أبي حفص سيد بن إبراهيم بن صادق بن عمران .
8. إحياء علوم الدين . (طبعة ثالثة) . عالم الكتب .
9. إحياء علوم الدين . دار و مكتبة الهلال – بيروت .ط1 / 2004 م . تحقيق و تصحيح : هيئة التحقيق بدار الوعي العربي – حلب .
10. أديان العالم .هوستن سميث .دار الجسور الثقافية –حلب .تعريب و تقديم و حواشي :سعد رستم .ط1/1426ه – 2005م .
11. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول .الشوكاني . دار السلام للطباعة و النشر و التوزيع و الترجمة – القاهرة .ط1 / 1418 ه – 1998 م . تحقيق وتعليق : شعبان محمد إسماعيل .

12. إرغام أولياء الشيطان بذكر مناقب أولياء الرحمان –الطبقات الصغرى.المناوي .دار صادر –بيروت .ط1/ 1999م. تحقيق : محمد اديب الجادر .

13. أساس البلاغة . (طبع ثانية) . دار صادر – بيروت / 1399ه – 1979 م .

14. أساس البلاغة . معجم في اللغة و البلاغة . الزمخشري . مكتبة لبنان ، ناشرون – بيروت .ط1 / 1996 م .

15. إسلامية المعرفة – مجلة فكرية فصلية محكمة يصدرها المعهد العالمي للفكر الإسلامي. السنة التاسعة . العدد 36/ 1425ه – 2004م .

16. الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية – تفسير القرآن العظيم .نجم الدين الطوفي. دار الكتب العلمية – بيروت . ط1 / 1426ه- 2005م .تحقيق : محمد حسن محمد حسن إسماعيل .

17. الإشارات و التنبيهات . ابن سينا . دار المعارف –مصر . ط2 / تحقيق : سليمان دنيا .

18. أصول التفسير و قواعده . خالد عبد الرحمان العك . دار النفائس – بيروت . ط2/ 1406ه – 1986 م .

19. أصول الدين . عبد القاهر البغدادي . دار الكتب العلمية – بيروت . ط3 / 1401ه – 1981 م .

20. أصول الفقه الإسلامي . وهبة الزحيلي .دار الفكر – دمشق .ط1 / 1406ه – 1986 م .

21. الاعتصام . الشاطبي . (طبعة ثانية) .دار الخاني – الرياض .ط1 / 1416 ه – 1996 م . تخريج و تحقيق و تعليق : د . مصطفى أبو سيلمان الندوي .

22. الاعتصام . الشاطبي .دار الكتب العلمية – بيروت .ط2 / 1411ه – 1991 م . ضبطه و صححه : أحمد عبد الشافي .

23. إعجاز القرآن . الباقلاني (أبو بكر محمد بن الطيب ت :403ه) .دار المعارف – مصر . تحقيق : السيد أحمد صقر .

24. إعجاز القرآن و البلاغة النبوية . مصطفى صادق الرافعي . دار الكتاب العربي – بيروت . ط9 / 1393 ه – 1973 م .

25. الإعجاز و الإيجاز . الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري ت :429 ه) دار البشائر – دمشق . ط1 / 1422 ه – 2001 م . تحقيق : إبراهيم صالح .

26. الأعلام . خير الدين الزركلي . دار العلم للملايين – بيروت .ط1 السابقة. 1986 م .

27. الأعلام .قاموس تراجم لاشهر الرجال و النساء من العرب و المستعربين و المستشرقين . خير الدين الزركلي –بيروت .دار العلم للملايين .1980م .

28. إعلام الموقعين عن رب العالمين ابن القيم شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ت : 751ه) .دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت .ط1 / 1418 ه – 1997م .اعتنى به : أحمد عبد السلام الزعبي .

29. أعيان الشيعة .السيد محسن العاملي . دار التعارف للمطبوعات –بيروت .1403ه-1983 م .حققه وأخرجه : حسن الأمين .

30. أليس الصبح بقريب – التعليم العربي الإسلامي – دراسة تاريخية و آراء إصلاحية . محمد الطاهر بن عاشور . دار سحنون للنشر و التوزيع – تونس . دار السلام للطباعة و النشر و التوزيع و الترجمة . ط1 / 1427 ه – 2006 م .

31. الإمام ابن تيمية و قضية التأويل – دراسة لمنهج ابن تيمية في الإلهيات و موقفه من المتكلمين و الفلاسفة و الصوفية . د : محمد السيد الجليند . دار قباء – القاهرة . ط5 / 2000م .

32. الإمام القشيري : سيرته ، آثاره ، مذهبه في التصوف .د . إبراهيم بسيوني . المكتبة العصرية – صيدا ، ومجمع البحوث الإسلامية / 1392ه – 1972 م .

33. الإمامة و الولاية في القرآن الكريم . نخبة من العلماء . الناشر : مركز الطباعة و النشر للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام .ط1 / 1427 ه .

34. إنباه الرواة على أنباء النحاة .أبو الحسن جمال الدين علي بن يوسف القفطي (ت:624ه) ،دار الفكر العربي –القاهرة ،مؤسسة الكتب الثقافية –بيروت .ط1/ 1406ه- 1986م .تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم .

35. الأنساب .عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني .مركز الخدمات و الأبحاث الثقافية .دار الجنان .ط1 / 1408ه- 1988م –بيروت .لبنان .

36. الإنسان و الكون في الإسلام .أبو الوفاء الغنيمي التفتازاني .دار الثقافة للنشر و التوزيع .الفجالة /1995م.

37. إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون.إسماعيل باشا البغدادي .دار الفكر .

38. إيقاظ الهمم في شرح الحكم . ابن عجيبة . المكتبة الثقافية – بيروت .

39. البحر المحيط . أبو حيان الأندلسي (محمد بن يوسف ت: 745 ه) . دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع / 1412 ه – 1992 م . باعتناء : صدقي محمد جميل .

40. البحر المحيط في أصول الفقه .الزركشي . وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية – الكويت. ط2 / 1413 ه – 1992 م . تحرير : عبد القادر عبد الله العاني . مراجعة : عمر سليمان الأشقر .

41. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد . ابن عجيبة (أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي الحسني ت : 1224ه) . دار الكتب العلمية – بيروت .ط1 / 1423ه – 2002 . تحقيق : عمر أحمد الراوي .

42. البحر المسجور في تفسير القرآن بمحض النور . أحمد بن مصطفى العلاوي المستغانمي . المطبعة العلاوية . مستغانم – الجزائر . ط1 .

43. بحوث في أصول التفسير . محمد بن لطفي الصباغ . المكتب الإسلامي – بيروت . ط1 / 1408 ه – 1988 م .

44. بدائع التفسير . أبو الفضل عبد الله محمد الصديق الغماري . مكتبة القاهرة – دار الطباعة المحمّدية . ط1 / 1385 ه – 1965 م .

45. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع .محمد بن علي الشوكاني (ت:1250ه) .دار الكتب العلمية –بيروت .ط1/ 1418ه- 1998م .وضع حواشيه: خليل المنصور .

46. البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة . عبد الفتاح القاضي .دار الكتاب العربي – بيروت . ط1 / 1401ه – 1981 م .

47. البدية و النهاية .أبو الفداء إسماعيل بن كثير (ت774 ه) دار المعرفة .بيروت .ط1417/2 ه – 1997 م .اعتنى بهذه الطبعة ووثقها :عبد الرحمان اللاذقي و محمد غازي بيضون .

48. البرهان . في علوم القرآن .طبعة ثانية .المكتبة العصرية –صيدا –بيروت .تحقيق :أبو الفضل إبراهيم.

49. البرهان في أصول الفقه .الجويني – قطر .ط1 / 1399 ه . تحقيق و تقديم و فهرسة : عبد العظيم الديب .

50. البرهان في علوم القرآن . الزركشي . دار المعرفة – بيروت . ط2 / 1415ه – 1994م . تحقيق : يوسف عبد الرحمان المرعشلي و صاحبيه .

51. البسملة بين أهل العبارة و أهل الإشارة . إبراهيم بسيوني . الهيئة المصرية العامة للكتاب / 1972 م .

52. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز . الفيروزبادي (مجد الدين بن يعقوب ت : 817ه) . المكتبة العلمية – بيروت . تحقيق : محمد علي النجار .

53. بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس .أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة الضبي. دار الكتب العلمية –بيروت .لبنان.ط1417/1ه – 1997م .تحقيق : روحية عبد الرحمان السويفي .

54. بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة .جلال الدين السيوطي .المكتبة العصرية- بيروت .لبنان .تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم .

55. بنية العقل العربي . محمد عابد الجابري– دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية – مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت . ط1 / 1986م.

56. البيان و التبيين . الجاحظ . دار الفكر – بيروت . تحقيق و شرح : أ – عبد السلام محمد هارون .

57. تاج العروس من جواهر القاموس . السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي . إصدار وزارة الإعلام – الكويت / 1394ه – 1994م. تحقيق : د: حسن نصار . مراجعة : عبد العليم الطحاوي ، عبد الستار أحمد فراج .

58. تاج العقائد و معدن الفوائد .تأليف الداعية :علي بن محمد الوليد (ت: 612ه) دار المشرق . المطبعة الكاثوليكية . تحقيق : عارف تامر .

59. تاريخ الأدب العربي . بروكلمان. دار المعارف – القاهرة . ط2 /نقله إلى العربية : سيد يعقوب بكري و رمضان عبد التواب .

60. التاريخ الكبير .أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت: 256ه) .دار الفكر. تحقيق : السيد هاشم الندوي .

61. تاريخ بغداد .الخطيب البغدادي. المكتبة السلفية – المدينة المنورة .

62. تاريخ بغداد أو مدينة السلام .أبو بكر الخطيب أحمد بن علي البغدادي (ت:463ه) .دار الكتب العلمية –بيروت .

63. التأويل أسسه و معانيه في المذهب الاسماعيلي . الحبيب الفقي . مركز الدراسات و الابحاث الاقتصادية و الاجتماعية – تونس . القاضي النعمان – دراسة ونصوص – سلسلة الدراسات الإسلامية (7) الجامعة التونسية .

64. تأويل القرآن الكريم و مذاهب الفرق فيه . محمد بديع موسى . دار الإعلام – عمان – الأردن .– ط1 / 1429 ه – 2008 م .

65. تأويل مشكل القرآن . ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم ت : 276ه) . دار التراث – القاهرة . ط2 / 1393ه – 1973 م . شرحه و نشره : السيد أحمد صقر.

66. تأويلات أهل السنة .أبو منصور الماتريدي. مؤسسة الرسالة – ناشرون .ط1 / 1425ه – 2004 م . تحقيق : فاطمة يوسف الخيمي .

67. التبصير في الدين و تمييز الفرقة الناجية عن فرق الهالكين . أبو المظفّر الإسفراييني.(471ه) . عالم الكتب . بيروت .ط1 / 1403 ه – 1983 م . تحقيق : كمال يوسف الحوت .

68. التبيان في أقسام القرآن . ابن القيم الجوزية دار الكتاب العربي – بيروت . ط2 / 1418 ه –1998 م . تعليق و تصحيح: فواز أحمد زمرلي .

69. التبيان في تفسير القرآن . الطوسي (أبي جعفر محمد بن الحسين ت : 460 ه) مجلد1 .دار إحياء التراث العربي – بيروت – تقديم : آغا بزرك الطهراني.

70. التجربة الصوفية – بحث في تحقيق العلاقة بين اعتقاد الثنائية و رؤية الواحدية في تجربة " العارف " الروحانية . مجدي محمد إبراهيم . مكتبة الثقافة الدينية .ط1 / 1423 ه – 2003 م .

71. التحفة العراقية في الأعمال القلبية .ابن تيمية .مكتبة المنار . الزرقاء – الأردن . ط1/ 1408 ه- 1987م . تحقيق : حماد سلامة . إشراف : د: محمد عويضة .

72. تذكرة الحفاظ و ذيوله .الذهبي .دار الكتب العلمية –بيروت .لبنان .ط1419/1ه - 1998 م .تحقيق : زكريا عميرات .

73. ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك .القاضي عياض. دار الكتب العلمية –بيروت .ط1/ 1418ه- 1998م . ضبطه و صححه :محمد سالم هاشم .

74. التسهيل لعلوم التنزيل (طبعة ثانية) .دار الكتاب العربي – بيروت / 1403ه – 1983 م .

75. التسهيل لعلوم التنزيل . ابن جزي .ط1 / 1355 ه – المكتبة التجارية الكبرى – مصر .

76. التصوف ، المنشأ ، المصدر . إحسان إلهي ظهير . دار ابن حزم – القاهرة . ط1 / 1429 ه – 2008 . تقديم : سيد بن حسن العفاني .

77. التصوف الإسلامي بين الأصالة و الاقتباس في عصر النابلسي .عبد القادر أحمد عطا. دار الجيل-بيروت .ط1/1407ه- 1987م.

78. التصوف الإسلامي في الأدب و الأخلاق : زكي مبارك . المكتبة العصرية – صيدا – بيروت .

79. التصوف الوجه و الوجه الآخر . عبد الفتاح أحمد الفاوي . مكتبة الزهراء . ط2/ 1415 ه – 1995م .

80. التصوف و الاتجاه السلفي في العصر الحديث . مصطفى حلمي . دار الدعوة للطبع و النشر و التوزيع – الاسكندرية .

81. التصوف و التفلسف ، الوسائل و الغايات . د : صابر طعيمة . ط1 /2005م . مكتبة مدبولي – القاهرة .

82. التصوف و الفلسفة . ولتر ستيس (ت :1969 م) . مكتبة مدبولي – القاهرة. ترجمة و تعليق و تقديم : د: إمام عبد الفتاح إمام .

83. التصوف و المتصوفة في مواجهة الإسلام . عبد الكريم الخطيب . دار الفكر العربي.ط1/ 1980 م .

84. تطور تفسير القرآن – قراءة جديدة . د : محسن عبد الحميد . جامعة بغداد – بيت الحكمة .

85. التعرف .الكلاباذي .مكتبة الكليات الأزهرية –القاهرة .ط2/ 1400ه- 1980م.تقديم وتحقيق ومراجعة : محمد أمين النواوي .

86. التعريفات .الجرجاني. دار الكتاب العربي – بيروت .ط4 / 1418ه – 1998م . حققه و قدّم له ووضع فهارسه : إبراهيم الأبياري .

87. تفسير ابن كثير . دار الأندلس – بيروت / 1416 ه – 1996 م .

88. التفسير الإشاري عند أهل السُنة . بحث مقدم لنيل الدكتوراه . الحلقة الثالثة ، الكلية الزيتونية للشريعة و أصول الدين . صالح الداسي . 1403 ه – 1983م.

89. تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل (أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء ت : 516ه). دار إحياء التراث العربي – بيروت . ط1 / 1420ه – 2000 م . تحقيق : عبد الرزاق المهدي .

90. تفسير التحرير و التنوير (طبعة ثانية) الدار التونسية للنشر – تونس . المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر ، تونس / 1984م .

91. تفسير التحرير و التنوير . محمد الطاهر بن عاشور . ج1 . مؤسسة التاريخ . ط1 / 1420ه- 2000 م .

92. تفسير الجيلاني . المكتبة الصوفية – بيروت /2010م . تحقيق : أحمد فريد المزيدي .

93. تفسير الشعراوي . أخبار اليوم – إدارة الكتب و المكتبات .

94. تفسير الصافي للمولى محسن الملقب بـــ : (الفيض الكاشاني ت : 1091ه) مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت . ط1 / 1399 ه – 1979 م تصحيح و تقديم : حسين الأعلمي .

95. التفسير الصوفي الفلسفي للقرآن الكريم . محمد غازي عرابي .ج1. دار البشائر – دمشق . ط1 / 1426 ه – 2006 م .

96. التفسير الصوفي للقرآن . دراسة و تحقيق لكتاب " إعجاز البيان في تأويل أم القرآن" أبو المعالي صدر الدين القونوي . دار الكتب الحديثة / 1389 ه – 1969 م . دراسة وتحقيق : عبد القادر أحمد عطا .

97. التفسير الصوفي للقرآن عند الصادق – الصادقية في التصوف و أحوال النفس و التشيع – علي زيعور . دار الأندلس . ط1 / 1979 .

98. التفسير العرفاني للقرآن الكريم . ذو النون المصري .مكتبة مدبولي – القاهرة . ط1 /2007 م . تحقيق وتقديم : محمود الهندي .

99. تفسير الفخر الرازي .دار الفكر –بيروت /1415ه- 1995م.قدم له: خليل محي الدين الميس .

100. تفسير القرآن العزيز .أبو بكر بن همام عبد الرزاق الصنعاني. دار المعرفة –بيروت .ط1/ 1411ه- 1991م . تحقيق وتخريج و تعليق: عبد المعطي أمين قلعجي .

101. تفسير القرآن العظيم . التستري (طبعة ثانية) .دار الكتب العلمية – بيروت . ط1 / 1423 ه – 2002 م . تحقيق : محمد باسل عيون السود.

102. تفسير القرآن العظيم . التستري . الدار الثقافية للنشر القاهرة . ط1 / 1422ه – 2002 . تحقيق : محمود حيرة الله .

103. تفسير القرآن العظيم مسندا عن رسول الله ﷺ و الصحابة و التابعين .ابن أبي حاتم الرازي .المكتبة العصرية – صيدا .ط2/ 1419 ه – 1999 .تحقيق : أسعد محمد الطيب.

104. التفسير القرآني . محمد رجب بيومي . المؤسسة العربية الحديثة – القاهرة .

105. التفسير القرآني في اللغة الصوفية في فلسفة ابن سينا . د: حسن عاصي . المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع – بيروت – ط1 / 1403ه – 1983م.

106. تفسير المنار .محمد رشيد رضا .دار المعرفة –بيروت .ط2/1393ه- 1973م.

107. تفسير سورة النور . ابن تيمية . دار الريان للتراث –القاهرة .ط1 / 1408 ه – 1987م . راجع نصوصه و خرّج أحاديثه : عبد العلي عبد الحميد حامد .(الناشر : الدار السلفية – بومباي – الهند) .

108. تفسير غريب القرآن . ابن قتيبة .دار إحياء الكتب العلمية . عيسى البابي الحلبي و شركاؤه / 1378ه – 1958م. تحقيق : السيد أحمد صقر .

109. التفسير و المفسرون (طبعة ثانية) .مكتبة مصعب بن عمير الإسلامية / 1424 ه – 2004 م .

110. التفسير و المفسرون (طبعة رابعة) .دار إحياء التراث العربي (دار الكتب الحديثة . ط2 / 1396 ه – 1976.

111. التفسير و المفسرون (طبعة ثالثة) . دار الحديث – القاهرة / 1426 ه – 2005 م .

112. التفسير و المفسرون . محمد حسين الذهبي .مكتبة وهبة – القاهرة. ط4 / 1409ه – 1989م .

113. التفسير و رجاله .محمد الفاضل بن عاشور .دار الكتب الشرقية –تونس.1976م.

114. التفكير الفلسفي في الإسلام . عبد الحليم محمود . دار الكتاب المصري – القاهرة. دار الكتاب اللبناني – بيروت / 1989 م .

115. تقريب التهذيب .شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني .(ت:852ه) مؤسسة الرسالة –بيروت .ط1/ 1416 – 1996 .بعناية :عادل مرشد .

116. التمهيد في الرد على الملحدة المعطلة و الرافضة و الخوارج و المعتزلة .الباقلاني. الناشر : دار الفكر العربي – القاهرة . 1366 ه – 1947 م . ضبط و تقديم و تعليق : محمود محمد الخضيري ، محمد عبد الهادي أبو ريدة .

117. تهذيب التهذيب .ابن حجر العسقلاني . دار الفكر –بيروت .ط1/ 1404 ه-1984م.

118. تهذيب الكمال .المزي . مؤسسة الرسالة –بيروت .ط1/ 1400ه – 1980م .تحقيق : بشار عواد معروف .

119. تهذيب اللغة (طبعة ثالثة) .الدار المصرية للتأليف و الترجمة . تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي ، محمد فرج العقدة ، مراجعة : علي محمد البجاوي .

120. تهذيب اللغة . الأزهري (أبو منصور محمد بن أحمد ت : 370ه) .ج15 . الكتاب العربي . 1967 م . تحقيق : د: إبراهيم الأبياري .

121. تهذيب اللغة . الأزهري .(طبعة ثانية) .المؤسسة المصرية العامة للتأليف و الأنباء و النشر . الدار المصرية للتأليف و الترجمة / 1384ه – 1964 م . تحقيق و تقديم : عبد السلام هارون . مراجعة : محمد علي النجار .

122. تهذيب تاريخ دمشق الكبير .ابن عساكر .(571ه) .دار المسيرة .ط2/ 1399ه-1979م . هذبه و رتبه :عبد القادر بدران (ت:1346ه) .

123. التوقيف على مهمات التعاريف . معجم لغوي مصطلحي . محمد عبد الرؤوف المناوي . دار الفكر المعاصر – بيروت ، دار الفكر – دمشق . ط1 / 1410ه – 1990 م .تحقيق : محمد رضوان الداية .

124. التيسير في القراءات السبع .أبو عمرو الداني .دار الكتاب العربي –بيروت .ط2/1404ه- 1984م.

125. جامع البيان عن تأويل آي القرآن . أبو جعفر الطبري (محمد بن جرير ت: 310 ه). دار الفكر – بيروت . 1408 ه – 1988م .

126. الجامع المسند الصحيح .(طبعة ثانية).دار إحياء التراث العربي –بيروت – لبنان.

127. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ و سننه و أيامه .البخاري دار العلوم الإنسانية –دمشق .باعتناء : مصطفى ديب البغا .

128. جامع بيان العلم و فضله . أبو عمر يوسف بن عبد البر (463ه) . دار ابن الجوزي – السعودية . ط3 / 1418 ه – 1997 م . تحقيق : أبي الأشبال الزهيري.

129. جامع كرامات الأولياء . النبهاني .ط1 / 1422ه – 2001م . مركز : أهل ست بركات . رضا – بوربندر – غجرات – الهند . تحقيق و مراجعة : إبراهيم عطوة عوض .

130. الجامع لأحكام القرآن . القرطبي (أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري) . دار الفكر – بيروت / 1414 ه – 1993 م . تقديم : خليل محي الدين الميس . مراجعة : صدقي محمد جميل . تخريج و تعليق : عرفان العشا .

131.الجامع لأحكام القرآن .القرطبي (طبعة ثانية) دار عالم الكتب /1423ه- 2003م .تحقيق : هشام سمير البخاري .

132. الجرح و التعديل .أبو محمد عبد الرحمان ابن أبي حاتم الرازي (ت327ه).دار إحياء التراث العربي ،دائرة المعارف العثمانية .حيدر آباد .الهند .ط1/1371ه- 1952 م.

133.جمهرة الأولياء و أعلام أهل التصوف . للسيد محمود أبي الفيض المنوخي الحسيني . مؤسسة الحلبي و شركاه – القاهرة . ط1 / 1387 ه – 1967 م .

134.الجواهر الحسان في تفسير القرآن .الثعالبي . المكتبة العصرية . ط1 / 1417ه – 1997م . تحقيق : محمد الفاضلي .

135.جواهر القرآن .أبو حامد الغزالي .جميل صليبا . دار الآفاق الجديدة - بيروت .ط4/ 1979 .باعتناء : عادل نويهض و زميليه .

136. الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية .أبو محمد محي الدين عبد القادر بن محمد بن أبي الوفاء القرشي الحنفي (ت775ه) .القاهرة .ط2/ 1413ه-1993م .تحقيق :محمد الحلو

137.حاشية العطار على جمع الجوامع لحسن العطار على شرح الجلال المحلي ، على جمع الجوامع لابن السبكي . المكتبة التجارية الكبرى – مصر .

138.الحاوي للفتاوى في الفقه و علوم التفسير و الحديث و الأصول و النحو و الإعراب و سائر الفنون .السيوطي. المكتبة العصرية – صيدا . بيروت /1411 ه – 1990 م . تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد .

139.حجة الله البالغة (شاه أحمد ولي الله بن عبد الرحيم ت :1176) . دار إحياء العلوم – بيروت . ط2 / 1413 ه – 1992 م . راجعه و علق عليه : محمد شريف سكر .

140.حجية السنة . د: عبد الغني عبد الخالق . دار الوفاء – المنصورة – مصر .ط3 / 1418ه – 1997 م .

141.الحركة الصوفية في الإسلام .محمد علي أبو ريان . دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية/ 1994 م .

142. حسن المحاضرة في أخبار مصر و القاهرة .السيوطي (911ه) .مطبعة الموسوعات –مصر

143. حفريات في التأويل الإسلامي – دراسة المجال المعرفي الأصول الأول للتفسير الصوفي. مختار الفجاري . عالم الكتب الحديث – إربد – جدار للكتاب العالمي – عمان . ط1 / 1428 ه – 2008 م .

144. حقائق التفسير . السلمي .دار الكتب العلمية . ط1 / 1421 ه – 2001 م . تحقيق : سيد عمران .

145. حقائق التفسير أو خلق خلائق القرآن و الاعتبار . الحلاج (الحسين بن منصور ت: 309ه) . مكتبة مدبولي – القاهرة . ط1/ 2006 م . تحقيق و تقديم : محمود الهندي .

146. حلية الأولياء و طبقات الأصفياء .أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني الشافعي.(430ه) .دار الكتب العلمية –بيروت .لبنان.ط2/ 1423ه – 2002م.تحقيق :مصطفى عبد القادر عطا.

147. حلية الأولياء و طبقات الأصفياء .أبو نعيم الأصفهاني (أحمد عبد الله ت: 430ه) . دار الكتاب العربي – بيروت . ط3 / 1400ه – 1980م .

148. دائرة المعارف الإسلامية . مركز الشارقة للإبداع الفكري .ط1/1419ه- 1988م .

149. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون . السمين الحلبي (أحمد بن يوسف ت: 756ه) دار القلم – بيروت – دمشق . ط1 / 1414ه – 1993 م . تحقيق: د : أحمد محمد الخراط .

150. الدر المنثور في التفسير بالمأثور : السيوطي . دار الفكر – بيروت . ط1 / 1403 ه – 1983م .

151. دراسات إسلامية (التأويل الصحيح) . د : السيد أحمد عبد الغفار . دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية / 2002 .

152. دراسات في التصوف .إحسان إلهي ظهير .دار ابن حزم –القاهرة .ط1/ 1429ه – 2008م .

153. دراسات في التفسير . مصطفى زيد . دار الفكر العربي . ط1 / 1967 ه – 1968 م

154. دراسات في الفكر العربي الإسلامي – أبحاث في علم الكلام و التصوف. عرفان عبد الحميد. دار عمار- عمان، دار الجيل-بيروت. ط1/ 1412ه- 1991م.

155. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة .شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (ت:852 ه) .دار الكتب العلمية –بيروت .لبنان .ط1/1418- 1997. ضبط و تصحيح : عبد الوارث محمد علي .

156. دلائل الإعجاز . عبد القاهر الجرجاني (أبو بكر بن عبد الرحمان بن محمد ت : 471 ه) دار قتيبة . تحقيق و تقديم : د : محمد رضوان الراية ، د: فايز الراية .

157. دلائل الإعجاز .(طبعة ثانية) .مكتبة الخانجي – القاهرة . قراءة و تعليق : أبو فهر محمود محمد شاكر .

158. ديوان عبد القادر الجيلاني .الجيلاني . طبعة أخبار اليوم . تحقيق : يوسف زيدان .

159. رجال الفكر و الدعوة في الإسلام . أبو الحسن الندوي .دار ابن كثير . دمشق .ط1/ 1420ه – 1999م .

160. رسائل إخوان الصفا و خلان الوفا .منشورات عويرات – بيروت – باريس .إعداد و تحقيق : د : تامر عارف . ط1 /1415 ه – 1995 م .

161. الرسالة . الشافعي (ت: 204ه) المكتبة العلمية – بيروت .تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر .

162. الرسالة . الشافعي . (طبعة ثانية) .طبعة البابي الحلبي . تحقيق : أحمد محمد شاكر / 1309 ه .

163. الرسالة القشيرية في علم التصوف .(طبعة ثانية) .دار الكتاب العربي –بيروت .

164. الرسالة القشيرية في علم التصوف .أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري . دار الخير – دمشق . ط1 /1408 – 1988 م . تحقيق و إعداد : معروف زريق . عبد الحميد بلطجي .

165. روح المعاني .الألوسي (طبعة ثانية)دار الطباعة المنيرية ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

166.روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني . الآلوسي (أبي الفضل السيد محمود البغدادي ت : 1270ه) . دار الحديث – القاهرة / 1426 ه – 2005 م. تحقيق د: السيد محمد السيد ، سيد عمران .

167.روضة الطالبين و عمدة المفتين .النووي . المكتب الإسلامي – بيروت .ط2 / 1405 ه – 1985 م .إشراف: زهير الشاويش .

168.روضة المحبين و نزهة المشتاقين . ابن القيم (شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي ت :751ه) دار الكلم الطيب – دمشق ، بيروت . دار ابن كثير – دمشق – بيروت .ط1 / 1418ه – 1997 م . تحقيق و تخريج و تقديم : محي الدين ديب مستو .

169.ريحانة الكتاب و نجعة المنتاب .لذي الوزارتين لسان الدين بن الخطيب. مكتبة الخانجي – القاهرة .ط1/1400ه- 1980م.تحقيق :محمد عبد الله عنان .

170.زاد المسير في علم التفسير . ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمد ت : 597ه) . دار الفكر – بيروت . ط1 / 1407ه – 1987م . حققه و كتب هوامشه : محمد بن عبد الرحمان عبد الله . خرج أحاديثه : أبو هاجر السعيد بن بسيوني زغلول .

171.سحر البلاغة و سر البراعة . الثعالبي . دار الكتب العلمية – بيروت .ط1 / 1405ه – 1984م . تصحيح و ضبط : عبد السلام الحوجي .

172.السلسلة الصحيحة .محمد ناصر الدين الألباني .مكتبة المعارف للنشر و التوزيع-الرياض .1415ه -1995 م .

173.السلسلة الضعيفة و الموضوعة و أثرها السّيء في الأمة .الألباني .مكتبة المعارف –الرياض .ط1/1412 ه-1992 م .

174.سنن ابن ماجة . دار إحياء التراث العربي .تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .

175.سنن أبي داود .دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع . مراجعة و ضبط و تعليق:محمد محي الدين عبد الحميد .

176.سنن البيهقي الكبرى .أحمد بن الحسين بن علي بن موسى .أبو بكر البيهقي .مكتبة دار الباز .مكة المكرمة .1414ه -1994م .تحقيق :محمد عبد القادر عطا.

177. سنن الترمذي المسمى الجامع الصحيح .دار إحياء التراث العربي –بيروت .لبنان .تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر ، تحقيق و تخريج و تعليق : محمد فؤاد عبد الباقي .

178. سير أعلام النبلاء . الذهبي . دار الفكر – بيروت .ط1 / 1417 ه – 1997 م . تحقيق : محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري .

179. سير أعلام النبلاء .(طبعة ثانية) .مؤسسة الرسالة –بيروت .ط9/ 1413 ه-1993 .

180. شجرة الكون . ابن عربي . مكتبة عالم الفكر – القاهرة .ط 1 / 1407 ه – 1987 م . مراجعة و تعليق : عبد الرحمان حسن محمود .

181. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية . فرع" فاس " دار الكتب العلمية – بيروت .ط1 / 1424 ه – 2003 م . تحقيق و تعليق عبد المجيد خيالي .

182. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية .الشيخ محمد بن محمد مخلوف.دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع .

183. شذرات الذهب في أخبار من ذهب .أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي(ت:1089) .تحقيق :لجنة إحياء التراث العربي –بيروت .دار الآفاق الجديدة.

184. شرح السنة .الحسين بن مسعود البغوي (516ه) .المكتب الإسلامي .ط1403/2ه-1983م –بيروت .تحقيق: زهير شاويش و شعيب الأرناؤوط .

185. شرح العقائد النسفية في أصول الدين و علم الكلام . التفتازاني .وزارة الثقافة – دمشق . 1974 م . تحقيق : كلود سلامة .

186. شرح العقيدة النسفية سعد الدين التفتازاني .دار الهدى –الجزائر .تحقيق : مصطفى مرزوقي

187. شرح المقاصد . التفتازاني (مسعود بن عمر بن عبد الله ت: 793ه) . عالم الكتب – بيروت . ط1 / 1409ه – 1989م . تحقيق و تعليق مع مقدمة في علم الكلام د: عبد الرحمان عميرة . تصدير : صالح موسى شرف .

188. شرح نهج البلاغة . ابن أبي الحديد (ت: 656ه) . دار مكتبة الحياة – بيروت / 1963 – تحقيق : حسن تميمي .

189.شرف أصحاب الحديث . الخطيب البغدادي .طبعة جامعة أنقرة . 1971م . تحقيق : د. محمد سعيد خطيب أوغلي .

190.الشريعة و الحقيقة بين التصوّف و الرمز . قطب الدين العبادي الفارسي (ت : 548ه) هامش صحيفة :113 . إيتراك للنشر و التوزيع – القاهرة .ط1 / 1422ه – 2002 م . ترجمة و دراسة : علي أحمد إسماعيل .

191.شعرية الخطاب الصوفي . الرمز الخمري عند ابن الفارض – نموذجا- محمد يعيش. منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية .جامعة سيدي محمد بن عبد الله سايس . فاس.

192. شفاء السائل و تهذيب المسائل . ابن خلدون . الدار العربية للكتاب / 1991م. دراسة تحليلية للعلاقة بين السلطان الروحي و السلطان السياسي . تحقيق : أبو يعرب المرزوقي .

193. الشيخ أحمد بن عجيبة و منهجه في التفسير . حسن عزوزي . وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية – المملكة المغربية / 1422 ه – 2001 م .

194.الصاحبي في فقه اللغة و سنن العرب في كلامها .ابن فارس. مؤسسة أ – بدران للطباعة و النشر – بيروت . 1382ه – 1963م . تحقيق و تقديم : مصطفى الشيوعي .

195.صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان .محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي السبتي .مؤسسة الرسالة –بيروت .ط2/ 1414ه- 1993م. تحقيق : شعيب الأرناؤوط.

196.صحيح مسلم (أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (261ه) . دار عالم الكتب – الرياض .ط1 / 1417 ه – 1996 . باعتناء : محمد فؤاد عبد الباقي .

197.صحيح مسلم (طبعة ثانية) .دار إحياء التراث العربي – بيروت .تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .

198.صحيح مسلم بشرح الإمام محي الدين يحي بن شرف النووي المسمّى المنهاج شرح الجامع الصحيح .دار العلوم الإنسانية – دمشق . ط1/ 1418 ه – 1997 م . تحقيق و تعليق : د . مصطفى ديب البغا .

199.صفة الصفوة .ابن الجوزي (جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمد ت :597ه) . دار الجيل – بيروت . ط1 / 1412 ه – 1992 ه .

200. صفة الصفوة .جمال الدين بن الجوزي . مكتبة الصفا .ط1 /1424- 2003.خرج أحاديثه : محمد بن عيادي بن عبد الحليم ، أحمد بن شعبان بن أحمد .

201. الصلة في تاريخ أئمة الأندلس و علمائهم و محدثيهم و فقهائهم وأدبائهم .أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال.(ت:578) .عني بنشره و صححه و راجع أصله :السيد عزت العطار الحسيني .مكتبة الخانجي –القاهرة ط2/ 1414 ه – 1994م .

202. الصوفية في الإسلام . نيكلسون .مكتبة الخانجي – مصر / 1371ه – 1951م. علق عليه : نور الدين شريبة .

203. الصوفية في نظر الإسلام – دراسة و تحليل : سميح عاطف الزين . دار الكتاب اللبناني – بيروت . دار الكتاب المصري – القاهرة .ط3 / 1405ه – 1985 م .

204. صيد الخاطر . ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمد ت : 597ه) .دار ابن خزيمة – الرياض . ط1 /1418 ه – 1997م . تحقيق و تعليق : عامر بن علي ياسين .

205. ضوابط المعرفة و أصول الاستدلال و المناظرة – صياغة للمنطق و أصول البحث متمشية مع الفكر الإسلامي . عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني . دار القلم – دمشق .ط3 / 1408 ه – 1988 م .

206. طبقات الحنابلة .القاضي أبو الحسين محمد بن أبي يعلى .دار المعرفة –بيروت.

207. طبقات الشافعية .ابن قاضي شهبة أبو بكر بن أحمد (ت:851ه) .تحقيق: عبد العظيم خان .عالم الكتب – بيروت .ط1/ 1407ه.

208. طبقات الشافعية .أبو بكر بن هداية الله الحسيني (ت:1014ه).دار الآفاق الجديدة – بيروت .ط3/ 1402ه- 1982م . حققه و علق عليه :عادل نويهض.

209. طبقات الشافعية .عبد الرحيم الإسنوي (جمال الدين ،ت : 772ه) .دار الكتب العلمية –بيروت .لبنان .ط1/ 1407 – 1987م.تحقيق :كمال يوسف الحوت .

210. طبقات الشافعية الكبرى . ابن السبكي.مطبعة عيسى البابي الحلبي و شركاه .ط1 /1385 ه – 1966 م . تحقيق : عبد الفتاح محمد الحلو ، و محمود محمد طناحي .

211.طبقات الصوفية – الكواكب الدرية في ترجمة السادة الصوفية – الطبقات الكبرى .المناوي. القسم الثاني – دار صادر – بيروت . ط1 / 1999م .تحقيق : محمد أديب الجادر

212. طبقات الصوفية . أبو عبد الرحمان السلمي . مكتبة الخانجي – القاهرة. ط2 / 1389 ه – 1969 م . تحقيق : نور الدين شريبة .

213.طبقات الصوفية .أبو عبد الرحمان السلمي .ت :(412 ه)،مكتبة الخانجي .القاهرة .ط3 / 1406 ه – 1986 م.تحقيق : نور الدين شريبة .

214.طبقات الفقهاء. أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (ت:476ه) .دار الرائد العربي .ط2/ 1401ه- 1981م .حققه و قدم له: إحسان عباس.

215.الطبقات الكبرى . ابن سعد . دار الكتب العلمية – بيروت .ط1 / 1410ه – 1990 م . دراسة و تحقيق : محمد عبد القادر عطا .

216.الطبقات الكبرى .الشعراني أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد (ت:973ه)- دار الفكر العربي –القاهرة.

217.طبقات المفسرين .جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي (ت:911ه). دار الكتب العلمية –بيروت .راجعها : لجنة من العلماء .

218.طبقات المفسرين .شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي (ت:945ه) . مكتبة وهبة و مطبعة الاستقلال الكبرى- القاهرة . 1392ه – 1972م .تحقيق : علي محمد عمر .

219.طريق الهجرتين و باب السعادتين .ابن القيم . مكتبة دار البيان –دمشق .مكتبة المؤيد – الرياض .ط1/ 1414ه- 1993 م.تحقيق و تخريج وتعليق : بشير محمد عيون.

220.الظاهر و الباطن .فلسفة التأويل في الديانات السماوية .أحمد علي زهرة .نينوى للدراسات و النشر و التوزيع –دمشق .ط1/ 2005م.

221.العارف بالله – سهل بن عبد الله التستري – عبد الحليم محمود. مكتبة دار السلام – الوادي – الجزائر.

222.عرائس البيان في حقائق القرآن .أبو محمد روزبهان بن أبي النصر البقلي الشيرازي.(ت:606 ه)، طبع المطبع العالي المعزي .

223.العقل الكوني – الحقيقة المجرّدة . علاء الحلبي . دار دمشق – سوريا .ط1 / 2006 م

224.العقل و فهم القرآن . الحارث بن أسد المحاسبي . دار الكندي – دار الفكر .ط3/ 1402 ه – 1982م . تقديم و تحقيق : حسن القوتلي .

225.العقل و فهم القرآن . كتاب فهم القرآن و معانيه . المحاسبي (الحارث بن أسد ت :243 ه) .دار الفكر – بيروت . ط1 / 1391 ه – 1971 م . قدم له و حقق نصوصه : حسين القوتلي .

226.العمل الديني و تجديد العقل .د : طه عبد الرحمان . المركز الثقافي العربي . الدار البيضاء – بيروت. ط2 / 1997م.

227.عوارف المعارف . السهروردي (شهاب الدين عمر بن محمد بن عمّويه ت : 632ه) .دار الكتاب العربي – بيروت . ط1 / 1966م .

228.العواصم من القواصم .ابن العربي .دار الثقافة – الدوحة . ط1 / 1413 ه – 1992 م . تحقيق : د : عمار طالبي .

229.غاية النهاية في طبقات القراء . شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن الجزري.(ت:833ه). دار الكتب العلمية –بيروت .لبنان .ط3/ 1402ه – 1982م.

230.غرائب التفسير و عجائب التأويل . الكرماني. دار القبلة للثقافة الإسلامية .جدة . مؤسسة علوم القرآن – بيروت .ط1 / 1408 ه – 1988م . تحقيق : د . شرمان سركال يونس العجلي .

231.غرائب القرآن و رغائب الفرقان . النيسابوري (نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسن القمي ت : 728 ه) . مطبعة مصطفى البابي الحلبي و شركاؤه – مصر . تحقيق و مراجعة :إبراهيم عطوة عوض .

232.فتاوى و مسائل ابن الصلاح . دار المعرفة – بيروت . ط1 / 1406 ه – 1986 م . حققه و خرج أحاديثه و علق عليه : د . عبد المعطي أمين قلعجي .

233. فتح الباري شرح صحيح البخاري . الحافظ أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني . دار الكتب العلمية – بيروت . ط1 / 1410 ه – 1989م . تحقيق : عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، رقم كتبها و أبوابها و أحاديثها : محمد فؤاد عبد الباقي .

234. فتح البيان في مقاصد القرآن .أبو الطيب صديق بن حسن بن علي الحسين القنوجي البخاري ت:1307ه .المكتبة العصرية –صيدا /1412ه- 1992م .باعتناء: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري .

235. الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية . ابن البنا السرقسطي . والشرح ل: ابن عجيبة أحمد بن محمد الحسني .دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع .

236. الفتوحات المكية . ابن عربي . دار إحياء التراث العربي – بيروت . ط 1/ 1418 ه – 1998 م . قدم له : محمد عبد الرحمان المرعشلي .

237. الفرق بين الفرق و بيان الفرقة الناجية منهم . عبد القاهر البغدادي(:429ه)دار الآفاق الجديدة – بيروت .ط4 / 1400 ه – 1980 م .

238. الفرقان بين أولياء الرحمان و أولياء الشيطان . ابن تيمية . دار الفضيلة – الرياض .دار ابن حزم – بيروت . ط1 / 1420 ه – 1999م . تحقيق و تخريج وتعليق : د : عبد الرحمان بن عبد الكريم اليحي .

239. الفسر شرح ابن جني الكبير على ديوان المتنبي . صنعة : أبي الفتح عثمان بن جني النحوي .دار الينابيع – دمشق .ط1/ 2004م .تحقيق و تقديم .د : رضا رجب .

240. فصوص الحكم (الفص اليوسفي) . ابن عربي . دار صادر – بيروت . ط1 / 1426 ه – 2005 م . تحقيق و شرح : نواف الجراح .

241. فضائح الباطنية . الغزالي . المكتبة العصرية – صيدا / 1426 ه – 2005 م .اعتنى به و راجعه : محمد علي القطب .

242. فضائل القرآن . أبو عبيد القاسم بن سلام الماوي (224ه) دار ابن كثير . دمشق – بيروت . تحقيق : مروان العطية ، محسن خرابة ، وفاء تقي الدين .

243. الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي . محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الفاسي (1291ه – 1376) .القسم الأول .دار الكتب العلمية – بيروت .ط1 / 1416 ه – 1995م . باعتناء : أيمن صالح شعبان .

244. الفكرانية – قوى الأفكار و قوانين عمل الأفكار و أثرها في نشأة العقل العربي الإسلامي و تفجير طاقاته – القسم النظري . محمد عبد الرحمان مرحبا . دار النهضة العربية – بيروت . ط1 / 1426 ه – 2005 م .(سلسلة المدرسة العربية الراهنة في الفلسفة و الفكر)

245. فلسفة التأويل – دراسة في تأويل القرآن عند محي الدين بن عربي . نصر حامد أبو زيد – المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء . ط4 / 1998م .

246. فلسفة التأويل في الديانات السماوية . أحمد علي زهرة . نينوى للدراسات و النشر و التوزيع – دمشق . ط1 / 2005م.

247. الفلسفة القرآنية . عباس محمود العقاد . دار الكتاب العربي – بيروت . ط2 / 1969م.

248. فهرس الفهارس و الأثبات و معجم المعاجم و المشيخات و المسلسلات . عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني .دار الغرب الإسلامي – بيروت . باعتناء د : إحسان عباس .

249. الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان . ابن القيم (أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر (ت: 751ه) مكتبة الهلال – بيروت .

250. فوات الوفيات و الذيل عليها .محمد شاكر الكتبي (ت:764ه). دار الثقافة – بيروت .تحقيق :إحسان عباس .

251. الفوز الكبير في أصول التفسير . ولي الله الدهلوي .دار قتيبة – بيروت . 1409ه / 1989 م .

252. في التصوف الإسلامي . نيكلسون . مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر – القاهرة / 1388 ه – 1969 م . ترجمة : أبو العلاء عفيفي .

253. في ظلال القرآن .سيد قطب .دار الشروق –القاهرة .ط15/1408ه- 1988م.

254. الكهف و الرقيم في شرح بسم الله الرحمان الرحيم . عبد الكريم الجيلي .دار الكتب العلمية- بيروت .ط1/ 2004م / 1424 ه .باعتناء : عاصم إبراهيم الكيالي .

255.فيصل التفرقة بين الإسلام و الزندقة . أبو حامد الغزالي . دار الفكر – بيروت . ط1 / 1993 م تحقيق : سميح دغيم .

256.فيض القدير .المناوي .المكتبة التجارية الكبرى – مصر .ط1/ 1356ه.

257.القاموس المحيط . الفيروزبادي . مؤسسة الرسالة – بيروت . ط6 / 1419 ه – 1998 م . تحقيق : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة .إشراف : محمد نعيم العرقوسي .

258.قانون التأويل . ابن العربي .دار الغرب الإسلامي- بيروت .ط2 / 1990م . دراسة و تحقيق : محمد السليماني .

259.قصة الديانات .سليمان مظهر. مكتبة مدبولي .2002 م .

260.قضايا اللغة في كتب التفسير – المنهج ، التأويل ، الإعجاز – د: الهادي الجطلاوي. كلية الآداب – سوسة . دار محمد علي الحامي – صفاقس – تونس . ط1 / 1998م .

261.قضية التأويل في القرآن الكريم بين الغلاة و المعتدلين . إبراهيم بن حسن بن سالم . ج2 . دار قتيبة – بيروت . ط1 / 1413 ه – 1993م .

262.قضية التصوف – المنقذ من الضلال – عبد الحليم محمود . دار المعارف – القاهرة . ط3

263.قواعد التصوف على وجه يجمع بين الشريعة و الحقيقة ويصل الأصول و الفقه بالطريقة . زروق أحمد البرنسي الفاسي (899ه) . دار وحي القلم – بيروت .ط1 / 1425ه – 2004م .تحقيق : الحُويمدي ، عني به : حسن السماحي سويدان .

264.القوانين الفقهية . ابن جزي الكلبي (أبو عبد الله محمد بن بن أحمد بن محمد ت: 741 ه) .دار الكتاب العربي – بيروت . ط2 / 1409ه – 1989 م .

265.قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد .أبو طالب المكي . دار الكتب العلمية – بيروت . ط1 / 1417 ه – 1997 م . ضبطه و صححه : باسل عيون السود .

266.كتاب أصول الدين .عبد القاهر البغدادي .دار الكتب العلمية –بيروت .ط3/ 1401ه – 1981م .

267. كتاب البدع و النهي عنها . لأبي عبد الله محمد بن وضاح يزيع المرواني (ت:286ه) .دار الصفا .القاهرة .ط1/ 1411ه- 1990 .تحقيق :محمد أحمد دهمان .

268. كتاب الدين ...و العقل الحديث .ولترستيس .مكتبة مدبولي .ط1/ 1998م .ترجمة : إمام عبد الفتاح إمام .

269. كتاب الصناعتين . الكتابة و الشعر. أبو هلال العسكري . طبعة عيسى البابي الحلبي و شركاه . تحقيق : علي محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم .

270. كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة و علوم حقائق الإعجاز . يحي بن حمزة بن علي بن إبراهيم بن العلوي اليمني . دار الكتب العلمية – بيروت . ط1 / 1415 ه – 1995 م . مراجعة و ضبط و تدقيق : محمد عبد السلام شاهين .

271. كتاب العين . أبو عبد الرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175 ه) . مؤسسة دار الهجرة . قم – إيران . ط1 / 1405ه . تحقيق : مهدي المخزومي ، د إبراهيم السامرائي.

272. كتاب بدع التفاسير . لأبي الفضل عبد الرحمان الصديق الغماري الحسني الإدريسي.

273. كشاف إصطلاحات الفنون .التهانوي. دار صادر – بيروت .

274. الكشاف عن ...(طبعة ثانية) .دار إحياء التراث العربي – بيروت . تحقيق : عبد الرزاق المهدي .

275. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل . العلامة (جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ت : 538 ه . ج3 . مكتبة العبيكان . الرياض . ط1 / 1418 ه – 1998 م . تحقيق و تعليق و دراسة : عادل أحمد عبد الموجود ، علي أحمد معوض ، شارك في التحقيق : فتحي عبد الرحمان ، أحمد حجازي .

276. كشف أسرار الباطنية و أخبار القرامطة . محمد بن مالك اليماني . مكتب نشر الثقافة الإسلامية /1357ه – 1939م .تقديم و تعليق : محمد زاهد الكوثري .نشر و تصحيح و مراجعة : عزت العطار .

277. كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون.(طبعة ثانية) .دار الكتب العلمية .ط1/ 2008 م –بيروت .لبنان . تحقيق : محمد عبد القادر عطاء .

278. كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون . حاجي خليفة (المولى بن عبد الله القسطنطيني الحنفي الشهير بالملا كاتب الحلبي (1017ه – 1067 ه) . دار الفكر / 1410ه – 1990 م .

279. كشف المحجوب . الهجويري .دار النهضة العربية – بيروت / 1980م . تحقيق : إسعاد عبد الهادي قنديل . راجع الترجمة : د: أمين عبد المجيد البدوي .

280. الكشف عن وجوه القراءات السبع و عللها و حججها .مكي بن أبي طالب القيسي . مؤسسة الرسالة – بيروت – ط5/ 1418ه – 1997م .تحقيق : محي الدين رمضان .

281. الكليات . معجم في المصطلحات و الفروق اللغوية . الكفوي (أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني ت : 1094 ه) . مؤسسة الرسالة – بيروت . ط1 / 1412 ه – 1992 م . باعتناء : د : عدنان درويش ، محمد المصري .

282. لباب التأويل في معاني التنزيل : تفسير الخازن (علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي ت : 725ه) . دار الكتب العلمية – بيروت . ط1 / 1415 ه – 1995م . ضبط و تصحيح : عبد السلام محمد علي شاهين .

283. لسان العرب (طبعة ثانية) .دار إحياء التراث العربي – بيروت . ط1 / 1408 ه – 1988 م . نسقه و علق عليه : علي شيري .

284. لسان العرب .ابن منظور . دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي – بيروت . ط1 / 1416 ه – 1996 م . باعتناء : أمين محمد عبد الوهاب ، محمد الصادق العبيدي

285. لطائف الإشارات . القشيري (أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن) . الهيئة المصرية العامة للكتاب . ط2/ 1981م .تحقيق : د : إبراهيم بسيوني .

286. لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام .عبد الرزاق القاشاني (ت :736ه) . دار الكتب المصرية – القاهرة . ط1 / 1416 ه – 1996م . تحقيق و دراسة : سعيد عبد الفتاح .

287. لطائف المنن . ابن عطاء الله السكندري .دار الكتاب المصري . القاهرة – دار الكتاب اللبناني – بيروت . ط1 / 1411ه – 1991 م . باعتناء : عبد الحليم محمود .

288. اللمع في تاريخ التصوف . الطوسي .(طبعة ثانية) .دار الكتب العلمية – بيروت .ط1 / 1421ه – 2001م .ضبطه و صححه : كامل مصطفى الهنداوي .

289. اللمع في تاريخ التصوف . سراج الدين أبو نصر عبد الله بن علي الطوسي. مطبعة بريل في مدينة ليدن / 1914م . باعتناء : رنولند ألن نيكلسون) .

290. لواقح الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية . الشعراني (عبد الوهاب ت : 973ه) . دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع – بيروت .ط 1 / بإشراف : مكتبة البحوث و الدراسات .

- مؤسسة الرسالة – بيروت . ط2 / 1402 ه – 1982 م .أشرف على تحقيق الكتاب وخرّج أحاديثه : شعيب الأرناؤوط .

291. المؤلفات الرئسيية في التفسير الإشاري عند أهل السنة . صالح الداسي . دار علاء الدين للنشر و التوزيع و الترجمة – دمشق – سوريا . ط1 / 2010 م .

292. المباحث المشرقية في علم الإلهيات و الطبيعيات . الرازي . دار الكتاب العربي – بيروت . ط1 / 1410 ه- 1990 م . تحقيق و تعليق : محمد المعتصم بالله البغدادي.

293. مباحث في علوم القرآن . مناع القطان . مؤسسة الرسالة للطباعة و النشر و التوزيع- بيروت .ط 35 / 1418ه – 1998 م .

294. مباحث في علوم القرآن .صبحي الصالح . مطبعة الجامعة السورية – دمشق/ 1377 ه – 1958م .

295. المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر . ابن الأثير (أبو الفتح ضياء الدين نصرالله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الموصلي . المكتبة العصرية – صيدا / 1411ه – 1990م . تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد .

296. المثنوي العربي . بديع الزمان النورسي . (من كليات رسائل النور – سوزلر للنشر – القاهرة .ط1 / 1415 ه – 1995 م . تحقيق : إحسان قاسم الصالحي .

297. مثنوي جلال الدين الرومي . شاعر الصوفية الأكبر – الكتاب الأول . المكتبة العصرية – صيدا – بيروت .ط1 / 1966 م . ترجمة و شرح و دراسة : د محمد عبد السلام كفافي

298. مجاز القرآن .أبو عبيدة .مكتبة الخانجي –مصر .عرض و تعليق : محمد فؤاد سزكين.

299. مجمع البيان في تفسير القرآن . أبو علي **الفضل بن** الحسن الطبرسي . مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت . ط1/1415 ه – 1995م . تقديم : السيد محسن الأمين العاملي .

300. مجمع الزوائد و منبع الفوائد .نور الدين **علي بن أبي** بكر الهيثمي .دار الفكر-بيروت .

301. مجموع الفتاوى . ابن تيمية . (كتاب **مقدمة التفسير**) . مكتبة المعارف – الرباط – المغرب / 1418 ه – 1997 م . **جمع و ترتيب :** عبد الرحمان بن محمد بن قاسمي .

302. مجموعة الحواشي البهية على شرح العقائد **النسفية** . التفتازاني . مطبعة كردستان العلمية – مصر / 1329 ه .

303. مجموعة رسائل الإمام الغزالي . مشكاة **الأنوار** . **دار** الفكر – بيروت / 1421 ه-2000م .

304. محاسن التأويل . القاسمي (محمد جمال **الدين** ت : 1332 ه – 1914 م) . دار الفكر – بيروت . ط2 / 1398 ه – 1978 م . باعتناء : محمد فؤاد عبد الباقي .

305. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . ابن **عطية** . طبعة الدوحة الأولى / 1402 ه – 1982 م . تحقيق و تعليق : عبد الله ابراهيم **الأنصاري** ، السيد عبد العال إبراهيم ، محمد الشافعي صادق الصافي .

306. مختار الصحاح . محمد بن **أبي** بكر بن **عبد القادر**الرازي . دار الحديث – القاهرة . باعتناء : محمود خاطر .

307. المختار من كلام الأخيار . محمد على بن **عباس المالكي** . مطبعة السعادة . ط1 / 1398 ه – 1978 م .

308. المدخل . ابن الحاج (محمد بن محمد بن **محمد العبدوي** الفاسي ت :737 ه) ج3 . دار الفكر / 1401 ه – 1981 م .

309. مدخل إلى التصوف الإسلامي . أبو الوفا **الغنيمي التفتازاني** . دار الثقافة للنشر والتوزيع – القاهرة . ط3 .

310. المدخل إلى العلم و الفلسفة و الإلهيات .نظرية المعرفة .حسن محمد مكي العاملي. الدار الإسلامية –بيروت .ط1/ 1411ه- 1990م.

311. مدرسة التفسير في الأندلس . د: مصطفى إبراهيم المشني . مؤسسة الرسالة – بيروت . ط1 / 1406 ه – 1986 م .

312. المدرسة الشاذلية الحديثة و إمامها أبو الحسن الشاذلي . عبد الحليم محمود . دار الكتب الحديثية .

313. مذاهب التفسير الإسلامي . جولد تسيهر . دار إقرأ – بيروت . ط2 / 1403 ه - 1983م .نسخة : عبد الحليم النجار .

314. المسائل و الأجوبة في الحديث و التفسير .ابن قتيبة . دار ابن كثير – دمشق . ط1/ 1410ه – 1990 م . تحقيق : مروان عطية ، محسن خرابة .

315. المستدرك على الصحيحين . الحافظ النيسابوري . دار الكتاب العربي –بيروت – لبنان .

316. المستصفى من علم الأصول . أبو حامد الغزالي . دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت . تقديم و ضبط و تعليق :إبراهيم محمد رمضان .

317. مسند أبي يعلى .دار المأمون للتراث –دمشق .ط1/1407ه- 1987م .تحقيق و تخريج : حسين سليم أسد .

318. مسند الإمام أحمد بن حنبل (طبعة ثانية) . مؤسسة قرطبة – القاهرة .تعليق : شعيب الأرنؤوط.

319. مسند الإمام أحمد بن حنبل . (ت : 241ه) . عالم الكتب – بيروت . ط1 / 1419 ه – 1998 م . تحقيق وضبط : السيد أبو المعاطي النووي و زملاؤه (أحمد عبد الرزاق عيد ، أيمن إبراهيم الزاملي إبراهيم محمد النوري ، محمد مهدي المسلمي ، محمود محمد خليل) .

320. مشكاة المصابيح .محمد عبد الله الخطيب التبريزي .المكتب الإسلامي .ط2/ 1405ه – 1985م –بيروت .تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني .

321. مصادر التشريع الإسلامي و مناهج الاستنباط .د . محمد أديب صالح – مكتبة العبيكان – الرياض .ط1 / 1423 ه – 2002 م .

322. مصنف عبد الرزاق . المكتب الإسلامي –بيروت .ط1/ 1390 ه – 1971م. تحقيق : حبيب الرحمان الأعظمي .

323. المصنف في الأحاديث و الآثار.ابن أبي شيبة .مكتبة الرشد –الرياض .ط1/1409ه .تحقيق : كمال يوسف الحوت .

324. معاني القرآن . أبو جعفر النحاس (338 ه) . طبعة جامعة أم القرى – مكّة المكرمة . ط1 / 1408 ه – 1988 م . تحقيق : محمد علي الصابوني .

325. معاني القرآن .الفراء .عالم الكتب –بيروت .ط3/1403ه- 1983م.

326. معاني القرآن و إعرابه . الزجاج (أبو إبراهيم بن السري ت : 311ه) . دار الحديث .القاهرة . ط2 / 1418ه – 1997 م . شرح و تحقيق : د . عبد الجليل عبده شلبي . خرج أحاديثه : علي جمال الدين محمد .

327. معايير القبول و الرد لتفسير النص القرآني . عبد القادر محمد الحسين . دار الغوثاني للدراسات القرآنية – دمشق . ط1 / 1428 ه – 2008 م .

328. معجم الأدباء .أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب .أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي . (ت626ه) .دار الكتب العلمية –بيروت .ط1/1411ه-1991م.

329. معجم البلدان .ياقوت الحموي (ت:626ه) .دار الكتب العلمية –بيروت .ط1/1410- 1990.تحقيق :فريد عبد العزيز الجندي .

330. المعجم الكبير .الطبراني . دار المأمون للتراث – دمشق – بيروت . ط1 / 1407 ه – 1987م . تحقيق و تخريج : حسين سليم أسد .

331. المعجم الكبير .الطبراني .دار إحياء التراث العربي .ط2/ 1422 – 2002م.تحقيق :حمدي عبد المجيد السلفي .

332. معجم المؤلفين – تراجم و مصنفي الكتب العلمية . عمر رضا كحالة .دار إحياء التراث العربي – بيروت .

333. معجم المطبوعات العربية .يوسف إياس سزكين. لبنان .

334. معجم المطبوعات العربية و المعربة . يوسف إلياس سركيس . مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة

335. معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر .عادل نويهض .مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف و الترجمة و النشر .ط2/1406ه- 1986م.قدم له :حسن خالد .

336. معجم مقاييس اللغة . ابن فارس (أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا ت : 395ه) / 1423ه – 2002 م . إتحاد كتاب العرب . تحقيق و ضبط : عبد السلام محمد هارون .

337. معرفة القراء الكبار على الطبقات و الأعصار.الذهبي .مؤسسة الرسالة .ط1/ 1404ه – 1984م .تحقيق :بشار عواد معروف ، شعيب الأرناؤوط ، صالح مهدي عباس .

338. المعنى و ظلال المعنى . أنظمة الدلالة في العربية د : محمد محمد يونس علي . دار المدار الإسلامي – بيروت . ط1 / 1428ه – 2007م .

339. المعيار المعرب .الونشريسي . وزارة الأوقاف . الرباط / 1981 م.

340. المغني . ابن قدامة المقدسي . (موفق الدين ت : 630ه).دار الحديث – القاهرة . ط1 / 1416 ه – 1996 م .تحقيق : محمد شرف الدين خطاب ، د : السيد محمد السيد ، أ : سيد إبراهيم صادق .

341. مفتاح السعادة و مصباح السيادة في موضوعات العلوم . أحمد بن مصطفى (الشهير ب: طاش كبرى زاده) .دار الكتب العلمية – بيروت .

342. مفردات الراغب الأصفهاني . دار المعرفة – بيروت . تحقيق و ضبط : محمد سيد كيلاني

343. مفردات ألفاظ القرآن .الأصفهاني . دار القلم – دمشق . الدار الشامية – بيروت.ط1 / 1416 ه – 1996 م . تحقيق : صفوان عدنان داوودي .

344. مقالتان في التأويل : معالم في المنهج و رصد للانحراف . محمد سالم أبو عاصم . دار البصائر – القاهرة . ط1 / 1424 ه – 2003 م .

345. المقدمة . ابن خلدون .دار البلخي – دمشق – مكتبة الهداية – دمشق / 1425 ه – 2004 م . تحقيق : عبد الله محمد الدرويش .

346. مقدمة في أصول التفسير .ابن تيمية (تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ت:728ه) دار القرآن الكريم – الكويت . ط1 / 1391ه – 1971م .تحقيق : د: عدنان زرزور .

347. من قضايا التصوف في ضوء الكتاب و السنة . محمد السيد الجليند . مكتبة الزهراء- القاهرة / 1410 ه – 1990م .

348. المنار المنيف في الصحيح و الضعيف .ابن القيم.مكتبة المطبوعات الإسلامية . ط1 / 1390ه – 1970 م . حققه و خرّج نصوصه و علق عليه : عبد الفتاح أبو غدّة .

349. مناقب الأبرار و محاسن الأخيار في طبقات الصوفية . ابن خميس الموصلي. دار الكتب العلمية – بيروت . ط1 / 1427 – 2006 م . تحقيق : سعيد عبد الفتاح .

350. مناهل العرفان في علوم القرآن . محمد عبد العظيم الزرقاني . دار قتيبة . ط1 / 1418 ه – 1998 م . باعتناء : بديع السيد اللحام .

351. المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم . ابن الجوزي .دار الكتب العلمية – بيروت . دراسة و تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، مصطفى عبد القادر عطا . راجعه و صحّحه : نعيم زرزور

352. المنهج الجديد في تعليم الفلسفة . محمد تقي مصباح اليزدي . دار التعارف للمطبوعات . ترجمة : محمد عبد المنعم الخاقاني .

353. منهج الطاهر بن عاشور في التفسير . أحمد صقر . الدار المصرية .ط1 / 1422 ه – 2002 م .

354. منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير . د : فهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرومي . مؤسسة الرسالة – بيروت . ط3 / 1407 ه .

355. منهج أهل السنة في تفسير القرآن الكريم – دراسة موضوعية لجهود ابن قيم التفسيرية . صبري المتولي . دار الثقافة و النشر و التوزيع – القاهرة / 1406 ه – 1986 م.

356. المهذب . أبو إسحاق الشيرازي . دار القلم – دمشق . الدار الشامية – بيروت .ط1/ 1417ه – 1996م . تحقيق و تعليق و شرح و بيان الراجح في المذهب د : محمد الزحيلي

357. الموافقات .الشاطبي . دار المعرفة –بيروت .تحقيق : عبد الله دراز.

358. المواقف في علم الكلام . عضد الدين الإيجي .عالم الكتب – بيروت . مكتبة المتنبي – القاهرة . مكتبة سعد الدين – دمشق .

359. موسوعة التفسير قبل عهد التدوين .د : محمد عمر الحاجي . دار المكتبي – دمشق. ط1 /1427 ه – 2007 م .

360. الموسوعة الصوفية .عبد المنعم الحنفي .مكتبة مدبولي .القاهرة .ط5/ 2006م.

361. الموسوعة العربية العالمية .مؤسسة أعمال المؤسسة للنشر و التوزيع –الرياض .السعودية .ط2/1419ه-1999.

362. موسوعة الفلسفة .عبد الرحمان بدوي .المؤسسة العربية للدراسات و النشر –بيروت. ط1 /1984 م.

363. موسوعة المستشرقين .دار العلم للملايين –بيروت .ط3/ 1993 .

364. موسوعة المورد .منير البعلبكي .دار العلم للملايين –بيروت .ط2/ 1992م.

365. الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي الاجتماعي .الدكتور جميل الحاج .مكتبة لبنان-ناشرون .ط1/2000م .

366. موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا . أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان (الحافظ ت : 281ه) – كتاب العقل و فضله . مؤسسة الكتب الثقافية بيروت . ط1 / 1413ه - 1993م .دراسة و تحقيق : السعيد بن بسيوني زغلول .

367. موسوعة مصطلحات أصول الفقه عند المسلمين . رفيق العجم . مكتبة لبنان – ناشرون – بيروت .ط1 / 1998م .

368. موسوعة مفتاح السعادة و مصباح السيادة في موضوعات العلوم .مكتبة لبنان-ناشرون .ط1/1998م .تقديم وإشراف و مراجعة : رفيق العجم .تحقيق :علي دحروج.

369. الموضوعات .ابن الجوزي . دار الكتب العلمية – بيروت . ط1 / 1415 ه – 1995م . خرّج آياته و أحاديثه : توفيق حمران .

370. ميزان الاعتدال في نقد الرجال .الذهبي .(748ه) .دار المعرفة-بيروت . تحقيق : علي محمد البجاوي .

371. الميزان في تفسير القرآن .الطباطبائي ..منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- بيروت .ط1/1411ه- 1991م.صححه وأشرف على طباعته : حسين الأعلمي .

372. النبأ العظيم ، نظرات جديدة في القرآن . محمد عبد الله دراز . دار القلم – الكويت / 1404 ه – 1984 م .

373. النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة .أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغرى بردي الأتابكي .(ت874ه) .وزارة الثقافة و الإرشاد القومي / المؤسسة المصيرية العامة.مصر .تحقيق : إبراهيم علي طرخان .

374. نشأة التصوف الإسلامي . دار المعارف – مصر (إبراهيم بسيوني) .

375. النشر في القراءات العشر ابن الجوزي . دار الكتب العلمية –بيروت .تصحيح و مراجعة : علي محمد الضباع .

376. النص القرآني بين التفسير و التأويل .عبد الفتاح إبراهيم سلامة . رسالة مقدمة لنيل إجازة العالمية .(الدكتوراه) . جامعة الأزهر .بإشراف :عبد الغني عوض الراجحي وزميله/1399ه – 1979 م .

377. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. أحمد بن المقري التلمساني .دار صادر–بيروت . 1408ه – 1988 م . تحقيق : إحسان عباس .

378. نقد الفلسفة الغربية – الأخلاق و العقل . عادل ضاهر . دار الشروق للنشر و التوزيع – عمان – الأردن . ط1 / 1990 م .

379. النهاية في غريب الحديث و الأثر .ابن الاثير .دار إحياء الكتب العربية . عيسى البابي الحلبي و شركاه . تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ، محمود محمد الطناحي .

380. هدية العارفين .أسماء المؤلفين و آثار المصنفين من كشف الظنون .إسماعيل باشا البغدادي .دار الفكر – 1402ه-1982م.

و الاستشراق و الحركات الهدّامة . عرفان عبد الحميد . دار عمّار . عمان (دار الجيل – بيروت) . ط1 / 1412 ه – 1991 م .

381. الوابل الصيب من الكلم الطيب . ابن القيم . المكتب الإسلامي – بيروت .ط1/ 1418ه – 1997م .باعتناء : صالح أحمد الشامي .

382. وفيات الأعيان و إنباء أبناء الزمان . ابن خلكان . دار صادر – بيروت . تحقيق : إحسان عباس .

فهرس الموضوعات

مقدمة..... أ

الفصل الأول: مقدمات حول التفسير

المبحث الأول: أصول التفسير و مآخذه –التفسير بالمأثور– 26
أولا : تفسير القرآن بالقرآن 26
ثانيا : تفسير القرآن بالسنة 30
ثالثا : تفسير القرآن بقول الصحابي 34
رابعا : تفسير القرآن بقول التابعي 41
المبحث الثاني : بين التفسير و التأويل 56
أولا : التفسير لغة واصطلاحا 59
ثانيا : التأويل لغة واصطلاحا 73
ثالثا : شواهد التفسير و التأويل 87
المبحث الثالث : التفسير بالرأي بين المانعين و المجيزين و أنواعه 93
أولا : الرأي بين المنع و الجواز 93
ثانيا : أنواع التفسير بالرأي 108

الفصل الثاني : التفسير الإشاري

المبحث الأول : التفسير الإشاري و صلته بالتصوف 126
أولا : التصوف أصيل 126
ثانيا : التصوف دخيل..... 149
المبحث الثاني: العقل و اللغة و حدودهما في فهم القرآن الكريم 168
أولا : العقل 168
ثانيا : اللغة..... 183
المبحث الثالث : الظاهر و الباطن..... 199
أولا: الظاهر والباطن: لغة..... 202
ثانيا:: الظاهر والباطن: اصطلاحا 209

الفصل الثالث : مفهوم التفسير الإشاري و أنواعه و شروط قبوله

المبحث الأول : مفهومه و موقف بعض العلماء منه 233

المبحث الثاني : التفسير الإشاري النظري الفلسفي 269
المبحث الثالث : التفسير الإشاري العملي 318
المبحث الرابع : شروط قبول التفسير الإشاري العملي وضوابطه..... 348

الفصل الرابع : نماذج للتفسير الإشاري العملي

المبحث الأول :تفسير القرآن العظيم... للإمام التستري : (سهل بن عبد الله .ت:283هـ).... 363
المبحث الثاني : حقائق التفسير... للإمام السلمي : (أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي ت:412هـ) 383
المبحث الثالث : لطائف الإشارات للإمام القشيري: (عبد الكريم بن هوازن .ت465هـ)..... 409
المبحث الرابع : البحر المديد في تفسير القرآن المجيد...لابن عجيبة:(أبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي الحسني (ت: 1224هـ) 454
الخاتمة 502

الفهارس

فهرس الآيات 509
فهرس الأحاديث 535
فهرس الأعلام 537
فهرس المصادر والمراجع 546
فهرس الموضوعات 580

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية